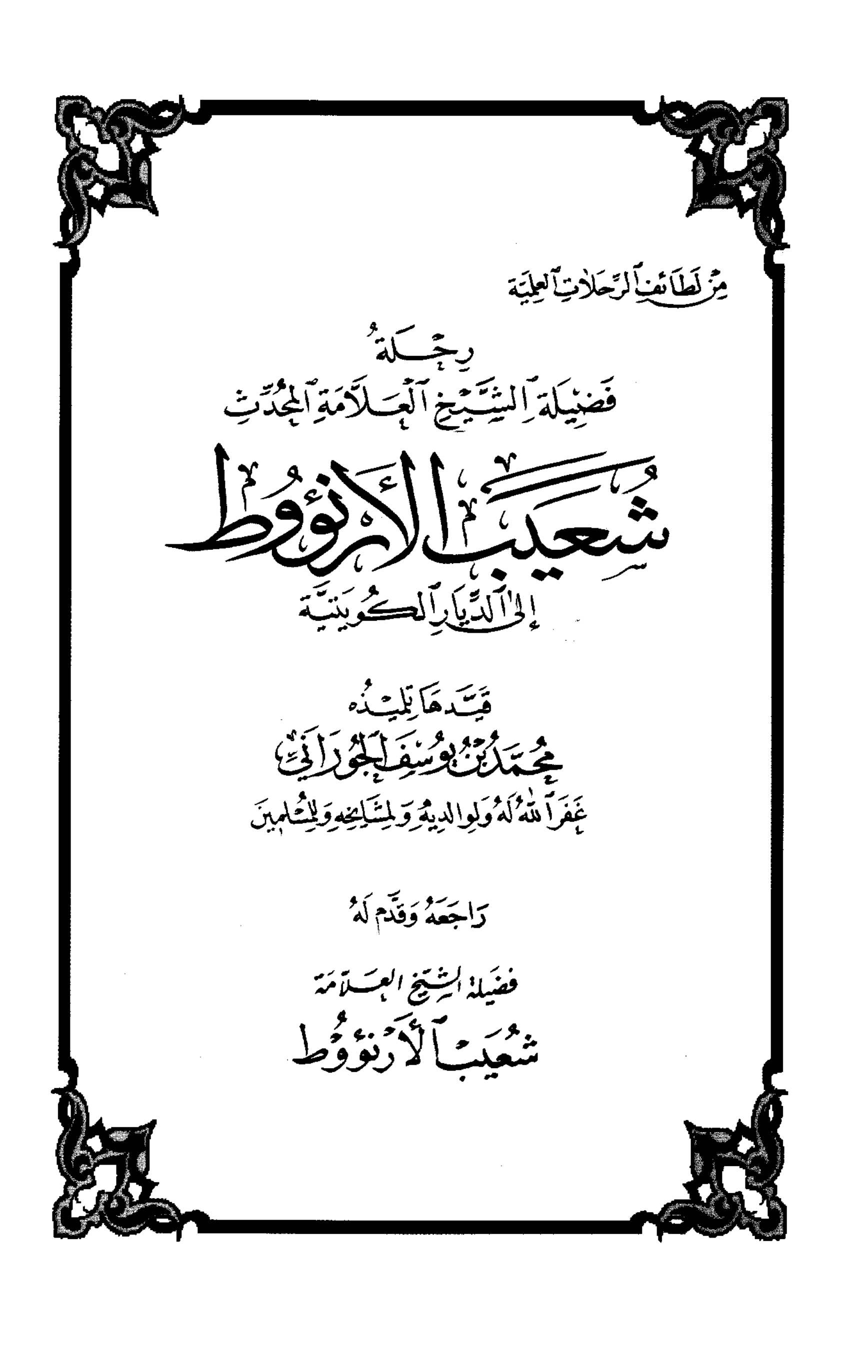


من لطائف الرحلات العلمية

رحلة

فضيلة الشيخ العلامة المحدث

شعيب الأرنؤوط

إلى الديار الكويتية

قيدها تلميذه

محمد بن يوسف الجوراني

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

راجعه وقدم له

فضيلة الشيخ العلامة

شعيب الأرنؤوط

مِنْ لَطَائِفِ الرِّحْلَاتِ العِلْمِيَّةِ

رِحْلَةُ
فَضِيلَةِ الشَّيْخِ العَلَّامَةِ المُحَدِّثِ

شُعَيْبِ الأَرْنَؤُوطِ

إِلَى الدِّيَارِ الكُوَيْتِيَّةِ

تصدير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

لمسيرتنا الحضارية منذ بدايتها رؤية ومنهج ورسالة.. ولها كذلك رجالها الذين تلقوا الأمانة بتقدير وتوقير وتحبير... فرعوها حقَّ رعايتها وتوارثوها فيما بينهم كابرًا عن كابرٍ، وارتحلوا لأداها وتوريثها الأجيال التالية فجابوا الأقطار وطافوا البلدان... فكان كلٌّ واحدٍ منهم شعلةً تضيء الطريق أمام طلبة العلم وبناة النهضة الإسلامية في كل جيلٍ ورعيل.

ويأتي هذا الكتاب الذي بين أيدينا «الرحلة الكويتية» للشيخ العلامة شعيب الأرنؤوط ضمن سلسلة كتابات متصلة في واحدٍ من أعرق مجالات التأليف وأبدعها في ثقافتنا العربية والإسلامية الأصيلة- ألا وهو أدب الرحلة.

وقد وفق الله الشيخ محمد بن يوسف الجوراني إلى تقييد رحلة الشيخ الأرناؤوط وتدوين لقاءاته ومحاوراته وانطباعاته التي كونها عبر رحلاته العلمية المتكررة إلى دولة الكويت فجاءت بين دفتي هذا الكتاب.

ويسر إدارة الثقافة الإسلامية بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت، أن تقدم هذا السِّفْرِ إلى جمهور القراء الكرام ، داعية المولى عز وجل أن ينفع به، ويجزي مؤلفه خير الجزاء. إنه سميع مجيب!.





إهداء

□ إليكم أهل العِلْم من أبناء الكويت الفُضلاء، و المشايخ النُّبلاء، أُهدِي هذا الكتاب الذي كان ثمرةً لجهودكم المباركة بما حبَاكم الله به دون غيركم من تكريم العلماء وتشريفهم، وحبكم الصادق في النَّهل من مَعِين علومهم ومعارفهم المتنوِّعة، فحفظ الله بلادكم، وسدَّد علماءكم، وزادكم من نعمائه على خير وطاعة.

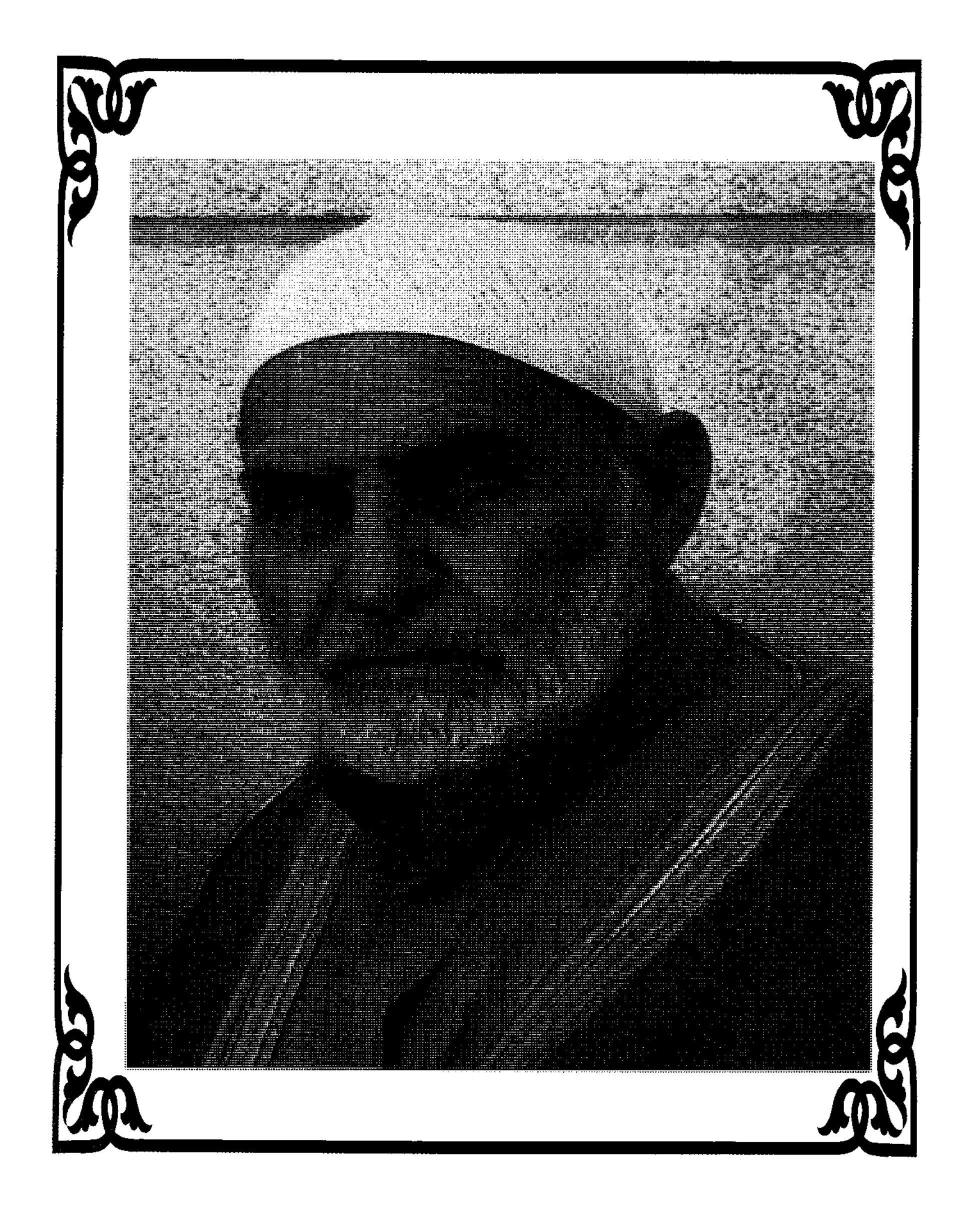
□ ثُمَّ إليك شيخي العلَّامة الفقيه المُحدِّث شعيب الأرنؤوط، فذي ثمرةٌ من غَرْسكم، وورقة وفاء لفضلكم، وعِرْفان شُكْر لكبير حقِّكم.

غفر الله تقصيري في جنابكم، وألهمني التوفيق في خدمتكم.

تلميذكم الدَّاعي لكم بالخير

محمد بن يوسف الجوراني

❑ ❑ ❑



قال ابنُ مالك رَحِمَهُ اللَّهُ :

« وإذا كانت العُلوم مِنَحاً إلهيَّةً، ومَواهبَ اختصاصيَّةً، فغيرُ مُستَبعدٍ أنْ يُدَّخرَ لبعض المُتأخِّرين ما عَسُر على المُتقدِّمين، نعوذُ باللهِ من حَسدٍ يَسُدُّ بابَ الإنصاف، ويَصدُّ عن جَميل الأوصَاف»

❑ ❑ ❑

من أقوال أهل العلم في شيخنا العلامة المُحدِّث

شُعَيب الأرنؤوط

١. «عالم مُحقِّق بحَّاثة» الشَّيخ العلامة أبو الحسن النَّدَوي رَحِمَهُ اللَّهُ

٢. «العلامة المُحقِّق المتقن» الشَّيخ العلامة عبد الفتاح أبو غدَّة رَحِمَهُ اللَّهُ

٣. «زميلي وصديقي الفاضل العالِم المُحقِّق المُدقِّق» الشَّيخ العلامة عبد القادر الأرنؤوط رَحِمَهُ اللَّهُ

٤. «الشيخ الفاضل المُحقِّق» الشَّيخ العلامة أ.د. عمر سليمان الأشقر

٥. «الأستاذ الشيخ العالِم المُحدِّث المُحقِّق» الشَّيخ العلامة الدكتور صلاح الخالدي

٦. «الأخ الحبيب الشيخ المُحدِّث» الأستاذ الدكتور محمد نعيم ياسين

٧. «شيخي الكبير علامة الدِّيار الشامية ومحدِّث العصر» الدكتور بشار عواد معروف

٨. «الأخ الأستاذ العلامة» القاضي إسماعيل بن علي الأكوع

٩. «كعبة مطاف الطَّالبين، ومنهل الواردين، محدِّث العصر ومحدِّث الفقهاء وفقيه المحدِّثين» الشِّيخ المحقِّق محمد بن ناصر العَجْمي

١٠. «شيخنا العلامة المحقق والثبت المدقِّق» الشَّيخ المحقق نظام يعقوبي العباسي

١١. «أخينا المفضال الناصح للأمَّة العلامة الثبت المُحدِّث» الدكتور محمد أديب الصالح

١٢. «الشيخ العلامة» الدكتور عامر حسن صبري

١٣. «أستاذنا الجليل فضيلة العلامة المُحقِّق الحُجَّة الشيخ» الأستاذ حسام الدِّين بن صالح الفرفور

١٤. «العالم الجليل الأديب المُحقِّق صاحب اليد الطولى على إحياء تراثنا» الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد

١٥. **«فضيلة الشيخ العلامة»** الدكتور عبد السَّتار الشيخ

١٦. **«المُحدِّث الفقيه العالم المربي الشيخ»** الأستاذ سيِّد عبد الماجد الغوري

١٧. **«العلامة الجليل الأستاذ الشيخ»** الدكتور عبد الحكيم الأنيس

١٨. **«صاحب المعالي فضيلة شيخنا العلامة»** الشَّيخ الدكتور دغش العجمي

١٩. **«فضيلة الأستاذ المحقق الشيخ »** الدكتور أحمد حسن فرحات

٢٠. **«أستاذي فضيلة الشيخ المفضال المعطاء المحتسب»** الأستاذ محمد نعيم عرقسوسي

٢١. **«شيخي الجليل، العلامة المُحدِّث»** الأستاذ إبراهيم الزيبق

٢٢. **«الأخ العزيز فضيلة الشيخ العلامة المُحقِّق المتقن»** الدكتور خلدون الأحدب

٢٣. **«أستاذي الجليل العلامة المُحدِّث الشيخ »** الدكتور محمد حسَّان الطيَّان

٢٤. **«أستاذي العلامة المُحدِّث الشيخ »** الشيخ إبراهيم العلي رحمه الله

٢٥. **«العالم المُحقِّق والصديق العزيز فضيلة الشيخ »** الدكتور أكمل الدِّين إحسان أوغلي

٢٦. **«شيخنا العلامة أستاذ المُحقِّقين، وشيخ المحدِّثين»** تلميذكم المحبُّ محمد بن يوسف الجوراني العسقلاني .[1]

❑ ❑ ❑

(١) قد استفدتُ هذه الكلمات الطيبة التي قِيْلت في شيخنا أدام الله سَعْده ومجده، من طُرر الكتب المهداة إلى شيخنا بخط مُؤلِّفيها، أو التي قالوها في مصنَّفاتهم وتقديماتهم، وقد انتخبتُ هذه الطائفة من عشرات كلمات المحبَّة والوِدَاد، وحسبي بهاته أن تكون إلماعة مباركة لبيان صلة أهل العلم الكبار ببعضهم وما فيها من شجون المحبَّة ووفاء الإخوة العلمية بينهم .

تقريظُ فَضيلة الشَّيخ العلَّامةِ
شُعيب الأرنؤوط

الحمد لله ورب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد ..

فقد قمتُ بزيارة دولة الكويت المباركة بأهلها الفضلاء، في عهد أميرها صاحب السُّمو الشَّيخ صباح الأحمد الصباح وفَّقه الله لكل خير، وحفظه وبلاده من كل سوء وفتن وسائر بلاد المسلمين، وجعلها مَوئلاً للخيرات والمسرَّات، والبُشريات الصالحات. آمين

وذلك بدعوة فاضلة كريمة من إدارة الثقافة الإسلامية بوزارة الأوقاف، في تاريخ ٢٠١٠/١٢/١٧، وذلك لإقامة مجالس علمية حديثية، وقد كنتُ بفضل الله أعقد في هذه المجالس العلمية، وألتقي بطلاب العلم وفضلائهم، وكانت مجالسنا بحمد الله عامرة بالفوائد الحديثية، والأحكام الفقهية، والمسامرات الأدبية، ولمستُ في أبناء الكويت الفضلاء، دماثة الخُلق، وحب العلم، والرَّغبة الصادقة في طلبه، وتوقير العالِم، فبارك الله فيهم، وأحسن إليهم، وحفظ بلادهم من كلِّ سُوء وفتن، وسائر بلاد المسلمين .

وقد قيَّض الله لهذه الرِّحلة المُباركة صَاحبنا الوفيَّ **الشَّيخ محمد بن يوسف الجوراني العسقلاني**، فقيَّدها في هذا الكتاب الذي بين يديك، ثم عرضها عليَّ، وقرأتُ وراجعت وإيَّاه ما قيَّد من فوائد وفرائد، ولطائف

ومُلَح، ولقاءات وغيرها مما ستراه في هذا المجموع النَّافع إن شاء الله، فجزاه الله عنِّي خير الجزاء، وإنْ كانت رغبتي أن ينصرف لما هو أهمُّ وأفضل مما أَقدمَ عليه، والله يُثيبه على جهده، وأنْ يكتب له النَّفع والمثوبة.

وقد كان من أُنس هذه الرِّحلة المُوفَّقة **أن صحِبَنا فيها الأستاذ أبو البيان محمد جمال عمرو، وصاحبي الوفيُّ الأستاذ أحمد محمد برهوم، وصاحبي الوفيُّ الشَّيخ محمد بن يوسف الجوراني مقيِّد هذه الرحلة**، وقد قاموا بخدمتي على أكمل وجه، وأحسن حال، فالله يجزيهم عنِّي خير الجزاء، ووافر العطاء.

ومن الواجب عليَّ أن أشكر إخواني في إدارة الثقافة الإسلامية بوزارة الأوقاف، ممثَّلة بسعادة وكيلها الدكتور عادل الفلاح، وأخونا الطيِّب الفاضل فلاح بن نهار العجمي فجزاهما الله خيراً على حسن الضيافة، وكريم الرعاية، فالله يجزل لهم المثوبة في الدنيا والآخرة.

ويبقى الشكر الجزيل لمن طوَّق عنقي بخيراته الحسان، وأياديه البيضاء، ومساعيه المشكورة خدمة للعلم ولأهل العلم مما يقدِّم لي من أصول خَطيَّة نفيسة حِسْبةً لله تعالى لا يبغي من ورائها درهماً ولا ديناراً، **صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن ناصر العجمي**، وصهره الابن الطيِّب راشد بن شافي الهاجري، فجزاهما الله خير الجزاء.

هذا وقد اشتمل هذا الكتاب النَّافع إن شاء الله على مجموع عِلْمي يَضُمُّ في ثناياه، جوانب عِلميَّة عديدة، وهي كالتالي:

أولاً: ترجمة لنفسي المُقصِّرة، سجَّلها صاحبنا الشَّيخ محمد، وكنتُ أودُّ أن لا يلتفت لمثل هذا، وأن يعتني بما هو أهم من ذلك من العلم والمعرفة، ولكن نزولاً عند رغبته وإلحاحه الشديد وافقته، وأرجو الله أن يكون فيها منفعة للقارئ الكريم.

وثانياً : الرحلة الكويتية، وقد ساقها بأسلوب أدبيٍّ مَقاميٍّ جميل لطيف.

وثالثاً : وهو صيدٌ لبعض الفوائد والنكت على «نخبة الفكر» قيَّدها من المجالس العِلْميَّة التي عقدناها في شرح متن «نخبة الفكر» للحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو يَعدُّ الآن شرحنا المُوسَّع المُفصَّل لـ «النُّخبة» المُدلَّل بالأمثلة التَّطبيقيَّة والعملية، فأسأل الله له التَّوفيق والسداد .

ورابعاً : وهو تَقييدٌ لشرح أبوابٍ من كتاب العِلْم من «الجامع الصحيح» للإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد كنتُ تدارسته مع الأخوات الفاضلات في مركز **السَّعد لخدمة الحديث النبوي الشريف**، وذلك بصحبة صاحبنا الفاضل **الشيخ محمد بن ناصر العجمي**، وقد قرأه عليَّ وقمتُ بالتعليق عليه لهنَّ.

وخامساً : تعليقاتي على الأحاديث الثلاثية في «الجامع الصحيح» للإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد جمعها تلميذنا الشيخ محمد الجوراني إبَّان قراءته عليَّ من «الجامع الصحيح» فقيَّد هذه الفوائد، واعتنى بها، واللهَ أسأل أن يجزيه خير الجزاء، وأن يجد فيها القارئ النَّفع والفائدة.

وسادساً : لقاءات أُجريت معي في أوقات عِدَّة، وأزمنة بعيدة، وبعضها منذ عهد قريب ومن دول شَتَّى، فرغب الشيخ محمد أن يجمعها في سلك واحد، للحفظ والنَّفع، وقد راجعتُ ما كُتبَ في تلك اللِّقاءات، فصحَّحتُ وصوَّبت كثيراً من الأخطاء والزيادات التي وقعت، والحمد لله، ومن هنا كانت الحاجة إلى إعادة نشرها في مكان واحد مصحَّحة منقَّحة .

وسابعاً : وقد أفرده صاحبنا الطيِّب الوفيُّ مُقيِّد الرِّحلة كما وَسَمَه بكنوز الرِّحلة، ومن الخير الكبير الذي قد وقع فيها، وقد أحسن في ذِكْر وبيان ذلك، فلا يَعرف الفَضْلَ لأهل الفضل إلَّا أُولو الفَضْل، وهذا من باب ذكر النِّعم العِلْميَّة التي حصلت لنا في هذه الرِّحلة المباركة.

أخيراً .. فهذه أغصانٌ علمية متنوِّعة، وأفانينُ زاهيةٌ، ودَوْحة غنَّاء، أرجو من الله أن يجد القارئ فيها خيراً كثيراً، وعلماً نافعاً، وأن ينفع بجهد صاحبي الطيِّب المنقطع للعِلْم والبحث الشيخ محمد بن يوسف الجوراني، وأن يشكر سَعيه في ذلك، وأن يكتب أجره .

فبارك الله في كلِّ هذه الجهود، ونفع بها كل مسلم ومسلمة، واللهَ أسأل لإخواننا في الكويت، التَّوفيق والسداد، والحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله وسلم على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أملى هذه المقدمة على صاحبنا أبي العالية الجوراني الشيخ [illegible]

[illegible]

❑ ❑ ❑

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدِّمة :

الحمدُ للهِ أهل الحمد ووَلِيِّه، والهادي إليه، والمُثيب به، أحمدُه بأرْضَى الحمد له وأزكاه لديه، على تظاهر آلائه، وجميل بلائه، حمداً يُكافي نِعَمه، ويُوافي مِنَنه، ويُوجب مَزيده، وأسأله أن يُشغلنا بذِكْره، ويُلْهِجنا بشُكْره، ويَنفعنا بحبِّ القرآن واتِّباع الرَّسول، وحُسن القَبول لما أردناه، ويَصرفنا عن سُبل الجائرين، إلى سَواء السَّبيل، ويُنوِّر بالعِلْم قلوبنا، ويفتح بالحِكْمة أسماعنا، ويَستعمل بالطاعة أبداننا، ويجعلنا ممن صَمَت لِيَسلم، وقالَ لِيَغْنم، وكتب لِيَعلم، وعَلِم ليعمل.

ونعوذ بالله من حَيْرة الجهل، وفِتْنة العِلْم، وإفراط التَّعمُّق، وأنْ يَشغلنا التكاثر بالعِلْم عن التَّفقُّه فيه، ويقطعنا ما وضعه الله عنَّا عمَّا كَلفنا فيه، وأن يَسلك بنا إليه في غير طريقه، ويُقحِمنا فيه من غير بابه[(١)].

أمَّا بعدُ :

فإنَّ من أجلِّ القُرَب والطَّاعات التي ينبغي للمُسلِم السَّعي فيها، والمسارعة إليها، والازْدِياد منها؛ الاشتغالَ بعلوم الشَّريعة الغرَّاء، مع حُسْن النِّيَّة، سائراً في ذلك على مِنْهاج النُّبوَّة المُحمديَّة، ومُقتفياً آثار السَّلف العَليَّة .

وقد قال الحقُّ جلَّ في عُلاه : ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه : ١١٤]

قال ابنُ قيِّمِ الجوزيَّة رَحِمَهُ اللَّهُ : كفَى بهذا شَرَفاً للعِلْم أنْ أمرَ نبيَّه أنْ يسألَهُ المزيدَ منه[(٢)] .

---

(١) هذه الكلمات النُّورانية من مقدِّمة ابن قتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ لكتابه «غريب الحديث» (١/ ١٤٧)

(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٢٢٣) .

وقال الحافظُ ابنُ حجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : واضح الدَّلالة في فضل العِلْم؛ لأنَّ الله تعالىٰ لم يأمر نبيَّه ﷺ بطلب الازْدِياد مِن شيء إلَّا من العِلْم، والمراد بالعِلْم؛ العِلْمُ الشَّرعي الَّذِي يُفيد معرفة ما يجبُ على المُكلَّف مِن أمر عباداته ومُعاملاته، والعِلْم بالله وصفاته، وما يجبُ له من القيام بأمْرِه، وتَنْزِيهه عن النَّقائص، ومَدارُ ذلك على التَّفسير، والحديث، والفِقْه[1].اهـ

فيا هَناءَ من رَزَقه الله تعالى العِلْم الشَّرعي وحبَّبه إليه، فيا لها من فَضِيلة وأيُّ فضيلة، تاللهِ «لو لَمْ يكُن في العِلْم إلَّا القُرْبُ مِن ربِّ العَالَمين، والالتِحَاقُ بِعالَم الملائكة، وصُحْبة المَلإ الأعلى؛ لَكَفَى به فَضْلاً وشَرَفاً؛ فكيف وعِزُّ الدُّنيا والآخرة مَنُوطٌ به، ومَشْرُوطٌ بحُصُولِه»[2].

فَلوْ قَدْ ذُقتَ مِنْ حَلْواهُ طَعْماً ... لَآثَرْتَ التَّعَلُّمَ وَاجتَهَدْتَا
وَلَمْ يَشغَلْكَ عَنهُ هَوىً مُطاعٌ ... وَلا دُنْيَا بِزُخرُفِها فُتِنْتَا
وَلا أَلْهاكَ عَنهُ أَنيقُ رَوْضٍ ... وَلا دُنْيَا بِزِيْنَتِهَا كَلِفْتَا
فَقُوتُ الرُّوح أَرواحُ المعَانِي ... وَلَيسَ بِأَنْ طَعِمْتَ وَلا شَرِبْتَا
فواظِبْهُ وَخُذْ بِالجِدِّ فيهِ ... فَإِنْ أَعطاكَهُ اللهُ انْتَفَعْتَا[3]

ويقولَ النَّضرُ بنُ شُمَيلٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَن أَرادَ أن يَشرُفَ في الدُّنيا والآخرة؛ فَلْيَتَعلَّم العِلْم، وكفى بالمرْءِ سَعادةً؛ أن يُوثَق به في دين الله، ويكون بين الله وبين عباده[4].

فأيُّ منزلةٍ أعظمُ من هذه؟ وأيُّ شَرفٍ أعلى من أن يكون المرءُ في صُفوف

---

(١) «فتح الباري» (١/ ١٨٧).
(٢) «مفتاح دار السعادة» (١ / ٣٥٣).
(٣) من قصيدة أبي إسحاق الإلبيري رَحِمَهُ ٱللَّهُ
وانظرها مُصحَّحة مُنقَّحة في «الجامع للمتون العلمية» للشمراني (٦٢٩).
(٤) المصدر السابق (١ / ٥٠٤).

العلماء العَامِلين ؟

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]

فإنَّ الله تبارك وتعالى قد مَنَّ علينا معاشر المؤمنين بهذا النبيِّ الكريم، وبهذه الرِّسالة الخاتمة، فأنزل على نبيِّنا ﷺ الكتاب، وتكفَّل ربُّنا بحفظه، ثُمَّ أَوْكَلَ بيان كتابه إلى رسوله وأَمِينه في أرضه ﷺ، فبيَّنه خير بيانٍ على التَّمام، وقد قال ربُّنا جلَّ في عليائه : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل : ٨٩]، فما غادر كَلِمَه إلَّا وقد أبانَه، ثُمَّ زاد البيان بياناً بأفعاله وأقواله، حتَّى قالت الصِّدِّيقةُ بنت الصِّدِّيق : كَانَ خُلُقُه القُرْآنَ[١].

وقال ابنُ مَسعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إنَّ اللهَ نَظَرَ في قُلُوبِ العِبادِ، فَوجدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خيرَ قُلُوبِ العِبَادِ، فَاصْطفَاهُ لِنفْسِهِ، فَابْتعَثهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ في قُلُوبِ العِبَادِ بعدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوجدَ قُلُوبَ أَصْحَابِه خَيرَ قُلُوبِ العِبَادِ، فَجَعَلَهُم وُزرَاءَ نَبِيِّه، يُقَاتِلُونَ على دِيْنِهِ، فما رَأَى المُسلِمُونَ حَسَناً، فَهُو عِندَ اللهِ حَسَنٌ، ومَا رَأَوْا سَيِّئاً فَهُو عِندَ اللهِ سَيِّئٌ[٢].

فمِنْ سَعادةِ المرء في دُنياه وأُخراه أنْ يدخُل تحت لواء نَبِيِّه ﷺ، وأن يكون سَاعياً وخادماً لما جاء به مِن الوحي الشَّريف، والدِّين الحنيف، كما كان الرَّعيل الأوَّل رضي الله عنهم، فقد حفظوا الدِّين وبلَّغوه، وأقاموا شرع الله ونصروه، حتى استوى على سُوقه، وطافت راية الإسلام خفَّاقة في أرجاء المعمورة.

---

(١) «جامع البيان» لابن جرير الطبري (٢٣/ ١٥٠)

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٣٦٠٠) وإسناده حسن .

ثُمَّ لا تَتِمُّ هذه السَّعادة إِلَّا بالاشتغال بالعلم؛ لأنَّه «أفضلُ القُرَب، وأجلُّ الطاعات، وأهمُّ أنواع الخير وآكد العبادات، وأوْلَى ما أُنفِقت فيه نفائس الأوقات، وشَمَّر في إدراكه والتمكُّن فيه أصحاب الأنفس الزَّكِيَّات، وبادر إلى الاهتمام به المسارعون إلى الخيرات، وسابق إلى التَّحلِّي به مُستبقو المَكْرُمات، وقد تظاهرت على ما ذكرته جُمَلٌ من الآيات الكريمات، والأحاديث الصَّحيحة المشهورات، وأقاويل السَّلف ﷺ النَّيِّرات»[١].

هذا، وإنَّ من أشرف العُلوم ـ بعد علوم القرآن وتفسيره ـ عِلْمُ حديث رسول الله ﷺ روايةً ودرايةً، «فإنَّ علم الحديث رفيعُ القدر، عظيم الفَخْر، شريف الذِّكْر، لايعتني به إلَّا كلُّ حَبْر، ولا يُحرَمُه إلا كلُّ غَمْر، ولا تَفْنى محاسِنُه على ممرِّ الدَّهْر»[٢]

وقد قيَّض اللهُ سبحانه لهذا العِلْم عُلماءَ كباراً، نصبهم لحفظ سُنَّة نبيِّه ﷺ، فصنعهم على عَيْنه، وأمدَّ بعَوْنه، ورزقهم من سَعَة العِلْم، وحُسْن الفَهْم، وكثرة الحفظ، ما بزُّوا به أقرانهم، فحصَّنوا ميادين السُّنة من كلِّ مُفسدٍ وعابث، ودَحرُوا كلَّ مُعْرِض ومُبغِض لائث، فكان ذلك كفيلاً لهم لأَنْ يحفظوا هذه السُّنن المَرويَّة، ويُبلِّغونها للبَرِيَّة، فاتَّخذ ربُّنا جلَّ في عليائه « للسُّنَّةِ رِجَالاً رحلُوا في طلبها إلى البلاد الشَّاسِعة، وجمعُوها من الأماكن القاصِية على اختلاف وُجُوهها، وتشعُّب طُرُقها، وتغاير ألفاظها، فهذَّبوا إسنادها الذي أكرم اللهُ به هذه الأمَّة، وحرَّروا أحوال رجالها، وبيَّنوا الثِّقة مِنَ الصَّدُوق، والعَدْل من المستُور، والمَشهُور من المجهول، والقَويَّ من اللَّيِّن، والضَّعيف من الواهي،

(١) «شرح مسلم» للإمام النووي (١/ ٣).

(٢) «تدريب الراوي» للإمام السيوطي(١/ ٣٨).

والمترُوك من الكذَّاب، حتَّى عُرف صِحيح السُّنن من سَقِيمها، ومُسندُها ومُرْسلها، ومَرفُوعها من مَوقُوفها، ومَوصُولها من مَقطُوعها، ومُعلَّلُها من سَليمها، ومَقلوبها من قَويمها، ومتواترها من أفرادها وشاذِّها، ومَشهُورها من غريبها، وناسخها مِن منسوخِها، ومُبيِّنها من مُجملها، ودوَّنوها للطَّالِبين، ونَفوْا عنها تحريف الغَالين، وانتحال المُبطلين، وشُبَه المُبتدِعين، فأهلُها هم خُلفاء رسول الله ﷺ الذي دعا لهم بالرَّحمة والنُّضرة»[1].

وإنَّ مِن ذَيْنك العلماء الكبار، والمُحدِّثين بالسُّنن والأخبار، العالِمين بفقه الآثار، ممَّن خلقهم الله سبحانه لهذا الأمر، وهيَّأهم للعِلْم مع الصبر، العالِم الجليل، والمحدِّث الأصيل، والفقيه النَّبيل، شَيخ المحدِّثين، وأستاذ المُحقِّقين: شيخنا العلَّامة شُعيب الأرنؤوط حفظه الله تعالى لخدمة الإسلام والمسلمين، ومتَّعنا بعلمه وفضله في كل حين .

فإني أضعُ بين يَدْيك محطاتٍ مُضيئةً من حياة عَلَم من أولئك الأعلام الكبار، ومحدِّث من مُحدِّثي هذه الأمَّة المباركة، وفَقيهٍ وأصوليٍّ فذٍّ من أساطين الفُقهاء والمجتهدين، وعالِم لغوي نحرير، ومُحقِّق مُتقن كبير، فجملة هاته المَحطَّات قبسات خَير ورُشْد من حياة جهبذ مُربٍّ .

إنَّه «عالِمٌ حلَّ كَنفَ العِلْم والعُلاء، وجلَّ قدرُه في الجِلَّة الفُضلاء، قطع الليالي سَاهراً، وقطف من العِلْم أَزاهِراً، فأثْمَر وأوْرَق، وغرَّب وشرَّق، حتى توغَّل في فنون العِلْم واستغرق، فلا عليك أن ترى أحسن مِنْ لقائه، ولا أسهل من إلقائه، لقيَ الشُّيوخَ الأكابر، وبقي حمدُه مُتعرَّفاً من بطون

---

(١) انظر : «افتتاح القاري لصحيح البخاري» (٣٢٢) بتصرف يسير، ضمن «مجموع رسائل ابن ناصر الدين الدمشقي».

الكتب وألسنة الأقلام وأفواه المَحابر »[١] اهـ

هذه المَحطَّات والقَبَسات والفوائد النَّيِّرات ما سقتها إلَّا لتكون مِفتاحاً نافعاً إنْ شاء اللهُ للعِلْم ولأهله، نقف فيه على عَلَمٍ مِن أعلام هذه الأمَّة المِعْطَاءة، عَالِمٍ ادَّخرَ وقته وحَياته للعِلْم ولخدْمَة أهل العِلْم، فَبارَك اللهُ بجُهودِه، وهيَّأ له أسبابَ التقدُّم والتَّميُّز والنَّجاح، فأخرجَ بتوفيق اللهِ له، ثُمَّ سَعة عِلْمه، وعُلوِّ كَعْبِه، ومُنتَهى خِبْرتِه كُنوزاً مِن مُصنَّفات عُلوم الشَّريعة الغرَّاء، قد نَاءت بإخراجها العُصبة أُولِي القُوَّة من أهل العِلْم، وما سِرُّ ذلك إلَّا أنَّ هذا العَالِم المبارَك قد صدَق اللهَ فصدَقَه، سأَلَ ربَّه الإعانة، فكَان المولى له خَيرَ مُعِين[٢]، فأخرج المُصنَّفات العَوالي، والتَّحقِيقات الغَوالي، وحلَّاها بأَطايِب التَّعلِيقات، ونَفائس القَالات، ثُمَّ زيَّنها بعَزِيز النُّكات؛ فغَدتْ شامةً في جَبِين العِلْم، يَعرف لذَّةَ حَلاوتِها مَنْ كان بالعِلْم خَبِيراً، وبشَغفِ العَزيز النَّفِيس من كان بَصِيراً.

تاللهِ لقَدْ أصبَح هَذا العَالِمُ الجليل، ومَنبعُ الخير النَّبيل، ورَائدُ التَّحقيق الأصِيل رَمْزاً يُشار له بالبَنان في مَيادِين العِلْم المتنوِّعة، يَعرفُ عِلْمَه وفَضلَه وعُلوَّ كَعْبِه في فُنون العِلْم القاصِي والدَّاني، العالِمُ والمُتعلِّم، فلا تَعْجب حِين تَرى العُلماءَ تَجلِس بين يَديْهِ، مِن مُفسِّرين، ومُحدِّثين، وفُقهاء، وأُدباء، ونُحاة، ومَربِّين، بَلْهَ طُلَّاب العِلْم النَّاهِلين مِنْ مَعِين عِلْمه، وكبير خَبَره، فحُقَّ لهذا الشَّيخ أنْ يكُون إمَاماً، يَصدُق فيه بِصدْقٍ وحَقٍّ قولُ القائل:

---

(١) «رحلة أبي الحسن القلصادي» (١٠١)

(٢) لـمَّا ذُكِر للإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ الصِّدق والإخلاص، قال: بهذا ارتفع القوم. انظر: «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى (١/ ١٤٧).

مِن النَّاس مَن يُدْعى الإمام حَقيقةً ... ويُدعَى كثيرٌ بالإمام مَجازًا
ولكن متى يَخفى الصَّباحُ إذا بدَى ... وحَلَّ عن اللَّيل البَهيم طِرازًا

فهَذا العَالِمُ الذي لو كَتبتُ فيه مِن الصَّفحات عَشرات، بل وَمِئات لا أُوْفِيه حَقَّه، ولا بَعضَ حَقِّه، وحَسْبي أنْ أكُون في ذَا المَهْيَع الذي سَلكتُه ممن يُحيي مَجداً، ويَرسُم قدوةً، ويُهيِّئ دَرْباً للمَعالي.

فخَلِيقٌ بمَنْ هذه مَكانتُه، وَتِيْك أحوالُه، وتِلْك مَفاخِرُه، وذَيْنك مَحامدُه، أنْ يُقيَّد خَبرُه، ويُنشر ذِكرُه، رَاجياً أنْ يكُون بما قيَّدتُ نِبرَاساً للاهتِدَاء، وعَلَماً للاقتِدَاء .

هذا الكتاب :

استئذِنُك أَيُّها القَارئ الكَريم؛ كي أعرِضَ بين يَديْكَ خبرَ هذا الكِتاب ومُحتواه، فقد جاء مَجمُوعاً مُفيداً - إن شاء الله - حاولْتُ بجهْدِي الضَّعيف أنْ أُقدِّم لك فيه عَزيز الفَوائد، ولَطِيف الفَرائد، ونَفِيس الموارِد، فنظمتُه لك - جَهدي - في عِقْدٍ منظوم، وحلَّيتُه بحَدِّ أهل الرُّسوم؛ لِتقرِيب الخَبَر، ونفع البَشر، فخُذْه عُقوداً بعد سَطَر :

الأوَّل: محطَّات مُضيئة مِن حَياة شيخِنا شُعيب الأرنَؤُوط حفظه الله .

الثَّاني : رحلة الشَّيخ العِلْميَّة إلى الدِّيار الكُويتيَّة.

الثَّالث: النُّكتُ الغُرَر على «نُخبةِ الفِكَر» .

الرَّابع : التَّعليقات العلمية على أبوابٍ من كِتَابِ العِلْم من «صحيح البخاري»

الخامس : تَعلِيقاتُ الشَّيخ على ثُلاثيَّات الإمام البُخاري رَحِمَهُ اللهُ.

السَّادس: لِقاءاتٌ عِلْميَّة بالشَّيخ حفظه الله .

السَّابع : كُنوزُ الرِّحلةِ العِلْميَّة إلى الدِّيار الكُويتيَّة .

وأخيراً ..

فَمِن بَابِ قَولِ المُصطَفى ﷺ: « لا يشكرُ اللهَ من لا يَشكر النَّاسَ »(١)

فالشُّكر لشَيْخِي العلاَّمة المُحدِّث الفَقِيه شُعَيب الأرنؤوط الَّذِي مَنحني ثِقَته في تَقيِيد هَذا السِّفْر الذي بَين يَديْكَ، وتفضَّل عليَّ فمنحني من وقته في القِراءة عليه والاستِفَادة مِن عِلْمه وفَضْله وخِبَرته ما الله به عليم، ثُمَّ أكرمني وشرَّفني بشهادة أعتزُّ بها فقال بعد أنْ أملى عليَّ تقريظه لهذه «الرِّحلة الكويتية» : إنْ جئتَ في التَّلمذة مُتأخِّراً، فإنك قد صِرْتَ أوَّلاً(٢).

وإنَّني على عِلْم ويقين بأنَّ الشَّيخ حفظه الله لا يُحبُّ أنْ أذكر مِن مناقبه ومآثره والمواقف النَّافعة في حياته العِلْمية المباركة شيئاً، وحينها فما كان من بُدٍّ إلا أنْ أجعل هذا الأمر واقعاً بين يديه، لعلمي التَّام بعدم قَبول الحديث عنه، أو عن أعماله وإنجازاته المباركة، ولطالما كان يقول لي حفظه الله ونفعنا به : **لِمَ تُتعب نفسك بي، انظر كتاباً أو مخطوطاً واشتغل به خيراً مما تكتب عنِّي** .

حتَّى أَلْحَحتُ عليه كثيراً، وطفقتُ أعرض كبير النَّفع في تقييد الفوائد من سيرته وخبر عِلْمه وعزيز فوائده، والاستفادة الكبرى لطلبة العلم، بعد ذلك كلِّه؛ نزل عند رغبتي جزاه الله خيراً على مَضض، وكنتُ كلَّما طَرقتُ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨١١)، والترمذي (١٩٥٤) وأحمد في «المسند» (٧٩٣٩) وإسناده صحيح .

(٢) وليتني سلمتُ من حقد الحسدة في هذه، فمن غرائب قلوب هؤلاء أن يحسدونا في الكتابة عن شيخنا، حتى قال أحدهم : نحن أحق بهذا منك ؟! فليت شعري أينهم من عشرات السنين ؟
ومن الغرائب ـ والغرائب جمَّة ـ أن نُحسد أيضاً بصلتنا الحميمة مع شيخنا، وسفرنا وترحالنا سوياً ! وقراءتنا عليه وتقديمنا؛ فنقموا علينا في ذلك ؛ فأطلقوها: «وصوليَّة !!» .
وأعوذ بالله من أمراض القلوب والنفوس الرَّديَّة.

له باباً عن فضلها ومكانتها، وما منحه الله من التَّوفيق والقَبول والنَّفع، أسمعه يُردِّد دَوْماً : «**هذه من فضل الله عليَّ أن أعانني وهيَّأ لي ذلك، وأسأل الله أن يتقبَّلها منِّي وممن يعمل معي، وأن يبارك لنا فيها، وأن يجعلها ذُخراً عنده، وأن ينفع بها الإسلام والمسلمين**».

وهذا والله من شَأن أهل العِلْم الكبار، وأصحاب النُّفوس العَلِيَّة.

ثُمَّ الشُّكر أيضاً للشَّيخ المِفضَال البَّحاثة المُحقِّق المُتفَنِّن **مُحمَّد بن ناصر العَجْمي** الَّذِي كان يعيش مع هذا الكتاب أوَّل بأول، ويحثُّني على عدم التَّواني فيه، وسرعة إنجازه، بل كان يمدُّني بكلِّ عِلْم وفائدة، فجزاه اللهُ خيرَ الجزاء، وشكر أياديه البيضاء.

والشُّكرُ مَوصولٌ لإدارة الثقافة الإسلاميَّة في وزارة الأوقاف الكويتية؛ وعلى رأسهم الأُستاذُ الفاضِل **فَلاح بنُ نَهار العَجْمي** لتبنِّيهم طباعة هذا الكتاب النَّافع، وسَعْيهم في طباعة ما يَفيد أهل العِلْم من المُصنَّفات النَّافعة المباركة، فشَكَر اللهُ سعيَهم وبارك في جُهودهم، وجعلها ذُخراً لأمَّة الإسلام أجمع .

فهذا غاية جَهْدِي أضعُه بين يَديْ طلبة العِلْم، لم آلُ جُهداً في تَصحِيحه والعِنَاية به وخِدْمَته الَّتِي تَليق به، فإنْ وُفِّقت فالحمدُ للهِ الَّذِي بنعمته تتمُّ الصَّالحات، وإنْ أخطأتُ فمن نفسي وقِلَّة بضاعَتي، ولا حول ولا قوة إلَّا باللهِ العظيم .

واعلم أيها القارئ الكريم : أنَّ « نتائجَ الأفكَار على اختِلاف القَرائح لا تَتنَاهى، وإنَّما يُنفق كلُّ أحدٍ على قَدْر سَعتِه، لا يُكلِّفُ اللهُ نفساً إلَّا ما آتاها،

ورَحِم اللهُ مَن وقف فيه على سَهْوٍ أو خطأ؛ فأصلَحَه عاذِراً لا عَاذلاً، ومُنِيلاً لا نائلاً؛ فليسَ المُبرَّأُ مِن الخطَل إلَّا مَن وَقَى اللهُ وعصَم.

وقد قيل : الكِتابُ كالمُكلَّف؛ لا يَسْلَم مِن المُؤاخَذة ولا يَرتفع عنه القَلمُ، واللهُ تعالى يُقرِنه بالتَّوفيق، ويُرشد فيه إلىٰ أوضَح طَريق، وما تَوفيقي إلَّا باللهِ، عليه توكَّلتُ وإليه أُنيب »[١] .

فإنْ وجدتَ في ذا الجمع ما يستحقُّ القراءة فالحمد لله، وإلَّا فاستَغفِرْ لأخيك، واعتَنِ بوقْتِك، وانصرف لما هُو أثمن منه، غيرَ أني أَلْتمِس منك أنْ لا تُغادِر الكتابَ إلَّا وقد دلَلْتني على عَثرتي وتَقصِيري؛ فالحرُّ من راعى وِداد لحظة.

وما خَطَّ كفُّ امرئٍ شيئاً وَراجعَهُ ... إلَّا وعَنَّ لَهُ تَبْدِيلُ مَا فِيْهِ

وقَالَ ذَاكَ كَذَا أَوْلَى وَذَا كَذَا ... وإنْ يَكُنْ هَكَذَا تَسْمُوُ مَعَانِيهِ

وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصَحْبه أجمعين

كاتبه

محمد بن يوسف الجوراني

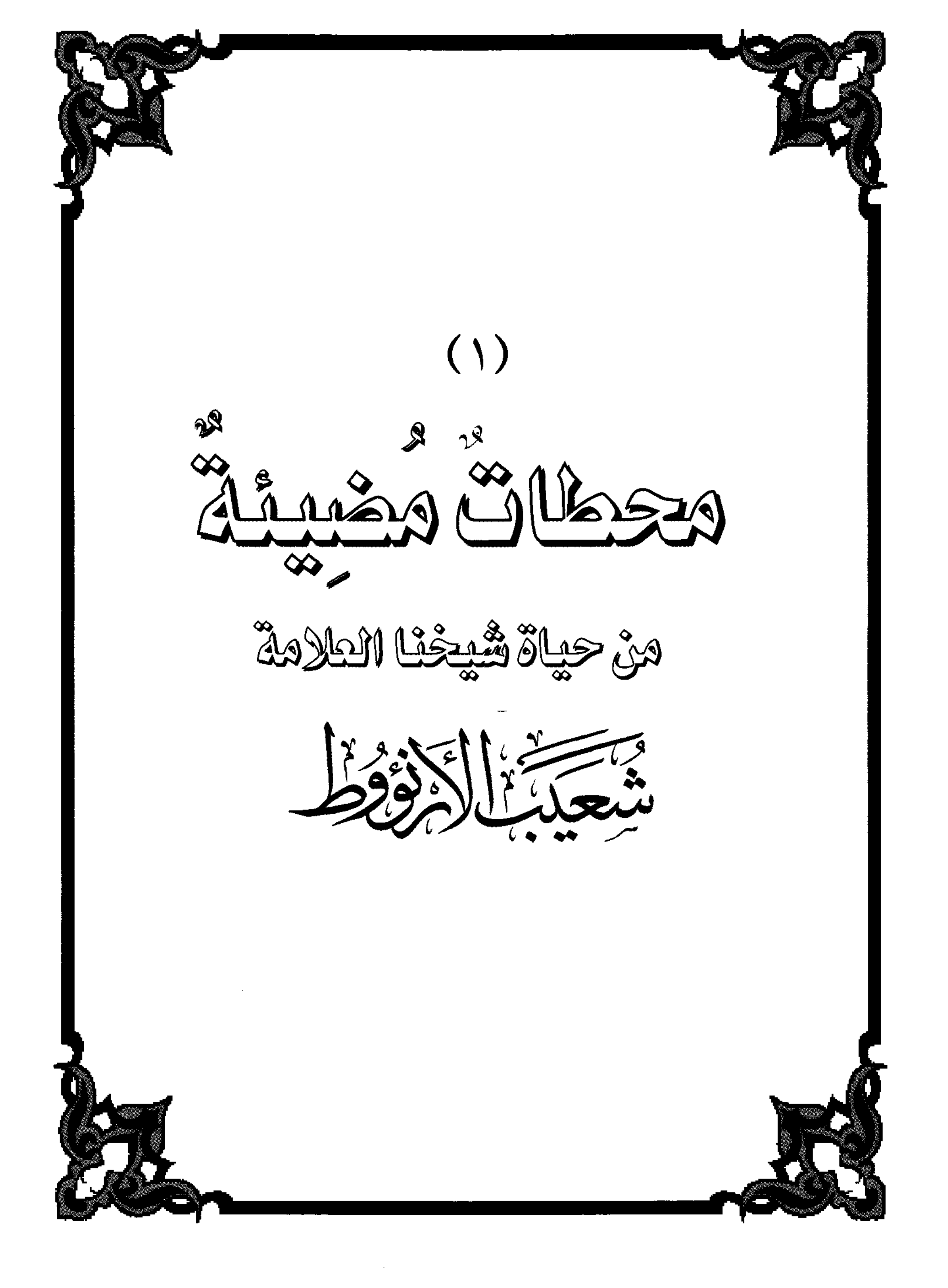
غَفَر اللهُ لَهُ ولأهْلِه ولِمشَايخه وللمسلِمين

M_aljorany@hotmail.com

❑ ❑ ❑

---

(١) «صبح الأعشى» للقلقشندي (١/ ٣٦) .



(١)

مَحطاتٌ مُضِيئةٌ

من حياة شيخنا العلامة

شُعيب الأرنؤوط

العِنايةُ بسِيَرِ أهلِ العِلْمِ الكِبَار

تمهيد :

فهذا مَدخلٌ شريف، وتمهيد لَطِيف، لجانب من عِناية أهل العِلْم والفضل بسِيَر العُلماء والفُضلاء والنُّبلاء، أُعرِّج من خلاله لجميل المقالات، ورَوائع الكَلِمات التي دبَّجتها يَراعُ أولئك الحُذَّاق المُصنِّفون في تراجم وأخبار العُلماء والفُضلاء مِن الرِّجال والنِّساء، مِمَّن كانت لهم آيادٍ بيضَاء في خِدْمة الشَّريعة، ونُصرة الإسلام، ورفع رَاية الدِّين في أرجاء المعمُورة .

أسوقُها لك مُدلَّلة مُعطَّرة، تَتبختر عَالي أوصَافِها، وجميلُ شِيَمِها في سُطورها، وكأنَّي بها تقُول لي و لَكَ : هكَذا كان القَومُ، وبتِلْك الحياة عَاشُوا وكانوا، وأنتَ أينك ؟

وما مَثَلي في هذا المقام إلَّا كمثل الحافظ بن خَلِّكان[١] حين قال:

---

(١) لطيفة في ضبط : «خَلِّكان» :

حدَّثني شيخنا أبو أسامة عن أصلها فقال: كان ابن خَلِّكان، حين تمرُّ منقبة أو مكرمة يقول : كان أبي، كان جدي، كان .. وكان .. وكذا، فقيل له : خَلِّ كان، ولأجل هذا سُمِّيَ بذلك .

وقد أطلتُ البحث عن أصل هذه الفائدة للتوثيق، حتى وجدتُ العيدروس في «النور السافر عن أخبار القرن العاشر» في ترجمة قطب الدين الحنفي النهروالي (٥٠٥) يقول : من إفادات الشيخ قطب الدين رحمه الله تعالى أن لفظ «ابن خلكان» ضُبط على صورة الفِعْلين : خلِّ أمراً من «خَلَّى»، أي : تَرَك، فعلٌ ماضٍ، و«كان» النَّاقصة.

وسبب تسميته بذلك : أنه كان يُكثر أن يقول كان والدي كذا، وكان جدِّي كذا، فإنه من البَرامكة، فقيل له خَلِّ كانَ.

قال: ورأيتُ من ضبَطه بسكون اللام والباقي على حاله، والله أعلم .اهـ

«لكن ذكرتُ جماعةً من الأفاضل الذين شاهدتُهم ونقلتُ عنهم، أو كانوا في زمني ولم أرهم؛ ليطَّلع على حالهم مَن يأتي بعدَهم»

ويقول أحدُ المؤرِّخين :

«إنَّ أحسن ما يجب أن يُعتنى به، ويُلَمَّ بجانبه بعد الكتاب والسُّنة، معرفةُ الأخبار وتقييدُ المناقب والآثار، ففيهما تَذْكِرة وتقلُّب الدَّهر بأبنائه، وتَنبيهُ أهل العلم الذي يجب أنْ تُتَّبعَ أثارُهم، وتُدوَّن مناقبُهم وأخبارُهم، فيجِدُّ الطالبُ ليلحقَ بهم»[1] .

ويقول آخر :

«إنَّ في ذِكْر تراجم العُلماء وأحوالهم، ومناقبهم ومَراتبهم فوائدُ نَفيسةٌ، ومُهِمّاتٌ جليلةٌ»

وإنه حين تُقيَّد بعض الجوانب من حياة المشايخ و العُلماء، ما ذاك « إلَّا ليُقتدى بهم، ويُنسج على منوالهم، نسيج العُلماء الفُقهاء، مُذكِّراً بمآثرهم وفَضْلهم، ومُبيِّناً لمعالِم القدوة في مَسْلَكِهم؛ ليكونوا مَنارات هُدى، ومَصابيحَ دُجى؛ لما في سِيرهم من آداب وعُلوم، وفوائد وأَوَابد لا تجدها في الموسُوعات ولا في المطوَّلات، ولما في مواقفهم من آثارٍ خَالِدات، تُحيى القُلوب وتَشْحذ الهِمَم »[2].

وقال مالك بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ : الحكاياتُ تُحَفُ الجنَّة.

وقال الجنيد رَحِمَهُ اللَّهُ : الحكايات جندٌ من جنود الله عَزَّ وَجَلَّ، يقوِّي به إيمان المريدين، فقيل له : هل هذا من شاهدٍ ؟ قال : قوله تعالى : ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ

(١) «موسوعة أعلام القرن الرابع عشر والخامس عشر» للحازمي (١ / ٣)

(٢) «الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية» للشريف (٧) .

مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ (هود: ١٢٠)

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: واعلم أَن في ذِكْر السِّير والتواريخ فوائد كثيرة، أهمها فائدتان:

أحدهما: أنه إن ذكرتُ سيرة حازم، ووصفتُ عاقبة حاله، علمتَ حُسن التدبير واستعمال الحزم، وإنْ ذكرتُ سيرته؛ مُفرِّط، ووصفتُ عاقبته؛ خَويْتَ من التفريط؛ فيتأدَّب المُسلط، ويعتبر المُتذكِّر، ويتضمَّن ذلك شحذ صَوارم العقول، ويكون رَوضةً للمُتنزَّه في المنقول.

والثانية : أَن يطَّلع بذلك على عجائب الأمور، وتقلُّبات الزمن، وتصاريف القدر، والنَّفس تجد راحة بسماع الأخبار.

وقال أبو عَمْرو بن العلاء لرجل مِنْ بَكْر بن وائل قد كَبِر حتى ذهب منه لذَّة المأكل والمشرب والنكاح: أَتحبُّ أن تموت؟

قال: لا.

قيل: فما بقي من لذَّتك في الدنيا؟

قال: أسمع بالعجائب .

هكذا كان القوم، إذ خير وسيلةٍ لإشعال العزائم، وإثارة الرُّوح الوَثَّابة، وقَدْح المواهب، وإذكاء الهِمَم، وتقويم الأخلاق، والتَّسامي إلى معالي الأمور، والتَّرفع عن سَفْاسفها، **هي قراءة سير نُبغاء العلماء الصُلحاء**، والوقوف على أخبار الرجال العظماء، والتملِّي من اجتلاء مناقب الصالحين والرَّبانيين، والاقترابُ من العلماء النُّبهاء العاملين المُجدِّين، فذلك خَيرُ مِهْماز لرفع الهمم، وشدِّ العزائم، وسُموِّ المقاصد، وإنارة القلوب، وإخلاص النِّيات، وتفجير

النبوغ والطاقات، والصبر على اجتياز العقبات والصُّعوبات، واحتلال ذُرَى المجد الرفيع، وكسب الذِّكْر الحسن، واغتنام الباقيات الصالحات [١].

فلماذا سِيَر العُلماء ؟

لأنَّ الحديث عن أهل العِلْم والعُلماء والعناية بجانب حياتهم، وما فيها من العِبَر والدُّروس حديثٌ ذو شُجُون، فمِنْ أحوالهم نَسْتخلِصُ العِبَر، ومن عِلْمهم نستفيد الخبَر، وما زال أهل العِلْم والعُلماء في السَّلَف والخلَف يُصنِّفون ويؤلِّفون في تراجم العُلماء وأهل الفَضْل والمنقَبة، بل لقد تنوَّعت تصانيفُهم، وتلوَّنت مَشاربهم في التأليف والكتابة .

فكانت البداية : حين قصَّ القرآنُ علينا من أخبار الأنبياءِ والمُرسَلين، والأُمم السَّابقة؛ وذلك لأخذ العِبْرة والعِظَة.

ثُمَّ جاء **المُحَدِّثون** فجمعوا لنا سيرة نبيِّنا محمَّد ﷺ، وزوجاته، وأولاده، وذريته، وأصهاره، وأحواله، وشَمائله، ومغازيه، بما لم تعرفه من قبل أمَّةٌ من الأمم، مما كان لسيِّد الخلق قاطبةً صلوات ربي وسلامه عليه .

ثُمَّ من بعده، جُمعت كُتب الخُلَفاء، فالصَّحابة، ثُمَّ التَّابعين، فأتباعهم، وهَلُمَّ جرًّا .

ثُمَّ تنوَّعت فُنون التَّصانيف، وتوسَّعت المعارف، فصار عُلماءُ كلِّ فنٍّ يُدوِّنون تراجم عُلمائهم، وأهلَ صَنْعتِهم .

فالمُفسِّرون: تناولوا كل من كان له في التفسير يَدٌ وسابقة، فجاء كتاب الجلال السُّيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ «طبقات المفسرين»، ثُمَّ تبعه تلميذه الدَّاودي رَحِمَهُ اللَّهُ وهكذا حتى لحقه الأَدَرْنَهْ وِي رَحِمَهُ اللَّهُ، وغيرهم .

---

(١) «صفحات من صبر العلماء» للعلامة أبي غدَّة (١٨) بتصرف .

وتبعهم على ذلك **القُرَّاء**، فدَرجُوا على مِنْوالهم .

وأمَّا **علماء الجَرْح والتَّعديل** : فقد بلغوا الغاية في التراجم والسِّيَر، فتارةً يجمعُون رجال الحديث قاطبة، وتارةً رجال مُصنَّفات خاصَّة، وهكذا.

ثُمَّ تَفنَّنُوا في الجمع؛ لتقريب العِلْم وتسهيل أخذه، فجعلوا في مصنَّفاتهم الثِّقات على حِدَه، والضُّعفاء على حدة أخرى، وهكذا حتى أخرجوا لنا علماً جديداً، بات يُعرف بعِلْم الجرح والتعديل، فصنَّفوا فيه المصنَّفات النافعة، التي أصبح يُعرف مِن خِلالها أحوال الرُّواة مِنْ الثقات والضعفاء وغيرهم .

ثم جاء **الفُقهاء** : فجمعوا طبقات علماء كلِّ مَذهبٍ خاصَّة.

وتبع الفُقهاءَ **الأصوليون**، فعمدوا لمثله .

وكذا درج كلٌّ من أئمة اللغة، والأدباء، والشُّعراء، والنَّحْويين، بل حتى الأغبياء، والأذكياء، والعُميان، والنِّسوان، والأطباء، وعلماء الأمصار والبلدان، كلٌّ قد أخذ بحظٍّ وافر من هذه التراجم والسِّير التي عُنيت بتراجم العُلماء وأهل المنقبة في الإسلام .

وما هذا كله إلا لأنَّ الغاية المنشودة، والثَّمرة المرجوَّة؛ معرفةُ شيءٍ من جوانب حياة العُلماء والفضلاء والنبلاء الأفذاذ، ثم فوق المعرفة : التَّطلع إلى شيء من أخبار القوم وأحوالهم الذين كانت لهم قَدَمُ صِدْقٍ وسَبقٌ في نُصرة هذا الدِّين وإعزازه، والسَّعي في خدمته بتَعلُّمه وتَعلِيمه ودعوة النَّاس إليه؛ ليكُون الإقتداء بهم في جَوانِب عِلْمهم وسُلوكهم وهَدْيهم وسَمْتِهم وعبادتهم لربِّهم وتعظيمهم إيَّاه .

فقد غَدا من المعلُوم أنَّ النَّفس قد يَصعُب عليها أنْ تَرتَقِي في درجات العُلوِّ والكمال جملةً واحدةً مِن أوَّل وَهْلة، ومِن دُون سَابق عِلْم لها بمن فعل ذلك وحصَّل ما حصَّل، فإذا كرَّرتِ النَّظر، وقلَّبتِ البَصَر في تراجم علماء هذا حالُهم، وتلك سِيرُهم جاهدتْ نفسَها للِّحاق بهم؛ فجدَّت وسعت بكل قُوَّة ونشاط لتحصيل ما حصَّلوه، وما نَعِموا به من حلاوة العبادة، ولذَّة العلم، والأُنس بالله جلَّ في عُلاه.

إذا أعجَبَتْكَ خِصالُ امرئٍ فكُنْهُ تكُن أنتَ ما يُعجبك

فليس على الجُود والمكرُمات إذا جئتَها حَاجب يحجُبك

وما هذا الفَخْر للعلماء إلَّا لأنَّهم «ورثة الأنبياء، وسادة الأولياء، والشُّهداء على الأُلوهيَّة، والدُّعاة إلى الرُّبوبية، تستغفر لهم حِيتان الماء، وطيور السماء، وتدعو لهم النَّملة، وتستغفر لهم النَّحلة، وِلايَتُهم لا تَقبل العَزْل، وأحكامهم ليس فيها هَزْل، مجالسهم عبادة، وكلامهم إفادة، يُوقِّعون عن رب العالمين، ويَفضُلون النَّاس أجمعين، وكما يُهتدى بالنُّجوم في ظُلَم البر والبحر، فهُم مَنائر الأرض يُهتدى بهم في كلِّ أمر، العِلْم في صدورهم، واللهُ يَهدي بنورهم، ويُنزل عليهم الرِّضوان في قبورهم، هُم حملة الوثيقة، والشُّهداء على الخليقة، كلامهم محفوظٌ مَنقول، وحكمُهم ماضٍ مَقبول، بهم تُصلَح الدِّيار، وتُعمَر الأمصار، ويُكبت الأشرار، وهم عِزُّ الدِّين، وتاج المُوحِّدين، وصَفْوة العابدين، هُم أنصار المِلَّة، وأطبَّاء العِلَّة، يَذُودون عن حِياض الشَّريعة، ويزجُرون عن الأمور الفَظِيعة، ويَنهون عن المعاصي الشَّنيعة.

هُم خُلفاء الرَّسول ﷺ، ثِقاتٌ عُدول، يَنفُون عن الدِّين تأويل المُبطلين، وتحريف الجاهلين، وأقوال الكاذبِين، مُذاكرتُهم من أعظم النَّوافل، ومُرافقتُهم من أحسن الفَضائل، هُم زينة المحافل، بهم تُقام الجماعات والجُمع، وبهم تُقمَع البدع، هُم الكواكب في ليل الجهل، وهُم الغَيْث يَعمُّ الجبل والسَّهْل، فالعالِم يُدرك الحِيَل، ولا تختلط عليه السُّبل، يكشف اللهُ به تلبيس إبليس، ويدفع الله بهم كلَّ دجَّال خسيس، أحياءٌ بعد موتهم، مَوجُودون بعد فَوْتِهم، عِلْمهم معهم في البيوت والأسواق، ويزيد بكثرة الإنفاق، أقلامُهم ماضية، على السُّيوف الماضية، بصائرهم تنقب في مناجم النُّصوص، وعقولهم تُركِّب الدُّرَّ في الفُصوص، النَّاس يتقاسمُون الدِّرهم والدِّينار، وهُم يتوزَّعُون مِيراث النَّبيِّ المختار، فهُم أهل العُقول الصَّحيحة، وأرباب الحقِّ والنَّصيحة»(١)

فيا مُحب، هذه مَنزلة أهل العِلْم كما عَرفتَ، وإنَّ من الواجب على طلبة العلم أنْ يَعرفوا للعَالِم مكانته، وشَرفَ مَنزلِته، لاسِيَّما في هذا الزَّمن المُرِّ الذي قلَّ فيه الوفاءُ لأهل العِلْم، وضُيِّعت فيه مَكانة العُلماء، فعزيزٌ اليومَ أنْ ترى مَن يحفظ لأهل العِلْم حُقوقهم، ويعرف فَضْلهم، ويسعى بخِدْمتهم، ويزدادُ الأمر مَرارة إنْ كان هذا الحال مِن طُلَّابهم وتَلامِذتهم .

فيا سبحان الله ! أيصحُّ أن تعرف النَّملة الصَّغيرة حقَّ العالِم، فتَبِيتُ تستغفر له، ويكون حال طلاب العلم جُفاةً لشيخهم ومُعلِّمهم ؟

ألا يعقل طلبة العلم هذه المنزلة التي بوَّأها اللهُ للعُلماء، فيعرفوا لهم حقَّهم وفضلهم ومكانتهم بين النَّاس ؟ أسئلة مُرَّةٌ كثيرة، ولكن ...

---

(١) «المقامات» للقرني (٨٤) بتصرف يسير .

مِن هُنا جاءت هذه الورقات لِتَفِيَ ببعض وَفاءٍ لشيخنا الجليل، العلَّامة المُحدِّث الأصيل **شُعيب الأرنَؤُوط** ريحانة بلاد الشَّام، وشيخ المحقِّقين، وأستاذ الصَّنعة .

فدُونك هذا العَمل؛ فهُو عَمل مُقِل، وجُهد ضَعيف، وقلم مُتطفِّل، وفِكرٌ قاصرٌ عن التَّعبير، بل و قاصرٌ عن الألفاظ التي يَستحِقُّها مقام شيخنا الجليل، ولكن حَسْبي أنِّي أقدمتُ على هذه المحاولة المُتواضِعة بما تحمله من المشاعر الصَّادقة والأحاسس المُتدفِّقة بالحقِّ وبالحبِّ والعِرْفان لهذا الشَّيخ المبارَك .

وما هذه الترجمة واللُّمحة ـ يا أُخَيَّ ـ عن سيرة شيخنا أدام الله ظلَّه لنفع الإسلام والمسلمين؛ إلَّا وسيلةً لغايةٍ سَامِيةٍ، وطَريقاً إلى مقاصدَ غَاليةٍ، ذلكم أنَّ ربط المسلمين بعُلمائهم يدخل في أفضل الأعمال؛ كيف لا ؟ والغاية المنشودة من جرَّاء ذلك أنْ ينتفعَ العِباد مِن العُلماء فينتفِعُون من عِلْمهم، ويَهتَدُون بهَدْيهم، ويتخلَّقون بأخلاقهم، ويعرفون شيئاً عن جانب العبادة، فهُم بحقٍّ أولى النَّاس أنْ يُلتفَت إليهم، ويُقبل عليهم، لعلَّ اللهَ أنْ يكتب نَجاة عبدٍ من عباده بسبب كلمةٍ سَمِعها أو قرأها وانتفع بها من هَؤُلاء العُلماء.

ورحم الله ابن الجوزي حين سطَّر لنا خاطرة بديعة عن عِظَم العناية بسير العلماء ومطالعة مصنَّفاتهم، إذ يقول : «كانت هِمَم القُدماء من العُلماء عاليةً، تدلُّ عليها تَصانِيفُهم، التي هي زُبدة أعمارهم؛ إلَّا أنَّ أكثر تصانيفهم دُثِرت؛ لأنَّ هِمَم الطُّلاب ضَعُفت، فصاروا يَطلُبون المختصَرات، ولا

يَنْشطُون للمُطوَّلات، ثمَّ اقتصروا على ما يَدْرسُون به مِن بَعضِها، فدُثِرت الكُتب، ولم تُنسخ!

فسَبيل طالب الكَمال في طلب العلم الاطِّلاع على الكتب، التي قد تخلَّفت من المُصنَّفات، فلْيُكثِر من المُطالعة؛ فإنه يرى من عُلوم القوم، وعُلوِّ هِمَمِهم ما يَشحَذ خَاطِرَه، ويُحرِّك عَزيمتَه للجِدِّ، وما يخلو كِتابٌ من فائدة.

وأعوذ بالله من سِيَر هؤلاء الذين نُعاشِرهم! لا نرى فيهم ذا هِمَّة عالية؛ فيَقتَدِي به المُبتَدِئ، ولا صاحب وَرَع، فيَستفيد منه الزَّاهد.

فاللهَ اللهَ، وعليكم بملاحظة سِيَر السَّلَف، ومطالعة تصانيفهم وأخبارهم، فالاستِكْثار مِن مطالعة كُتبِهم رُؤية لهم، كما قال:

فاتني أنْ أرَى الدِّيارَ بطَرْفي فلعلِّي أرَى الدِّيارَ بسَمْعي

وإنيِّ أُخبِرُ عن حالي: ما أشبع من مطالعة الكُتب، وإذا رأيت كتاباً لم أرَه، فكأنِّي وقعتُ على كَنز، ولقد نظرتُ في ثَبَت الكُتب الموقوفة في المدرسة النظاميَّة؛ فإذا به يحتوي على نحو ستة آلاف مجلد، وفي ثبت كتب أبي حنيفة، وكتب الحُميدي، وكتب شيخنا عبد الوهاب، وابن ناصر، وكتب أبي محمد ابن الخشَّاب ـ وكانت أحمالًا ـ وغير ذلك من كلِّ كتاب أقدِرُ عليه، ولو قلتُ: إنِّي طالعتُ عشرين ألف مجلَّد، كان أكثر، وأنا بَعدُ في الطَّلب! **فاستفدتُ بالنَّظر فيها من ملاحظة سِيَر القوم، وقَدْر هِمَمِهم، وحفظهم وعباداتهم، وغرائب عُلومهم ما لا يَعرفُه مَن لم يُطالِع،** فصِرْتُ أَستَزْرِي ما النَّاس فيه، وأحتقر هِمَم الطُّلاب. ولله الحمد»[1]

---

(١) «صيد الخاطر» (٤٥٣)

لِلَّهِ دَرُّ عُلمائنا، أعلى اللهُ شأنهم وأشهدَهُم مع ملائكته على تَوحيده، فقال عَزَّ مِنْ قائل: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨]

فهذه عُجالة أَسَلِّط الضَّوء فيها على محطَّات مُضيئةٍ مِن حَياة شيخِنا وأستاذِنا؛ ريحانة الشَّام، وعَبق أريجها، ونَسِيم هَوائها؛ فهي مَلِيئة بالعِلْم والعمل والدَّعوة إليه، وليس الخَبر كالمعاينة، وليس من رأى كَمَنْ سَمِع، وذَا غَيضٌ من فيض، ومَيسورٌ لا يسقط بالمعسُور[(١)].

ألا فلْتَعْلَم يا أُخيَّ أنَّ «في التَّراجم فوائدُ نادرةٌ، وفرائدُ عِلْميةٌ غالية، وجملةٌ صالحة من أخلاق السَّلف الصالح، تَحلَّى بها هؤلاء الأئمَّة، فهي تراجم تَعلِيم وتَهذيب، وتَربيةٍ وتأدِيب، وتَفْقيهٍ وتَدْريب.

---

(١) لقد تناول عدد من الباحثين شيئاً من حياة شيخنا وجوانبه المشرقة، وأُولى هذه الأبحاث، ما كتبه **الدكتور إبراهيم الكوفحي** في بحثه: «المحدِّث شعيب الأرنؤوط جوانب من سيرته وجهوده في تحقيق التراث» وقد جاء في سبعين صفحة من القطع الصغير، وكان قد قدَّمه لجهة من الجهات إبَّان إعلان عمَّان عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٢، وهي دراسة يسيرة لا تعطي صورة واضحة عن حياة هذا العالم المُتفنِّن في كافة الفنون.

ومن هنا جاءت الرَّغبة لطرق هذا الباب لعلَّني أمنح شيخنا بعضاً من الوفاء الذي يستحقُّ أضعافه مرات كثيرة.

وأنا أقيِّد وأجمع هذه الكتاب الذي بين يديك، اطَّلعتُ على كتاب ـ إبان رحلتي إلى تركيا بصحبة شيخنا شعيب الأرنؤوط ـ لعالمٍ تركيٍّ أصيلٍ، محبٍّ للشيخ ولعِلْمه، عرف فضله ومنزلته، فأكرمه بحفاوة قلَّ نظيرها، وقد اجتهد في الكتابة عن شيخنا وعن حياته العلمية وجهوده أيضاً، وهو قيد الطباعة في تركيا، ومن إعداد **الأستاذ الدكتور أنبياء يلد يريم** أستاذ الحديث في كلية الإلهيات في سيواس وقد جاء فيما يقرب من خمس مئة صفحة.

وبلغني أن أحد تلامذة شيخنا في دمشق الشام وهو **الأستاذ إبراهيم الزِّيبق**، يعمل على دراسة عن هذا الشيخ المبارك، والعالم النافع، فالله أسأل أن يرى النور قريباً، وأن يجزي كاتبه خير الجزاء.

وكثيرٌ مما ذُكِر فيها من الفوائد لا يراه القارئ في الكُتب المتداولة المعروفة، فلذا أرجو أنْ يَنتفع بها قارئُها ودارسُها، والمُتأسِّي بسير الأماثل العِظام، والمُتقيِّس بفضائل الأعلام الكِرَام.

فليست هي تراجمَ لذِكْر الولادة والوفاة والشُّيوخ والتلاميذ، مجرَّدةً من الحوافز والمُشجِّعات، والتَّعشِيق للعِلْم والنُّبوغ فيه والطُّموح إلى نيل المراتب العُليا فيه، فهي تراجمُ قوادحُ للعزائم، ومشاحذُ للهِمَم على الصَّبر والدَّأب لنيل المقامات والمغانم، وسَيعلمُ قارئُها لماذا نُسِجت، وبأيِّ دافعٍ كُتبت وأُلِّفت، ويُدركُ في نهاية المطاف أنَّ الغايةَ من قراءة تَراجم الشُّيوخ كسبُ القُدوة، ورفع الهمَّة .

حَمِدَ المُدْلِجون غِبَّ سُراهُم وكَفَى مَن تخلَّفَ الإبطَاءَ

وهؤلاء الأئمَّة وأمثالهم أحقُّ أنْ يُقال فيهم :

وذكَّرني حُلْوُ الزَّمـانِ وطيبُهُ مجالسَ قَومٍ يَملأون المَجالِسَا

حَدِيثاً وأشعَاراً وفِقْهاً وحِكْمَةً وبِرّاً ومعرُوفاً وإلْفاً مُؤانِسَا

وأنْ يُقال فيهم أيضاً :

إذا سكتُوا رأيتَ لهم جَـمالاً وإنْ نطقُوا سمعتَ لهم عُقُولاً»[1]

فَأسألُ اللهَ العَليَّ القدير أنْ يحفظ لنا شَيخَنا، وأنْ يَنفع به، وأنْ يُطِيل في عمره، إنَّهُ سبحانه خَيرُ مَسؤولٍ، وهُو بكُلِّ جميل كَفِيلٌ، وهو حَسبُنا ونعمَ الوكيل .

---

(١) «تراجم ستة من فقهاء العالم الإسلامي» للشيخ أبي غدة رَحِمَهُ اللَّهُ (١٠-١١) بتصرف .



محطَّاتٌ مُضيئةٌ من حَياة شيخِنا العلَّامةِ

شُعيب الأرنؤوط

□ **اسمُه ونَسبُه:**

هو شيخُنا العلَّامة المُحدِّث[١] الفَقِيه[٢] المفسِّر[٣] اللُّغوي[٤] شيخُ المحدِّثين، وأستاذ المُحقِّقين ـ مُحقِّق العصر ـ : أبو أسامة شُعيب بن مُحرَّم الأَرنؤُوط، الألبانيُّ الأصل، الدِّمشقِيُّ المَولِد والنَّشأة.



يَعودُ نَسبُ الشَّيخ إلى أسرةٍ ألبانيَّة مِن قرية «فُكتان» (**VOKTAN**)، وأجداد الأرنؤوط والألبان يُعرفون في القديم الغَابر بـ«الإيلْيَريانيَّة».

---

(١) تشهد له تحقيقاته الحديثية بذلك وعلى رأسها «مسند الإمام أحمد» و«السُّنن».

(٢) ويشهد له من تحقيقاته «روضة الطالبين» للنَّووي و «المُبدِع» لابن مفلح و«الاختيار» للموصلي.

(٣) يكفيه فخراً تحقيقه لـ : «زاد المسير» لابن الجوزي.

(٤) وحسْبُه أن أخرج «المنازل والدِّيار» لأسامة بن منقذ و«مختصر الأغاني» لابن منظور.

والأسماء التي أُطلقت على الألبان: «الإيلير»، و«الألبان»، و«الأرنؤوط»، و«الشِّكِبْتار»

وهذه أسماء لِقوم أصلُهم وَاحدٌ عاشُوا في شِبْه جَزيزة البُلقان في أوروبا .

فـ«**الإيلير**»: عُرفوا بهذا الاسم من بداية نشأتهم واستمَّر ذلك حتى عهد البيزنطيين .

ثم عُرفوا في عهد البيزنطيين بـ«**الألبان**»، وحين جاء عهد العُثمانيِّين عُرفوا بـ«**الأرنؤوط**»[١].

☐ ألبانيا ودُخول الإسلام[٢]:

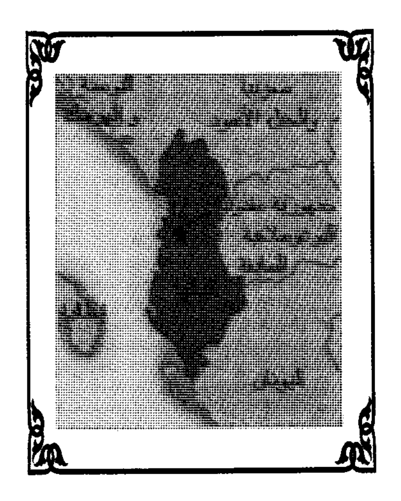
جمهورية ألبانيا الآن :

هي دولةٌ غالب أهلها مسلمون، وتقع في جنوب شرق أوروبا، يحدُّها من الشمال الجبل الأسود وكوسوفو، ومن الشرق جمهورية مَقدُونيا اليُوغسلافيَّة، ومن الجنوب الشرقي اليونان، و تُطِلُّ غرباً على البحر الأدرياتيكي شمالاً، وعلى البحر الأيوني جنوباً .

---

(١) وهذه التسمية من إطلاق الأتراك قديماً على قوم من سُكَّان ألبانيا يُعرف أهلها باسم «آربونة» فحرَّفه الأتراك إلى « أرناؤود» وتنطق وتكتب اليوم «أرنؤوط»
ومن الغرائب والعجائب أن الشهاب الألوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر في كتابه «غرائب الاغتراب ونزهة الألباب» (١٩٨) أن أصل «أرنؤوط» : «عارنعود» = « عارٌ أنْ نعود» وذكر فيها قصة جبلة بن الأيهم الغسَّاني، وأنه لما ذهب مع من تبعه من قومه إلى الروم تنصَّر هناك زمن الفاروق، ثم ندم، فقيل له ألا تعود ؟ فقال : عارٌ أن نعود ! ينظر : «الألبانيون والأرناؤوط والإسلام» للدكتور رجب بويا (٦٣) .
قال شيخنا : وهذا كلامٌ ليس عليه أثارة من علم، ولا يصح .

(٢) ملخَّصٌ من «الألبانيون والأرناؤوط والإسلام» للدكتور رجب بويا . بتصرف .



لقد دخل الإسلام ألبانيا في القرن الثَّالث عشر من الميلاد، ويعُود الفضل في ذلك بعد الله تعالى لتجَّار العرب المسلمين الذين نشروا الإسلام بأخلاقهم الحميدة في العالَم .

وقد كان بين العرب وأهالي جزيرة البَلْقان علاقة وثيقة من خلال تجاراتهم عبر البحر الأدرياتيكي، وكان لاختلاطهم بالألبان على وجه الخصوص تأثير كبير في حياتهم .

فقد عَرف الألبان في المسلمين الأمانة، والصدق في التعامل، والخلق الحسن، فأكرموهم وقرَّبوهم لما امتازوا به من صفات جميلة وحميدة، وهنا عرَّف المسلمون الألبانَ الإسلام، وبثُّوا فيهم تعاليمه الكريمة، والخِصَال الحميدة لكُلِّ مسلم، فسُرُّوا بذلك بما سَمِعوا عن هذا الدِّين العظيم، ولم تَمضِ أيامٌ قليلة حتى أشْهَر كثيرٌ منهم الإسلام بحمد الله، وكان من هؤلاء الذين أشهروا إسلامهم من الألبان من مهَّد الطريق للعُثمانيِّين للدُّخول في بلادهم فيما بعد، هذا الطريق الأول لدُخول الإسلام إلى بلاد ألبانيا .

وأمَّا الطريق الثاني: فمن خلال الدُّعاة المسلمين، الذين أَخذُوا على عَاتِقهم نشر الإسلام في أرجاء المعْمُورة، وقد قيل : إنَّ أول من أَدْخَل الإسلام إلى البلقان، واعتنى بنشره هو «**سالي سالتيك التركماني**» وذلك قبل فتح العُثمانيين لبلاد البلقان .

ثم جاء دور العثمانيون ففتحوا بلاد الألبان في عام (١٣٨٧م)، ومنذ هذا التاريخ وهم يدخلون في الإسلام شيئاً فشيئاً .

ومن المشهور عن أهل هذه البلاد تحلِّيهم بالأخلاق الطيِّبة الكريمة، فقد اشتهروا بإكرام الضيف، والشَّجاعة والإقدام، والصبر على المِحَن، حيث يتكلَّفون الأعمال الشَّاقة، وهم أهل نشاطٍ وجِدٍّ وجَلَدٍ واستقامة، ولا أدلَّ على ذلك من أنهم كانوا يُرْضِعون فَلَذات أكبادِهم من صغرهم قصص البُطولة والشَّجاعة، كي يتدرَّبوا عليها .

ومِنْ عَزيز صِفاتِهم : عزَّة النَّفس، والوَفاء، وإنصاف المرأة، ومِنْ هُنا فلا تستغربنَّ أنْ تجد من يعيش في أوساطهم يَمتلئ قلبُه مِن حُبِّهم ووُدِّهم .

❑ الهجرةُ إلى بلاد الشَّام؛ لِمَا فيها مِن فَضائل :

لقد مُلئَ تاريخ ألبانيا بالحروب قديماً وحديثاً؛ لأنَّ شبه جزيرة البلقان كانت مسرحاً للحروب، وكانت قبل هذا مَطْمعاً للدُّول المستعمِرة، لما تمتاز به من موقع هامٍّ، وأراضٍ خصبة، وطبيعة خلَّابة .

وقد استقلَّت لأول مرة في تاريخها عام (١٩١٢م) بزعامة إسماعيل كمال فلورا، ولم يَدُم، وجاءت بعده حكومة أسعد باشا، وقامت الحرب العالمية

الأولى، فأصبحت ألبانيا ورقة رابحة بيد الطامعين من إيطاليا، وفرنسا، واليونان، وروسيا، وانجلترا .

وبقي الألبان يحاولون استيعاد شوكتهم ووحدتهم شيئاً فشيئاً حتى اختاروا طرخان باشا رئيساً لألبانيا، ولكنه سُرعان ما تحالف مع الإيطاليين، وارتضى الدخول تحت حمايتهم ومظلتهم، فأسقطته الجمعية الوطنية .

ثم جاء دور سليمان بك دلغينو، وأختار وزيراً للداخلية **أحمد زوغو**، حتى جاءت سنة (**١٩٢٢م**) واستقال سليمان بك، وفسح المجال لزوغو لأن يكون رئيساً لألبانيا، على اضطرابات وانتخابات ومصادمات .

وفي عام (**١٩٢٥م**) أعلنت الجمعية الوطنية الألبانية ألبانيا جمهوريةً، واختارت أحمد زوغو رئيساً لها، وما أن تقلَّد منصب الرئيس إلَّا وأصدر المجلس الوطني أنَّ ألبانيا جمهورية مستقلَّة .

ومن حين أعلن المجلس الوطني رئاسة أحمد زوغو للجمهورية الألبانية قرَّب الإيطاليين، ومنحهم من المزايا الكثيرة، وتعاون معهم بشكل كبير، فحرصت إيطاليا أن يدوم حكم أحمد زوغو فحثَّته على تحويل ألبانيا من جمهورية إلى مملكة؛ ليكون مَلِكاً مدى الحياة ! وتمَّ له ذلك وأعجبه؛ فأمر بتحويلها إلى مملكة في عام (**١٩٢٨م**) وسُمِّي الملك أحمد زوغو الأول، فعاث في البلاد فساداً وفصل الدِّين عن الدولة، وحكم بقانون الطوائف، وقرَّب الفِرنْجَة أكثر وأكثر ونادى بالرَّأسمالية.

وفي خِضمِّ هذه الأحداث، واضطراب الحياة المؤمنة في بلاد الألبان، رغب والدُ شيخِنا شعيب رَحِمَهُ اللهُ أنْ يُهاجر من هذه البلاد التي علاها الفساد والإفساد، ويفرَّ بدينه وأهله، فهاجر من بلاد الألبان كثيرٌ من أهل العِلْم والفضل، هجرة في سبيل الله، وفراراً بدينهم وأهليهم، وتحمَّلوا في سبيل

ذلك المشاقَّ والتَّعب والخوف، ولا عجب في ذلك، فكلُّ شيء دُون الدِّين يهون، وكلُّ مصيبة بعد حفظه جَلَل .

زِدْ على ذلك ما كان يسمع والد شيخنا من أهل العِلْم والصَّالحين، فضل سُكنى الشَّام، وأنها أرض المحشر[١]، وما فيها من أحاديث وفضائل وبركات.

يقول ابنُ رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ: « فإنَّ الله جعل البلدة الحرام مَبدأً لخلقه وأمره، وجعل الشَّام مُنتهى الخلق والأمر، فَفِي آخر الزَّمان يَستقرُّ الإيمانُ وأهلُه بالشَّام، وهي أرض المحشر والنَّشر للأنام » [٢]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : «والنبيُّ ﷺ ميَّز أهل الشام بالقيام بأمر الله دائماً إلى آخر الدَّهر، وبأنَّ الطائفة المنصورة فيهم إلى آخر الدهر، فهو إخبارٌ عن أمر دائم مستمر فيهم مع الكثرة والقُوَّة، **وهذا الوصف ليس لغير الشام من أرض الإسلام**؛ فإنَّ الحجاز التي هي أصل الإيمان، نقص في آخر الزمان منها العلم والإيمان والنَّصر والجهاد، وكذلك اليمن والعراق والمشرق، وأمَّا الشام فلم يزل فيها العلم والإيمان ومن يُقاتل عليه منصوراً مُؤيَّداً في كل وقت، والله أعلم»[٣]

وقد صحَّ في فضائل الشَّام جملة من الأحاديث:

منها : عن زيد بن ثابت قال : كُنَّا عند رسول الله ﷺ نُؤلِّف القرآن

---

(١) اعتنى أهل العلم بالتصنيف في فضائل بلاد الشام وسكناها، وممن صنَّف في ذلك من أهل العلم : التَّمَرتاشيُّ في كتابه : «الخير التام في حدود الأرض المقدسة والشام»، و أبو الحسن الربعي في «فضائل الشام وفضل دمشق»، والسَّمعاني في «فضائل الشام»، وكذا ابن رجب الحنبلي في كتابه «فضائل الشام»، والبقاعي في كتابه «الإعلام بسنِّ الهجرة إلى الشام» وغيرهم .

(٢) «فضائل الشام» (٣٣)

(٣) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٤٤٩)

من الرِّقاع، فقال رسول الله ﷺ: «طُوبَى للشَّام».

فقلنا: لأيِّ ذلك يا رسول الله؟ قال: «لأنَّ ملائكة الرحمن باسطةٌ أجنحتها عليها»[١].

ومنها: عن عبد الله بن حَوالة، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «سيكون جُندٌ بالشَّام، وجندٌ باليمن» فقال رجل: فَخِرْ لي يا رسول الله إذا كان ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «عليك بالشَّام، عليك بالشَّام - ثلاثاً عليك بالشام - فمَن أبى؛ فلْيَلحق بيَمَنِه، ولْيَسْقِ مِن غُدْرِه، فإنَّ الله قد تكفَّل لي بالشَّام وأهله»[٢]

ومنها: عن مُعاوية بن قُرَّة، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا فسد أهل الشام، فلا خير فيكم، ولا يزال أناسٌ من أمتي مَنصُورين، لا يُبالُون من خَذَلهم حتَّى تقوم الساعة»[٣]

لأجل ذلك رَغِب والد شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ فهاجر مع من هاجر بأسرته إلى دمشق في عام (١٩٢٦م) واستقرَّ بها، وقد كان والد شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ محبّاً للعِلْم ولأهل العِلْم، ومحبّاً لإكرامهم، شَغُوفاً بمجالستهم وحِفْظ ما يطرحونه مِن مَسائل عِلميَّة وفِقهيَّة، رحمه الله رحمة واسعة.

❑ مولدُه ونشأتُه:

مكَث والد شيخِنا سنتين في دمشق، وبعد مُرور سَنتين جاءَ الموعِدُ، وقَدِم الابنُ المَيمونُ للحَاجِّ محرَّم، فوُلد شَيخُنا شُعيب بن محرَّم الأرنؤوط في

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٩٥٤)، وأحمد في «المسند» (٢١٦٠٦) وهو صحيح.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٠٣٥٦) وهو صحيح.

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (١٥٥٩٦) وإسناده صحيح.

مدينة دمشق سنة ١٩٢٨م، ونشأ في ظلِّ والدَيه نشأةً دينية كريمة، واعتنى به أبوه بتعليمه تعاليم الإسلام وآدابه، وحِفْظ القرآن الكريم، وجَبَله على الأخلاق الكريمة، والصِّفات الحسنة.

وكان قد تزوَّج والد شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ بزوجته الأولى، ورزقه الله منها اثنين، ثمَّ تُوفِّيت رحمها الله تعالى.

ثم تزوَّج والدُه والدَة شيخنا شعيب، ورزقه الله منها ثمانية من الأولاد والبنات، وقد توفَّاهم الله رحمهم الله تعالى، ولم يبق منهم إلَّا شيخنا شعيب أحسن الله لنا وله الخاتمة.

❑ نَشأةُ الشَّيخ العِلْمية وذِكْرُ مَشايخه:

مَن يأخذ العِلْم عن شيخٍ مُشافهةً ... يكُن مِن الزَّيف والتَّصحيف في حَرَمِ

ومَن يكن آخذاً للعِلْم مِن صُحُفٍ ... فعِلْمُهُ عند أهل العِلْم كالعَدَمِ [1]

درَس شيخُنا دراسته المبكِّرة في رُبوع مدارس دمشق، حتى وصل إلى الصف الخامس، ثم انخرط في ميادين التجارة لمعاونة والده، وترك دراسته، إلَّا أنَّ هذا الفتى الشَّغُوف بالعِلْم، المحبَّ له ولأهله، كان يقتنص بعض الفرص السَّانحة في وقته للقراءة والمطالعة، ولمَّا كانت هذه النية صادقة، حبَّبه الله لبعض أشياخه، ورزقه من يأتي إليه في دُكَّانه يُعلِّمه قواعد العربية، وشيئاً من فقه الشريعة.

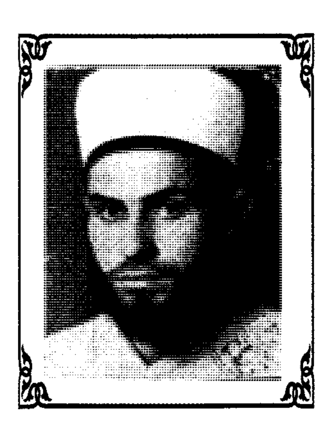
---

(١) «الضوء اللامع» للسخاوي (٩/ ٧٥)

ثُمَّ تَرعْرَع أدام اللهُ نَفْعَه، وهو في شبابه بين أَرْوِقة مساجد دمشق، وبَساتِينها الخضراء، فحبَّب الله له اللُّغة العربية، ومجالسة العُلماء والأدباء، فتَلْمذ على كبار أساتِذتها، وأساطين عُلمائها .

وكان وهو شابٌّ مُتعَطِّش للعِلْم يَجُول ويصُول على حَلقات المساجد في دمشق، ويمرُّ بأرْوِقة مدارسها العَتِيقة الزَّاخرة بالعِلْم وأهله؛ فتراه يَبْغي علوم اللُّغة وبيانها، يَتفيَّؤ من ظِلال حلقاتٍ للنَّحْو، وأخرى للصَّرْف، وثالثة للبلاغة، ورابعة في الشِّعر وبديعه، وهلُمَّ جَرًّا من عُلوم اللغة الواسعة، يَتنقَّل من حَلْقة إلى حلقة، ومن مدرسة إلى أخرى .

لقد أكرم الله شيخَنا بالعِناية بالعِلْم مُنذ صِغَره، وحبَّب له عُلوم اللُّغة العربية والمهارة فيها، قد تضلَّع مِن عُلومها وفُنونِها ما بزَّ به أقرانَه، بل وبعض أساتذته، وقد كان يتعجَّبُ منه الأساتذة آنذاك .



صورة شيخنا إبَّان تدريسه اللغة العربية في المعهد العربي الإسلامي

وهكذا هي اللُّغة العربية، من يَعشق عُلومها ويَصْدُق في طلبها؛ تَمنحُه عَزيزَ عِلْمها، وشريفَ مَسائلها، ورَوائع كَلِمِها، وجميلَ أساليبها، وفُنون أشعَارِها، فتراهُ يَتذوَّق، ويا رَوعة التَّذوق لِمُفردَاتها! ويَطربُ لِسَعة مَعانيها، وتَدفُّق مَشاعِرها، وجمال جَرْسها، وحُسْن أَخْذها، ولا غَرْو فهي لُغة القرآن الكريم.

إنَّ مَن يَتذَّوق اللغة العربية وفنونها وعلومها، لا بدَّ أن يرقَّ طبعه، ويجزل رأيه، فترى حسَّه رهيفاً، وكَلِمَه طريفاً، ولك أنْ تقول: ظريفاً، ويصبح الأدب سجيَّة له، فتُقبِل اللُّغة الشَّاعرة عليه، ويُقبل عليها.

بل فوق ذلك كلِّه ترى عزيز قالات أهل اللغة الكبار تَغْدُو وتَرُوح على لسانه، وفي رَشْق قَلمِه، وعلى كَواغِد ورقه، فينتقي منها أطايب الكلمات، ويُدوِّن جميل العبارات، ويَنقُش وَثِيْق القَالات، وهو بعد ذلك كلِّه، عاشقٌ لها، مفتونٌ بها، لا يغادر يومه دون النَّظر في كتبها وفنونها وعُلومها، فهُو مِنْها وهي منه؛ كالصِّنوين والأَخوَيْن، لا يفترقان.

فيا هَناء من يُرزق عِلْم العربية، إذ مِن جَميل الهناءِ أنْ يهبَه اللهُ حُبَّ الكتابة، والعناية بالتَّصنِيف والتَّأْلِيف والتَّحقيق.

قَوِيَ عُود شيخنا، وازدَاد كلَّ يوم عِلْماً ومعرفة وفَهْماً في ميدان العربية، فرغب في التفقُّه وطلب الفِقْه في الدِّين.

وقد كان من فِضْل الله على ذلك الشَّاب الطَّموح أنْ هيَّأ له من خيرة رجالات العلم والدِّين، وما ذاك إلَّا لصدقه في الطلب، ولشغفه في تحصيله.

فتَلْمذ على يد عالِمين شَهِيرين كبيرين مِنْ أنْجبِ تَلامذة مُحدِّث الشَّام وعلَّامتها الشَّيخ بدر الدِّين الحَسَني رَحِمَهُ اللهُ (١).





صورة الشيخ العلامة المحدِّث بدر الدين الحسني رَحِمَهُ اللهُ

(١) هو العلامة الحافظ الرُّحلة محدِّث الشام الشيخ بدر الدين محمد بن العلَّامة الكبير يوسف بن بدر الدين ابن علي الحَسَني البَيباني المغربي المالكي، ولد الشيخ بدمشق سنة **١٢٦٧**هـ وتوفي في عام **١٣٥٤**هـ، كان أعجوبة في العلم والحفظ والدِّيانة، ومن عجيب ذلك ما قاله العلامة الكبير أديب العربية في زمانه الأستاذ علي الطنطاوي رَحِمَهُ اللهُ :

« كان أقلَّ مزايا الشيخ بدر الدين الحسني أنه يحفظ «صحيحي البخاري ومسلم» بأسانيدهما، و«موطأ مالك»، و«مسند أحمد»، و«سنن الترمذي»، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، ويروي لك منها ما تشاء كأنه ينظر في كتاب، وأنه يحفظ أسماء رجال الحديث وما قيل فيهم، وسني وفاتهم، ويُجيبك عمَّا شئته منها، **وأنه يحفظ عشرين ألف بيت من متون العلوم المختلفة**، وأنه ألَّف نحواً من خمسين مؤلفاً قبل أن يتجاوز عمره الثلاثين» اهـ من مقالة له عنوانها : (مات بدر الدين) ضمن «محدث الشام بدر الدين الحسني » لمحمد بن عبد الله آل رشيد (١٥١) .

ومن أبرز تلاميذه مؤرِّخ حلب الشيخ محمد راغب الطبَّاخ، وقد صُنِّفت في سيرته كتب كثيرة من أبرزها : « المحدِّث الأكبر وإمام العصر كما عرفته» لتلميذه الشيخ محمد صالح الفرفور، وما جمعه حفيده محمد فخر الدين الحسني فقد جمع ما قيل ونشر عنه، وانظر : «الإعلام» للزركلي (١٥٧/٧) وأخيراً ما جمعه محمد آل رشيد في كتابه : «محدث الشام العلامة بدر الدين الحسني» من مقالات وقصائد كتبت عنه وفيه.

وهما :

١. الشَّيخ صالح الفرفور رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]:

وهو العلامة المُربِّي الكبير شيخُ شيخِنا الشَّيخ محمد صالح بن عبد الله ابن محمد صالح الفرفوري الدِّمشقي، ولد الشيخ بدمشق سنة **١٣١٨**هـ وتوفي في عام **١٤٠٧**هـ، كان مُربِّياً من الطراز الفريد.

قال لي شيخُنا عنه : **كان حريصاً على تربيتنا على الإخلاص ومراقبة الله تعالى في أعمالنا .**

وقد تأثَّر شيخُنا به كثيراً لما تحلَّى به من الفَضائل الكريمَة، والشِّيم العظيمة.

وقد كان مُتفنِّناً في العلوم الشرعية والعربية، مُحبَّاً للتدريس ونشر العلم بين الناس، فكان أن أسَّس **معهد الفتح الإسلامي**، الذي يزخر بطلاب العلوم الشرعية والعربية .

وهو الشَّيخ الذي لازمه شيخُنا واعتنى به وأكبَّ عليه في طلب العِلْم وأجازه بمرويَّاته، **وحطَّ رحاله عنده .**

فقد نَهل من مَعِين عِلْمه، فقرأ عليه : «شرح ألفيَّة ابن مالك» لابن عقيل، و «المفصَّل في اللغة» للزَّمخشري، و «الاختيار لتعليل المختار»[٢]

---

(١) انظر في ترجمة هذا الشيخ المفضال، ما كتبه الأستاذ عمر النشوقاتي في كتابه: «العلامة المربي الكبير الشيخ محمد صالح الفرفوري» جزاه الله خيراً .

(٢) ولقد منَّ الله تعالى على شيخنا أن حقَّق هذا السِّفر النفيس في أربع مجلدات وخرج بحُلَّة قشيبة، ألا فليهنأ طلبة العلم به، بما حواه من عِلْم رَصِين، وخدمة التحقيق المتين .
وإنَّ هذا ليعطي درساً للمُحقِّق اليوم أن لا يُقدِم على تحقيق كتاب إلَّا بعد أنْ يتضلَّع منه فيكون مُلِمَّاً بعِلْمه، مُحكِماً لمسائله، مُجيداً لما يتفرَّع عنه، فهذا هو المشهور عند أرباب التَّحقيق العتيق، وأمَّا حال المحقِّقين اليوم، فحدِّث عنهم ولا حرج، وهم اليوم أبعد ما يكون في الواقع، فكم تُخرج لنا دور النشر من كتب الغثِّ والسَّمين، والمُحقِّق بمنأى عن مادة الكتاب، فإلى الله المشتكى .

للموصلي، و«حاشية ابن عابدين» وجلّ «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» للعيني و«دلائل الإعجاز» للجُرجاني.

وقد كان لا ينقطع عن دروسه صباح مساء، وتخرَّج على يديه مجموعة من العلماء، من أمثال شيخنا شعيب، ورفيق دربه الشَّيخ العلَّامة عبد القادر الأرنؤوط رَحِمَهُ اللَّهُ، وكذا الشَّيخ أديب الكلَّاس رَحِمَهُ اللَّهُ، وغيرهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد: فأنا العبد الفقير إلى الله تعالى لطف القدير (عبد القادر الأرناؤوط)

أحد الذين درسوا على فضيلة الشيخ صالح الفرفور رحمه الله تعالى.

وقد درست عليه عدة سنوات بصحبة الشيخ عبد الرزاق الحلبي، والشيخ

أديب الكلاس، والشيخ شعيب الأرناؤوط، والشيخ رمزي البزم،

والشيخ شفيق البري، وغيرهم.

وقد درسنا عليه جملة من الفقه الحنفي، واللغة العربية، والنحو، والبيان

والبديع، وأصول الفقه، وغيرها من العلوم الشرعية.

وكان رحمه الله ربانيا كأوراده، وقد تعلمنا منه الخوف من الله تعالى،

والآداب الإسلامية، رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جنانه

هذا وقد درسنا أيضاً عنده الطلاب الذين جاؤوا بعدنا.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يجمعنا جميعاً

في مستقر رحمته يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم

ونسأل الله تعالى أن يجزي عنا شيخنا خير الجزاء، إنه تعالى خير مسؤول.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. شعبان [illegible]

عبد القادر الأرناؤوط
خادم السنة النبوية بدمشق

عبد القادر الأرناؤوط
خادم السنة النبوية
ص.ب ٢٨٥٤ [illegible]
هاتف ٢٢٤٢١٥ [illegible]

كلمة للشيخ عبد القادر الأرناؤوط أحد تلامذة المترجم له، وهي بخطه

وقد كانت بين شيخنا وشيخه أخوَّة حميمة، ومحبَّة صادقة، فكان أنْ أسَّس الشيخ محمد صالح الفرفور رَحِمَهُ ٱللَّهُ **معهد الفتح الإسلامي** للعلوم الشرعية، وكان معه في تأسيس لَبِنته الأولى شيخنا شعيب الأرنؤوط، والشيخ أديب الكلاس رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث كان يُدرِّس فيه اللغة العربية وعلومها، وكذا الفقه الحنفي، من «مختصر القدوري»[1] و «الاختيار لتعليل المختار» .

وكان مما حدَّثني به شيخنا عن شيخه صالح الفرفور رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه كان على قَدْر كبير من الكَرَم والشَّجاعة، وقد أثَّر هذان الخلقان في شيخِنا، وفي ذات يوم كانت ثمَّة مناظرة علميَّة بين شيخِنا وبعض تلاميذ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بعض المسائل والقضايا العلمية، فكان شيخنا جَريئاً في طرحها ومخالفتها لمذهب الإمام أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وإذا بالخبر يصل إلى الشَّيخ صالح الفرفور رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكأنَّ ثمَّة فاجعة! فاستدعى شيخَنا وبدأ الحديث معه، وكان مما دار بينهما : ما الذي دفعك لهذا، ومن الذي شجعك على ذلك ؟ ولماذا هذا الخروج عن المذهب ؟

فأجابه شيخُنا بكل هدوء : فضيلتُكم! ثُمَّ قال شيخنا له : هذه الدُّرُوس التي تُلقيها علينا في شجاعة الصحابة ومواقفهم، ومن بعدهم من العلماء، وأنَّ طالب العلم يجب أنْ لا تأخذه في الله لومة لائم فيما يعتقده إنْ رأى أن الدَّليل يَعضُدُه، أكنتَ تُعلِّمنا إيَّاها لمجرد العِلْم، أو للعمل والانتهاج بها في حياتنا ؟

(١) وطبع طبعة متقنة من تحقيق د. عبد الله نذير، وهو أحد الأصول في المذهب الحنفي .

وبدأ شيخُنا شعيب يَذكُر لشيخه صالح الفرفور رَحِمَهُ ٱللَّهُ من مثل هذه التقريرات مما تعلَّمه منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فيقول شيخنا : فسكَنَ رَوْعُ الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولم يزيد عليَّ بحرفٍ واحدٍ .

ومن عجيب ذلك أيضاً ما حدَّثنيه قال: ذات يوم اجتمعت مع ثُلَّة من التلاميذ وتباحثنا مسألة إدراك ركعة من الفجر أو العصر، فقال أحد الطلاب : إنَّ مذهب الحنفية في المسألة أنَّ من أدرك ركعة من الفجر فقد أدرك، أمَّا من العصر ولو أدرك ركعة فلا !!

فهنا قام شيخنا وقال له : هذا غير صحيح، ويخالف الدليل، ولو كان من أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وما الذي حملك أنْ تقبل الشِّق الأول من الحديث وتترك باقيه، وأبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ القائل : إذا خالف قولي قول رسول الله ﷺ فخذوا بقوله واتركوا قولي .

وهنا كان الشيخ صالح الفرفور رَحِمَهُ ٱللَّهُ خلف الباب يستمع هذا الحوار، ـ وقد كان الشيخ الفرفور رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينتصر للمذهب الحنفي ـ فغضب من شيخنا ولامه على تصرُّفِه! وذلك لأجل التَّقليد والجمود عليه ولا حول ولا قوة إلا بالله .

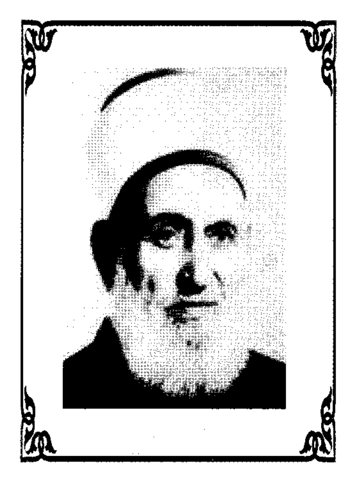
حدَّثني بهذا شيخُنا العلاَّمة إبَّان قراءتي عليه «الجامع الكبير» للإمام الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

وبمثل هذه النظرات العلمية، والشجاعة فيها التي يتحلَّى بها شيخنا أدام الله ظِلَّه لنفع الإسلام والمسلمين، رأى الشيخ صالح الفرفور رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يعتزل شيخنا عن المدرسة والتدريس فيها، من باب تقديم مصلحة كبرى

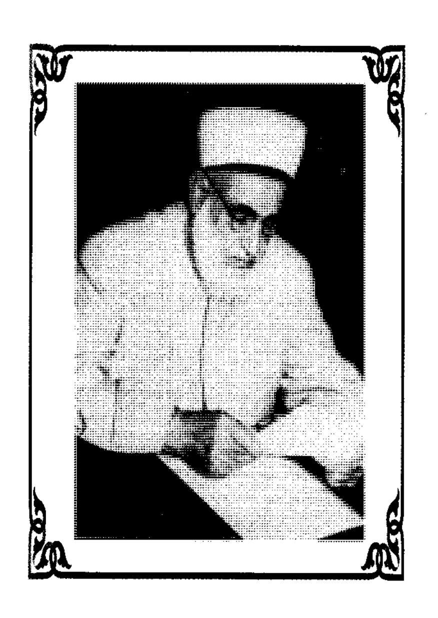
على شخصية!! ومن تلك الأيام فارق شيخُنا معهد الفتح من عام ١٩٥٠م إلى يومنا هذا .

وقد كانت خيرةً له بحمد الله، فقد ساقه الله تعالى إلى عالَم التَّحقيق ونشر تراث أهل العِلْم، وهاهُو اليوم قد أسَّس أَرْسَخَ مدرسةٍ في التَّحقيق ونشر النُّصوص، وصارت هذه المدرسة مَعْلماً ومنارَ هُدى يهتدي بها العلماء وطلبة العلم بحمد الله، ومن ترك شيئاً لله عوَّضه الله خيراً منه .

هذا، وقد استغلَّ موقف خروج شيخنا من «معهد الفتح» بعض الحُسَّاد والمبغضين، ليصطادوا في الماء العَكِر، فلم يُفلحوا بحمد الله، حتى شهد شيخُه الفرفور رَحِمَهُ اللَّهُ على مجمَعٍ من أهل العلم أنَّ ما أمر به شيخَنا من الانتقال عن هذا المعهد، ليس له ما يقدح في عقيدته أو سلوكه أو علمه، ولكن حِفَاظاً على المعهد، حيث كان الشَّيخ لا تأخذه في الله لومة لائم.



الشيخ محمد صالح الفرفور رَحِمَهُ اللَّهُ



٢. الشَّيخ عارف الدُّوَجي رَحِمَهُ اللهُ[١]:

هو الشَّيخ العالم اللُّغويُّ البارع محمَّد عارف بن رشيد بن محمد بن محمد صالح الصَّواف الدُّوَجِي (ت١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م) : علَّامة أديب، فقيه حنفي، زاهد، ومن وُجُوه المجتمع الدِّمَشْقي، تلقَّى من والده عناية خاصة، فعمل في التِّجارة منذ صغره، حفظ القرآن الكريم صَغيراً على شيخ القُرَّاء الشَّيخ محمد سليم الحلواني، **وأخذ عن الشَّيخ محمد بدر الدِّين الحسَني، وكان من خواصِّ تلامذته**، كما أخذ عن الشيخ محمد بن جعفر الكتاني، والشيخ محمد عطا الله الكسم، والشيخ صالح التونسي، والشيخ محمد شريف اليعقوبي.

كان من مُؤسِّسي جمعية العلماء سنة (١٩٣٧م)، ورابطة العلماء، وجريدة الحقائق، ومؤسس ورئيس جمعية الهداية الإسلامية مع صديقه الشيخ محمود ياسين، شارك في تأسيس جمعية العلماء برآسة الشيخ محمد كامل القصاب، كما كان من مؤسِّسي الكلية الشرعية ثم درَّس فيها الفقه والعقيدة، درَّس في المسجد الأموي، عرض عليه الشيخ تاج الدين الحسني أمانة الفتوى فاعتذر، اشتغل بالتجارة ثم تركها في آخر حياته، أخذ عنه عدد من العلماء منهم: الشيخ كامل القصار، والشيخ محمود القصيباتي، والشيخ محمد وحيد العقاد،، والشيخ أبو نادر الجندلي .

وقد كان الشيخ عارف الدوجي رَحِمَهُ اللهُ مُتبحراً في علوم اللغة العربية، ويحفظ كتاب الله تعالى، و«صحيح البخاري»، وكان مُعِيداً في درس الشَّيخ محمد بدر الدين الحسني تحت قُبَّة النَّسر[٢].

---

(١) مستفادٌ باختصار من «موسوعة الأسر الدمشقية» لحفيده الدكتور محمد الصواف (٢/٥٠٧)

(٢) **وقبَّة النسر** : مكان شهير للعلم وللإقراء وتدريس «صحيح البخاري» وغيره، حتى جمع العلَّامة عبد الرزاق بن حسن البيطار رَحِمَهُ اللهُ مصنَّفه الماتع **«نتيجة الفكر فيمن درَّس تحت قبَّة النسر»** وقد اعتنى به وبإخراجه فضيلة الشيخ المحقِّق محمد بن ناصر العجمي رفع الله ذكره وجعل له لسان صدق في الآخرين، فانظرها غير مأمور .

وقد أخذ شيخُنا شعيب عنه في اللُّغة «شُذور الذَّهب» لابن هشام، و«الدُّروس النَّحوية» لطمُّوم وزملائه، و«أسرار البلاغة» للجُرجاني.

ومن عجيب كريم خُلق هذا العالِم أنه كان يأتي لشيخِنا في مَتْجره يومياً مَشْياً من بعد العصر إلى المغرب عدا يوم الجمعة، فيُدرِّسهم، وقد كان مع شيخنا رفيق له يُعرف بأبي نادر الجندلي.

حتى إذا ما اشتدَّ عُوْد شيخنا في علوم العربية، رغب بالاستزادة من الفِقْه وعُلومه، لاسيَّما الفقه الحنفي، فحلَّق في رحاب فقهاء دمشق آنذاك.

وقد كان من مشايخ شيخنا آنذاك أيضاً:

٣. **الشَّيخ نُوح نَجَاتي الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]، فقرأ عليه «مختصر القُدُوري» في الفقه الحنفي، و«الاختيار لتعليل المختار» للموصلي.

وقد قرأ عليه مُدَّة ثلاث سَنوات، وكان يتدَارس معه المسائل العِلْميَّة الشرعية، وقد كان حَنفيّاً مُقلِّداً مع تعصب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٤. **الشَّيخ سُليمان غَاوْجِي الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد قرأ عليه شيخُنا «العوامل»[2] للبَرْكَوي، و«الإظهار»[3] للأطْهَ وي، و«الكافية» لابن الحاجب، و«مراقي الفلاح» للشُّرُنْبُلالي، وغيرها.

---

(١) وهو والد الشَّيخ العلَّامة المحدِّث محمَّد ناصر الدِّين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) **العوامل في النَّحو**: من تأليف تقي الدِّين مُحمَّد بن پير على البَرْكَوي الرُّومِي، تُوفِّي (٩٨١هـ)، من علماء تركيا، وصاحب كتاب: «الطريقة المُحمَّدية». انظر: «هدية العارفين» (٢ / ٢٥٢)

(٣) **والإظهار في النحو**: من تأليف مصطفى بن حَمْزَة بن إبراهيم الحنفي الشهير بالآطَهْ وِى، تلميذ نوح أفندي القُونو، كان حيّاً سنة ١٠٨٥هـ، وكتابه اسمه: «نتائج الأفكار شرح الإظهار». انظر: «هدية العارفين» (٢ / ٤٤١).

وهذه الكتب كانت هي المقرَّرات في العهد العثماني لتَعلُّم العربية، وقد كان والد شيخنا هو الذي أمره أنْ يَدْرُس عنده وينتفع من علمه .

٥. **الشَّيخ أديب الكلَّاس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، تلْمَذ شيخنا عليه في علوم العربية في جامع بني أميَّة في حلقاته، وكذا قرأ عليه «شرح ابن عقيل» .

وكان **الشَّيخ أديب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ من طلاب شيخ شيخنا محمد صالح الفرفور رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان المنهج السَّائد أن يُدرِّس المُتقدِّمُ المتأخِّرَ ما يفوت على الطالب من شرح الشيخ صالح الفرفور رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقد كان من حرص شيخنا على نَهْل العِلْم من شيخه الشيخ أديب أن قرأ عليه في طريق عودته من مسجد بني أمية إلى مسجد القَيْمرِيَّة إلى بيته، دام على ذلك شهوراً كثيرة .

وسببُ ذلك : أنَّ والد شيخنا كان حريصاً جدَّاً على ولده أنْ لا يتأخَّر بعد العشاء فما كان من شيخنا نفعنا الله بعلمه إلَّا أنْ يجمع بين الشَّيخين، الشيخ الذي فرَضه عليه والدُه، وبين الشيخ الذي اختاره وارتضاه، ثمَّ بعد مدَّة دامت أشهراً على هذا الحال، أقنع شيخُنا والده بأنْ يتأخَّر بعد العشاء كي يُحصِّل مزيداً من العلوم والطلب، فسمح له بعد أن ذهب وشاهد عند مَنْ يَدرُس، وكيف يدرس، فعَلِم أنهم مِن خِيْرة أهل العِلْم والفَضْل، فانطلق شيخُنا في الانكباب على العلم والاستزادة منه، وبعد بُرْهة من الزَّمن أخذ شيخنا غرفة في جامع القيمرية ينام فيها كي لا ينقطع عن العلم ووَلعِه به، ولا يعود لأهله إلَّا يوم الجمعة من أجل أن يرى ويجالس أمَّه رحمها الله، فرزقه الله من صُنوف العِلْم ماشاء الله أنْ يرزقه، وفتح عليه من كريم فضله، وكبير علمه، وهذا مِن مِصدَاق القولة النَّافعة المُحرِّكة للهِمَم :

العِلْم لايُعطيك بعضَه حتَّى تُعطيه كُلَّك !

وما أحسن قول القائل :

احرِصْ على كُلِّ عِلْم تَبلُغ الأَملا ولا تُواصِـل لعِلْـمٍ وَاحِـدٍ كـسَلا
النَّحلُ لمَّا رَعَتْ مِن كلِّ فَاكِهةٍ أَبْدَتْ لنا الجَوهَرِيْنِ الشَّمعَ والعَسَلا
الشَّمعُ باللَّيل نُورٌ يُستضاءُ بهِ والشَّهدُ يُبرِئُ بإذنِ البارِئ العِلَلا (١)

ومِن غَرائب ما حصَل مع شَيخِنا والشَّيخ أديب الكلاس رَحِمَهُ الله ما حدَّثني به شيخنا في مدينة سِيْواس في الرِّحلة العلمية إلى تركيا، يقول :

كنتُ ذات مرَّة أقرأ أنا والشيخ أديب حاشية الطحطاوي على «مراقي الفلاح» فلما وصلنا عند مسألة قيام الليل هل هي بثمان ركعات أو بعشرين، رجَّح شيخنا العشرين، واستدل عليها بأدلته، فإذا بالشيخ أديب رَحِمَهُ الله يقول لشيخنا : والله يا شعيب، أخاف أن تخرج عن دائرة التقليد !!

فكان شيخُنا حفظه الله يعجب من هذا التفكير، كيف هو، ولذا فإني كثيراً ما أسمع شيخنا يعيب على أهل التقليد تقليدهم لاسِيَّما إنْ كانوا من طبقة عِلْميَّة عالية.

إضاءة :

هؤلاء أشهرُ مَشايخ شَيخِنا الذين لازَمهُم وقرأ عليهم، ونَهَلَ مِن مَعِين عِلْمهم، وتعلَّم مِن هَدْيهم وخُلقهم، كلٌّ بحسب فَنِّه وعِلْمه، وقد كان شيخنا حفظه الله يتردَّد كما هو مشهور في وقته على دروس العِلْم في الجامع الأموي، وقد كانت تُعقد فيه الدُّروس في كافة الفُنون والعُلوم، ولكن الآفة في تلكم الحِقْبة، أنَّه لـم يكن يُسمح لطالب العِلْم أنْ يَتلقَّى العلم عن غَير

(١) «دُرَّة الحِجال في غرة أسماء الرجال» للمكناسي (٣/ ٤٩)

شَيخِه المُقرَّر له! ويَنتقدُون من يُقدِم عليه، ورُبَّما يناله شَيءٌ مِن الحِرْمان أو العقاب!

ومع ذلك كلِّه فقد كان شيخُنا يحضر غالب هذه المجالس، وينتفع من بعضها، مع أنه كان يُخالِف بعض أصحابها في المنهج، والرَّأي العلمي، ولا يرتضي طريقتهم، فما هو إلا كالنَّحلة يصطاد النَّافع، ويترك ما سواه.

وهُنا يَتحتَّم عليَّ أنْ أُنبِّه لأمر مُهمٍّ جدًّا، نُصْحاً لدين الله، ودفاعاً عن شيخنا، بما هو حَقٌّ، فقد سُئل الشَّيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في إحدى لقاءاته المسجَّلة القديمة عن الحبشي الهرري[1]، فحكى مِن أمره وأنه قابله، ومن باب المحاورة العلمية، ثم تطرَّق لِذِكْر الشَّيخين شعيب وعبد القادر الأرنؤوط رَحِمَهُ اللَّهُ، وكان مما قال : «إنَّ الشَّيخ شُعيباً الظاهر أنَّه شاد ظهره بالحبشي» هكذا قاله الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ .

وللأسف سارع كثيرٌ من رُعاع طلبة العلم، وممن قلَّ فِقْهُه ودِيْنه ووَرَعه، بنقل هذا القول هكذا، وكأنَّ الأمر طالما صدر من الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فهو قول لا يُناقَش ولا يُعارَض و و !

وهذا غير صحيح، وليس هو من العلم في شيء، وقد أساء من نَسب الشَّيخين للحبشي، وهاك توضيح الأمر :

هذا القول قد صدَر قديماً جداً إبَّان وجود الشَّيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في دمشق، وقبل أنْ يستقرَّ في الأردن، ولتعرف تاريخه تأمَّل :

قَدِم الحبشي من بيت المقدس إلى دمشق في مطلع الخمسينيَّات (١٩٥٠م) فتنقَّل بين مُدنها وقُراها، وكان يُظهر شيئاً من العناية بالحديث، وفي تلك

---

(١) انظر في شأن هذا الرجل و فرقته الضالة ما سطَّره الدكتور سعد الشهراني في أطروحته النافعة : «**فرقة الأحباش : نشأتها، عقائدها، آثارها**» عن دار عالم الفوائد.

الفترة كان الإقبال على العلم في مرحلة جيِّدة، فكان ممن أقبل على الحبشي للقراءة عليه والاستفادة منه الشَّيخان : عبد القادر وشعيب الأرنؤوط، فأخذا عليه : «الأربعون العجلونية» و«تيسير الوصول» لابن الدَّيبع الشيباني لاغير، وقد أجازهما في الحديث، ولكن سُرعان ما بان أمره، ومخالفته لمنهج أهل السنة والجماعة، فما كان من الشيخين إلا التَّبرُّء منه، وتمزيق هذه الإجازة، وهجَرَاه لمخالفاته الشرعية[(١)]، هذا ما حدَّثني به شيخنا، ولم يَدُم هذا إلَّا أياماً قليلة، بقدر قراءة تلكم المصنَّفات، ثم كانت التبرئة من الحبشي، وعليه فيكون تقدير هذا القول قد وقع فيما يزيد على ستين عاماً !!

ويُصدِّق هذا، أنَّ أهل العلم في الشام في تلك الفترة، والذين أثنوا على الحبشي كثُر ـ وفق النشرة المعدَّة من أتباعه ـ لا تجد ذِكْراً بينهم بحمد الله للشيخين الأرنؤوطيين[(٢)].

ثم بعد ذلك في نفس العام (١٩٥٠م) انتقل الحبشي إلى بيروت، وإذا علمتَ أنَّ الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ قد انتقل إلى الأردن واستقرَّ بها في أول رمضان من عام ١٤٠٠هـ، أي قبل ما يزيد على ثلاثين عاماً، **فإنه لا يجوز لأحد أن ينسب شيخنا شعيب إلى الحبشي الذي تبرَّأ منه ومن إجازته هو ورفيقه الشيخ عبد القادر الأرنؤوط** رَحِمَهُ اللَّهُ **حين عَلِمَا منه المخالفة لمنهج أهل السُّنة والجماعة، قبل ما يزيد على سِتِّين عاماً،** لأجل قولة قالها الشيخ

---

(١) ويعضُد هذا القول أيضاً: ما كتبه الأستاذ محمود عبد القادر الأرنؤوط في كتابه عن والده (٤٠) .

(٢) انظر : «فرقة الأحباش» للشهراني (١/ ٣١) وهو ينقل من نشرة في ترجمة الحبشي من إعداد أتباعه، ولو كان ثمَّة ثناء لسارعوا لذكره، لاسيما والشيخان أشهر من كثير ممن ذكروهم، فليتأمل.

الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد علمتَ بطلانها، لاسيما وأنَّ تلك الفترة كان المشايخ الثلاثة ـ الألباني وعبدالقادر رحمهما الله، وشعيب حفظه الله ـ في مرحلة الأقران وإنْ تباعدت أسنانهم، ومن حقِّ هذه الأمر أن يُطوى ولا يُرْوى، على منهج أهل الحديث في الحكم على رجال الحديث، ولا يُوجب هذا طعناً على القائل ولا على المَقُول فيه، ومن هذا الباب ذاته تَرك أهلُ العلم قولَ رَبيعة بن أبي عبدالرحمن في أبي الزِّناد عبد الله بن ذكوان، ولا كلام النَّسائي في أحمد بن صالح، ولا كلام الثَّوري في أبي حنيفة، ولا كلام ابن أبي ذئب في الإمام مالك، وكَوائن هؤلاء الإئمة معروفة مشهورة، فهكذا المنهج، **فاعْقِلْ هذا تُفلِح.**

فبعد هذا البيان، لِيَتَّق الله أولئك الأُغَيْلِمة الذين يَنْسِبون الشيخين إلى الحبشي، فعارٌ ـ بعد ذلك ـ أنْ يطعنوا في أهل العلم الكبار، وينسبوا لهم أموراً هم منها بَراء .

وما أحسن فِقْه الإمام ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين علَّق على باب **حكم قول العلماء بعضهم في بعض**، فقال :

«هذا باب قد غَلِط فيه كثيرٌ من الناس، وضلَّت به نابتة جاهلة لا تدري ما عليها في ذلك.

والصحيح في هذا الباب: أنَّ من صحَّت عدالته، وثبتت في العلم أمانته، وبانت ثقته وعنايته بالعلم، لم يُلتفت فيه إلى قول أحد إلَّا أن يأتي في جَرْحته ببيِّنة عادلة، تصحُّ بها جرحته على طريق الشهادات والعمل فيها من المشاهدة والمعاينة لذلك بما يوجب تصديقه فيما قاله؛ لبراءته من الغِلِّ

والحسد والعداوة والمنافسة، وسلامته من ذلك كلِّه، فذلك كلُّه يُوجب قبول قوله من جهة الفِقْه والنَّظر.

وأمَّا من لم تَثبت إمامته، ولا عُرفت عدالته، ولا صحَّت لعدم الحفظ والإتقان روايته، فإنه يُنظر فيه إلى ما اتَّفق أهل العلم عليه، ويُجتهد في قبول ما جاء به على حسب ما يُؤدي النَّظر إليه، والدَّليل على أنه لا يقبل فيمن اتخذه جمهور من جماهير المسلمين إماماً في الدِّين قول أحد من الطاعنين أنَّ السَّلف رضوان الله عليهم قد سبق من بعضهم في بعض كلامٌ كثير في حال الغضب، ومنه ما حَمل عليه الحسد، كما قال ابن عبَّاس، ومالك بن دينار، وأبو حازم، ومنه على جَهة التَّأويل مما لا يَلزم القول فيه ما قاله القائل فيه، وقد حَمل بعضُهم على بعض بالسَّيف تأويلاً واجتهاداً لا يلزم تقليدهم في شيء منه دُون برهان ولا حُجَّة تُوجبه، ونحن نُورد في هذا الباب من قول الأئمة الجِلَّة الثقات السادة بعضهم في بعض، مما لا يَجب أن يُلتفت فيهم إليه، ولا يعرَّج عليه ما يُوضِّح لك صحَّة ما ذكرنا، والله بالتوفيق»[1]

اللَّهُمَّ قد بلَّغت، اللَّهُمَّ فاشهد .

❑ ❑ ❑

---

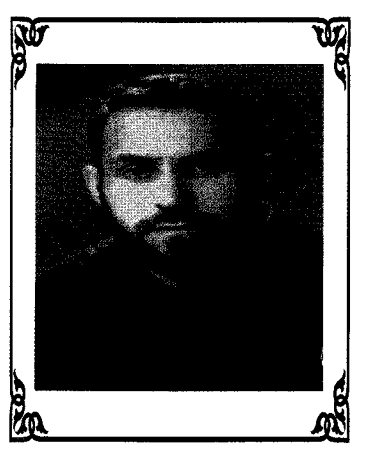
(١) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١٠٩٣)

❑ ذُريَّةُ الشَّيخ :

تزوَّج شيخُنا أدام الله ظِلَّه، وكان قد بلغ من العمر سبعة وعشرين عاماً، وقد رزقه اللهُ تعالى أربعة من الذُّكُور وهُم : أسامة، وعبد العزيز، وعبدالرحمن، وذَكْوان .

و ستَّاً من البنات، صانهنَّ الله وجعلهنَّ من الصَّالحات .

وللشَّيخ ما يزيد على خمسين حفيداً، حفظهم اللهُ تعالى ونفع بهم الإسلام والمسلمين .



❑ زَوجُ الشَّيخ :

لقد تزوَّج شيخنا بزوجة صالحة، وعاشت أمُّ أسامة رحمها الله مع شيخنا مدَّة طويلة، وقد كانت امرأة تقيَّة طيِّبة، عاشت معه هذه الحياة المليئة بصَوارف العَالِم عن أهله، فصبرَتْ واحتسبت ذلك عند ربِّها؛ لِيقينها بأهميَّة العِلْم، وعِظَم حاجة النَّاس للعالِم .

لقد أصابها المرض في أُخريَات حياتها، فصبرت واحتسبت ذلك، وقد جاء ذلك اليوم الذي سَيذوقُه كلُّ مَنْ هو على وجه المَعمُورة، فتُوفِّيت أمُّ

أسامة رحمة الله عليها بدائها، فاحتَسبها شيخُنا عند اللهِ تعالى شَهيدة بمصداق قول النَّبيِّ ﷺ: «والمبطون شَهِيدٌ»[1]، وقد تُوفِّيت أم أسامة في عام (١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٩م) رحمها الله رحمة واسعة، وأنزل على قبرها سحائب الرَّحمات.

ومما حدَّثني شيخُنا عنها، قال:

كانت في السَّنوات السَّبع الأخيرة من حياتها، وبداية إصابتها بداء الفشل الكلوي، تَستمع يوميّاً بما يَقرُب من عشرة أجزاء من القرآن الكريم، حتَّى حفظت القرآن كلَّه من هذا التكرار[2]، وقد كنتُ أُعطِيها الكلمة من الآية، فسرعان ما تأتي بها في موضعها كاملة، ومن أي سورة، وقد بلغت من العمر (٦٨) عاماً.

وكانت رحمها الله، تقوم بخِدْمتي خِدْمة كاملةً، وتحتسبُ ذلك عند ربِّها، مع عنايتها الفائقة بأولادها، وقد كانت تتحمَّل أعمالاً مُرهِقة في سبيل

---

(١) أخرجه أبو داود في «السنن» (٣١١١)، والنسائي في «المجتبى» (١٨٤٦) من حديث جابر بن عتيك رضي الله عنه، وهو صحيح.

(٢) وحسبُك بأهمية التكرار المعين على الحفظ، ما كان من جبل الحفظ الإمام البخاري رحمه الله، يقول ورَّاقه محمد بن أبي حاتم: بلغني أنَّ أبا عبد الله شرب البَلاذُر للحفظ، فقلتُ له: وهل من دواءٍ يشربه الرجل للحفظ؟ فقال: لا أعلم، ثم أقبل عليَّ وقال: **لا أعلم شيئاً أنفعَ للحفظ** من **نَهْمة الرجل، ومداومة النَّظَر**، وذلك أني كنتُ بنَيسابور مقيماً، فكان يَرِدُ إليَّ من بُخارى كُتبٌ، وكُنَّ قراباتٌ لي يُقرئن سلامهنَّ في الكتب، فكنتُ أكتب إلى بُخارَى، وأردتُ أن أقرئهنَّ سلامي، فذهب عليَّ أساميهنَّ حتى كتبتُ كتابي ولم أقرئهنَّ سلامي، وما أقلَّ ما يذهب عني من العلم.
قال الحافظ الذهبي رحمه الله: يعني: ما أقلَّ ما يذهب عنه من العلم لمداومة النَّظر والاشتغال، وهذه قراباته نَسِيَ أسماءهنَّ، وغالب الناس بخلاف ذلك، فتراهم يحفظون أسماء أقاربهم ومعارفهم، ولا يحفظون إلَّا اليسير من العلم.

إرضاء زوجها، وعنايتها ببيتها، وما كانت تنزعج البتَّة من ضيوف طُلَّاب العلم، وهذا يتكرَّر كثيراً عند مَنْ يَرزُقه الله العِلْم، فقد كانت تقوم بخِدْمتهم وإعداد الضِّيافة لهم دُونما كَللٍ أو تَضجُّر، فالله سبحانه يجزيها خير الجزاء، وأنْ يُحسن لها نظير خُلقِها، وخِدْمتها لزوجها، ولأهل العلم.

فرحمها الله رحمة واسعة وأسكنها فسيح جناته .

وهذه **فائدةٌ عظيمةٌ** لنساء أهل العِلْم، أنْ يحتسبنَ الله في أعمال من رُزِق العلم من أهلهنَّ وذويهنَّ، وانشغالاتهم في خدمة دينهم .

وكما أنَّ أهل العالِم مُطالَبين باحتساب ذلك، وتوفير الوقت لهم للبحث والمطالعة والكتابة، إلَّا أنَّ هذا لا يَنجرُّ إلى تضييع حُقوقِهنَّ، وخدمتهنَّ والعناية بشأنهنَّ، فهذا هو الهدي النَّبوي، فإنَّ نَبيَّنا ﷺ كان يقود الأمَّة، ويُعلِّم صحابته الكرام، ويقوم بالجهاد، وسائر أعمال الدِّين، وكان من أحفظ الخَلْق لحقوق النِّساء، وتعليمهنَّ، وخدمة أهله، فليتَ أهل العلم يَعُون مثل هذه المسائل .

❑ تلامذتُه:

أمَّا تلامذة الشَّيخ فحدِّث ولاحرج، وقليلٌ جداً أنْ تجد قُطْراً من أقطار المسلمين يخلو مِن تلامذة الشَّيخ رجالاً ونساءً، فقد كان للشيخ تلاميذ إبَّان وجوده في معهد الفتح الإسلامي من تركيا وبلاد الشام وغيرهم، ثم تنقَّل بين المساجد والمدارس والمعاهد، فدَرَس عليه أُممٌ من طلبة العلم، حتى التحق بصَنْعة التَّحقيق، فأقبل عليه أهل العلم الكبار والصغار، والأساتذة والطلاب، فغدا اليوم كثيرٌ ممن نَهل مِن مَعِين عِلْمه من كبار أساتذة الجامعات، ومُفتِين في بلادهم التي جاؤوا منها، وغيرهم كثير كثير، وهذا

في الحقيقة يَصعُب على العادِّ حصرهم، لكن من أشهر تلامذته تلكم الأسماء التي تكون بجوار اسم شيخنا على طُرَّة تحقيقاته وإشرافه لكتب التراث الإسلامي، وهم العاملون معه، وتحت إشرافه، صَنَعهم على عَيْنه، وغذَّاهم من عِلْمه وفضله ونُبْلِه، **فعرفَ ذلك الكريم ولو كان بعيداً، وتطاول وأنكر ذلك اللَّئيم ولو كان قريباً قديماً**، وحُقَّ لتلك القولة أن تكون من جوامع الكلم : كم مِنْ محروم، وكم مِن مُوفَّق !

ثُمَّ بعد ذلك كُلِّه تمكَّن كثيرٌ من طلبة العلم من خارج الأردن أنْ يتَّلمذوا على شَيْخنا إمَّا من خلال الوسائل الحديثة، أو حين المجيء، أو عبر اللقاءات العلمية، أو الأسئلة التي تُعرض عليه فيُجيب عليها، وهذا من فضل الله تعالى على شيخنا، أن ينتشر علمه وخَبَرُه، وكثير من هؤلاء - على بعدهم - يَعرفون فَضْل الشَّيخ، وقليلٌ منهم - على قُربهم - من هو دُون دون ذلك، **فما أحظى الوفيّ بشيخه، وما أبعد العتيّ عن شيخه.**

❑ ❑ ❑

❑ بِدايةُ التَّوجُّه نَحْو الحدِيث النَّبويِّ الشَّريف :

يقول الشُّمُنِّي رَحِمَهُ اللَّهُ[١]:

جزى اللهُ أَصْحَابَ الحَدِيثِ مثوبةً	وبَـوَّأهم فِي الـخُلْدِ أَعلَى المنَـازِلِ
فلولا اعتِناهُم بِالحدِيثِ وَحِفْظهِ	ونَفـيِهِم عَنــهُ ضُرُوبَ الأباطِــلِ
وَإنفــاقُهُم أَعمارَهُــم فِي طِلابــه	وبَحــثِهِم عَنــهُ بجِــدٍّ مُواصِــلِ
لَـما كَـانَ يَـدْرِي مَـنْ غَـدا مُتفقِّهـاً	صَحِيحَ حَدِيثٍ مِنْ سَقيمٍ وبَاطِلِ
وَلَـمْ يَستَبِنْ ما كَانَ فِي الذِّكْر مُجمَلاً	ولَـمْ نَدْرِ فَرْضاً مِنْ عُمُومِ النَّوَافِلِ
لَقَــدْ بَــذلُوا فِيــهِ نُفوسَــاً نَفِيسةً	وبَـاعُوا بِحَـظٍّ آجِـلٍ كُـلَّ عَاجِـلِ
فحُبُّهُم فَـرضٌ على كُـلِّ مُسـلِم	ولَيْسَ يُعادِيهم سِوَى كلُّ جَاهِلِ

من عَجِيب أَمر عِلْم الحديث أَنْ لا يُقبل عليه ـ غالباً ـ إِلَّا الذُّكور، ويَقولُون القَوْلة المشهُورة عن الإمام الزُّهري رَحِمَهُ اللَّهُ: لا يَطلبُ الحديثَ مِن الرِّجال إِلَّا ذُكْرَانُها، ولا يَزهدُ فيه إِلَّا إناثُها[٢] .

ويُريدُون بهذا : لأنَّ فيه سفَراً ورِحْلة في سَماعِه وعَنَتاً كبيراً، والمرأةُ لا طاقة لها على ذلك غَالِباً؛ ولذا مَن مَهَر مِن الشَّيخات المُسنِدَات فهُنَّ ممَّن رُزِقنَ العِلْم عن آبائهنَّ أو أرْحَامِهنَّ، أو ممن هُم في بلدهنَّ وقريب مِنْهنَّ، وهذا على الغالب في القديم، وأمَّا اليوم فازدهار العِلْم وانتشاره وتَوسُّع طرائق أَخْذِه ونَيْلِه كثيرة ولله الحمد، وهذا من نعمة الله علينا وفضله، بَيْد أنَّ مِن الأدقِّ أنْ يُقال : **إنَّ العِلْمَ خيرٌ، ولا يناله إلا الخيِّرون من الرِّجال والنِّساء** .

---

(١) في «الضوء اللامع » للسخاوي (٩/ ١٥٧)

(٢) انظر : «الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع» للقاضي عياض (٤٥) .

وقد أخرج الشيخان في «صحيحهما» من حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : «مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»[١]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : « فكلُّ من أراد الله به خيراً فلا بُدَّ أن يفقهه في الدِّين، فمن لم يفقهه في الدِّين لم يرد به خيراً، وليس كل من فقهه في الدين قد أراد به خيراً، **بل لا بُدَّ مع الفقه في الدِّين من العمل به،** فالفقه في الدين شرطٌ في حصول الفلاح، فلا بد من معرفة الربِّ تعالى، ولا بُدَّ مع معرفته من عبادته، والنَّعيم واللَّذة حاصلٌ بذلك»[٢]

لقد عاش شيخُنا في ظلال العربيَّة والفِقْه سَنواتٍ طويلة، وبعد أنْ نَبغ فيها ومَهَر، هيَّأ الله له للعناية بالحديث وطلبه سبباً، فحدَّثني شيخنا عن قصة البداية في الحديث، فيقول :

آتاني آتٍ من طلبة علم الآداب في جامعة دمشق، وسألني عن حديث، فلم أعرفْهُ، وبقيتُ أُفتِّش عنه ثلاثة أيَّام بليَالِيهنَّ، وفي اليوم الثالث في المسجد الأموي رأيت مع أحد الطلبة كتاباً، فأخذته لأنظر فيه ـ ولم يكن همِّي الحديث ـ فما أنْ بدأت في تصفُّحه، وإذا بي أقع على الحديث الذي سُئلْت عنه وبقيتُ أياماً في البحث دون جَدْوى، فعَجِبتُ من هذه المُوافقةِ، وكان هذا الحديث في كتاب «الأربعون الوَدْعانية الموضوعة» للقاضي ابن وَدْعان الموصلي .

فعدتُ لنفسي أقول : شعيب ؟

حديث رسول الله ﷺ تُسْأل عنه ولا تَعرف أنْ تَجدَه !

---

(١) البخاري (٧١)و مسلم (٢٣٨٩) .

(٢) «الصفدية» (٢/ ٢٦٦) وانظر : «مجموع الفتاوي» (٢٠/ ٢١٢)

فأثَّر فيَّ ذلك كثيراً، وبعدها بدأت بالتوجُّه إلى علم الحديث والإقبال عليه، **فكنتُ أسألُ اللهَ تعالى أن يجعلني في زُمْرة المُحدِّثين.**

ومن حينها ترك شيخُنا التَّدريس من معهد الفتح الإسلامي و المعهد العربي، وتوجَّه للعِنَاية بالحديث وبالتَّحقيق، فشَغَلَ غالبَ وقته في دراسة مصطلح الحديث، إبَّان وجوده في المكتبة الظاهرية، وتردده عليها، وكان يلتقي فيها بعض أهل العلم.

وقد حدَّثني شيخنا حفظه الله فقال: بعد أنْ ألْمَمتُ بالدِّراسة النظرية لعلم مصطلح الحديث، بدأتُ أدرس كلَّ يوم خمسة أحاديث من «الجامع الكبير» للترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وذهبتُ لبعض أهل العلم، أعرض عليه أن يراجع لي عملي في كلِّ يوم خمسة أحاديث، حتَّى يَنظر في عَملي وتَطبِيقي، ولكن للأسف اعتذر عن ذلك.

وحينها بدأتُ أَعرِض عملي على عمل أهل العِلْم الكبار، وأقارنُ عَملي وما توصَّلت إليه مِن نتائج مِن الحُكْم على الحديث، ومن حيث الدِّراسة والصِّناعة الحديثية، بعمل أهل العِلْم السَّابقين، وشيئاً فشيئاً حتى مكنَّني الله من هذا الفنِّ، ورزقني الله تعالى منه عِلماً جمَّاً .

ثمَّ انتقل شيخنا حفظه الله للعمل في **المكتب الإسلامي** الذي يملكه الشيخ زهير الشاويش، وعمل مديراً في مكتبه، يشرف على أعمال التَّحقيق وما يصدر عن المكتب، وكان مع شيخنا في تلك الفترة كلٌّ من الشَّيخ محمد ناصر الدِّين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكذا الشيخ عبد القادر الأرنؤوط رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وبدأ شيخنا في ممارسة التَّحقيق، فكان أولُّ كتاب بتحقيق شيخنا «**مسند أبي بكر الصديق**» للمروزي، وكانت له قصة، سيأتيك خبرها في «ثَبَتِ التحقيقات» إن شاء الله .

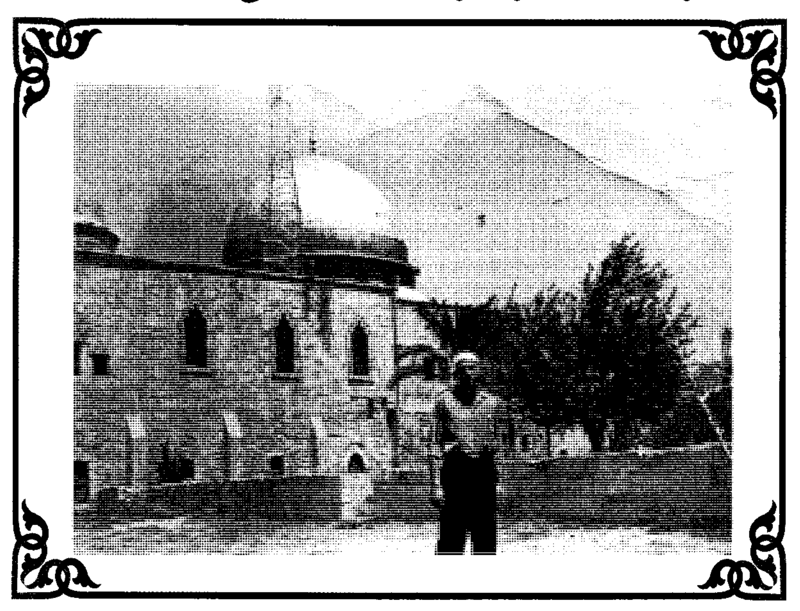
ثم توالت التَّحقيقات العِلْمية لشيخنا حفظه الله، سواء بمفرده أو بالاشتراك مع الشَّيخ عبد القادر الأرنؤوط رَحِمَهُ الله .

❑ زيارتُه لِفلسطِينَ والمسجدِ الأقصَى :

وفي إبَّان وجود شيخنا في بيروت، وبعد الانتهاء من العمل في المكتب الإسلامي، وقبل مجيئه إلى الأردن، رغب شيخنا حفظه الله أن يزور فلسطين الحبيبة، ويصلي في المسجد الأقصى، فرحل إلى بيت المقدس في عام **١٩٦٧**م، وبقي فيها سبعة أيام.

وقد التقى فيها آنذاك بالأستاذ عبد الغني الطنطاوي، وسعيد الطنطاوي، وهما شقيقان للشَّيخ العلَّامة الأديب علي الطنطاوي رحم الله الجميع.

وهذه صُورة شيخنا وهو بجوار المسجد الأقصى أعاده الله للمسلمين :



وهذه صورة لشيخنا في زيارته لفلسطين الحبيبة في عام ١٩٦٧م :



❑ ❑ ❑

❑ حياةُ الشَّيخ في الأُرْدُن (عمَّان):

ثم قَدِم شيخنا حفظه الله إلى عمَّان الأردن في مُستهَلِّ عام ١٩٨٢م، جاء لِيَرْأسَ مكتب التَّحقيق في **مؤسسة الرِّسالة**، وليكوِّن نواةً عِلميَّة أخرى على غِرَار ما أنشأه في دمشق، وليتخرَّج به طلبة للعلم، يُشار لهم بالبنان في أعمالهم العِلْميَّة وقدراتهم الأصيلة في باب العلم والتَّحقيق وخدمة التراث العلمي.

بدأ شَيخُنا في تكوين النَّواة الأولى لهذا الصَّرح الشَّامخ، فبدأ بالعناية بالكتب والمراجع الأصيلة المُعِينة على التَّحقيق، فكان يذهب لشراء هذه الكتب والمراجع والمصادر العِلْمية على اختلاف فُنونها وعلومها، حتَّى تكون نَواةً أولى لمدرسة التَّحقِيق.

ثم بدأ باستقطاب الطلبة النَّابهين وطلَّاب العلم الرَّاغبين في الترقِّي والصُّعُود في ميادين العلوم المختلفة، فغَدا مكتب شيخنا كعبةً لمطاف طالبي العلم، الرَّاغبين في الاستزادة من مدرسة التحقيق الأصيلة، فتفرَّس فيمن عَلَّمهُم وأدَّبهم على الطريق الصحيح، فانتقى بضعة منهم؛ للمكوث معه، والتعاون على العلم وطلبه ومدارسته، ومن لا يَصلُح ـ لأسباب غير مَرضيَّة ديانةً ـ كان سبيله الخروج من هذه المدرسة العِلميَّة.

ثم بيَّن للعاملين معه، سُبل العِلْم الصَّحيح، ومنهج التَّحقيق الرَّجيح، وأخذ بيدهم شيئاً فشيئاً، حتى تكَّونت عندهم المَلَكَة العلمية المتقنة، والتي تُخوِّلهم أن ينفردوا بأعمال علمية تكون على أمثل مناهج التحقيق ونشر التراث، ثُمَّ هم متفاوتون في ذلك، وكلٌّ يجود بما عنده.



شيخنا وهو في مكتب التحقيق في مؤسسة الرسالة بعمّان

وقد أكرم الله تعالى شيخنا العلامة أنْ أبصرَ بعينيه في حياته جملة من أمّات الكتب النَّافعة والأصيلة من تراث أمتنا الخالد، التي حققها شيخنا بمفرده، أو بمعاونه تلامذته العاملين معه.

❑ ❑ ❑

❑ مذهبُه الفقهي و العَقَدي :

أمَّا المـذهب الفقهي، فشيخنا في الجملة على مذهب الأحناف إلَّا ما خالف الدليل، فمذهبه حينئذٍ ما صح به الحديث لا غير.

إذ لا ينبغي لمن بلغ مثل هذه الرُّتبة العلمية الجمود على المذهب، ويعظم البلاء إن كان الحديث صحيحاً صريحاً، بيد أن هذا الحديث لم يبلغ أصحاب المذهب وأتباعه.

وأما في الاعتقاد : فاعلم أولاً أنَّ العقيدَة الصَّحيحة المُستمدَّة من كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ هي مِن أعزِّ ما يَملِكُه المسلم، بل وأغلى ما يَفخرُ به، وباب الاعتِقَاد بابٌ عظيمٌ كبير، وفي الوقت ذَاتِه بابٌ خطير، ذلكم أنَّ المرء إنْ طُعِن في عَقيدتِه؛ كان ذلك مَدْعاةً لتجنُّب كثيرٍ مِن خَيرِه، ولا أقولُ برَفْضِه وتَرْكِه جملة وتَفصِيلاً؛ فإنَّ هذا مَذهبُ مَن لم يَعرف الإنصافُ إلى قلبِه طَريقاً .

وإنَّ هذا المِيزَان الذي قُلْته لَيقُوم لَعمْر الحقِّ على الميزان الذي نَصَبه ربُّ الخلائق بقَولِه :

﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝٨ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ (المائدة: ٧ - ٩)

فذا تَذكِيرٌ من ربِّ العِزَّة سُبحانَه أنْ يَتذكَّر المرءُ ما مَنَّ اللهُ به عليه مِن النِّعَم، وإنَّ مِن أَسْمَى النِّعَم أنْ يُرزَق العَقيدةَ الصَّافية، والطَّريقة المحمُودة،

التي عاشها صَحابةُ رسولِ الله ﷺ رضوان الله عليهم، وكذا التَّابعون لهم بإحسان إلى يوم الدِّين .

ثمَّ ختم رَبُّنا تَذكِيرَه بوصِيَّته ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾؛ لِيؤكِّد عليهم الامتِثَال والطَّاعة إذْ سَمعُوه؛ لأنَّه العالِمُ المُطَّلع على ما يَحيك في صُدورِهم.

ثمَّ أكرمَهم وناداهم بوصْفِهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ لِيكُون الإيمانُ قائدَهم ومَنهجَهُم في شَهادتِهم بالقِسْط، وعَاصِماً لهم عن القِسْطِ .

بِميزَانِ قِسْطٍ لا يَغُلُّ شَعِيرَةً لَهُ شَاهِدٌ مِنْ نَفْسِهِ غَيْرُ عَائِلِ

فالعَدْلُ هو الميزَان، والإنصافُ دَعوةٌ من الرَّحمن، والإجحافُ يُحاسِب به الدَّيان، ويومها يُكرم المرء أو يُهان، ورحم الله الإمام الذهبيَّ حين قال : « وإنما الكلام في العلماء مُفتَقِرٌ إلى وَزْنٍ بالعَدْل والوَرَع»[(١)]

وأخيراً : أَنْعِم بِنَظرك وتَدبُّرك - يا مَن منَّ الله عليه - مُناسبةَ خَتْم الآيات بقوله : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ فَلئن آمنُوا وعملوا الصَّالحاتِ، فأيُّ شيءٍ هي التي رتَّب المولى تبارك وتعالى المغفِرَة عليها وليس ثمَّة ذِكْر لها ؟

إنْ تأمَّلتَ فستُدْرِكْ، أنَّ الآية آخِذةٌ بيَدِك إلى برِّ الآمان؛ لتَغرِسَ في قَلْبك أنَّ ما مِنْ أحدٍ مَعصُوم، ولكنَّ الخطيئات تُغْمر في بَحر الحسنَات، فكيف إنْ كانَ مِن أربَاب العِلْم والاجتِهَادات، وقد قال نَبيُّك ﷺ : «إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ » [(٢)]

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤٤٨)

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٧٣٥٢) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

وأحقُّ مَن يدخُل في هذا الباب الواسِع مَن لم يَرَ أو يَختار أو يَتكلَّم عن هَوى وعَمْدٍ، بل غايةُ أمرِه أنَّه رام إجلالَ اللهِ وتَنْزيهَه، لاسِيَّما وقد رَأى أنَّ بعضَ أهلِ العِلْم ممَّن لهم قَدمٌ راسِخةٌ، قد سَلكُوا ذاتَ المسْلَك، فحَسْبُه أنْ يُعلَّق الأمرُ على نِيَّتِهِ، **لاسِيَّما الأموات منهم مع الدَّعوة الصالحة أنْ يَتجاوَزَ اللهُ عنهم**، ثم السُّلوك في الطَّريقَةِ المحمُودة، ويَشتدُّ الأمر إنْ كانَ هذا العَالِم مِمَّن كانت لهم أعمال صالحة كثيرة، وأيادي بيضاءُ في العِلْم والفَضْل، فالأمر فيهم كما في غيره دائرٌ بين الإحسان والإساءة، والأجر والأجرين، وبالإنصاف لا الإجحاف، ومن ذا الذي ما سَاء قطُّ، ومن له العُتبى فقط ؟

وما أحسن كلام شيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في ذا الباب إذ يقول:

«**وأمَّا موقفنا مِن العلماء المُؤوِّلين** فنقول: مَن عُرف مِنْهم بحُسْن النية وكان لهم قَدَم صدق في الدِّين، واتِّباع السُّنة فهو مَعذور بتأويله السَّائغ، **ولكن عُذْره في ذلك لا يمنع من تخطئةِ طريقته المخالفة لِمَا كان عليه السَلف الصالح من إجراء النُّصوص على ظاهرها، واعتقاد ما دلَّ عليه ذلك الظاهر من غير تكييف، ولا تمثيل، فإنَّه يجب التفريق بين حُكْم القول وقائله، والفِعْل وفاعله، فالقولُ الخطأ إذا كان صادراً عن اجتهاد وحُسْن قصد لا يُذمُّ عليه قائله، بل يكون له أجرٌ على اجتهاده، لقول النبيِّ ﷺ: «إذا حكمَ الحاكمُ فاجتهدَ ثُمَّ أصابَ فلَهُ أَجران، وإذا حكمَ فاجتهدَ ثُمَّ أخطأَ فلَهُ أجرٌ»** .

وأمَّا وَصْفُه بالضلال : فإنْ أُرِيد بالضَّلال الضلالُ المُطلقُ الذي يُذمُّ به الموصوف، ويُمقتُ عليه، فهذا لا يَتوجَّه في مثل هذا المُجتهد الذي عُلِم منه حُسْن النِّية، وكان له قَدَم صِدْق في الدِّين واتِّباع السُّنة.

وإنْ أُرِيد بالضلال مخالفةُ قوله للصَّواب من غير إشعارٍ بذَمِّ القائل فلا بأس بذلك؛ لأنَّ مثل هذا ليس ضلالاً مُطلقاً؛ لأنَّه من حيث الوسيلةُ صواب، حيث بذَل جُهْده في الوصول إلى الحقِّ، لكنَّه باعتبار النتيجة ضلال حيث كان خلاف الحق، وبهذا التَّفصيل يزولُ الإشكال والتهويل، والله المستعان»[1] اهـ.

على أنِّي لا أجعلُ من قولي هذا ذَرِيعة لأهل البِدَع والتَّشهي، وممَّن خاصم العَقِيدة السَّلفية النَّقية، وجعل هِجِّيراه لَيَّ النُّصوص وتحريفها، بل وتَعْطِيلها، بمَسْلَكٍ سقيم، ومأخذٍ أثيم، فذا مَسلَكٌ آخر، ومَيادينُه معروفة، وسوقه قائم بالحسنى، وراياتُه مُنتصرةٌ مرفوعةٌ بحمد الله .

فإذا علمتَ ما ذكرته لك، ونظرت بعين البصيرة المُتأنِّية، فإني أخبرُ عن مَذهب شيخي العلامة المحدِّث أبي أسامة شعيب الأرنؤوط نفعنا الله بعلمه فأقول :

إنَّ ما يعتقده شيخنا هو مذهب السَّلف الصالح، وقد قرَّر ذلك في طلائع تحقيقاته العقَدية، مثل «شرح العقيدة الطحاوية» التي انفرد بتحقيقها تحقيقاً علمياً مميزاً، وكثيرةٌ هي النُّقول التي سجَّلها في مقدمة تحقيقه لـ «أقاويل الثقات»، وتعليقاته النَّفيسة في «العواصم والقواصم» وغيرها .

وقد قرأتُ على شيخنا أدام الله سَعْده من عُيون متون مصنَّفات العقيدة السَّلفية الصَّحيحة، **فأقرَّها وارتضاها عقيدةً ومنهجاً، وهو فيها مُتابعٌ لمذهب السَّلف الصالح ذي المنهج المحمود**، والطريقة الرضيَّة، ومما قرأتُ على شيخنا أحسن الله إليه وقيَّدتُ تعليقاته **وسَطَّر بخطه ذلك:**

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١/ ١٢٠)

١. العقيدة الطحاوية للإمام الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ
٢. العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ
٣. العقيدة التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ
٤. حائية أبي داود في السنة والاتباع لابن أبي داود رحمهما الله
٥. القواعد المثلى لشيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ
٦. تقريب التدمرية لشيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ
٧. الإبانة إلى أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ
٨. تهذيب التوحيد لابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ
٩. لمعة الاعتقاد لابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وغيرها .

وقد كنتُ أعرض على شيخنا بعض تعليقاتي على «الجامع الصحيح» للإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مسائل العقيدة والصفات، وبحمد الله فقد كنت أراجع معه الكثير منها، وقد قرأها جميعاً وأقرَّها، وهي مبثوثة في ثنايا تحقيقنا الأول«للجامع الصحيح» للإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فلتُنظر في مظانِّها .

وقد كنتُ ـ ويشهد الله ـ أعرض عليه الأمر وأستفهم منه أدام الله سَعْده، بقولي: ماذا يقول شيخنا في هذا التعليق؟ فوالله ما هو إلَّا الاعتقاد المسبق بذلك، والإقرار، والموافقة.

بل إني أخبرُ فوق ذلك، فأقول : لو كان شيخُنا ينتحل مذهباً بِدْعياً، فكما نُناقش أهل البدع والضلال؛ إظهاراً للحقِّ، ورحمة بالخَلْق، وهو واجبٌ علينا، **فإنَّ من أوجب الواجبات عليَّ نُصحاً لله ولدينه، ومن باب حقِّه وفضله عليَّ خاصَّة وبِرّاً به ووفاء لبعض حقِّه ـ وقد عَلَّمني وعرَّفني وأَدَّبني ـ أنْ أبذل غاية الوسع والطاقة في مناقشة ذلك، وبيان خطأ ذلك**

المذهب، بل يتوجَّب عليَّ أن لا أغادر شيخي إلَّا وكلِّي حرص أنْ ينهج الطريق القويمة، وهو من تمام الحب والوفاء والبِرِّ، فوالله الذي لا إله غيره، إنَّ من أبرِّ البِرِّ للعالِم المُربِّي أنْ يُسدَّد، ويُعان على الحق والخير، ويُنصح في ذات الله، بعِلْم وبأدب وبحِكْمة، مع حشد البراهين، والحُجج النَّاصعة الواضحة القوية، حتى يتبيَّن الحق، وترتفع رايتُه، وتظهر نصوص الكتاب والسُّنة عالية خفَّاقة، فوق الآراء والأفهام، وتُصحَّح العقائد السِّقام.

لكنَّ شيخنا أدام الله مجده، كان فوق ذلك بحمد الله، فهو يُجادل من ينتحل مذهب التأويل[1] من خلال الأمور التالية:

١. أن مذهب أبي الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في طوره الثالث مُثبِتٌ لعقيدة السلف الصالح في كتبه الأخيرة، وهي عقيدة سلفية لا غبار عليها: «الإبانة» و«المقالات» و«الرسالة إلى أهل الثغر»، وقد صنَّفها اعتقاداً لا خشية أو جُبْناً كما يقول بعضهم! بعد أنْ رَفض عقيدة ابن كُلَّاب الذي هو مذهب التأويل.

٢. أنَّ كل من ينتمي إلى أبي الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ يلزمه أن يكون على مذهب السَّلف الصالح الذي استقرَّ عليه في طوره الأخير، وإلا فهو على مذهب غيره ممن رضي بالتأويل والتعطيل.

٣. أنَّ المتأخرين من الأشعرية خالفوا شيخهم أبا الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ويرى الشيخ أن العقل وظيفته الفهم، أي: فهم النصوص النقلية لا أن يكون حَكَماً عليها، أو التأسيس كما يقول المناطقة، ومهما بلغ العقل من علم لا

---

(١) ولا يرتضي شيخنا أن يُنسبوا للإمام أبي الحسن الأشعري وقد رجع إلى مذهب السلف، فالنسبة إليه خاطئة، ولكن هم في الأصح مؤوِّلة، فافهم.

يقدر أن يُدرِكَ الغيبيات من النصوص، ومن هنا كان لِزاماً على متأخري الأشاعرة أن يسلكوا مسلك شيخهم الأول أبي الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ وأن يسيروا على ما سار عليه في كتبه الثلاثة .

وأَزيدُ مِن هذا، حين سأله أحدُ الباحثين عن الشَّيخ الكوثري، خالفه في أمور وكان من جملة ما أَخذ عليه، ما قاله شيخُنا أسعده الله عن الكوثري:

«ثانياً: أنه لا يأخذ بمذهب السَّلف الصالح أهل القرون الثلاثة الأولى الذين يقولون بإثبات الصفات التي جاءت في كتاب الله وفي الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ، ومذهبهم فيها إثبات الصفة ونفي الكيفية، والشيخ يجنح في كثير منها إلى التأويل.

ثالثاً: ممَّا أخالفه فيه ما ذهب إليه في رسالته:«محَق التقوُّل» من جواز الاستغاثة بالنبي ﷺ، والسلف الصالح لم يكونوا يُسوِّغون ذلك» وهذا جزءٌ مُثبَتٌ من أحد اللقاءات التي أُجريت مع شيخنا من محبِّي الشيخ الكوثري، وانظر تمام هذا اللقاء في فصل اللقاءات العلمية هنا.

تنبيهٌ : فإنْ قلتَ : وأي شيء هذا الذي وقع في بعض كتب الشيخ من التعليقات مما خالفَتْ منهج السلف الصالح؟

فالجواب ـ وعن فِيْه أكتب ـ : ذلك هو ما أدَّاه اجتهادي إليه في ذلك الوقت، وقد كان التَّعويل فيها على علماء لهم قَدمٌ راسخة، كابن حجر، والنَّووي، وابن جماعة، والبيهقي وغيرهم، رحمهم الله جميعاً، ومُرادي في ذلك تقريب المعنى لا تعطيل الصِّفة.

ومع إجلالنا لهم فالحكم فيهم أنهم مَأجُورون بأجرٍ واحد، بنصِّ حديث النبيِّ ﷺ، وهذا ما أدَّاه اجتهادهم مع التَّرحم والدُّعاء لهم بأنْ

يَتجاوز الله عنَّا وعنهم، وقد تَبِعْتُهم في بعض الأحيان في بعض المسائل في بعض تحقيقاتي السابقة حيث كان التأويل فرعاً لا أصلاً، كما قرَّرت أيضاً في مسائل كثيرة عقيدة السَّلف الصالح .

وها أنا أقول الآن : إنَّ ما أدين الله به هو اعتقاد السَّلف الصَّالح، ولا أحلُّ أحداً نسَب لي شيئاً لم أرتضه، وأقول كما قال الأئمَّة الأوائل : كلُّ قول يُخالف قول الله ورسولهﷺ فليُضرب به عُرض الحائط، إذ منهج السلف في الاعتقاد ـ لاسيما الصفات ـ هو المنهج الأمثل والأكمل والأفضل والأسلم والأعلم والأحكم، وهو المنهج الذي يُعوَّل عليه، ويُرجع إليه، إذ العقيدة الصحيحة قائمة على الكتاب والسُّنة وما فهمه السلف الصالح، فهي العقيدة التي يجب على المسلم أن يعتقدها، وأن يرتضيها قولاً وعملاً ومنهجاً وامتثالاً» اهـ .

واختمُ هذا الباب ببيان أنَّ تناول العلماء الأخيار بما هم منه بَراء أو رجعوا عنه مَحظُورٌ شَنيع، ومَسلكٌ فظيع، وإذا أحبَّ الله عبداً صرَف عنه هذا الباب، إذِ **القول فيه نَمطٌ صعب، ونمط مخيف.**

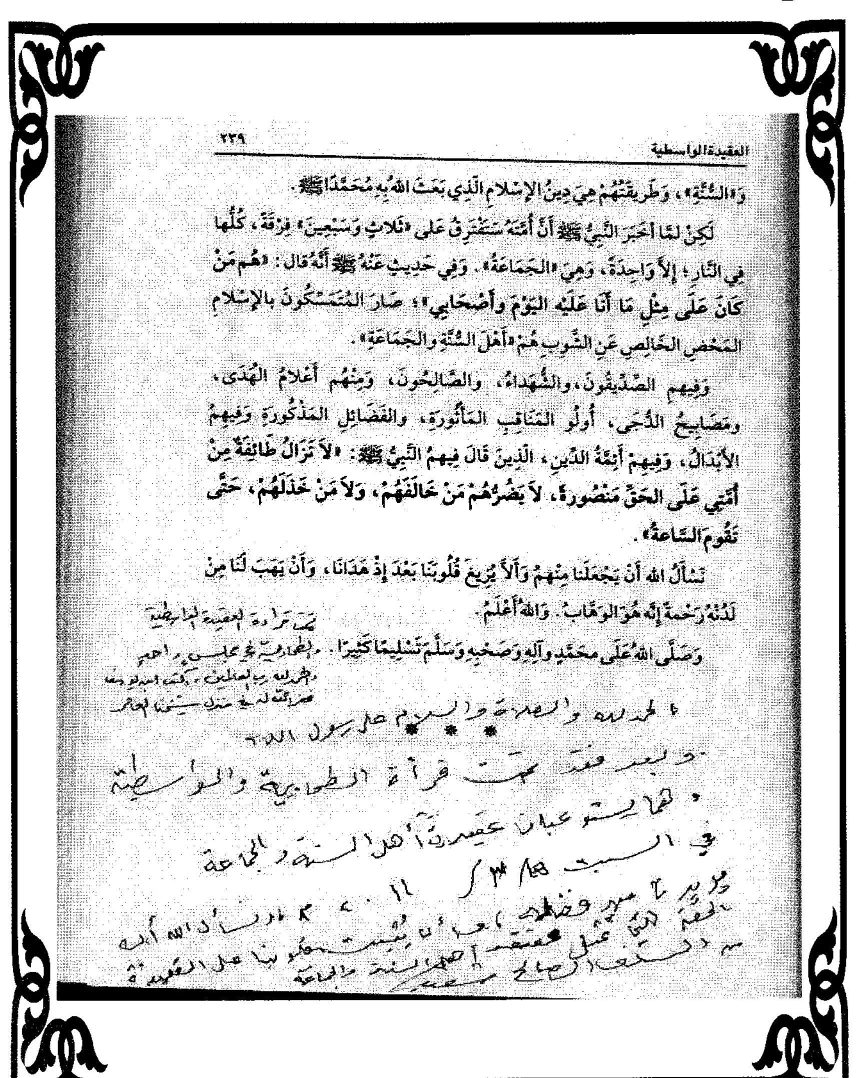
فبالله يا قوم ارْبَعوا على أنفسكم، فعارٌ على طالب علم اليوم أن يفري لسانه يمنة ويسرة في لحوم العلماء الكبار، فلو اقتصر الطريق على نفسه، وساق جسده على هذا الشيخ وسأله ورأى بعينيه، وسمع بأذنيه لعلم صحَّة قولي، ولكن ما آفةُ الأخبار إلَّا رُواتُها .**اللَّهُمَّ قد بلغتْ، اللَّهُمَّ فاشهد .**

وهذه صور بعض الكتب التي قرأتها على شيخنا في باب الاعتقاد وعليها كَلِمه بخطِّه:

١ . قيد تمام القراءة لمتن العقيدة الطحاوية والواسطية .

ومما كتبه شيخنا بعد تمام القراءة :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد، فقد تمت قراءة الطَّحاوية والواسطية، وهما يَستوعبان عقيدة أهل السنة والجماعة في يوم السبت ٢٠١١/٣/١٩، ونسأل الله أن يزيدنا من فضله، وأن يُثبِّت قلوبنا على العقيدة الحقَّة التي تُمثِّل مُعتقد أهل السنة والجماعة من السَّلف الصالح، شعيب .



العقيدة الواسطية ٢٣٩

وَ«السُّنَّةِ»، وَطَرِيقَتُهُمْ هِيَ دِينُ الإِسْلامِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّداً ﷺ.

لَكِنْ لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى «ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ» فِرْقَةً، كُلُّها فِي النَّارِ، إِلاَّ وَاحِدَةً، وَهِيَ «الجَمَاعَةُ». وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ اليَوْمَ وَأَصْحَابِي»؛ صَارَ المُتَمَسِّكُونَ بِالإِسْلامِ المَحْضِ الخَالِصِ عَنِ الشَّوْبِ هُمْ «أَهْلَ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ».

وَفِيهِمِ الصِّدِّيقُونَ، والشُّهَدَاءُ، والصَّالِحُونَ، وَمِنْهُم أَعْلامُ الهُدَى، وَمَصَابِيحُ الدُّجَى، أُولُو المَنَاقِبِ المَأْثُورَةِ، والفَضَائِلِ المَذْكُورَةِ، وَفِيهِمُ الأَبْدَالُ، وَفِيهِمْ أَئِمَّةُ الدِّينِ، الَّذِينَ قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ مَنْصُورَةً، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، وَلاَ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ».

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ وَأَلاَّ يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَأَنْ يَهَبَ لَنَا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً إِنَّهُ هُوَ الوَهَّابُ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

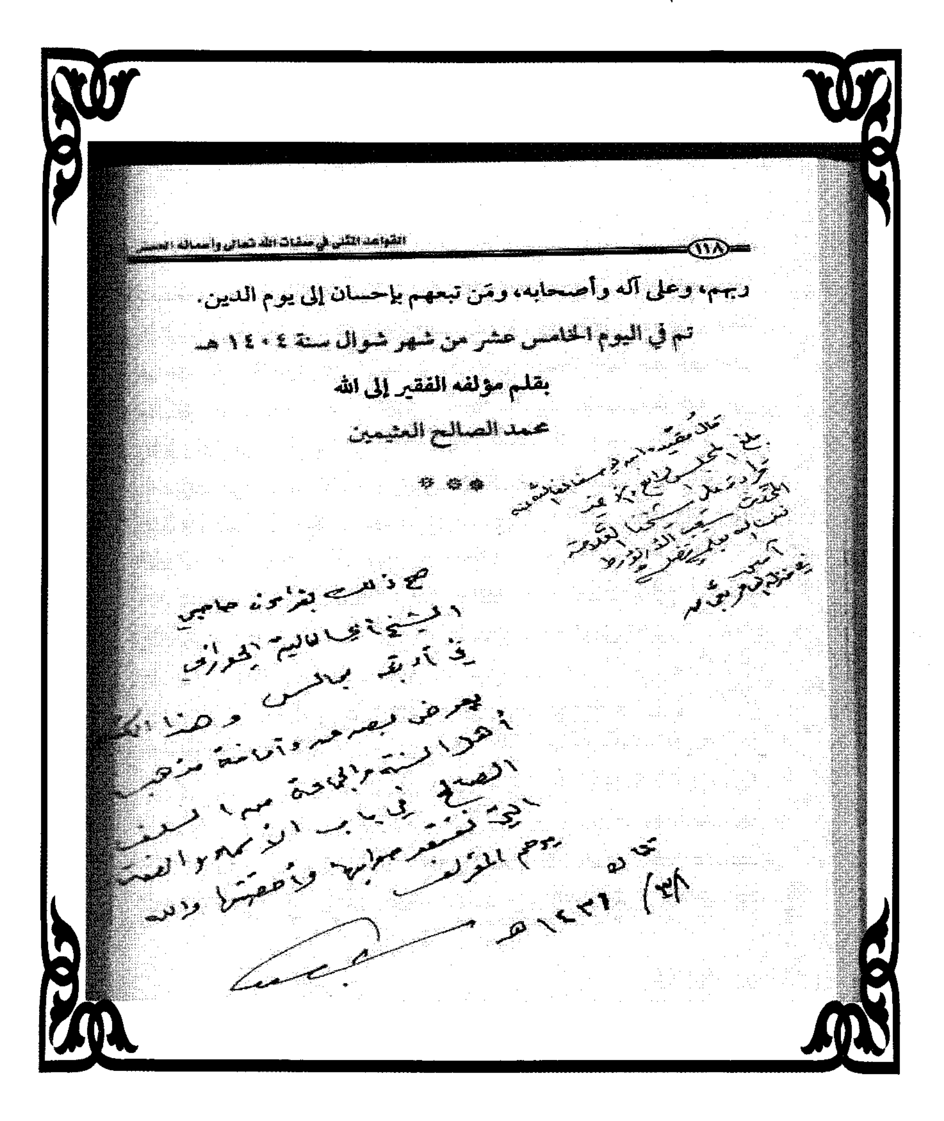
وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

* * *

٢. قيد تمام القراءة «للقواعد المثلى» لشيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ.

ومما كتبه شيخنا بعد تمام القراءة :

صحَّ ذلك، بقراءة صاحبي الشيخ أبي العالية الجوراني، في أربعة مجالس، وهذا الكتاب يعرض بصدق وأمانة مذهب أهل السنة والجماعة من السلف الصالح، في باب الأسماء والصفات التي نعتقدُ صوابها وأحقِّيَّتها والله يرحم المؤلِّف، شعيب . ١/٣/١٤٣١هـ



١١٨ القواعد المثلى في صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى

ربهم، وعلى آله وأصحابه، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

تم في اليوم الخامس عشر من شهر شوال سنة ١٤٠٤ هـ.

بقلم مؤلفه الفقير إلى الله

محمد الصالح العثيمين

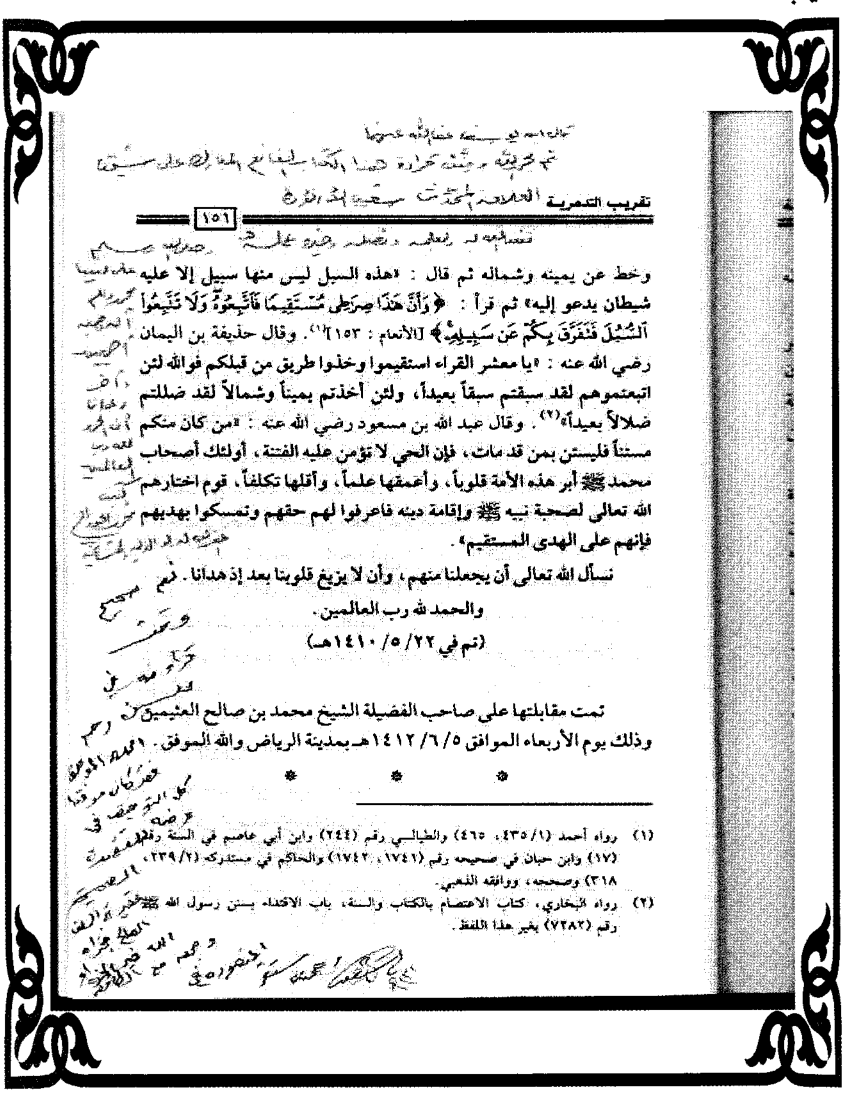
صح ذلك بقراءة صاحبي الشيخ أبي العالية الجوراني في أربعة مجالس وهذا الكتاب يعرض بصدق وأمانة مذهب أهل السنة والجماعة من السلف الصالح في باب الأسماء والصفات التي نعتقد صوابها وأحقيتها والله يرحم المؤلف ١/٣/١٤٣١هـ

٣. قيد تمام القراءة «تقريب التدمرية» لشيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ومما كتبه شيخنا بعد تمام القراءة عليه في مجلسين :

نعم صحيح، وتمَّت قراءته في مجلسين، ورحم الله المؤلِّف، فقد كان مُوفَّقاً كل التوفيق في عرضه للعقيدة الصحيحة عقيدة السلف الصالح، فجزاه الله خير الجزاء، وجمعه وإيانا مع الطائفة المنصورة في مستقرِّ رحمته .

شعيب . ١٤٣١هـ



تقريب التدمرية ١٥١

وخط عن يمينه وشماله ثم قال : «هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه» ثم قرأ : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام : ١٥٣][1]. وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : «يا معشر القراء استقيموا وخذوا طريق من قبلكم فوالله لئن اتبعتموهم لقد سبقتم سبقاً بعيداً، ولئن أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً»[2]. وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : «من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم فإنهم على الهدى المستقيم».

نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا.

والحمد لله رب العالمين.

(تم في ٢٢/ ٥/ ١٤١٠هـ)

تمت مقابلتها على صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين وذلك يوم الأربعاء الموافق ٥/ ٦/ ١٤١٢هـ بمدينة الرياض والله الموفق.

* * *

(١) رواه أحمد (١/ ٤٣٥، ٤٦٥) والطيالسي رقم (٢٤٤) وابن أبي عاصم في السنة رقم (١٧) وابن حبان في صحيحه رقم (١٧٤١، ١٧٤٢) والحاكم في مستدركه (٢/ ٢٣٩، ٣١٨) وصححه، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ رقم (٧٢٨٢) بغير هذا اللفظ.

فهذه شهادةٌ صادقة، وبيان مُحكمٌ، لمن رام اطمئنان قلبه، ومَسْك لسانه، عن الوقيعة في أهل العلم الكبار، مما هم منه بَراء، وأختم هذا البيان بنصائح ذهبية من روائع كَلِم الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

فالأولى : «فإن أحببتَ يا عبد الله الإنصاف فقِفْ مع نصوص القرآن والسُّنن، ثمَّ انظر ما قاله الصحابة والتابعون وأئمَّة التفسير في هذه الآيات، وما حكوه من مذاهب السَّلف؛ فإمَّا أن تَنطِق بعِلْم، وإمَّا أنْ تَسكُت بحِلْم، ودَعِ المراءَ والجدال؛ فإنَّ المراء في القرآن كُفرٌ، كما نطق بذلك الحديث الصَّحيح، وسترى أقوال الأئمة في ذلك على طبقاتهم بعد سَرْد الأحاديث النبوية. جمع الله قلوبنا على التقوى، وجنَّبنا المراء و الهوى، فإنَّنا على أصل صحيح، وعَقْد متين؛ من أنَّ الله تقدَّس اسمه لا مِثْل له، وأن إيماننا بما ثبت من نُعوته كإيماننا بذاته المقدَّسة، إذ الصفات تابعةٌ للموصوف، فنَعقِل وجود الباري ونُميِّز ذاته المقدَّسة عن الأشباه مِن غير أن نتعقَّل الماهيَّة، فكذلك القول في صفاته: نؤمنُ بها ونعقِل وجودها، ونعلمها في الجملة من غير أن نتعقَّلها، أو نُشبِّهها، أو نُكيِّفها، أو نُمثِّلها بصفات خلقه تعالى الله عن ذلك عُلوّاً كبيراً »[1]

والثانية : «لو أنَّا كلَّما أخطأ إمامٌ في اجتهاده في آحاد المسائل خطأً مَغفُوراً له، قُمنا عليه، وبدَّعناه، وهَجرْناه، لما سَلِم معنا لا ابن نصر، ولا ابن مَنْده، ولا مَن هو أكبر منهما، والله هو هادي الخلق إلى الحق، وهو أرحم الراحمين، فنعوذ بالله من الهوى والفظاظة»[2]

---

(١) «العلو للعلي العظيم» (١/ ٢٤٦)

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٤٠)

وقال في ترجمة إمام الإئمة ابن خزيمة رَحِمَهُ اللهُ: «ولابن خزيمة عظَمةٌ في النُّفوس، وجلالـةٌ في القلـوب؛ لعِلْمـه ودِيْنـه واتِّباعـه الـسُّنة، وكتابـه في «التوحيد» مجلد كبير، وقد تأوَّل في ذلك حديث الصُّورة، فلَيُعذَر مَن تأوَّل بعض الصفات، وأما السَّلف، فما خاضوا في التأويل، بل آمنوا وكفُّوا، وفوَّضوا عِلْم ذلك إلى الله ورسوله، ولو أنَّ كلَّ مَن أخطأ في اجتهاده ـ مع صحَّة إيمانه، وتَوخِّيه لاتِّباع الحق ـ أَهدَرْناه، وبدَّعناه، لقلَّ مَن يَسلَم مِن الأئمة معنا، رحم الله الجميع بمَنِّه وكرمه»[1]

وفَّقني الله وإيَّاك إلى الهُدى والرَّشاد، والتَّمسك بمذهب السلف الصالح إلى يوم التناد.

اللهم قد بلَّغت، اللهم فاشهد .

❑ ❑ ❑

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٣٧٤)

ثَبَتُ التَّحقيقَات والتَّعريف بها

لقد رُزِق شيخنا حفظه الله عِشْق الكُتب وأُوْلِع بها، في مُقتبل عُمره، حتى كاد لا يمرُّ يوم إلَّا وتراه في المكتبة الظاهرية، فانتفع بها ومن رُوَّادها، وقد أكسبته الخبرةَ المتينةَ، والمعرفةَ الأصيلة في التَّعامل مع تراث أمتنا المبارك.

يقول ابنُ قيِّم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأمَّا عُشَّاق العِلْم فأعظم شَغفاً به وعِشْقاً له من كلِّ عاشِقٍ بمَعشُوقه، وكثيرٌ منهم لا يشغله عنه أجمل صورة من البشر»[1]

لَمـحْبرةٌ تُجالـسني نهـاري ... أحـبُّ إليَّ مِـن أُنْس الـصَّديقِ

ورَزْمــةُ كاغِــدٍ في البيــت ... أحـبُّ إليَّ مـن عِـدْل الـدَّقيقِ

ولَطمةُ عالِـم في الخـدِّ مِنِّي ... ألـذُّ لـديَّ من شُـرب الرَّحيقِ

وساعدَه في ذلك: أنَّ مدير المكتبة الظاهرية آنذاك كان صديقاً له، فأَذِن له أن يدخل إلى غرفة المخطوطات، ويمكث فيها كما يشاء وفي أي وقت شاء، فكان شيخنا حفظه الله يمضي السَّاعات الطِّوال فيها، ويُديم النظر في مُجلَّداتها، ومجاميعها، ويتعلَّم قراءة خطوطها، وما فيها من عُسْرٍ وصعوبة، ويُهيِّئ نفسه على ذلك، حتى أَحْكم القراءة، وتمرَّس في معرفة الخطوط وقراءتها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ويُشبه صنيع شَيخنا هذا ما ذكره الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الإمام الزَّرْكشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال عنه: «وكان مُنقطعاً في منزله لا يَتردَّد إلى أحدٍ إلَّا إلى سُوق الكتب، وإذا حضره لا يَشتري شيئاً وإنَّما يُطالع في حانُوت الكُتُبي

(١) «روضة المحبين» (٦٩)

طولَ نَهارِه ومعه ظُهور أوراقٍ يُعلِّق فيها ما يُعجبُه ثمَّ يرجع فينقله إلى تصانيفه»[١]

وقد كان من فضل هذا الإعداد العِلْمي المُتقن، أن تفرَّد شيخنا في قراءة مخطوطٍ وتحقيقه، بعد أنْ عُرض على جميع العاملين في المكتب الإسلامي، فلم يَسطِع أحدٌ منهم أنْ يُحسن قراءته وتحقيقه، فما كان وَقْتئذ من الشَّيخ العلَّامة ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلَّا أنْ أشار على شيخنا العلامة شعيب بأنْ يُحقِّقه، لـما عَلِم فيه من القدرة على إتقانه، وتفرُّده في حسن قراءته وتحقيقه، وسيأتيك خبر هذا في موضعه إن شاء الله .

ولقد كان مِـمَّا منَّ الله به على شيخنا أنْ هيَّأ له أسباب العلم والمشاركة فيه تدريساً، وتوضيحاً، ونشراً وتحقيقاً، فكان لشيخنا في هذا العصر ما لم يكن لغيره، وذلك لأمور أربعة كانت معالم هُدى في درب العِلْم والتحقيق النافع، وهي :

١ . كثرة التَّحقيقات .

وهذه سِمَة مَشهورةٌ مُستفيضة يعرفها القاصي والدَّاني من طلبة العلم عن كثرة تحقيقات شيخنا تحقيقاً علميَّاً مميزاً.

وقد تخرَّج به تحقيقاً وإشرافاً وعناية ما يزيد على مئتين وخمسين مجلداً لحين كتابة هاته الأحرف، كلُّ ذلك مع الأمانة العلمية، وحفظ الحقوق لأصحابها، فكلُّ من كانت له مشاركة في كتاب، كان شيخنا رفع الله ذكره، يُسطِّر هذا في الكتاب حِفْظاً لحقِّه، وأداءً للأمانة العلمية.

(١) «الدُّرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة» (٥/ ١٣٤)

ثُمَّ هذه المنزلة الكبيرة التي بوَّأه الله فيها جعلت أكابر المُحقِّقين والمؤلِّفين على اختلاف علومهم، وتفرُّق بلدانهم، يَقصِدون مكتبَه وبيتَه دَوماً للاستفادة من عِلْمه وخبرته في هذا المضمار المبارك، وكأنِّي بشيخنا حفظه الله ونفعنا بعلمه وفضله، مكتبةً تسير على الأرض، ويَرُوق لي وأراه مُناسباً لطيفاً ذِكْر ما قيَّده الجلال السُّيوطي رَحِمَهُ اللهُ[1]، عن سِعَة علم أبي الزِّناد فيقول:

قال عبدُ ربه بن سعيد: رَأيْتُ أبا الزِّناد دخل مَسْجِد النَّبي ﷺ ومَعَهُ من الأتباع مثل ما مَعَ السُّلطان، فَمِن سَائلٍ عن فَرِيضَةٍ، ومِن سَائلٍ عن الحساب، ومِن سَائلٍ عن الشِّعْر، ومن سَائلٍ عَن الحدِيث، وَمِن سَائل عَن مُعضِلة.

وقال اللَّيْث: رأيتُ أَبَا الزِّنَاد وخَلْفه ثَلَاث مِئَة تابع من طَالب فقهٍ، وَعِلْم، وَشِعْر وصُنوف.

وهذا لأنَّ شيخنا رفع الله قدره، يُؤمِن بأهميَّة العمل الجماعي، وتكاتف الجهود على الأعمال الموسوعية، من هنا كانت ثمار هذه الأعمال ممتدَّة بحمد الله، يعرفها البعيد قبل القريب، وذلك الفضل من الله تعالى.

٢. الإتقان في التحقيق على المنهج الأصيل لا العبث المخرِّق الدَّخيل.

وهذه سمةٌ ظاهرة جدّاً، وهي أوضح من الشَّمس في رابعة النهار، وهي شهادة حقٍّ من أرباب هذه الفنون، بل حتى من بعض المستشرقين الذين يتغنَّى بهم بعض الأكاديميِّين، يشهدون لشيخنا علوَّ كَعب مَدرَستِه في التحقيق، وإصدار كتب التراث.

---

(١) «طبقات الحفاظ» (٦٥)

ويتَّضح هذا بجَلاء من المُقدِّمات العلمية المتينة التي يُسطِّرُها شيخُنا في بداية الكتاب المُحقَّق، من حيث الترجمة المُميَّزة للمؤلِّف، والتعريف بالكتاب، ثُمَّ العناية بالأصول الخطية النَّفيسة من خلال دراستها دراسة عِلْمية صَحِيحة[١]، وخُذْ أيَّ كتاب من التَّحقيقات العِلْميَّة التي صنعها شيخُنا، أو شارك فيها، أو أشرف عليها، فستجد المنهج العِلميَّ في التحقيق يقوم على أسلوب علميٍّ مُطَّردٍ في جميع ذلك كلِّه، وهذا هو منهج الفُحول الكبار، أرباب الأُستاذِيَّة في التحقيق ونشر التراث .

ويحضُرني في هذا المقام، ما سطَّره العلَّامة المُحقِّق الدكتور محمود الطَّناحي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الفَذِّ «مدخل إلى نشر وتحقيق التراث العربي» عن منهج العلامة محمود شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فيقول : «وإن تعجب فعجبٌ أنك تقرأ لهذا الأستاذ الجليل، وهو في طَراءة الصِّبا، ثمَّ تقرأ له وقد عَلَتْ به السِّنُّ، فلا تجد فرقاً بين يَوْمَيه، إلَّا ما يكون من بعض الفروق الهيِّنة التي تأتي بها القراءاتُ المتجدِّدة، أمَّا نمطُ الكلام، ومنهج الأداء، فهو فهو؛ لأنَّه بوحُ نفس صادقة مع نفسها، ومع الناس، واقرأ إن شئت مقدِّمته لرسالة أبي هلال العسكري «فضل العطاء على العسر» وهو من أوائل ما نشر، ومقدمة «تهذيب الآثار» للطبري، وهو من أواخر ما أصدر، تجد صدق ما أقول . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»[٢]

وهكذا وجدتُ حال شيخِنا حفظه الله، وسأضرب لك بمثال تقف فيه على ذلك، مع وجود عشرات الأمثلة، وفي الإشارة بالبعض دلالة على الكُلِّ،

---

(١) وقد جمعتُ هذه المقدِّمات العلمية المباركة من كافة تحقيقات شيخنا حفظه الله، وسيكون لها كتاب مستقلٌّ في «**فُنون مدرسة التَّحقيق عند محقِّق العصر**» فأسأل الله التوفيق والسداد والإعانة.

(٢) «مدخل إلى نشر وتحقيق التراث العربي» (١٢١)

وسأسوق لك حديثاً خرَّجه في «مختصر منهاج القاصدين»، وخرَّجه أيضاً في «مسند الإمام أحمد» وهو وهو .

الحديث :

حدَّثنا عبد الله، حدَّثني عبد الأعلى بن حماد النَّرْسي، حدَّثنا داود بن عبد الرحمن، حدَّثنا أبو عبد الله مَسْلمةُ الرَّازي، عن أبي عمرو البَجليِّ، عن عبد الملك بن سفيان الثقفيِّ، عن أبي جعفر محمد بن عليٍّ، عن محمد ابن الحنفيَّة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللهَ يُحبُّ العبدَ المُؤمنَ المُفتَّنَ التَّوابَ»

فقال في تخريجه في «المختصر» :

أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» رقم (٦٠٥) و (٨١٠) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفي سنده أبو عبد الله مسلمة الرَّازي لا يُعرف، وأبو عمرو البجلي ـ و اسمه عبيدة بن عبد الرحمن ـ قال ابن حِبَّان : لا يَحِلُّ الاحتجاجُ به يروي الموضوعات عن الثقات، وعبد الملك بن سفيان الثقفي مجهول.

والمُفتَّن: بفتح التاء المشددة: أي : الممتَحن بالذُّنوب.

وخرَّجه في «المسند» للإمام أحمد، فقال :

٦٠٥ - إسناده ضعيف جدَّاً شبه موضوع، أبو عبد الله مسلمة الرازي لم نَقِفْ له على ترجمة، ولـم يَرِد في «تعجيل المنفعة» وهو مِن شرطه، وأبو عمرو البجلي ـ اسمه عبيدة بن عبد الرحمن ـ قال ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ١٩٩) : يروي الموضوعات عن الثقات لا يحلُّ الاحتجاج به بحال، وعبد الملك بن سفيان الثقفي مجهول.

وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٧٨-١٧٩) من طريق عبد الله بن أحمد، بهذا الإسناد.
وأخرجه أبو يعلى (٤٨٣) عن عبد الأعلى بن حماد، به. وسيأتي برقم (٨١٠)
والمُفَتَّن بفتح التاء المشددة: هو الذي يُفتَن ويمتَحن بالذُّنوب.

فأنتَ ترى مدى دقَّة ذلك، ووضوح المنهج، وأصالة التحقيق، فجزى الله شيخنا خير الجزاء، ونفعنا بعلمه وفضله ومنهجه في التحقيق والتدقيق والتعليق .

٣. تخريج أساتذة مَهَرة في ميدان التَّحقيق، عَرف شيخُنا حقَّهم عليه قبل أن يَعرفُوا حقَّه عليهم .

فقد كان شيخنا أدام الله ظِلَّه ناصحاً لتلامذته، مُفرِغاً طاقته العلمية في تعليمهم، وتدريبهم، وإرشادهم، وتقويمهم، فلم يكن يستأثر عليهم بأيِّ نوع من الجود بالعلم والمعرفة، بل والله حتَّى بالمال، فكم أغدق على تلاميذه ذاك لبناء بيت، وثان لمؤن النكاح، وآخر لإكمال دراسته، وهكذا دواليك لا يدَّخر شيئاً لنفسه، ويبذل الكثير الكثير لطلابه وتلاميذه، ولكن من جُبِل على الخلق الحسن والمعروف حَفِظَ حقَّ الشيخ وراعى حرمته، وامتثل مقالة الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ حين قال : «الحرُّ من راعى وِدَاد لحظة، أو انتمى لمن أفاده لفظة»[1] وما أحلى قول القائل:

إذَا أَفَادَكَ إنسانٌ بِفائِدةٍ ... مِنَ العُلُوم فَأَدمِنْ شُكرَهُ أَبَدا
وَقُل فُلانُ جَزَاهُ الله صَالحةً ... أَفَادَنِيها وَأَلْقِ الكِبرَ والحَسَدا

(١) انظر : «رسالة المسترشدين» (٢٠٤) حاشية . وانظر : «النظائر» للشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ (٢٨٤)

وأمَّا من قعد به خُلقه النَّكِد، فلم يعرف للعالِـم حقَّه وفضله؛ فكبِّر عليه أربعاً لوفاته.

ومن أحسن ما يُساق في هذا الباب، **باب الجود بالعلم** مما يناسب واقع شيخنا رفع الله قدره، ما ذكره العلَّامة ابنُ قيِّم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مراتب الجود، قال:

«الرابعة: **الجود بالعِلْم وبذله**؛ وهو من أعلى مراتب الجود، والجود به أفضل من الجود بالمال؛ لأنَّ العِلْم أشرف من المال.

والنَّاسُ في الجود به على مراتب متفاوتة، وقد اقتضت حكمة الله وتقديره النافذ أنْ لا ينفع به بخيلاً أبداً.

ومن الجود به: أن تبذله لمن يسألك عنه، بل تطرحه عليه طرحاً.

ومن الجود بالعلم: أنَّ السائل إذا سألك عن مسألة: استقصيتَ له جوابها جواباً شافياً، لا يكون جوابك له بقدر ما تدفع به الضرورة، كما كان بعضُهم يكتب في جواب الفُتيا: نعم، أو: لا. مُقتصِراً عليها».

ثُمَّ أفاض في بيان ذلك، وأكمل هذه المراتب، وختمها بقولةٍ نفيسةٍ جداً، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**ولكلِّ مرتبة من مراتب الجود مزيدٌ وتأثيرٌ خاصٌّ في القلب والحال، والله سبحانه قد ضَمِن المزيد للجواد، والإتلاف للمُمْسِك. والله المستعان**»[1].

وإنَّ حال شيخنا أطال الله عمره على خير وعافية، ليذكِّرك بصنيع المحدِّثين الأوائل، ومن ذلك:

---

(١) انظر: «مدارج السالكين» (٢/ ٤٧) منزلة الإيثار.

ما قاله سعيد الأصبحي: كنتُ أسبق إلى مجلس عبد الله بن المبارك بليلٍ معي أقراني، لا يسبقني أحدٌ ويجيء هو مع الأشياخ، فقيل له: قد غَلَبَنا عليك هؤلاء الصبيان.

فقال: هؤلاء أرجى عندي منكم؛ أنتم كم تعيشون؟ وهؤلاء عسى الله أنْ يبلغ بهم.

قال سعيد: فما بقي أحدٌ غيري[1].

ومما يدخل في باب الجود بالعِلْم من مواقف شيخنا حفظه الله، ما حدَّثنيه عن بعض أفاضل أهل اليمن من طلبة العلم، قال:

جاءني رجل من اليمن وقد حقَّق كتاباً مع زميلين، ورغب في أنْ أَنظُر في تحقيقهم، قبل دفعه للطبع، فأخذتُ الكتاب، ومكثتُ يومين أنظر فيه وأُصحِّح، وأبحث، وأراجع، حتَّى أصلحتُ له ما يزيد على مئتي تحريف، وهذا دون الرُّجوع إلى المخطوط، حيث كنت أرجع إلى أصول نقوله.

فلما رأى ذلك، وأعجبه، قال: تتوجب عليَّ أن أضع اسمك محققاً على الكتاب عوضاً عن صاحباي!

فقال له شيخنا: لا، وأَبْقِ الأمر على ما هو عليه، وانتفع بما ذكرته لك من التصحيح والتعليق، ومضى الرجل مع كتابه، ودفع للطباعة، والحمد لله.

وموقفٌ ثانٍ: حدَّثني شيخُنا إبَّان الرحلة الكويتية، ونحن في منزل الشَّيخ المفضال محمَّد بن ناصر العجمي، وهو يُطلعنا على مكتبته العامرة، فحين مرَرْنا بزاوية كتب الفقه وأصوله، قال لي عن أحدِ محقِّقي كتب الأصول: هذا المُحقِّق عالـمٌ وفاضلٌ.

---

(١) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب البغدادي (١/ ٣١٢).

فقلتُ: هو الآن عُضوٌ في هيئة كبار العلماء في السعودية، ولكن لِـمَ قلتَ ما قلت ؟

فقال شيخُنا: قبل سنين زارني في بيتي، وطلب مِنِّي أن أنظر في رسالته التي أعدَّها «للدكتوراه» وهي تحقيق هذا الكتاب، فلما نظرتُ فيها، قوَّمت ما يحتاج إلى تقويم، وخرَّجت بعض الأحاديث التي لم يقف عليها، ودفعتُها إليه، فلما رأى ذلك، شكرَ صَنيعي، وأصرَّ على مكافأتي، وعرض مبلغاً من المال، فرفضتُ طلبه بشدَّة، فدعا لي وأحسن الشُّكر.

فهذان موقفان من جُود شيخنا بالعلم على أهل العلم من ديار شَتَّى، كلُّ ذلك يبذله الشَّيخ بنَفْس طيِّبة، وصدر مُنشرح بما يُقدِّم لأهل العلم من بذلٍ وتضحية، بكلِّ سخاءٍ ووفاءٍ، حُبّاً في العلم وأهلِه.

وثمَّةَ موقفٌ ثالثٌ، ويسوق خبره صديقنا الأستاذ الدكتور محمَّد بِنْيامِيْن أرُول، وهو من علماء تركيا، حين قَدِم إلى الأردن لتعلُّم اللغة العربية، وكان قد عزم على تحقيق كتاب «الإجابة في ما استدركته عائشة على الصحابة» فقصَّ من خبره ما قيَّده في مَطْلع تحقيقه، فقال جزاه الله خيراً عن مشورته في تحقيق كتاب «الإجابة» للزركشي رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ثم استشرت أستاذي الفاضل الكريم المحدِّث المحقِّق الشَّيخ شعيب الأرنؤوط في الأردن، فأجابني بالتشجيع، ووعدني بمساعدتي في نشرها فور إنجازها، فلما فرغت من عملي سافرت إلى الأردن في عام ٢٠٠١ لأقدِّمه إلى فضيلة الأستاذ، داعياً الله تعالى أن يجعل سفري هذا رحلة من رحلات العلم، فجزاه الله خير الجزاء، فقد لقيني بالقبول وضيَّفني وأكرمني ـ فأكرمه الله من نعيم الجنَّة ـ وترك أعماله العلمية لأجلي،

وخصص لي خمسة مجالس عمل لعرض العمل عليه ومقابلته، وكان بين يديه النسخة المصورة عن المكتبة الظاهرية، والنسخة المطبوعة التي قرأها ووضع إشارات عليها للأخطاء، كما كتب عليها التصحيحات والتعليقات المفيدة، وانتهت هذه المقابلة بين النسخ في خمسة أيام، وأوصاني أن أعيد النظر فيها وأكتب تعليقاتي عليها على الطريقة المتداولة في العالم الإسلامي؛ لأنني كنت قد استعملت الرموز للمراجع والزيادات والسقطات بقصد الاختصار.

ولـمَّا عُدتُ إلى بلدي راجعتُ عملي من جديد، ثم كتبتُ مقدِّمة لعملي، وكلمةً عن منهج السيدة عائشة في نقد الحديث وقيمة نهجها، لتوسعة النفع من هذا الكتاب والموضوع، وأرسلته إلى الشيخ لإعادة النظر فيه مرة أخرى، ومساعدتي في طبعها، وشكر الله له على ما قدَّمه إليَّ من عون وإلى هذا الكتاب القيِّم من خدمة، وأدعو الله أن يطيل عمره حتى نستفيد منه طول حياته كما استفدنا إلى الآن [1].

هذا غيضٌ من فيض، ولو ذهبتُ أسرد المواقف التي رأيتُها بعيني، من جلوس كثير من كبار أهل العلم في العالم الإسلامي بين يديه، مجلس التلميذ من شيخه؛ لطلب الإفادة والنَّفع والمشورة الصادقة في العلم، لطال بي المقام، ولكن هذه محطَّات وإشارات، وفيما ذكرته كفاية، لاسيَّما وشيخنا يَكرهُ أنْ تُذكرَ مثل هذه الأمور والمواقف، ولكن الحمد لله أن استطعت الظفور بما قيَّدتُ، وبه يحصل المراد إن شاء الله .

(١) «الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة» للزركشي (٦ـ٧) مختصراً .

٤. الأمانة في التَّعامل مع العاملين معه في التَّحقيق وحفظ حُقوقِهم العِلْمية.

ومن هنا تميَّزت مدرسة شيخنا حفظه الله في تحقيق التراث، فغَدتْ مرجعاً أصيلاً في هذا الباب، ينهل منها العالـم، وطالب العلم، المسلم وغيره .

فمن يعمل مع الشيخ لا يُبخس حقُّه، بل يجد الإكرام، والتعليم، والاستفادة الفيَّاضة، بحمد الله، وجدتُ هذا في العمل معه، كما وجده غيري، وأرجو الله أن يكون ما قَيَّدت وفاءً لبعض حقِّه عليَّ .

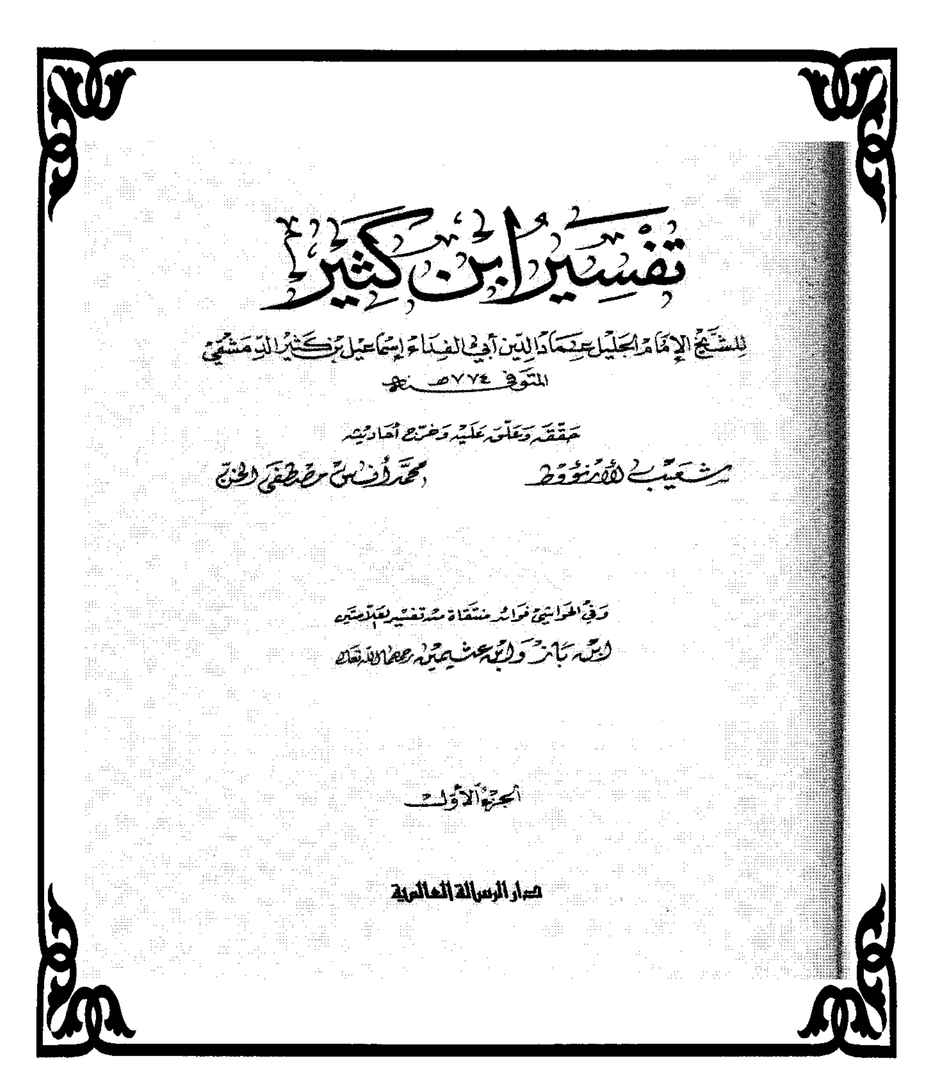
في حين كان من خُلق وشِيَم غيره، يوم أنْ تولَّى إدارةً في يوم ما، أنْ نازع الناس في حقِّهم، فكان يُعطي ويمنع وِفْقاً لمزاجيَّة جاهلية! وهكذا الجهل يَفتِك بصاحِبه ولو تَلبَّس بلباس أهل العلم، فأنَّى أن يكون منهم؟!

وأسوق مثالاً على ذلك :

فمن أواخر ما طبعته دار الرسالة العالمية: «تفسير القرآن العظيم» للحافظ ابن كثيررَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكُتب على طرَّته : حقَّقه وعلق عليه وخرَّج أحاديثه شعيب الأرنؤوط و محمد أنس مصطفى الخن .

فاستوضحتُ الأمر من شيخنا، فنفاه، وقال : إنما ينحصرُ عَملي في مُراجعة التَّخريجات للأحاديث، لا غير، **وهذا من فِعْل النَّاشر تكسُّباً، وغير رَاضٍ عنه!**

فلَمَّا قرأتُ مقدِّمة الناشر والمعتني للكتاب، وجدت صحَّة ما أخبرني به شيخنا، فقلت : سبحان الله، **أو تظن أن الناشر لم يتعمَّد ذلك؟**


تفسير ابن كثير

للشيخ الإمام الجليل عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي
المتوفى ٧٧٤هـ

حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه
شعيب الأرنؤوط محمد أنس مصطفى الخن

وفي الحواشي فوائد منتقاة من تفسير العلامتين
ابن باز وابن عثيمين رحمهما الله تعالى

الجزء الأول

دار الرسالة العالمية

ولكنَّه التكسب على حساب اسم الشيخ وشهرته، والله المستعان .[1]

وحينها قيَّدتُ كلمة وبياناً توضيحياً بأمر من شيخنا العلامة لهذا الأمر؛ حتى لا يظن ظانٌّ أنَّ شيخنا مُتشبِّع بما لم يُعط، وهو في هذا يُسجِّل درساً

(١) ومثله تماماً صاحب مؤسسة الرسالة ناشرون، فلا يكاد يطبع كتاباً إلَّا ويزج باسم شيخنا على غلافه تكسُّباً وترويجاً غير مبارك. ولا حول ولا قوة إلا بالله .
وهذا الفرع بدأ ينحى منحىً خطيراً في الطباعة والعبث بالتراث، فلتحذر طبعات كتبه .

إيمانيًّاً وتَربويًّاً لأولئك الشِّرْذِمة الذين يَسْطُون على جهود غيرهم ويَنسبُونها إلى أنفسهم، ولـم يكلِّفوا أنفسهم أي عناء في تحقيق الكتاب، ثم سُرعان ما تراه وقد ألصق اسمه كمحقق !!

قَالَ ابْنُ يُوسُفَ عَفَا اللهُ عَنْهُمَا : **وهنا آفتان آثمتان :**

الأولى : أن يتدخَّل الناشر ـ وغالبهم ممن ليس لهم في العلم صلة، وإنما وَكدُهم الرِّبح ـ بالتَّحكُّم في وضع أسماء العاملين في تحقيق كتاب ما، فإذا كانت العلاقة مع الموظف على خير دُوِّن اسمه، ويزداد الخطر إن كان ليس له في التحقيق شيء، ثم تراه مُشرفاً ومحقِّقاً! فإنْ أنكرتَ ذلك، جاء الجواب بكل قِحَة : هذه عادة النَّاشر ! وكذا جرت الأمور .

وأمَّا إن كانت العلاقة سيئة والمسألة شخصية، فبحركة قلم آثمة يُحذف اسمه من طُرَّة كتاب قد تعب فيه، واجتهد في تحقيقه وضبطه، وهذا موجود اليوم ويعرفه أصحابه عين المعرفة، والقصص المؤلمة فيه كثيرة من الناشرين الذين لا يتقون الله تعالى .

وأمَّا الثانية : وهي أفدح وأكبر جُرماً، ذلك أن يَعمد ناشل = ناشرٌ ـ عفواً : أو مدير للناشر ـ إلى تكليف أحد المهووسين بالمال ـ حلالاً حراماً لا يهم ـ بتحقيق كتاب من ألِفه إلى يائه، أو كتابة رسالة علمية شرعية!! ثم يُسطَّر على غلافه، تحقيق فلان، أو تأليف فلان ! وهو لم يكتب حرفاً واحداً فيه، فبالله عليكم، أيجوز هذا في ميادين نشر علوم الشريعة الغرَّاء؟! **والطامة الكبرى** أن كلَّ من يفعل هذا يعلم علم يقين حديث رسول الله ﷺ «المتشبِّعُ بما لَمْ يُعطَ كلابس ثَوْبَيْ زُور»(١) وإنَّهم ـ ومع هذا العِلْم ـ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢١٩) من حديث أسماء رضي الله عنها .

تراهم يُقدِمون عليه، سبحان ربي! أي عقول هذه؟ وأي ضمائر ميِّتة عندهم؟ كل هذا لأجل أن تكون المَحمَدة والثناء على إخراج الكتب وبيعها للملوك والأمراء والتَّأكل بها، ثمَّ بكُلِّ استِخفَافٍ بأهل العلم وطلبته، تُجعل من باب التَّوزيع لطلبة العِلْم! حِسبةً لله!

ماشاء الله ! اللهم لا حسد !

والأنكى من هذه، إنَّك إنْ صارَحتَ بعض من رُزِق علماً لتبثَّ إليه بعض شكواك، بادَرَكَ بمنطق عجيب غريب قائلاً : جزاه الله خيراً، فهو يقوم على نشرها وتوزيعها لطلبة العلم !!

فعجباً من أهل هذا الزمان الغريب في ميادين التحقيق والسَّلْب والتَّخريب !

وتبقى **آفةٌ ثالثة** لصيقة بهاتين الآفتين، وهي آفة **السَّرقات العِلْميَّة**، وأماكن هتكها معروفة، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وأعتذر إليك أيها القارئ الكريم، فقد أَعْكَرْتُ مَزاجك، وأَضقْتُ صدرك، ولكنها والله هومٌ وسُموم تَنْخر في مَيادين العِلْم .

هذا، ولا يزال شيخنا معطاءً للعلم، معروفاً به، أنيسهُ في حِلِّه وتِرْحاله، فاللهَ أسأل أن يبارك في عمر شيخنا وأن يحفظه ذخراً للإسلام والمسلمين .

وأمَّا هذا الورقات في ثَبَت تحقيقاته، فهي تَدُور على عِدَّة أطوار، وفيما يلي بيان لثبت تحقيقات شيخنا أدام الله ظِلَّه، من خلال هذه الأطوار مع شيء من البيان والتعريف بها، وقد انتفعت في ذلك بما قيَّده شيخنا في مطلع تحقيقاته، مع صُبابات وتعليقات مُتمِّمة وموضِّحة، أذنتُ للقلم فيها بالتَّعليق حقَّاً وعدلاً، ـ **وإنْ لم أُطْلِع الشَّيخ على بعضها؛ مخافة حَذفِها وهي**

حقٌّ وصدقٌ ـ لكن «**حراسة العِلْم أَولى من حراسة العالِـم**»، وحراسة العِلْم تُوجِب البوح بذلك، وما هذا إلَّا اقتفاءُ لِمَهْيع الأسلاف، وتخليصٌ للعلم من الغوائل، ومن كَرِه منِّي حرفَ مَبْنى، فلا يُشْغَل به عن ظَرْف المعنى، فَالْمُعاونة على البرِّ والتقوى حِصنُ العُدَّة والأمل، والْمُداهنة بالسُّكوت عن مَوارد البلاء أُمُّ العِلَّة والخَلل، وبهصر المعاونة ونصر الْمُداهنة عظُمت الدَّواهي في الدِّين، وفُتِح باب الفُرقة على المسلمين .

وسيقف القارئ الفَطِن فيه : من ثِقَل الحقِّ ما سيكرهه فئامٌ من الناس ـ والرِّضا عزيز، فحسبُك ربُّك ـ وعسى أن تكون ككراهة المريض الدَّواء، **مع انتفاعه به**، وعُمدتي فيه من حكمة ديوان العرب: قول ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

أَبِنْ وَجْهَ قَولِ الحقِّ في نَفْسِ سَامعٍ وَدَعْهُ فنُورُ الحقِّ يَسْرِي ويُشرِقُ

سَيُؤْنِسُهُ رِفْقاً فَيَنْسَى نِفَارَهُ كمَا نَسِيَ القَيدُ المُوثَّقَ مُطْلَقُ

أقامني اللهُ وإيَّاك على منهج الصواب، وجنَّبنا الحَيرة والاضطراب، ورزقنا مَتين العلم، وأذاقنا حلاوته، هادين مهديِّين، غير ضالِّين ولا مضلِّين .(١)

❑ ❑ ❑

(١) وانظر الكتاب النَّفيس : «الغاية من السَّماع والرِّواية» للعصيمي (٤٢) و (٦٦) بتصرف .



الطور الأول

تحقيقاته في المكتب الإسلامي

❑ **تعريف بالمكتب الإسلامي :**

يُعتبرُ المكتب الإسلامي للطباعة والنشر من أقدم دور النَّشر الإسلامية، وقد أسَّسه الشَّيخ زهير الشاويش في دمشق سنة (١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م)، باسم دار السلام، وقد نشر منها «منار السبيل» لابن ضُويَّان رَحِمَهُ اللهُ في عام ١٣٧٨هـ، ثم في بيروت مطلع عام (١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م)، تحوَّل إلى المكتب الإسلامي .

وقد كان من منهج المكتب في مطبوعاته ـ وقتئذٍ ـ العناية والإتقان في إخراج نصِّ المخطوط إلى عالم الطباعة، مع الفهرسة والتبويب، معتمداً على المخطوطات التي زخرت بها مكتبته، وقلَّما يخرج كتاب عن هذا المنهج إلا ما ندر، وسيأتي بيان ذلك بتفصيل وإيضاح مع التمثيل من تحقيقات شيخنا شعيب حفظه الله ونفعنا بعلمه.

وقد يسَّر الله سبحانه للمكتب أن ينشر خلال الفترة الطويلة الماضية وبمعونة نخبة من العلماء والمحقِّقين الأفاضل من أمثال الشَّيخ العلَّامة المحدِّث محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ، والشيخ العلَّامة المحدِّث عبد القادر الأرؤنوط رَحِمَهُ اللهُ، وشيخنا العلَّامة محدِّث الفقهاء، وفقيه المحدِّثين، وأستاذ المحقِّقين شعيب الأرنؤوط حفظه الله ونفع به الإسلام والمسلمين، العدد الوافر من كتب العقيدة، والتفسير، والحديث، والفقه، والتراجم، والأدب،

واللغة، والتاريخ، والتي أغنت المكتبة العربية والإسلامية بنفائس التراث الإسلامي.(١)

ومما قاله العلَّامة المحقِّق أبو فِهْر محمود شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن المكتب وعن إصداراته، إبَّان عمل شيخنا فيه:

«إثر الحرب العالمية الثانية بقليل دخلت مجتمعاتنا آراء غريبة، ومبادئ بعيدة، وأفكار مسمومة، ولم يستطع المسلم الغيور أن يعمل شيئاً، فنشأت جماعات ولكن ـ مع الأسف ـ لم تستطع تقديم ما يجب عليها عمله، حيث لا تملك العلاج الكامل، ولا تستطيع الحركة المطلوبة، فسيل أمامها، وحاجز دونها، ورمي عليها، ثمَّ مع الأسف. صراع بينها.

وجد أحد العاملين، وهو زهير الشاويش، أنه لا بُدَّ من عملٍ، فكلُّ مسلمٍ على ثغرٍ من ثغور الإسلام، فيجب ألَّا يُؤتى من قِبله، وكان قد جاهد في فلسطين، وساهم في الجماعات، وعمل في التوعية.

انتهى التفكير بهذا المجاهد إلى وجوب العمل على نشر الأفكار السليمة، والآراء الصحيحة، والمناهج القويمة، والمبادئ الشرعية، ولكن

---

(١) وقد كان له الفضل بعد الله تعالى في التعريف بكثير من أهل العلم الكبار في نشر تأليفاتهم و تحقيقاتهم، بَيْد أنَّه وإن كان له هذا الفضل، إلَّا أنه لا يمنحه الحق لأنْ يحشر اسمه مع المُحقِّقين وليس منهم، ولا على دراية بعلمهم وخبرهم، ولو كان صاحب الدار، وكان ينبغي أن يصون نفسه عن نسبة كتب إليه تحقيقاً وتخريجاً ونشراً، لم يعمل بها أو عليها، لا سيما في تحقيقات بعض من عمل عنده، ثم آل الأمر بطبعها عند غيره،، فذا ما يأباه الشرع الحنيف، وفيه من الوعيد ما لا يخفى، وكلُّ من يعمل في صنعة التحقيق يعلم أمره وغاية علمه، وأنه ليس من أهله، وسيأتيك من نبأ هذه المصنفات كل في موضعه، ودع عنك الزعم البارد: «عمدنا إلى هذا حفظاً للحقوق»! فهذا ضرب من تضييع الحقوق، ومن الكذب مع التغفيل، في قالب عاطفيٍّ دخيل.

هـذا يحتـاج إلى دارٍ للنـشر، فجـدَّ واجتهـد، وتوكـل عـلى الله، وأسَّـس الـدَّار، وجعل فكره اسماً للدار، وشعاراً لها، فكان المكتب الإسلامي.

أخذ ينشر من المبادئ ما يجب أن يعمَّ، ومن الأفكار ما يجب أن يسود، وبدأت الكتب تصدر وكلها ما يُرفع بها الرأس، ويفخر بها كل مسلمٍ.

لا يـزال المكتـب قـائماً، والكتـب تـصدر تباعـاً، رغـم مـا اعترضـه مـن صعوباتٍ، ومن افتراءات أصحاب المصالح والأهواء، والمنافع والأغراض، والفتن وإثارة العداوات.

نرجو من الله العلي الكريم أن يمنَّ على المكتب وصاحبه بالاستمرار لتقديم الخير ونشر الفكر، وأن يلقى الدَّعم والمساعدة، والتشجيع والتأييد، وهو لا يريد منافع مغرية، ولا رفعة عالية، بل يهدف إلى نشر الفكر للتوعية الإسلامية، وعلى هذا يقوم المكتب الإسلامي، وعلى هذا يريد الاستمرار، نرجو له الأجر من الله الكريم الوهاب.

أخوكم محمود»

❑ ❑ ❑



صورة ما قيَّده العلامة محمود شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ

وقال عنه أيضاً العلامة الدكتور محمود الطناحي رَحِمَهُ اللَّهُ وعن تحقيقات شيخنا البديعة التي أصدرها المكتب الإسلامي: « وفي السنوات الأخيرة قامت بعض دور النشر الخاصة في سوريا، بنشر بعض الموسوعات التراثية، وكان أسبق هذه الدور ظهوراً: المكتب الإسلامي، ويديره الأستاذ الفاضل محمد زهير الشاويش، الذي نشر عيوناً من التراث، منها: كتاب «شرح السنة» للبغوي، و«زاد المسير في علم التفسير» لابن الجوزي ...»[1]

وقال عنه أيضاً فضيلة الشَّيخ محمد لطفي الصباغ: «الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين، وبعد:

المكتب الإسلامي لصاحبه الصديق القديم الجديد الأستاذ زهير: دار نشر، ومدرسة تحقيق، وندوة أحبة.

شق هذا المكتب طريقه من خمسين سنة بدأب متواصل وجهود ضخمة، فأثمر ذلك الدأب والجهد ثمرات طيبة نافعة.

أما كونه دار نشر: فيكفيني في الدلالة على ذلك هذه القائمة الضخمة من الكتب التي نشرت لأول مرة في الفقه والتفسير والحديث واللغة والأدب وسائر العلوم الإسلامية والعربية.

ففي الفقه الشافعي نشر المكتب موسوعة «روضة الطالبين» للإمام النووي لأول مرة، وفي الفقه الحنبلي نشر المكتب كتاب «مطالب أولي النهى» للعلامة السيوطي الرُّحيباني لأول مرة.

---

(١) انظر: «مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي» (١٦١)

وفي تخريج الأحاديث الواردة في كتب الفقه، نشر كتاب «إرواء الغليل» للشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ، نشر هذه الكتب وأمثالها نشراً علمياً يتميَّز بعناية فائقة في التصحيح وتخريج الأحاديث وذكر درجتها.

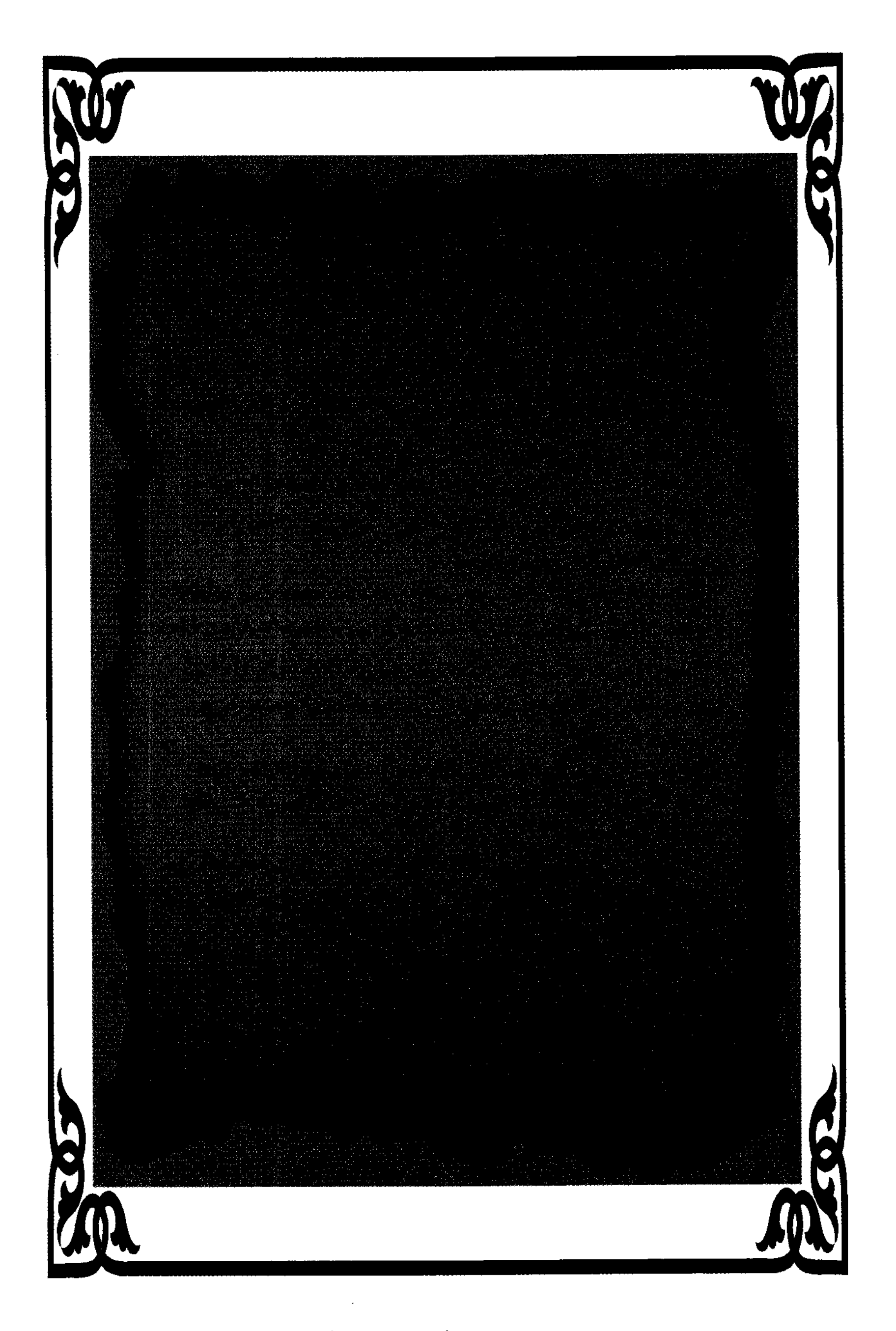
وأما كونه مدرسة تحقيق : فقد كان رائداً في هذا المجال في بلاد الشام وغيرها، خرَّجت هذه المدرسة عدداً من المُحقِّقين الذين قدَّموا للمكتبة العربية كتب التراث محققة مفهرسة مخدومة، وقد فرَّغ صاحبُ المكتب عدداً من العلماء للعمل في المكتب، أذكر منهم العلاَّمة المحدث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ، والعلاَّمة الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط رَحِمَهُ اللَّهُ، والعلاَّمة الشيخ شعيب الأرناؤوط، والعلاَّمة الشيخ محمد سعيد الطنطاوي رَحِمَهُ اللَّهُ، والعلاَّمة الشيخ عبدالقادر الحتاوي رَحِمَهُ اللَّهُ .

وأما كونه ندوة أحبَّة، فقد كان يلتقي في هذا المكتب نخبة من رجال العلم والدعوة من أمثال شيخنا العلاَّمة محمد بهجة البيطار رَحِمَهُ اللَّهُ، والداعية الكبير الأستاذ عصام العطار رَحِمَهُ اللَّهُ، والأستاذ العلاَّمة راتب النفَّاخ رَحِمَهُ اللَّهُ، والعلاَّمة الشيخ سعدي ياسين رَحِمَهُ اللَّهُ وغيرهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

محمد لطفي الصباغ»

❑ ❑ ❑



صورة ما قيده الشيخ محمد الصباغ

❑ **بداية عمل الشَّيخ في المكتب الإسلامي :**

لقد عَمِل شيخنا حفظه الله في المكتب الإسلامي أول ما بدأ في التحقيق ونشر التراث في عام ١٩٥٨م، وكان من فضل الله عليه وتوفيقه أن أخرج جملة من الكتب النَّافعة، هي من أمَّات الكتب الشرعية والعربية.

وهذه الكتب قسم منها قام على تحقيقه شيخنا بمفرده، وقسم منها قام به مع رفيق دربه الشَّيخ العلَّامة عبد القادر الأرنؤوط رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

فإن قلتَ : وما المنهج الذي سلكه الشَّيخ في التحقيق في ذلك الوقت ؟

فأقول : الناظر في تحقيقات تلك المرحلة، يظهر له أنَّ الغالب عليها أمور :

١ . **أنَّ الهدف الأبرز** : هو إخراج الكتاب من عالم المخطوطات إلى عالم المطبوعات، مع القراءة الصحيحة للمخطوط والعناية بضبط النَّص ضبطاً سليماً حسب الجهد والطاقة، وقد كانت هذه رغبة صاحب الدار، لا سيَّما مع الإلحاح الشديد من حاكم قطر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والشيخ محمد بن مانع رَحِمَهُ ٱللَّهُ آنذاك للعجلة في طبع الكتاب وسرعة نشره .

٢ . ما يتعلَّق بالأحاديث، فكان المنهج فيها يقوم على مسارين :

الأول : قسمٌ من هذه الكتب ـ بعد ضبط نصه ـ كان الغالب عليه تخريج كافة الأحاديث فيها، وبيان صحيحها من ضعيفها، وهذا ظاهر في الكتب التالية :

«مسند أبي بكر الصديق» للمروزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

و«شرح السنة» للبغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

و«زاد المسير» لابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

والثاني : قسم لم يتجاوز في الغالب ضبط النَّص، ونادرٌ جداً أنْ ترى بعض التَّخريجات، ويُمثِّل هذا القسم التحقيقات الفِقْهيَّة التي نشرها شيخُنا مع الشيخ عبد القادر الأرنؤوط رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وتُمثِّل :

«روضة الطالبين وعمدة المفتين» للإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

و«الكافي في فقه الإمام المبجَّل أحمد بن حنبل» لابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ

و«المبدع في شرح المقنع» لابن مفلح رَحِمَهُ ٱللَّهُ

و«مطالب أولي النُّهى في شرح غاية المنتهى» للرُّحَيْباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ

و«منار السبيل» لابن ضويَّان رَحِمَهُ ٱللَّهُ

و«تيسير العزيز الحميد» للعلامة سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣. ما يتعلَّق بكتب السِّير، واللُّغة، والأخبار، والأشعار، فالمنهجُ فيها مُخالِفٌ للكتب الحديثية أو الشرعية نوعاً ما، فالعناية هنا تكمُن بعد ضبط نَصِّها، إلى تخريج أشعارها، وترجمة قائليها، وشرح الغريب فيها، وتعريف الأماكن، وغيرها، وهذا جَليٌّ في المصنَّفات التالية :

«المنازل والدِّيار» لأسامة بن منقذ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

و«مختارات الأغاني» لابن منظور رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيرها .

وفيما يلي بيان هذه التحقيقات، مع شيء من التعريف بها، وقد انتفعت في ذلك بمقدماتها مما سطره شيخنا مع التصرف والتعليق، فدونك بيان ذلك :

❑ ❑ ❑

١. «مسند أبي بكر الصديق» للمَرْوَزِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

وهذا الكتاب أولُ عمل حَدِيثيٍّ يقوم به شيخُنا، وهو سِفْرٌ نفيس، مما أثمرته تلك الجهود الطيبة في خدمة السنة النبوية، وهو من تأليف الإمام الحافظ القاضي أبي بكر أحمد بن علي بن سعيد بن إبراهيم الأموي المروَزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من مُحدِّثي القرن الثالث الهجري، ومن طبقة البخاري ومسلم.

خرَّج فيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأحاديث المُسندة من طريق الصَّحابة، والتابعين، عن أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وقد أفرد أحاديث كل صحابي، أو تابعي على حِدَة، ثمَّ أدرجها تحت عنوان يذكر فيه اسم الصَّحابي، أو التابعي الذي رواها عن أبي بكر، وقد ترسَّم ذلك المنهج، ولم يخرج عنه إلَّا في أحاديث قليلة.

وكأنَّ المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ قصد من تأليفه هذا استيعاب ما أمكن الوقوف عليه من الأحاديث المرويَّة من طريق أبي بكر، فمن أجل ذلك لم يتحرَّ الصِّحة في مرويَّاته، وتلك طريقة أصحاب «المسانيد» و«السُّنن» و«المعاجم»، ولا ضَيْر عليهم في ذلك طالما يَسُوقون الأحاديث بأسانيدها، فإنَّ السَّند للخبر كالنسب للمرء.

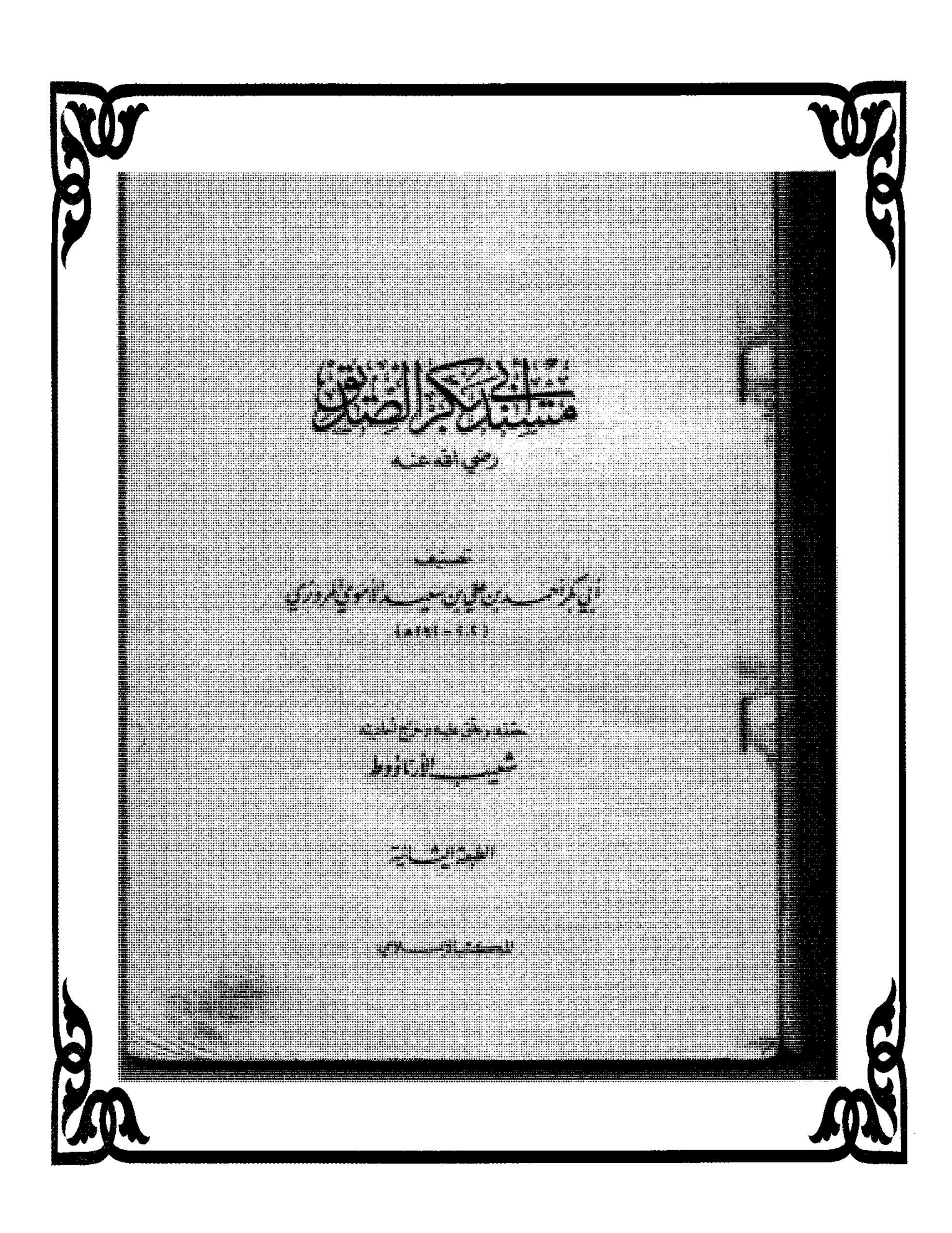
وجملة ما فيه من الأحاديث بما فيه المكرر (١٤٠) حديثاً، وقد ألحق به حديثين خرَّجهما من غير المُصنِّف أبو أحمد بن المفسِّر، راوي الكتاب عنه.

وإذا علمتَ أنَّ عِدَّة ما في «مسند الإمام أحمد» من حديث أبي بكر (٨١) حديثاً بما فيه المكرَّر ـ وهو من أعظم المسانيد استيعاباً ـ تبيَّن لك قيمة هذا المسند والعناية التي بذلها المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جمعه وتحصيله حتى غدا من أحفل المراجع التي تضم أحاديث الخليفة الأول، وذلك مما يُيسِّر على الباحث الاطلاع عليها بأسرع وقت، وأيسر طريق.

هذا، وقد كان لتحقيق هذا «المسند» قصة، وهاك خبرُها، وهي مما حدثني بها شيخنا :

فحين قُدِّمت مخطوطته للعاملين في المكتب الإسلامي للنظر فيها وتحقيقها، لم يستطع أحد منهم أن يُحسن قراءة المخطوط، وفكِّ غامضه وعسره، فتقاصرت الهمم عنه، لِعُسر قراءة مخطوطته، فغالب كلماته غُفْلاً، والقراءة فيه متعبة، فلما آل الأمر إلى شيخنا حفظه الله بإشارة من الشَّيخ ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بعد محاولة في تحقيقه، فلم تَنجح معه، وكان يرى رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ الاشتغال بمخطوطٍ هذا حاله فيه مَشغلة كبيرة، ومن هنا أشار على شيخنا شعيب لتحقيقه، وكان الأمر أشبه ما يكون نوعاً من الرِّهان والتَّحدِّي، فعزم شيخُنا على الإقدام عليه، والعناية به، وقد وفَّق الله سبحانه شيخنا بذلك، فخرج في وقته وكان عَملاً مُتقناً، ولله الحمد والمنَّة .

❑ ❑ ❑



غلاف المسند للمروزي بتحقيق شيخنا حفظه الله

❏ ❏ ❏

٢. «شرح السُّنة» للإمام البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

وهذا الكتاب من أحبُّ الكتب إلى شيخنا، وقد قام على تحقيقه ولم يكن مطبوعاً من قبل، وكان ينوي أن يُسْعِفه الوقت ليُعلِّق عليه أكثر من ذلك، ولكن الحمد لله أن خرج الكتاب، ولم يُفقد أو تصيبه ما أصاب غيره من الفقدان، أو الحرمان!

إنَّ كتاب «شرح السنة» للإمام المُفسِّرِ المتقنِ، والمحدِّث الجليل، والفقيه البارع، مُحيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود الفرَّاء البغوي، يُعدُّ من أجلِّ كُتب السُّنة التي انتهت إلينا من تراث السَّلف ترتيباً وتنقيحاً، وتوثقاً وإحكاماً، وإحاطة بجوانب ما أُلِّف فيه، وأُنشئ من أجله، وهو يُبيِّن عن سعة اطِّلاع على الحديث ونقلته، ودرايةٍ بالرِّوايات وعِلَلها، ومعرفة بمذاهب الصَّحابة والتابعين، وأئمة الأمصار المجتهدين، وأمانة في النقل والتحقيق.

وقد أولاه المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عناية تامة، فأحسن انتقاء أحاديثه من مَرْويَّات أهل العدالة والضبط من رواة الحديث النبوي الشريف الذين هم أهل الصَّنْعة المُسلَّم لهم بالإمامة من أهل عصرهم، ثم جاء شرحه لها مشتملاً على فوائد شتَّى من: حلِّ مُشكلٍ، وتفسير غريب، وبيان حُكم، وما إلى ذلك مما يَمتُّ بسببٍ إلى فِقْه الحديث.

وقد حمله على تأليفه ما شاهده في عصره من جمود كثير من أبناء زمنه على كتب بعض الفقهاء، وإعراضهم عن الكتاب والسُّنة، وإغفالهم البحث عن معانيهما، ولطائف علومهما، فرأى أنَّ مِنْ حقِّ الدِّين عليه، وواجب النُّصح للمسلمين أنْ يُؤلِّف هذا الكتاب الرَّائع الذي يجمع بين الرِّواية والدِّراية؛ لتنصرف همَمُهم على اختلاف مشاربهم إلى الاقتداء بأئمة السَّلف

الذين أُلْهِموا الفهمَ الصَّحيح للإسلام عن طريق التَّفقه بالقرآن والسنة، وما يرشدان إليه من أصول وقواعد.

وقد رتَّب كتابه على الموضوعات، على طريقة أصحاب المُصنَّفات من المحدِّثين، فجمع الأحاديث المُتعلِّقة بكل موضوع في مكان واحد، وأطلق لفظة «كتاب» على العنوان العام الجامع لأحاديث متعدِّدة، ولأبواب كثيرة من جنس واحد، كالإيمان، والصلاة، والبيوع، وأطلق لفظة «باب» على الأحاديث التي تدلُّ على مسألة خاصة بعينها، وقد توخَّى الدِّقة في ذلك أكثر من كلِّ من تقدمه ممن أَلَّف في موضوعه، ويظهر ذلك جلياً واضحاً بالمقارنة، وكثيراً ما يقتبس من الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عناوين الباب بلفظها ونصها الواردة في «جامعه الصحيح».

ودَرَج على أن يفتتح كل كتاب، وأحياناً بعض الأبواب بآيات تناسب موضوعه، مُذيَّلة بما أُثِر عن الصحابة والتابعين من تفسير لها، وتوضيح لمعانيها.

ثم يسوق الأحاديث المتعلِّقة بالباب الذي تَرْجَم له من دواوين السنة المعتمدة التي تلقاها بالسَّند المتصل إلى مُؤلِّفيها، وقد التزم غالباً أن يذكر السند إلى النبي ﷺ، ثم يذكر مُخرِّجه إذا كان في «الصَّحيحين»، أو في أحدهما، فيقول: متفقٌ عليه، أو أخرجه البخاري، أو مسلمٌ، ومراده بذلك أنهما أخرجا أصله وبعض لفظه، أو معناه، لا كلَّه نصَّاً، وفي ذلك تساهلٌ غير ضار عند أهل العلم بهذا الفن، وأحياناً يذكر الحديث بسنده من أحد «الصَّحيحين»، ثم يُعقِّب عليه بقوله: هذا حديث صحيح، أو متفق على صحته.

وإذا لم يكن الحديث عند واحد منهما، فكثيراً ما يتقلَّدُ قول الإمام الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التصحيح أو التضعيف، وينقل كلامه في تعليل الخبر، وما قيل في رجاله ممن تُكلِّم فيهم، وقد يذكر كلامه دونما إشارة إليه، وأكثر ما يفعل ذلك إذا نقله بالمعنى محرَّراً منقحاً، وربما استقلَّ بالحكم على الحديث تصحيحاً أو تضعيفاً.

وهو يحرص أشد الحرص على أن يذكر الأحاديث الصِّحاح، ولكن ربما ساق معها أحاديث ضعافاً دون بيان حالها، إلَّا أنه يذكرها في الشَّواهد أو المؤكِّدات، أو لبيان معنى مجملٍ في حديث صحيح، أو إذا لم يكن في الباب ما يُغنِي عنها من الصِّحاح.

ثم يذكر ما يُستفاد من أحاديث الباب من الفقه، وما يتعلَّق بعلوم الحديث، وربما تعرَّض لمسائل الفقه التي لا يتناولها الحديث المخرَّج في الباب، إما استنباطاً من الحديث، أو إلحاقاً بمسألة الباب لمناسبة بينهما.

ثم تراه يسوق اجتهادات الصحابة والتابعين، وأقوال الأئمة المجتهدين في أمَّات المسائل المتفق عليها، والمختلف فيها، ويحكي أدلة كل منهم بشيء من التفصيل إن احتاج المقام إلى ذلك، وربما رجَّح من تلك الأراء ما استبان له صوابه، ولو كان على خلاف مذهبه، فتراه لا يتكلَّف الطعن في أدلة المخالفين، وهذا غاية في الإنصاف والورع منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقد نحى في كتابه هذا منحى المحدِّثين في التعويل على الحديث الصحيح والأخذ به، وقد بيَّن بأنه متى صحَّ الحديث تعيَّن المصير إليه، والأخذ به .

ثمَّ إنه لم يُخْلِ كتابه من تفسير غريب الحديث، وإيفائه حقَّه من الشرح والبيان، على طريقة أهل اللغة، من ذكر الاشتقاق، والاستشهاد بالنظائر ونحوها، معتمداً في ذلك أيَّما اعتماد على تأليف أبي عُبيد القاسم بن

سلَّام، وابن قتيبة، وأبي سليمان الخطَّابي، وغيرهم من أئمة اللغة، وأكثر ما ينقل عنهم بحكاية لفظهم نفسِه، وربما تجاوز ذلك إلى الحكاية بالمعنى.

وقد كان من غرض الإمام البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من كتابه هذا، هو جمع ما تناثر من الحديث المحتج به في «الصِّحاح»، و«المسانيد»، و«السُّنن»، و«المعاجم»، و«الأجزاء»، في جليل العلم ودَقيقه؛ ليكون مرجعاً وافياً وشاملاً لكل ما يحتاجه المسلم في أمور دينه ودنياه، ولذا أدرج فيه من الأحاديث ما يتعلَّق بالعقائد وأصول الدين، والعلم، والعبادات، المعاملات، وحقوق الناس، ودلائل النبوة، ومبدأ الوحي، وشأن المبعث، والسير، والمغازي، والمناقب وأخبار القيامة، والحشر، والحساب، والشفاعة، وصفة الجنة والنار، وأخبار القرون الماضية، وفضائل القرآن، والزهد، والرِّقاق، إلى غير ما أودعه بعدُ من الأحاديث في السُّنن والآداب، ومحاسن الأخلاق، وسائر ما يدخل في معناها من أمور الدِّين الحنيف.

فهو سِجلٌ جامعٌ أمينٌ للحديث النبوي الشريف، ولمذاهب الصحابة والتابعين، والأئمة المجتهدين، وهو بهذه الصبغة ينفرد من بين كتب الحديث، وينهض وحده بإسعاف طلاب العلم والعلماء إذا ما أرادوا التعرف على الحديث النبوي، والتَّفقُّه فيه.

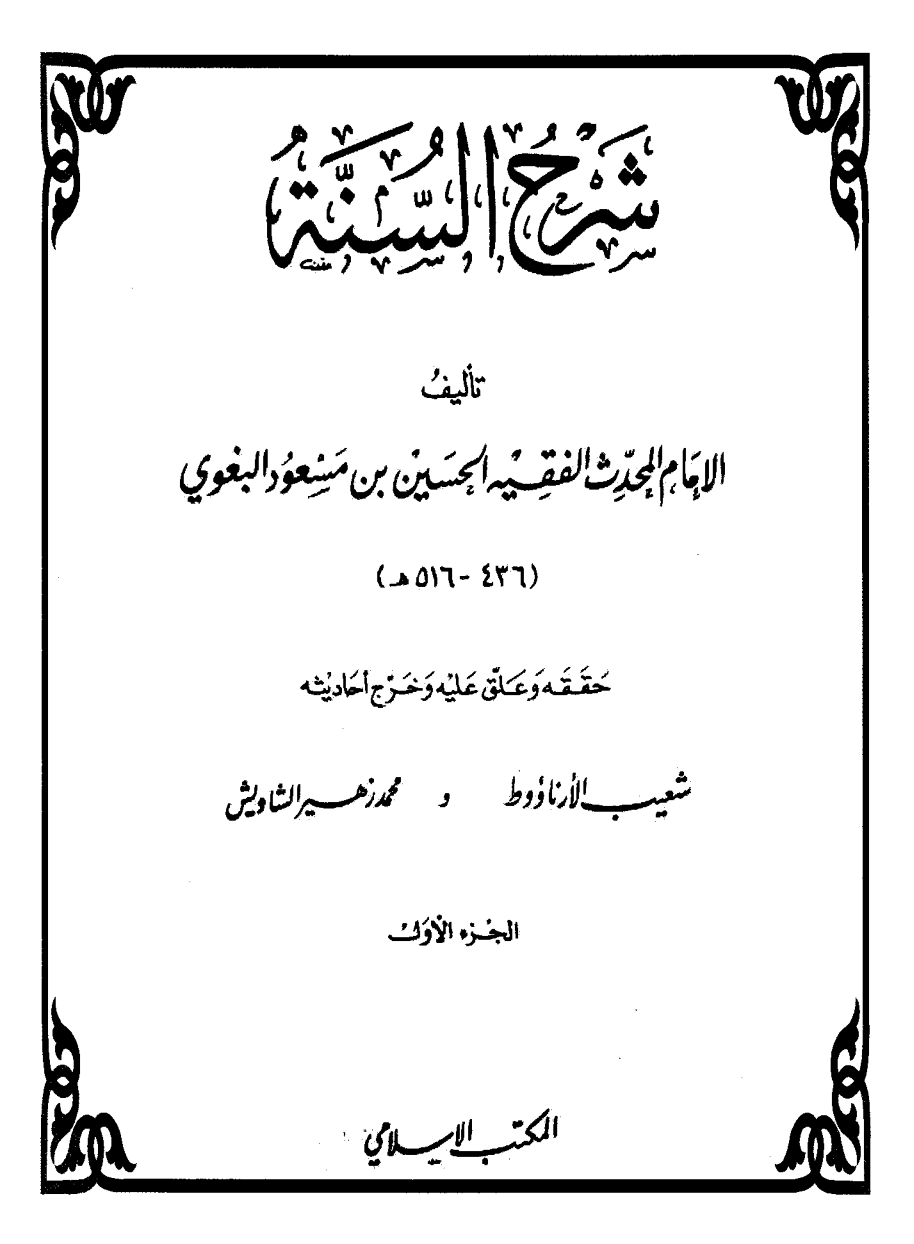
وإن كتاباً كهذا جمع إلى جلالة القَدْر، وعظم الفائدة، حسن الانتقاء، وإحكام الرَّصف، ودِقَّة التحرير، لا يستغرب انتشار ذكره بين طوائف الفقهاء والمُحدِّثين، وتدارس العلماء له على مرِّ الأجيال، والاقتباس منه، والنقل عنه، والإشادة بمؤلِّفه، والتَّنويه بعِلْمه وفضله.

هذا وإن الطريقة التي احتذاها الإمام البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه هذا، من رواية الحديث بعد التَّوثق من صحته للاستدلال على مسائل الفقه

والاستنباط، تعتبر الطريقة المثلى لإرشاد طلاب الحديث والفقه، فهي تُعلِّمهم كيف ينقدون الأسانيد والمتون، وكيف يُميِّزون الصحيح من غيره، وتُدرِّبهم على التَّفقه بالسُّنة التي هي شرح للقرآن، وبيان له، وتُربِّي فيهم مَلَكة الاستنباط، وتُكوِّن لديهم شخصية مستقلة، تُعينهم على الخروج من رِبْقة التَّقليد المحض المذمُوم في القرآن، إلى الاتِّباع المقرُون بالبصيرة والبرهان، وتحمِلُهم على احترام جميع الأئمَّة وتوقيرهم، وعدم جعل المسائل الخلافية سبباً للتفرُّق أو التعادي بين المسلمين، ولا التفاخر المُفضِي إلى ذلك.

فكان من فضل الله على شيخنا أن هيَّأ له تحقيق هذا الكتاب المبارك، لجلالته وعظيم مكانته، فصحَّ عزمه عليه، وانقلب إليه، فكان الخُبر فوق الخَبر، ألا فليهنأ أهل العلم؛ طلبة وعلماء بهذا الكتاب النافع، وبهذا التحقيق الماتع.

❑ ❑ ❑



شَرْحُ السُّنَّة

تأليف

الإمام المحدّث الفقيه الحسين بن مسعود البغوي

(٤٣٦ - ٥١٦ هـ)

حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه

شعيب الأرناؤوط و محمد زهير الشاويش

الجزء الأول

المكتب الإسلامي

صورة غلاف كتاب شرح السنة من تحقيق شيخنا

❑ ❑ ❑

٣.«روضة الطَّالبين» للنَّووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

ويأتي هذا الكتاب الذي حقَّقه شيخنا مع رفيق دربه في التحقيق الشيخ العلامة عبد القادر الأرنؤوط رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فهو تأليف في الفقه الشافعي، من تأليف الإمام الشهير الزاهد أبو زكريا يحيى بن شرف النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وكتاب «الروضة» هذا هو اختصار وترتيب وتنقيح للشرح الكبير لكتاب «الوجيز» تأليف العلامة أبي القاسم الرَّافعي القزويني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فجرَّده من التعليل والتدليل، وحرَّره ونقَّحه واستدرك عليه، واجتهد أن يستوعب المذهب، وزاد عليه تفريعات وتَتِمَّات، حتى غدا أصلاً أصيلاً من أصول فِقْه المذهب الشافعي .

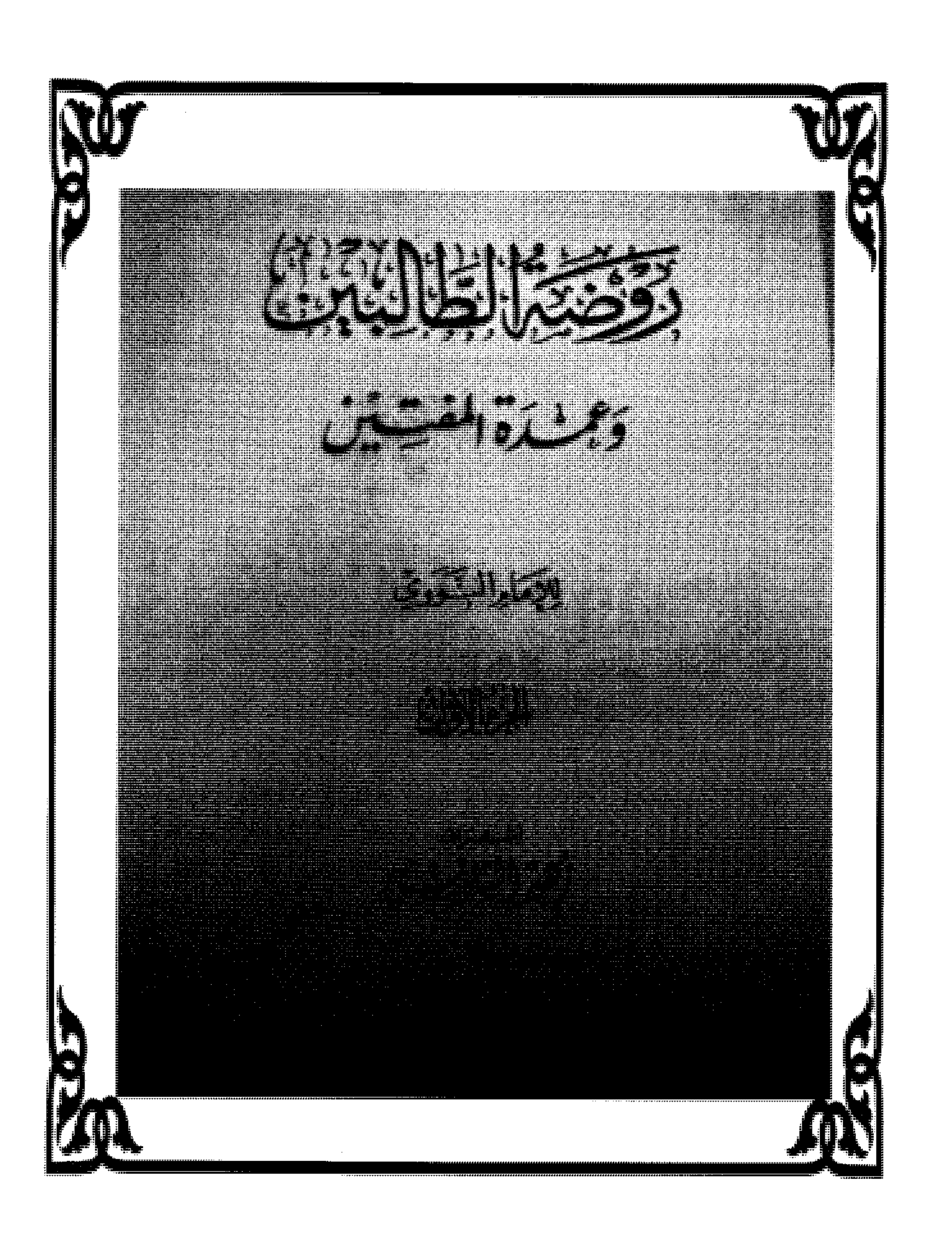
فهو مرجعٌ عظيم يَضمُّ بين دَفَّتيه الفقه الشافعي الذي تضافرت جهود كثير من العلماء الشافعية طوال خمسة قرون ونَيِّف على جمعه وتهذيبه وإيضاح الملتبس منه، وإضافة كثير من الأحكام المستجدَّة إليه.

فهو من هذه الناحية بالغ الأهمية لكل طالب علم وباحث يهمه الاطلاع على أقوال مدرسة فقهية كبيرة.

ولجلالة هذا الكتاب المبارك، جاء العلامة ابن المقري اليماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو من علماء القرن التاسع، فاختصر هذا السِّفر المُبارك النَّفيس «روضة الطالبين» بـ«روض الطالب» وأدناه للمتعلمين، بعبارة سهلة، ولفظ وجيز، وحذف غالب الخلاف، وقرر الأصح المعتمد، والذي عليه تدور الفتوى، حتى قال عنه الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : فلما ظهر «الروض» رجع أكثر الناس إليه؛ لمزيد اختصاره وتحرير عبارته، فسدَّ نهمةً، وبلَّ أُواماً .[1]

---

(١) وقد طبع لأول مرة «دليل الطالب» بتحقيق الأستاذ قاسم محمد النوري، في مجلدين، عن دار البشائر الإسلامية .

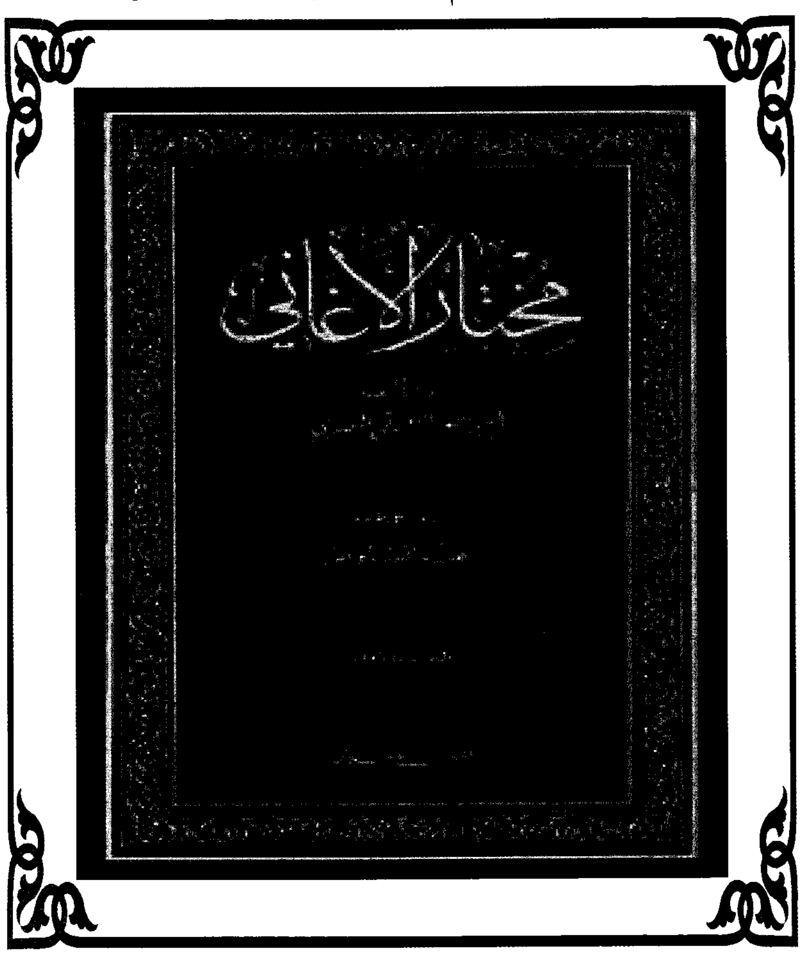

روضة الطالبين
وعمدة المفتين

❑ ❑ ❑

٤ . «مختارات الأغاني» لابن منظور رَحِمَهُ ٱللَّهُ

هذا الكتاب الذي اعتنى به شيخنا كان نزولاً عند رغبة الأستاذ زهير الشاويش، وحاكم قطر علي آل ثاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وأيّاً ما كان هذا الكتاب الذي خرج، فيحسن بالقارئ له أن يَطَّلع على كتاب : «**السَّيف اليماني في نحر الأصفهاني صاحب الأغاني**» للأعظمي جزاه الله خيراً؛ ليقف القارئ الكريم على كثير من المخالفات الشرعية فيه .



❑ ❑ ❑

٥. «المُبدِع في شرح المُقنِع» لابن مفلح الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ

وهذا الكتاب هو شرحٌ لأحد الكتب المباركة في المذهب الحنبلي، وهو كتاب «المقنع» تأليف الشيخ العلامة موفق الدين ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو الكتاب الثاني في التدرج في فقه الحنابلة، يسبقه «عمدة الفقه»، ثم «المقنع» ويتلوه «الكافي» ثم «المغني»

قال الشَّارح ابن مفلح رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمة شرحه: «وهو من أجلِّها تصنيفاً، وأجملها ترصيفاً، وأغزرها علماً، وأعظمها تحريراً، وأحسنها ترتيباً وتقريراً». اهـ.

وقال المرداوي رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدِّمة «الإنصاف» مُبيِّناً مكانة «المقنع» الكبيرة بين كتب المذهب: «فإنَّ كتاب «المقنع» من أعظم الكتب نفعاً، وأكثرها جمعاً، وأوضحها إشارة، وأسلسها عبارة، وأوسطها حجماً، وأغزرها علماً، وأحسنها تفصيلاً وتفريعاً، وأجمعها تقسيماً وتنويعاً، وأكملها ترتيباً، وألطفها تبويباً، قد حوى غالب أمهات مسائل المذهب، فمن حصَّلها فقد ظفر بالكنز والمطلب، فهو كما قال مُصنِّفه فيه: جامعاً لأكثر الأحكام، ولقد صدق وبرَّ ونصح، فهو الحَبْر الإمام، فإنَّ من نظر فيه بعين التحقيق والإنصاف، وجد ما قال حقاً وافياً بالمراد من غير خلاف» اهـ مختصراً.

وقد عدَّد ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ فيه الرواية، وجرَّده من الدليل، وهو أعمدة الحنابلة، فقد اهتم به العلماء واعتنوا به أيما عناية، ودارت حوله كثير من التصانيف ما بين شرحٍ، وحاشية، واختصار، ونظم، وتصحيح، وتنقيح، وزيادةٍ عليه، وبيانٍ لغريبه، وذكرٍ لدليله، فهذا المتن هو أشهر المتون في المذهب بعد مختصر الخرقي رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد قال ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ في طليعته :

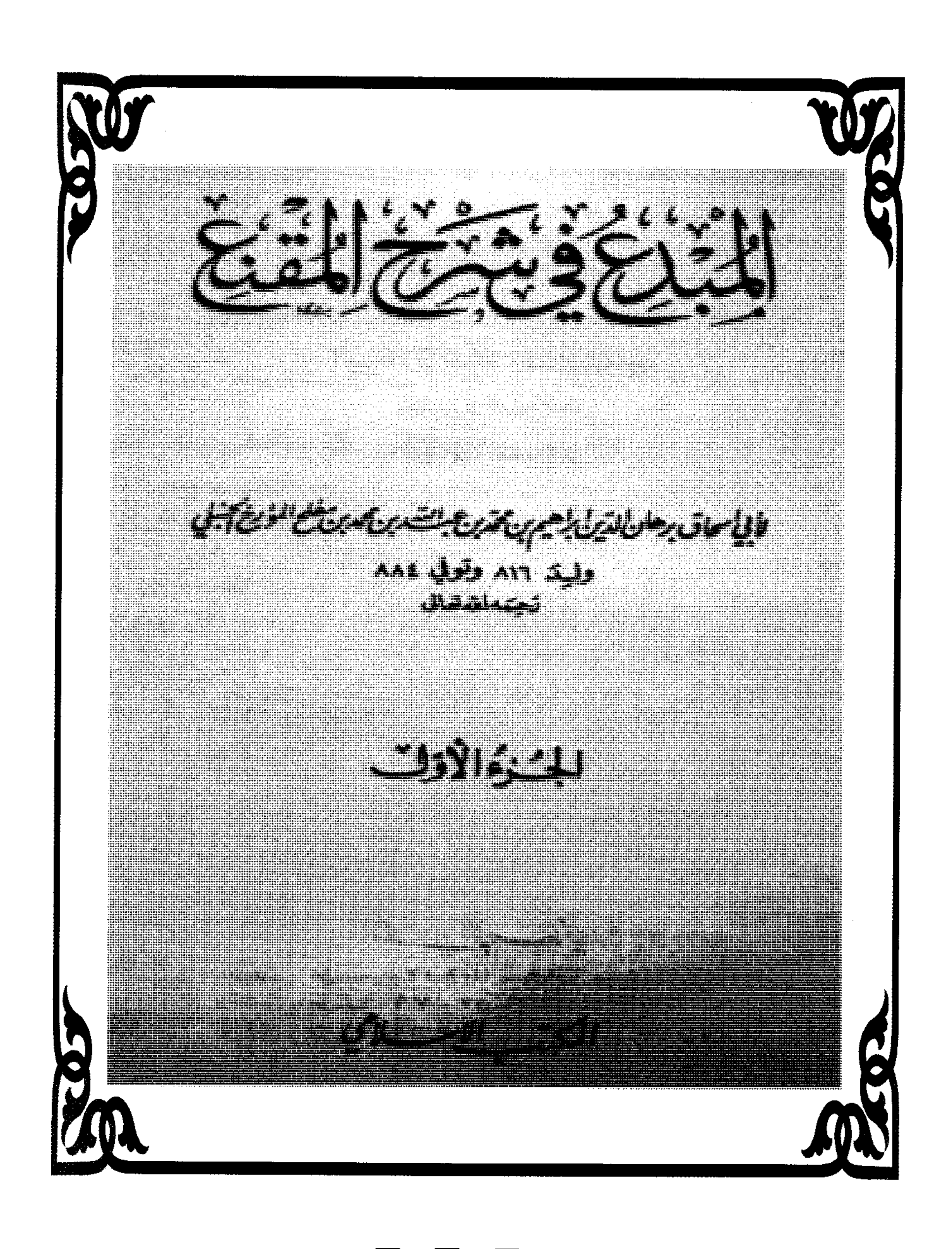
«فهذا كتاب في الفقه على مذهب الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ﷺ، اجتهدت في جمعه وترتيبه، وإيجازه وتقريبه، وسطاً بين القصير والطويل، وجامعاً لأكثر الأحكام، عَرِيَّة عن الدَّليل والتعليل؛ ليكثر علمه، ويقل حجمه، ويسهل حفظه وفهمه، ويكون مُقنعاً لحافظيه، نافعاً للنَّاظر فيه» اهـ.

وأمَّا كتابنا «المبدع» فهو من أحسن شروحه، ألَّفه الفقيه الحنبلي شمس الدين محمد بن مفلح رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد شرح «المقنع» وبَيَّن حقائقه ووضح دقائقه في كتاب «المبدع شرح المقنع»، وزاد في إيضاح مسائله وأحكامه، وأتى بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة عليها، وأورد فيه آراء أصحاب المذهب الحنبلي وجاء متوسطاً بين التطويل والإيجاز.

وقد قال العلامة ابن مفلح رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمته: وكنت قرأت فيه كتاب «المقنع» لشيخ الإسلام العلامة موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة، تغمده الله برحمته وأسكنه بحبوحة جنته، وهو من أجلِّها تصنيفاً، وأجملها ترصيفاً، وأغزرها علماً، وأعظمها تحريراً، وأحسنها ترتيباً وتقريراً؛ فتصدَّيت لأَنْ أشرحه شرحاً يُبيِّن حقائقه، ويُوضِّح دقائقه، ويذلِّل من اللفظ صعابه، ويكشف عن وجه المعاني نقابه، أُنبِّه فيه على ترجيح ما أُطلق، وتصحيح ما أُغلق، واجتهدتُ في الاختصار خوف الملل والإضجار، ورسمته بـ: «المبدع في شرح المقنع» والله أسأل أن ينفع به، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، إنه غفور رحيم.

وقد حقَّقه شيخنا مع رفيق دربه العلامة الشيخ عبد القادر الأرنؤوط رَحِمَهُ اللَّهُ.

❑ ❑ ❑


المبدع في شرح المقنع
لأبي إسحاق برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح المؤرخ الحنبلي
ولد ٨١٦ وتوفي ٨٨٤
رحمه الله تعالى
الجزء الأول
المكتب الإسلامي

□ □ □

٦. «زادُ المسير في علم التَّفسير» لابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

أمَّا هذا السِّفر المبارك النافع، فهو يعدُّ مصدراً أصيلاً في حفظ كثير من أقوال المفسِّرين، ويشبه تأليفه كأنه اختصار لـ«جامع البيان» للإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو من تصنيف الإمام المحقِّق أبي الفَرَج عبد الرحمن بن علي القرشي التَّيمي البكري المعروف بابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فهو مِن أجلِّ ما انتهى إلينا من تراث السلف في بابه، وأوفاها بالغاية من هذا العلم، مع تنقيح وتهذيب يُيسِّران الفائدة منه في أي غرض من أغراضه، وقد بعثه على تأليفه أنه نظر في كتب التفسير، فوجدها بين كبير قد يَئس الحافظ منه، وصغير لا يُستفاد كلُّ المقصود منه، والمتوسط منها قليلُ الفوائد، عديم الترتيب، وربما أُهمِل فيه المُشكِل، وشُرح غير الغريب؛ فأتى بهذا المختصر اليسير مُنطوياً على العلم الغزير.

ومن ثَمَّ حاول في تفسيره هذا أن يتلافى ما ألمح إليه من عيوب التصنيف التي وقع فيها من تقدَّمه، فترك ما لا فائدة في استقصائه، واستدرك ما فات السابقين مما لا غنى عن ذِكْره، وحرص أن يجعله على اختصاره وافياً بالغاية منه غير مُخلٍّ بشيء مما يحتاج طالب التفسير إليه.

وكان مُعوَّلُه في تفسير الآية على ما أُثِر عن رسول الله ﷺ من الأخبار، ثُمَّ على ما نُقل عن الأفذاذ من علماء الصحابة، من أمثال علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وأُبَيِّ بن كعب، وعبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ثم على ما رُوِي عمن خلفهم من جِلَّة التابعين، كسعيد بن جبير، وعكرمة، وطاووس اليماني، وعطاء بن أبي رباح، وأبي العالية، والحسن البصري، وأضرابهم، وقد ألَمَّ أيضاً بمشهُور القراءات، وأطرافٍ من شَواذِّها، ونَقْل تَوجِيهها في

العربية عن أئمة هذا العلم، ولم يَفُتْهُ ـ وهو يفسِّر مفردات القرآن ـ أن يذكر اشتقاقها استكمالاً للمعنى، وزيادة في الفائدة، كما أنه استعرض آراء الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين في المسائل الفقهية المختلفة.

أما مصادره التي نقل عنها، ففي طليعتها «تفسير ابن جرير»، وكتب الحديث، وكتابا ابن قتيبة: «مشكل القرآن»، و«غريب القرآن»، وكتب معاني القرآن، ولاسِيَّما كتابا الفرَّاء والزَّجاج، و«الحُجَّة» لأبي علي الفارسي، و «مجاز القرآن» لأبي عُبيدة معمر بن المثنى، وكتب ابن الأنباري في القرآن، و «أسماء الله الحسنى» للخطابي، وغيرها.

وكان أكثر ما ينقل عنهم بحكاية لفظهم نفسه، فإذا تجاوز ذلك إلى الحكاية بالمعنى لم يغفل في الغالب الإشارة إلى ذلك.

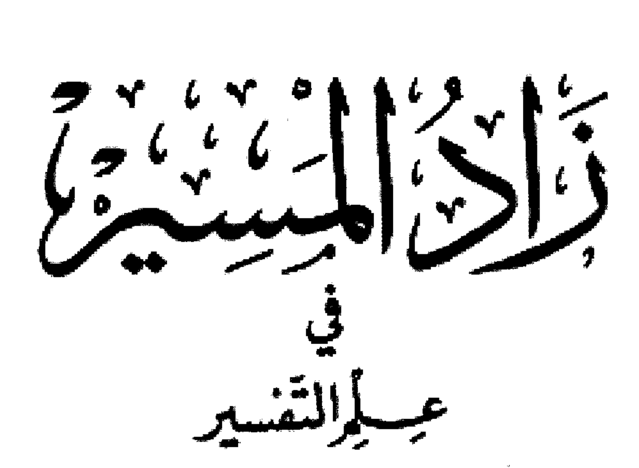
هذا ولم يُخْلِ تفسيره من الاستشهاد ببعض الأحاديث المُنكرة التي لا تصحُّ، ومن إيراد طائفة غير قليلة من الأخبار الإسرائيليَّة الغريبة التي أغنانا الله عنها بما هو أصحُّ منها وأنفع، وأوضح وأبلغ، وغالبه مما لا يتعلق به كبير فائدة، ولا حاصل له مما ينتفع به في الدِّين وكذلك لم يحاول ترجيح رأي على رأي أو معنىً على معنىً، ولا ناقش ما يحكيه من أقوال إلا في مواضع قليلة، ولكن مثل هذه المآخذ اليسيرة التي لا يكاد يخلو منها كتاب لا تحطُّ من قَدْر هذا التفسير الجليل الزَّاخر بالفوائد الكثيرة .

وقد شارك في تحقيق هذا السِّفر النَّفيس مع شيخِنا، العلَّامةُ المحقِّق الشيخ عبد القادر الأرنوؤط رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا غير، بَيْد أنَّ النصيب الأوفر كان من جهد شيخنا أدام الله ظِلَّه ونفعه.

يقول الأستاذ محمود بن عبد القادر الأرنؤوط وفقه الله : « ولابدَّ من باب إحقاق الحق ووضعه في نصابه من الإشارة إلى أنه كانت لأستاذي وزميل والدي **الشيخ شعيب الأرنؤوط** جهود عظيمة في تحقيق هذا التفسير النفيس بما أغدق عليه من حسِّه العلمي، ونفَسه الأدبي آنذاك، والحقُّ أحقُّ أن يُذكر ويُشكر صاحبه ويُنوَّه بجهوده المبرورة، وهذا الذي ذكرته مما أعلمني به والدي رَحِمَهُ اللَّهُ في جلسة خاصة تمَّت فيما بيني وبينه حول الكتاب»[1].

❑ ❑ ❑

(١) انظر : «سيرة العلامة الشيخ عبد القادر الأرنؤوط » (١٠٧) هامش (١)



تأليف

الامام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي

٥٠٨ — ٥٩٧ هـ

٢٨٠ الناس : ٦

قال الشيخ رحمه الله :

هذا آخر « زاد المسير » ، والحمد لله على الإنعام الغزير ، وإذ قد بلغنا بحمد الله مرادنا بما أملنا ، فلا يعتقدنّ من رأى اختصارنا أنّا أقللنا ، فإنا قد أشرنا بما ذكرنا إلى ما تركنا وحللنا ، فليكن الناظر في كتابنا متيقظاً لما أغفلنا ، فإنا ضمنا الاختصار مع نيل المراد ، وقد فعلنا . ومن أراد زيادة بسط في التفسير ، فعليه بكتابنا « المغني » في التفسير . فإن أراد مختصراً ، فعليه بكتابنا المسمى بـ « تذكرة الأريب في تفسير الغريب » . والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى أبيه آدم ، وذريته الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين ، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

تم بعون الله تعالى وتوفيقه طبع هذا التفسير القيم
وقد قام بمقابلة أصوله الخطية ، وتصحيحه
وتفصيله وترقيمه ، وتخريج نصوصه ،
والتعليق عليه ، والاشراف على طبعه
الأساتذة
محمد زهير الشاويش وشعيب الارنؤوط وعبد القادر الارنؤوط

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

دمشق الأربعاء ١٧ رجب الفرد ١٣٨٨ هـ
الموافق ٩ تشرين الأول ١٩٦٨ م

❑ لطيفةٌ:

ابتدأ شيخنا والشَّيخ عبد القادر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تحقيق «زاد المسير» عن نسخة وحيدة، كان قد حملها الشيخ زهير الشاويش من حاكم قطر علي آل ثاني، ولكن كانت محرَّفة تحريفاً كبيراً، وقلَّ أن يسلم سطر من تحريف، وإن كانت جميلة الخط، فمكث الشيخان بضعة أشهر وهم في بداية الطريق؛ دونما إنجاز كبير، مع التعب والجهد المضني في تقويم النص وضبطه.

وحين وصل خبر ذهاب الشَّيخ عبد الفتاح أبو غدة رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى المغرب، طلب منه شيخنا أن يبحث له عن نسخة لـ «زاد المسير»، فلما ذهب الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأخبر القائمين على الخزانة العامة بالرباط للمخطوطات، وجدوا نسخة نفيسة، نادرة الخطأ، فأرسلوها لشيخنا هدية خالصة حين علموا أنه يقوم على نشره وخدمته، فجزى الله من كان سبباً لهذا الخير النافع[١].

خبرة دقيقة من الشَّيخين:

وهذا خبرٌ عجيب، فحين وصلت هذه النسخة العتيقة من المغرب، راجع الشَّيخان عملها في التثبت من صحَّة ما كتبوه في بداية التحقيق، فكان من فضل الله عليهما وتوفيقه أن كان ما أثبتوه على الصواب.

وهذا الأمر لا يتأتَّى إلا لمن أفرغ جُهده ووسعه في العناية بذلك، وكان قد أعد العُدَّة الصحيحة للقيام بهذا الأمر على أكمل وجه، بعد أن زوَّد نفسه بما يؤهِّله للقيام بهذا العمل النافع.

وكما تقول العرب: **قبل الرِّماء تُملأ الكَنائن**

---

(١) وانظر خبر شكر المُحقِّقَيْن للشيخ أبي غدة رَحِمَهُ ٱللَّهُ وللقائمين على الخزانة العامة بالرباط في مقدمة التحقيق (١/ ٦) هامش.

ويذكرني هذا الأمر الشَّاق على المحقق ما كتبه العلَّامة أحمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه[١] قال : تصحيح الكتب وتحقيقها من أشقِّ الأعمال وأكبرها تبعةً، ولقد وصف أبو عمر الجاحظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذلك أقوى وصفٍ في كتابه «الحيوان» فقال:«**ولرُبَّما أراد مؤلِّف الكتاب أنْ يُصلِح تصحيفًا أو كلمةً ساقطة، فيكون إنشاء عشر ورقات من حُرِّ اللفظ وشريف المعاني أيسرَ عليه من إتمام ذلك النقص حتى يردَّه إلى موضعه من اتِّصال الكلام**» اهـ.

وهذا ليس بعجيب، ومن البابة نفسها، أقف وإياك مع ما نقله شيخنا عن العلَّامة أبي فهر محمود شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في تحقيقه ضبط بيت باجتهاد منه وقد جاء على الصواب.

يقول شيخنا حفظه الله عن قول أبي نباته الكلابي:

أَرَيْتَك إنْ نَجْداً أَلَظَّ بأهلِهِ وحَرَّتِهِ العُليا الغُيوثُ الرَّواجسُ

فقال شيخنا في هامش تحقيقه للبيت في «المنازل والدِّيار» :

(١) «لباب الآداب» (٤١٤)

وفيه : «بأرضه»، وألظَّ المطر : دام وألح، وفي عالية نجد ثلاث حرار مشهورات، حرَّة سليم، وحرة شوران، وحرة ليلى، وهي التي يريدها الشاعر، فقد نقل ياقوت عن السكري أن «حرة ليلى» معروفة في بلاد بني كلاب.

وقد كان البيت في الأصل الذي طُبع عن «لباب الأداب» مُصحَّفاً تصحيفاً كبيراً لا يكاد معه يقرأ، فصحَّحهُ الأستاذ محمود شاكر اجتهاداً منه، فجاء اجتهاده مطابقاً لما هاهنا[٢].

---

(١) «تصحيح الكتب» (٨)

(٢) انظر : «المنازل والديار» لابن منقذ (١/ ١٦٣)

وهنا فائدتان :

الأولى: الإشادةُ بأهل العلم الرَّاسخين، والثناء على جُهودهم دلالة على علوِّ كعبهم، وهذا دأب السَّابقين رحمهم الله، وَيْكَأَنَّ النفوس مفطورةٌ على حبِّ إصابة العالِم الخير والفرح بها .

وأما اليوم : فلاحول ولا قوة إلَّا بالله العليِّ العظيم ، وقليلٌ ما هُم .

والثانية : دلالةٌ على أهمية العناية بالإعداد العلمي القوي لمن يريد سُلوك هذه المسالك، في التحقيق والضبط والنشر، وإلَّا فلا يَتعب ويُتعب.

❑ ❑ ❑

٧. «مطالب أولي النُّهى في شرح غاية المنتهى» للرُّحيباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ

وهذا الكتاب من نفائس كتب المذهب الحنبلي، وهو شرحٌ لكتاب «غاية المُنتهى» للشيخ مرعي بن يوسف الكرمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد جمع فيه بين كتابين جليلين، عليهما مدار الفُتيا عند الأصحاب، منذ تأليفهما حتى عصرنا، وهما «الإقناع» للحجَّاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، و«المنتهى» للفُتوحي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقد بَيَّن الشَّيخ مرعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ منهجه في مقدمة كتابه، فقال: «فقد أكثر أئمتنا رحمهم الله في الفقه من التصنيف، ومهَّدوا قواعد المذهب أحسن تمهيد وترصيف، وقد أتقنه المتأخرون بما أبدوه من التصانيف، وكان ممن سلك منهم مسلك التحقيق والتصحيح والتدقيق والترجيح العلَّامة صاحب «الإنصاف» و«التنقيح»، بَيَّن بتنقيحه وإنصافه الضعيف من الصحيح، ثم نحا نحوه مُقلِّداً له: صاحب «الإقناع» و«المنتهى»، وزادا من المسائل ما يَسُر أولي النُّهى، فصار لذلك كتاباهما، من أجلِّ كتب المذهب، ومن أنفس ما يرغب في تحصيله ويطلب، إلَّا أنهما يحتاجان لتقييد مسائل، وتحرير ألفاظ، يبغيها السائل لجمعهما معاً، لتقريب النائل، وقد استخرت الله سبحانه وتعالى في الجمع بين الكتابين في كتاب واحد، مع ضم ما تيسر جمعه إليهما من الفرائد، وما أقف عليه في كتب الأئمة من الفوائد، ولا أحذف منهما إلا ما أستغني عنه، حريصاً على ما لا بد منه، مشيرًا لخلاف «الإقناع» بـ: (خلافًا له)، فإن تناقض، زدت: (هنا)، ولهما بـ: (خلافًا لهما)، ولِما أبحثه غالباً جازماً به بقولي: (ويتَّجه)، فإنْ تَرَدَّدت زدت: (احتمال) ». اهـ

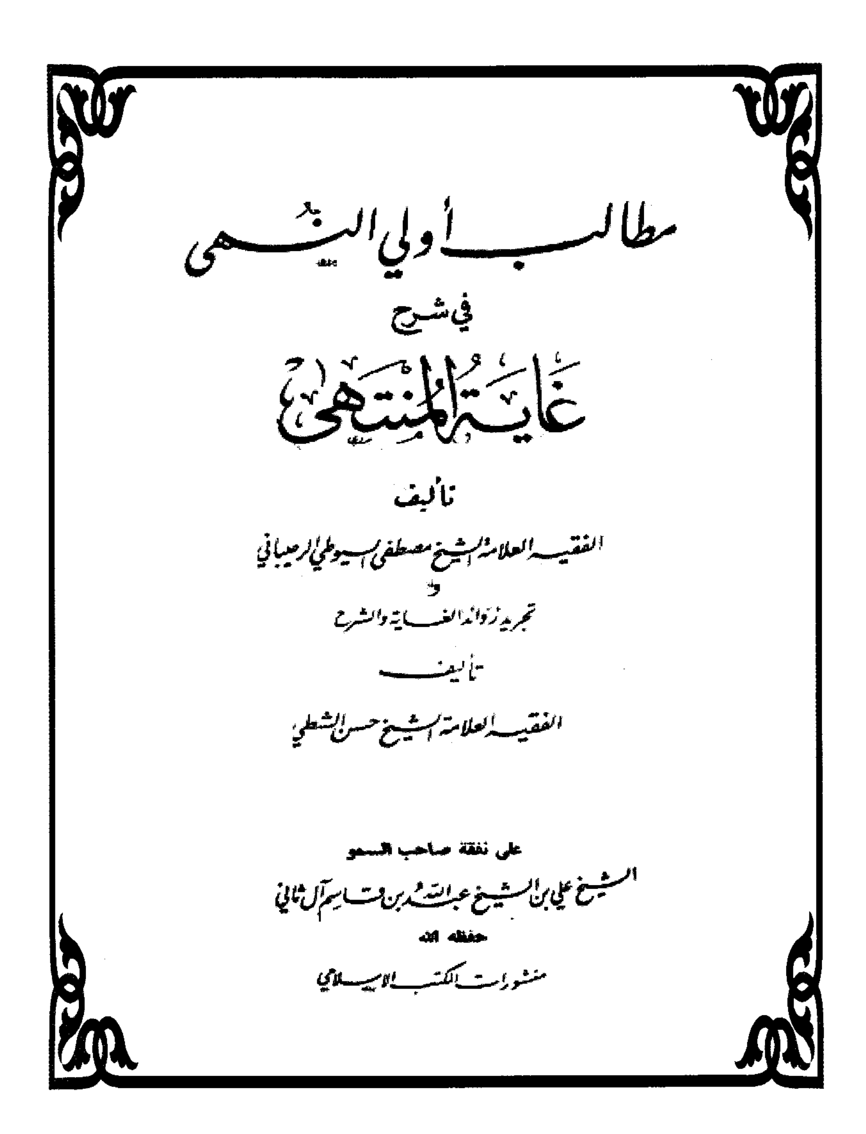
وعليه شروحُ كثيرة، إلَّا أنَّه لم يكمل من هذه الشُّروح إلَّا شرح الرُّحيباني وهو هذا الكتاب: «مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى»

وقد قال الشيخ ابن حُميد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عنه: «وصنَّف شرح «الغاية» في الفقه حقَّق فيه ودقَّق، وفتح به هذا الكتاب المُغلق، ولم يتم شرح غير شرح هذا المترجم، فعمَّ نفعه، وعَظُم وقعه، وانتَفع به وبمؤلِّفه أهلُ المذهب» اهـ[١].

وقد قال الرُّحيباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في طليعته : «وجمعتُه من شرح «الإقناع» وحاشيته، وشرح «المنتهى» وحواشيه، وشرح «الوجيز» و«المنتقى»، ومن شرحَي «المحرر» و«المغني»، و«الشرح الكبير»، وحواشي ابن قندس، و«المستوعب»، وشرح «التحرير»، ومن «الفروع» وحواشيه، و«الإنصاف»، و«الرعاية الكبرى»، و«الهدي»، و«الخلاف»، ومن شرح «منازل السائرين»، وكتاب المصنِّف «بهجة الناظرين»، ومن كتاب «الدرة المضيئة»، و«بدائع الفوائد»، و«قاعدة العقود»، و«الصارم المسلول»، و«القواعد»، ومن «إقامة الدليل»، و«الأحكام السلطانية»، و«الداء والدواء»، و«الاختيارات العلمية»، ومن «اقتضاء الصراط المستقيم»، و«المنهج الأحمد»، و«إعلام الموقعين»، و«مسائل الإمام أحمد»، وغير ذلك من الكتب والرسائل، والأجوبة والمسائل، وذكرتُ فيه ما زاده عليه «المنتهى» و«الإقناع»؛ ليكون لمن طالع فيه عن غيره إقناع، وبيَّنتُ المعتمد فيه من التَّوجيهات، والمعوَّل عليه من الزَّوائد والاحتمالات». اهـ

❑ ❑ ❑

(١) «السُّحب الوابلة» (١١٢٧/٣)



مطالب أولي النهى

في شرح

غاية المنتهى

تأليف

الفقيه العلامة الشيخ مصطفى السيوطي الرحيباني

و

تجريد زوائد الغاية والشرح

تأليف

الفقيه العلامة الشيخ حسن الشطي

على نفقة صاحب السمو

الشيخ علي بن الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثاني

حفظه الله

منشورات المكتب الإسلامي

صورة غلاف كتاب «مطالب أولي النُّهى في شرح غاية المنتهى»

□ □ □

٨.«الكافي في فقه الإمام المبجَّل أحمد بن حنبل» لابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

فهذا كتابٌ في الفقه الحنبلي آخر، وهو من تأليف أحد المقادسة الأفذاذ رُزِق علماً واسعاً في الفقه، ففتح الله عليه في تصنيفه وتدوينه وفق مراحل التدَّرُّج لطالب العلم، قد كسَرَه مؤلِّفه على قول، مع أدلته؛ ليكُون مَدْرجةً لما بعده من البحث والاجتهاد، وليجعل قارئه تَتُوق نفسُه إلى مراتب الفقهاء المجتهدين.

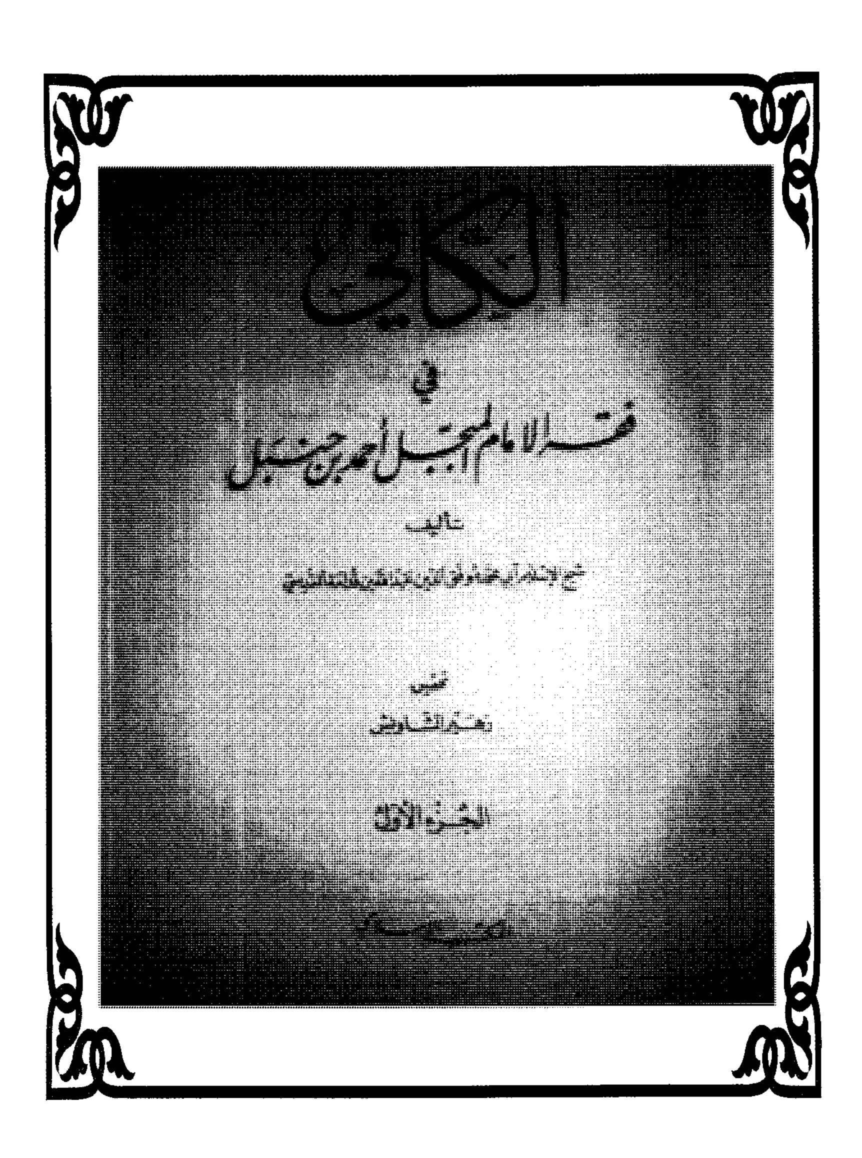
يقول ابن بدران في كتابه «المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل»: راعَى مُوفق الدين في مؤلفاته أربع طبقات، فصنف «العمدة» للمبتدئين، ثم ألف، «المقنع» لمن ارتقى عن درجتهم ولم يصل إلى درجة المتوسطين، فلذلك جعله غرباً عن الدليل والتعليل، غير أنه يذكر الروايات عن الإمام، ليجعل لقارئه مجالاً إلى كدِّ ذهنه، ليتمرَّن على التصحيح، ثم صنف للمتوسطين «الكافي» وذكر فيه كثيراً من الأدلة، لتسمو نفس قارئه إلى درجة الاجتهاد في المذهب، حينما يرى الأدلة، وترتفع نفسه إلى مناقشتها، ولم يجعلها قضية مسلَّمة، ثم ألف «المغُني» لمن ارتقى درجة عن المتوسطين، وهناك يَطَّلع قارئه على الرِّوايات، وعلى خلاف الأئمة، وعلى كثير من أدلتهم، وعلى ما لهم وما عليهم من الأخذ والردّ، فمن كان فقيه النفس حينئذ، مرَّن نفسه على السموّ إلى الاجتهاد المطلق، إن كان أهلاً لذلك، وتوفرت فيه شروطه، وإلاَّ بقي على أخذه بالتقليد، فهذه هي مقاصد ذلك الإمام في مؤلفاته الأربعة.

وقد عمد إلى إخراج هذا المصنَّف الفقهي شيخنا ورفيق دربه العلَّامة عبد القادر الأرنؤوط رَحِمَهُ ٱللَّهُ فنفضنا الغبار عنه، وأخرجاه لأول مرة وفق منهج المكتب الإسلامي في ضبط نصٍّ وندرة في التعليق في أربعة مجلدات.

فكان لهم الفضل بعد الله تعالى في ذلك، وقد بقي رَدْحاً من الزمن يَعتمد أهل العلم والفقه هذه الطبعة[1]، حتى خرجت طبعة نافعة فيها جهدٌ مشكور بتحقيق مكتب **دار هجر** وهي تُغني عن هذه الطبعة بلا شك ولا ريب، فليهنأ أهل الفقه بهاته الطبعة فلهم غُنْمه، وعلى ذاك غُرْمه.

❑ ❑ ❑

(١) قارن هنا مع صورة الغلاف الآتية في اسم المحقق لتعرف كيف يكون الأمر ؟ وهكذا دواليك في كافة تحقيقات الآخير مع الشيخين، فإلى الله المشتكى .


الكافي
في
فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل
تأليف
تحقيق
زهير الشاويش
الجزء الأول

٩. «منار السَّبيل في شرح الدَّليل» لابن ضُويَّان رَحِمَهُ ٱللَّهُ

وهذا كتابٌ في الفِقْه الحنبلي، جعله مُؤلِّفه رَحِمَهُ ٱللَّهُ مناراً للمُتفَقِّه، فوسمه «منار السبيل» شرح فيه كتاب «دليل الطالب» للشيخ العلامة مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو كتابٌ نفيس سار فيه مؤلِّفه على الراجح من مذهب الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقد قال في طليعة كتابه : «هذا مختصر في الفقه على المذهب الأحمد، مذهب الإمام أحمد، لم أذكر فيه إلا ما جزم بصحته أهل التصحيح والعرفان، وعليه الفتوى فيما بين أهل الترجيح والاتقان» وهو بعد هذا كلِّه مختصر من كتاب «منتهى الإرادات في جمع المقنع مع التنقيح وزيادات» للبهوتي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فجاء الشيخ ابن ضويان رَحِمَهُ ٱللَّهُ وشرحه شرحاً سهلاً ميسوراً، وسمَّاه : «منار السبيل في شرح الدليل»

فنشطت همة شيخنا ورفيق دربه الشيخ العلامة عبد القادر الأرنؤوط رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تحقيق هذا الكتاب النافع، فعمدا إلى متن الكتاب فحقَّقاه على ثلاث نسخ خطية، منها نسخة خطية بخط مؤلِّفه، فضبطا نصَّه، وأخرجاه أول ما خرج من خلالهما إلى عالم المطبوعات، وهما بهذا السَّبق قد حازا الفضل، فكان هذا الكتاب مَوْئلاً للدَّرْس والشَّرح بين أهل العلم، لا سيما الفقهاء.

وقد كان طبعه بأمر المحسن الشيخ قاسم بن درويش فخرو رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الذي كان يبذل ماله في نشر كتب العلم؛ وذلك بإرشاد ونصح العلامة الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الذي كان له الفضل الأكبر بطبع عدد كبير من كتب العلم .

وكتاب «منار السبيل» قال عنه الشَّيخ عبد العزيز بن ناصر الرشيدرَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمته في طبعته الأولى: «الحقُ أنه اسم طابق مُسمَّاه، فقد أتى في هذا الكتاب بما يشفى العليل ويروي الغليل»

وقد لَقِي هذا الكتاب من الحفاوة والعناية من أهل العلم الشيء الكثير، فعكف عليه العلامة المحدِّث الشيخ ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فأخرج كتابه النافع «**إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**» في تسع مجلدات.

ثم تعقَّبه فضيلة الشيخ صالح آل الشيخ في كتابه «**التكميل لما فات تخريجه من إرواء الغليل**» في مجلد لطيف.

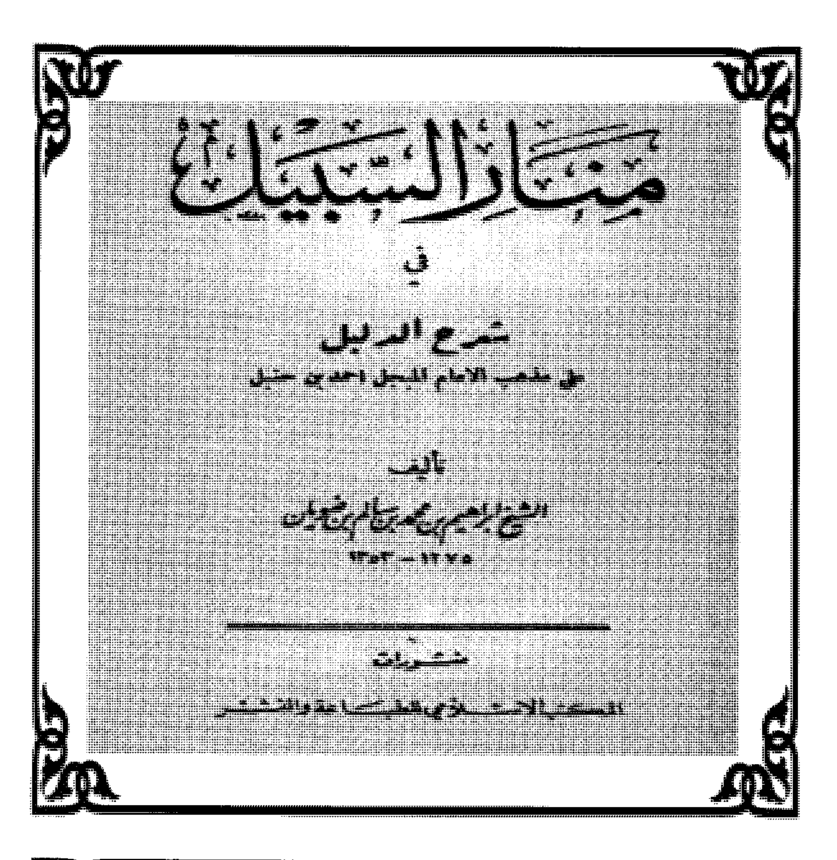
ثم جاء بعدهما الشيخ المفضال عبد العزيز الطريفي نفع الله به في كتابه النفيس : «**التحجيل في تخريج مالـم يُخرَّج من الأحاديث والآثار في إرواء الغليل**» في مجلدين كبيرين، ويعد الآن طبعته الثانية المزيدة والمنقحة وفيها فوائد وفرائد جديدة. فلتنظر .

ومما وقفتُ عليه أيضاً :

ما سطره الدكتور أحمد الخليل في كتابه : «**مستدرك التعليل على إرواء الغليل**» فقد ناقش الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في بعض أحكامه وتخريجاته.

فتعقَّبه بالردِّ عليه الشيخ عبد الله العبيلان في كتابه : «**رد الجميل في الذبِّ عن إرواء الغليل**» وهذه الكتب كلُّها تعود بالنَّفع على الأصل، فجزى الله الجميع خيراً ، وكل يُؤخذ من قوله ويُرد، وما من أحدٍ معصوم .

❑ ❑ ❑



منار السبيل

في

شرح الدليل

على مذهب الامام المبجل احمد بن حنبل

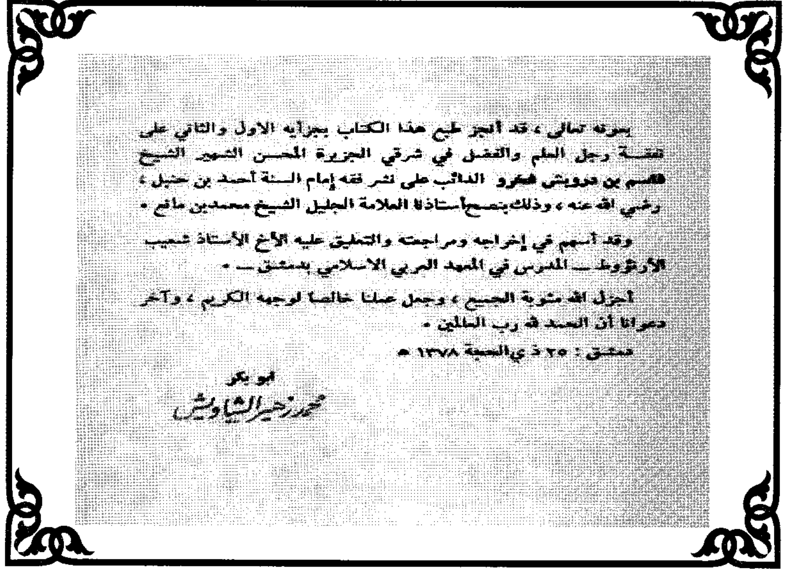
تأليف

الشيخ ابراهيم بن محمد بن سالم بن ضويان

١٢٧٥ - ١٣٥٣ هـ

منشورات

المكتب الاسلامي للطباعة والنشر



بعونه تعالى ، قد أنجز طبع هذا الكتاب بجزأيه الاول والثاني على نفقة رجل العلم والفضل في شرقي الجزيرة المحسن الشهير الشيخ قاسم بن درويش فخرو الدائب على نشر فقه إمام السنة أحمد بن حنبل ، رضي الله عنه ، وذلك بتصحيح أستاذنا العلامة الجليل الشيخ محمد بن مانع .

وقد أسهم في إخراجه ومراجعته والتعليق عليه الأخ الأستاذ شعيب الأرناؤوط ـ المدرس في المعهد العربي الاسلامي بدمشق ـ .

أجزل الله مثوبة الجميع ، وجعل عملنا خالصا لوجهه الكريم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

دمشق : ٢٥ ذي الحجة ١٣٧٨ هـ

ابو بكر

محمد زهير الشاويش

❑ ❑ ❑

١٠. «المنازل والدِّيار» لأسامة بن منقذ رَحِمَهُ اللهُ

فهذا كتابٌ موضوعه طريف، لم يُفرده أحدٌ بالتأليف، وهو البكاء على المنازل العافية، والأطلال الدَّارسة، حفز المؤلِّف إلى جمعه، كما ذكر في مقدمته، ما نال بلاده وأوطانه من الخراب، وما أصابها من الزلازل التي أبادت أسرته تحت أنقاض الحصن، وما توالى عليه بعد ذلك من نكبات مستمرة جعلته يستريح إلى جمعه.

ولما كان هذا الموضوع يتناول معاني شتى، فقد عقد مؤلِّفه لكل معنى من هذه المعاني فصلاً خاصاً أورد فيه قليلاً من النثر، وكثيراً مما تخيَّره من شعر الجاهليين فمن بعدهم حتى أيامه، **وخلَّله مقاطيع من شعره لم يرد لأكثرها ذِكْرٌ في ديوانه.**

ومما تجدر الإشارة إليه، أنه لم يورد نصاً مما اختاره إلا وجاء فيه لفظ مما عَنْون به الفصل.

وقيمة الكتاب لا تقتصر على إيراده هذه النماذج المتخيِّرة مُصنَّفة على معانيها فحسب، بل إنَّ شطراً كبيراً من قيمته يرجع إلى أنه حفظ لنا قدراً كبيراً من الشعر لا نصيبه في غيره من الكتب والدَّواوين.

وقد اعتمد شيخنا حفظه الله في تحقيقه على النُّسخة المطبوعة بالتصوير عن المخطوطة الأم التي نشرتها دار النشر للآداب الشرقية في أكاديمية العلوم للاتحاد السوفياتي، وهي المخطوطة المصورة الوحيدة، إذ ليس للمخطوطة الأم أكثر من نسخة، وقد ذكر على غلافها في ذيل عنوان الكتاب ما نصه:

«وهذه النسخة بخط المصنِّف الجامع كما ذكره العلامة الطَّالَوِي قبل هذه الورقة في ترجمة المؤلِّف، وإنَّ ذلك مذكورٌ في آخر هذه المجلدة،

ولمرور الأيام فقدت من آخر المجلدة بعض الأوراق التي أثبت فيها أنَّ هذا الكتاب بخط المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، وكان كتبه لهذه النسخة في جمادي الأولى سنة ٥٦٨»

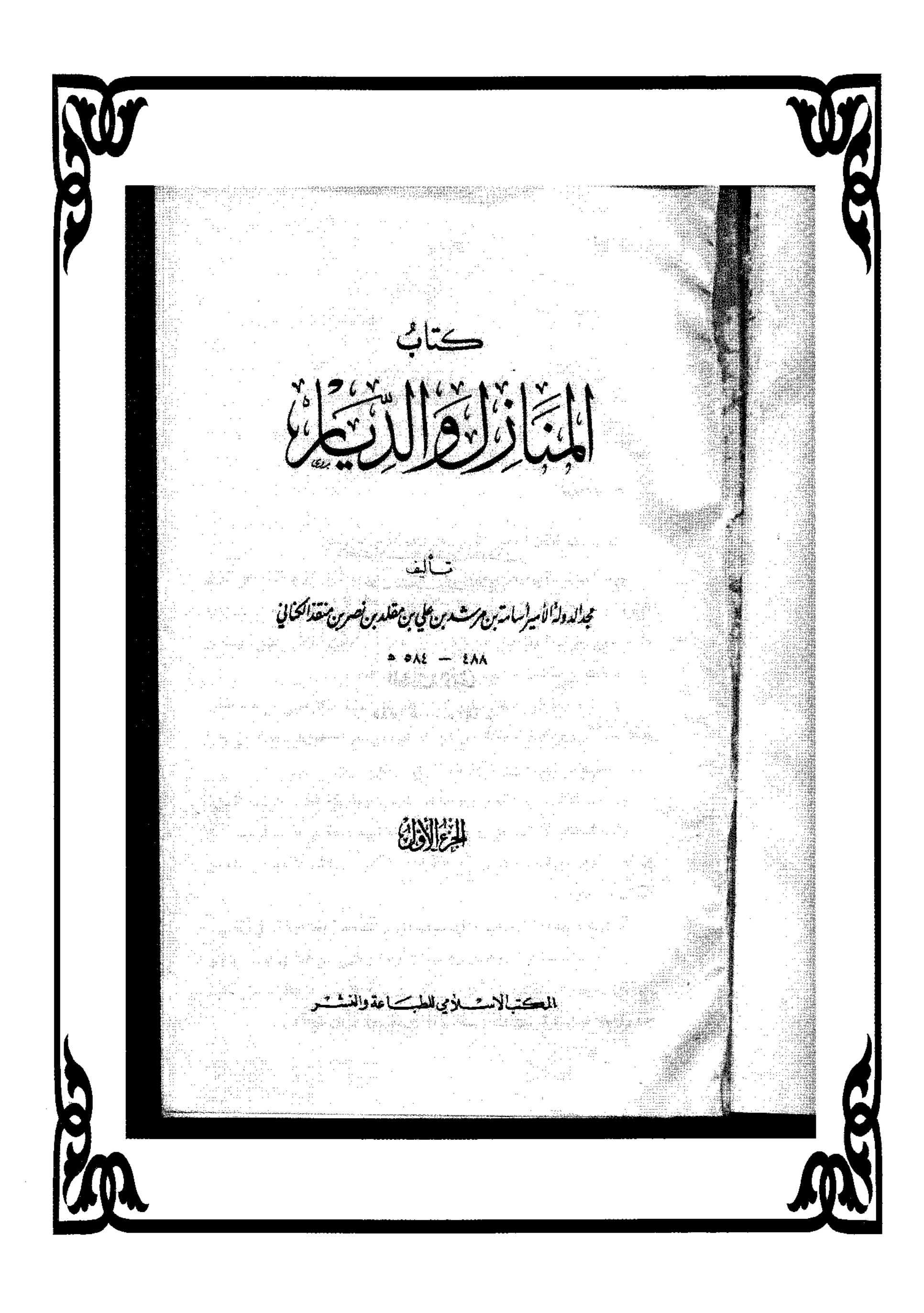
وقد قام العلامة الطَّالَوِي بترجمة للمؤلف أثبتها في أوائل الكتاب قبل عنوانه، وذكر خلالها قوله: «لفَّق هذه الترجمة من تراجم، فقيرُ عفو ربِّه المتعالي الطالوي محمد أبو المعالي مالك هذه النسخة التي هي بخط مؤلِّفها مجد الدولة العلامة الفهامة الأمير أسامة، علَّقها لنفسه، وبحصن كيفا وقع الفراغ منها في جمادي الأولى سنة ثمان وستين وخمس مئة كما نص في آخرها وسمع عليه أيضاً بدمشق، وصورة السماع آخر الكتاب مع سماعات أُخَر والحمد لله وحده. حرره الفقير محمد بن أحمد الطالوي، بمنزلة بدمشق عام ست بعد الألف في غرة رمضان»اهـ.

وهذا يدل على أنَّ النُّسخة قرئت على المؤلِّف، وسمعها منه غير واحد، وأن علماء الشام كانوا يتداولونها فيما بينهم .

وقد كان من سَعْدِ هذا الكتاب أن قام على تحقيقه ونشره عالِمٌ لغوي متقن، وأديب من المقام الرفيع، عارف بالشعر وأصحابه، تراه يخرِّج الشعر وكأنه يخرج الحديث في تعدد مصادره وتتبعه، مع بيان غريبه وشرح مفرداته، وهو شيخنا العلامة شعيب الأرنؤوط حفظه الله ونفعنا بعلمه، فجزاه الله خير الجزاء، ولا حرمنا بركة عِلْمه وثمار جهوده العلمية النافعة[١] .

❑ ❑ ❑

(١) وقد نُشر أيضاً مؤخراً بتحقيق مصطفى حجازي في الكويت، ومصر .



كتاب

المنازل والديار

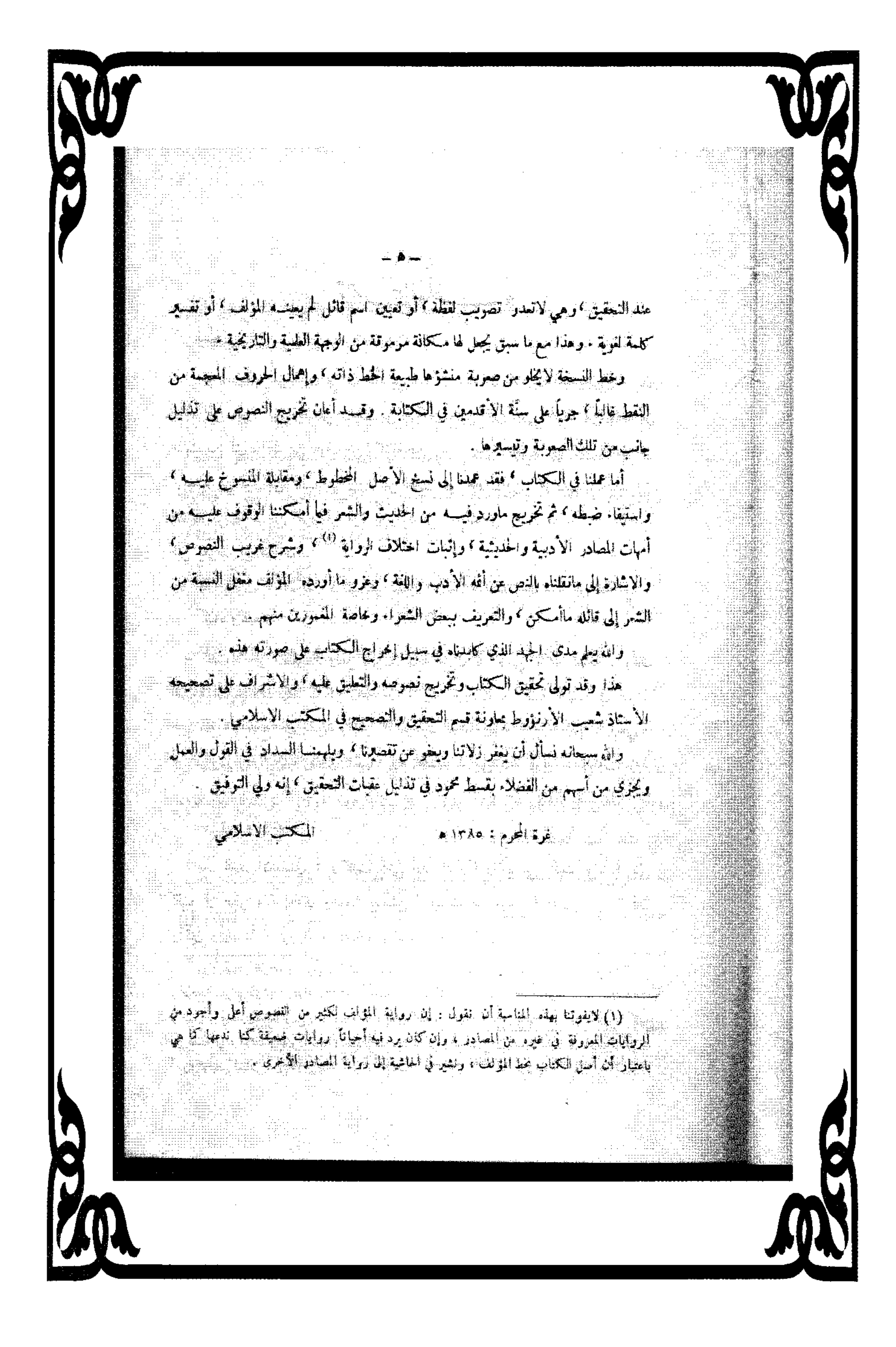
تأليف

مجد الدولة الأمير أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني

٤٨٨ — ٥٨٤ هـ

الجزء الأول

المكتب الإسلامي للطباعة والنشر



- ه -

عند التحقيق ، وهي لاتعدو تصويب لفظة ، أو تعيين اسم قائل لم يعينه المؤلف ، أو تفسير كلمة لغوية . وهذا مع ما سبق يجعل لها مكانة مرموقة من الوجهة العلمية والتاريخية .

وخط النسخة لايخلو من صعوبة منشؤها طبيعة الخط ذاته ، وإهمال الحروف المعجمة من النقط غالباً ، جرياً على سنّة الأقدمين في الكتابة . وقد أعان تخريج النصوص على تذليل جانب من تلك الصعوبة وتيسيرها .

أما عملنا في الكتاب ، فقد عمدنا إلى نسخ الأصل المخطوط ، ومقابلة المنسوخ عليه ، واستيفاء ضبطه ، ثم تخريج ماورد فيه من الحديث والشعر فيما أمكننا الوقوف عليه من أمهات المصادر الأدبية والحديثية ، وإثبات اختلاف الرواية [1] ، وشرح غريب النصوص ، والاشارة إلى مانقلناه بالنص عن أئمة الأدب واللغة ، وعزو ما أورده المؤلف مغفل النسبة من الشعر إلى قائله ماأمكن ، والتعريف ببعض الشعراء وخاصة المغمورين منهم .

والله يعلم مدى الجهد الذي كابدناه في سبيل إخراج الكتاب على صورته هذه .

هذا وقد تولى تحقيق الكتاب وتخريج نصوصه والتعليق عليه ، والاشراف على تصحيحه الأستاذ شعيب الأرنؤوط بمعاونة قسم التحقيق والتصحيح في المكتب الاسلامي .

والله سبحانه نسأل أن يغفر زلاتنا ويعفو عن تقصيرنا ، ويلهمنا السداد في القول والعمل ويجزي من أسهم من الفضلاء بقسط محمود في تذليل عقبات التحقيق ، إنه ولي التوفيق .

غرة المحرم : ١٣٨٥ هـ المكتب الاسلامي

---

(١) لايفوتنا بهذه المناسبة أن نقول : إن رواية المؤلف لكثير من النصوص أعلى وأجود من الروايات المعروفة في غيره من المصادر ، وإن كان يرد فيه أحياناً روايات ضعيفة كنا ندعها كما هي باعتبار أن أصل الكتاب بخط المؤلف ، ونشير في الحاشية إلى رواية المصادر الأخرى .

١١ . «تيسير العزيز الحميد» للعلامة سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ

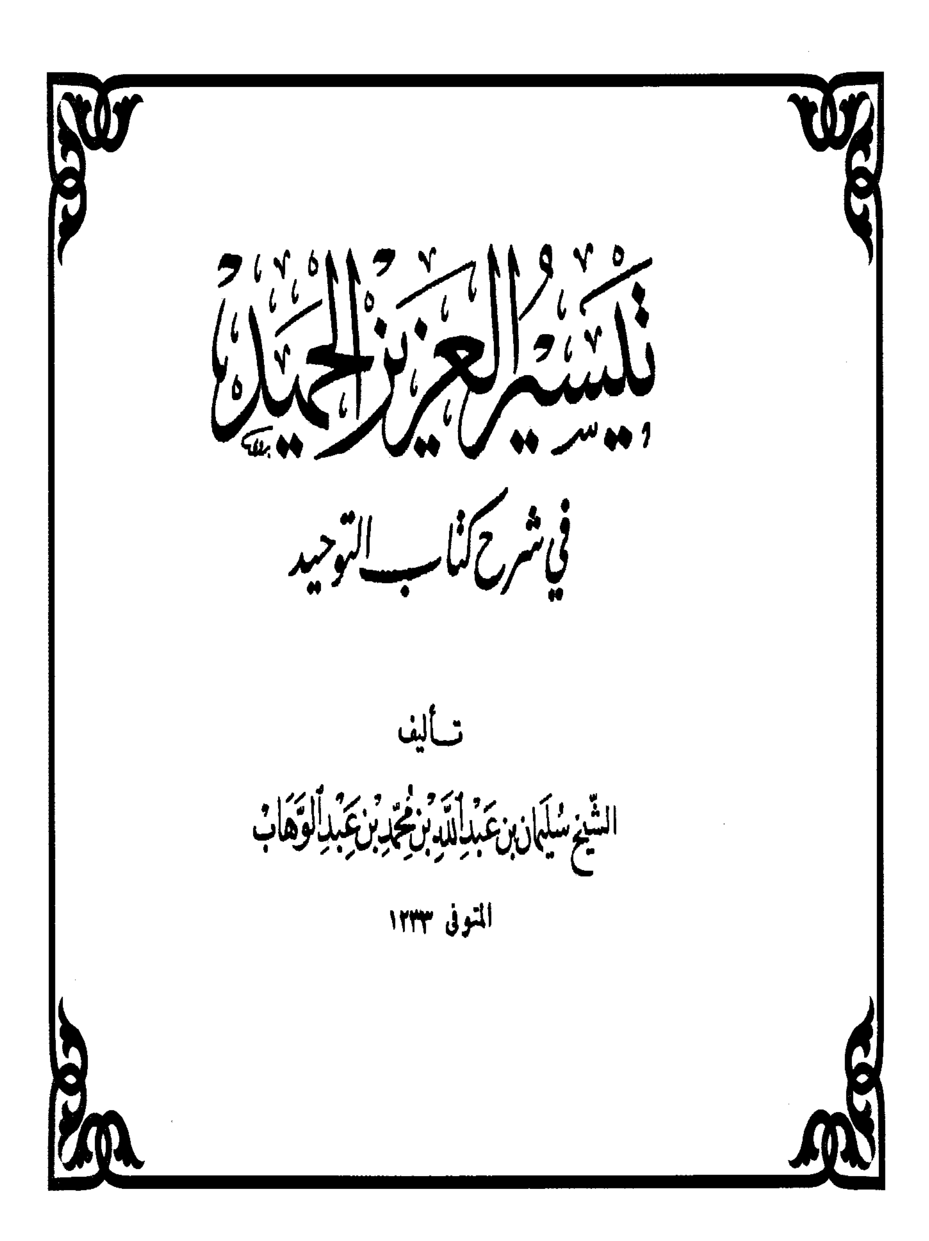
وهذا الكتاب كتاب نفيسٌ جدًّاً، وهو أنفس شرح لكتاب «التوحيد» الذي ألفه جدُّه شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب التميمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

و«التيسير» أول شروح هذا الكتاب وأطولها، ولكنه لم يكمل، فقد انتهت مُبيَّضة الشارح إلى «باب من هزل بشيء فيه ذكر الله» ووُجِد في مُسوَّدته إلى آخر «باب ماجاء في منكري القدر» وهو الباب التاسع والخمسون من أبواب الكتاب .

وقد طبع الشرح المذكور الطبعة الأولى سنة (١٣٨٢هـ) نشر المكتب الإسلامي، وقد كان الفضل بعد الله تعالى في إخراجه وطبعه لشيخنا، فقام على ضبط نصه وتقويمه، ولـمَّا وجده ناقصاً، رأى شيخنا أن يتمَّه من مختصره «فتح المجيد» للشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وذلك بعد أن عرض صاحب المكتب الإسلامي على شيخ مشايخنا سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ إكماله، فلم يتيسَّر له ذلك، فعمد شيخنا أحسن الله إليه فتمَّمه من مختصره «فتح المجيد» للعلامة عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ.[1]

❑ ❑ ❑

(١) ولهذا الشرح مختصر ثانٍ نفيس، وهو للعلَّامة المُحقِّق حمد بن عتيق رَحِمَهُ ٱللَّهُ الموسوم :«**إبطال التَّنديد باختصار شرح التوحيد**» وقد اعتنيتُ به وبدَرْسِه عناية أرجو الله أن تكون موفَّقة ومميزة، وقد دفعته للطبع وسيرى النور قريباً كاملاً لأول مرة، والطبعات قبله لا سيما طبعة الشيخ عبد الإله الشايع وفَّقه الله، فيها نقص وقصور، ولا تثريب في ذلك فكلٌّ يجود بما عنده، فجزاه الله خيراً .



تيسير العزيز الحميد

في شرح كتاب التوحيد

تأليف

الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب

المتوفى ١٢٣٣

هذا، وقد طُبع كتاب «التَّيسير» طبعة تَفوقُ هذه الطبعة، وهي في مجلدين نشرتها دار الصميعي، وفيه جهدٌ طيِّب نافع، وتُغني عن هذه الطبعة قولاً واحداً، بَيْد أنَّ الكتاب لا يزال بحاجة ماسَّة لخدمة مُتميِّزة تُناسب عِلْمه وفنَّه، وهذا ما لم يُتقنه محقِّق نشرة دار الصميعي، ولا ضَير في ذلك، فالعلم رِزْقٌ، وكل يُنفق على سعته، فلعلَّ الله يُهيِّيء له من يُتقن هذا العلم في هذا الباب، ويُحسن إخراجه بتحقيق وتعليق مُتقن، وبحُلَّة قشيبة .

❑ ❑ ❑

□ **لطيفةٌ : شيخُنا و«الإعلام بفوائد عمدة الأحكام» لابن الملقِّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ :**

عجيبةٌ هذه المكتبة الظاهرية، فقد كان لها مع العلماء قصص وأيُّ قصص، ولقد ألهم الله سبحانه الشيخ العلَّامة طاهر الجزائري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فأشار إلى جمع مخطوطاتها، ودواوين الكتب النَّفيسة والنَّادرة التي كانت في مكتبات الجوامع والمساجد والمدارس، إلى أنْ تُجمع وتُجعل في مكان خاص، في المكتبة الظاهرية، والفضل بعد الله تعالى يعود للشيخ طاهر جزاه الله خيراً.

وبسبب هذا الجمع غير المرتب والمفيد، وبسبب القائمين عليها من غير ذوي الاختصاص، عكف الشيخ ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ على قراءة ومراجعة عشرات المجلدات في المكتبة الظاهرية، بسبب فَقْد ورقة، وغدت حكاية الشيخ ناصر رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع الورقة الضائعة مثالاً يُحتذى في الجَلَد والصبر على طلب العلم والبحث والتنقيب، فرحمه الله رحمة واسعة.

ومن البابة نفسها، ومن لطيف ما وقع مع شيخنا شعيب حفظه الله، ما حدَّثنيه قائلاً :

التقيتُ أحد الباعة، وأخبرني أن عند والده المُتوفَّى كتاباً خطياً لا يعرف مصدره ولا قيمته ولا موضوعه، وكان هذا المخطوط في مكان مهمل في بيته، فلما طلب منه شيخنا رؤيته، غلب على ظن الشيخ أنه من الأصول الخطية المستعارة من المكتبة الظاهرية، فأخذه شيخنا وذهب به إلى الظاهرية، وبقي وقتاً طويلاً يبحث ما يناسب هذا الأصل الخطي، من حيث الخط والموضوع، فإذا هو المجلد الثاني من أربعة أجزاء من كتاب«الإعلام بفوائد عمدة الأحكام» لابن الملقن رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فأرجعه الشيخ

إلى مكانه، وتم حفظه، ثم جاء بعد سنوات من يبحث عن هذا الكتاب ويخرجه للناس، فكان أصله المعتمد في إخراجه نسخة المكتبة الظاهرية. فالحمد لله أن حفظ الله لنا هذا السِّفر النافع، وسخَّر له من يحفظه، ويُرجعه، ويحقِّقه، ثم ينشره. فأحسن الله إلى الجميع في الدنيا والآخرة.

❑ ❑ ❑

الطور الثاني
مؤسسة الرسالة

❑ **تعريف بمؤسسة الرسالة:**

تأسَّست مؤسسة الرِّسالة قبل أربعين عاماً تقريباً، ومؤسِّسُها الأستاذ رضوان دعبول، وكان قد الْتَحق شيخنا العلامة شعيب الأرنؤوط أدام الله سعده، بالعمل فيها في عام ١٩٧٧م، في بواكير أمرها، فاتفق مع الأستاذ رضوان على تأسيس مكتب التحقيق، والسَّعي في إخراج الكتب العلمية الشرعية الأصيلة وفق منهج أصيل، ومقترح علمي كبير، فتعاونا على ذلك، فكان العمل والعلم وفنونهما من شيخنا، وكان الدَّعم والبذل من الأستاذ رضوان، أو من خلال أحد المُمَوِّلين، فبارك الله لهما بداية في الجهود، وأراهما من ثمار جهديهما في حياتهما ما لم يقدر عليه أحد من الناس، سواء ممن رُزِق علماً أو مالاً، وهذا توفيق من الله تعالى لهما.

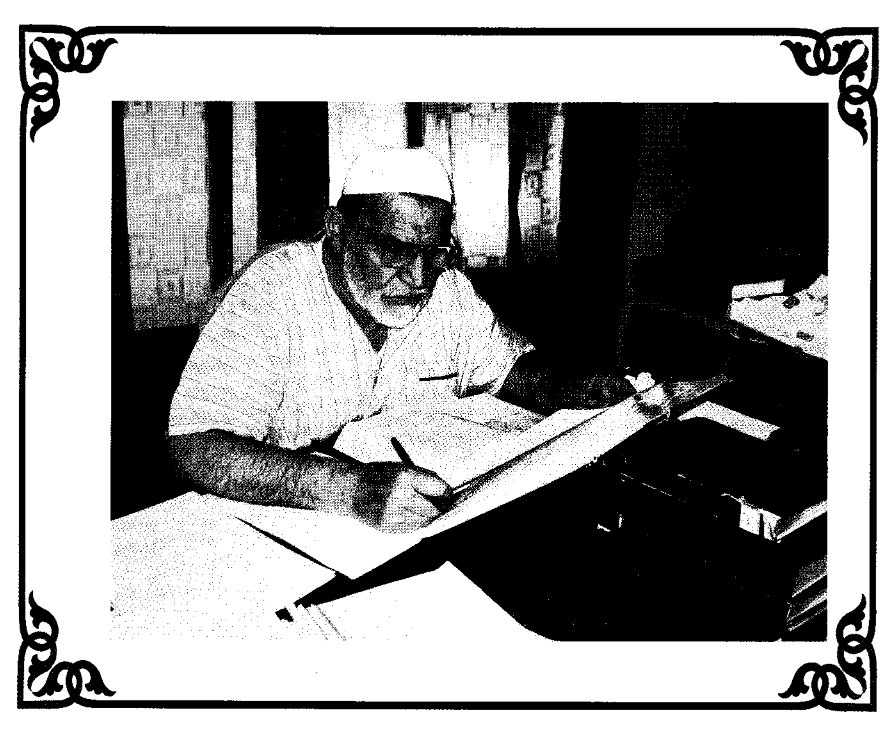
فنشرا من عيون التراث العربي الإسلامي ما تصاغرت دونها الهمم في نشر تراث ديننا وأمتنا الخالد، فكانت هذه الجهود الجبَّارة في نشر التراث العلمي، وتحمُّل أعبائها التي لا يعرف قيمتها إلَّا من انخرط فيها، وعايشها يوماً بيوم، وساعة بساعة، لتلك العطاءات الخيِّرة والجهود المبذولة، والمساعي الحميدة.

فإن قلتَ: وهل بقي الشيخ على ذات المنهج الذي سلكه في المكتب الإسلامي أو تغيَّر ؟

فأقول : تُعدُّ هذه المرحلة مرحلة النُّضوج الأكمل، وفيها تَرْسِيخٌ لقواعد مدرسة التحقيق الأصيلة.

ففي **المكتب الإسلامي**، كان الكتاب إنْ قَبِل العمل فيه شيخنا يخضع لتوجيهات الطابع والمُموِّل، وقليل جداً خرج عن هذا المنهج في بعض الكتب التي اقتضى موضوعها ذلك، ولكن غالب الأمر كان للناشر والمُموِّل.

وأمَّا في **مؤسسة الرسالة** فالأمر شتان، فقد أمر شيخنا هذا الرجل رضوان دعبول أن يُمسك زمام الإدارة، وأمَّا مسالك العِلْم وشؤونه فلا، فلم يكن من أهله، وهكذا امتثل أمر الشيخ، فأرخى العنان لشيخنا يختار ما يراه مناسباً ويعمل به في الطريقة التي يراها صحيحة، فلم يكن يتدخل في شؤون الكتب وطريقة العمل فيها، ثقة منه بعلم شيخنا، وعلو كعبه، وأنه الأقدر على العناية التامة الصحيحة بهذه الكتب.



صورة شيخنا في مكتب التحقيق أثناء التحقيق والبحث والتعليق

وقد كان شيخنا نفع الله به، يعرض في طليعة كل كتاب المنهج الذي سلكه، فكلُّ فَنٍّ له فُنونه وأسرَاره، وذَوقيَّاته، ولذا تراه في طليعة كل كتاب يُبين بإسهاب منهج العمل وطريقة مسلكه فيه، ليكون القارىء على بصيرة.

وفيما يلي : بيان هذه التحقيقات، مع شيء من البيان :

❑ ❑ ❑

١. «سير أعلام النُّبلاء» للذَّهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

فإنَّ هذا السِّفر العظيم يُعدُّ من أعظم كتب التراجم التي انتهت إلينا من تراث الأقدمين ترتيباً وتنقيحاً، وتوثُّقاً وإحكاماً، وإحاطة وشمولاً، فهو يُبيِّن عن سعة اطلاع المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ على كلِّ ما سبقه من تَواليف في موضوعه، ودراية تامَّة بأحوال المترجمين، وبكلِّ ما قيل في حقِّهم، وقدرة بارعة على غربلة الأخبار وتمحيصها وتَنْقيدِها، وبيان حالها.

ويتميَّز «السِّير» عن غيره من الكتب التي أُلِّفت في بابه أنَّه أول كتاب عام للتراجم في تراثنا، تناول جميع العصور التي سبقت عصر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، واشتملت تراجمه على الأعلام المختارة من جميع العالم الإسلامي من شرقه إلى غربه، ولم يقتصر على نوع معين من الأعلام، بل تنوَّعت تراجمه، فشملت كلَّ فئات الناس من الخُلفاء والمُلوك، والأمراء والوزراء، والقضاة والقُرَّاء، والمُحدِّثين والفُقهاء، والأدباء واللُّغويين، والنُّحاة والشعراء، والزُّهَّاد، وغيرهم، إلَّا أنه آثر المُحدِّثين على غيرهم، فإنه كان عظيم الإكبار لهم، شديد الكَلَف بهم.

وقد ترجم فيه للأعلام النُّبلاء من بداية الإسلام إلى سنة (٧٠٠هـ) تقريباً، وكَسَره على أربعين طبقة، كلُّ طبقة تستوعب عشرين سنة تقريباً، وأفرد المجلدين الأول والثاني للسِّيرة النبوية الشريفة، وسِيَر الخلفاء الرَّاشدين، ولكنه لم يُعد صياغتها، وإنما أحال على كتابه العظيم «تاريخ الإسلام» لِتُؤخذ منه، وتُضم إلى «السِّير».

والمنهج العام الذي اتبعه الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الترجمة هو أنه يذكر اسم المترجم، ونسَبه، ولقبه، وكُنيته، ونِسْبته، ثمَّ يذكر تاريخ مَولده،

وأحوال نشأته ودراسته، وأوجه نشاطه، والمجال الذي اختَّص به، وأبدع فيه، والشُّيوخ الذين الْتَقى بهم، ورَوَى عنهم، وأفاد منهم، والتَّلاميذ الذين أخذوا عنه، وانتفعوا بعِلْمه، وتخرَّجوا به، وآثاره العِلْمية، أو الأدبية، أو الاجتماعية، ثم يُبيِّن منزلته من خلال أقاويل العلماء الثِّقات فيه مُعتمداً في ذلك على أوثق المصادر ذات الصِّلة الوثيقة بالمترجَم، ثم يذكر تاريخ وفاته، ويُدقِّق في ذلك تدقيقاً بارعاً، وربما رَجَّح قولاً على آخر عند اختلاف المُؤرِّخين.

وقد نثَر الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ غير ما حديث في تراجم المُحدِّثين ممَّا وقع له من طريقهم بإسناد عالٍ موافقة أو بدلاً أو مُساواة.

وهو على الأغلب يراعي في طول الترجمة أو قصرها قيمة المترجم وشهرته بين أهل علمه، أو منزلته بين الذين هم من بابته، سواء أكان موافقاً له في المُعتقد أو مخالِفاً، وربَّما تخلَّص من المادة الضخمة التي تحصَّلت له عن بعض المترجمين الأعلام بإحالة القارئ إلى مصادر أوسع تناولته بتفصيل أكثر.

وقد اتَّسم الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالجُرأة النَّادِرة التي جعلته يَنتقد كبار العلماء والمُؤرِّخين، ويُنبِّه على أوهامهم التي وقعت لهم فيما أُثر عنهم بأسلُوب عِلْميٍّ مُتَّزن يُنبئ عن غَزارة علم، ونبالة قَصد، وقُدرة فائقة في النقد، والأمثلة على ذلك كثيرة تجدها مبثوثة في تضاعيف هذا الكتاب.

ولـمَّا كان الذَّهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد استوعب في «تاريخ الإسلام» فئتين من المترجمين: المشهورين، والأعلام، فقد اقتصر في كتابه «السِّير» على تراجم

الأعلام النُّبلاء، إلَّا أنه قد يذكر في نهاية بعض التراجم غير واحد من المشهورين للتعريف بهم على سبيل الاختصار، وتحديد وفياتهم.

وقد يَضطرُّه اتفاق اسم أحد المشهورين باسم أحد الأعلام الذي يترجمه إلى ترجمة المشهور عقبه للتَّمييز.

وكثيراً ما جمع بعض الأُسَر المُتقاربين في الطبقة في مكان واحد، وإن لم يكونوا من تلك الطبقة، فهو يُترجم لإخوة المُترجَم وأولاده ومن يَلُوذ به.

وكتاب «سير أعلام النبلاء» وإن كان قد استُلَّ من «تاريخ الإسلام» فقد أَلَّفه بعده، وأضاف إليه أخباراً كثيرة لا وجود لها في «التاريخ»، وتناول أشياء بالنَّقد والتحقيق لم يتعرَّض لها في «تاريخه»، وصياغة الترجمة فيه تختلف في كثير من الأحيان عمَّا عَرَضه في «تاريخ الإسلام».

وإنَّ هذا الكتاب القيِّم بما تضمَّنه من مزايا يَندُر أن توجد في غيره من بابته قد استحقَّ به مُؤلِّفه مع كتابه الآخر العظيم «تاريخ الإسلام» أنْ يُسمَّى **إمام المُؤرِّخين**.

وجاء وقت صدور «سير أعلام النبلاء»؛ فتناولته أقلام العلماء والباحثين بالشُّكر والثناء، حتى قال العلَّامة الأستاذ حمد الجاسر رَحِمَهُ اللَّهُ في «مجلة العرب»[1] تحت عنوان: مكتبة العرب:

«قبل ما يقرب من ثلاثين عاماً قرَّرت الجامعة العربية نشر كتاب «سير أعلام النبلاء»، فصدر الجزء الأول منه مُصدَّراً بمقدمة للدكتور طه حسين بدأها بقوله: «هذا كنز رائع نفيس من كنوز التراث العربي الإسلامي، قرَّرت الجامعة العربية نشره».

---

(١) في عددها الصادر في أيلول / تشرين الأول ١٩٨٥م ص ٥٧٥-٥٧٦ .

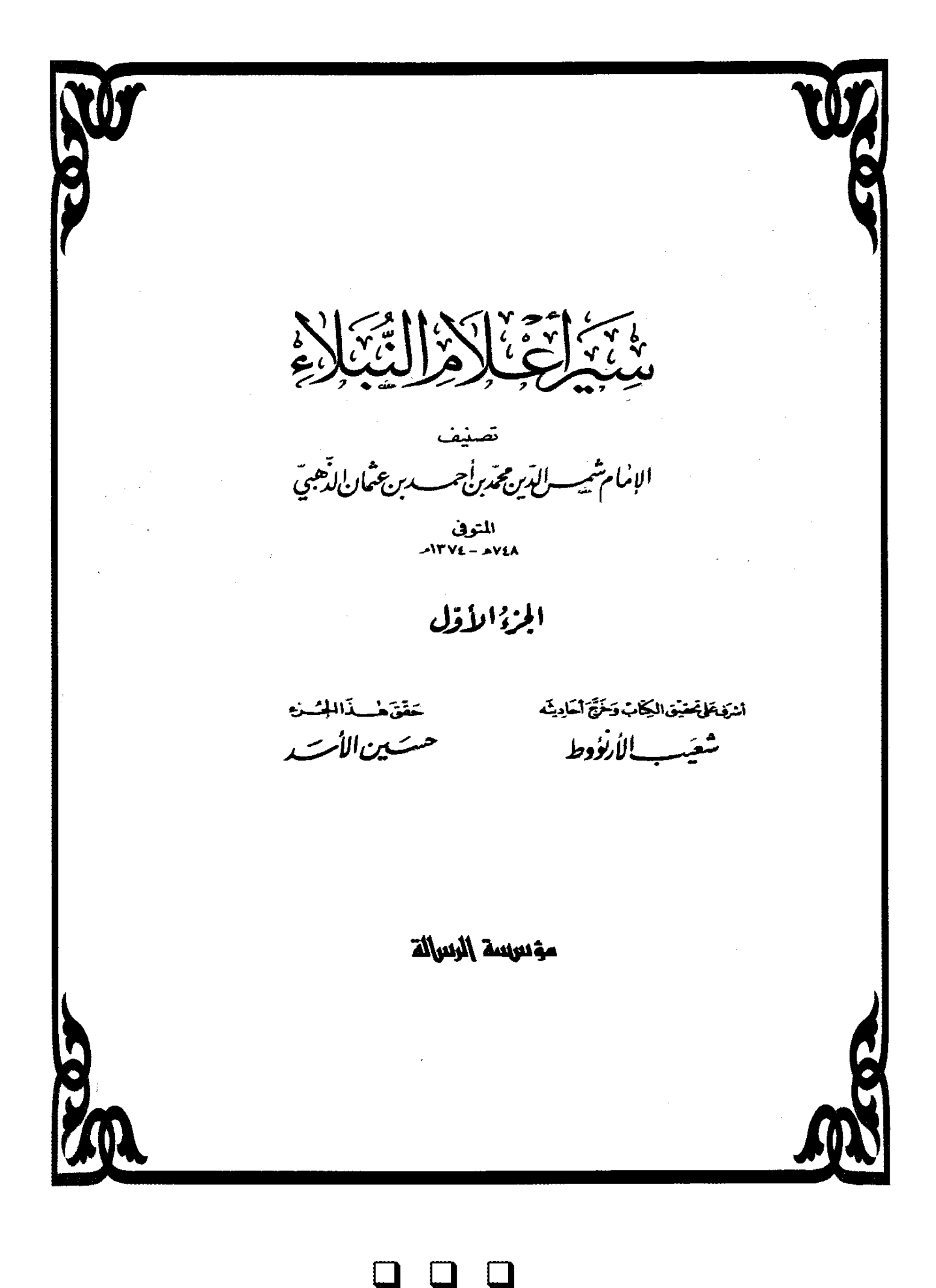
وقد أصدر معهد المخطوطات في الجامعة العربية جزأين منه، طبع سنة ١٩٥٧، ثم توقَّف العمل حتى هيَّأ الله له صاحب مؤسسة الرسالة في بيروت، فشرعت هذه المؤسسة في نشر الكتاب منذ سنة (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) فأصدرته في ثلاثة وعشرين مجلداً صدر آخرها هذا العام ١٤٠٥/ ١٩٨٥.

وطُبع طباعة جيدة على ورق صقيل وبحروف واضحة، قد شُكلت الكلمات الصعبة، وأضيفت إلى الكتاب حواشي تضيف معلومات قيمة عن المترجمين.

ولو قيل بأنَّ هذا الكتاب هو أهمُّ كتاب تَمَّ نَشرُه في هذه الأعوام من كتب التَّاريخ الإسلامي لـما كان في هذا القول مبالغة» .

هذا وقد أشرف على تحقيقه، وخرَّج جميع أحاديثه، وعلَّق على كثير من مواطنه شيخنا العلامة أدام الله ظِلَّه، وإنَّ عملاً بهذا الحجم الكبير، يصعب على صَرْحيْنِ كبيرين النُّهوض به، ثُمَّ يقوم به عالِـم ويشرف عليه بصدق وجدٍّ، مع العناية الحثيثة به؛ لمنقبةٌ كبيرة جداً، وفضيلة عالية لهذا العالِـم الكبير، فجزاه الله والمُحقِّقين خير الجزاء، وجعل ذلك في ميزان حسناتهم .

❑ ❑ ❑



سير أعلام النبلاء

تصنيف

الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي

المتوفى

٧٤٨هـ - ١٣٧٤م

الجزء الأول

أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه

شعيب الأرنؤوط

حقق هذا الجزء

حسين الأسد

مؤسسة الرسالة

❑ ❑ ❑

٢. «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبَّان» بترتيب الأمير علاء الدِّين الفارسي رَحِمَهُ اللَّهُ

فإنَّ الله تعالى وفَّق للسنة المطهرة حُفَّاظاً عارفين، وجهابذة عالمين، وصيارفة ناقدين، ينفون عنها تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، فتنوعوا في تصنيفها، وتفننوا في تدوينها، على أنحاء كثيرة، وضروب عديدة، حرصاً على حفظها، وخوفاً من إضاعتها.

وكان من أحسنها تصنيفاً، وأجودها تأليفاً، وأكثرها صواباً، وأقلها خطأً، وأعمها نفعاً، وأعودها فائدة، وأعظمها بركة، وأيسرها مؤونة، وأحسنها قبولاً عند الموافق والمخالف، وأجلِّها موقعاً عند الخاصة والعامة؛ «الجامع الصحيح» لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ، ثم «المسند الصحيح» لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري رَحِمَهُ اللَّهُ.

وما هذه المنزلة الرفيعة التي تبوَّأها هذان الكتابان إلَّا لاقتصارهما على الصحيح دون سواه، غير أنهما لم يستوعبا الصحيح من الآثار، ولا الْتَزَاما ذلك أصلاً، فابن الصَّلاح يَروي عن البخاري أنه قال: ما أدخلتُ في كتابي «الجامع» إلا ما صح، وتركت من الصحاح لحال الطول.

وقال: أحفظُ مئة ألف حديث صحيح.

ونقل ابن الصَّلاح أيضاً عن مسلم قوله: ليس كل شيء عندي صحيح وضعته هنا - يعني في كتابه «الصحيح» - إنما وضعت ها هنا ما أجمعوا عليه.

ونقل الحازمي عن البخاري قوله: كنتُ عند إسحاق بن راهويه، فقال لي بعض أصحابنا: لو جمعتم كتاباً مختصراً لسنن النبيِّ ﷺ، فوقع ذلك في قلبي، فأخذت في جمع هذا الكتاب.

قال الحازمي: فقد ظهر بهذا أن قصد البخاري كان وضع مختصر في الحديث، وأنه لم يقصد الاستيعاب لا في الرجال ولا في الحديث.

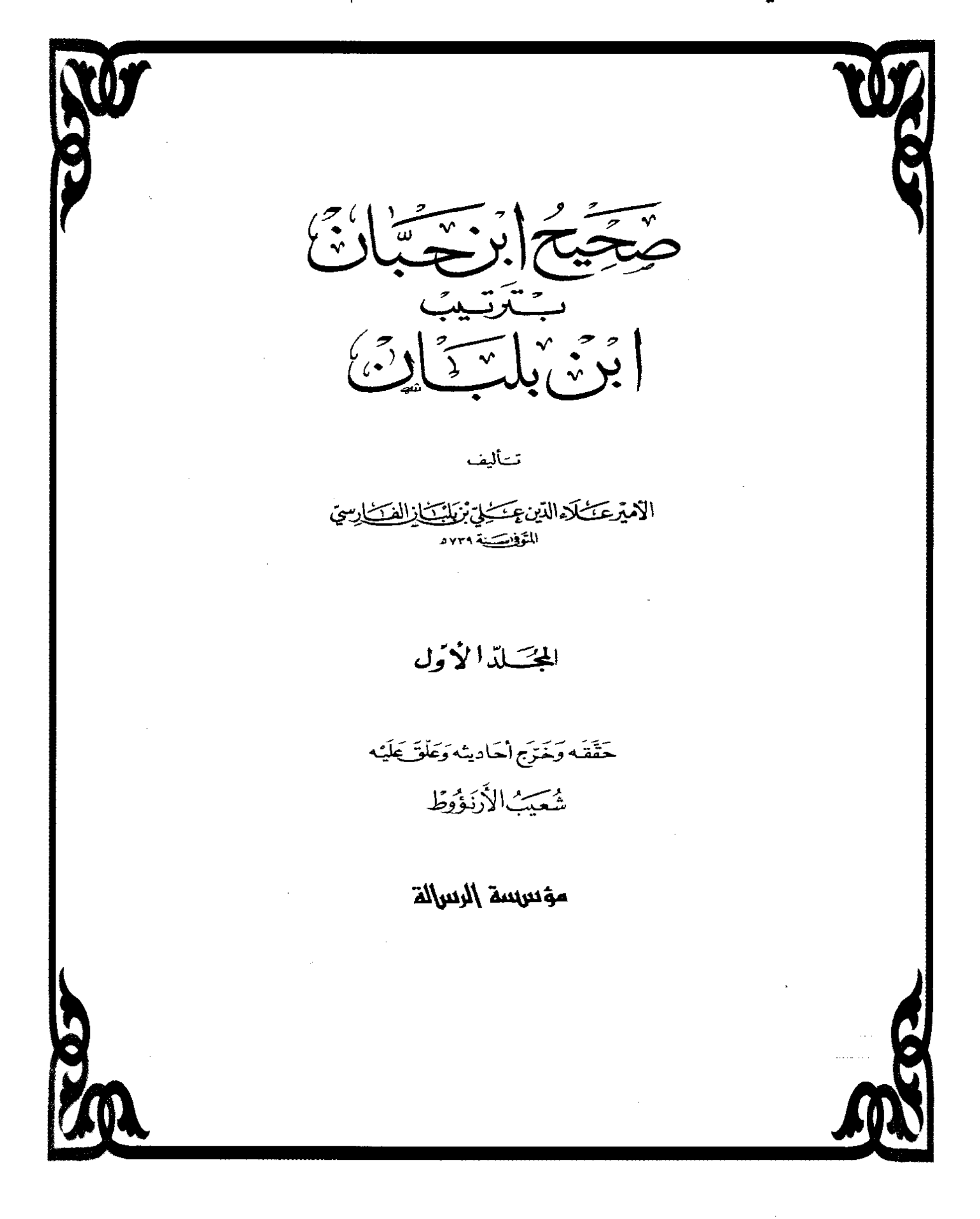
وبقاء عدد كبير من الأحاديث الصحيحة خارج «الصحيحين» حرَّك هِمَّةَ الحفاظ إلى جمعها واستيعابها والتصنيف فيها، فكان أنْ ألَّف ابن خزيمة «صحيحه»، وتبعه تلميذه الحاكم فصنَّف «مستدركه على الصحيحين» وشرط هؤلاء كما هو ظاهر رواية الصحيح من الحديث، على تفاوت بينهم في التزام الصحيح المجرد، فما هي منزلة «صحيح» ابن حبان بين «الصحاح».

إن «صحيح» ابن حبان أعلى مرتبة من «صحيح» شيخه ابن خزيمة، بل إنه ليُزاحم بعض الكتب الستة، وينافس بعضها في درجته، قال السَّخاوي في «فتح المغيث» (١/ ٣٦): وكم في كتاب ابن خزيمة أيضاً من حديث محكوم منه بصحته، وهو لا يرتقي عن رتبة الحسن، بل وفيما صححه الترمذي، من ذلك جملة، مع أنه ممن يفرق بين الصحيح والحسن.

وقال ابن العماد في «الشذرات» (٣/ ١٦): وأكثر نُقَّاد الحديث على أن «صحيحه» أصحُّ من «سنن» ابن ماجه.

لقد ذكر ابن حبَّان أنَّ الذي دعاه إلى تأليفه ما رآه من كثرة طرق الأخبار، وقلَّة معرفة الناس بالصحيح منها، واشتغالهم عنها بكتبة الموضوعات، وحفظ الخطأ والمقلوبات، وهم مع ذلك معتمدون على ما في الكتب دون حفظها وتحصيلها في صدورهم، فدفعه ذلك إلى جمع الأسانيد الصحيحة، ووضعها في أيدي الناس لصرفهم عن الأخبار والأسانيد الضعيفة والموضوعة، ثم حملهم على حفظها بحيلة يخترعها في طريقة ترتيب هذه الأخبار.

هذا وقد اعتنى شيخنا حفظه الله بهذا الكتاب النافع، حتى خرج بتحقيق علمي متقن، فالحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات .



❑ ❑ ❑

٣. «شرح مُشكل الآثار» للطَّحاوي رَحِمَهُ اللهُ

فهذا كتابُ «شرح مشكل الآثار» تصنيف الإمام العلامة الحافظ الكبير، محدث الدِّيار المصرية وفقيهها أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الحجري المصري الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ، خرج بتمامه بين يدي القراء لأول مرة، بعد أن اضطلع شيخنا بأعباء تحقيقه، وضبط نصه، وتخريج أحاديثه، والتعليق عليه، على نحو يُيسِّر الفائدة منه، ويحقق رغبة أهل العلم الذين طالما تمنوا أن ينشر هذا الكتاب، نشرةً علمية محررة متقنة، كاملة غير منقوصة، ليفيدوا منه علماً يتعذر وجوده في غيره من التصانيف التي هي من بابته.

وقد اتجهت همة الإمام الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ إلى إفراد هذا النوع بالتأليف - وهو مما يضطر إلى معرفته جميع العلماء على اختلاف مشاربهم - في أواخر سني حياته حين آنس من نفسه القدرة على اقتحامه، وخوض غماره، وتذليل صعابه، بما تحقق فيه من ذهن وقَّاد، وحافظة واعية، وعلم وافر، وملكة استنباط، وفقاهة نفس، ودُربة طويلة، وإمامة ملموسة في الحديث والفقه.

وهو كتابٌ جليلٌ يحتوي على معانٍ حسنة عزيزة، وفوائد جمة غزيرة، ويشتمل على فنون من الفقه، وضروب من العلم، دعاه إلى تأليفه - كما يقول في مقدمته - أنَّه نظَر في الآثار المروية عنه ﷺ بالأسانيد المقبولة التي نقلها ذوو التثبُّت فيها، والأمانة عليها، وحسن الأداء لها، فوجد فيها أشياء مما يسقط معرفتها والعلم بها عن أكثر الناس، فمال قلبه إلى تأمُّلها، وتبيان ما قدر عليه من مشكلها، ومن استخراج الأحكام التي فيها، ومن نفي الإحالات عنها،

وجعل ذلك أبواباً، وذكر في كل باب منها ما يهب الله عَزَّوَجَلَّ له من ذلك منها، حتى أتى فيها قدر عليه منها كذلك، ملتمساً ثواب الله عز وجل منها.

وبيَّن من كلامه هذا أن الأحاديث الصحيحة التي تتضمن معاني مشكلة، أو تحتوي على أحكام فيما يبدو للمجتهد متعارضة، هي الغرض الرئيس الذي ألَّف من أجله كتابه هذا، وصنيعه هذا قريب مما أُطلق عليه: **علم اختلاف الحديث**؛ وهو علمٌ يبحث فيه عن التوفيق بين الأحاديث المتناقضة ظاهراً، إمَّا بتخصيص العام تارةً، أو بتقييد المُطلق تارة أخرى، أو بالحمل على تَعدُّد الحادثة، أو بغير ذلك من وُجوه التأويل والترجيح والتَّوفيق، إلَّا أن شرح المشكل أعم من هذا ومن الناسخ والمنسوخ، لأن الإشكال - وهو الالتباس والخفاء - قد يكون ناشئاً من ورود حديث يناقض حديثاً آخر من حيث الظاهر، أو من حيث الحقيقة ونفس الأمر، وقد ينشأ الإشكال من مخالفة الحديث للقرآن أو اللغة، أو العقل، أو الحسِّ، والمؤلف يرفع هذا الإشكال إما بالتوفيق بين الحديثين المتعارضين، أو ببيان نسخٍ في أحدهما، أو بشرح المعنى بما يتفق مع القرآن، أو اللغة، أو العقل، أو بتضعيف الحديث الموجب للإشكال وردِّه، أو بغير ذلك.

والطريقة التي اتبعها المؤلِّف في كتابه هذا هي أنه يدرج تحت كل باب حديثين ظاهرهما التعارض مما يتضمنها العنوان الذي وضعه لهما، فيورد أسانيدهما، ويسرد طرقهما ورواياتهما، ثم يبسط القول في مواضع الخلاف فيهما، ثم يتناولهما بالشرح والبيان والتحليل حتى تأتلف معانيهما، وينتفي عنهما الاختلاف ويزول التعارض، إلا أنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يُراعِ ضمَّ كل باب إلى شكله، ولا إلحاق كل نوع بجنسه، فهو يورد الأبواب كما اتفقت له، فتجد

أحاديث الوضوء فيه متفرقة من أول الكتاب إلى آخره، وكذلك أحاديث الصلاة والصيام وسائر الشرائع والأحكام، لا تكاد تجد فيه بابين متصلين من نوع واحد، مما يشق على طالب العلم الحصول على مبتغاه منه، بخلاف صنيعه في «شرح معاني الآثار»، فإنه رتَّبه ترتيباً محكماً أقامه على الكتب والأبواب، ويمكن أن يعتذر له عن ذلك أن كتابه هذا ليس مقصوراً على استخراج الأحكام حتَّى يُرتِّبه على أبواب الفقه، أو أن كثيراً من بحوثه لا يوجد لها نظائر تنضم إليها.

وقد اشترط في التوفيق بين الحديثين المتعارضين أن يكون كلٌّ منهما في مرتبة واحدة من الصحة والسلامة، فإذا كان أحدهما ضعيفاً طرحه وأخذ بالقوي، لأن القوي لا تُؤثِّر فيه معارضة الضعيف.

أمَّا إذا كانا في مرتبة واحدة من الصحة والسلامة، فهو لا يألو جهداً في البحث عن معنًى يُوفِّق بينهما، ويزيل تعارضهما، وإذا تضادَّا، ولا سبيل إلى الجمع بينهما، فإنْ عَلم تاريخ كلِّ واحد منهما، حكم على المتقدم بالنسخ، وصار إلى الناسخ المتأخر، وإذا جهل تاريخهما، فإنه يلجأ إلى ترجيح أحدهما بما يعتدُّ به من وُجوه الترجيح، وهي كثيرة بسطها في أكثر من موضع من كتابه هذا، وهنا تظهر براعته الفائقة، وطريقته الفذة، وغوصه على المعاني الدقيقة التي قلَّما تتفق لغيره.

ولم يلتزم فيه مذهباً معيناً، بل هو دائر مع معنى الحديث، يستنبط منه الحكم المناسب عنده بمقتضى القواعد التي التزمها، وقيَّد نفسه بها، وهي مما أدَّاه إليها اجتهادُه، ولا بِدَعَ في ذلك، فهو إمامٌ مجتهدٌ حصَّل الأدلة التفصيلية كتاباً وسُنَّة على أوسع نطاق، واستنبط منها الأحكام مباشرة،

وحصَّل آراء الفقهاء عامة من أئمة الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة المَتبُوعين دون الاقتصادر على إمام معين، وسواء أكان ما انتهى إليه من الرأي يوافق مذهبه الذي ينتسب إليه أو يخالفه، وانتسابه إلى مذهب أبي حنيفة إنما يعني سلوكه طريقَه في الاجتهاد، واقتناعه بمنهجه في الاستدلال.

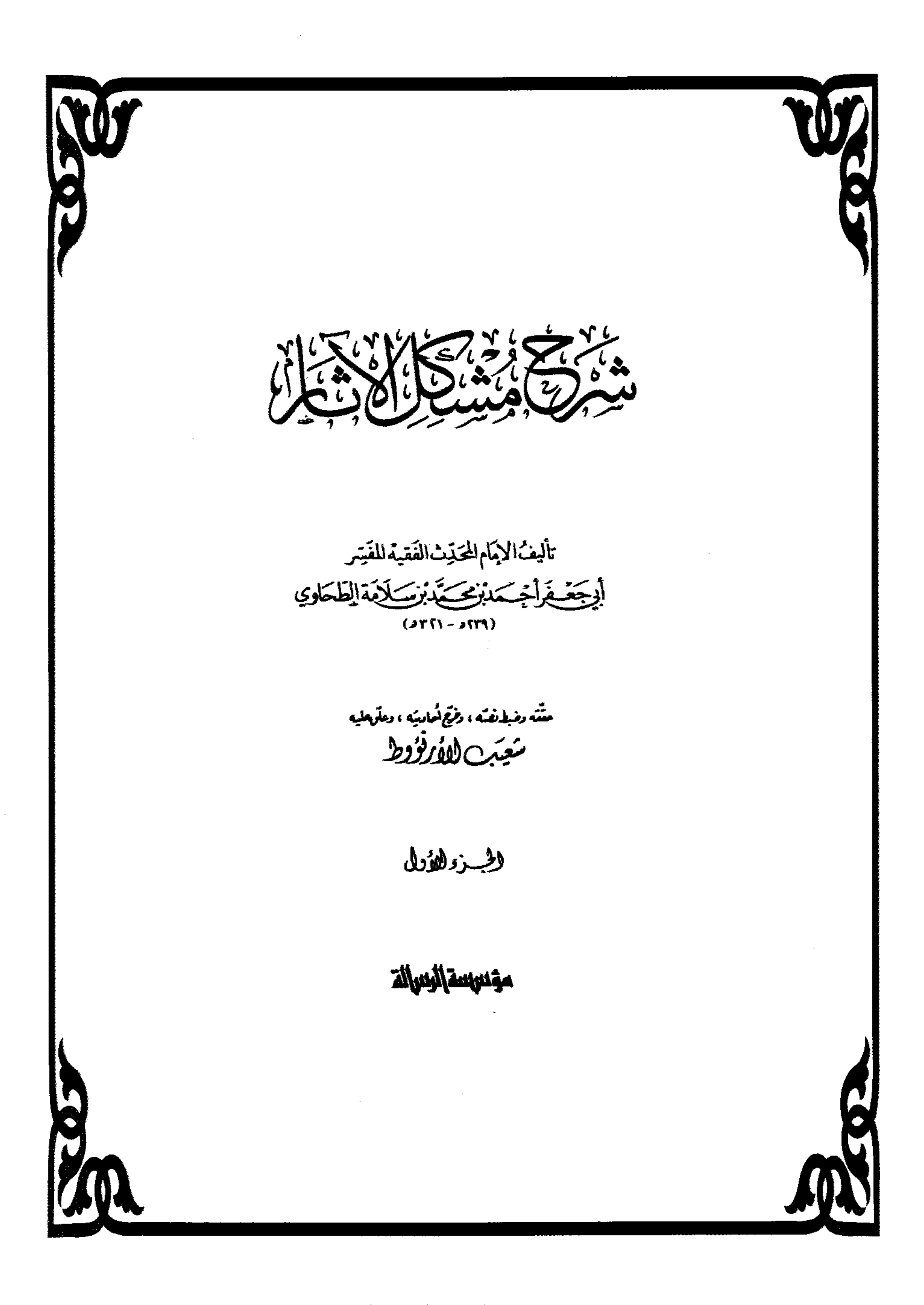
قال ابن زولاق: سمعت أبا الحسن علي بن أبي جعفر الطحاوي يقول: سمعت أبي يقول - وذكر فضل أبي عبيد بن حربويه وفقهه - فقال: كان يذاكرني بالمسائل، فأجبته يوماً في مسألةٍ، فقال لي: ما هذا قول أبي حنيفة! فقلت له: أيها القاضي، أوكل ما قاله أبو حنيفة أقول به!! فقال: ما ظننتك إلا مُقلِّداً.

فقلتُ له: وهل يقلد إلَّا عصبي؟

فقال لي: أو غبي.

قال: فطارت هذه الكلمة بمصر حتى صارت مثلاً، وحفظها الناس.

❑ ❑ ❑



شرح مشكل الآثار

تأليف الإمام المحدث الفقيه المفسر
أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي
(٢٣٩هـ - ٣٢١هـ)

حققه وضبط نصه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه
شعيب الأرنؤوط

الجزء الأول

مؤسسة الرسالة

□ □ □

٤. «العَواصم والقَواصِم في الذبِّ عن سُنَّة أبي القاسم» لابن الوزير رَحِمَهُ ٱللَّهُ

فهذا كتابٌ عَظيمٌ في بابه، لم يُؤلَّف مثله، ضمَّنه المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بحوثاً قيِّمة في علوم مختلفة تُنبئ عن صحة ذهن، وحافظة واعية، واطلاع واسع، وقدرة فائقة على تقرير الأدلة، و البراهين المستنبطة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بأسلوبٍ يَتَّسم بالوضوح والجزالة، وتَبحُّر في جميع العلوم العقلية والنقلية على حَدٍّ يَقصُر عنه الوصف، وتجرُّدٍ كامل من العصبية والهوى والتقليد.

ألَّفه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن انقطع للكتاب والسنة، واشتغل بعلومهما، وامتلأت جوانحه بحبهما، وتضلَّع من مختلف العلوم حتى فاق أقرانه، وزاحم شيوخه، وتَخطَّاهم، وبلغ درجة الاجتهاد المطلق.

فهو كما يقول الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**ممن يَقصُر القلم عن التعريف بحاله، وكيف يمكن شرح حال من يزاحم أئمة المذاهب الأربعة فمَن بعدهم من الأئمة المجتهدين في اجتهاداتهم، ويُضايق أئمَّة الأشعريَّة والمعتزلة في مقالاتهم، ويتكلَّم في الحديث بكلام أئمته المعتبَرين، مع إحاطة بحفظ غالب المتون، ومعرفة رجال الأسانيد شخصاً وحالاً وزماناً ومكاناً**».

ويلمح القارئ في كتابه هذا حبَّه للحديث النبوي الشريف، ومناصرة أهله، والاعتداد به، وأنه هو والقرآن الكريم الطريق الأمثل لمعرفة الحق من بين أقوال المختلفين، ولا بِدَعَ في ذلك، فإنه قد صرح في مختصره أنه قد أشرب قلبه محبة الحديث النبوي والعلم المصطفوي، وأنه يرى الحظَّ

الأسنى في خدمة علومه، وإحياء ما دَرَس من آثاره، وأنَّ أولى ما يشتغل به هو الذَّبُّ عنه، والمحاماة عليه والحثُّ على اتباعه، والدعاء إليه؛ لأنه عِلْم الصدر الأول، والذي عليه بعد القرآن المُعوَّل، وهو لعلوم القرآن أصل وأساس، وهو المفسر للقرآن بشهادة ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ [النحل: ٤٤]

وإنَّ القارئ لهذا السِّفر النَّفيس سيرى فيه:

١- أصالة المنهج المتمثل في الكتاب والسنة، وفهمهما على النحو الذي فهمه السلف الصالح المشهود لهم بالفضل والخيرية على لسان خير البرية.

٢- وضوح الفكرة، وجزالة الأسلوب والقدرة على الإبانة، وقوة العارضة، والاستيفاء في الاستدلال بما لا يخطر على بال، فإنه يسرد في المسألة الواحدة من الوجوه ما يُبهر لُبَّ مُطالِعِه، ويُعرِّفُه بقِصَر باعِه بالنسبة لعلم هذا الإمام، فهو يورد كلام شيخه في رسالته التي اعترض بها عليه بنصِّه وفصِّه، ثمَّ يَنسفه نسفاً، بإيراد ما يُزيِّفُه به من الحجج الكثيرة، التي لا يجد العالم الكبير في قوته استخراج البعض منها.

٣- البصر التَّام بأقاويل أهل العلم من الطوائف الإسلامية واختلافهم في أمهات المسائل، وعَرْض أدلتهم بدقة وأمانة، وترجيح ما استبان له صوابُه بالحجة والبرهان، مُشفوعة بلسانٍ عَفٍّ، وأسلوبٍ مُهذَّبٍ، وقول ليِّن.

٤- الحافظة النادرة المواتية التي تمدُّه بما يشاء من نصوص الكتاب والسنة وأقاويل أهل العلم في المسألة التي يعرض لها، ويبحث فيها بما لا يكاد يظفر به الباحث عند غيره من أهل العلم.

٥- الجمع بين الرِّواية والدِّراية، وقلَّما تجتمعان لأحد، وبصراً تامّاً في مختلف الفنون بحيث يُعدُّ إماماً في كلِّ فَنٍّ منها.

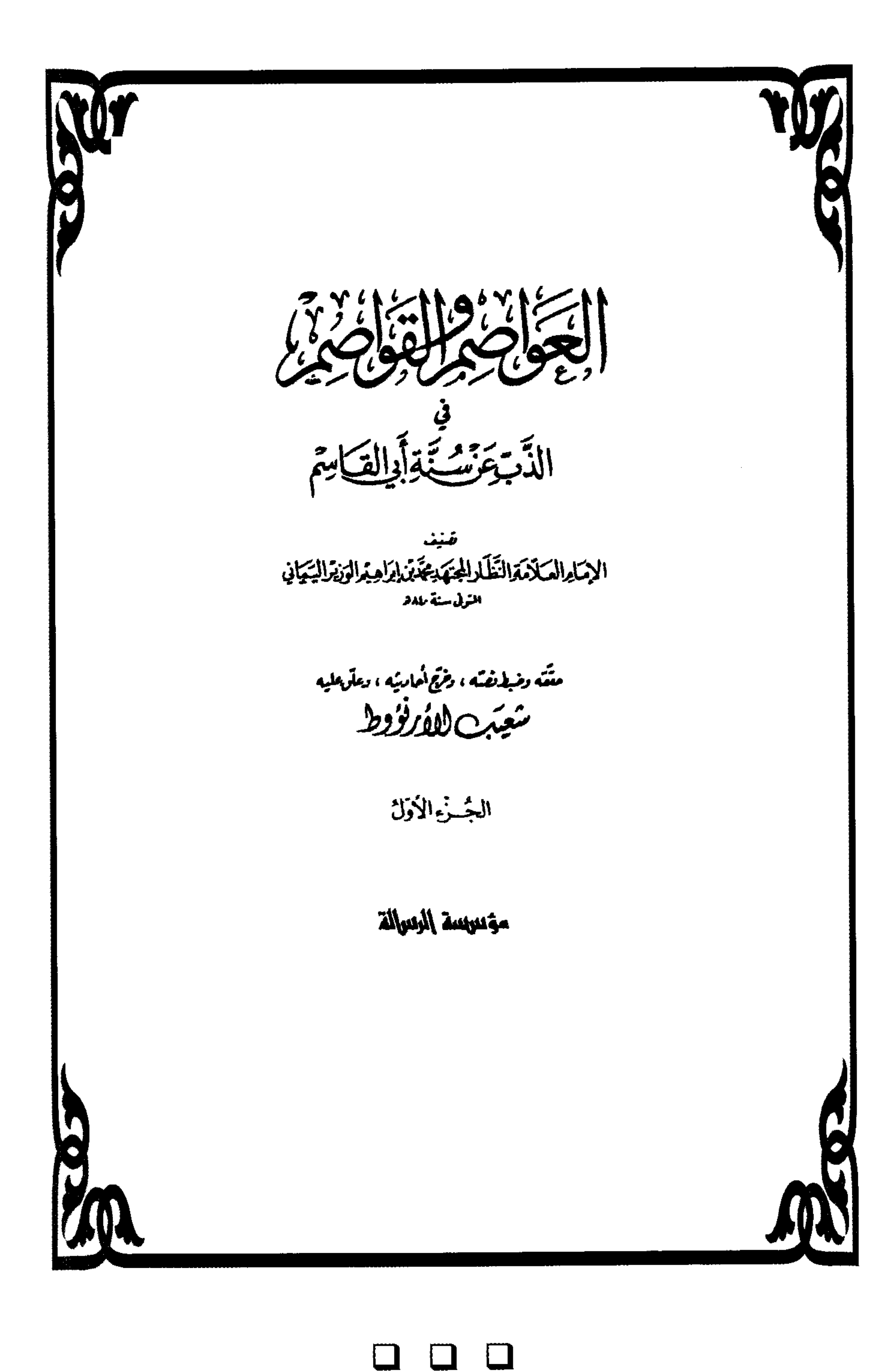
فهو يُعدُّ بحقٍّ في زمرة أولئك المفكرين المُصلِحين الذين استنارت بأفكارهم المبثوثة في تفاريق مؤلَّفاتهم عقولُ معاصريهم، ومن أتى بعدهم إلى يومنا هذا، وتنوَّرت قلوبُهم، وانجلى ما لَصقَ بمرآتها من صَدإ الشَّك والجمود، وانحلَّ ما انعقد في أذهانهم من شُبَه الزَّيغ والارتياب.

فهذه الكتاب دَوْحة غنَّاء، وحديقة يانعة، فيه من كل علم طرف، في العقيدة، والتفسير، والحديث، والفقه، واللغة، والبلاغة وغيره،ا وقد تناول في ثناياه مسائلَ عِلْميَّة هامَّة، فناقش مناهج السلف، ورد شُبَه الخَلَفِ، وفنَّد شُبُهات المُبطِلين عن الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، وقد زاده جمالاً وبهاءاً تِلْكُم التَّعليقات العوالي، والنُّكت الغوالي التي قيَّدها وعلَّقها شيخُنا أحسن الله إليه.

وبعد فهذا عِلْقٌ نفيسٌ مِن نفَس أهل اليمن الأَشَمِّ، حُقَّ له أن يكون مفخرةً لهم وأيُّ مفخرةٍ، ورحم الله الإمام الشَّوكاني حين قال:

«**إنَّ العواصم والقواصم يشتمل على فوائد في أنواع من العلوم، لا توجد في شيء من الكتب، ولو خرج هذا الكتاب إلى غير الديار اليمنية لكان من مفاخر اليمن وأهله**».

❑ ❑ ❑



العواصم والقواصم

في

الذب عن سنة أبي القاسم

تصنيف

الإمام العلامة النظار المجتهد محمد بن إبراهيم الوزير اليماني

المتوفى سنة ٨٤٠ هـ

حققه وضبط نصه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه

شعيب الأرنؤوط

الجزء الأول

مؤسسة الرسالة

□ □ □

٥. «زاد المعاد في هدي خير العباد» لابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ

فإنَّ مما لا خلاف فيه بين المسلمين أنَّ رسولنا محمداً ﷺ خاتمُ النَّبيِّين، والصراطُ المستقيم، وجعل رسالته عامة للناس أجمعين إلى يوم الدين.

وأقام به المِلَّة العوجاء، وفتح بهَدْيه أعيُناً عُمْياً، وآذاناً صُمّاً، وقلوباً غُلْفاً وهَدى به البشرية التائهة إلى أقوم طريق، وأوضح سبيل، وأحسن منهج.

وقد افترض الله تعالى على العباد طاعته، وتوقيره ومحبَّته، والاقتداء بهديه، واتباع سنته، وجعل العزة والمنعة والنصرة والولاية والتمكين في الأرض لمن اتبع هداه، وترسم خطاه، والذِّلة والصَّغار، والخذلان والشقاء والضعف والمهانة على من خالف أمره وعصاه.

وإن معرفة عبادة الله تعالى، والعمل بدينه الذي أنزله لصالح شؤون العباد في الدنيا والآخرة؛ مُتوقِّفة على معرفة هَدْي رسول الله ﷺ وطريقته العملية التي بيَّن فيها شرع الله تعالى من أول ما نزل عليه الوحي إلى أن أكمل الله تعالى هذا الدين.

وقد وعت كتب السنة والمغازي والتاريخ والشمائل أقوال النبيِّ ﷺ وأفعالَه وصفاتِه من أول نشأته إلى أن اختاره الله إلى جواره ـ لاسيَّما الفترة التي أدَّى فيها الرسالة ـ ولم تَدَع أمراً من أموره، ولا شأناً من شؤونه، دَقَّ أو جَلَّ إلَّا أحصته، حتى إنك لتجد فيها صفة قيامه، وجلوسه، ونهوضه من نومه، وهيئته في ضحكه وابتسامه، وعبادته في ليله ونهاره، وكيف كان يفعل إذا اغتسل، وإذا أكل، وكيف كان يشرب، وماذا كان يلبس، وكيف كان يتحدث إلى الناس إذا لقيهم، وما كان يحب من الألوان، وما هي حِلْيته وشمائله.

ولسنا نعدو الحقيقة إذا قلنا: إنه ليس في الدنيا إنسان كامل تحدث التاريخ عن سيرته على التفصيل كما تحدث عن تفاصيل حياة نبينا محمد ﷺ خاتم النبيين.

وإنَّ أوْفَى كتاب في هذا الموضوع هو كتاب «زاد المعاد في هدى خير العباد» للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي ثم الدمشقي، صاحب القلم الفيَّاض، والعلم الواسع، والرأي السَّديد، والمتبحِّر في علوم الإسلام أصولها وفروعِها، دقيقِها وجَليلِها.

وقد استوعب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه هذا هَدْيَه ﷺ في شؤونه العامة والخاصة، واستوفى الحديث عن أطوار حياته، وما صاحبها من أحداث، وما لابَسَها من أمور يجدر بكل مسلم أن يقف عليها، ويتبين أمرها، شأنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كل تصانيفه التي تجري على نسق واحد من الجودة والاتقان، والإحاطة بالموضوع من جميع نواحيه بحيث لا يدع لباحث بعده مجالاً لأن يقول شيئاً.

وكلُّ مَن يقرأ مؤلَّفات ابن القيِّم بتَبَصُّرٍ وتمحيصٍ يعلم حقَّ العلم أنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ جمع من علوم القرآن والسُّنة، ومن الإحاطة بأقاويل السلف، وآراء المذاهب ومقالاتهم حفظاً وفهماً ما لا نعلم مثلَه عن كثير من العلماء ممن تقدَّمه أو أتى بعده.

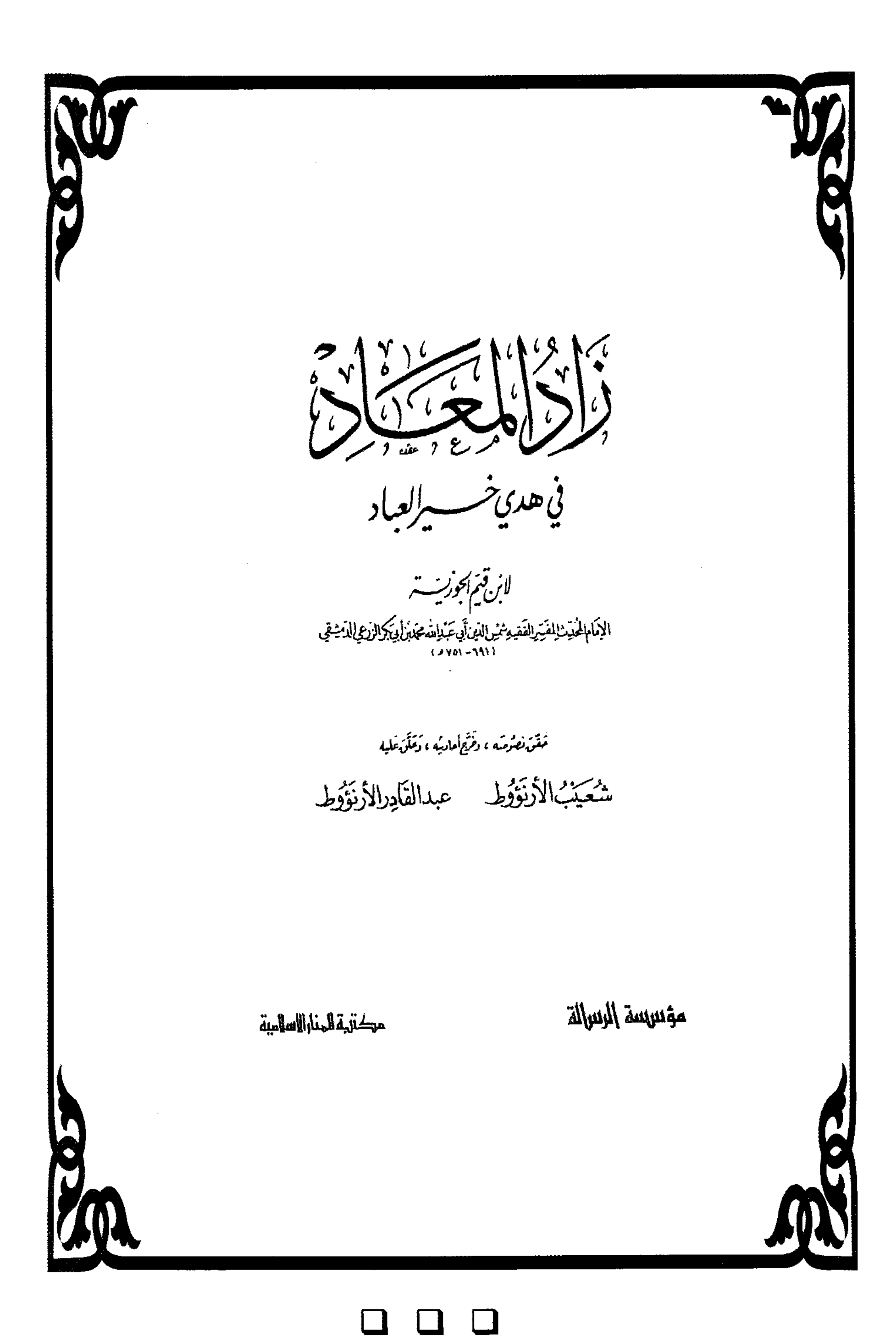
وهو شديد الاعتداد بما ثبت عنه ﷺ من الأحاديث، والأخذ بها، والعمل بموجبها، وطَرْحِ ما سواها، وعدم الاعتداد بقول أحدٍ كائناً مَن كان إذا كان يخالفها، أو يتأولُها على غير وجهها، وهو وإن كان يسير في فلك شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ويأخذ بكثير من اجتهاداته التي تفرد بها، إلا أنه أقرب منه إلى اللين والرفق بالمخالفين.

ومما يُثير الدَّهشة أنَّ المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد ألَّف كتابه هذا في حال السَّفَر، ولم تكن في حَوزته المصادر التي ينقل منها ما يحتاج إليها من أخبار وآثار تتعلَّق بموضوع الكتاب؛ مع أنه ضمَّنه معظمَ الأحاديث النبوية القولية منها والفعلية المُتعلِّقة به ﷺ مما هو مَنثور في «الصِّحاح»، و«السُّنن»، و«المسانيد»، و«المعاجم»، و«السِّير»، وأثبت كلَّ حديث في الموضوع الذي يخصُّه مما يشهد بسَعَة اطِّلاعه، وجودة حفظه، وسرعة بديهته، وربما تزول الدهشة إذا صح ما ترامى إلينا من أن هذا الإمام كان يستظهر «مسند الإمام أحمد بن حنبل» الذي يضم نحواً من سبعة وعشرين ألف حديثٍ من حديث رسول الله ﷺ.

هذا وقد سبق لهذا الكتاب أنْ طُبعَ أكثر من مرة، ولكنه في كلِّ هذه الطبعات لم يأخذ حظَّه من التحقيق والتصحيح والتمحيص، فجاءت كلها مليئة بالخطأ والتصحيف والتحريف، وسوء الإخراج، وعدم العناية بتحقيق نصوصه الحديثية، وتمييز صحيحها من سقيمها، ومن هنا جاءت فكرة تحقيقه ونشره نشرة صحيحة وفق القواعد العلمية المُتَّبعة في التحقيق، فخرج بعناية شيخنا شعيب والشيخ عبد القادر الأرنؤوط رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في أحلى حُلَّة، فكانت هي الطبعة المعوَّل عليها من عقودٍ، فالحمد لله على توفيقه .

إضاءةٌ : كتاب «زاد المعاد» كتاب حافل موسوعيٌّ، ومن هنا جاءت فكرة تهذيبه واقتصار هذا التَّهذيب على الهدي النبويِّ، ومن هُنا فقد نشط شيخنا أحسن الله إليه، وراقم هذه الأحرف على تهذيب «الزاد»؛ لينتفع به الخاصة والعامة، فنسأل الله التوفيق والسداد، وأن ينفع به كما نفع بأصله.

❑ ❑ ❑



زاد المعاد

في هدي خير العباد

لابن قيم الجوزية

الإمام المحدث المفسر الفقيه شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي

(٦٩١ - ٧٥١ هـ)

حقق نصوصه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه

شعيب الأرنؤوط عبد القادر الأرنؤوط

مؤسسة الرسالة مكتبة المنار الإسلامية

❑ ❑ ❑

٦. «جامع العلوم والحكم» لابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ

فهذا كتابٌ عظيمٌ حافلٌ، يتضمَّن شرح خمسين حديثاً منتقاةٍ من جوامع كلمة رسول الله ﷺ، يندرج تحتها معانٍ كثيرةٌ في ألفاظ قليلة، وهي مما خص الله به رسوله ﷺ.

وقد أشار الإمام أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي المتوفى سنة (٣٨٨هـ) إلى يسير من جوامع كَلِمِه ﷺ في كتابه «غريب الحديث» (١/ ٦٤) فقال: وقد أمدَّ اللهُ رسولَ الله ﷺ بجوامع الكلم التي جعلها ردءاً لنبوته، وعلماً لرسالته، لينتظم في القليل منها علم الكثير، فيسهل على السامعين حفظه ولا يؤودُهم حمْلَه، ومن تَتبَّع الجوامع من كلامه، لم يعدم بيانها، وقد وصفتُ منها ضروباً، وكتبتُ لك من أمثلتها حروفاً تدل على ما وراءها من نظائرها وأخواتها، فمنها في القضايا والأحكام وقوله: «المؤمنون تتكافؤ دماؤهم، ويسعى بذمَّتم أدناهم، وهم يَدٌ على مَن سِواهم» وقوله: «المَنيحةُ مَردُودةٌ، والعاريَّةُ مُؤدَّاة، والدَّيْن مقضيٌّ، والزَّعيم غارمٌ». فهذا الحديثان على خِفَّة ألفاظهما يتضمَّنان عامة أحكام الأنفس والأموال.

ومنها قوله ﷺ: «سلوا الله اليقين والعافية»، فتأمَّل هذه الوصية الجامعة تجدها محيطة بخير الدنيا والآخرة، وذلك أنَّ مَلاك أمر الآخرة اليقينُ، ومَلاك أمر الدُّنيا العافية، **فكل طاعة لا يقين معها هَدَرٌ، وكل نعمة لم تصحبها العافية كَدَر**، فصار هذا الكلام على وجازته وقلَّة حروفه أحد شطريه محيطاً بجوامع أمر الدِّين، وشَطْره الآخر مُتضمِّناً عامة مصالح الدنيا.

ثم أملى الإمام الحافظ المفتي شيخ الإسلام تقي الدين أبو عمرو عثمانُ بن موسى الشهرزوري الشهير بابن الصَّلاح مجلساً سماه: الأحاديث الكُليَّة جمع فيه الأحاديث الجوامع التي يقال: إن مدار الدين عليها، وما كان في معناها من الكلمات الجامعة الوجيزة، وقد اشتمل مجلسه هذا على ستة وعشرين حديثاً.

ثم إن الفقيه الإمام الزاهد القدوة أبا زكريا يحيى بن شرف النووي أخذ هذه الأحاديث التي أملاها ابن الصلاح، وزاد عليها تمام اثنين وأربعين حديثاً، وسمَّى كتابه «بالأربعين»، واشتهرت هذه الأربعون التي جمعها، وكثر حفظها، ونفع الله بها ببركة نِيَّة جامعها وحُسْن قَصْدِه رَحِمَهُ اللَّهُ.

ثم إنَّ الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ ضمَّ إلى ذلك كله ثمانية أحاديث أُخر من جوامع الكلم الجامعة لأنواع العلوم والحكم، فبلغت خمسين حديثاً، ثم استخار الله تعالى - إجابة لجماعة من طلبة العلم - في جمع كتاب يتضمن شرح ما يسَّر الله من معانيها، وتقييد ما يفتح به سبحانه من تبيين قواعدها ومبانيها.

وقد اعتنى في شرحه هذا بالتَّفقه بالأحاديث النبوية وتفسير غريبها، وشرح معانيها، وتأويل مختلفها، وبيان أحكامها، وما يترتَّب عليها من الفقه واختلاف العلماء، فكان مِن أجلِّ الشُّروح التي انتهت إلينا، وأكثرها أهمية، وأحفلها بالفوائد.

وقد بدأه بمقدِّمة مُوجزة أبان فيها عن الطريقة التي اتبعها في الشَّرح، فقال: أعلم أنه ليس من غرضي إلَّا شرح الألفاظ النبوية التي تضمَّنتها هذه الأحاديث الكلية، فلذلك لا أتقيَّد بألفاظ الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في تراجم رواة هذه الأحاديث من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولا بألفاظه في العزو إلى الكتب التي يعزو إليها، وإنما آتي بالمعنى الذي يدل على ذلك، لأني قد أعلمتك أنه ليس لي

غرض إلا في شرح معاني كلمات النبيِّ ﷺ الجوامعِ، وما تضمنته من الآداب والحكم والمعارف، والأحكام والشرائع.

وأشير إشارة لطيفة قبل الكلام في شرح الحديث إلى إسناده ليعلم بذلك صحته وقوته وضعفه، وأذكر بعض ما رُوِي في معناه من الأحاديث إن كان في ذلك الباب شيء غير الحديث الذي ذكره الشيخ وإن لم يكن في الباب غيره أو لم يكن يصح فيه غيره، نبهت على ذلك كله.

ويرى القارئ بإثر كل حديث تصدَّى المؤلِّف لشرحه جملة أشياء هي:

١- تخريج الحديث من «الصحاح» و«المسانيد» و«السنن» و«المعاجم» مما وعته ذاكرته، وإيراد طرقه وألفاظه، والمقارنة بينها، والتدقيق في صحتها، وبيان درجته من الصحة أو الحسن أو الضعف، والمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ إمام في هذا الباب، فقد غلب عليه علم الحديث روايةً ودراية، وصرف معظم وقته فيه حتى صار لا يعرف إلا به، ولم ير أتقن منه فيه.

٢- الاستشهاد بالآيات القرآنية التي تجلو معنى الحديث الذي يعرض له وتوضحه، ونقل ما هو مأثور عن السلف في بيان المراد منها، واحتفاله بذلك في إحلالها مرتبة الصدارة من شواهده.

٣- إكثاره من الاستشهاد بالأحاديث النبوية مما ورد في المعنى الذي تضمنه الحديث الذي هو بصدد شرحه، يأتي بها على وجهها لا يخرم منها حرفاً، وتخريجها من مصادرها، وهو شيء كثير وعدد ضخم يدل على قوة حفظه، ودقة فهمه، وسعة إطلاعه.

وهذه الأحاديث منها ما هو صحيح وهي الكثرة الكاثرة، وقد بيَّن المؤلِّف درجتها إمَّا بعزوها إلى مخرجيها من أصحاب «الصِّحاح»، وإمَّا بالتنصيص على صحتها، ومنها ما فيه ضعف خفيف وقد نبَّه على ضعفها في

الأعم الأغلب، وهي من النَّوع الذي يصلح للمُتابعات والشَّواهد، أو تكون واردة في غير العقائد والأحكام.

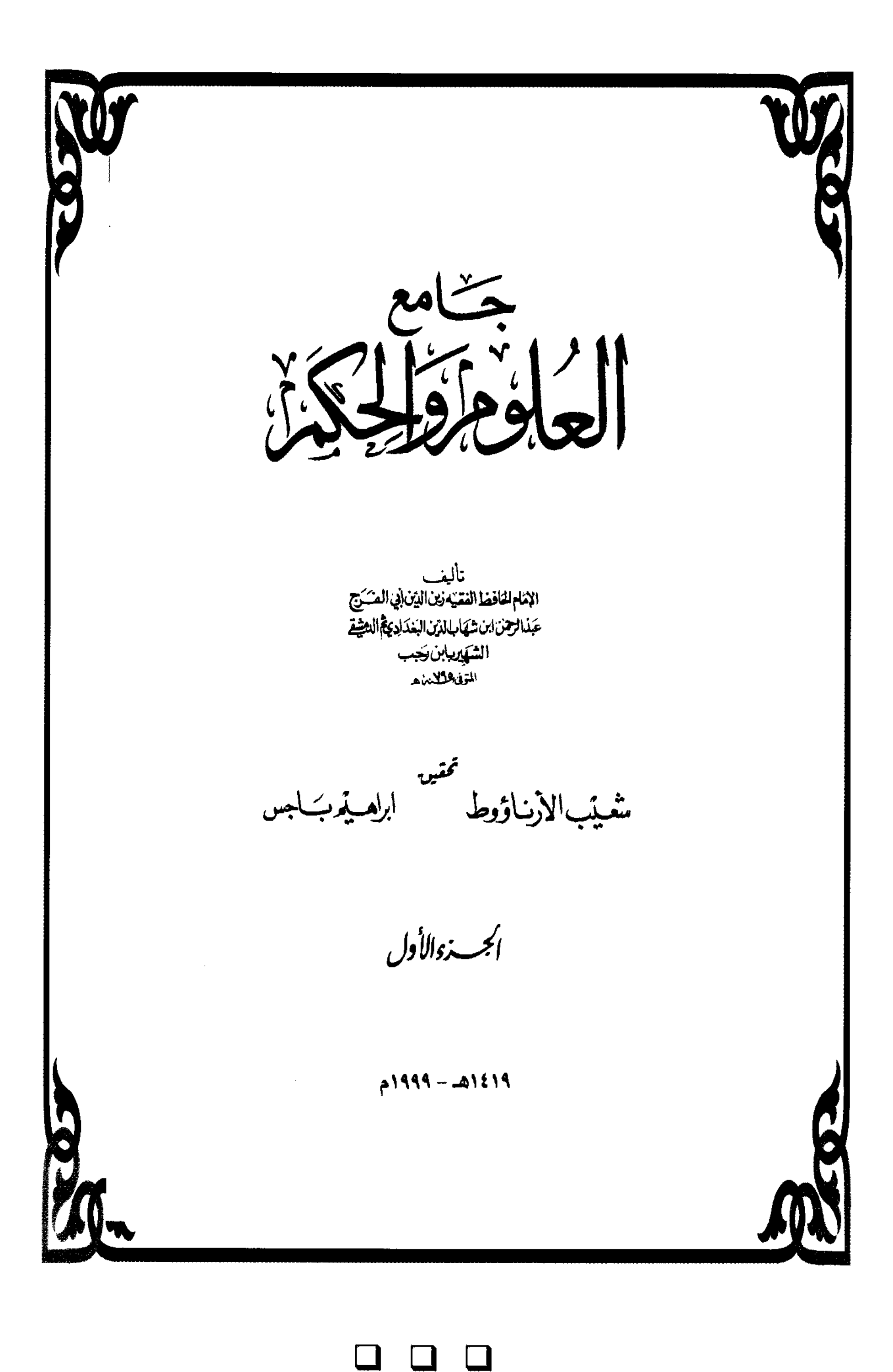
وقد ترخَّص غير واحدٍ من الأئمة ذوي التحقيق في رواية الأحاديث الضعيفة، وجواز العمل بها إذا كان ضعفُها غير شديدٍ، وتندرج تحت أصلٍ عام في فضائل الأعمال وكرائم الأخلاق، والقصص والمواعظ، والترغيب والترهيب، وما إلى ذلك.

٤- تفسير غريب الحديث وشرح مضامينه بالاعتماد على الأحاديث التي ترد في موضوعه وفيها من التقييد والتخصيص والتوضيح وإزالة اللَّبس ما ليس في حديث الباب. وقد أسهب في الشرح إسهاباً مفيداً ممتعاً، شحنه بالفوائد والفرائد مما تمس حاجة الإنسان إليه في شؤون دنياه وآخرته.

٥- إيراد الأحكام الفقهية المستفادة من الحديث - وهي مما تشتد حاجة المكلف إليها - ونسبتها إلى قائليها من الصحابة والتابعين والأئمة المتبوعين مما يدل على إطلاعه الواسع على فتاوى السلف، وحفظه لآثارهم العلمية، وما كانوا يجتهدون من مسائل، وتفهم لها، ومعرفة بمراميها وغاياتها، وما اختلفوا فيه من هذه المسائل، فإنه يحتج لكل قول منها بدليله، ثم يرجح ما يراه أبلغ في الحجة، وأوفق للنص.

٦- ذكر طائفة من الحكم المأثورة عن السلف الصالح الذين وصفوا بالعلم والتقوى والورع في نهاية شرح الحديث مما له صلة به، وهي حكم مؤثرة تتغلغل إلى أعماق النفس، فتحدث فيها تغييراً ملموساً نحو الأفضل.

هذا وقد حَفِل هذا الكتاب بتحقيق شيخنا مع الأستاذ إبراهيم باجس فكان من خير ما خُدِم به هذا الكتاب النَّافع المبارك، ألا فلَيْهنأ طالب العلم بهذه الكتاب اللائق، وهذا التحقيق المفيد.



جامع العلوم والحكم

تأليف

الإمام الحافظ الفقيه زين الدين أبي الفرج

عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي

الشهير بابن رجب

المتوفى ٧٩٥ هـ

تحقيق

شعيب الأرناؤوط إبراهيم باجس

الجزء الأول

١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

❑ ❑ ❑

٧. «تاريخ الإسلام» للذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

اشتهر الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بكتابه العظيم «تاريخ الإسلام» شهرة واسعةً، نال من أجله صيتاً ذائعاً، ولا غرابة في ذلك لما تميَّز به هذا الكتاب من ميزات عظيمة، إذ هو أضخم مؤلَّفات الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الكثيرة، وأوسع التَّواريخ العامَّة حتى عصره، وقد تناول تاريخ الإسلام من بدء الهجرة النَّبويَّة حتى سنة ٧٠٠هـ، فحصر مادةً ضخمة في نطاقه الزمني المُمتد عبر سبعة قرون كاملة، وفي نطاقه المكاني الشامل لجميع الرُّقعة الواسعة التي امتدَّ إليها الإسلام من الأندلس غرباً إلى أقصى المشرق، وقد شَمِلَ الحوادث الرَّئيسية التي مرَّت بها الجماعةُ الإسلامية منذ هجرة النبي ﷺ، وتعاقب الأحداث والدول في شتى أنحاء العالم الإسلامي حتى نهاية القرن السابع الهجرة، كما تضمَّن تراجم المشهورين في كلِّ ناحية من نواحي الحياة، ولم يقتصر على فئة معينة منهم.

وفي هذا المجال ـ أعني التراجم ـ تظهر عظَمة كتاب الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في العدد العديد، والشُّمول الفريد، الذي يُقدَّر بأربعين ألف ترجمة، وهو مما لا نجده في كتاب آخر من بابته ممَّن سبقه، أو جاء بعده، مثل كتاب «المنتظم» لابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٥٩٧هـ)، و«مرآة الزمان» لسبط ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٦٥٤هـ)، و«ذيل مرآة الزمان» لليونيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٧٢٦هـ)، و«عيون التاريخ» لابن شاكر الكتبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٧٦٤هـ)، و«البداية والنهاية» لابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٧٧٤هـ)، وغيرهم.

ففي الوقت الذي أَوْرَدَتْ فيه مثل هذه التواريخ قرابة (١٠-١٥) ترجمة في السنة الواحدة، كان معدَّل ما يذكره الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قرابة

الستين ترجمة، ومعنى ذلك أن هناك عدداً كبيراً من التراجم التي ضمَّنها هذا الكتاب لا نجدها في غيره، لاسيما بعد ضياع كثير من الأصول التي اعتمدها رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ومما يُعلي قيمة هذا الكتاب منهجه في ذكر الموارد، فقد كان الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من المُؤرِّخين الذين ذكروا مواردهم بصورة ممتازة، سواء أكانت شفوية أم إجازات، أم كتباً، وقد امتازت خطَّته في هذا المضمار بتنوُّع مَوارِده وتعدُّدها، حيث كان يُورِد أراء الموافقين والمخالفين لصاحب الترجمة، ولا يقتصر على مصادر معيَّنة، وعُني بعد ذلك بالمصادر المُتخصِّصة، فنقل عن كلِّ فئة من مصادرها، وكان يتميَّز بعقلية عظيمة في الانتقاء، ويُعنى بانتقاء الموارد المعاصرة، حتى حفظ لنا نقولاً هائلة من مصادر كثيرة جداً لم تصل إلينا.

إنَّ أهمية «تاريخ الإسلام» تتكشف عظيمة رائعة في تصويره للحياة الفكرية على مدى العصور الإسلامية المتقدمة، فقد أبان تطور الفِكْر الإسلامي طوال سبعة قرون بما فيه من كشفٍ عن الحياة الثقافية والعلمية، وذلك أن معرفة نسبة العلماء إلى بلدانٍ معينة، أو إقامتهم بها، أو رحلتهم إليها في وقت تُظهر لنا مراكز الثقافة الإسلامية على مدى العصور وانتعاشها واضمحلالها، وبالنظر لكثرة ما يذكُرُ الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من تراجم في السنة الواحدة، فإن قيام إحصائيات بأعداد العلماء المنتسبين إلى مدن معينة، أو رحلتهم إليها ضمن هذا النطاق الواسع من الزمان والمكان سوف يقدِّم خدمة عظيمة في هذا المضمار.

إلَّا أنَّ من أهم ما عُني به الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مصنَّفه وهو يترجم عدم وجود المفاهيم الاجتماعية والإقتصادية وقلَّة تأثيرها، بل وانعدامها في تقدير الناس، وأنَّ المجتمع الإسلامي لم يعرف في هذا المجال في الأقل أيَّ نوع من النظم الطبقيَّة، بل كان في موازينه على غاية من الرُّقيِّ الإنساني، فترى الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ يترجم محدِّثاً فقيراً ويترك غنياً، ويطوِّل في ترجمة عبدٍ ويقصِّر في ترجمة سيِّد كبير، ويثني على شخص من عامة الناس، ويذم آخر من عِلْية القوم، في الوقت الذي اقتصرت فيه النواحي العلمية ومحتويات كتب التراجم عند كثير من الأمم في هذه الأعصر على فئات معيَّنة من الناس .

وأيضاً مما هو محلُّ عناية واهتمام أنه يذكر المرويات وبعض الأجزاء والكتب التي عُني المترجمون بروايتها فقدَّم لنا بذلك مادة أساسية في معرفة نوعية الكتب والعلوم التي اهتمَّ بها الطلبة في عصر من العصور مما يستفاد منها في التعرف على أوجه النشاط الثقافي واتجاهات الثقافة ونوعيتها في ذلك العصر .

ثم عمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تاريخه» إلى ذِكْر عدد كبير جداً من المؤلَّفات للمُترْجَمين، مع الكلام عليها وتقويمها ونقدها، فقدَّم بذلك فائدة كبيرة جداً في خبر الكتب والتصانيف .

من أجل ذلك وغيره، كان هذا الكتاب محلّ اهتمام كثيرٍ من العلماء الكبار، وصار مَصدراً عظيماً لمعظم المُؤرِّخين الذين جاءوا بعده، وتناولوا نطاق كتابه أو بعضه، فجزاه الله خيراً وافراً عن هذا التَّصنيف الذي يُعدُّ بحقٍّ من أجلِّ تصانيفه التاريخية وعمدتها وأسِّها، وعوَّل عليه كثيراً في باقية

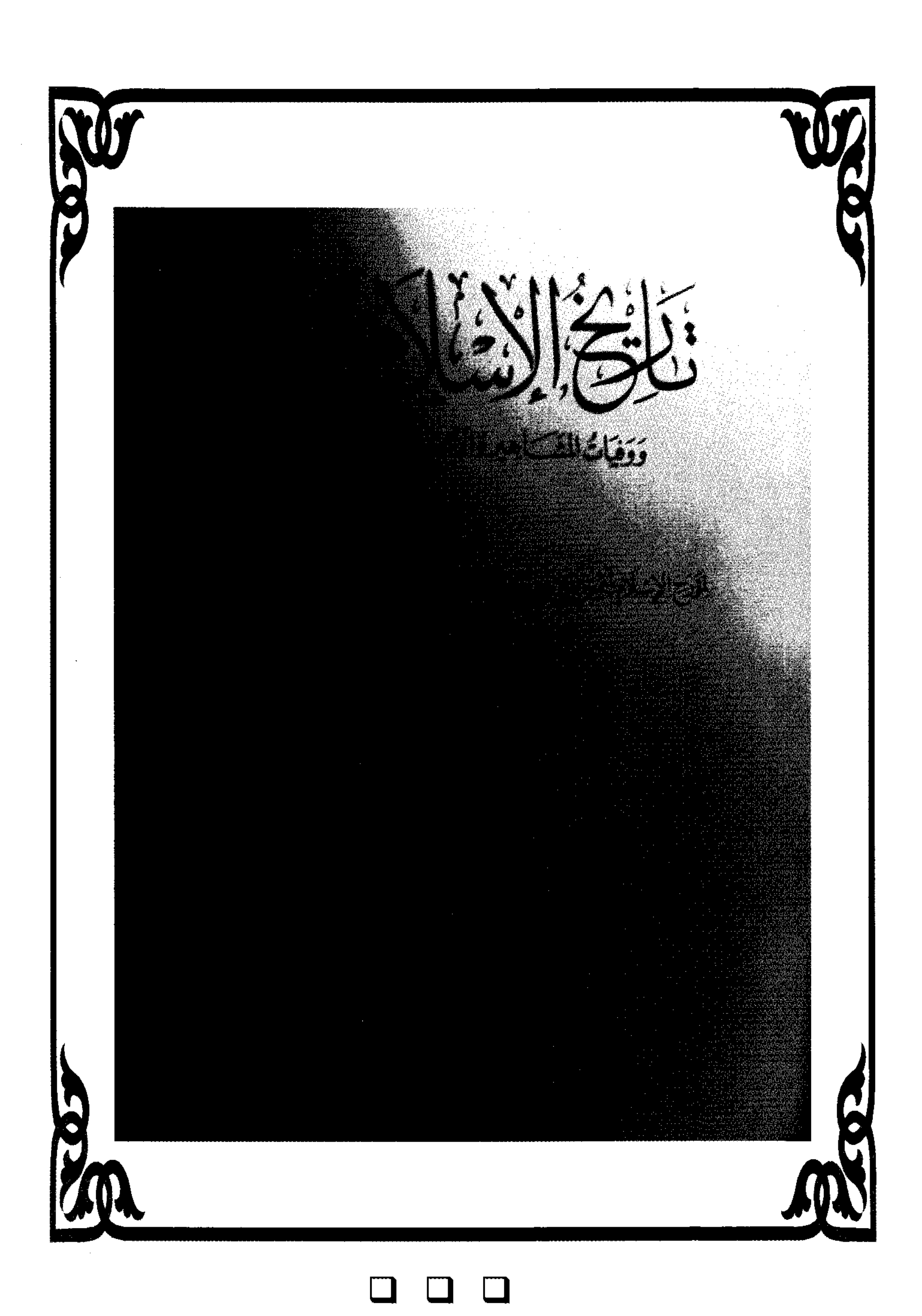
تصانيفه، كـ «سير أعلام النبلاء» و«تذكرة الحفاظ» و «معرفة القراء الكبار» وغيرها.

تنبيه : أول ما طُبع من هذا الكتاب المبارك بتحقيق شيخنا شعيب الأرنؤوط، وأستاذنا بشار عواد، والدكتور صالح مهدي عباس، والذي طبع منه : وفيات سنة (٦٠١ - ٦٥٠) في خمس مجلدات.

ثم كان أمراً غريباً، والغرائب كثيرة، فطبع أستاذنا الدكتور بشار عواد الكتاب كاملاً بعد أن أكمل تحقيقه، بتحقيق خاص له في سبعة عشر مجلداً عن دار الغرب، وضمَّ تحقيقه مع ما نُشر سابقاً،[١] وإذا به يصدر بتحقيق الأستاذ الدكتور وحده ! فعدت للتعليقات وللنص؛ فإذا هي هي ! وهذا أمرٌ في ميادين البحث العلمي والأمانة العلمية غير مقبول، وكان الأجدر بالمحقِّق أن يذكر ذلك، ويبيِّنه للناس، لا سِيَّما وأنَّ الشَّيخ بمثابة أستاذه وشيخه ومُعلِّم الصنعة له، فما أولى بنا أنْ نعرف للعالِم حقَّه وفضله ومكانته.

❑ ❑ ❑

(١) والتحقيق السابق بعمل الأستاذة جميعاً تجده بتعليقاته و ـ أخطائه ـ كما هي حرفاً حرفاً من بداية المجلد الثالث عشر إلى قبيل نهايته المجلد الرابع عشر .
وإلى الله المشتكى .



❑ ❑ ❑

٨. «معرفة القُرَّاء الكِبَار على الطبقات والأعصار» للذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

فإنَّ الله تعالى قد كتب على نفسه أن يتولى حفظ كتابه الذي أنزله على أفضل خلقه بنفسه، ولم يَكِلْ ذلك إلى أحد من خلقه، فقال جل وعلا: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ فظهر مصداق ذلك مع توالي السنين، وامتداد الأيام، وانتشار أهل الإسلام، واتساع رقعته.

وكان من أسباب حفظه أن هيَّأ الله له رجالاً صادقين مخلصين من الصحابة ومَن بعدهم إلى يومنا هذا، غرس في قلوبهم حب كتابه الكريم، والحرص على تلقِّيه، وأدائه، وضبطه، وحفظه، وتلقينه لمن بعدهم، ليصل إليهم غضَّاً طريَّاً كما أُنزل على رسوله الكريم ﷺ، فأفنوا أعمارهم، وأجهدوا أنفسهم، ودأبوا ليلاً ونهاراً في تحصيل علومه ومستلزماته، فكان الواحد منهم يفني عمره بين مدارسة كتاب الله العزيز وتدريسه وتلقينه وتعليمه، يَعدُّون ذلك واجباً يُمليه عليهم حرصهم على دينهم، ورغبتهم في انتشاره وتعليمه بين الناس أجمعين، لا يبتغون من ذلك عَرَض الدنيا، ولا التَّزلُّف إلى أحد من الخلق، فكان منهم نَبَغةٌ في كل عصر، كان حقّاً على أهل العلم أن يتولَّوا تدوين أخبارهم، وتسطير مآثرهم ليكونوا قدوة لمن بعدهم.

وقد نهض لهذه المهمة الشريفة ـ وهو بها جديرٌ ـ مؤرخ الإسلام الإمام العلامة المتقن المتفنن شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٦٧٣-٧٤٨هـ)، صاحب التصانيف النافعة الماتعة وألف هذا الكتاب النفيس.

وهذا الكتاب الأصيل إنما جاء نتيجة عناية الذهبي منذ نعومة أظفاره بقراءة القرآن الكريم، ودراسة علم القراءات في أول شبابه على كبار المقرئين.

ثم ما لبث الذهبي أن أصبح على معرفة جيدة بالقراءات وأصولها ومسائلها وهو لم يزل فتىً لم يتعدَّ العشرين من عمره، وقد قال في ترجمة قاضي القضاة شهاب الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن خليل الخوبي ثم الدمشقي الشافعي: «جلست بين يديه، وسألني عن غير مسألة من القراءات، فمنَّ الله وأجبته، وشهد في إجازتي من الحاضرين، وأجاز لي مروياته».

وتميز الشاب في دراسة القراءات، وبرع فيها براعة جعلت شيخه شمس الدين أبا عبد الله محمد بن عبد العزيز الدمياطي ثم الدمشقي الشافعي وهو من المقرئين المجوِّدِين، يتنازل له عن حلقته بالجامع الأموي في أواخر سنة **٦٩٢**هـ أو أوائل سنة **٦٩٣**هـ حينما أصابه المرض الذي توفي فيه، وكان الذهبي قد أكمل عليه القراءات قبل ذلك، فكان هذا أول منصب علمي يتولاه الذهبي فيما نعلم وإن لم يدم فيه أكثر من سنة واحدة.

وقد أصبح الإمام الذَّهبي نتيجة لكل ذلك «الأستاذ الثقة الكبيرة» فيها.

وذكر ابن ناصر الدين أنه كان «إماماً في القراءات»، فألف كتابه «التلويحات في علم القراءات»، وكتابه الأصيل هذا «معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار».

وتأتي أهمية هذا الكتاب في أنَّ الإمام الذهبي قد احتلَّ كتابه منزلةً رفيعةً في العصور التي تَلتْهُ، فذكر ابن الجزَريّ: أنَّه أحسنَ فيه، ووصفه السَّخاوي: بأنَّه كتابٌ حافلٌ، وقد ذيَّل عليه تاج الدِّين أحمد بن عبد القادر بن مكتوم في جزء فيه عشرون ترجمة، وقام الحافظ عز الدين عبد العزيز بن الحافظ نجم الدين عمر بن محمد بن فهد المكي الهاشمي المتوفي سنة (٩٤٤هـ) بترتيب الكتاب على حروف المعجم.

ومع أن كثيراً من العلماء قد دوَّنوا كتباً في تراجم القراء حتى عصر المؤلف، إلَّا أنها لم تحظ بالعناية والتقدير مثلما حظي كتابا أبي عمرو الداني، والذهبي هذا، بدلالة أنَّ شيخ القُرَّاء في عصره شمس الدين بن الجزري المتوفي سنة (٨٣٣هـ) حينما ألَّف كتابه النافع «غاية النهاية» اعتمد الكتابين وأدرجهما جميعاً في كتابه كما صرح بذلك في مقدمة كتابه، فقال: «وأتيت فيه على جميع ما في كتابي أبي عمرو الداني، وأبي عبد لله الذهبي، رحمهما الله».

بقي أن يُقال: إنَّ ثمَّة نسخ أُخرى طُبعت بعد هذه الطبعة فيها استدراك ما يزيد على (٥٠٠) ترجمة وهي نسخة الدكتور أحمد خان، وهي من إصدارات مركز الملك فيصل، فهي من أوفى تراجم الكتاب وأشملها.

فجزى الله كلَّ من كانت له يدٌ صالحة في إخراج هذا السِّفر المبارك لأهل العلم وطلابه.

❑ ❑ ❑



تأليف

الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي

(٦٧٣ - ٧٤٨ هـ)

حققه وقيد نصه وعلق عليه

بشار عواد معروف شعيب الأرناؤوط

صالح مهدي عباس

٩. «المراسيل» لأبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ

فهذا كتاب «المراسيل» الذي صنَّفه الإمام الحافظ المتقن أبو داود سليمانُ بنُ الأشعث السجِسْتاني.

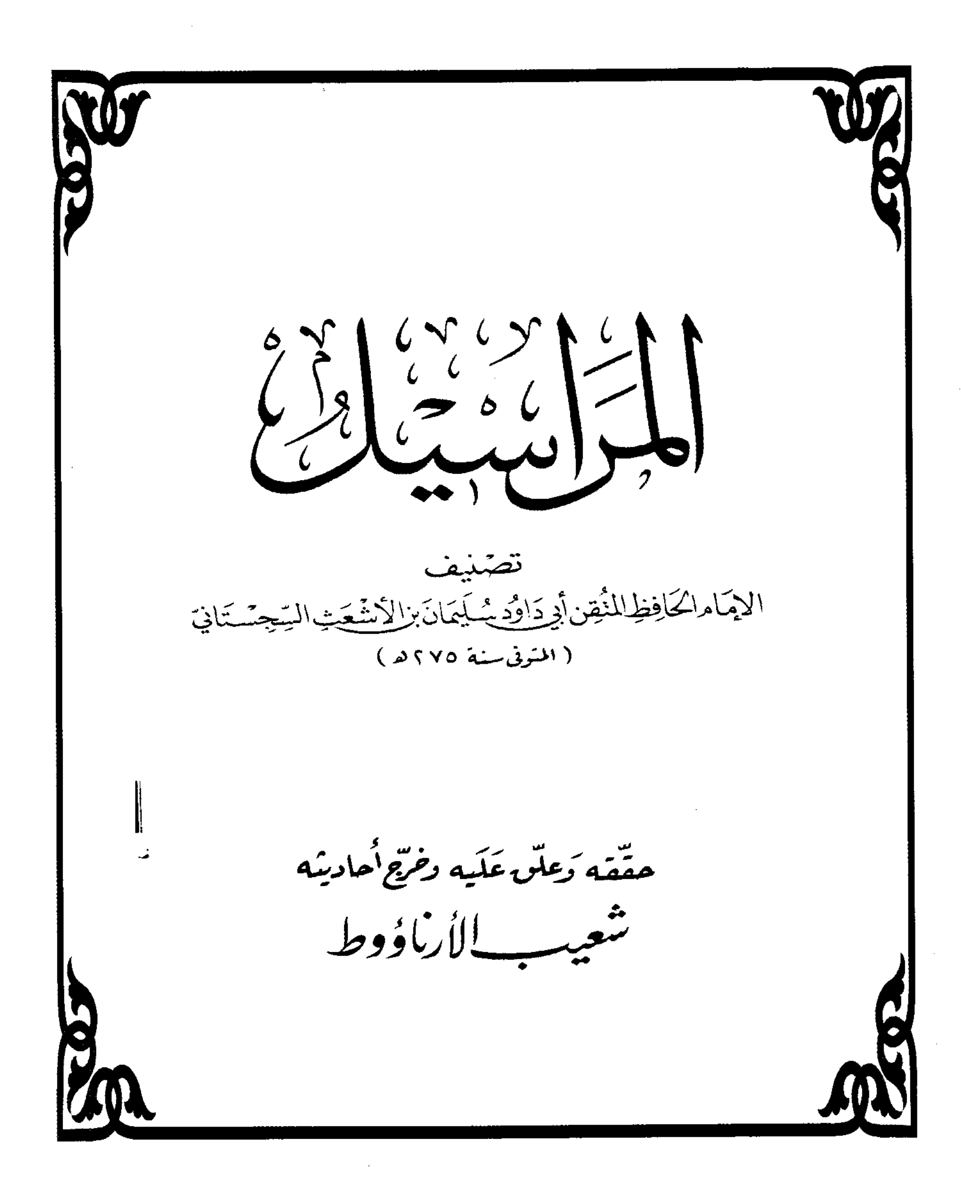
وهو كتاب عظيم في بابه لم يُفْرده أحد بالتأليف، ضمَّ بين دُفَّتيْه أربعاً وأربعين وخمسَ مئةِ حديثٍ مُرسلٍ مرتَّبة على الأبواب، وغالبُها مما صحَّ إسنادُه إلى مُرْسِلِه، وأغلب الظن أنه أدرج فيه معظم المراسيل التي انتهت إليه، ولم يَفُتْهُ منها إلَّا اليسيرُ، فإنَّ حفظ مصنِّفه، وإتقانه، واتِّساع دائرته في علوم السُّنة موضع اتِّفاق بين الأئمَّةِ.

ويأتي ترتيبُ «المراسيل» من حيث الحجيةُ والاستدلال بعد كتابه «السنن» الذي جمع فيه شملَ أحاديث الأحكام ورتبها أحسن ترتيب. وانتقاها أحسن انتقاء من مروياته الكثيرة التي بلغت خمس مئة ألف حديث. فيما ذكره راويته أبو بكر بن داسة عنه، بحيث صار حكماً بين فرق العلماء، وطبقات الفقهاء، ومرجعاً وافياً لكل مسلم.

وأغلب الظنِّ أنَّ أبا داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ قصد بتأليف كتاب «المراسيل» أن يكون مرجعاً للفقيه، يعتمد نصوصه، ويستنبط منها، ويفتي بموجبها إذا لم يرد في المسألة التي هو آخذٌ بسبيلها حديث صحيح متصل يغني غناءها. فهو يرى ـ تبعاً لشيخه الإمام أحمد ـ الاحتجاج بالمرسل إذا لم يكن في الباب أثبتُ منه، ويرجحه على القياس. فقد جاء في «رسالته إلى أهل مكة» : فإذا لم يكن مسندٌ ضد المراسيل، ولم يوجد المسندُ، فالمرسل يحتج به، وليس هو مثل المتصل في القوة.

وقد هيَّأ الله سبحانه لهذا العِلْق النَّفيس شيخ الحديث شيخنا العلامة المحدِّث شعيب الأرنؤوط، فأخرجه إخراجاً مميزاً مُتقناً، وكتب في طليعته بحثاً

نفيساً جداً عن المُرسل؛ تعريفه، والاحتجاج به، ومذاهب العلماء فيه، وتحرير الصواب فيه، فجزى الله شيخنا خير الجزاء.



□ □ □

١٠. «الجامع الكبير» للتِّرمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

هذا الكتاب الجامع للإمام الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الذي لا زال العلماء على مرِّ العصور والأزمان يقرُّون بمكانته، ويُكْبِرون مَنزِلته، ويشهدون بحسن تصنيفه وترتيبه، ويُسلِّمون بأنه لم يُؤلَّف على غِرَاره، ولم يُنسَجْ على مِنْواله، فقد تميَّز بأمور استحق بها ذلك الشرف والفضل، وهو يمثل ثقافة الإمام الترمذي بحق. وقد عرضه الإمام الترمذي بعدَ فراغه من تصنيفه على علماء عصره فَقَبِلُوه، فقد قال: صنفتُ هذا الكتاب فعرضتُه على علماء الحجاز، فرضوا به، وعرضته على علماء العراق، فرضُوا به، وعرضتُه على عُلماء خراسانَ، فرضُوا به، ومن كان في بيته هذا الكتاب، فكأنما في بيته نبيٌّ يتكلَّم.

وقد قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عنه: وكتابُ «الجامع» أحدُ الكتب السِّتة التي يرجعُ إليها العلماءُ في سائر الآفاق.

وقال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكتابُه «الجامعُ» يدلُّ على تبحره في هذا الشأنِ، وفي الفقه، واختلاف العلماء، وقال في موضع آخر: «جامعُه» قاض له بإمامته وحفظه وفقهه.

وقال في موضع آخر: في «الجامع» علم نافع، وفوائد غزيرة، ورؤوس المسائل، وهو أحد أصول الإسلام.

وللجامع مميزات لا توجد في غيره، قال الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كتاب الترمذي يمتاز بأمور ثلاثة لا تجدها في شيء من كتب السنة الأصول الستة أو غيرها:

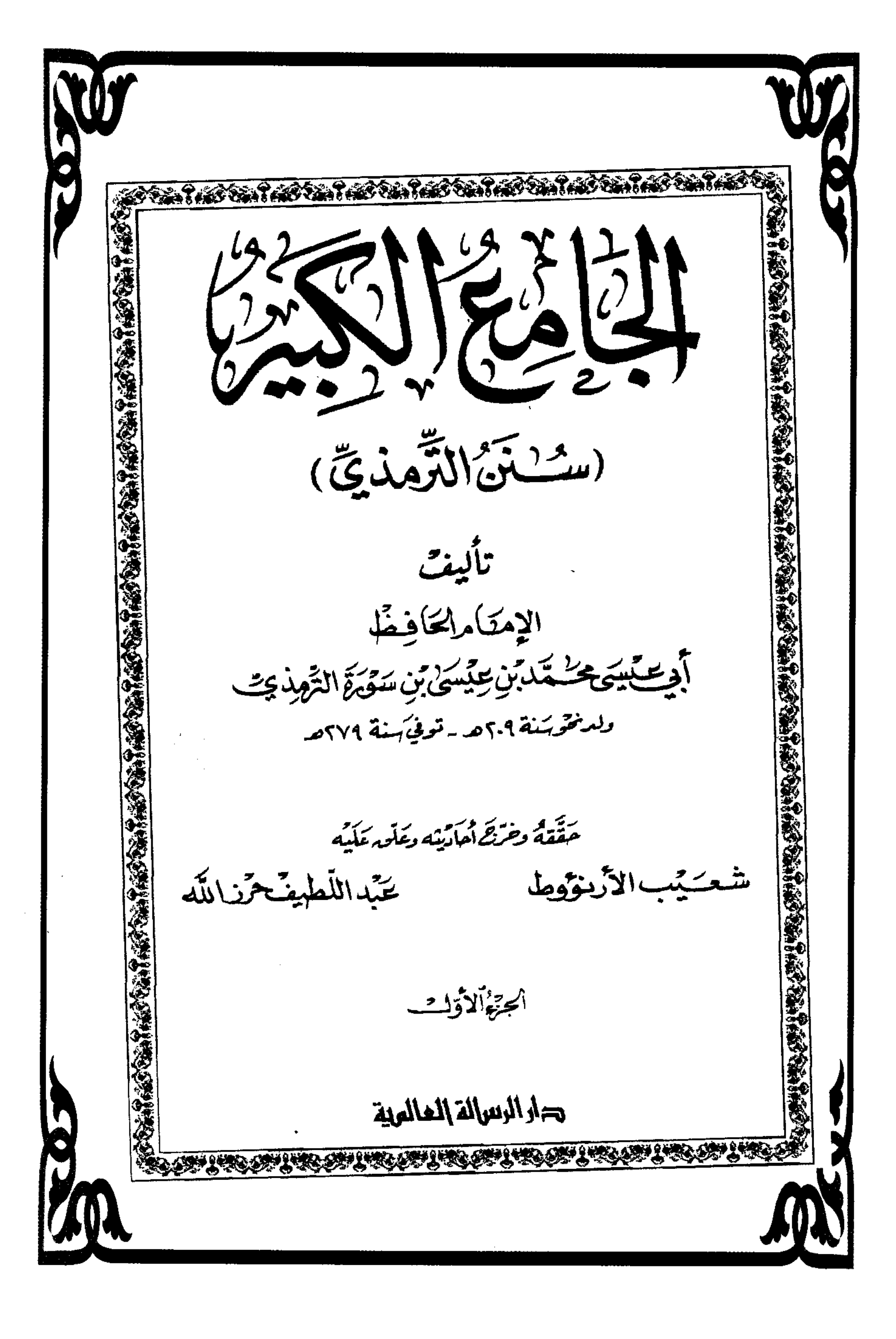
أولها: أنه بعد أن يرويَ حديث الباب يذكر أسماء الصحابة الذين رويت عنهم أحاديث فيه.

ثانيها: أنه في أغلب أحيانه يذكر اختلاف الفقهاء وأقوالهم في المسائل الفقهية، وكثيراً ما يشير إلى دلائلهم، ويذكر الأحاديث المتعارضة في المسألة وهذا مقصد من أعلى المقاصد وأهمها، إذ هو الغاية الصحيحة من علوم الحديث: تمييز الصحيح من الضعيف للاستدلال والاحتجاج، ثم الاتباع والعمل.

ثالثها: أن الترمذي يُعني كل العناية في كتابه بتعليل الأحاديث، فيذكر درجته من الصحة أو الضعف، ويفصل القول في التعليل والرجال تفصيلاً جيِّداً، وعن ذلك صار كتابُه هذا كأنه تطبيق عمليٌّ لقواعد علوم الحديث خُصوصاً علم العِلَلِ، وصار أنفعَ كتاب للعالم والمتعلم، وللمستفيد والباحث في علوم الحديث.

هذا وقد لقي هذا السِّفر النفيس عناية خاصة من شيخنا العلاَّمة شعيب الأرنؤوط، فقد حقَّقه على أصول خطيَّة نَفيسة لم تقع لمن قبله، أنفسها نسخة المُحدِّث الكروخي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فليهنأ طلبة الحديث بهذه النسخة المباركة.

❑ ❑ ❑



الجامع الكبير

(سنن الترمذي)

تأليف

الإمام الحافظ

أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي

ولد نحو سنة ٢٠٩هـ - توفي سنة ٢٧٩هـ

حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه

شعيب الأرنؤوط   عبد اللطيف حرز الله

الجزء الأول

دار الرسالة العالمية

١١. «السُّنن» لابن ماجه رَحِمَهُ ٱللَّهُ

يُعدُّ كتاب ابن ماجه أحد الأصول الستة التي تلقاها العلماء بالقبول، واعتنى بها المحدثون والفقهاء طبقة بعد طبقة، واشتهرت فيما بين الناس، وتصدت لها أقلام أهل العلم شرحاً لغريبها، وفحصاً عن رجالها، واستنباطاً لِفِقْهِها، وجمعاً لمتونها، وتهذيباً لها.

وهذه الأصول الستة قد اشتملت على أحكام الإسلام وآدابه، وشرائعه وتوجيهاته، ويرى الإمام النَّووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه لم يفتها من الحديث الصحيح والحسن إلَّا النزر اليسيرُ.

وأول من أضاف «سنن ابن ماجه» إلى الكتب الخمسة، مُكمِّلاً بها الستة، الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ المتوفي سنة (٥٠٧هـ) في «أطراف الكتب الستة» له، وكذا في «شروط الأئمة الستة» له أيضاً، ثم الحافظ عبد الغني المقدسي المتوفي سنة (٦٠٠هـ)، لكن كتاب «سنن ابن ماجه» دون الكتب الخمسة في المرتبة، كما قال العلامة السندي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدِّمة تعليقه.

وقد صرَّح غير واحد من الحفاظ أنه لا يجوز الاحتجاج بحديث رواه أصحاب «السنن» و«المسانيد» التي لم يشترط من جمعها الصِّحة ولا الحسن ما لم يتثبت من صحته بدراسة إسناده، وانتقاء الشذوذ والعلة عنه.

وفي مكانة «سنن ابن ماجه» قال الحافظ ابنُ كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ترجمة ابن ماجه[1]: صاحبُ «السُّنن» المشهورة، وهي دالة على عمله وعلمه، وتبحُّره واطلاعه، واتباعه للسُّنة في الأصول والفروع، ويشتمل على اثنين وثلاثين

---

(١) «البداية والنهاية» (١١/ ٥٦)

كتاباً وألَّف وخمس مئة باب، وعلى أربعة آلاف حديث كلها جيادٌ سوى اليسيرة.

وقال أيضاً في «اختصار علوم الحديث»: هو كتابٌ مُفيدٌ قويُّ التَّبويب في الفِقْه.

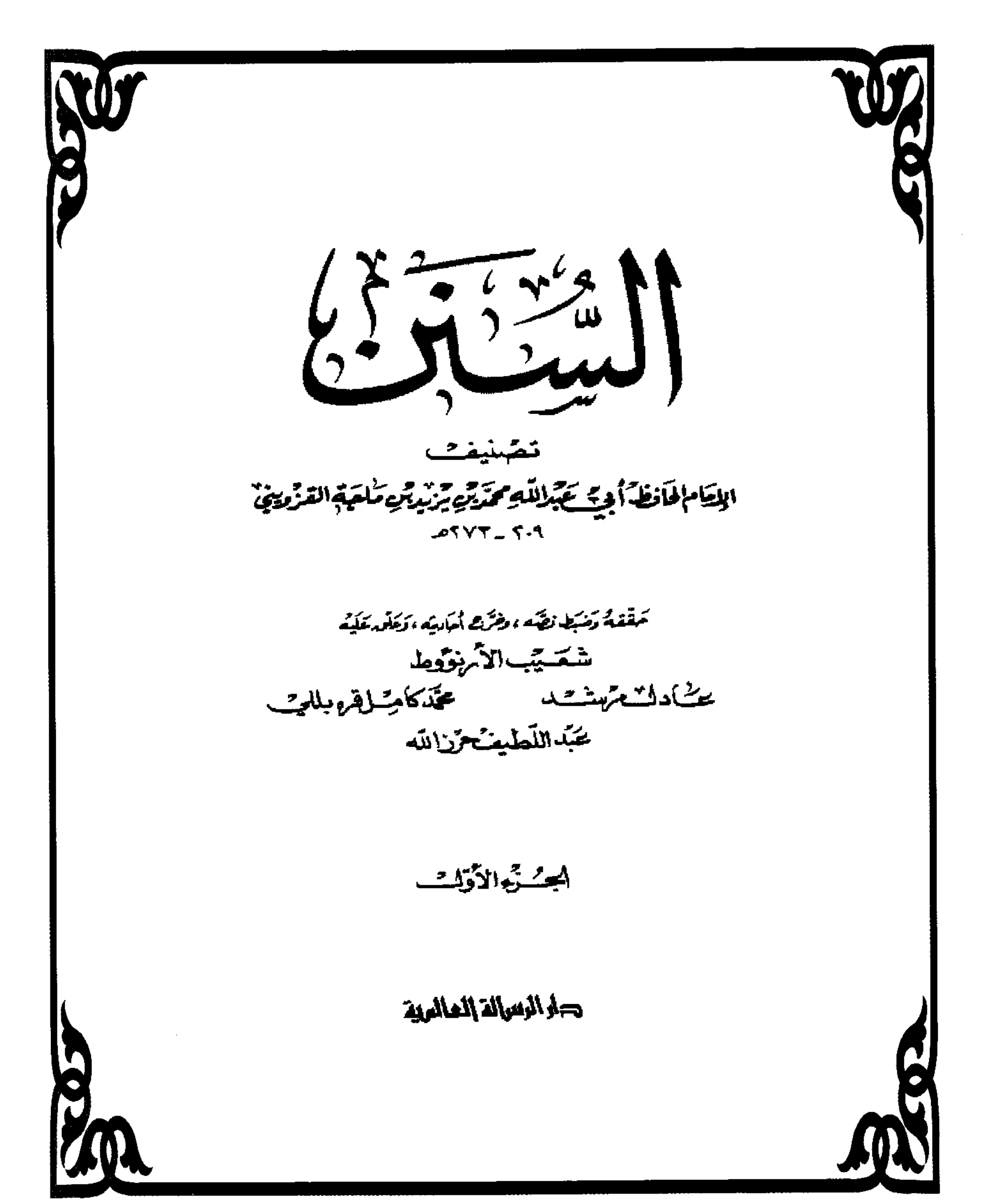
وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ترجمة المصنِّف من «تهذيب التهذيب»: **وكتابه «السُّنن» جامعٌ جيد كثير الأبواب والغرائب.**

هذا وابن ماجه كأصحاب «السُّنن» الثلاثة لم يشترط في كتابه إيراد الأحاديث الصحيحة فقط، بل أدرج فيها الصحيح والحسن والضعيف والمنكر، ووقع له بضعة أحاديث موضوعة لا تصح نسبتها إلى النبي ﷺ، ولهذا وجب تمييز صحيحها من سقيمها، وتبيين ما يحتج به مما لا يحتج به منها، نصحاً لله ولرسوله ولعامة المسلمين.

ومن هنا جاءت هذه الطبعة المحققة تحقيقاً عِلْميّاً والذي صنعها شيخنا شعيب وتلامذته، والله سبحانه يجزيهم خير الجزاء؛ نظير حسن عملهم وإتقان تحقيقهم.

فيا بشرى طلبة العلم بهذا التَّحقيق النفيس لهذا الكتاب النافع.

❑ ❑ ❑



السنن

تصنيف

الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني

٢٠٩ - ٢٧٣هـ

حققه وضبط نصه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه

شعيب الأرنؤوط

عادل مرشد — محمد كامل قره بللي

عبد اللطيف حرز الله

الجزء الأول

دار الرسالة العالمية

١٢. «السُّنن» لأبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ

لستُ أعدُ الحقيقة إذا قلتُ: إن كتاب الإمام أبي داود هذا يأتي في المرتبة الثالثة بعد «الصحيحين»، فقد عوَّل أهل العلم على ما دوَّنه فيه من أحاديث وآثار؛ لأنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد تكرَّر منه النظر فيه والمراجعة والتثبُّت، وقرئ عليه مرات عدة، حتى إن تلميذه أبا علي اللؤلؤي قد قرأه عليه في مدة عشرين سنة.

وفي جلالة منزلة كتاب «السُّنن» قال الإمام الخطابي: كتابُ «السنن» لأبي داود كتاب شريفٌ، لم يصنَّف في علم الدِّين كتاب مثله، وقد رُزِق القبول من الناس كافة، فصار حكماً بين فرق العلماء وطبقات الفقهاء على اختلاف مذاهبهم، فلكلٍّ فيه وِرْدٌ، ومنه شِرْبٌ، وعليه معوَّل أهل العراق وأهل مصر وبلاد المغرب، وكثير من مدن أقطار الأرض.

فأما أهل خراسان فقد أولع أكثرهم بكتابي محمد بن إسماعيل، ومسلم ابن الحجاج ومن نحا نحوهما في جمع الصحيح على شرطهما في السبك والانتقاد، إلا أن كتاب أبي داودُ أحسنُ رصفاً وأكثر فقهاً.

وقال الإمام ابن قيِّم الجوزيةرَحِمَهُ ٱللَّهُ : ولـمَّا كان كتاب «السُّنن» لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الإسلام بالموضع الذي خصه الله به، بحيث صار حكماً بين أهل الإسلام، وفصلاً في موارد النزاع والخصام، فإليه يتحاكم المنصفون، وبحكمه يرضى المحققون، فإنه جمع شمل أحاديث الأحكام، ورتبها أحسن ترتيب، ونظمها أحسن نظام، مع انتقائها أحسن انتقاء، واطِّراحه منها أحاديث المجروحين والضعفاء.

وقيل: إن الإمام أبا داود قد صنَّف كتابه قديماً، وعرضه على الإمام أحمد فاستجاده واستحسنه.

ومن هنا كانت الحاجة ماسَّة لإخراج «السُّنن» بطبعة محققة تحقيقاً علمياً مُتقناً، فنهض له شيخُنا وثلاثة باحثين من العاملين معه آنذاك، وأعدَّ عُدَّته فجمع له من الأصول أنفسها، فاتخذ نسخة أمّاً دَبَّجتها يَراعُ الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكفى بها شرفاً، وطال الأمر في العناية به، ثم خرج بعناية الثلاثة دون الرابع ! فقرَّت أعين طلبة العلم بهذه الطبعة الرائقة الفائقة.

فجزى الله شيخنا خير الجزاء في تحقيقه ونشره لهذا السِّفر المبارك، ونفع العاملين معه به، فيا هناء أهل العلم بها، ويا سَعْدهم.

❑ ❑ ❑



تصنيف

الإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني

٢٠٢هـ - ٢٧٥هـ

حققه وضبط نصه وخرج أحاديثه وعلق عليه

شعيب الأرنؤوط محمد كامل قره بللي

شادي محسن الشياب

دار الرسالة العالمية

١٣. «السُّنن» للدَّارقطني رَحِمَهُ اللَّهُ

يأتي هذا الكتاب النافع «السُّنن» وهو مهمٌّ جداً لكُلِّ محدِّث وفقيه، قد اعتنى به مؤلِّفه عناية فائقة، تدلُّ على علوِّ كَعْبه في الفقه والحديث حتى قال الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ: كتاب «السُّنن» الذي صنَّفَه - يعني الدَّارقطني - يدلُّ على أنه كان ممن اعتنى بالفقه؛ لأنه لا يقدر على جمع ما تضمَّن ذلك الكتاب إلَّا من تقدمت معرفته بالاختلاف في الأحكام[١].

وقال ابن كثير: له كتابُه المشهور من أحسن المصنفات في بابه، لم يسبق إلى مثله ولا يحلق على شكله إلا من استمد من بحره وعمل كعمله[٢].

إن الإمام الدارقطنيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ لم يكن في كتابه هذا ليجمع الأحاديث هكذا كيفما اتفق، ولكنه كان يورد منها ما انبنى عليه خلاف فقهي، يورده ويتكلَّم فيه، وكان غالب ما يذكره منها الضعيف والشاذ، ويعقبه بنقده وبيان سبب ضعفه وعلته، فهو أقرب لأنْ يكون كتاب عِلَلٍ مرتباً على نَسق السُّنن، ويظهر أن الدَّارقطني أراد من كتابه هذا بيان درجة الأحاديث التي تتعلق بالمسائل الفقهية، وأنها لا تَصلُح للاحتجاج، وما ورد في كتابه هذا من الأحاديث الصحيحة، فهو يذكرها؛ لأنها تخالِفُ الأحاديث التي ضعَّفها، فهو يستدلُّ بها لتضعيف ما ضعفه، لا للاحتجاج بها، وربما يرجع ذلك - والله أعلم - إلى أنه رأى أنَّ من الضروري أنْ يخرج عن النمط الذي كان سائداً قبلَه من إيراد الأحاديث التي تختص بالأحكام دون

---

(١) «تاريخ بغداد» (١٢/ ٣٥)

(٢) «البداية والنهاية» (١١/ ٣٣٩)

الاعتناء ببيان الضعيف منها لتُجْتَنَبَ، وهو أمر تجدر العناية به أكثر من غيره، لأن الحديث الضعيف لا يؤخذ به في الأحكام الشرعية.

إن «سُنَنُ الدارقطني» كتاب يختلف في منهجه عن المنهج الذي اتبعه أصحاب «السُّنن» في كتبهم، بل هو على العكس من ذلك، فإن موضوع كتابه جَمْعُ الأحاديث الضعيفة والموضوعة والمضطربة والمُعلَّة، مرتبة على الأبواب الفقهية، مع بيان عللها واختلاف طرقها وألفاظها وإيراد الموقوفات والمقطوعات من فتاوى وغيرها، وهي كثيرة جداً، وما خرج عن هذا القصد من إيراد حديث صحيح أو حسن، أو حُكمٍ على حديث ما بأنه كذلك إنما جاء تَبعاً، ولم يأتِ قصداً، وهو أمرٌ لم تخلُ منه مؤلَّفاتُ العلل في الحديث ونحوها.

ومن هنا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن كتاب «السُّنن» للدارقطني: قصد به غرائب السُّنن، ولهذا يروي فيه من الضعيف والموضوع، ما لا يرويه غيره، وقد اتفق أهل العلم بالحديث على أنَّ مجرد العزو إليه لا يُبيح الاعتماد عليه.

هذا وقد احتفى شيخنا والعاملون معه في مكتب التحقيق فعمدوا لهذا الكتاب فقاموا على نشره مُتَّبعين أصولَ التحقيق الأصيل، فطاب لهم الكتاب لاسيَّما مع إلحاق الكتاب النافع «التعليق المغني» للعظيم أبادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فجاء الكتاب درَّة حديثية فقهية.

فجزى الله القائمين عليه وشكر سعيهم .

❑ ❑ ❑

سنن الدارقطني

تأليف

الحافظ الكبير علي بن عمر الدارقطني

٣٠٦ - ٣٨٥ هـ

وبذيله

التعليق المغني على الدارقطني

للمحدث العلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي

الجزء الأول

حققه وضبط نصه وعلق عليه

شعيب الارنؤوط

حسن عبد المنعم شلبي عبد اللطيف حرز الله

أحمد برهوم

١٤ . «المسند» للإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ

هذا الكتاب من مفاخر تحقيقات شيخنا حفظه الله، فهو يُعدُّ بحقّ من أكبر كتب الحديث وأعلاها إسناداً، فيكاد يستوعب معظم الأحاديث النبوية، والذي أراده مؤلفه ابتداء أن يكون موسوعةً تضم ما اشتهر من حديث رسول الله ﷺ، إذ قال: فما اختلف فيه المسلمون من حديث رسول الله ﷺ فارجعوا إليه.

إنَّ تحقيق هذا «المسند» خطوةٌ مهمَّة على طريق عمل الموسوعة الحديثية الكبرى؛ لأنَّه ما من حديث - غالباً - إلَّا وله أصلٌ في هذا «المسند».

ولقد كان لدى شيخنا عدَّة عوامل دفعته لإعادة تحقيقه «للمسند» منها :

١- كثرة التحريف والتصحيف في الطبعة الميمنية المعروفة، فضلاً عن سقوط العديد من الأحاديث والمسانيد، كما أنها اشتملت على الأحاديث التي رواها عبد الله عن غير أبيه على أنها من مسند أبيه، وبالعكس.

٢- حصول شيخنا على أصول خطية نفيسة لم يقع معظمها لمن قبله ممن تصدَّى لنشر الكتاب.

٣- اعتقاده بأنَّه لابد من دراسة أسانيده دراسة دقيقة متقنة، والحكم عليها بما يليق صحة وضعفاً، لأن معظم القراء وكثيراً من طلبة العلم لا يستطيعون أن يتبيَّنوا صحة هذه الأحاديث، ولو كانت مقرونة بأسانيدها، فكان الواجب يقتضي أن تقدم هذه الأحاديث في طبعة يذكر فيها درجة كل حديث منها، حتى يكون القارئ على بينة من أمرها.

٤- تنبَّه لضرورة تحقيق «المسند» ونَشْرِه نشرة علمية محرَّرة العلامة الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ، فقام بنشر الكتاب محققاً، إلَّا أنه لم يُتمَّه، إذ اخترمته المنية قبل إتمامه، ونشرته لا تمثل إلا ربع الكتاب.

٥- تخريج أحاديث «المسند» من جميع المصادر التي سبقت الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ والتي تلته، مما تيسر.

هذا، وقد أُعِدَّت دراسةٌ موجزةٌ ومقدِّمةٌ لابدَّ منها، تُلْقِي ضوءاً كاشفاً على «المسند» وخصائصه وحياة مؤلِّفه، أُثبِتَت بين يدي «المسند» وهي تشتمل على الفقرات التالية:

١- ترجمة الإمام أحمد.

٢- ثناء أهل العلم عليه.

٣- مؤلفاته.

٤- معنى المسند، وأول من ألف فيه.

٥- الكلام على مسند أحمد.

٦- أقسام الأحاديث التي في المسند.

٧- عناية العلماء بالمسند.

٨- وصف النسخ الخطية.

٩- منهج التحقيق.

إن تحقيق «المسند» غايةٌ تغيَّاها غير واحد من أفذاذ العلماء، ولعل ما ذكره الإمام الحافظ النقادة شمس الدين الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٧٤٨هـ) أن يكون من أدل شيء على ذلك؛ فقد ذكر في ترجمة عبدالله بن أحمد بن حنبل من كتابه العظيم «سير أعلام النُّبلاء»: أن هناك غير واحد من جِلَّةِ الحفَّاظ

قد بذلوا بعض الجهود في خدمة «المُسند» كالحافظ أبي مُوسى المدينيِّ (ت٥٨١هـ)، والحافظ ابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، والحافظ ابن الجوزيِّ (ت ٥٩٧هـ)، وأَوْمَأ إلى أنَّ هذه الجهود لم تشف الغلَّة، ثم قال: «**فلعلَّ الله يُقيِّض لهذا الدِّيوان العظيم مَن يُرتِّبه ويهذبه، ويحذف ما كرَّر فيه، ويصلح ما تصحَّف، ويوضح حال كثير من رجاله، ويُنبِّه على مُرسله، ويُوهن ما ينبغي من مَناكيره، ويرتِّب الصحابة على المعجم، وكذلك أصحابهم على المعجم، ويَرمز على رؤوس الحديث بأسماء الكتب السِّتة، وإنْ رتَّبه على الأبواب فحسنٌ جميل، ولولا أني قد عجزت عن ذلك لضَعْف البصر، وعدم النية، وقُرب الرَّحيل، لعملتُ في ذلك**».

إن هذه العبارة الذَّهبية الرَّصينة هي منهاج عمل مُقترح يأخذ بأيدي الباحثين لأكثر الطرق سَداداً في معالجة مشكلات «المُسند» وتقريب مآخذه وإدناء فوائده، وفيها جماع الدَّلالة على خبرة هذا الإمام الجليل بهذا الديوان الأثري النفيس، ولا غرو في ذلك، فقد كان الذَّهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ واحداً من أفراد قلائل كان «المُسند» على أسلات ألسنتهم، يأتي في طليعتهم شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ٧٢٨هـ)، ويتلوه تلميذاه الحافظان البارعان: ابن قيِّم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ٧٥١هـ)، والعماد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٧٤هـ) وهو شيء قد سبق إلى الإشارة إليه المحدِّث العلامة أحمد محمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١٣٥٨هـ) في مقدمة طبعته من «المسند»، ولو شفع هؤلاء الثلاثة الحفاظ بالحافظين الكبيرين: سبط ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ٦٥٤هـ)، وابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ٧٩٥هـ)، لكان الأمر أكثر دِقَّة، فقد شَحن السِّبط كتابه «مرآه الزمان» بالنُّقول الوافرة عن «المُسند»، وكذا القول في صنيع الحافظ

ابن رجب الذي تغصُّ تواليفه بالنَّقل عن «المُسند» مع تنقيد كثير من أحاديثه تصحيحاً وتضعيفاً.

إن «مُسند الإمام أحمد» هو واسطة العِقْد بين «المسانيد» التي صُنِّفت في سياق العناية بالسنة النبوية الشريفة، وهو أجلُّها مرتبة، وإليه ينصرف الذهن عند الإطلاق، وفيه - بحسب عبارة ابن كثير - «من الأسانيد والمتون شيء كثير مما يُوازي كثيراً من أحاديث مسلم، والبخاري أيضاً، وليست عندهما، ولا عند أحدهما، بل ولم يخرجه أحد من الكتب الأربعة وهم: أبو داود، والترمذيّ، والنّسائي، وابن ماجة» انتهى كلامه

وهو كلام علَّق عليه الشيخ أحمد محمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «هذا الكلام جيِّد محقَّق، فإنَّ «المُسنَد» هو عندنا أعظم دواوين السُّنة، وفيه أحاديث صحاح كثيرة لم تُخرَّج في الكتب السِّتة».

لقد كان لضخامة «المُسند» واختلاف الرأي في شأنه أثر ملموس في تأخير العناية به على الوجه الذي أراده الإمام الذهبي، وهذا أبو موسى المدينيّ - وهو من هو - يعد سماع «المُسْند» كاملاً من النعم الجليلة التي أنعم الله بها عليه، ثم يقول: «ولعمري أن من كان من قبلنا من الحفاظ يتبجحون بجزء واحد يقع لهم من حديث هذا الإمام».

فإذا أضيف إلى ذلك مشكلة رواية «المُسند»، وانتهائه إلى الحفاظ من طريق واحدة: هي رواية ابن الحصين أبي القاسم، هِبَة الله بن محمد بن عبدالواحد بن الحصين الشيباني البغدادي (ت ٥٢٥هـ)، يرويه عن ابن المذهب أبي علي البغدادي (ت ٤٤٤هـ)، يرويه عن القطيعيّ أبي بكر أحمد بن جعفر (ت ٣٦٨هـ)، يرويه عن عبد الله بن الإمام أحمد عن أبيه الإمام، وما

اعترى هذه الرّواية من فَوْتٍ لبعض أجزاء «المُسند» أمكننا أن نتفهم إحجام العلماء عن خوض غمار «المُسند» واكتفاء بعضهم بجهود تحوم حول «المُسند» ولا تعالج مشكلاته الجوهرية، فظهرت بعض المصنَّفات التي تحاول تيسير سبُل التعامل معه وتقريب فوائده.

وقد استقصى شيخُنا العلَّامة المحدِّث الشيخ شعيب الأرنؤوط هذه الجهود وأَوْفى على الغاية في بيان قيمتها في مُقدِّمته الضَّافية «للمُسند» وربما كان مُناسباً في هذا السِّياق أنْ يُشار إلى بعضها اكتفاء بدلالة الجزء على الكُلِّ، فمن ذلك:

١- **ترتيب أسماء الصحابة الذين أخرج حديثهم أحمد بن حنبل في «المُسند»** للحافظ أبي القاسم ابن عساكر، وهو مطبوع.

٢- **ترتيب «المُسند»** للحافظ أبي بكر الصامت المعروف بابن المحب (ت ٧٨هـ) تعب فيه تعباً كثيراً، فأتقن وأجاد، رتبه على معجم الصحابة، ورتب الرواة كذلك.

٣- **ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب صحيح البخاري** لابن زكنون الحنبليّ (ت ٨٣٧هـ).

٤- **ترتيب المُسند وتهذيبه** لابن زُرَيْق الحنبليّ (ت١٨٤١هـ). وهو مما فُقد في كائنة (تيمورلنك) سنة (٨٠٣هـ).

٥- **إطراف المسند المعتلي بأطراف المسند الحنبلي** لابن حجر العسقلاني، وهو مطبوع.

٦- **الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني** للشيخ العلامة أحمد بن عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي (ت ١٣٧١هـ -

١٩٥١م) حذف فيه السند إلا في حدود يسيرة تمس إليها الحاجة، وكسر الكتاب على سبعة أقسام هي: التوحيد وأصول الدين، والفقه، وتفسير القرآن، والترغيب، والترهيب، والتاريخ، وأحوال الآخرة وما يتقدم ذلك من الفتن، ووضع الأحاديث الطويلة في أول باب يليق بها. وهو مطبوع في أربعة وعشرين جزءاً.

٧- **غريب الحديث عن مسند أحمد** للإمام اللغوي أبي عمر الزاهد المعروف بغلام ثعلب (ت٣٤٥هـ).

٨- **خصائص المُسند** للحافظ أبي موسى المديني، وهو مطبوع.

٩- **القَول المُسدَّد في الذبِّ عن مُسند الإمام أحمد** للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني، وهو مطبوع.

١٠- **غاية المقصد في زوائد المُسند** للإمام الحافظ نور الدين الهيثميّ (ت٨٠٧هـ).

فهذه عشرة كاملة من المصنَّفات التي صُنِّفت في سياق العناية «بالمُسند»، ليس فيها كتاب واحد ارتاد الآفاق الصعبة لهذا الكتاب، وخضد شوك العقبات التي تعترض سُبَل الإفادة منه على وجه مرضي، وظلَّت أمنية الإمام الذهبي صدًى يتردَّد في جنبات أودية السُّنة.

حتى إذا أظلَّتنا سنة (١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م) نهض بأعباء هذا الديوان العظيم الفقيه المحدث العلامة شمس الأئمة أحمد محمد شاكر (١٨٩٢-١٩٥٨م)، وسَمَتْ همَّتُه العالية إلى إخراج هذا «المُسند» الباذخ ضمن منهج يحقق كثيراً من مقاصد مقولة الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لا بل إنَّ الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد وضع نصب عينيه أن يُحقق الله فيه دعوة هذا الإمام الكبير،

فصرَّح في طالعة «المسند» قائلاً: «**وإني أرجو أن تكون دعوة الذَّهبي أجيبت بما صنعت**»، ثم جمع رَحِمَهُ اللَّهُ جراميزه لهذا العمل الذي تنوء بحمله العصبة أولو القوة من العلماء، واستقلَّ دونه بالعبء في مرحلة مبكرة كانت علوم السنة فيها غير صليبة العود على مستوى التحقيق، وصدر طبعته التي صدرت عن «دار المعارف» تباعاً بكتابين جعلهما طلائع «للمُسند» هما:

١. «خصائص المسند» للحافظ أبي موسى المديني.

٢. و «المصعد الأحمد في ختم مسند الإمام أحمد» للحافظ شمس الدين بن الجزريّ (ت ٨٣٣هـ)

ثمَّ شفع ذلك بترجمة ضافية للإمام أحمد من كتاب «تاريخ الإسلام» للذهبي، ليتصدَّى بعد ذلك لمشكلات «المُسند» في حدود المنهج الذي اختطه لنفسه بقوله: «ولم ألتزم في الكلام على الأحاديث أن أخرجها كلها، فذلك أمرٌ يطول جداً، إنما جعلت همي ووُكْدي أن أبين درجة الحديث، فإن كان صحيحاً ذكرت ذلك، وإن كان ضعيفاً بينت سبب ضعفه، وإن كان في إسناده رجل مختلف في توثيقه وتضعيفه، اجتهدت رأيي على ما وسعه علمي، وذكرت ما أراه، وفي كثير من مثل هذا أخرج الحديث بذكر من رواه من أصحاب الكتب الأخرى.. ولم أعرض في شرحي لشيء من أبحاث الفقه والخلاف ونحوهما، فما هذا من عملي في الكتاب، إنما هو عمل المستفيد المستنبط بعد أن تجتمع له الأحاديث، وليس «المُسند» من الكتب المرتبة على الأبواب حتى يستقيم هذا لشارحه، واقتصرت في تفسير غريب الحديث على ما تدعو إليه الضرورة جداً، وعلى ما وجدت أصحاب

الغريب قد قصروا فيه، أو كان لي رأي يخالف ما قالوا، وهو شيء قليل نادر».

إن هذه الضوابط التي ضبط بها العلامة أحمد شاكر عمله في تحقيق «المُسند» لم تكن حائلاً بينه وبين كثير من المباحث العلمية التي أثرى بها هوامش الكتاب وحواشيه، فهو ناقدٌ حافلٌ قد تضلَّع من شتى العلوم والمعارف، فجاءت تعليقاته مشحونة بالنقد والتوجيه، ولولا ضخامة الكتاب، لكان له شأن آخر في التنقي والتحقيق.

لقد كان يعلم أن بيان درجة الحديث ونقد حال رجاله هو من أهم المطالب في خدمة هذا الكتاب، ليتوفر بعد ذلك على صناعة عدد من الفهارس اللفظية والعلمية «للمُسند»، مُبيناً أنَّ الفهارس العلمية هي الأصل لهذا العمل العظيم الذي تناثرت مباحثه بسبب المنهج القائم على استيعاب أحاديث الصحابة وعدم التزام الأبواب، فجاء الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ وصنع فهرساً علمياً لكل مسند لتكون مباحث الكتاب بين أيدي طلاب العلم، وهو صنيع عظيم الشأن، وعلى وجوده تدور فوائد «المسند»، ومن نظر في عمل الشيخ شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه البابة قضى له بالإمامة، وتجلى له الجهد العظيم الذي بذله في خدمة هذا العلق النفيس.

لقد نشر الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ خمسة عشر جزءاً من «المسند» ظلَّت إلى عهد قريب مرجعاً وثيقاً لطلبة العلم في الثلث الأول من «المُسند»، فقد نشر نيفاً وثمانية آلاف حديث من أصل سبعة وعشرين ألفاً وست مئة وسبعة وأربعين حديثاً، ثم اخترمته المنية دون ذلك عام (١٩٤٧م) ومضى لطيته قبل بلوغ الغاية، فاشتد الأسف لموته وبقي «المُسند» ينتظر من ينهض

بأعبائه من جديد، وحاول بعض علماء مصر أن يستأنف عمل الشيخ شاكر، فلم يتهيَّأ له ذلك، وكتب أخوه العلَّامة محمود شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلمة قصيرة غِبَّ وفاته ذكر فيها أنه كان لأحمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نشر السنة اجتهاد عرف به في جرح الرواة وتعديلهم أفضى به إلى مخالفة القدماء والمحدَثين ثم ذكر من تواليفه الجم الغفير حتى إذا وصل إلى «المُسند» قال في حقه: «**وأما عمله الذي استولى به على الغايات، فهو شرحه على «مسند أحمد بن حنبل»، أصدر منه خمسة عشر جزءاً فيها من البحث والفقه والمعرفة ما يلحقه فيه أحد في زمانه هذا**»

ومثله في الدَّلالة على قيمة عمل الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «المُسند» قول الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**ولو كان تمَّ عمل الشيخ أحمد شاكر على «المُسند» وتحقيقه إياه على النهج الذي ذكره في مقدمة تحقيقه لتحققت أمنية الذهبي إلى حد كبير، ولكن الشيخ شاكر اخترمَتْه المَنيةُ ولم يصل عمله إلى ثلث الكتاب، ولله الأمر من قبلُ ومن بعد**»

وبعد كلِّ هذا، يعود «المسند» إلى سيرته الأولى، كتاباً يحتاج إلى جهود علمية منهجية تنعقد خناصر أصحابها على إيلاء هذا الدِّيوان العظيم ما هو به حقيق من العمل العلمي الرصين.

ثم قيَّض الله تبارك وتعالى لهذا «المُسند»، ووضعه بين يدي شيخ جليل كان قد استمر مريره في علوم الحديث، وبزَّ جميع أقرانه في هذا المضمار، ونشر من أعلاق السُّنة وذخائرها ما يقضي له بالإمامة، أعني شيخنا الفقيه المحدِّث العلامة الشيخ شعيب الأرنؤوط، الذي نضَّر الله على يديه هذا العلم، وأفنى فيه شبابه ومشيبه، وتصدى لنشر الدواوين القيمة من دواوين

السنة من خلال منهج مستتب بات فيه نسيج وحده بين المشتغلين بهذا الفنِّ، ولم يرفع رأسه «بمسند أحمد» حتى كان قد طلع على الناس بغير واحد من أصول كتب السنة يأتي في طليعتها: «شرح السُّنة» للإمام البغويّ، في ستة عشر مجلداً، و«صحيح ابن حبان» في ثمانية عشر مجلداً، و«شرح مشكل الآثار» للطحاوي في ستة عشر مجلداً، وغير ذلك من التصانيف الدَّالة على مديد باعه وسعة دائرته في علوم السنَّة، فكان من يُمن الطَّالع «للمُسند الأحمدي» أن يصير إلى هذا الإمام الآخذ بأوفر الحظوظ من شتى علوم الإسلام.

لقد تمَّ تحقيق «المُسند» ضمن التقاليد العلمية التي تم ترسيخها في «مؤسسة الرسالة» على يدي الشيخ شعيب الأرنؤوط على مدى ثلاثين عاماً، وهي التقاليد التي تبوأت بفضلها «مؤسسة الرسالة» هذه المنزلة العريقة بين مؤسسات النشر في العالم الإسلامي، ويأتي في طليعة هذه التقاليد استقصاء جميع النسخ الخطية للكتاب المزْمَعِ نشرُه، وإذا كانت طبعة الشيخ أحمد شاكر قد اعتمد فيها على نسخة خطيّة واحدة هي النسخة المغربية المصورة من مكتبة السيد عبد الحيِّ الكتّاني، وعلى مخطُوطة أبناء الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ، ثم اضطر للاستعانة بالطبعة الميمنيّة من «المُسند» المطبوعة سنة (١٣١٣هـ)، فإن طبعة «مؤسسة الرسالة» قد تهيَّأ لها من النسخ الخطية ما يجعل العمل أكثر دقة وصواباً، لا سيّما أن هذه النسخ قد تداولها بعض أهل العلم الكبار، وهي مصورةٌ عن أصول خطيّة من: دمشق والقاهرة وبغداد والموصل و (استنبول) والرّياض، وبلغ عدد النُّسخ الخطية ست نسخ فضلاً عما وجد من

المجلدات الخطية التي تحتوي على بعض المسانيد، ليجتمع من ذلك كله ذخيرةٌ خطيّة هائلة يحتاج التعامل معها إلى صبرٍ جميلٍ وجَلَدٍ على البحث والتنقير بغيةَ إخراج «المُسند» على الصُّورة التي هي أقربُ ما تكون إلى الأصل.

إن من أهم ما يعني به العلامة الأرنؤوط في منهج التحقيق إخراج النصِّ سليماً من آفات التصحيف والتحريف، حنيفاً عن الأسقاط والاضطراب، مُتَّسق الدَّلالة العامة والخاصة، وفي «المُسند» شواهد صِدْق على الجهد الهائل الذي تمَّ بذله في سبيل إخراج النص سليماً صحيحاً دقيق الدلالة على المعاني المستفادة، فلا مجال لتسلل لفظة شاذة إلى متنِ الحديث، ولا تسامح إزاء أدنى اختلاف، فهناك سيطرة على حركة «المُسند» أسانيد ومتوناً لا ينقضي منها العجب، وهو أمر يستدعي مقابلة مضنية بين جميع النسخ الخطية.

وما أحسنَ عائدتها على علوم السُّنة، وهي مما يحتاج إلى يقظة دائمة وبصيرة نافذة، وهي إذا تهيأت في كتاب صغير، فإنَّها من الصعوبة بمكان في كتاب ضخم «كالمُسْند»، لكنَّ شيخنا الأرنؤوط لا يدَّخر جُهداً في سبيل إتقان هذا الديوان إدراكاً منه لحجم الفائدة التي تعود على المشتغلين بعلوم السُّنة الشريفة.

وأيضاً: فإنَّ تعريف القارئ برجال الإسناد وبيان حالهم من الثقة وعدمها هو أمر قد أخذ به الشيخ نفسه في تحقيق «المُسْند»، وفي هذه البابة من «المُسند» جهودٌ لا يقدرها حق قدرها إلَّا من مارس هذا الفن، وعلم أن تخليص القول في أحد الرواةِ لا يكون بالنقل فقط من كتب التراجم، بل يضاف إلى ذلك اعتبار حديثه ومدى إتفاقه مع المقاصد العامة للمتون،

وههنا معترك صعب كان القدماء من نقاد الحديث ينهضون بأعبائه، بل لا حلاوة لعلوم الحديث إلا به، وكم سمعتُ شيخنا يُثني على منهج أسلافنا القدماء في اعتبار حديث الرجل وسبر حاله، وهو شيء نجده مبثوثاً في حواشي «المُسند»، وفيه أبلغ الدلالة على التَّمرس بدقائق علم الجرح والتعديل على طريقة نُقادِ الحديث الكبار كالبُخاري وأبي زُرعة وابن عَدِي وابن رجب وغيرهم من الأعلام، وهي الطريقة التي ازوَرَّ عنها كثير من المشتغلين بعلوم السنة، وأفرطوا في الاعتماد على الكتب المصنفة في بيان أحوال الرجال من خلال كلمة أو كلمتين، لاسيّما كتاب «تقريب التهذيب» للحافظ ابن حجر الذي أصبح تَكْأةً لجمهرة غفيرة من المشتغلين بعلوم الحديث، وحال بينهم وبين الطريق السديدة لبلورة الأحكام الدقيقة على الرجال.

وإذا كان الشيخ أحمد محمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد اقتصد عن قصد في شرح ألفاظ الحديث ودلالاتها، فإن الشيخ شعيب الأرنؤوط قد منح هذا المقصد ما هو جدير به من العناية، فشرح كثيراً من معاني الحديث وما يستنبط منها، لا بل إنه عمد إلى الحاشية النفيسة للإمام العلامة نور الدين السِّنديِّ نزيل المدينة المنورة (ت ١١٣٨هـ) التي كتبها على «المُسند» فانتخب منها جميع ما مسَّت إليه الحاجة في الكشف عن معاني الحديث[١].

وهي من أدلِّ شيءٍ على طبيعة العناية التي ظفر بها «المُسند» في هذه الطبعة العِلْميَّة المنيفة.

---

(١) وإن كان ثمّة مواضع جانب الإمام السندي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الصواب في بيانها، لاسيَّما مسائل الاعتقاد، ومبحث الأسماء والصفات، ونُقلت في حواشي «المسند» كما هي دون تعليق! وسأفردها في باب خاص في «صَحِّح نسختك من مسند الإمام أحمد» إن شاء الله.

أما الباب الذي استبدَّ بمعظم اهتمام الشيخ وتلاميذه فهو الحكم على أحاديث «المُسند» وبيان درجتها من الصحة والحسن والضعف، ثم تخريجها من مظانها من دواوين السُّنة. ولقد تبلور العمل في هذا الباب ضمن منهجية فريدة تم من خلالها تنخيل أسانيد «المُسند» والكشف عما كان منها على شرط الشَّيخين أو شرط أحدهما، مع التيقظ لكون ذلك مقيَّداً بمن احتج بهم الشيخان أو أحدهما في الأصول، وليس ممن خرَّجا له استشهاداً أو متابعة أو تعليقاً ولا ممن هو موصوف بتدليس أو تخليط، فإنهما رحمهما الله ينتقيان من حديث من تكلم فيه ما توبع عليه وظهرت شواهده، وعلم أن له أصلاً، ومن حديث المدلس ما صرح بالسماع فيه، ومن حديث المختلط بأخرة ما رواه الثقة من قبل اختلاطه.

وإذا انتهض إسنادُ الحديث إلى درجة أعلى من درجة الحسن من غير أن يبلغ رتبة الصحيح قيل فيه: إسناده قوي، او جيد إشارة إلى أنه فوق الحسن ودون الصحيح وما سوى ذلك، فقد تم الحكم عليه بما يليق بحاله من صحة أو حسن أو ضعف.

أمَّا تخريج الأحاديث، فقد خضع لترتيب تاريخي من «المُصنفات» و«المسانيد»، و «الصَّحاح»، و«السُّنن»، و«المعاجم»، وغير ذلك من دواوين السُّنة، وهو تخريج يقوم على الاستقصاء، مع الإشارة إلى أماكن وجود الحديث في «المُسند» إذا تكرر، فإذا كان للحديث شاهد عند أحمد أحيل عليه سابقاً كان أم لاحقاً.

وفي هذا السِّياق تمَّ التعليق على الجمِّ الغفير من الأحاديث بما يستدعيه المقام من توضيح معنى مستغلق، أو ترجمة بلد أو موضع، أو نقل فائدة

تتعلق بالحديث والتنبيه على عِلَّةٍ خفية قادمة أو شذوذ في المتن، ومَن نظر فيما كتبه شيخنا من البحوث الحديثية في حواشي «المُسْند»، عَلِمَ أنَّ هذا الكتاب قد فاز بالقَدح المُعلَّى بين دواوين السُّنة، وجزم بأن «المُسند» قد انتظر طويلاً حتى جاء هذا الشَّيخ المُتفنِّن فنضَّر وجهه وَجَبَّ ما قبله من الجهود المباركة التي سبق الإلماع إليها.

لقد تمَّ ترقيم أحاديث «المُسند» والتنبيه على المكرر منها، وظفر النص بترقيم وتفصيل يراعي مقتضيات المعنى، وهو شيء لا يعني به إلا أفذاذ المحققين، مع التنبيه على زيادات عبدالله ابن الإمام أحمد على «المُسْند»، ناهيك عمَّا توفَّر لهذا الكتاب من جماليات الإخراج التي تمنح الكتاب رَوْنقاً وبهاءً لا تخطئهما عين الناقد البصير.

لقد خرج «المُسند» في خمسين مجلداً، منها خمسة مجلدات خُصِّصت للفهارس الفنية، حيث اشتملت على فهرس الأحاديث القولية والعملية، في أربعة مجلدات، وفهرس الأشعار، وفهرس أسماء الصحابة، وفهرس شيوخ الإمام أحمد، وفهرس أسماء الرواة، وفهرس الأعلام، وفهرس الأماكن والبلدان، وفهرس القبائل والجماعات، وفهرس الغزوات والأيام، وأخيراً فهرس مصادر التحقيق؛ **لتشكِّل هذه الفهارس مجتمعة مفاتيح فريدة للتعامل مع «المُسند» واستخراج فوائده.**

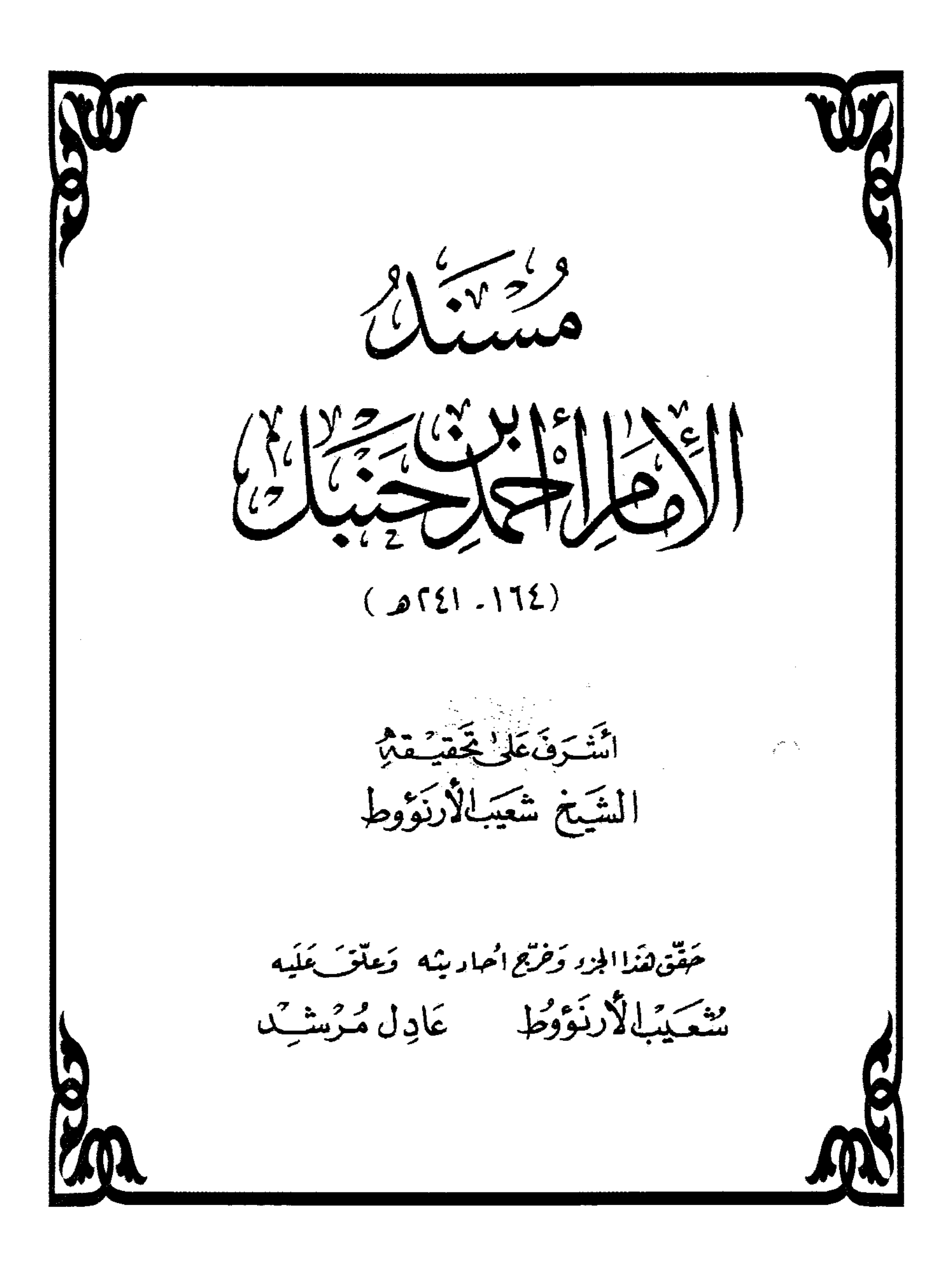
وفي نهاية المطاف فقد ختم شيخنا شعيب الأرنؤوط أسعده الله مُقدمته «للمُسند» بوقفة كريمة مع الجهد الطيِّب الذي بذله العلامة أحمد محمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في خدمة «المُسْند»، ونوَّه بأصالته وريادته لعلوم السُّنة في العصر الحاضر، ولكنه نبَّه إلى الاختلافات الجوهرية بينهما على مستوى المنهج، وأشار إلى ما

ظهر من تساهل الشيخ شاكر في الحكم على أحاديث غير قليلة في «المُسند» اعتماداً منه على توثيق ابن حبان والعجلي لبعض الرواة، فضلاً عن تصحيحه أحاديث أناس وصفوا بسوء الحفظ او الاختلاط، ثم سرَد شيخنا طائفة صالحةً من الأحاديث التي صحَّحها الشيخ شاكر على الرغم من ضعف بعض رواتها، ثم ختم ذلك بقوله: «**ونؤكِّد هنا أن هذه المؤاخذات والنقدات لا تنقص من قَدْر هذا المحدِّث الجليل، ولا تغض من قيمته، ولا تزيله عن رتبته الرفيعة في هذا الفن؛ لأن تصحيح الحديث وتضعيفه مسألة اجتهادية ونظرية تختلف فيها الأنظار بين أهل العلم، كاختلاف الفقهاء في كل ما هو من المسائل الاجتهادية**».

لقد استغرق العمل في «المُسند» **عشر سنوات كاملات** صبر فيها هذا الشيخ الجليل وصابر ورابط يشد من أزره في ذلك كوكبةٌ من تلاميذه المتمرسين بأصول هذا الفن، ومن وراء هؤلاء جميعاً كانت «مؤسسة الرسالة» هي التي تدعم الجهود وتذلل الصعاب، وتتحمل التكاليف الباهظة لهذا العمل العظيم، الذي خرج إلى دنيا العلم والعلماء ضمن طبعة فريدة تجاوزت الآفاق التي اقترحها الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في كلمته الجليلة التي صدر بها هذا البحث، وليتبوأ «المُسند» مكانته اللائقة به بين دواوين السنة النبوية الشريفة[١].

---

(١) مستفادٌ مع التصرف من بحث الدكتور عمر القيام عن «المسند» والذي نشر مع أبحاث مؤتمر تحقيق التراث العربي والإسلامي (٢/ ٧٩٩) والذي أصدرته جامعة آل البيت في ثلاثة مجلدات، فليُنظر.


مسند
الإمام أحمد بن حنبل
(١٦٤ - ٢٤١ هـ)
أشرف على تحقيقه
الشيخ شعيب الأرنؤوط
حقق هذا الجزء وخرج أحاديثه وعلق عليه
شعيب الأرنؤوط عادل مرشد

□ □ □

١٥. «الآداب الشَّرعيَّة والمِنَح المَرْعِيَّة» لابن مفلح الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ

وهذا كتابٌ جليل القَدْر، حافلٌ بالعلم النَّافع القائم على الأصول الصحيحة والفهوم السديدة، ولقد أراد مصنِّفُه أن يكون كتاباً جامعاً لكل ما من شأنه أن يعين على تحقيق السعادة الإنسانية في الدنيا والآخرة، وذلك بالسير على هدي المنهج الرباني الذي ارتضاه الله لعباده، وتكفل لمن سار عليه بألَّا يضلَّ في الدنيا وألَّا يشقى في الآخرة، وذلك بما أودع في كتابه، وربَّما أبان على لسان رسوله ﷺ من الدَّلائل الهادية إلى كل خير، الصارفة عن كلِّ سوء وشر، وذلك بتحقيق الفهم الصحيح للوجود من خلال عقيدة صافية واضحة، وشريعة عادلة محكمة، وأخلاق نبيلة صالحة، وشعور عميق بالمسئولية في الدنيا والآخرة، ضمن إطار العبودية الكريمة للخالق الكبير المتعال، ذي الجلال والإكرام، له الحمدُ في الأولى والآخرة.

وإن الناظر في «الآداب الشرعية» بعين البصيرة لمشرِفٌ منه على كتاب زاخر بالأصول العظيمة في الاعتقاد والأخلاق والفضائل، الفردية منها والاجتماعية التي تحقق لمن عمل بها صحة الروح والعقل والبدن، وإن في اختيار ابن مفلح للفظ «الآداب» عنواناً لكتابه لغوراً على حقائق المعاني، وفقاهة في اختيار الدَّلالات وانتزاع الإرادات، **ذلك أَّن الأدب هو: اجتماعُ خصال الخير في العبد، وأنه على ثلاثة أنواع: أدب مع الله سبحانه، وأدب مع رسول الله ﷺ وشرعه، وأدب مع خلقه**، ولعَمْرُ الحقِّ لقد كان الإمام الهروي رَحِمَهُ اللَّهُ نافذ البصيرة حين انتزع منزلة «الأدب» في «منازل السائرين» من قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]، قال ابنُ عباس: أدبوهم وعلموهم.

وقد بسط الإمام النَّاصح والعالم العامل ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ الحديث عن مفهوم «الأدب» وأسراره وضوابطه في الشرع بحيث يكون هذا الخلق نوراً منبعثاً من مشكاة النبوة فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولا يستقيم لأحد قطُّ **الأدب مع الله** إلا بثلاثة أشياء: معرفته بأسمائه وصفاته، ومعرفته بدينه وشرعه، وما يحب وما يكره. ونفس متعددة قابلة لينة، متهيئة لقبول الحق علماً وعملاً وحالاً.

وأما الأدب مع الرسول ﷺ، القرآن مملوء به: فرأس الأدب معه: كمال التسليم له، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن يحمله معارضة خيال باطل يسميه معقولاً، أو يقدم عليه آراء الرجال، فيوحده بالتحكيم والتسليم، والانقياد والإذعان، كما وحَّد المرسَل سبحانه وتعالى بالعبادة والخضوع والذل، والإنابة والتوكل. فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما: توحيد المرسل، وتوحيد متابعة الرسول، فلا يحاكم إلى غيره، ولا يرضى بحكم غيره، ولا يقف تنفيذ أمره، وتصديق خبره على عرضه على قول شيخه وإمامه، وذوي مذهبه وطائفته ومن يعظمه.

ومن الأدب معه: أن لا ترفع الأصوات فوق صوته، فإنه سبب لحبوط الأعمال، فما الظن برفع الآراء ونتائج الأفكار على سنته وما جاء به؟! أترى ذلك موجباً لقبول الأعمال، ورفع الصوت فوق صوته موجباً لحبوطها؟!

ومن الأدب معه: أن لا يُستشكَل قولُه، بل تُستشكَل الآراء لقوله، ولا يُعارَض نصُّه بقياس، بل تُهدر الأقيسة وتلغى لنصوصه، ولا يُحرَّف كلامُه

عن حقيقته لخيال يُسمِّيه أصحابه معقولاً، ولا يوقف قبول ما جاء به ﷺ على موافقة أحدٍ، فكل هذا من قلة الأدب معه ﷺ، وهو عين الجرأة.

وأمّا الأدب مع الخلق: فهو معاملتهم ـ على اختلاف مراتبهم ـ بما يليق بهم، فلكل مرتبة أدب، والمراتب فيها أدب خاص، فمع الوالدين أدب خاص، وللأب منهما: أدب هو أخص به ومع العالم أدب آخر، وله مع الأقران أدب يليق بهم، ومع الأجانب أدب غير أدبه مع أصحابه وذوي أُنْسِهِ، ومع الضيف أدب غير أدبه مع أهل بيته. انتهى.

إن كتاب «الآداب الشرعية» قد صنَّفه مؤلِّفه ثلاث مرات: «الكبرى» مجلدان، و«الوسطى» مجلد، و«الصُّغرى» مجلد لطيف.

والكبرى منها ذات قيمة علمية كبيرة لاشتمالها على كثير من أصول الأخلاق المستقاة من الكتاب والسُّنة وما انبثق عنهما من علوم في إطار الثقافة العربية الإسلامية، وقد تحرَّى فيه أن يكون كالفروع في الفقه جامعاً لخلاصة ما ألفه فيه أئمة الحنابلة من المصنَّفات الذي ذكرها في خطبة كتابه فأتى في كتابه على ما في كتب هؤلاء العلماء، وزاد عليها أشياء كثيرة نافعة حسنة غريبة من أماكن متفرقة **فمن علمه علم قدره، وعلم أنه قد علمَ من الفوائد المحتاجِ إليها ما لم يعلم أكثر الفقهاء، أو كثير منهم لاشتغالهم بغيره، وعزة الكتب الجامعة لهذا الفن .**

وعليه، فإنَّ مما يزيد من القيمة العلمية لهذا الكتاب احتواءه على نقول عزيزة من كتب نفيسة لم تصلنا لعلَّ أعظمها كتاب «الفُنون» لابن عقيل الحنبلي (٥١٣هـ)، و «الرِّعاية الكبرى» لابن حمدان، و«المستوعب» لمحمد بن عبد الله السامري إلى غير ذلك من المصنفات النافعة النفيسة.

وقد حَظِيَ هذا العِلْق التربوي الإسلامي بعناية شيخنا ورفيقه، فخَدَما الكتاب خير خِدْمة تليق به، فغدا شامة بين طبعاته السَّابقة، ألا فلتقرَّ أَعين المُربِّين والدُّعاة و الوُعَّاظ به.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

❑ ❑ ❑



تأليف
الإمام الفقيه المحدث عبد الله محمد
ابن مفلح المقدسي
المتوفى سنة ٧٦٣هـ

حققه وضبط نصه وخرج أحاديثه وقدم له
شعيب الأرنؤوط عمر القيام

الجزء الأول

١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

١٦ . «أقاويل الثِّقات» للعلامة مَرْعي الكَرْمي رَحِمَهُ اللَّهُ

الحمد لله الذي جعل في كلِّ زمان فترة من الرُّسل، بقايا من أهل العلم، يَدْعُون من ضَلَّ إلى الهُدى، ويَصبرون منهم على الأذى، يُحيون بكتاب الله الموتى، ويُبصِّرون بكتاب الله أهلَ العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيَوْه؟ وكم من تائهٍ ضالٍ قد هَدَوه؟ فما أحسن أثرهم على الناس! وما أقبح الناس عليهم! ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

فهذا كتابُ «أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمتشابهات» تأليف الشيخ الإمام المُتَفَنِّن مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ، المُتوفى سنة (١٠٣٣هـ).

قد حدَاه إلى تأليفه أنه لم يقف على مُصنَّف خاص بهذا الموضوع لمن تقدَّمه من أهل العلم، فجمعه من كلام الأئمة المتفرق في مصادر عدة، وأضاف إليه تعليقات فيها توضيحٌ، أو إقرارٌ، أو نقد لما يورده من أقوالهم فيها.

ولاشك أنَّ مسألة الصفات تُعدُّ من أجلِّ وأعظم ما تُكلِّمَ فيه من أصول الاعتقاد، وقد اختلفت فيها مقالات الإسلاميين، فمنهم من قال بالنَّفي المحض، ومنهم من أقرَّ بأسماء الله في الجملة، ونفى الصفات، ومنهم من أقرَّ بالأسماء والصفات لكنَّه ردَّ طائفة منها وتأوَّلها، وصرَفها عن ظاهرها.

ومنهم من ذهب إلى وُجوب الإيمان بكلِّ ما ورد في كتاب الله، وصحيح السُّنة من الأسماء والصفات، وإجرائها على ظواهرها، ونفي الكيفية والتَّشبيه عنها، وأصحاب هذا القول هم أهل السُّنة والسَّلف الصالح.

وقد اختار المؤلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ مقالة هؤلاء، وارتضاها، وأيَّدها بالنقول الضافية عن الأئمة الذين لهم قدم راسخة في هذا الباب، ممن هو مشهود له بالاستقامة والسداد، وجودة الفهم، وحسن الاستنباط.

وقد مهَّد لكتابه هذا بتعريف التفسير والتأويل، والمُحكم والمتشابه، وعرض أقاويل أهل العلم في ذلك، وقبل الشروع فيما هو آخذ بسبيله انتهى رأيه إلى أن صفات الله سبحانه من المتشابه[1]، وعلَّل ذلك بتعذر الوقوف على تحقيق معانيها، والإحاطة بها، بل على تحقيق الروح والعقل القائمين بالإنسان.

وقال: إن أهل الإسلام اتفقوا على إثبات ما أثبته الله لنفسه من أوصافه التي نطق بها القرآن من نحو: سميع وبصير وعليم وقدير، ونافي ذلك كافرٌ؛ لأنه مُكذِّب لصريح القرآن، ثم نقل خلاف أهل العلم في المشتقات منها، واختار قول السلف الذين يقولون بإثبات الصفات الخبرية والفعلية مما نص عليه القرآن، ويدين الله به، ويسأل الله الموت عليه، فإنه لا يجنح إلى تكفير أحد من أهل الفرق بما ذهب إليه واعتقده لاسيَّما مع قيام الشبهة، والدليل عنده.

ثم تناول صفات الله الذَّاتية والفعلية صفةً صفةً بالتفسير والبيان والشرح، ونقل أقاويل أهل العلم، وعرض حججهم، وناقشها، وبيَّن ما هو الصواب منها.

---

(١) وهذا غير سديد من المؤلِّف، بل الصواب أنها ليست من ذلك، وثمَّة وقفات وإعادة نظر مع الكتاب تأليفاً وتحقيقاً، ونعمل الآن ليعاد تحقيقه من جديد مع شيخنا العلامة شعيب الأرنؤوط حفظه الله تعالى على مخطوطة أُخرى قيمة.

لكن مما يُؤاخذُ به المؤلِّف أنه لم يَتعقَّبْ بعض النُّقول التي أوردها في كتابه، وهي بمنأًى عن منهج السَّلف الذي صرَّح بالأخذ به، والعدول عما سواه، ولاسيما في نقله عن الإمام ابن الجوزي الذي اضطرب رأيُه في مسألة الصفات، فمرةً ينحو منحى السلف في الإثبات، وتارةً يخالفهم، ويجنح إلى التأويل، وهو متابعٌ في ذلك شيخه أبا الوفاء ابن عقيل الذي جالس المعتزلة، وتأثر بهم، ووافقهم في بعض ما ذهبوا إليه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «درء تعارض العقل والنقل» (٨/ ٦٠): «ولابن عقيل أنواع من الكلام، فإنه كان من أذكياء العالم، كثير الفكر والنظر في كلام الناس، فتارةً يسلك مسلك نفاةِ الصفات الخبرية، وينكر على من يسميها صفات، ويقول: إنما هي إضافات موافقةٌ للمعتزلة كما فعله في كتابه «ذم التشبيه وإثبات التنزيه» وغيره من كتبه، واتَّبعه على ذلك أبو الفرج ابن الجوزي في «كفِّ التَّشبيه بأَكُفِّ التنزيه»، وفي كتابه «منهاج الوصول»، وتارةً يثبتُ الصفات الخبرية، ويردُّ على النفاة والمعتزلة بأنواع من الأدلة الواضحات، وتارة يوجب التأويل كما فعله في كتابه «الواضح» وغيره، وتارةً يحرم التأويل ويذمه، وينهى عنه كما فعله في كتابه «الانتصار لأصحاب الحديث» فيوجد في كلامه من الكلام الحسن البليغ ما هو معظَّم ومشكور، ومن الكلام المخالف للسنة والحق ما هو مذموم ومدحور».

بقي أن نقول كلمةً نوجه فيها النصح إلى الذين قضوا شوطاً من حياتهم في قراءة كتب الخلف، وتمرَّسوا بها، ولم يَدَّخِروا شيئاً من الوقت للنظر في الكتب التي تناولت مذهب السلف بالبيان والشرح، وعرضته بأمانةٍ وصدقٍ، ودلَّلَتْ على صحته بالأدلَّة العقلية والنقلية المقنعة، حتى يتاح لهم المقارنة بين المذهبين،

واختيار ما هو أحكم، وأسلم، وأعلمُ، **لو أنهم فعلوا ذلك لكان خيراً لهم ولأتباعهم الذين يأخذون عنهم، ويتأثرون بهم، ولكانوا يكفون ألسنتهم عن تقويل العلماء الأثبات الذين انتهجوا منهج السلف، وألفوا فيه، ودافعوا عنه ما لم يقولوه، وإلزامهم بتلك الأقوال التي نسبوها إليهم، والحكم عليهم بموجب تلك الإلزامات بالكفر والمروق، والشذوذ.**

مع أنَّ هؤلاء الأئمة ينفون تلك الإلزامات بصريح القول ومنطوقه في كتبهم التي تناولوا فيها مسألة الصفات وغيرها من مسائل الاعتقاد.

وأهل العلم مُتَّفِقُون على أنه لا يجوز التكفير باللَّوازم، لاسيَّما إذا كان المطعون فيه يُصرِّح بنفيها وردِّها.

ولا أدري كيف يجرؤ طالب العلم على الحكم بالكُفْر والمُروق والشُّذوذ على من كان له سابقةُ فَضْل في الإسلام وأهله، بما حبَاه الله من عِلْم وفضل وتقوى، وبما دبَّجته يراعته من العلوم المختلفة النافعة التي تحيي موات القلوب، وتُبصِّر الناس بمراشد الحق، ومَهْيَع الصدق، مع أنه ليس له مستند في الحكم عليه بذلك إلا نقولٌ مُبتسَرة مُشوَّهة من كتبه، نقلها عنه من كان في قلبه عليه عداوةٌ وحقد، وأقامها على الوجه الذي يروق له، بغية التشويه والتهويش، وتنفير الناس من علمه، وإضعاف الثقة به.

ومما يزيد الطين بِلَّة أنَّ هؤلاء الطلبة يتشبثون بتلك الأقوال، ولا يُكلِّفون أنفسهم عناء البحث في مراجعتها من مَظانِّها الموثوقة، ليتبيَّن لهم وجه الحق، وقول الصدق، وليشهدوا بأنفسهم تدليس هؤلاء الحاقدين وتحريفهم، وافتراءهم.

وهم إلى ذلك لا يلقون بالاً، ولا يُعيرون اهتماماً لما حكاه العلماء الثقات الذين عاصروا ذلك الإمام وخالطوه في بيان عظم إمامته في الدين والعلم، والفضل والصلاح، والسداد والاستقامة.

وما أظن أنَّ أيَّ طالب علم يستشعر خوف الله، ويتحلَّى بالتَّقوى والإنصاف يرتضي لنفسه أنْ يقف إلى صفِّ هذا النفر الحاقد الذي يَمضي على غير هُدى، ويلتمس للبراء العيب، ويتهالك عصبية وحقداً، نسأل الله السلامة والعافية.

هذا وقد اعتنى شيخنا من قديم بهذا الكتاب، وسيُعاد تحقيقه وتنقيحه والنظر في تعاليقه، على مخطوط ثانٍ نفيس، وسيصدر في طبعة ثانية إن شاء الله تنسخ طبعته الأولى، واللهَ أسألُ أن يمدَّ في عمر شيخنا، وأن ينفعنا بعلمه، ويُمتِّعنا بمعرفته وفضله.

❑ ❑ ❑



تأليف

الإمام زين الدين مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي

المتوفى سنة ١٠٣٣هـ

حققه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه

شعيب الأرنؤوط

مؤسسة الرسالة



١٧ . «موارد الظمآن بزوائد صحيح ابن حبَّان» للهيثمي رَحِمَهُ اللَّهُ

في القرن الثامن الهجري نشطت حركة الحديث في بلاد الشام ومصر، وظهر فيه عدد غير قليل من الحفاظ الذين كان لهم أكبر الأثر في تقريب الأحاديث النبوية وتيسيرها لطلبة العلم، وتمييز صحيحها من سقيمها، ليتسنى لهم الإفادة منها، وكان من أبرز هؤلاء الحفاظ زين الدين عبدالرحيم بن الحسين العراقي الكردي، المتوفى في القاهرة سنة ٨٠٦هـ، الذي كان قد أوتي بسطة في هذا العلم، وقدرة على تلقينه للطلبة الذين أقبلوا عليه، وأفادوا منه، وصاروا بعد ذلك أئمة فيه.

وكان من هؤلاء مؤلِّف هذا الكتاب الحافظ أبو الحسن نور الدين علي ابن أبي بكر بن سليمان الهيثمي المصري، المتوفى في القاهرة سنة ٨٠٧هـ، وقد اتصل بشيخه العراقي وهو في الخامسة عشرة من عمره، وكان شيخه يكبره بعشر سنوات، فشمله بعطفه ورعايته، وحبب إليه العلوم الإسلامية وتحصيلها من ينابيعها الأولى، لا سيما ما يتعلق بالحديث النبوية الشريف.

وقد لازم شيخه مدة ست وخمسين سنة، لم يفارقه فيها لا في سفر ولا في حضر، وكتب الكثير من تصانيفه، وقرأ عليه أكثرها، وتخرج به في الحديث، وسمع معه من شيوخه، وشاركه في أكثر من أخذ عنهم من المحدثين في مصر، ومكة والمدينة، وبيت المقدس، ودمشق وحلب، وحمص وحماة، وطرابلس الشام، وغيرها من البلاد التي رحل إليها.

ولما اكتمل نضجه، واستوت له المعرفة في هذا الفن، وأصبح مؤهلاً للعطاء، وأنس منه ذلك شيخه، لفت نظره إلى التصنيف في الزوائد على

«الصحيحين» والكتب الستة الذي برع فيه، وخبر خوافيه، وصار فيه علماً يشار إليه، ويعول عليه.

وأول ما أشار عليه بجمعه، وأعانه عليه بما عنده من الكتب، وأرشده إلى التصرف في ذلك: «زوائد مسند الإمام أحمد»، فلما فرغ من تسويده، راجعه الحافظ العراقي، وسماه: «غاية المقصد في زوائد الإمام أحمد» ولـمَّا يطبع.

ثم صنع مثل ذلك في زوائد «مسند البزار» وسمَّاه: «كشف الأستار»، وقد نشرته مؤسسة الرسالة في أربعة مجلدات بتحقيق المحدِّث الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وثلَّث بزوائد «مسند أبي يعلى الموصلي» برواية ابن حمدان، وسماه: «المقصد العلي في زوائد الموصلي»، وقد طبع.

وكان عمله الرابع في زوائد «المعجم الكبير» للطبراني، وسماه: «البدر المنير»، وأتم ذلك بالمعجمين «الأوسط»، و«الصغير» في تصنيف واحدٍ سماه: «مجمع البحرين في زوائد المعجمين»، وقد طبع.

ثم جمع هذه الزوائد كلها في كتاب واحد، محذوفة الأسانيد، مع الكلام على أحاديثها بالصحة والحسن والضعف، وما في بعض رواتها من الجرح والتعديل، مرتبة على أبواب الفقه، وبإشارة من شيخه، سماه: «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد»، وهو مطبوع في عشرة مجلدات.

وبعد هذا الإنجاز الضخم الذي ضم من كتب السنة ما يزيد على ثمانين مجلدة من الأصول التي أفرد زوائدها، وابتهاج شيخه الحافظ العراقي بصنيعه هذا، استمر في هذا الطريق، فألَّف كتاب «موارد الظمآن إلى زوائد

ابن حبان». لكنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ اتبع فيه الزوائد على «الصحيحين» ليبين منزلة الحافظ ابن حبان في «صحيحه» هذا الذي زادت أحاديثه التي لم ترد في «الصحيحين» على ألفين وست مئة حديث.

وقد وفى الحافظ الهيثمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تصنيفه هذا بما التزمه إلا في مواضع يسيرة ندَّت عنه، فقد أدرج فيه أحاديث تكون في «الصحيحين» أحياناً أو في أحدهما، وربما أسقط أحاديث هي من شرطه؛ لأنها ليست في «الصحيحين» ولا في أحدهما، فهي قليلة جدا.

فوائد الزوائد:

تعدُّ الكتب الستة «صحيحا» البخاري، ومسلم، و«سنن» أبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، الأصول التي يُستمدُّ منها بعد كتاب الله تعالى الأصول والأحكام الشرعية، ويُعوَّل عليها في ذلك، ويُؤخذ منها، فكانت العناية تتَّجه إلى هذه الأصول سماعاً وإقراءاً وتحريراً وشرحاً وحفظاً، وأمَّا ما سواها من الكتب، فقد تضمنت كثيرا من الأحاديث الموجودة في الكتب السِّتة، وأحاديث أخرى لم ترد فيها، لهذا فقد انصرفت همة هؤلاء العلماء المتأخرين ـ وفي مقدِّمتهم الهيثمي ـ إلى إفراد زوائد هذه الكتب على الكتب الستة منسقة على أبواب الفقه تتميماً لما لم يرد فيها، بحيث يتاح لطالب العلم أن يقف على الأحاديث كلها في هذه المجموعة التي تنتظم الكتب الستة وما ألف بعدها من الكتب، فيغنى بها عما سواها.

وهذه فائدة عظيمة يحصل عليها الباحث بمجرد رجوعه إلى باب من الأبواب في موضوعه الذي يبحث عنه، فيرى الأحاديث كلها مجتمعة في مكان واحد، فيسهل عليه تناولها والإفادة منها.

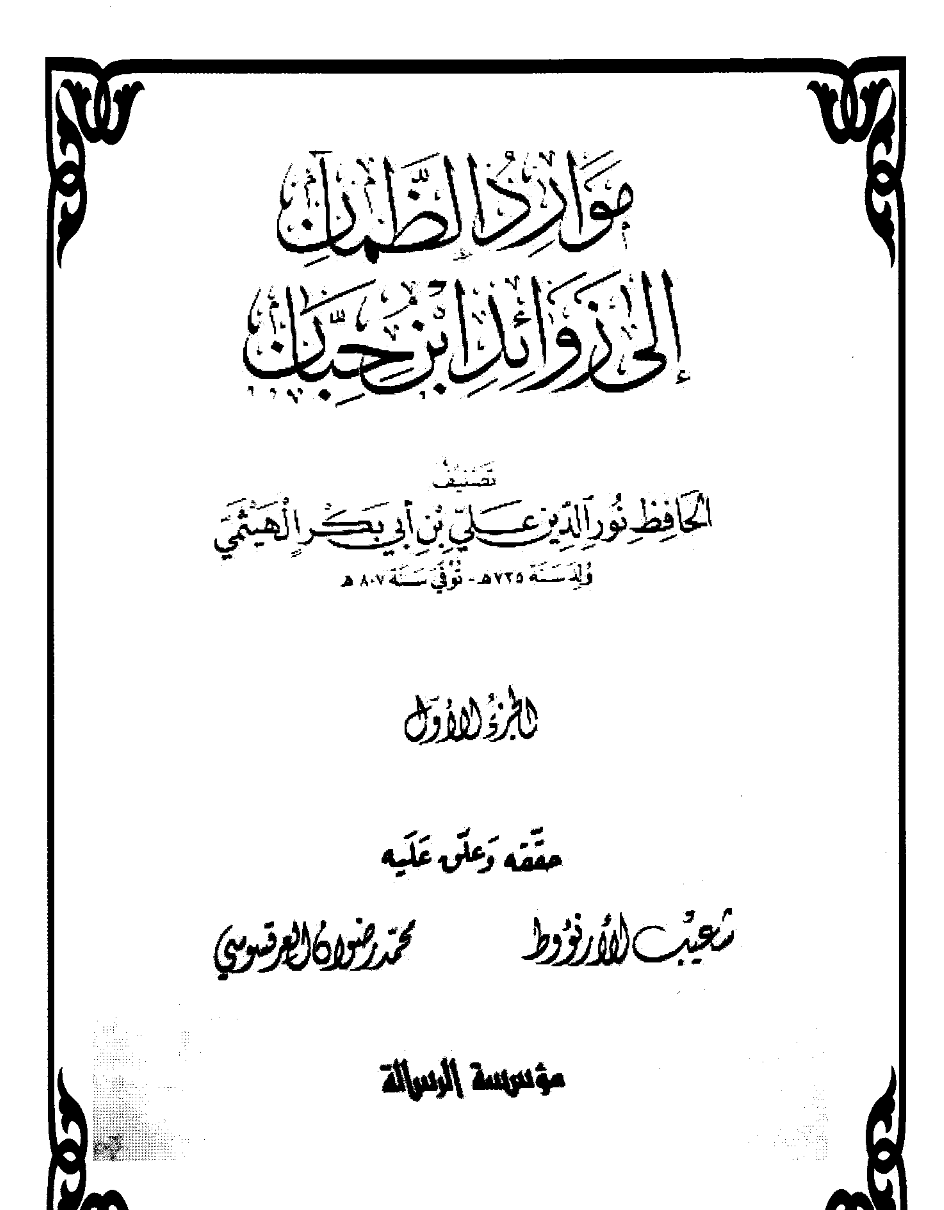
وأيضاً: قد يرد في هذه الزوائد أحاديث تفصِّل ما أُجمل منها في الأصول الستة، أو تكون سياقتها أتم، مما يساعد على توضيح المعنى واكتمال المبنى.

وأيضاً: فإنَّ هذه الزوائد قد انتظمت فيها جملة كتب قد اختفت أصولها، ولولا هذه التواليف في الزوائد، لضاعت واندثرت.

وأيضاً: يتمكَّن الباحث على ضوء هذا النوع من التأليف أن يقف على الكمية الزائدة من الأحاديث التي أضافها أصحاب «المسانيد» و«المعاجم» إلى الكتب الستة، ويتسنَّى له الحصول عليها.

ومن توفيق الله تعالى أن حَظِيَ هذا السفر الحديثي النفيس بعناية شيخنا ورفيقه، فخَدَما الكتاب خير خِدْمة تليق به، وأَحْسَنا في العناية به، فجزاهما الله خير الجزاء، ونفع أهل الحديث وطلبته بصنيعهم وجهدهم.

❑ ❑ ❑



موارد الظمآن
إلى زوائد ابن حبان

تصنيف
الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي
ولد سنة ٧٣٥هـ - توفي سنة ٨٠٧هـ

الجزء الأول

حققه وعلق عليه

شعيب الأرنؤوط   محمد رضوان العرقسوسي

مؤسسة الرسالة

١٨. «شرح العقيدة الطحاويَّة» لابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

لقد ألَّف الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد الطَّحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ المتوفى سنة (٣٢٢هـ) رسالة ضمنها ما يحتاج المُكلَّف إلى معرفته، واعتقاده، والتصديق به من أصول الدين كمسائل التوحيد، والصفاتِ، والقدرِ، والنبوة، والمعاد، وغير ذلك من قضايا الاعتقاد ومسائله، وما يَمتُّ إليها بسبب على طريقة أهل السنة والجماعة من السلف الصالح، وقد تلقَّاها العلماء سلفاً وخلفاً بالقبول والرضا، ونالت شهرة واسعة، وتصدى لشرحها غير واحد من أهل العلم، إلا أنَّ الشرح المطابق لمنهج السلف الذي هو أمثل المناهج، وأصحها، وأقومها، وأهداها شرح العلامة ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقد اعتمد ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه هذا منهج السلف الذي شيَّد معاقده، وأَحْكَم قواعده أهل العلم من القرون الثلاثة المشهود لها بالفضل، ودافع عنه بحرارة وقوة، ولم يأل جهداً في تقريره وإيضاحه، والبرهنة على صحته وسلامته، ونقد المناهج الأخرى المخالفة له، وكشف غوارها، وبيان تهافتها وتناقضها، ومخالفتها للحق، وبُعدِها عن الصواب، بأدلة نقلية وعقلية منتزعة من نصوص الكتاب والسُّنة، فهو على توسط حجمه لا نظير له في بابه من حُسن العرض، ونَصاعة العبارة، وقوَّة الحجة، وتمام الاستيفاء، ووفرة المعلومات، وكثرة البراهين والدلائل، وخُلوِّه من بدع الكلام المذموم.

ولا بدَعَ في ذلك، فهو امتداد لمدرسة شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ التي يعود إليها الفضل في توعية العقول، وتصحيح المفاهيم، والعودة بالناس إلى الأصالة، والتخلص من التبعية والتقليد، فقد قرأ كل ما كتبه صاحب هذه

المدرسة، وتلميذه العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مجال العقيدة، وفهمه، واقتنع به، واستظهر أكثره، ثم لخص ذلك كله تلخيصاً مركزاً واضحاً، وأودعه في هذا الشرح النفيس المتقن.

وقد استطاعت هذه المدرسة أن تُبطل ما يُدَّعى من اختلاف بين نصوص الشرع الثابتة، وبين المعقولات الصريحة، وأن تزيل ما بينهما من خلاف موهوم، وأن تحل تلك العقد التي عقدت حول أُمَّات المسائل الاعتقادية، مثل الصفات السمعية، وقيام الصفات بالذات، ومثل الأفعال الاختيارية، وقيامها بذاته تعالى، وما إلى ذلك من المسائل التي أخطأ في تصورها كثير من المتكلمين الذين توسعوا في دراسةِ المنطق الأرسطي، واعتدوا به، وجعلوه حكماً في فصل النزاع.

هذا وقد أدَّى التوغُّلُ في علم المنطق بمنتحليه إلى نتائج خطيرة منها:

١ - **الاستهانة بمنهج السلف القائم على النصوص من كتاب الله تعالى، وسنة رسول** ﷺ ونبز من يعتد به، ويذعن له بالجهل، والتقليد الأعمى، والمعاداة للعقل، مع أن كل ما يحتاج الناس إلى معرفته، واعتقاده، والتصديق به من أصول الدين كمسائل التوحيد، والصفات، والقدر، والنبوة، والمعاد قد بينه الله تعالى ورسوله ﷺ بياناً شافياً، قاطعاً للعذر بأدلة شرعية وعقلية بلغت من الإحكام والقوة والوضوح مبلغاً لا تستقر أمامه دلائل المتكلمين التي لا تعدو بيت العنكبوت بعد البحث والنقد.

٢ - **الادِّعاء بأن السلف لم يتفرَّغوا للبحث في قضايا العقيدة، لانشغالهم بأمور الجهاد، ونشر الدعوة،** ولأنهم لم تكن عندهم القدرة العقلية اللازمة للبحث في مثل ذلك، وفي دعواهم هذه إجحاف ومغالطة.

٣- **ابتداع مصطلحات لألفاظ لا علاقة لها بمدلولها اللغوي وتفسير النصوص بمقتضاها**، واتخاذها حجة في موضع النزاع.

٣- **اقتصار بحوثهم على أمور فلسفية وشبهات وهمية**، جروا إليها، وقضوا معظم حياتهم في الرد عليها، وبذلك تحول تبليغ الإسلام وشرح عقائده في ضوء الكتاب والسنة إلى مناظرات ومجادلات كلامية جافة منفرة.

وبعد..

فلقد بدأ الشَّارحُ في كتابه هذا بمقدِّمة ضافية ضمَّنها منزلة علم أصول الدين من بين العلوم، وبيان حاجة العباد إليه أكثر من أي شيء، وأنه لا حياة للقلوب، ولا نعيم، ولا طمأنينة إلَّا بأن تعرف ربها، ومعبودها وفاطرها بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وأن الله سبحانه بعث الرسل به مُعرِّفين، وإليه داعين، ولمن أجابهم مبشرين، ولمن خالفهم منذرين؛ لأنه من المحال أن تستقلَّ العُقول بمعرفة ذلك على وجه التفصيل، وأنَّ الناس كانوا في القرون الثلاثة الأولى على ما كان عليه الرسول ﷺ، وظهر بعد القرون الثلاثة من شذَّ عن طريق الحق في الاعتقاد، واتَّبع هواه، فأقام الله لهذه الأمة من يحفظ عليها أصول دينها.

فكان ممن قام بهذا الحق من علماء المسلمين أبو جعفر الطَّحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأنَّ الذي حمل ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ على شرح عقيدته هو أنه رأى غير واحدٍ من أهل العلم قد تصدَّى لشرحها، لكن على طريقة أهل الكلام المذموم المشتمل على أمورٍ مخالفة للحق الذي بعث الله به رسله، فالتزم شرحها على منهج السلف.

ثم شرع يذكر مسائل العقيدة مُتبعاً ترتيب الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ مُبتدئاً ببيان حقيقة التوحيد ومعانيه وأنواعه التي جاء بها الرسل، وبيان المراد من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، وذكر صفات الله تعالى وأسمائه، وتقسيمها إلى صفات ذات وصفات فعل، وبيان ما يجب في مسألة الصفات، وهو الإثبات بلا تكييف، ووجوب الإيمان بنبوَّة محمد ﷺ الذي ختم الله به الرسالات، وبيان عموم بعثته إلى الإنس والجن، والتعريف بالقرآن وأنه كلام الله بلفظه ومعناه، والرد على القائلين بخلقه، وإثبات رؤية الله تعالى في الآخرة، وما جاء من النصوص في هذا الباب، والرد على منكرِيها ومتأوليها، وذكر الإسراء والمعراج وبيان أنهما كانا في اليقظة، وما جاء في الحوض المورود من النصوص والشفاعة وأنواعها، وبيان أن الإقرار بالربوبية أمر فطري، والشرك طارئ، ثم ذكر التعريف بالقضاء والقدر، وبيان أنه سر الله في خلقه، وأن منشأ الضلال من هذه المسألة هو التسوية بين الإرادة والمشيئة، وبين المحبة والرضا، وبيان أن أفعال العباد هي خلق الله وأن العباد فاعلون لها حقيقة، ثم تعرَّض لذِكْر العرش، والكرسي، وإثبات الفوقية والعلوِّ، وتعريف الإيمان، وبيان أركانه وحقيقته، وأقوال العلماء في مسمى الإيمان، وأنه يزيد وينقص، وأفاض في بيان الروح وحقيقتها، واختلاف الناس في مستقرِّها ما بين الموت إلى قيام الساعة، وذكر أهوال يوم القيامة من البعث، والعرض، والحساب، والصراط، والجنة، والنار، وذكر فضائل الخلفاء الراشدين، وبقية العشرة المبشرين بالجنة، وأن التصديق بكرامات الأولياء من عقيدة أهل السنة، وتعريف الوليِّ والكرامة، والفرق بينهما وبين المعجزة، وبيان أنَّ نبيَّاً واحداً أفضلُ من

جميع الأولياء، والتحذير من تصديق العراف والكاهن والساحر، وبيان أن دين الله واحد في الأرض والسماء، وهو الإسلام، وأن الشرائع تختلف، والتعريف ببعض الفرق الزائغة عن الحق.

وفي غضون تلك الأبحاث استطرادات كثيرة، ذات فوائد جمَّةٍ تمتُّ إلى ما هو آخذٌ بسبيله بسببٍ.

وقد أقام ابن أبي العز رَحِمَهُ اللَّهُ شرحهُ هذا على قواعد وأُسسٍ مستنبطةٍ من الكتاب والسُّنة، وما كان عليه سلفُ الأمة هو غاية في القوة والدِّقةِ والإحكام، أخذها عن علماء السلف ابتداءً من صحابة رسول الله ﷺ، الذين تَلقَّوها عن إمامهم وقدوتهم ومُربِّيهم محمد بن عبد الله ﷺ، وأخذها عمن تبعهم بإحسان واقتدى بهم إلى عهده من أئمة السلف.

ثم أخذها على وجه الخصوص عن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ الذي جدَّد علوم السلف والتي تَفنَّن في التعبير عنها في مواطن متفرقةٍ من كتبهِ ورسائله، وبالغ في إيضاحها، وتقريرها، وتقويتها، وربطها بمنهج السلف الأصيل الذي كان يدعو إليه، وينتصر له، ويرى - وهو على صواب - أحقِّيته على سائر المناهج، ويُخطِّئ من يخالفه، ويلتمس الحق في غيره، لاسيماوأن هذا كله في إطار القواعد السليمة التي اتفق عليها علماء السلف والخلف، وهذه القواعدممثَّلة بما يلي:

١- القرآن مصدر الأدلة النقلية والعقلية.

٢- إتباع السلف الصالح في تفسير النصوص.

٣- الإيمان بمسائل الغيب محصورٌ في الخبر الصادق.

٤- الإيمان بأنواع التَّوحيد الثلاثة: الربوبية، والألوهية، والأسماء الصفات.

٥- إثبات الأسماء والصفات والإيمان بمعناها المعلوم، والتَّفويض لكيفياتها المجهولة.

٦- الجمع بين الإثبات والتنزيه.

٧- رفض التأويل الكلامي ومجانبة التَّعطيل.

٨- تقييد العقل وعدم الاعتداد به في غير مجاله، فهو آلة فهم للنصوص لا آلة هدم.

٩- تحديد الألفاظ المُتنازَع عليها وتعيين مدلولاتها.

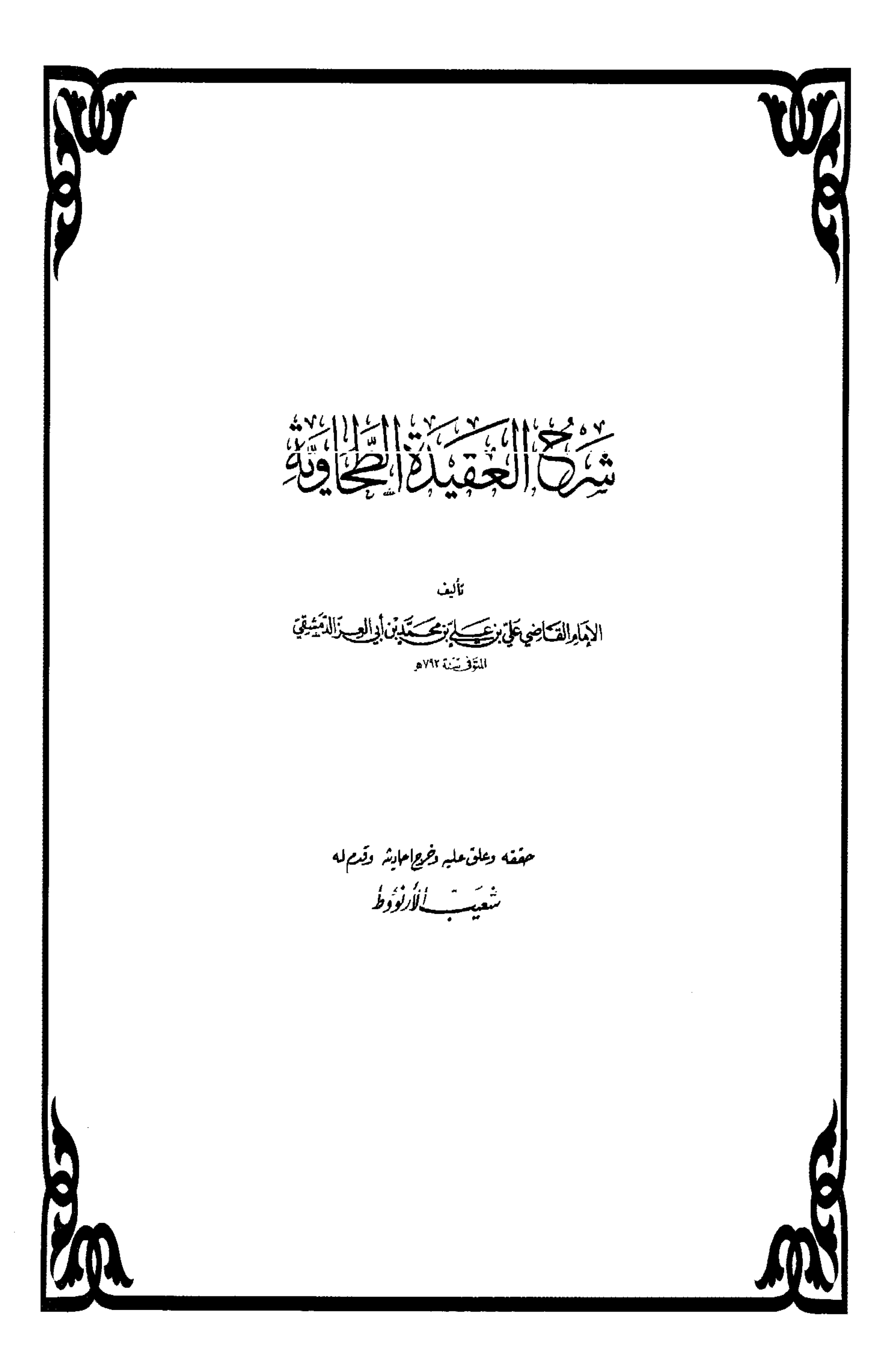
١٠- إثبات فروع العقيدة بخبر الواحد المُتلقَّي بالقبول عملاً وتصديقاً.

فهذا الكتاب دُرَّة كتب العقائد، ومنبع الخير والفوائد، وأصل الشوارد والفرائد، تميَّز واضعُ المتن فأوجز، وأحسن شارحه فوعد وأنجز، وقد بقي هذا السِّفر الحافل رَدْحاً من الزمن مريض الإخراج والطباعة، يشكو عناية أهل الصناعة.

فلم تكن ثمَّة عناية به، ولا سعي في حُسن إخراجه، حتى هيَّأ الله له شيخنا العلامة المحقق شعيب الأرنؤوط العالِـم الخبير، والمُتقِن البصير، بأصول التحقيق؛ **فنفض بنفسه وحده لا غير** غبار الجهل عنه، وأزاح تِيَاث الظلم منه، فجاء عمله مشكوراً، وصنيعه مَوفُوراً.

فأحسن الله لشيخنا في الدنيا والآخرة، فله غُنْمه، وعلى ذاك غُرْمه.

❑ ❑ ❑



شرح العقيدة الطحاوية

تأليف

الإمام القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي

المتوفى سنة ٧٩٢ هـ

حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وقدم له

شعيب الأرنؤوط

١٩ . «رياض الصَّالحين» للإمام النَّووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

فإنَّ الله جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه، بعث محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

وأنزل عليه كتابه الذي هو أصل دينه، فيه الهدى والنور لمن اتبعه، وجعل رسوله الدال على ما أراد من خاصِّه وعامِّه، وظاهره وباطنه، ومجمله ومفصَّله، وما قصد له الكتاب، فكان ﷺ بسنته القولية والفعلية هو المعبر عن كتاب الله، الدال على معانيه، الهادي إلى طرق تطبيقه.

وقد عُني صحابة رسول الله ﷺ من أقواله وأفعاله، فحفظوها في صدورهم، وقيد بعضها عدد غير قليل منهم في الصحف، ثم كانت موضع عناية العلماء الجهابذة في القرون الزاهية المشهود لها بالفضل، فسمت همتهم إلى لَـمِّ شتاتها، وتلقِّيها من أفواه سامعيها، وصدور حامليها، وحفظها وتقييدها، وتدوينها في «المسانيد»، و«الصِّحاح»، و«السُّنن»، و«المعاجم»، و«الأجزاء»، بدقة بالغةٍ، وعنايةٍ لا نظيرَ لها.

وما زالت عناية العلماء مستمرة في خدمة السنة النبوية المطهرة جمعاً وشرحاً وانتقاءً، فكان من ذلك تآليف كثيرة ماتعة، منها ما طبع، وانتشر وتداوله الناس، ومنها ما زال قابعاً في المكتبات العامة ينتظر من يقوم بتحقيقه وإخراجه.

وممن أسهم في التأليف في الحديث الشريف الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو من رجالات القرن السابع الهجري، المشهود له بالإمامة في الحديث والفقه واللغة.

وكان من أجود ما أَلَّفه في هذا الباب كتابُ «رياض الصالحين» وهو أعلى قدراً، وأرفع منزلة من أن يُنوَّه به، أو يُشاد بذِكْره، فإنه من أوسع كتب الحديث انتشاراً، وأكثرها تداولاً، فقد طبقت شهرته الآفاق، واحتل منزلة سامقة في نفوس العلماء والكتاب والخطباء والعامة.

وقد أولاهُ عناية تامة، فانتقى أحاديثه من مرويات أهل العدالة والضبط من رواة الحديث النبوي الشريف كالبخاري، ومسلم، وأبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وجمع شملها، ورتَّبها أحسن ترتيب، ونظمها أحسن نظام.

وقد قسمه إلى كتب، والكتب إلى أبواب، فجعل الكتاب عنواناً للأحاديث التي تندرج تحت أبواب كثيرة من جنس واحد، وجعل الباب عنواناً لطائفة من الأحاديث التي تدل على مسألة خاصة بعينها.

ودرج على أن يفتتح أكثر الأبواب بآيات من كتاب الله تعالى تناسب موضوع الأحاديث التي جاءت فيه، وذلك أن السنة النبوية الصحيحة في جملتها وتفصيلها بيان للكتاب الكريم، وكل ما تشتمل عليه من أحكام أصله في القرآن بقواعده الكلية، وإن لم يكن بأحكامه الجزئية في كل الأقوال.

يقول الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ السُّنة راجعة في معناها إلى الكتاب، فهي تفصيل مجمله، وبيان مشكله، وبسط مختصره، وذلك لأنها بيان له، وهو الذي دل عليه قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ﴾ فلا تجد في السنة أمر إلا والقرآن دل على معناه دلالة إجمالية أو تفصيلية.

وغرض المؤلِّف رَحِمَهُ اللهُ من تأليفه هذا أن يضع بين يدي المسلم الأحاديث النبوية الواضحة الدلالة التي لها أثر كبير في تقوية الإيمان بالله، وتوثيق الصلة به، وإخلاص العبادة له، وغرس محبة النبي ﷺ في القلوب، وتوقيره، والاقتداء بهديه، والاعتصام بسنته، وتزكية النفوس وإصلاحها، تحقيق لمبتغيها رضوان الله، وتنيله السعادة في الدنيا، والفوز والنجاة في الآخرة.

وغير خافٍ أنَّ هذه الأحاديث التي اشتمل عليها هذا الكتاب صادرةٌ عن النبي المعصوم ﷺ الذي افترض الله على العباد طاعته، واتباع سنته، والرجوع إليها فيما اختلفوا فيه من شيء، والرضى بها، والتسليم لها، وطرح ما سواها، وعدم الاعتداد بقول أحد كائناً من كان إذا كان يخالفها، أو يتأولها على غير وجهها، وقد جاء ذلك صراحةً في عدة آيات من كتاب الله، فقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ إلى غير ذلك من الآيات .

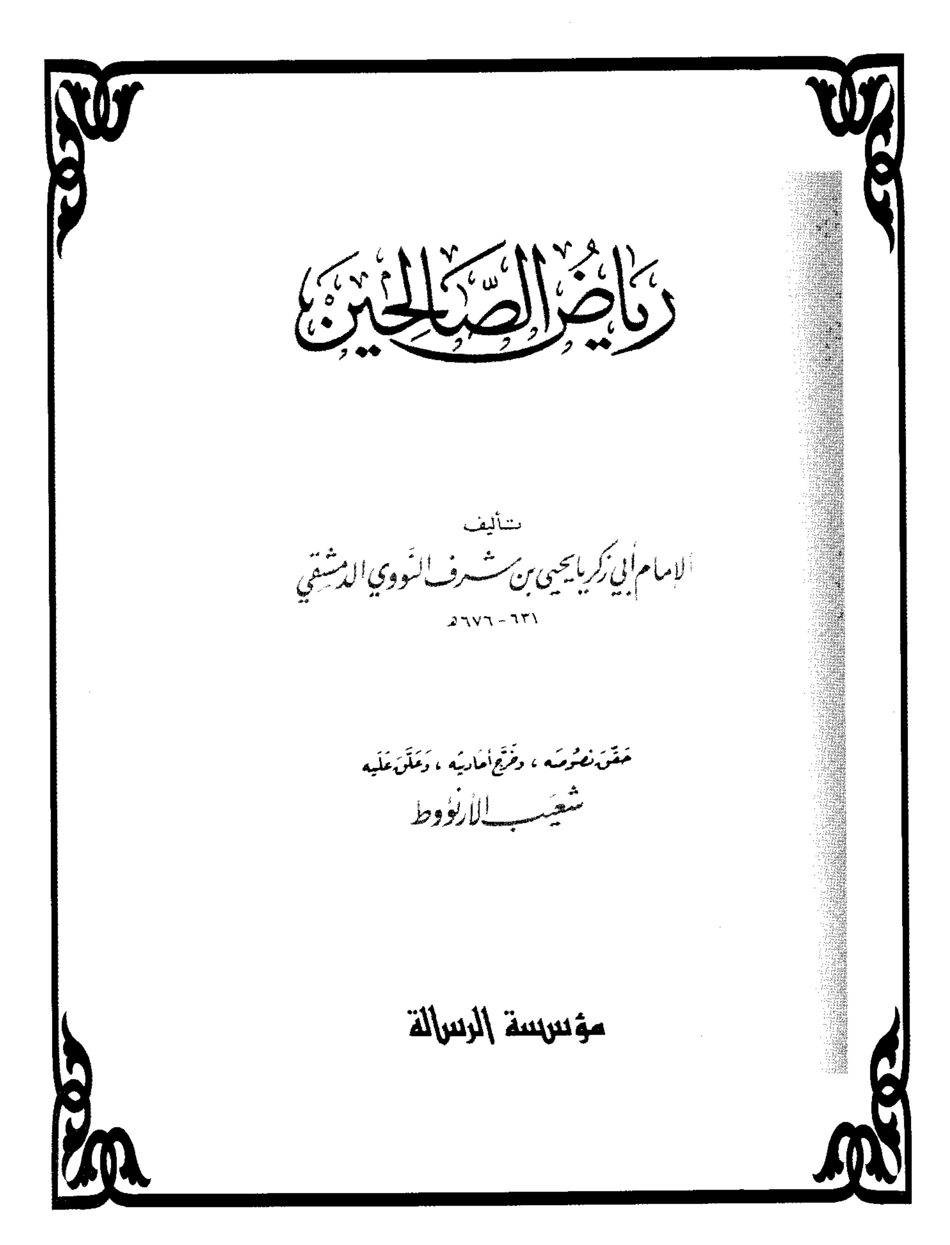
فليس للمسلم الخيار في أنْ يأخذ من أحاديث النبي ﷺ ما شاء، ويدع منها ما شاء، أو يتردد في قبولها كما هو الشأن في الكتب التي تتضمَّن آراء الرجال وأفكارهم واجتهاداتهم، بل عليه أن يأخذها كلها جملة وتفصيلاً عن رِضىً وطواعيةٍ وخُضوعٍ وتَسليم.

هذا وقد احتفل شيخنا ـ زاده الله توفيقاً ونشراً لمصنفات الحديث النبوي بأجمل وجه وأتقن عمل ـ بهذا الكتاب فاعتنى به ضبطاً وتحقيقاً

وتخريجاً وبياناً لغريبه مع نثر لفوائده وفرائده، فجزاه الله تعالى خير الجزاء، وشكر صنيعه في الدنيا والآخرة.

وسيكون في طبعة قادمة مزيد عناية ورعاية لهذا السِّفر النافع حيث الوقوف على أصل خطيٍّ نفيس لم يقع لشيخنا من قبل، وسيكون فيه إعادة النظر في شرح غريبه، وما يتعلَّق في بعض القضايا العلمية والعقائدية إن شاء الله .

❑ ❑ ❑



رياض الصالحين

تأليف

الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي

٦٣١ - ٦٧٦هـ

حقق نصوصه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه

شعيب الأرنؤوط

مؤسسة الرسالة

٢٠. «تحرير تقريب التهذيب» لشيخنا شعيب الأرنؤوط وأستاذنا الدكتور بشار عواد.

لا يختلف اثنان من أهل العلم والدِّراية في أنَّ الإمام ابن حجر شهاب الدين أبا الفضل أحمد بن علي الكناني العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ) كان شيخ الإسلام وحافظ الديار المصرية، وإمام الحفاظ في زمانه، حمل لواء السُّنة المُصطَفوِيَّة في أوانه، وصار مرجع الناس في التضعيف والتصحيح، وأبرز الشهود والحكام في التعديل والتجريح، مع الديانة المتينة، والأخلاق الحسنة الرفيعة، والمحاضرة اللطيفة، فلم تر العيون مثله، ولا رأى هو مثل نفسه.

ومع أنه كان عظيم الحظِّ في الدنيا، له من المال والجاه والرِّياسة النصيب الأوفى، لم تترفه النعمة، ولم يؤثر في عمله العاجلَ ويذر الآجلَ، فركب جِدَّة من الأمر، وحصَّن نفسه بالعلم حتى بلغ فيه الغاية، فكان تِقناً من الأتقان في حديث رسول الله ﷺ، فَرِسَ به، وضرَب آباطَ أمورِه ومغابنها، واستشفَّ ضمائرها وبواطنها، ولو لم يكن له إلا «فتح الباري»، لكفاه رفعةً في المنزلة، بله مؤلفاته النافعة الأخرى البليغة الكثرة ذوات الفوائد والعوائد، وعنايته البالغة بكتاب «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» لحافظ عصره جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي (٦٥٤-٧٤٢هـ) الذي يعد أنفس كتاب ألف في رجال الكتب الستة: البخاري ومسلم والترمذي وأبي داود وابن ماجة والنسائي، ورجال مؤلفاتهم الأخر بحيث: «كسَف به الكتب المتقدمة في هذا الشأن»

وأجمع العلماء على أنه لم يصنف مثله؛ فجاء الحافظ ابن حجر، فاختصره في كتابه النافع «تهذيب التهذيب»، ثم اختصر منه كتابه «تقريب التهذيب»، وهما مطبوعان مشهوران، يتداولها الناس، ويعتمدونها في معرفة أحوال الرجال.

لقد اختصر الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ «التهذيب» إلى نحو الثلث، وطبع في حيدر آباد في اثني عشر مجلداً في السنوات (١٣٢٥-١٣٢٧هـ)، وأبدى في مقدِّمته عدَّة ملاحظات على كتاب المزِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، من أبرزها:

١- طول الكتاب بحيث قصرت الهِمَمُ عن تحصيله، فتوجه الناس إلى كتاب «الكاشف» الذي اختصره منه الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، اختصاراً مجحفاً لا يفي بالغرض.

٢- خلوُّ بعض تراجم «التهذيب» من بيان أحوال المترجمين.

٣- محاولة المزِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ استيعاب شيوخ صاحب الترجمة واستيعاب الرواة عنه وأنه على الرغم من تمكُّنه من ذلك في أغلب التراجم، لم يكن «سبيل إلى استيعابه ولا حصره، بسبب انتشار الروايات وكثرتها وتشعبها وسعتها، فوجد المتعنت بذلك سبيلاً إلى الاستدراك على الشيخ بما لا فائدة فيه جليلة ولا طائلة».

أما منهجه في كتابه، فيمكن إجماله فيما يأتي:

١- لم يحذف من رجال «التهذيب» أحداً، وإنما زاد فيهم من هو على شرطه، كما أنه ذكر بعض التراجم التي اعتقد أنها تفيد للتمييز مما لم يذكره المزي، وحافظ على العلامات (الرُّقوم) التي وضعها المزِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الأصل

مقتصراً على ما وضعه على أسماء المترجمين دون شيوخ صاحب الترجمة والرواة عنه.

أما الفصول التي ذكرها المزِّي في المقدمة، وهي التي في شروط الأئمة الستة، وفي الحث على الرواية عن الثقات، وفي الترجمة النبوية، فقد حذفها جملةً، لوجود مادتها في الكتب المعنية بذلك.

٢- أعاد التراجم التي حذفها المزي رَحِمَهُ اللَّهُ من أصل «الكمال» وكان الحافظ عبد الغني رَحِمَهُ اللَّهُ قد ذكرها بناء على أن بعض الستة أخرج لهم، وكان المزي قد حذفهم، بسبب عدم وقوفه على روايتهم في شيء من الكتب الستة، وذكر الإمام ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ أن ذكرهم على الاحتمال أكثر فائدة من حذفهم، ونبَّه على ما في تراجمهم من عوز، أو عند وقوفه على روايتهم في الكتب المذكورة.

أما في صياغة الترجمة، فقد سار على النهج الآتي:

أ- حذفَ من الترجمة جميع الأحاديث التي خرَّجها المزي رَحِمَهُ اللَّهُ من مروياته العالية من الموافقات والأبدال وغير ذلك من أنواع العلو.

ب- اقتصر من شيوخ المترجم ومن الرواة عنه على الأشهر والأحفظ والمعروف، وحذف الباقين، إذا كان المترجم من المكثرين، وإذا كانت الترجمة متوسطة، اقتصر على ذكر الشيوخ والرواة الذين عليهم علامة في الأغلب. وإذا كانت طويلة، اقتصر على مَن عليه علامة البخاري ومسلم، مع ذكر جماعة غيرهم. وإذا كانت الترجمة قصيرة، لم يحذف منها شيئاً في الأغلب.

جـ- لم يلتزم نهج المزي في ترتيب شيوخ صاحب الترجمة والرواة عنه على حروف المعجم، لأن ذلك يؤدي على حسب قوله إلى: «تقديم الصغير على الكبير»، بل ذكر في أول الترجمة أكثر شيوخ الرجل، وأسندهم، وأحفظهم، إن تيسر له معرفة ذلك، إلا أن يكون للرجل ابن أو قريب، فإنه كان يقدمه في الذكر. وحرص على أن يختم الرواة عن الترجمة بمن وصف بأنه آخر من روى عنه، وربما صرح بذلك.

د- حذف من الترجمة أغلب الأخبار التي لا تدل على توثيق، ولا على تجريح، واقتصر على ما يفيد ذلك.

هـ- حذف كثيراً من الاختلافات المذكورة في وفاة المترجم.

و- ميز إضافاته إلى الترجمة أو تصحيحاته بلفظة: «قلتُ»، وجعلها في آخر الترجمة، وأكثر إضافاته مما يفيد التوثيق أو التجريح.

وقد انتفع الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إضافاته واستدراكاته بالمؤلَّفات التي سبقته مما وُضِعَ على «التهذيب» استدراكاً أو اختصاراً، ولاسيما «إكمال تهذيب الكمال» للعلامة علاء الدين مُغُلْطاي الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والحقُّ أنَّ مُعظم ما أضافه - من توثيق أو تجريح او اختلاف في الوفيات، أو استدراك في التراجم، سواء أكانت من التراجم التي هي من شرط المزِّي، وهي قليلة جداً، أم للتمييز - إنما أخذه من كتاب مغلطاي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فعليه كان اعتماده، لكنه انتقى منه ما وجده مُهماً حرياً بالذكر فذكره، وأهمل الباقي فأسقطه، وكانت إضافاته التي لم يأخذها عنه قليلة.

وقد قال في مقدمة «تهذيب التهذيب»: «وقد انتفعت في هذا الكتاب المختصر بالكتاب الذي جمعه الإمام العلامة علاء الدين مغلطاي على

«تهذيب الكمال»، مع عدم تقليدي له في شيء مما ينقله، وإنما استعنت به في العاجل، وكشفت الأصول التي عزا النقل إليها في الآجل، فما وافق أثبته، وما باين أهملته، فلو لم يكن في هذا المختصر إلا الجمع بين هذين الكتابين الكبيرين في حجم لطيف، لكان معنى مقصوداً، هذا مع الزيادات التي لم تقع لهما».

فرغ الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ من تأليفه سنة (٨٢٧هـ)، لكنه ظلَّ يعاود النظر فيه: يزيد فيه وينقص، ويوضح ويعدل إلى قريب من وفاته بسنتين، كما هو واضح من تواريخ الالحاقات والإضافات التي دونها على النسخة التي كتبها بخطه من «التقريب»، فكان ما دونه في هذا الكتاب خلاصة مركزة لما انتهى إليه من رأي واجتهاد وحكم في الرجال المذكورين فيه.

وأصبحت لهذا الكتاب منزلة كبيرة عند الذين يتعاطون صناعة الحديث، ويعنون بالتخريج حتى استحوذت عليهم أحكامُه بحيث كانوا يعتدون بالنتائج التي انتهى إليها من حق الرواة، وصار عامة المشتغلين بهذا الفن يكتفون بهذه الأحكام، ويقلدون تلك الآراء، فيحكمون على أسانيد الأحاديث استناداً إليها دون البحث فيها والتفتيش عنها لاسيما في هذه الأعصار التي قلَّ فيه المَعنِيُّون بهذا العلم العظيم، وكثيرٌ من المختصين هم من الذين لم يمارسوا هذا العلم ممارسة حقيقية عملية، بل اكتفوا بتعلم النظريات من غير تطبيق عملي لها، بل كان ولا يزال كثير من الذين يشرفون على طلبة العلم في الدراسات العليا في هذا الفن يوصون طلابهم بأن يكون مدرسهم الرئيس في معرفة منزلة الرواة هو كتاب «التقريب» لأنهم كانوا يرون أن الأحكام التي انتهى إليها هي أحكام قطعية لا مجال فيها للتردد،

ولا يتطرق إليها احتمال الخطأ والوهم الكبير، بل كانوا يهابون أن يوجه إلى هذا الكتاب أي نقد مهما كان شأنه.

ومن هنا كانت الحاجة الماسَّة لإعادة النظر في بعض الأحكام، فهيَّأ الله له من يقوم بهذه المهمة والتي لا يقدر عليها إلا من تضلَّع من علوم السُّنة وعلوم الرجال ولا أمثل من ذلك من شيخنا العلامة المحقق المدقق شعيب الأرنؤوط وأستاذنا الدكتور بشار عواد حتى قالا في مقدمة كتابهما:

وكنا نتعجب من صنيع أهل العلم من قبلنا، كيف أهملوا الكلام عليه، ولم يتعقبوه بشيء، ويغلب على ظننا أن مرد ذلك إلى سببين رئيسيين:

أولهما: أن مؤلفه نال شهرة واسعة في هذا الفن بحيث لم يعد أحد يفكر أن يناقش أقواله أو يبحث فيها.

وثانيهما: الاكتفاء بما فيه طلباً للدعة والراحة، وعدم النظر في الكتب التي ألفت في هذا العلم العظيم، والمقابلة بين ما انتهى إليه الحافظ في كتابه هذا من أحكام على هؤلاء الرواة، وبين ما جاء في تلك الأصول من نقول وآراء في حق هؤلاء الرواة، واستخلاص الآراء منها، والتأكد مما جاء فيها من أحكام.

والحقُّ الـمُرُّ الذي لابدَّ لنا مِن أن نُبدِيه ونُنبِّه إليه هو: أن صنيع الحافظ ابن حجر في هذا الكتاب لم يكن يتناسب مع الشهرة العريضة التي نالها، والمنزلة العلمية التي تبوأها، فالصحابة لا يحتاجون إلى أن يقال فيهم شيء، لأنهم عدولٌ باتفاق، والثقات المجتمع على توثيقهم هم ثقات باتفاق، والضعفاء المجتمع على تضعيفهم هم ضعفاء باتفاق، وكذلك من هم دونهم من المتروكين والكذابين والهلكى، أما المختلف فيهم، فقد استعمل

لهم تعابير غير محددة، فقال فيهم: «صدوق يهم» أو «صدوق يخطئ»، أو ما يشبه ذلك من غير دراسةٍ عميقة لأحوالهم، فكأنه يطالب القارئ بدراسة كل حديث من حديث هؤلاء على حدة، ليتبين للدارس إن كان وهم فيه أو لا، وهو كما يظهر عمل غير دقيق في الأغلب الأعم، إذ ماذا يحكم على حديثه استناداً إلى هذه التعابير غير الدقيقة؛ لأن الصدوق الذي يهم، أو الذي يخطئ، أو الذي عنده مناكير، وإنما هو في حقيقة الأمر حسن الحديث في مواضع ضعيف الحديث وفي مواضع أخرى، فيعتبر حديثه، فإن وجد له متابع، تحسن حديثه، وإذا انفرد ضعف حديثه، فهو عندئذ معلق الأمر لا يمكن الحكم على كل حديثه بمعيار واحد، إنما يدرس حديثه، وعلى أساس دراسة كل حديث يتم إصدار الحكم عليه، فضلاً عن أنه قد اضطرب في هذا الأمر اضطراباً شديداً، فأطلق مثل هذه الألفاظ على ثقات لهم أوهام يسيرة، وأطلقها حيناً على ضعفاء لهم أوهام كثيرة.

لكلِّ هذا رأينا أنَّ من أهمِّ الواجب علينا إعادة دراسة أحكام هذا الكتاب دراسة عِلميَّة مُتأنِّية قائمة على دعامتين رئيستين:

الأولى: ما تجمَّع لدينا من أحكام أثناء قيامنا بتحقيق «تهذيب الكمال»، وما استدركناه عليه من أقوال في الجرح والتَّعديل مما لم يقف عليه هو أو المَعنيُّون بكتابه من المُختصِرين والمُستدرِكين.

الثانية: ما يسَّر الله سبحانه لنا من خبرة عملية بالرجال وأحاديثهم بعد قيامنا بتحقيق عدد من أمَّات دواوين السُّنة النبوية، وتخريج أحاديثها والحكم على أسانيدها في مُدَّة تزيد على ثلاثين عاماً.

ثم قالا: أحكامنا هذه التي توصلنا إليها تعد من الأحكام الاجتهادية التي يغلب على الظن صحتها، وهي خاضعة للنقد، ويمكن أن يقع فيها خطأ ككل الأمور الاجتهادية.

أما الطريقة المُثلى التي تنتهي بنا إلى اليقين في هذا المطلب، فهي استقراء مرويات كل راوٍ استقراءً تاماً، والحكم عليه بمقتضى مروياته، ونحن وإن حاولنا تحقيقه هنا أو هناك، فهو أمر عسر المنال بالنسبة إلينا الآن، ولا يتم إلا باستخدام الحاسوب للإحصاء الدقيق، ثم الدراسة الجادة على ضوء ذلك، مما سيعطي نتائج فاصلة، ونرجو المولى سبحانه أن يتيح لنا أو لغيرنا ممن يتعاطى هذه الصناعة القيام بهذا العمل العظيم الذي تتحقق به الفائدة الكبرى الموصلة إلى شبه اليقين.

ولا يظننَّ ظانٌّ بأننا في مخالَفتِنا واحداً من أبرز علماء الحديث في عصره قد قمنا ببدع من العمل لم نسبق إليه، ففي تاريخ السلف الصالح من أئمة الجرح والتعديل الأُسوة في ذلك، فقد اختلفوا في توثيق الرجال وتضعيفهم بحسب ما تبيَّن لهم وأدَّى إليه اجتهادهم، وما وراء ذلك - بحمد الله ومَنِّه - إلَّا حُسن إسلام وغَيْرة على سُنَّة المصطفى ﷺ، ورد بعضهم على بعض وغلطوهم، ولم يثلم أحد بسبب ذلك، فكلُّ إنسان يُؤخَذ من قوله ويُترك إلَّا رسول الله ﷺ.[1]

والذين يقرؤون هذا الكتاب للانتفاع به نوعان كانا قَصْد تأليفه:

---

(١) وكم هي الدراسات التي قامت على كتاب الحافظ ابن حجر، والذي كان من آخرها: «تذهيب تقريب التهذيب» للشيخ طارق عوض الله في ست مجلدات !!

الأول: الباحث المُتخصِّص الذي سينظر إلى هذه الأحكام بعينٍ ناقدة فيقبلها أو يردها، ونرى من الواجب علينا التأكيد لإخوتنا من أهل العلم المُتخصِّصين به، العاملين على حفظ سُنَّة النبي ﷺ، وصيانتها ورعايتها ونشرها أننا قد بذلنا الطاقة، واستفرغنا الجهد، واستنفدنا الوسع في التدقيق والتمحيص، وأنَّ عقلنا للنُّصح مفتوح، والصدر رَحْبٌ إن شاء الله تعالى، وأنَّ ملاحظاتهم ونقداتهم العِلْميَّة ستجد كلَّ عناية واهتمام إن كانت تهدف إلى خدمة العلم.

والثاني: طالب علم ناشئٌ قد شدَا شيئاً من هذا الفنِّ وهو يريد أن يتخصَّص فيه، ولاسيَّما طلبة الحديث في الدِّراسات العليا ، فهذا الكتاب سيكون عوناً لهم في الحصول على حال الرواة بأيسر طريق، ولا يسعهم إلا أن يأخذوا بما فيه، لأنهم لما يزالوا في بداية الطريق، ولم يتأهلوا بعد للاجتهاد في هذا العلم» اهـ.

بقي أن يُقال ويُشدَّ عليه بأنَّ هذه النَّقدات هي من بابة الاجتهاد كما صرَّح المؤلِّفان في مقدمتهما، وهي قابلة للنَّظر والأخذ والرد والموافقة وهذا شأن كل كتاب خلا كتاب ربِّنا وما صحَّ في سُنَّة نبينا ﷺ، شريطة أن يكون النَّاقد معه أمران:

١- العِلْم الذي يُؤَهِّله لهذا النَّقد.

٢- وحُسن الأدب في التعامل مع أهل العلم الكبار، وبعد ذلك ففي الأمر مُتَّسع لكل نقدٍ طالما بُغية الجميع الوصول إلى الحق، ولا تثريب في ذلك.

غير أنه قد صدَر كتابٌ لأحد إخواننا الفُضلاء[1] ينقد هذا الكتاب نقداً لاذعاً، وظهر مما قرأتُ وقرأ غيري من أهل العلم أنَّ المسألة دخول للمناظرة بمقرَّرات سابقة ـ بعضها شخصي! ـ فهذا في باب العلم غير سديد، وظاهرة التَّسرع ملحوظة، فكان أنْ خرج عن طور الأدب تارات، وتعسَّف في كثير من نقداته، وبالإمكان الإجابة على ذلك كلِّه، لاسيَّما وأنَّ الحُكْم على الرُّواة مردُّه إلى الاجتهاد، فلِمَ التثريب؟

لكن كل من يقرأ كتاب الناقد ـ غفر الله له ـ يجد أشبه ما يكون التَّحامل المسبق على المؤلِّفَيْن، ناهيك عن التَّجهيل والتَّسفيه لهما، وما هذا بخُلُقٍ لخادم للسنة فضلا عن طالب علم والله، لا سِيَّما وعملهما لم يكن بِدَعاً من التَّصنيف أو النَّظر في أحكام الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ! فَلِمَ هذا الأسلوب ؟

ثُمَّ إني أخبر عن حالي، فو الله الذي لا إله غيره، حين ظهر هذا الكتاب ابتدرته ونظرتُ فيه، ثم أَسِفْتُ للقسوة الشديدة التي شنَّها، وعلَّقت كثيراً من الملاحظات على ما ذكر، وبالإمكان الجواب عن كثير مما سطَّره، وكثيرٌ مما كتب لا يُسلَّم له، أقول لهذا ليس دفاعاً ولا تبرئة لأحدٍ ولكن والله لقولةٍ عَقِلْتُها : «**حراسة العِلْم أولى من حراسة العالِـم**» فكان أن أخبرتُ شيخنا بهذا الكتاب، فو الله ما كان منه إلَّا أن قال لي بالحرف الواحد: «**ضروري جداً أن أنظر في هذا الكتاب، فقد نكون أخطأنا فنستفيد**» فدفعته لشيخنا أحسن الله إليه، فنظر فيه وقلَّب صفحاته صبيحة يومٍ كامل في مكتبه، ثم قال: «**يا أبا العالية، النَّقد مفتوحٌ لأي أحد، بل أحبُّ النقد؛ لأنَّ فيه تصحيحٌ لنا ولعِلْمنا، لاسيَّما ونحن نعمل في سُنَّة رسول الله ﷺ وما مِنَّا**

(١) وهو الدكتور ماهر ياسين الفحل غفر الله له .

أحدٌ معصوم ولكن بأدب واحترام وحُجَّة وبرهان»، ثم رفع هاتفه مباشرة واتصل بالدكتور بشار عواد، يُخبره خبر هذا الكتاب وأهمية قراءته ومطالعته فقد يكون أصاب فيما أخطأنا به فكان جواب الدكتور لشيخنا بأنه اطَّلع عليه وقد كتب ردًّا عِلْمياً عليه، وأخبره أنَّ أحد أهل العلم من المُتخصِّصين بالحديث أيضاً قد كتب ردًّا عليه، ونشره في ملتقى أهل الحديث.

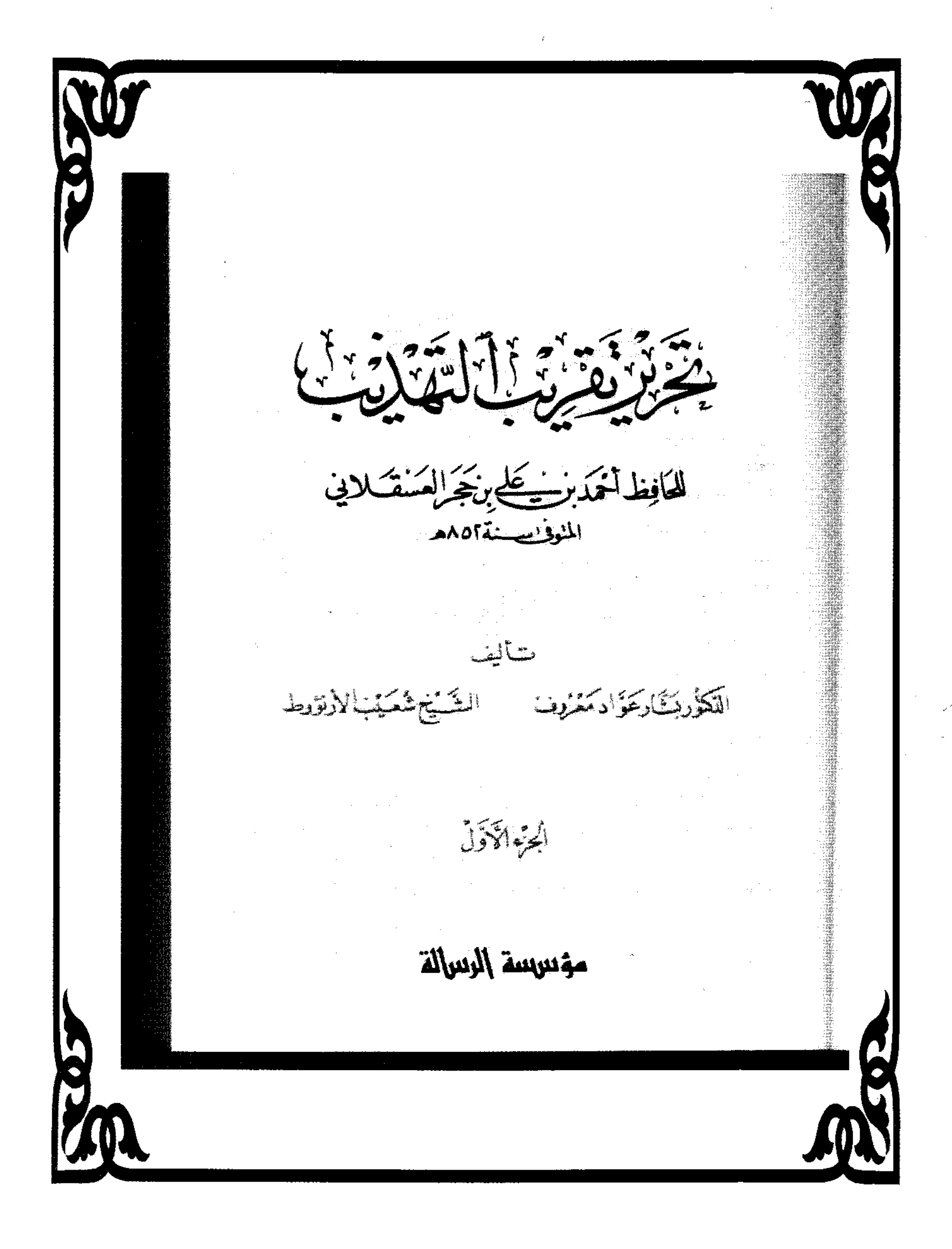
فحينها قال شيخنا: «**إذن يبقى الحكم للقارئ المُتمكِّن من هذا العلم؛ لينظر في الاجتهادات فما كان صواباً قُبل، وما كان خطأً رُدَّ على صاحبه**».

وبعد هذا أقول:

أحبُّ أن أنبِّه لأمر خطير يقع في الأوساط العلمية، وهو أنَّ مشكلة طالب العلم أنه يأخذ الأمر من بعض الأشياخ بعاطفة، فيَقبل ويردُّ لذلك، ويغفل أو يتغافل عن الخطأ بسبب العاطفة، وإذا ما تمكَّن هذا الأمر فينا، فإنه حينئذٍ يصحُّ أنْ يُقال:

ضاع العلم، وفُقِد حُرَّاسهُ، وحينها فَقُل على العِلْم السَّلام.

❑ ❑ ❑


تحرير تقريب التهذيب
للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني
المتوفى سنة ٨٥٢هـ
تأليف
الدكتور بشار عواد معروف
الشيخ شعيب الأرنؤوط
الجزء الأول
مؤسسة الرسالة

٢١. «الرَّصْفُ لِـمَا رُوي عن النبيِّ ﷺ من الفعل والوصف» للعاقولي رحمه الله

فهذا كتاب شريف المبنى، عزيز المعنى، جمع فيه مؤلِّفه أوصاف رسولنا ﷺ وأفعاله، وجملاً من أقواله، كل ذلك لكمال التعريف باسمه ونسبه ووصفه وأفعاله وأقواله، ولبيان ذلك يقول مؤلِّفه:

«فأمَّا **الاسم**: فلأنَّ السِّمة الدَّالة على مسمَّاه متى أُطلق فُهِم منه.

وأمَّا **النَّسب**: فلأنَّ الله قسَم بني آدم إلى ما قسمهم إليه من الشعوب والقبائل.

وأما **الصفات**: فلأنها تُزيل ما يبقى من الجهالة بعد التعريف بالاسم والنسب، وتجعل المَنعُوت كالحاضر، فإذا كانت صفاته جميلة حقَّقت محبَّته في سويداء القلب.

وأما **الأفعال**: فلأنها شواهد الرجال، ولهذا كان العالِـم معرِّفاً للخالق تعالى.

وأما **الأقوال**: فلأنَّها المُعرِّف الواضح لعلم القائل وكماله، ولهذا قيل: «المرء مخبوءٌ تحت لسانه» وعامَّة الكتب النقلية موضوعة لضبطها.

وأما **الأفعال**: فلم نر من اعتنى بجمعها مفصَّلة قبل كتابنا هذا، وإنما تُذكر في أثناء الأقوال، وذلك لأنَّ القول عندهم أدلُّ على الفعل، وهو كذلك إلَّا أنَّ لفعل القائل زيادة تأكيد ليست للقول وحده»

هذا وقد كسره مؤلفه على سبعة عشر فصلاً، تناول فيها:

أسماء النبي ﷺ ونسبه، ثم أوصافه وأخلاقه، ثم ثيابه وألوان لباسه، ثم الزِّينة، ثم عرَّج على ذكر الكراع وآلة الحرب والمراكيب، فذِكْر الإبل والماشية، ثم الموالي والخدم والرُّسل والكُتَّاب والمُؤذِّنين، ثم المدينة ومسجده وقباء

وبُيوتَاته ومواضع صلاته، ثم تناول العبادات، فالمعاملات، ثم النكاح، ثم الجراح والقصاص والديات، ثم أبان عن الصيد والذبائح والأطعمة، فالرُّقى والطب، فآدابه وتواضعه، ثم ما أخبر بما يكون بعده من الفتن والمعجزات التي أخبر عنها، وأخيراً في ذكر مرضه ووفاته ﷺ وأحواله بعد موته .

ومما يُميِّز هذا الكتاب الفريد أنه ذيَّل هذه الفصول بشرح غريب كل فصل منها، فجاء موسوعة شاملة .

ولتحقيق هذا الكتاب خبر، فقد طبع الكتاب في مؤسسة الرسالة في مجلدين دون وضع اسم شيخنا المحقق له، وسبب ذلك :

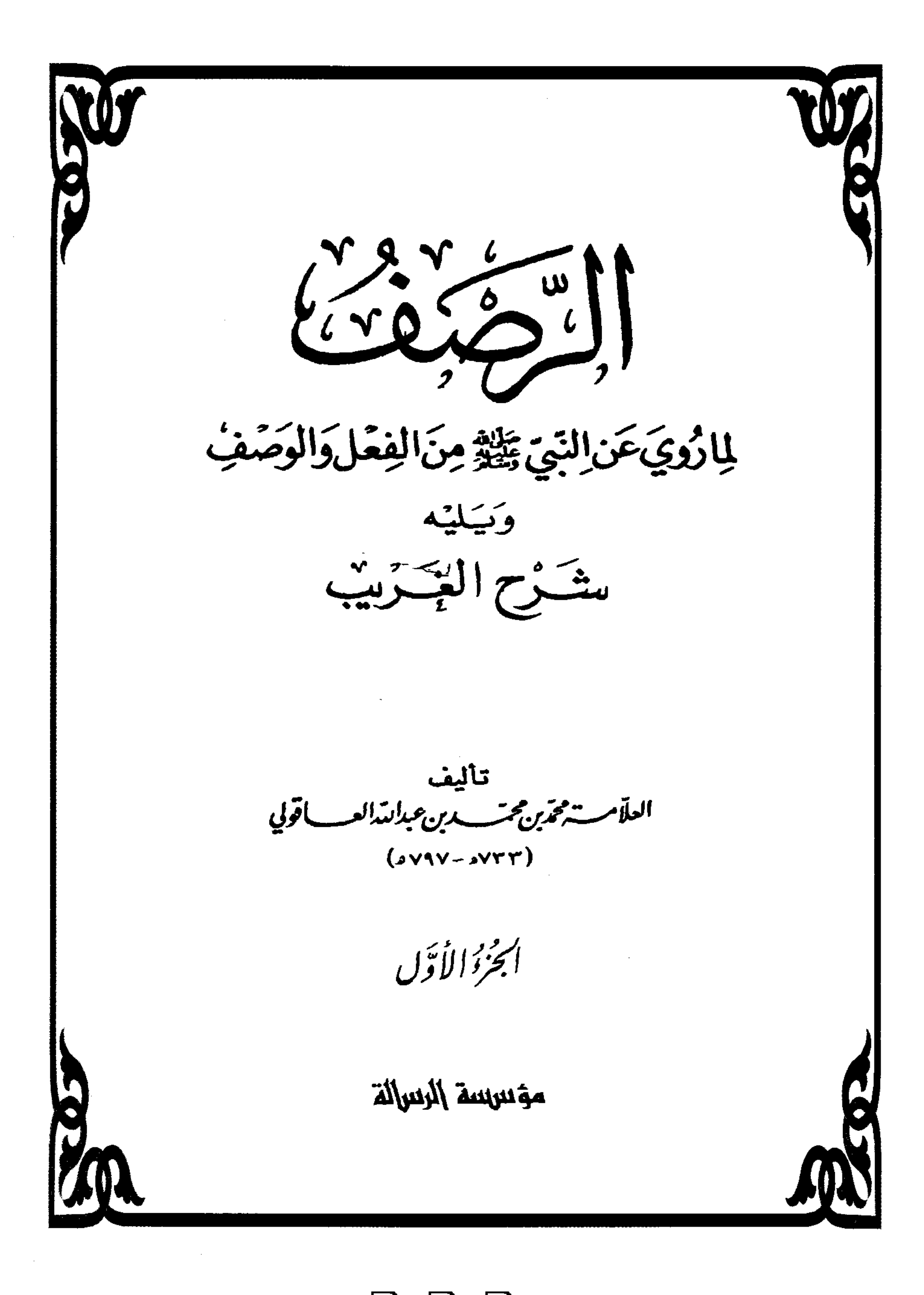
ما حدَّث به شيخنا في إحدى مجالسه العِلْميَّة في تجربته في تحقيق التراث، فتحدَّث عن قصة تحقيق هذا الكتاب، فقال :

أنَّ أحد أبناء الكويت الفضلاء عمَد إلى مكتب الشيخ ووَهبَه مخطوطة له رجاء تحقيقها ونشرها شريطة أن لا يذكر اسمه ولا اسم المُحقق؛ ليكون خالصاً لله تعالى، وهذا بطَلَب ممن وَهب الأصل الخطي.

بعد ذلك كلِّه وافق شيخنا على تحقيق الكتاب، وأعدَّ العُدَّة له، وشرع في تحقيقه بمنهج متوسط يُناسب كُتب «السِّيَر» و«المغازي» و«الشمائل»، فخرج الكتاب في مجلدين، وانتفع به طلبة العلم ومُحبُّو السِّيَر .

فأسأل الله أن يجعل نفع وأجر هذا الكتاب في ميزان مؤلِّفه، والدَّال عليه، ومُحقِّقه .

❑ ❑ ❑



الرَّصْف

لما روي عن النبي ﷺ من الفعل والوصف

ويليه

شرح الغريب

تأليف

العلامة محمد بن محمد بن عبد الله العاقولي

(٧٣٣هـ - ٧٩٧هـ)

الجزء الأول

مؤسسة الرسالة

٢٢. «الدَّاء والدواء» لابن قيِّم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ

فهذا كتابٌ تربوي نافعٌ عزيز، كبير الفوائد، كثير العوائد، وهو بعد هذا من أحسن الكتب في معالجة أمراض النُّفوس وتهذيبها، وبيان خطر الذُّنوب وفسادها وإفسادها.

وقد جاء هذا الكتاب الحافل إجابةً لسؤال سائلٍ يسأل عن مرض خطير جداً، يتعلَّق بالقلوب وعِللها، إذا أصاب المرءَ سهمٌ منه، فقد أصاب مقتلاً، وإذا وقع هذا السَّهم في قلب المسلم، أفسد عليه دينه ودنياه، وصعب عليه وعسر التخلَّص منه، إنه داء العِشْق!

فما كان من الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو طبيب القلوب الذي يستمدُّ طِبّه من كلام الحكيم الخبير، وسُنَّة النَّذير البشير، إلَّا أن يُحسن معالجة هذا الدَّاء؛ إذ رأى أنَّ إجابة هذا السؤال لا يحسن له إلَّا الإفاضة والرِّفادة؛ لبُغية الإفادة، فشرع في فصول نافعة مُهمَّة، تتعلَّق بالدُّعاء ومسائله وأحكامه، **وهو في ذا الفصل الشريف، من أحسن من تناول هذا الباب على وجازته، فكيف لو استفرغ جهده ووقته لإفادته؟**

ثمَّ عرَّج على خطر الذُّنوب والمعاصي، وبيان آثارها على العباد والبلاد، بل حتى على البهائم، وبيان عقوباتها في الدنيا والآخرة.

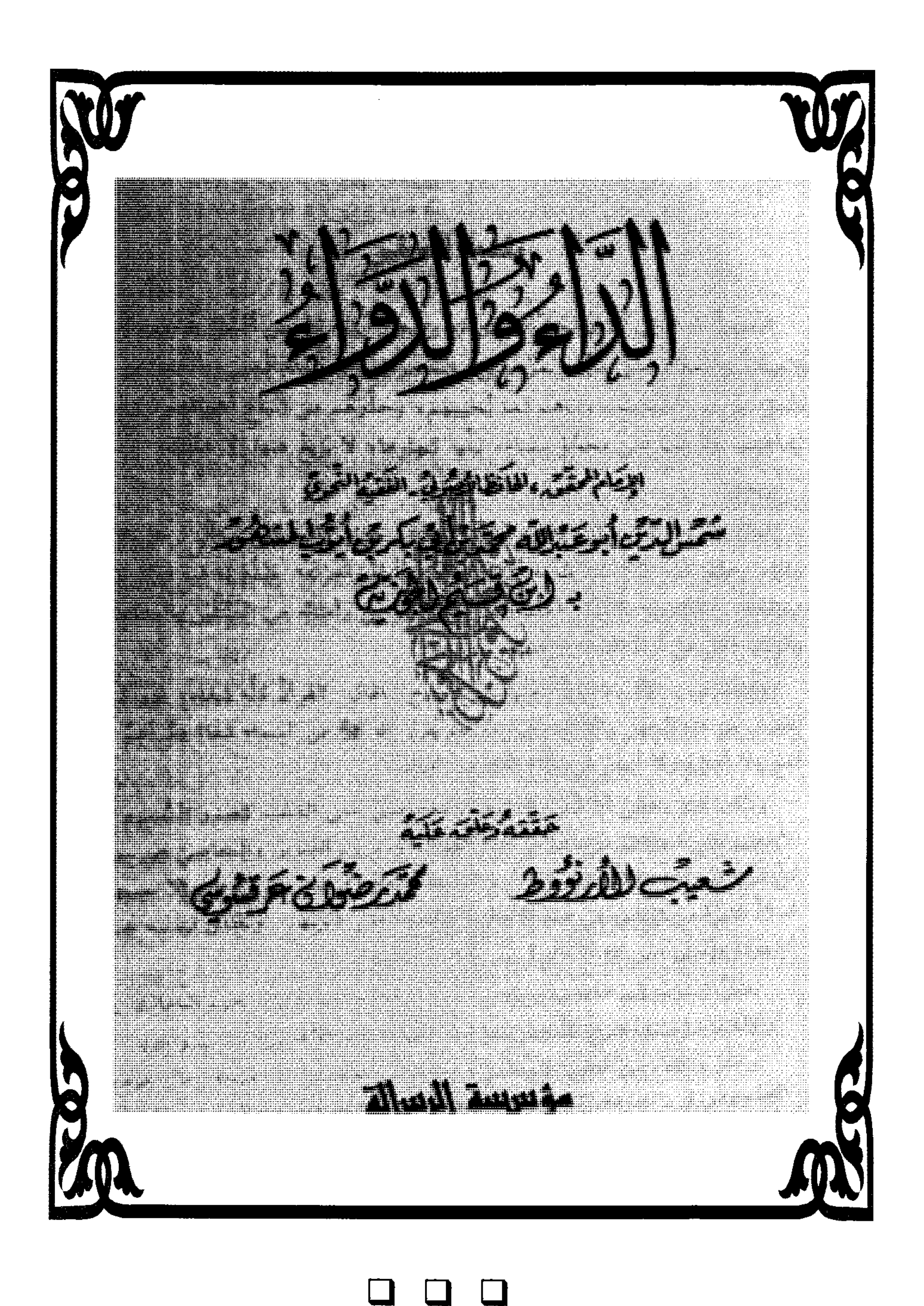
فبهذه الفوائد والدُّرر النَّفيسات، والبيِّنات الشافيات، جاء الجواب في كتاب حافل واسع؛ ليشفي تلكم القلوب العليلة، والنُّفوس المريضة، فأحسن الله لهذا الإمام صُنْعه، ورفع درجته في عِلِّيين، وجمعه مع الانبياءوالصالحين، وحَسُن أؤلئك رفيقا.

هذا، وحَظِيَ هذا العِلْق التربوي النفيس بعناية شيخنا ورفيقه، فخَدَما الكتاب خِدْمة جليلة تليق به مختصرة، فغدا في حينه شامة بين طبعاته السَّابقة، وقد صدر أيضاً مؤخَّراً مُحققاً تحقيقاً علمياً عن عالم الفوائد.

ألا فَلْتقِرَّ أَعين المُربِّين، والدُّعاة، و الوُعَّاظ به.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

❑ ❑ ❑


الداء والدواء
حققه وعلق عليه
شعيب الأرنؤوط
محمد رضوان عرقسوسي
مؤسسة الرسالة

❑ ❑ ❑



الطور الثالث

وهذا الطَّورُ هو خاصٌّ ببعض الكتب التي صدرت عن غير مؤسسة الرسالة، ومنها :

١ . «جلاء الأفهام » لابن قيِّم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

فهذا كتابٌ لطيف ظريف، جاء مَقصد المؤلِّف فيه لبيان فضل الصلاة على النبي ﷺ، وقد أبان مؤلِّفُه في غير ما موضع من كتبه عن موضوع هذا الكتاب ، فقال في أحد مصنَّفاته :

«كتاب «جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام» وهو كتاب فَرْد في معناه لـم يُسبق إلى مثله في كثرة فوائده وغزارتها، بيَّنا فيه الأحاديث الواردة في الصلاة والسلام عليه، وصَحيحها من حسنها ومعلولها، وبيَّنا ما في معلولها من العِلل بياناً شافياً، ثمَّ أسرار هذا الدعاء وشرفه وما اشتمل عليه من الحِكَم والفوائد، ثم مواطن الصلاة عليها ومحالِّـها، ثم الكلام في مقدار الواجب منها، واختلاف أهل العلم فيه وترجيح الرَّاجح وتزييف المزيف، ومَخبر الكتاب فوق وَصْفه»[١] .

وقد أوضح أيضاً فيه مصنِّفه ما يرتبط به من المسائل كبيان أسماء النبي ﷺ والفرق بين «محمد» و «أحمد».

وكذا تناول بياناً كبيراً عن نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ومناقبه.

وكذا تعرَّض لآل النبي ﷺ وبيان فضلهم وشرفهم .

ثمَّ ختَم كتابه ببيان أربعين ثمرة من فضل الصلاة على المصطفى ﷺ .

---

(١) «زاد المعاد» (١/ ٨٥)

فهو بحقٍّ كتابٌ فَرْدٌ فَذٌّ في معناه ومَبناه، وهو مِن أَجمع ما أُلِّف في بابه، ولأهمِّيَّته العُظْمى رغب شيخنا والشيخ عبد القادر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تخريج أحاديثه والتعليق عليه، بعد مراجعته ومقابلته على أصوله الخطية.

وقد صدر عن دار العروبة، ومكتبة المؤيَّد، ودار البيان .

هذا وثمَّة طبعات أخرى أكثر إتقاناً من هذه، وقد صدر مؤخَّراً مُحققاً تحقيقاً علمياً عن عالم الفوائد.

فجزى الله الجميع خير الجزاء .

❑ ❑ ❑



جلاء الأفهام

في الصلاة والسلام على خير الأنام

لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن قيم الجوزية

٦٩١ - ٧٥١هـ

خرّج أحاديثه وعلّق عليه

شعيب الأرنؤوط   عبد القادر الأرنؤوط









٢. «مختصر منهاج القاصدين» لابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ويُعدُّ كتاب «إحياء علوم الدين» للإمام الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ منهاجاً لأخلاق المسلم وعباداته التي أمر بها، والمنْهِيَّات التي نُهِيَ عنها، وذلك أن مؤلِّفه قد حشد في كتابه من أنواع الأخلاق والآداب ما جرى على ذاكرته، ففسرها وحللها وحض عليها، وجرى مثل ذلك في الأخلاق والممارسات السيئة، ففسَّرها وحللها وحضَّ على التَّباعد عنها، فكان كتابُه كتاب أخلاق وتربية، جعله يمتاز في نوعه عن أمثاله من الكتب، حتى إذا ما ظهر أحدث ظهوره ضجَّة كبيرة بين ناقد ومُنتصر له، وينحصر النَّقد فيه في اشتماله على الأحاديث الموضوعة التي أوردها الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيه، وعلى بعض الحكايات التي تقتل من شخصية الإنسان إنسانيته وتجعله يَهِيمُ في كلمات وَهْمِيَّة لا تأتي بخير للإنسان، وكان في طليعة النَّاقدين له العالم الكبير عبد الرحمن بن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٥١٠- ٥٩٧هـ) فقد نقده نقداً مُرَّاً، ولكنه لم يكتف بالقول فقط بل عمد إلى أمر عملي، فرجع إلى الأحاديث الموضوعة فحذفها، وأثبت مكانها الأحاديث الصحيحة وعمد إلى الكلمات والألفاظ والحكايات التي لا طائل تحتها، فحذفها.

وسمَّى هذا الكتاب «منهاج القاصدين» ولكنَّه لم يخرج عن المنهج الأول الذي وضعه الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «الإحياء» وكان عملاً مفيداً جداً؛ كونه لم يكتف بالتهويل والتهويش فحسب، بل عمد إلى ما ينفع الناس ويفيد المجتمع فكان جهده إصلاحاً حقيقياً ذا فائدة عظمى، ولكن كتاب «الإحياء» كان يحوي نقداً آخر هو في الدرجة الثانية بعد النقد الأول، فالغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ملأ كتابه بأبحاث فقهية جعلت الكتاب يتضخم ويدعو إلى

التذمر من كبر حجمه، إلى أنْ جاء في القرن السابع أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فخلَّصه من المسائل الفقهية؛ لأنَّ موضعها كتب الفقه، وجعله كتاباً يُعنى بالجانب الأخلاقي والتربوي، وقد صرَّح ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في طليعة تهذيبه للكتاب فقال:

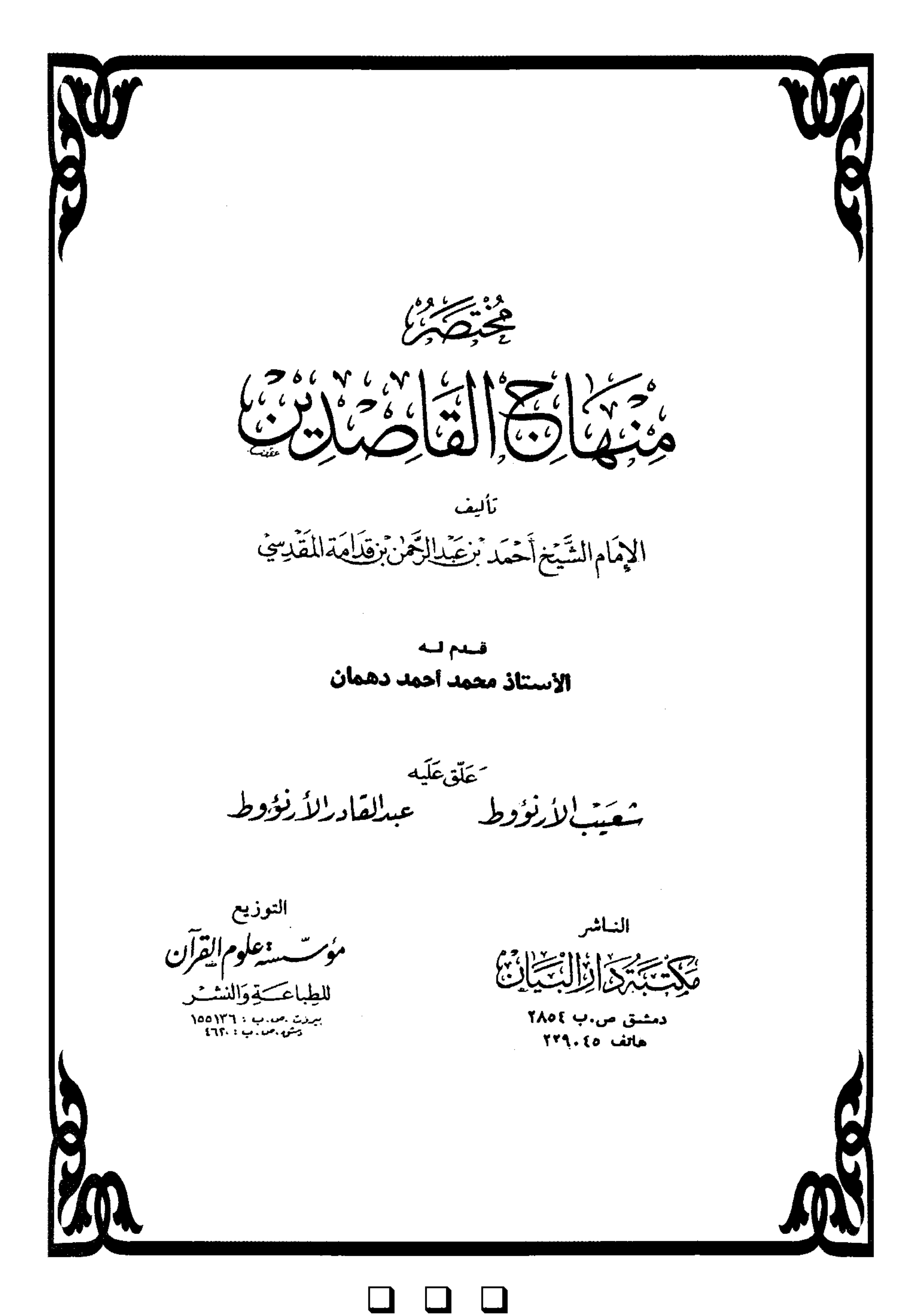
«فإني كنتُ وقفت مرَّة على كتاب: «منهاج القاصدين» للشيخ الإمام العالم الأوحد، جمال الدين ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، فرأيته من أجلِّ الكتب وأنفعها، وأكثرها فوائد، فحصل عندي بموقع، ورغبتُ في تحصيله ومطالعته، فلما تأمَّلته ثانياً، وجدته فوق ما كان في نفسي، لكن رأيته كتاباً مبسوطاً، فأحببتُ أن أعلِّق منه هذا المُختصَر الذي قد احتوى على أكثر مقاصده، وأجلِّ مهماته وفوائده سوى ما ذكر في أوائله من مسائل ظاهرة تتعلق بالفروع، فإنها مشهورة في كتب الفقه المستفيضة بين الناس، إذ كان المقصود من الكتاب غير ذلك.

ولم ألتزم فيه المحافظة على ترتيبه وذكر ألفاظه بعينها، بل ذكرت بعضها بالمعنى قصداً للاختصار، وربما ذكرت فيه حديثاً أو شيئاً يسيراً من غيره إن كان مناسباً له، والله تعالى أعلم»

فجاء كتابنا هذا مختصراً للمختصر، وحوى دروساً رائعة في الأخلاق المقتبسة من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسُنَّة رسوله ﷺ ، ويسَّر الانتفاع بها لكل من رضي بالله تعالى ربَّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً، فهو على صِغَر حجمه غزير النَّفع، عميم الفائدة، جليل الأجر، تعاقب على دراسته والإفادة منه طلبة العلم قديماً وحديثاً.

ومن هنا كانت عناية شيخنا حفظه الله ورفيق دربه الشَّيخ عبد القادر الأرنؤوط رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذا الكتاب التربوي وخدمته في تخريج أحاديثه، والتعليق عليه بجملة من الفوائد، والتعليقات العلمية النافعة، كل ذلك بعد أن قوبل على عدة نسخ خطية في دار البيان بدمشق، فجزى الله كلَّ من قام على نشره، وتقديمه للعباد للانتفاع به، والله الموفِّق.

❑ ❑ ❑



مختصر

منهاج القاصدين

تأليف

الإمام الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي

قدم له

الأستاذ محمد أحمد دهمان

علق عليه

شعيب الأرنؤوط — عبد القادر الأرنؤوط

الناشر

مكتبة دار البيان

دمشق ص.ب ٢٨٥٤

هاتف ٢٢٩٠٤٥

التوزيع

مؤسسة علوم القرآن

للطباعة والنشر

بيروت ص.ب : ١٥٥١٣٦

دمشق ص.ب : ٤٦٢٠

❑ ❑ ❑



الطور الرابع

الأعمال التي أشرف عليها

ثمَّة أعمالٌ علمية أشرف عليها شيخنا، وقد تنوَّع هذا الإشراف ما بين تخريج أو تحقيق .

ومنها :

١. «مختصر الرُّوضة» للطُّوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ويكاد يكون تحقيقاً كاملاً لشيخنا، وله قصة مُؤلِمة في تحقيقه، ولكن عند الله الموعد .

٢. «غاية المرام» للشيخ عبد المحسن العبيكان وفَّقه الله .

٣. «الإجابة فيما استدركته عائشة على الصحابة» للزركشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

٤. «تهذيب الكمال» للمِزِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

٥. «تهذيب سير أعلام النبلاء» للحمصي .

٦. «مفتاح السعادة في توحيد العبادة» للشَّيخ صلاح البدير إمام الحرم المدني حفظه الله .

٧. «السُّنن الكبرى» للنسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

٨. «الجامع الصحيح» للإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ ،الإصدار الأول .

٩. «فتح الباري شرح صحيح البخاري» للحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو قيد العمل .

❑ ❑ ❑

❑ إهدَاءاتُ أهلِ العِلْم له وصِلتُه معهم :

الإهداء سنَّةٌ نبويَّة، وقد رغَّب فيه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، فقال : «تَهَادَوْا، فَإِنَّ الـهَدِيَّةَ تُذْهِبُ وَغَرَ الصَّدْرِ»(١)، وهي شِعارُ محبَّة وودٍّ وَوِئام، ولقد امتلأت مكتبة شيخنا العامرة بالكتب المُهداة له، فرأيتُ أن أقتني منها صُوَراً تبيِّن روح الأخوَّة القائمة بين الشَّيخ وبين أحبابه من أهل العلم وتلامذته أو من بعض الكُتَّاب الذين عرفوا قَدْر الشَّيخ وقيمة عَملِه العِلْميِّ المتميِّز، فأهدوه بعضاً من مُصنَّفاتهم وجعلوها رَسُول عِلْم، وحبٍّ وعنوانَ شُكرٍ وعرفان وتقدير .

وهذه سنَّة حسنة، قد سلكها أهل العلم قديماً وحديثاً ؛ لِـمَا لها من فوائد كثيرة جداً، **ومن فوائدها :**

أنها تُوقِف القارئ على مسائل علمية كثيرة في تلك المصنَّفات، فإنْ تَعلَّمها وعلَّمها، كان للمُهدِي بذلك كله أجرٌ.

ومن أعظم فوائدها مع المخالِف : أنها تعرض المسائل المختلف فيها بأسلوب حسن، بعيدٍ عن الحِدَّة في المناظرات والمناقشات، بل إنها تحمله على طبق من المحبَّة والودِّ والوفاء، وكأنَّها بأسلوب غير مباشر تدعوه للنَّظر في المسألة وأدلتها، وهي بأثرها الفعَّال في النُّفوس، تحكي بصوت المحبِّ، قد سُقتُ لك عِلْمي وأدلَّتي مع الحبِّ، فلا تجعل العناد والكِبَر شعاراً لك.

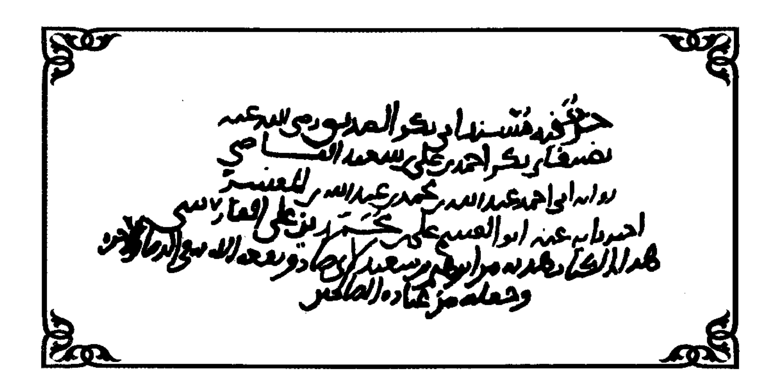
---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٩٢٥٠) من حديث أبي هريرة ﷺ، وهو حديث حسن .

وأخرج البخاري في «الأدب المفرد» (٥٩٤) حديث أبي هريرة ﷺ أيضاً بلفظ : «تهادوا تحابُّوا» وهو إسناده حسن .

ومن لطيف الموافقات: أنْ وجدتُ أوَّل كتاب حديثيٍّ حقَّقه شيخنا، وهو «مسند أبي بكر الصديق» للمروزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قد جاء في مخطوطته أنه هديَّة، حيث دُوذِن على طُرَّته : « **هذا الكتاب هدية من إبراهيم بن سعيد، لأبي صادق، نفعه الله به في الدنيا والآخرة، وجعله من عباده الصالحين**»

وهاك صورة ذلك الأصل الخطي :



جزء فيه مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه
تصنيف أبي بكر أحمد بن علي بن سعيد القاضي
رواية أبي أحمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن العسكري
أخبرنا به عنه أبو القاسم علي بن محمد بن علي الفارسي
هذا الكتاب هدية من إبراهيم بن سعيد لأبي صادق نفعه الله به في الدنيا والآخرة
وجعله من عباده الصالحين

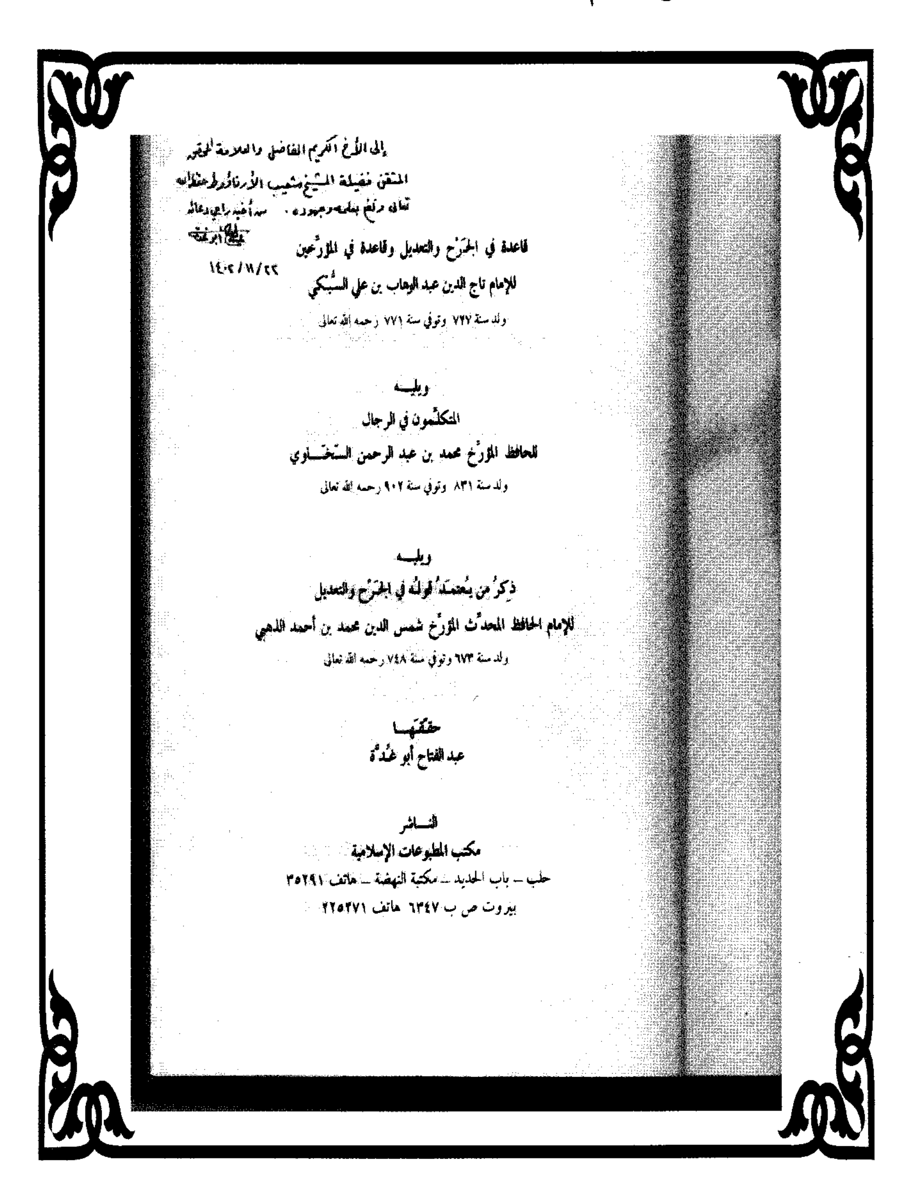
وفيما يلي طائفةٌ حسنةٌ انتخبتُها[1] مِن الإهداءاتِ التي أُهدِيت لشيخنا، أو أَهدَاها شيخُنا لأهل العِلْم أو لِمُقيِّد هذه الرَّحلة .



---

(١) هذا ما ظهر لي أن أنتخب منها، وإلا لو أردتُ أن أسرد كلَّ ما وقفت عليه من الاهداءات في مكتبة شيخنا حفظه الله تعالى لطال بي المقام، ولتجاوزت الصفحات المئات، ولكنَّه قليل النفع، وحسبي أني اقتصرت على ما يُعطي صورة واضحة بين الشَّيخ وأحبابه من أهل العلم والفضل، وحُسْن ذلك يكمُن في ذلك .

أولاً : إهداءاتُ أهل العِلْم لشَيْخِنا :



إلى الأخ الكريم الفاضل والعلامة المحقق
المتقن فضيلة الشيخ شعيب الأرناؤوط حفظه الله
تعالى ونفع بعلمه وجهوده . من أخيه راجي دعائه
عبد الفتاح أبو غدة
١٤٠٢/١١/٢٢

قاعدة في الجرح والتعديل وقاعدة في المؤرخين
للإمام تاج الدين عبد الوهاب بن علي السُّبكي
ولد سنة ٧٢٧ وتوفي سنة ٧٧١ رحمه الله تعالى

ويليــه
المتكلّمون في الرجال
للحافظ المؤرّخ محمد بن عبد الرحمن السّخـــاوي
ولد سنة ٨٣١ وتوفي سنة ٩٠٢ رحمه الله تعالى

ويليــه
ذِكرُ من يُعتمَدُ قولُه في الجرح والتعديل
للإمام الحافظ المحدِّث المؤرِّخ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي
ولد سنة ٦٧٣ وتوفي سنة ٧٤٨ رحمه الله تعالى

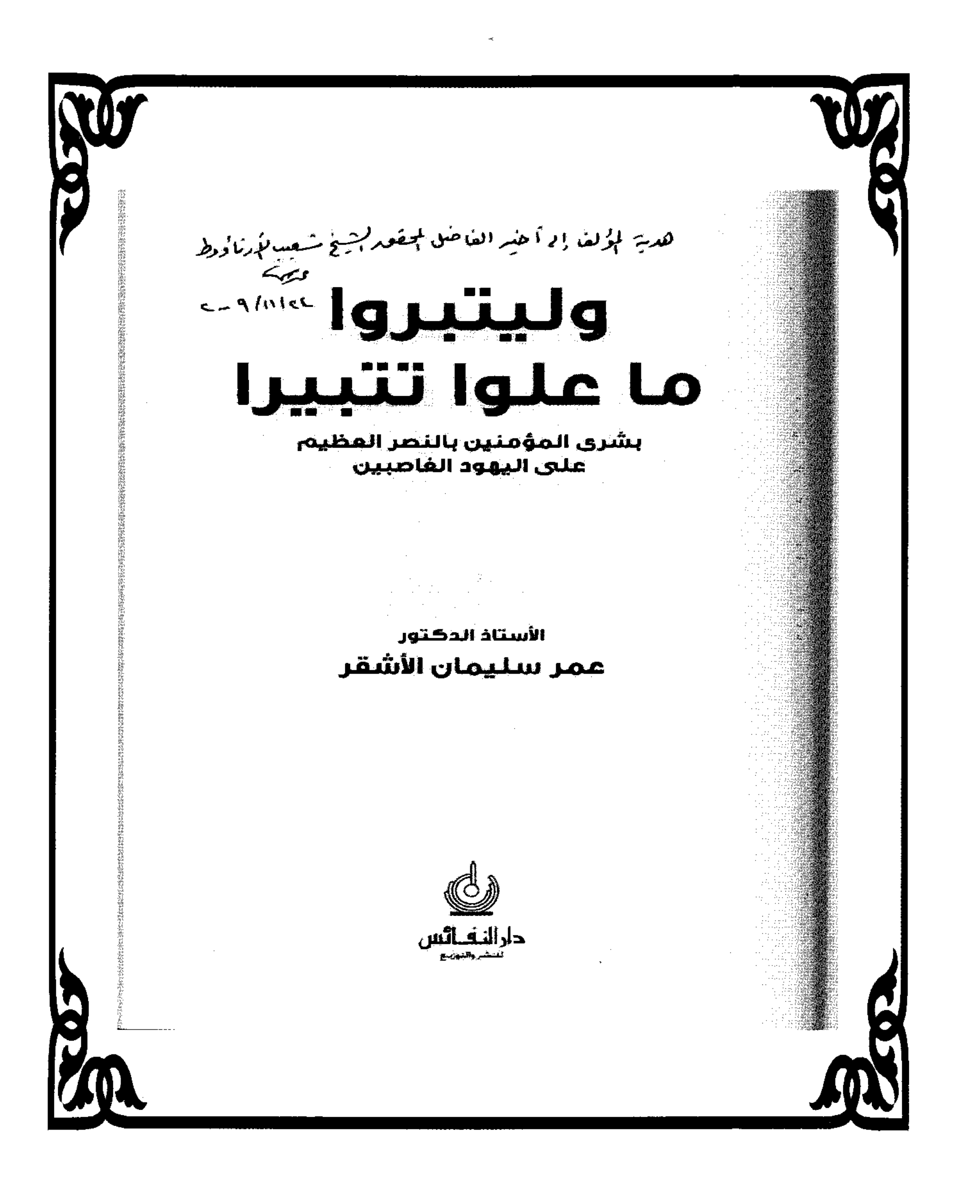
حقّقَهـــا
عبد الفتاح أبو غُدّة

النـــاشر
مكتب المطبوعات الإسلامية
حلب ـ باب الحديد ـ مكتبة النهضة ـ هاتف ٣٥٢٩١
بيروت ص ب ٦٣٤٧ هاتف ٢٢٥٢٧١

نص الإهداء

إلى الأخ الكريم الفاضل، والعلامة المحقق المتقن: فضيلة الشيخ شعيب الأرناؤوط حفظه الله تعالى، ونفع بعلمه وجهوده .

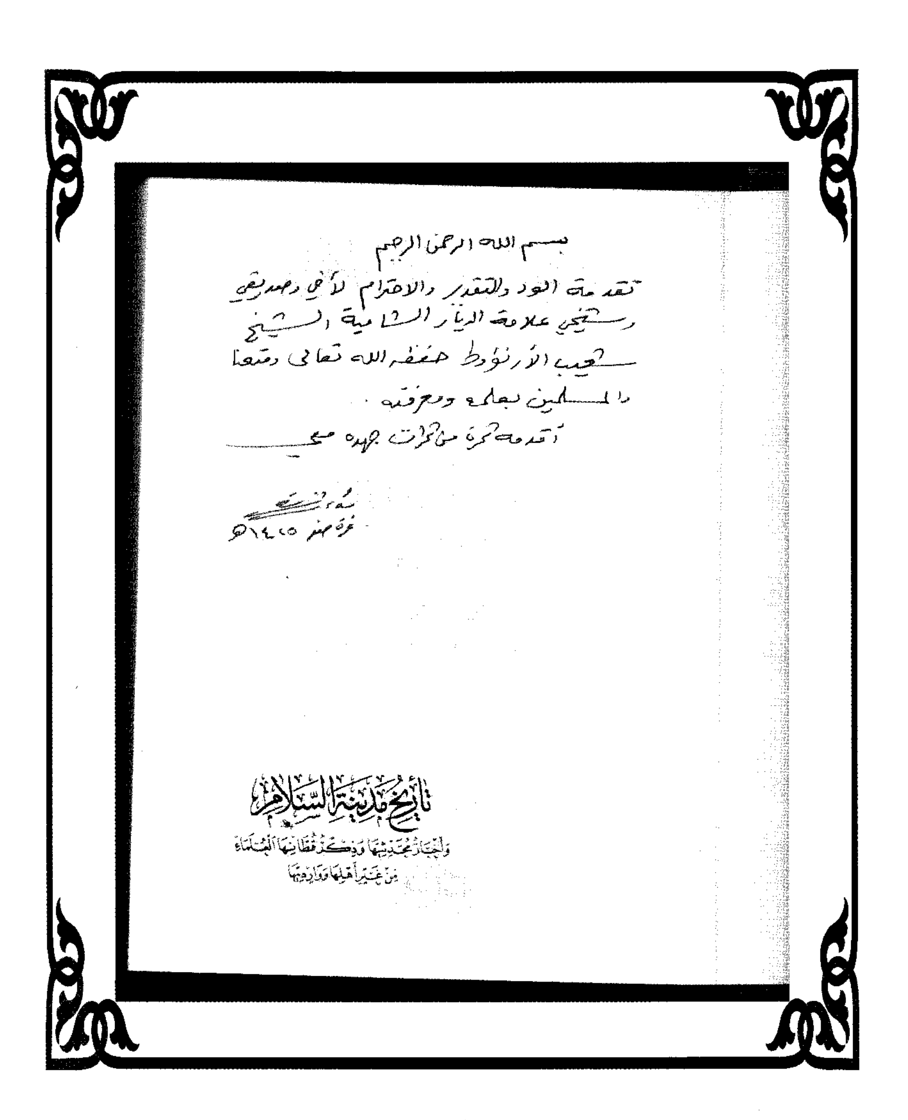
عبد الفتاح أبو غدة



نص الإهداء

هدية المؤلِّف إلى أخيه الفاضل المحقق الشيخ شعيب الأرناؤوط .

عمر الأشقر



بسم الله الرحمن الرحيم
تقدمة الود والتقدير والاحترام لأخي وصديقي
وشيخي علامة الديار الشامية الشيخ
شعيب الأرنؤوط حفظه الله تعالى ومتعنا
والمسلمين بعلمه ومعرفته.
أقدمه ثمرة من ثمرات جهده معي

بشار
غرة صفر ١٤٢٥هـ

تاريخ مدينة السلام
وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء
من غير أهلها ووارديها

نص الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم : تقدمة الودِّ والتقدير والاحترام لأخي وصديقي وشيخي علامة الدِّيار الشامية الشيخ شعيب الأرنؤوط حفظه الله تعالى ومتَّعنا والمسلمين بعلمه ومعرفته، أقدِّمه ثمرة من ثمرات جهده معي .

د. بشار عواد معروف

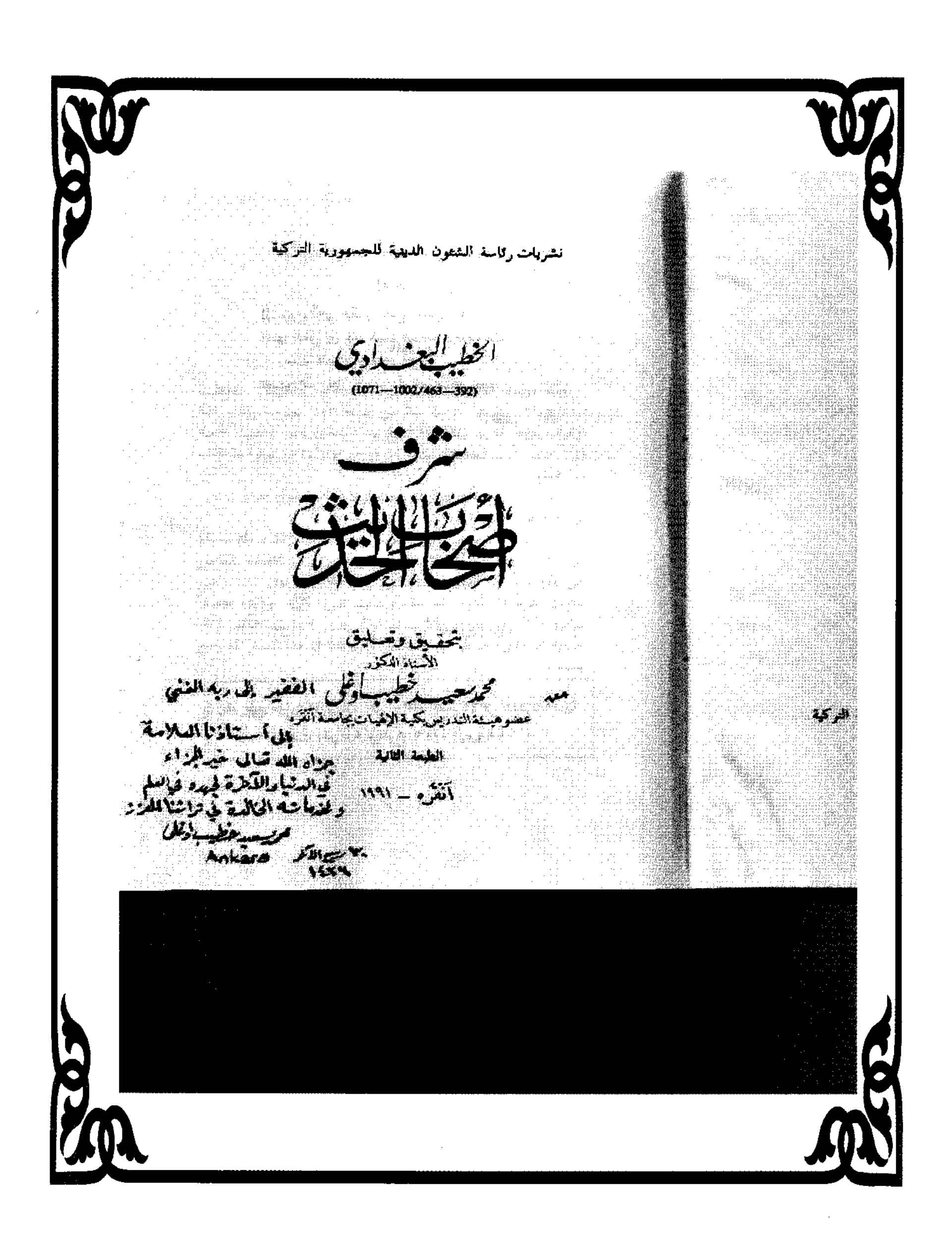

هدية مع التحية والتقدير لكعبة مطاف الطالبين
ومنهل الواردين محدث العصر ومحدث الفقهاء وفقيه
المحدثين الشيخ شعيب الأرناؤوط
مع رجاء دعواته الصالحة في أوقاته الرابحة
من محبه الواله
محمد بن ناصر العجمي
دمشق الفيحاء
شعبان ١٤٢٢ هـ

كشف المخدرات
والرياض المزهرات
لشرح أخصر المختصرات
١

نص الإهداء

هدية مع التحيَّة والتقدير لكعبة مطاف الطالبين، ومنهل الواردين، محدِّث العصر، ومحدِّث الفقهاء، وفقيه المحدِّثين، الشيخ شعيب الأرناؤوط، مع رجاء دعواته الصالحة في أوقاته الرابحة، من محبِّه الواله

محمد بن ناصر العجمي



نشريات رئاسة الشئون الدينية للجمهورية التركية

الخطيب البغدادي

(392—463/1002—1071)

شرف أصحاب الحديث

تحقيق وتعليق

الأستاذ الدكتور

محمد سعيد خطيب اوغلي الفقير إلى ربه الغني

عضو هيئة التدريس بكلية الإلهيات بجامعة أنقره

إلى أستاذنا العلامة

الطبعة الثانية

جزاه الله تعالى خير الجزاء

في الدنيا والآخرة لجهده في العلم

أنقره ـ ١٩٩١

ولخدماته الخالدة في تراثنا العزيز

محمد سعيد خطيب اوغلي

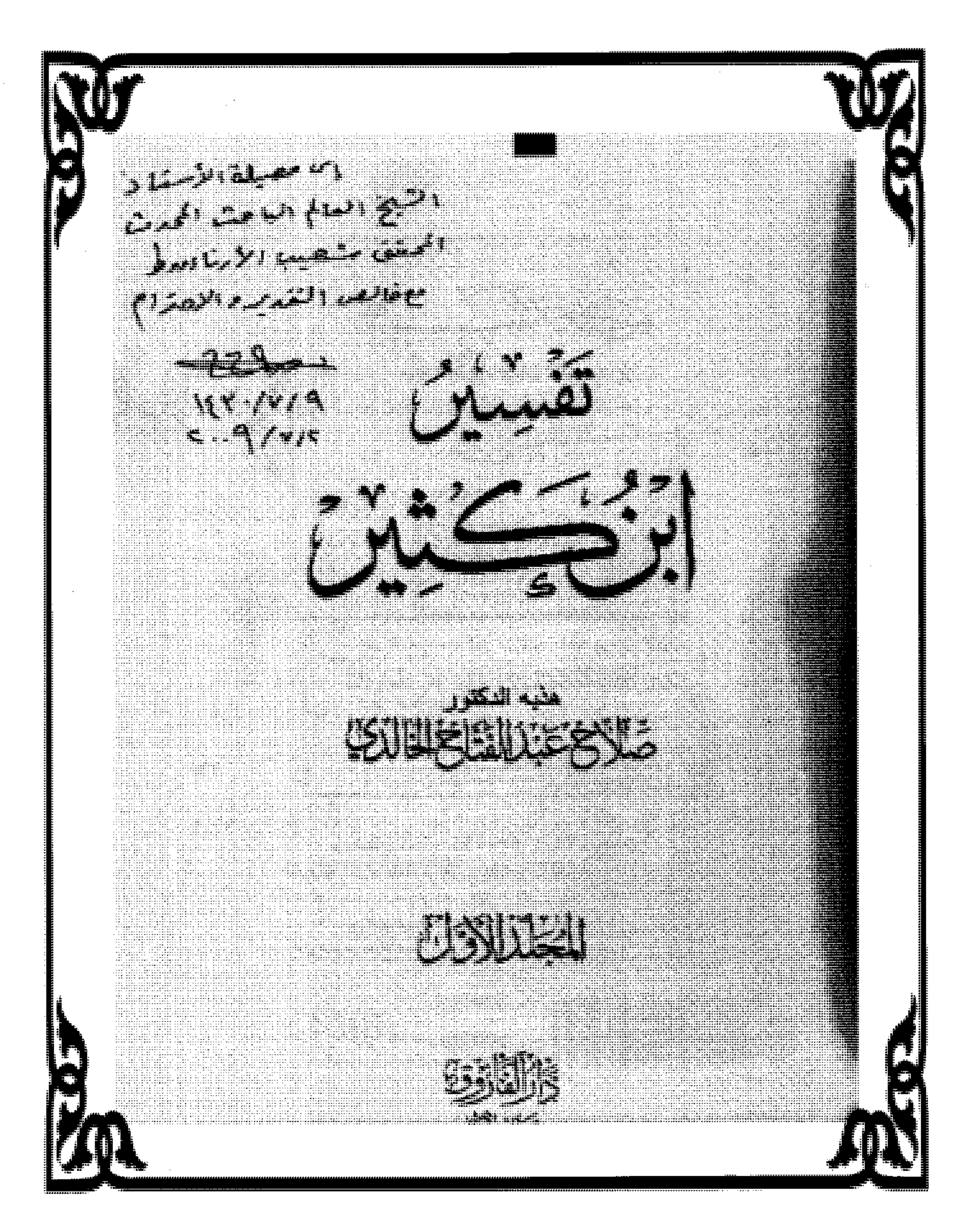
٣٠ ربيع الآخر Ankara

١٤٢٦

نص الإهداء

من محمد سعيد خطيب أوغلي، الفقير إلى ربه الغني، إلى أستاذنا العلامة جزاه الله خير الجزاء في الدنيا والآخرة لجهده في العلم، ولخدماته الخالدة في تراثنا .

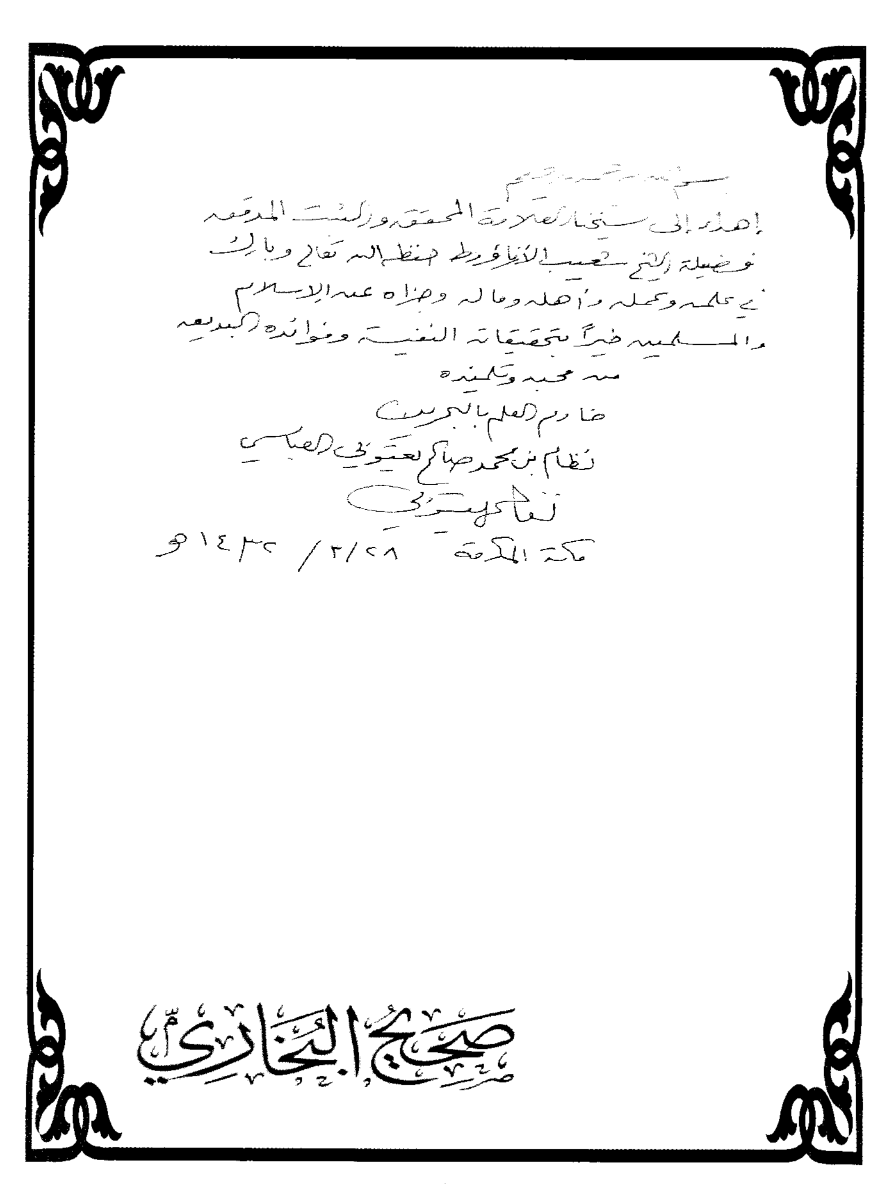
محمد سعيد خطيب أوغلي



نص الإهداء

إلى فضيلة الأستاذ الشيخ العالم الباحث المحدِّث المحقق شعيب الأرناؤوط، مع خالص التقدير والاحترام

د. صلاح الخالدي



بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء إلى شيخنا العلامة المحقق والثبت المدقق

فضيلة الشيخ شعيب الأرناؤوط حفظه الله تعالى وبارك

في علمه وعمله وأهله وماله وجزاه عن الإسلام

والمسلمين خيراً بتحقيقاته النفيسة وفوائده البديعة

من محبه وتلميذه

خادم العلم بالبحرين

نظام بن محمد صالح يعقوبي العباسي

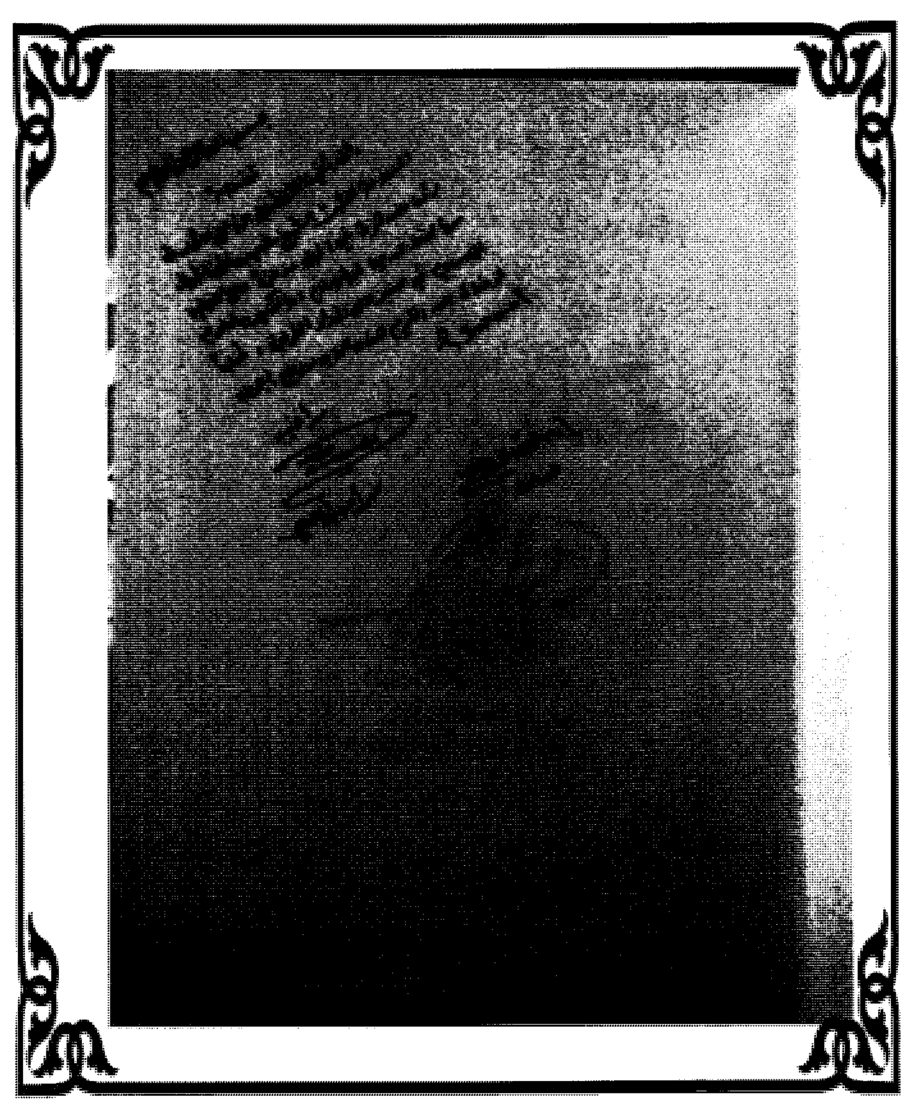
مكة المكرمة ٢٨/٣/ ١٤٣٢هـ

صحيح البخاري

نص الإهداء

إهداء إلى شيخنا العلامة المحقق والثبت المدقق فضيلة الشيخ شعيب الأرناؤوط حفظه الله تعالى وبارك في علمه وعمله وأهله وماله وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيراً بتحقيقاته النفيسة وفوائده البديعة من محبِّه وتلميذه خادم العلم بالبحرين

نظام بن محمد صالح يعقوبي العباسي



نص الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم ، تقدمة إلى أخينا المفضال الناصح للأمة العلامة الثبت الشيخ شعيب الأرناؤوط زاده الله قوة في الحق، وعوناً على ما هو فيه من الذود عن حياض الإسلام، والتمكين لعلوم الإسلام في صبر على لأواء الطريق، طلباً لمرضاة الله الكريم المنان الذي لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

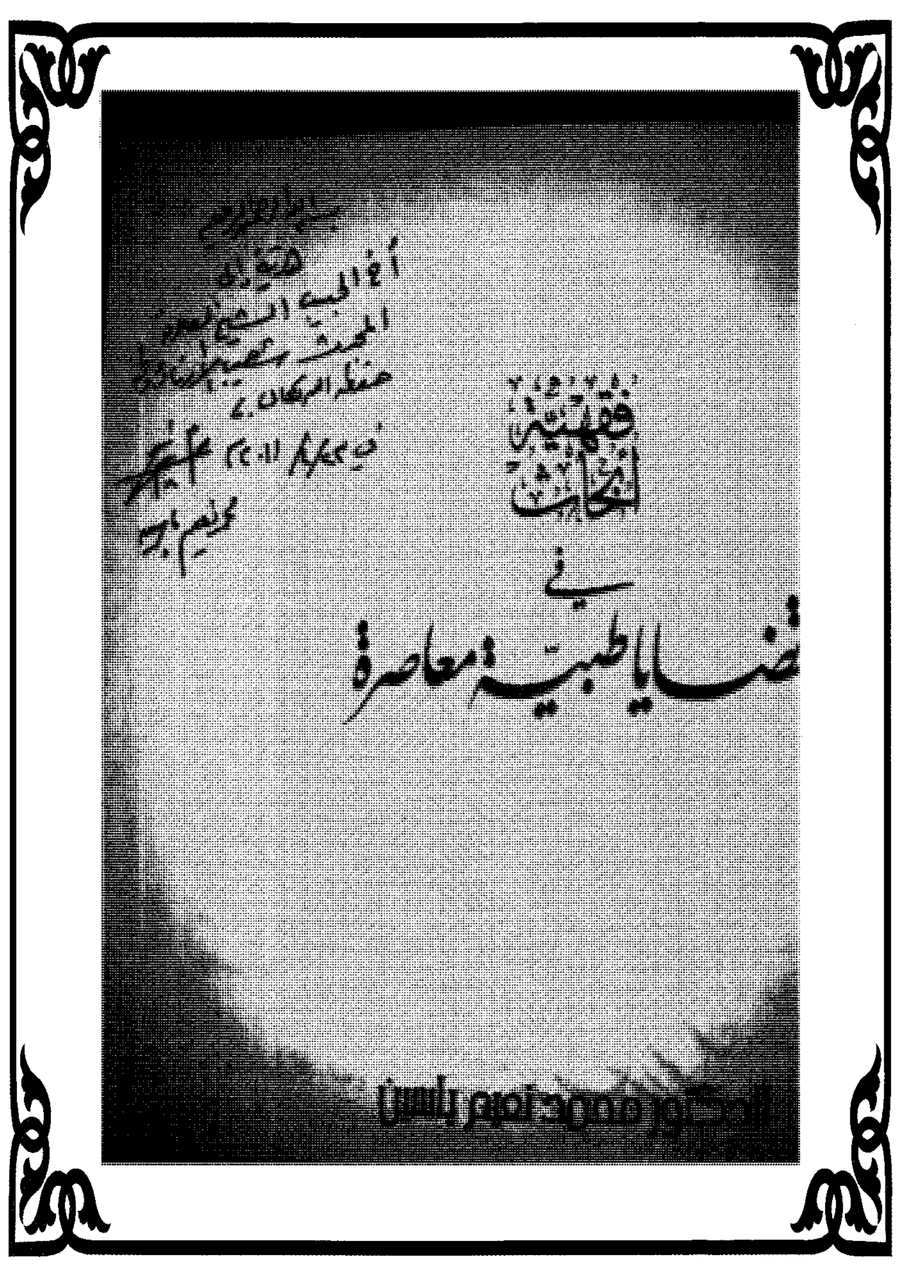
من أخيه محمد أديب الصالح



نص الإهداء

إلى العلامة الجليل الأستاذ الشيخ شعيب الأرناؤوط، مع بالغ الحب والتقدير.

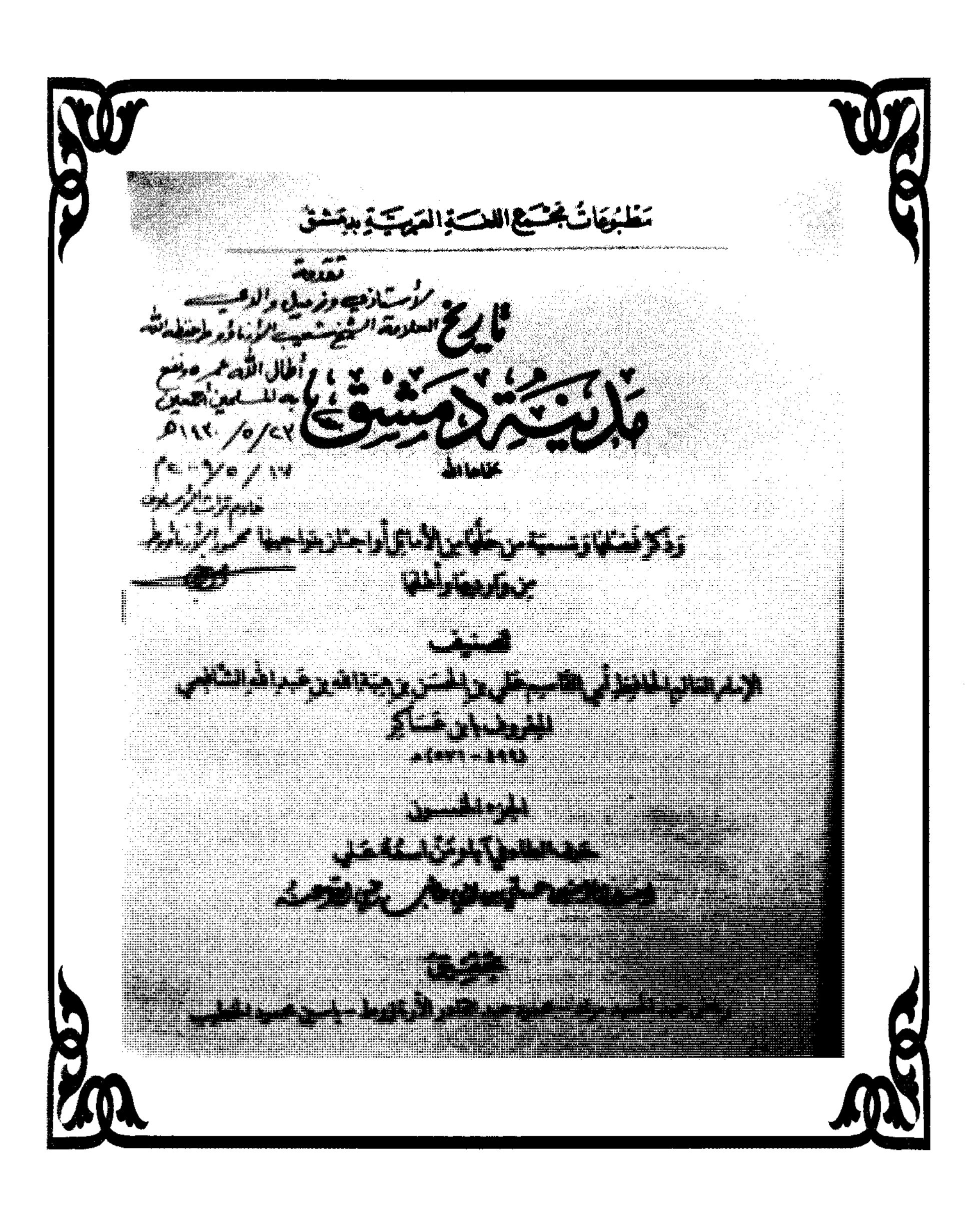
محققه د. عبد الحكيم الأنيس



نص الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم إلى أخي الحبيب الشيخ العلامة المحدِّث شعيب الأرناؤوط، حفظه الله تعالى.

أ.د. محمد نعيم ياسين


مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

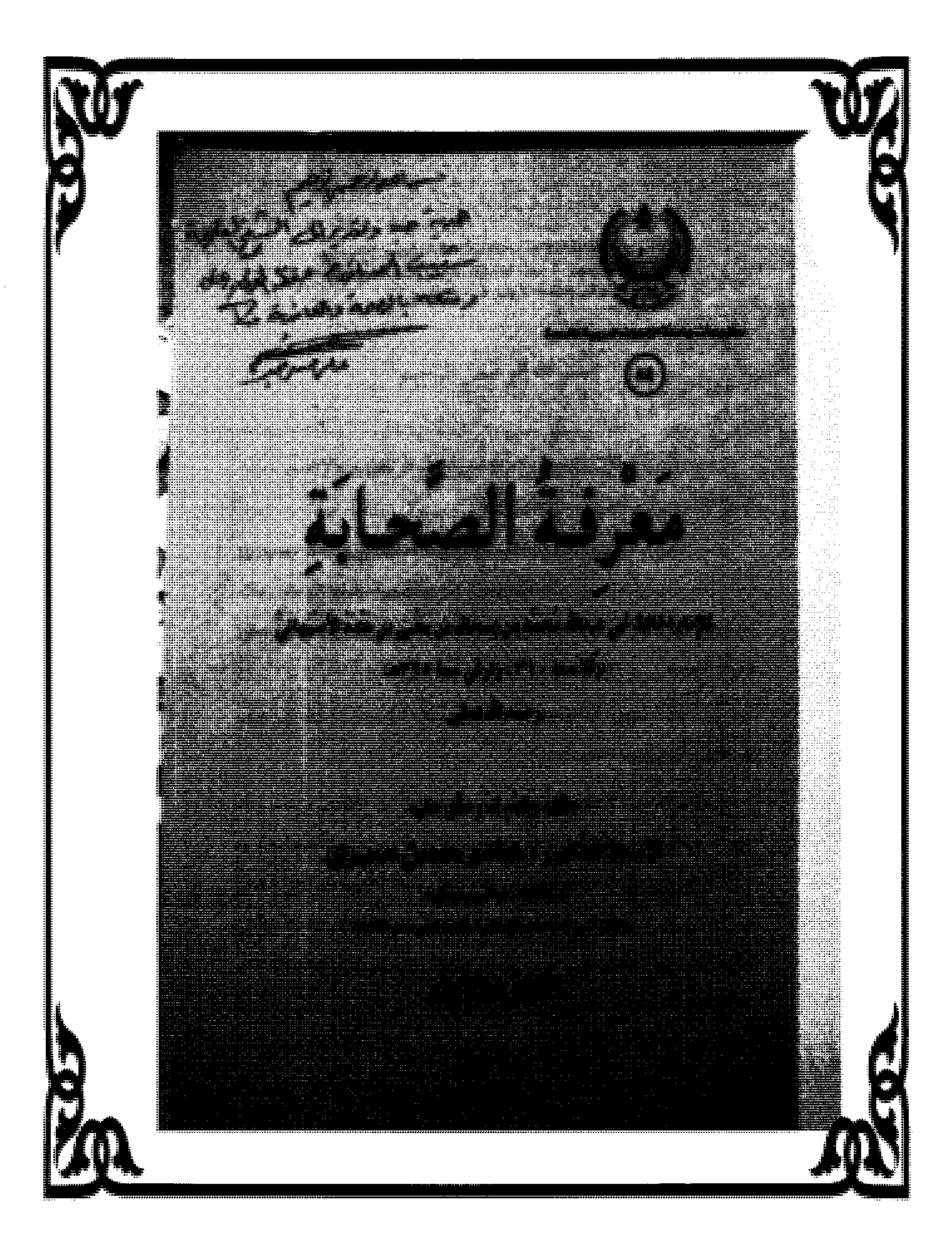
تاريخ

مدينة دمشق

نص الإهداء

تقدمة لأستاذي وزميل والدي العلامة المحدِّث شعيب الأرناؤوط، حفظه الله، وأطال في عمره ونفع به المسلمين أجمعين .

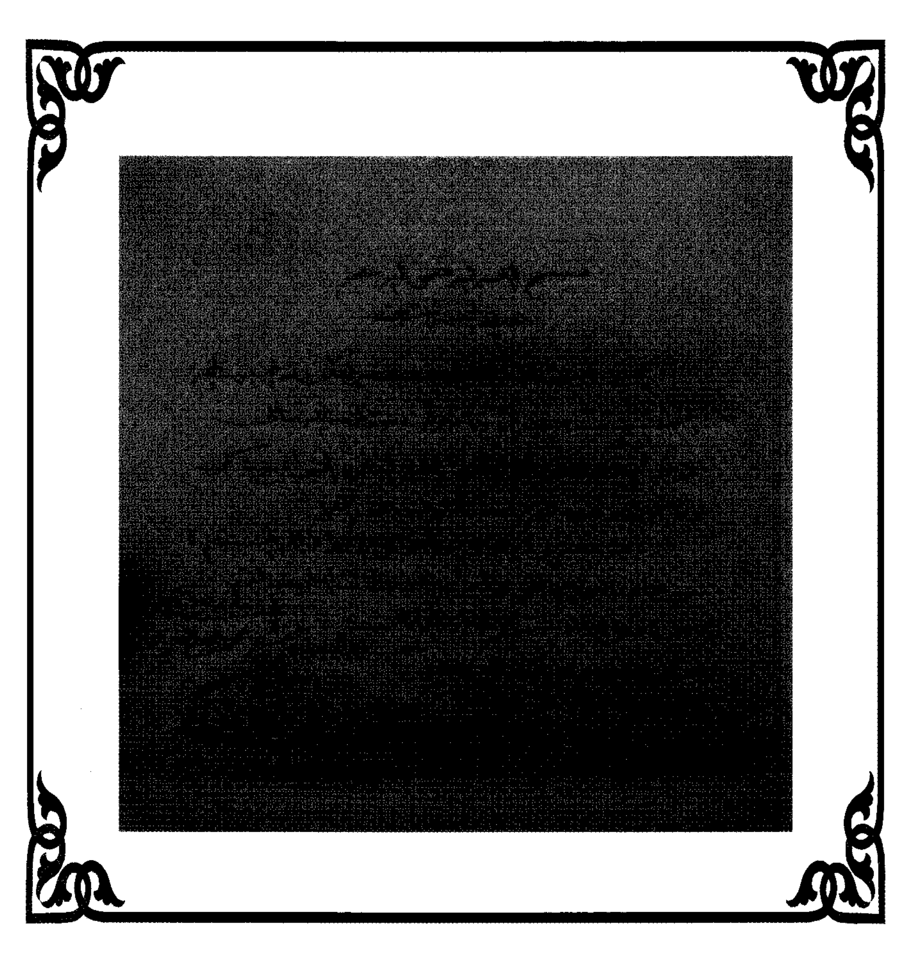
محمود بن عبد القادر الأرناؤوط



نص الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم ، هدية حبٍّ وتقدير إلى الشيخ العلامة شعيب الأرناؤوط، حفظه المولى ورعاه، ومتَّعه بالصحة والعافية.

أ.د. عامر حسن صبري

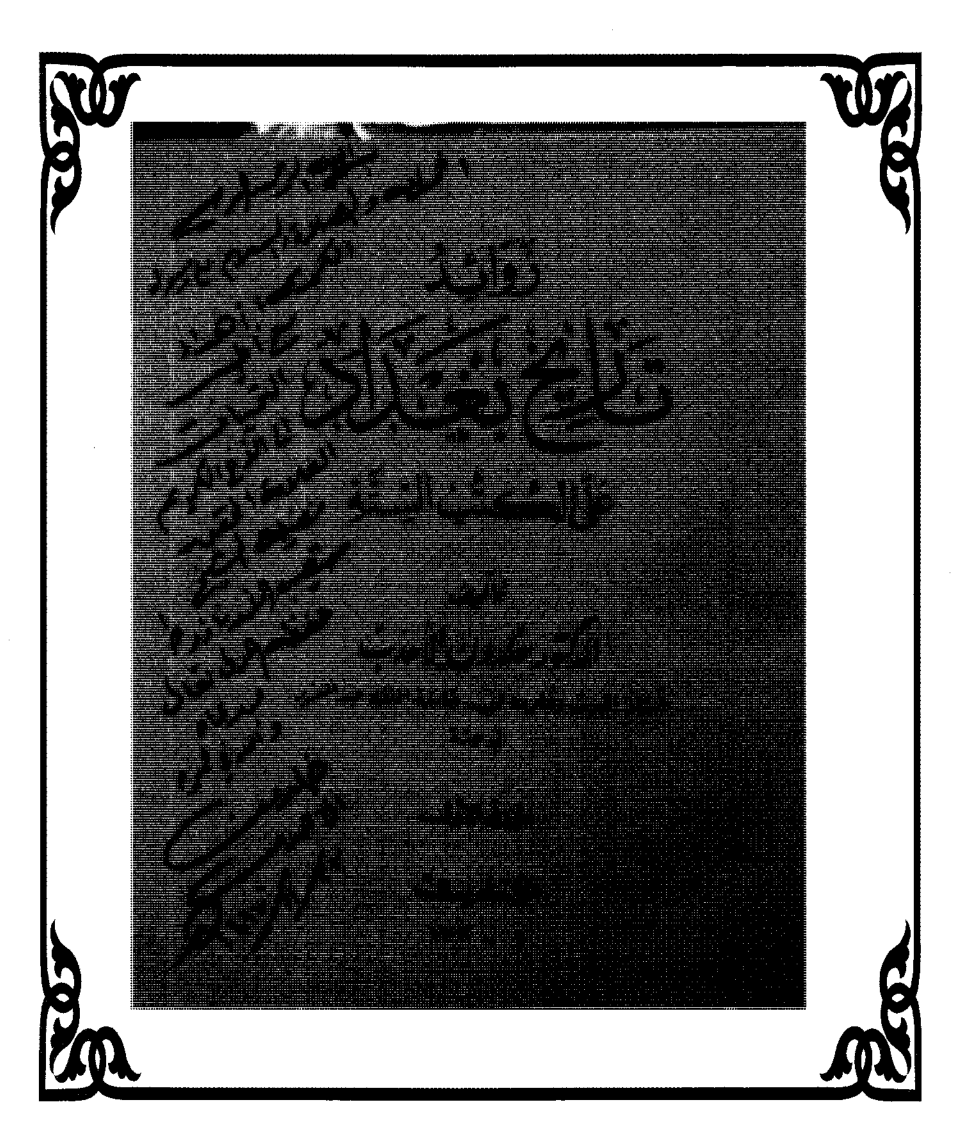


نص الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم، هدية المحقق المشرف، إلى أستاذنا الجليل فضيلة العلامة المحقق الحجة الشيخ شعيب الأرناؤوط حفظه الله تعالى وأدام فضله، أقدِّم هذا العمل العلمي المتواضع باسمي وباسم إخواني الذين شاركوني هذا العمل رمز محبَّة وإجلال وإخوة على صراط الله المستقيم، مع رجاء دعوة صالحة، وإبداء الملاحظات العلمية لتتم الإفادة منها في قادمات الأيام بإذن الله تعالى .

المحب خادم العلم وأهله

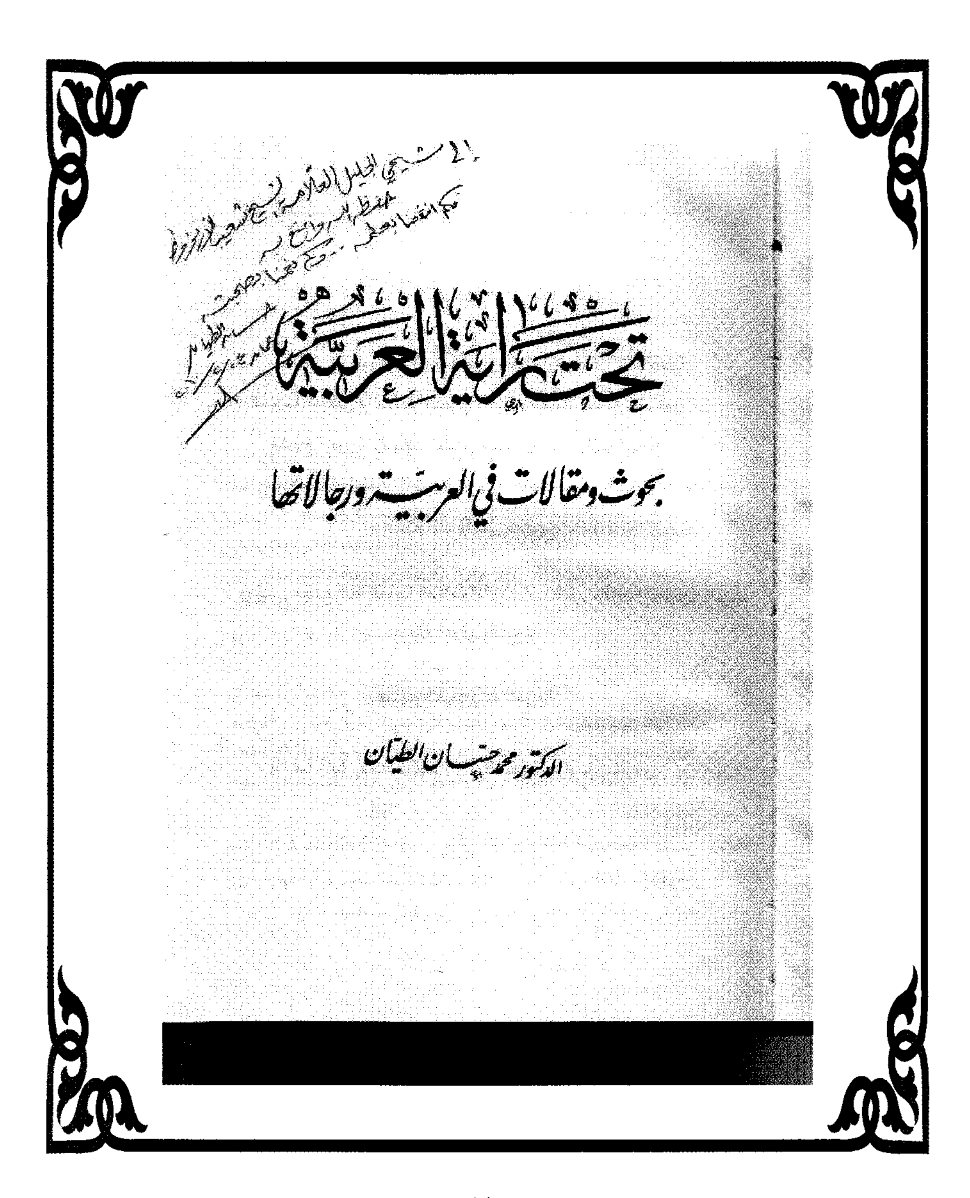
حسام الدين ابن الشيخ محمد صالح الفرفور



نص الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله الكريم، إهداء مع أطيب التحيات إلى الأخ الكريم العلامة المحقق فضيلة الشيخ شعيب الأرناؤوط حفظه المولى تعالى ورعاه، وأمدَّ في عمره .

د. خلدون الأحدب



تحت راية العربية

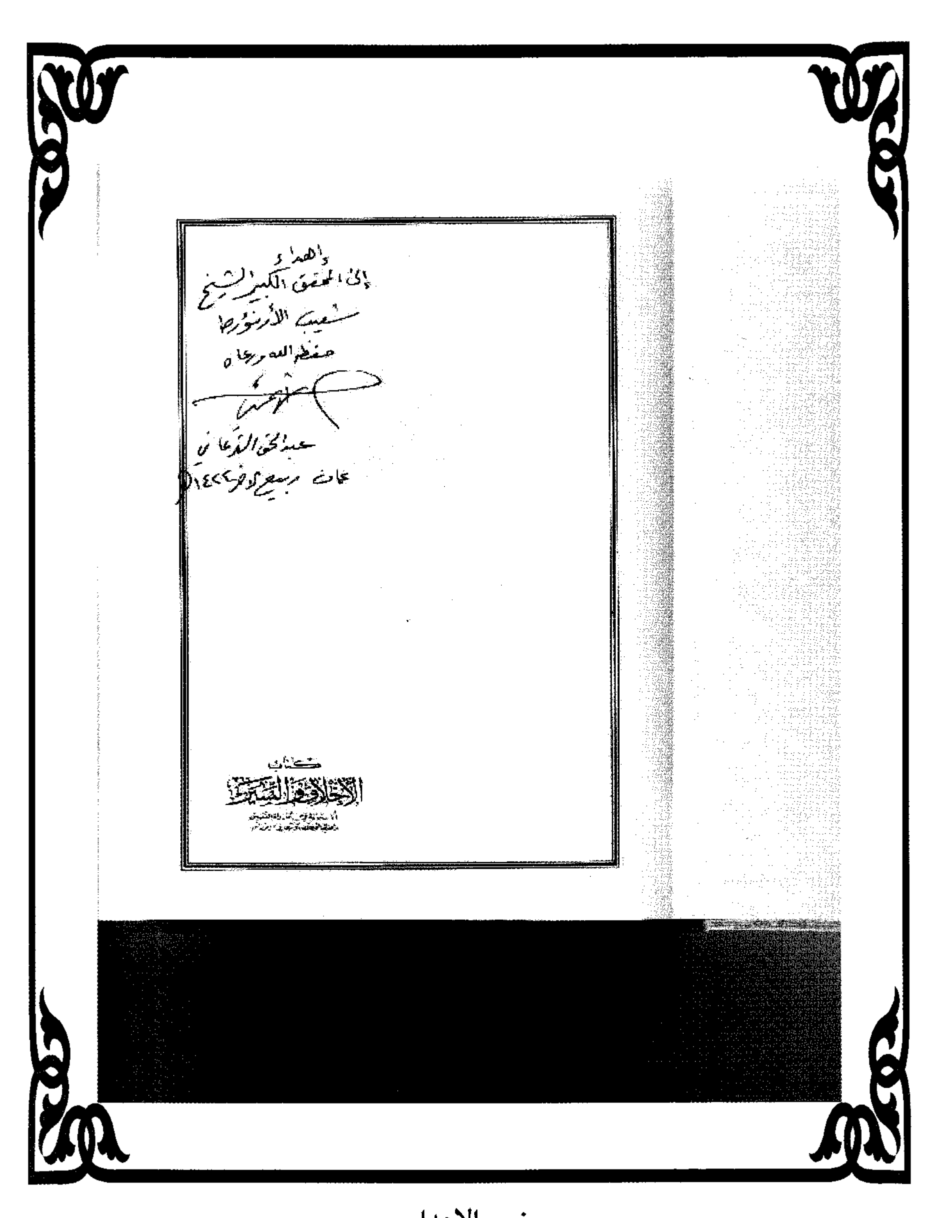
بحوث ومقالات في العربية ورجالاتها

الدكتور محمد حسان الطيان

نص الإهداء

إلى شيخي الجليل العلامة الشيخ شعيب الأرنؤوط، حفظه الله وأمتع به، فكم انتفعنا بعلمه، ونَعِمْنا بصحبته .

د. محمد حسَّان الطيان



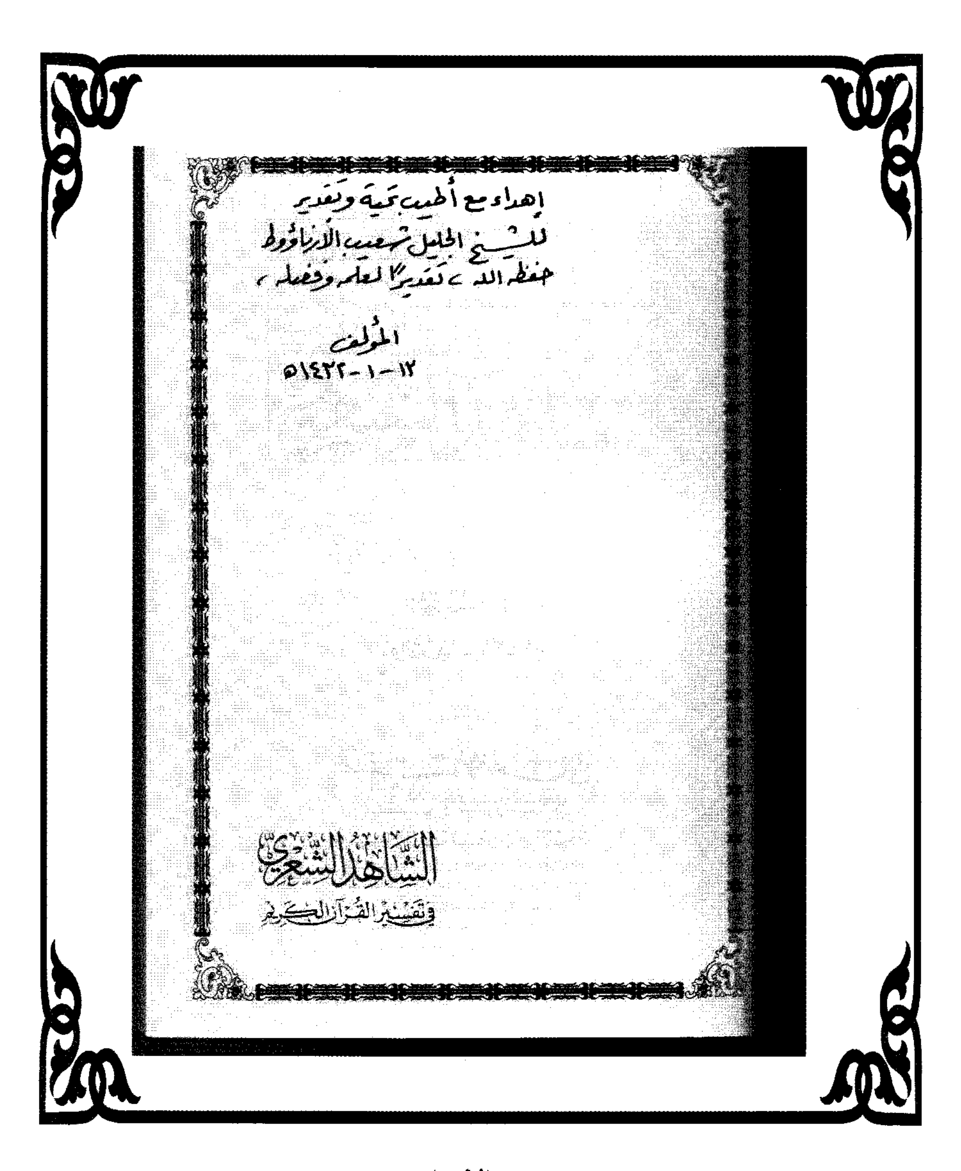
إهداء
إلى المحقق الكبير الشيخ
شعيب الأرنؤوط
حفظه الله ورعاه

عبد الحق التركماني
عمان ربيع الآخر ١٤٢٢هـ

نص الإهداء

إلى المحقق الكبير الشيخ شعيب الأرنؤوط حفظه الله ورعاه

عبد الحق التركماني

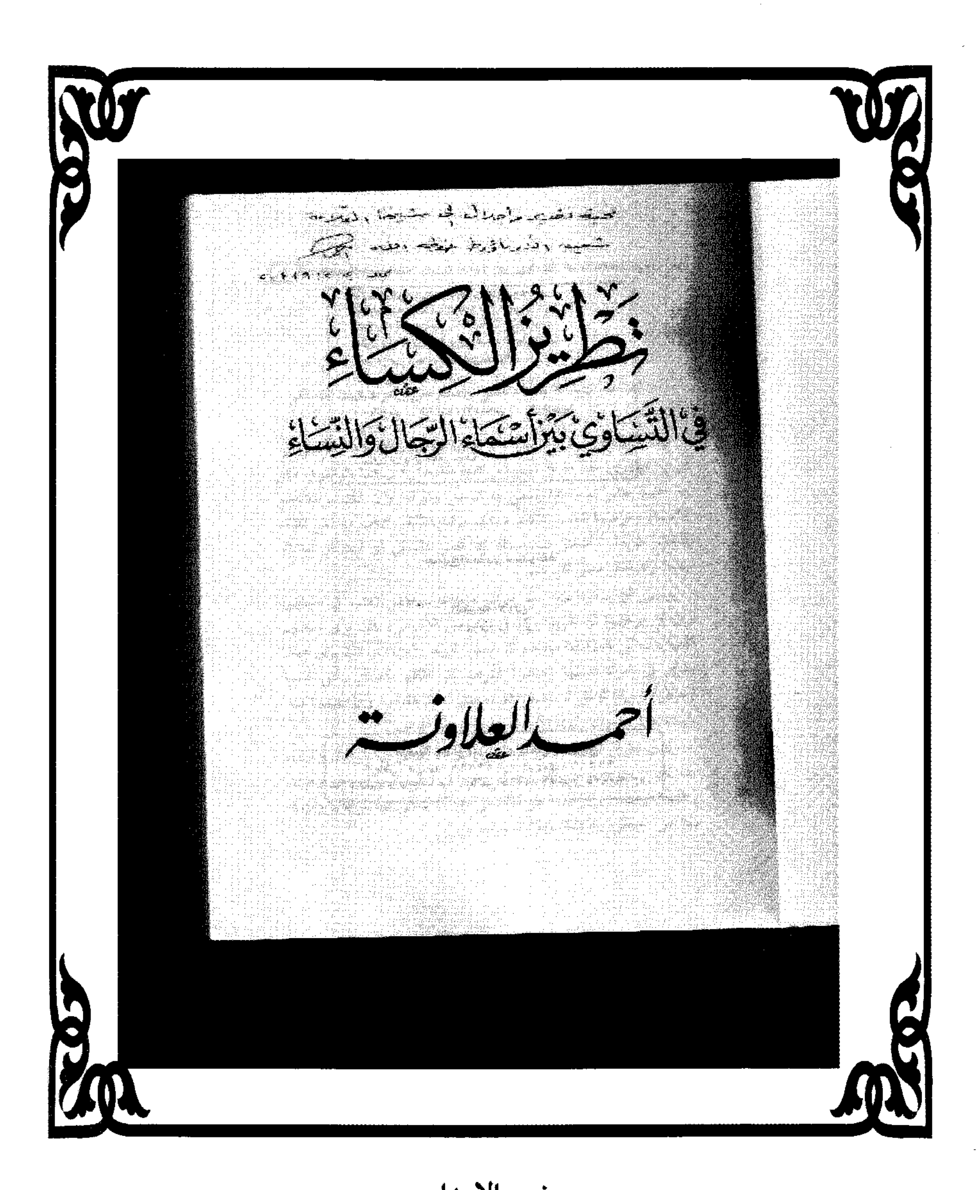

إهداء مع أطيب تحية وتقدير
للشيخ الجليل شعيب الأرناؤوط
حفظه الله، تقديراً لعلمه وفضله،
المؤلف
١٢-١-١٤٣٢هـ

الشاهد الشعري
في تفسير القرآن الكريم

نص الإهداء

إهداء مع أطيب تحية وتقدير للشيخ الجليل شعيب الأرناؤوط، حفظه الله ، تقديراً لعلمه و فضله .

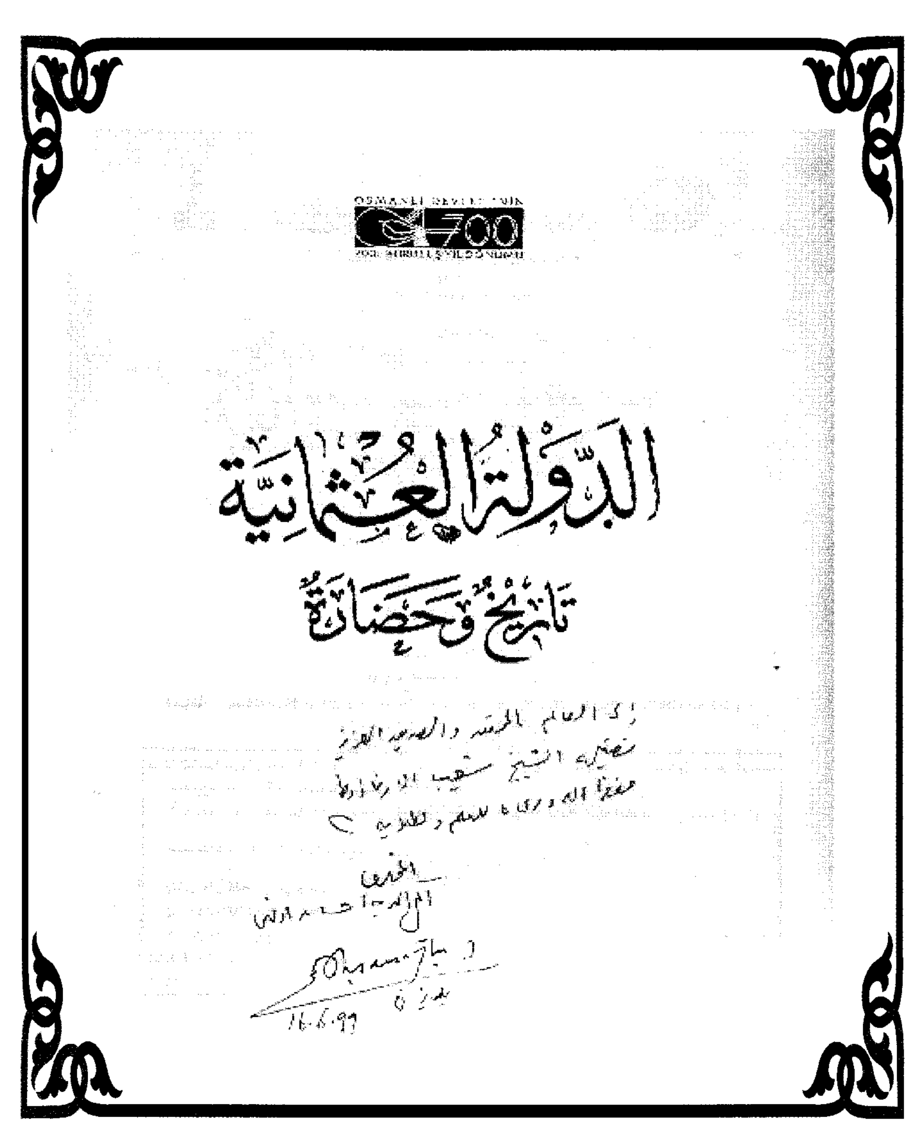
د. عبد الرحمن بن معاضة الشهري



نص الإهداء

تحية تقدير وإجلال إلى شيخنا العلامة شعيب الأرنؤوط حفظه الله

أحمد العلاونة

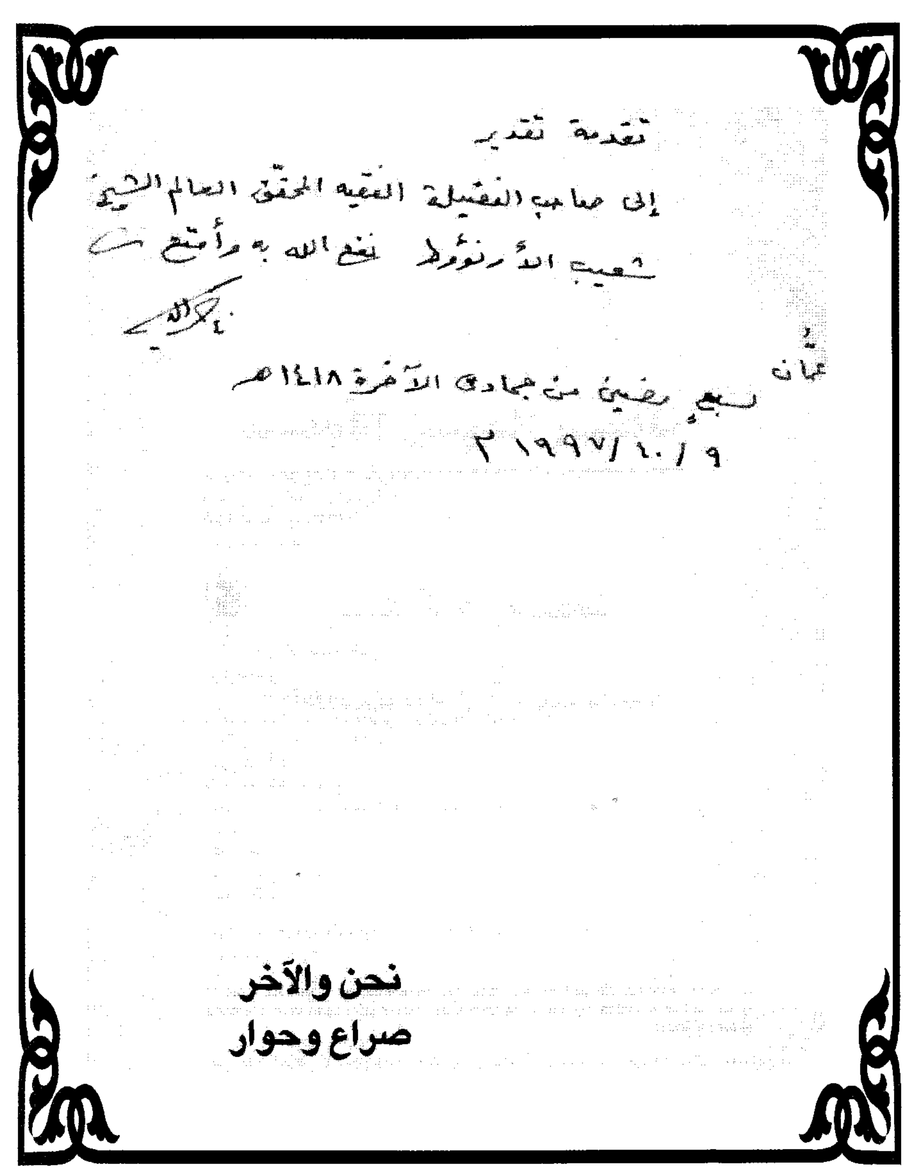


نص الإهداء

إلى العالم المحقق والصديق العزيز فضيلة الشيخ شعيب الأرناؤوط حفظه الله ورعاه

للعلم ولطلابه

أكمل الدين إحسان أوغلي



نص الإهداء

تقدمة تقدير إلى صاحب الفضيلة الفقيه المحقق العالم الشيخ شعيب الأرنؤوط نفع الله به وأمتع

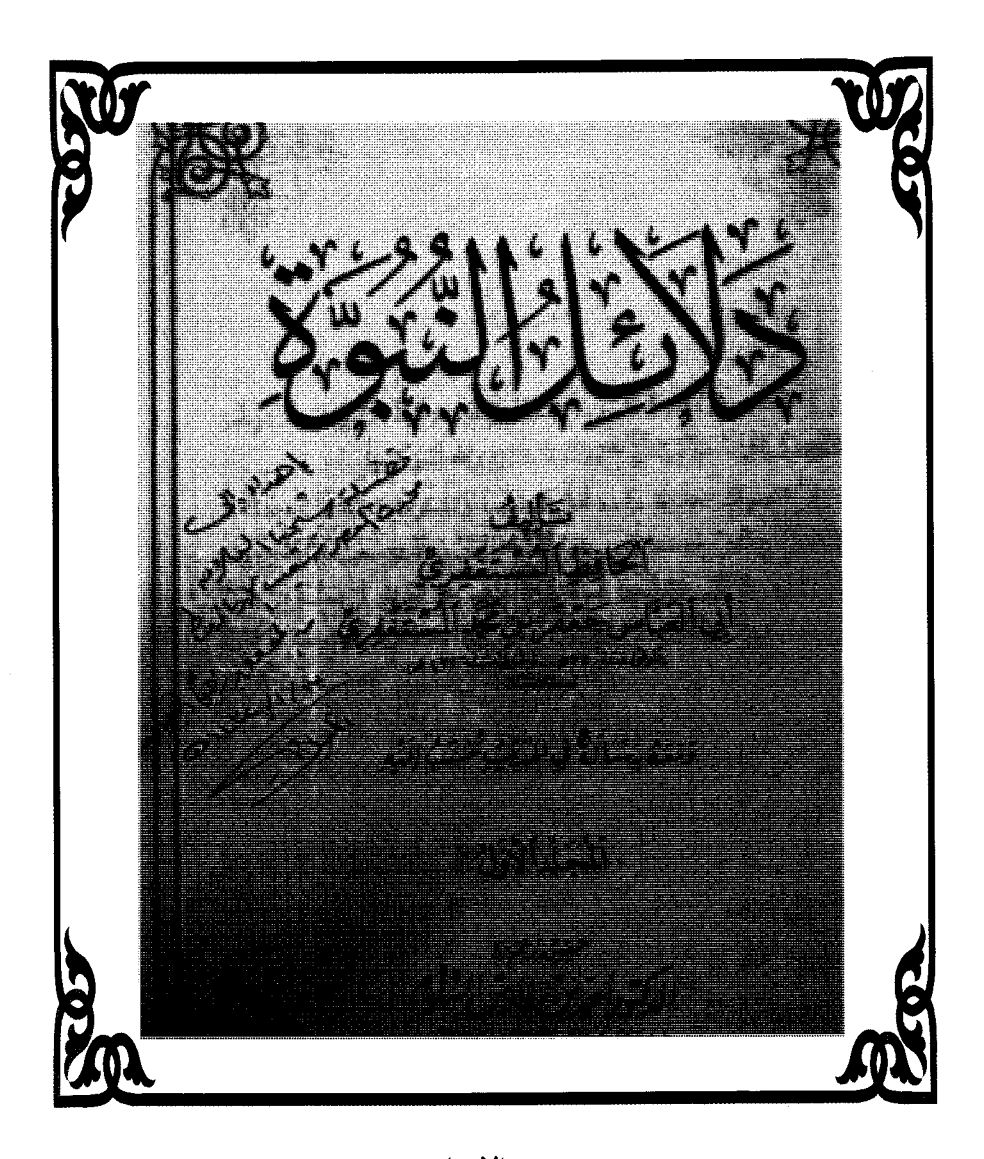
د. ناصر الدين الأسد



نص الإهداء

هدية متواضعة لصاحب المعالي فضيلة شيخنا العلامة شعيب الأرناؤوط سلمه الله ورعاه

الشيخ المحقق دغش العجمي



نص الإهداء

إهداء إلى فضيلة شيخنا العلامة محدِّث العصر شعيب الأرنؤوط

من المحقق د. أحمد فارس السلوم راجياً الدعاء له

❑ ❑ ❑

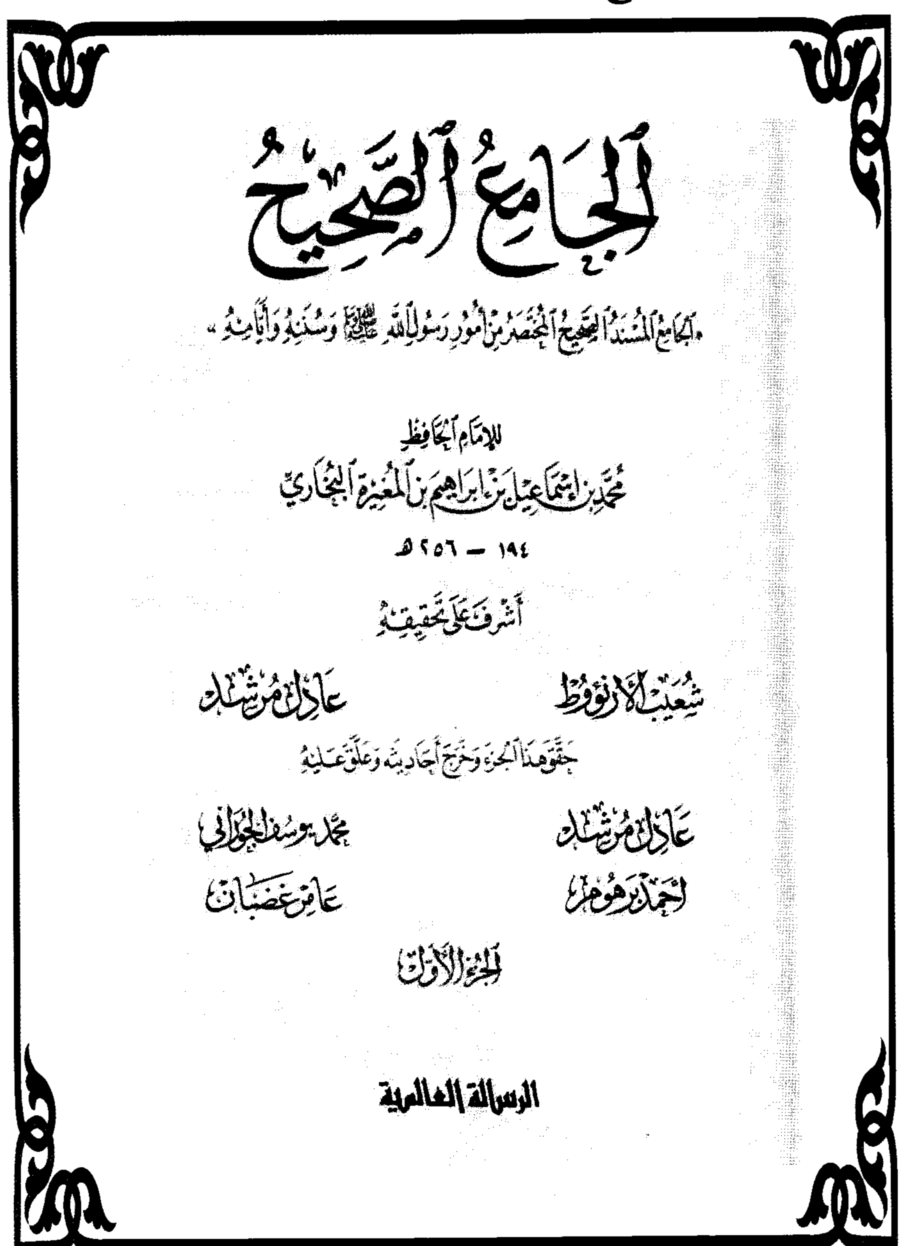
ثانياً : الإهداءاتُ بين شَيخِنا وبين تِلْميذِه مُقيِّد الرِّحلة :

هذه بعض الكتب المُهداة من شَيخنا إلى تلميذه، وهي هديةٌ أَفْخرُ بها جداً، وقد شفَع بعض هذه الهدايا شيخنا أسعده الله، بالإجازة لكافَّة تحقيقاته ومَرويَّاته؛ فجزاه الله عنِّي خير الجزاء، ولا حرمني والمسلمين من عِلْمه وفَضْله.

وإليك بعض إهداءات شيخنا لصاحبه وأخيه الصغير، فها هي بين يديك، وأمام نَاظِريك :

❑ ❑ ❑

أ. إهداءاتُ الشَّيخ لتِلْميذِه :


الجامع الصحيح

«الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه»

للإمام الحافظ

محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري

١٩٤ - ٢٥٦ هـ

أشرف على تحقيقه

شعيب الأرنؤوط　　عادل مرشد

حقق هذا الجزء وخرج أحاديثه وعلق عليه

عادل مرشد　　محمد يوسف الجوراني

أحمد برهوم　　عامر غضبان

الجزء الأول

الرسالة العالمية

«الجامع الصحيح» للإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ

نص الإهداء مع الإجازة

وأول الغيث قطرٌ ثم ينهمر

إنَّ هذا العمل الذي قام به الإخوة، وأخصُّ منهم الأخ أبا العالية محمد بن يوسف الجوراني، ليدل دلالة واضحة على خلفية علمية تبوِّئه هو وأصحابه في أرقى منازل التحقيق والضبط وجمال الإخراج، وأرجو من الله أن يوفقه هو وإخوانه إلى الاستمرار في تحقيق الكتب العلمية النافعة وتقريبها إلى طلبة العلم، وتقريب الفائدة منها، وهم إن شاء الله أهل لذلك.

وأنا الفقير إليه تعالى أجيزه بكتب السُّنَّة، وما قمتُ به من أعمال في مجال العلم، وأتوقع له أن ينال الرتبة العظيمة، وأن يسلك في عداد العلماء في المستقبل القريب إن شاء الله، ويقدم للأمة الإسلامية من التحقيقات والتآليف الشيء الكثير وأوصيه أن يبتغي الإخلاص في كل ما يصدر عنه، ونفع المسلمين، والحمد لله رب العالمين.

شعيب

عمَّان ٧/ ٣/ ٢٠١١

❑ ❑ ❑



وأول الغيث قطر ثم ينهمر

إن هذا العمل العظيم الذي قام به [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الكتب الدينية النافعة إلى الاستزادة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

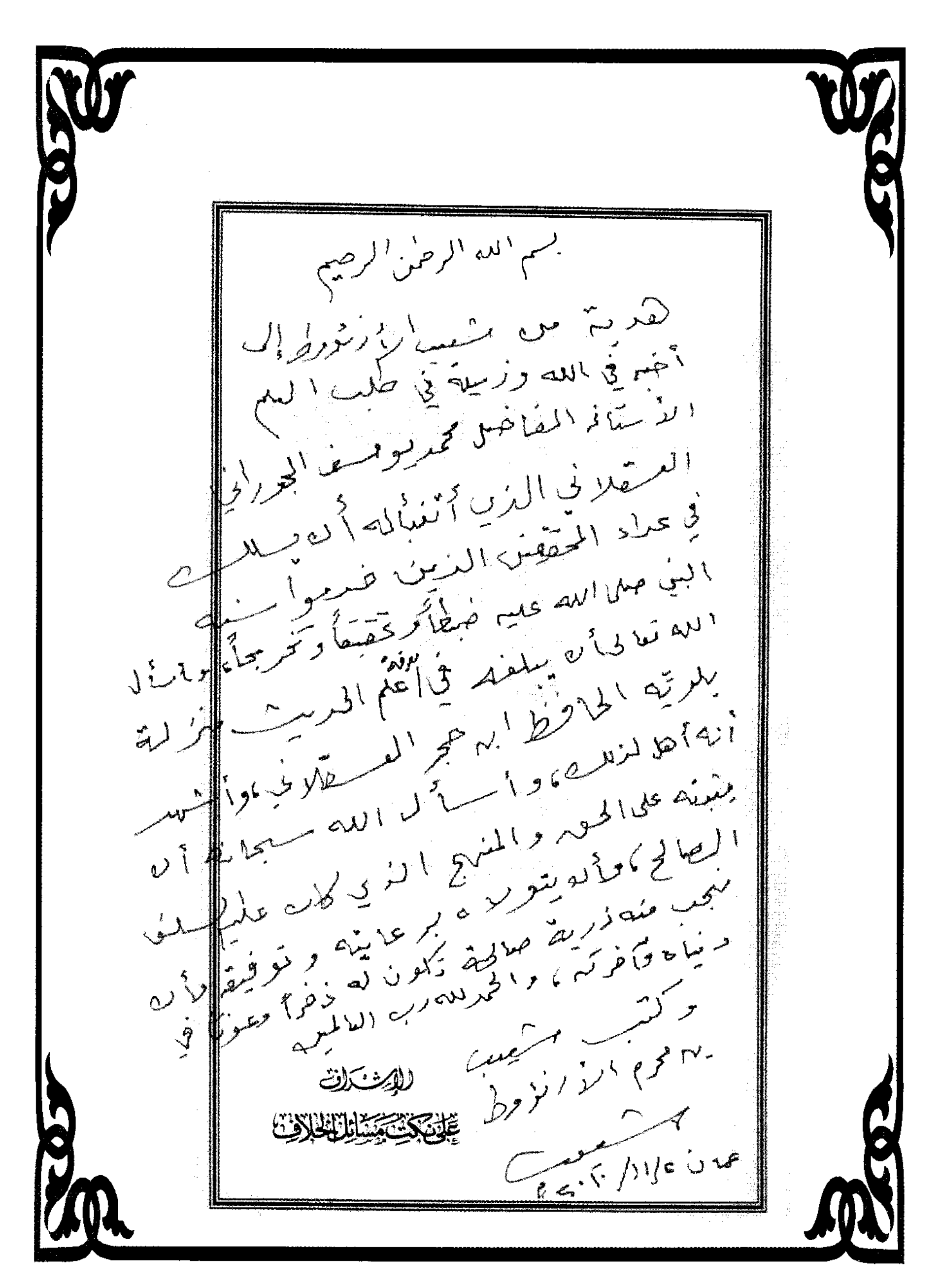
[illegible] الكثير [illegible]

[illegible] وينفع المسلمين

[illegible] رب العالمين

[illegible] [illegible]

[illegible]



بسم الله الرحمن الرحيم

هدية من شعيب الأرنؤوط إلى
أخيه في الله وزميله في طلب العلم
الأستاذ الفاضل محمد يوسف الجوراني
العسقلاني الذي أعتبره أنه بلغ
في عداد المحققين الذين خدموا سنة
النبي صلى الله عليه [وسلم] ضبطاً وتحقيقاً وتخريجاً، وأسأل
الله تعالى أن يلحقه في معرفة علم الحديث
بمرتبة الحافظ ابن حجر العسقلاني، وإنه أهل لذلك، وأسأل الله سبحانه أن
يثبته على الحق والمنهج الذي كان عليه السلف
الصالح، وأن يتولاه برعايته وتوفيقه، وأن
ينجب منه ذرية صالحة تكون له ذخراً وعوناً في
دنياه وآخرته، والحمد لله رب العالمين

وكتب شعيب
الأرنؤوط
٢٧ محرم ١٤٣٢
عمان ٤/١١/٢٠١٠م

«الإشراف على نكت مسائل الخلاف» للقاضي عبد الوهاب البغدادي رحمه الله

نص الإهداء

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

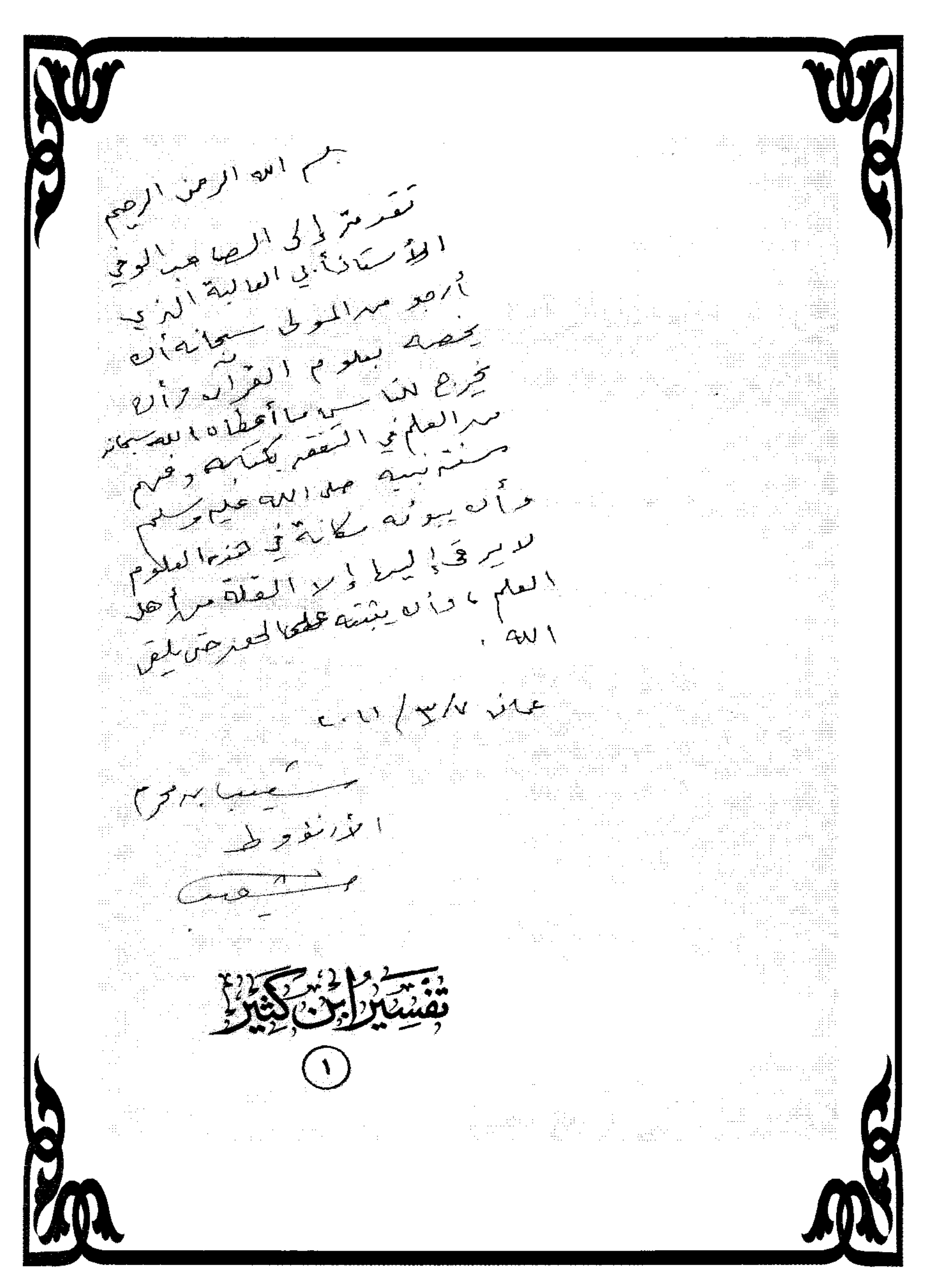
هديةٌ من شعيب الأرنؤوط إلى أخيه في الله، وزميله في طلب العلم، الأستاذ الفاضل محمد بن يوسف الجوراني العسقلاني، الذي أَتنبَّأ له أن يَسلُك في عِدَاد المُحقِّقين الذين خدموا سنَّة النبي ﷺ ضبطاً وتحقيقاً وتخريجاً، وأسأل الله تعالى أن يبلِّغه في معرفة علم الحديث منزلة بلديِّه الحافظ ابن حجر العسقلاني، وأشهد أنه أهلٌ لذلك.

وأسأل الله سبحانه أن يثبِّته على الحق والمنهج الذي كان عليه السلف الصالح، وأن يتولَّاه برعايته، وتوفيقه، وأن يُنجب منه ذرية صالحة، تكون له ذُخراً في دنياه وآخرته، والحمد لله رب العالمين .

وكتب شعيب بن محرم الأرنؤوط

عمَّان ٢/ ١١/ ٢٠١٠





بسم الله الرحمن الرحيم

تقدمة إلى الصاحب الوفي
الأستاذ أبي العالية الذي
أرجو من المولى سبحانه أن
يخصه بعلوم القرآن وأن
يخرج للناس ما أعطاه الله سبحانه
من العلم في التفقه بكتابه وفهم
سنة نبيه صلى الله عليه وسلم
وأن يكون شامة في هذه العلوم
لا يرقى إليها إلا القلة من أهل
العلم، وأن يشتغل عليها حتى يلقى
الله.

عمان ٧/٣/ ٢٠١١

شعيب بن محرم
الأرناؤوط

« تفسير القرآن العظيم» لابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ

نص الإهداء

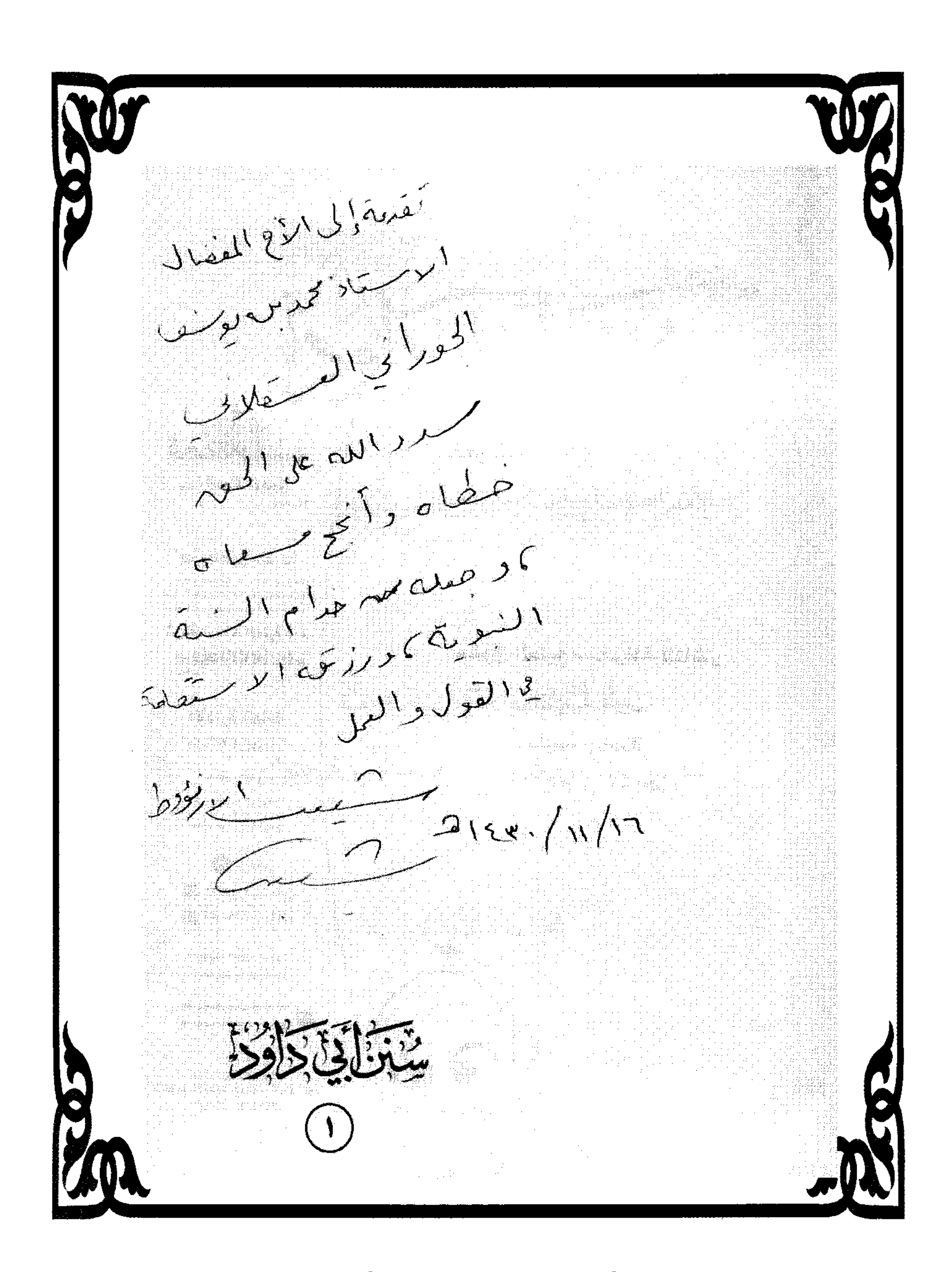
بسم الله الرحمن الرحيم

تقدمةٌ إلى الصاحب الوفيِّ الأستاذ أبي العالية، الذي أرجو من المولى سبحانه أن يخصَّه بعلوم القرآن، وأن يُخرج للناس ما أعطاه الله سبحانه من العلم، والتَّفقه بكتابه، وفهم سنَّة نبيِّه ﷺ ، وأن يُبوِّئه مكانة في هذا العلوم لا يرقى إليها إلا القلَّة من أهل العلم، وأن يثبِّته على الحق حتى يلقى الله .

شعيب بن محرم الأرنؤوط

عمَّان ٧/ ٣/ ٢٠١١

❑ ❑ ❑



تقدمة إلى الأخ المفضال
الأستاذ محمد بن يوسف
الحوراني العسقلاني
سدد الله على الحق
خطاه، وأنجح مسعاه،
وجعله من خدام السنة
النبوية، ورزقه الاستقامة
في القول والعمل

شعيب الأرنؤوط
١٤٣٠/١١/١٦هـ

سنن أبي داود

١

«سنن أبي داود» بتحقيق شيخنا أسعده الله

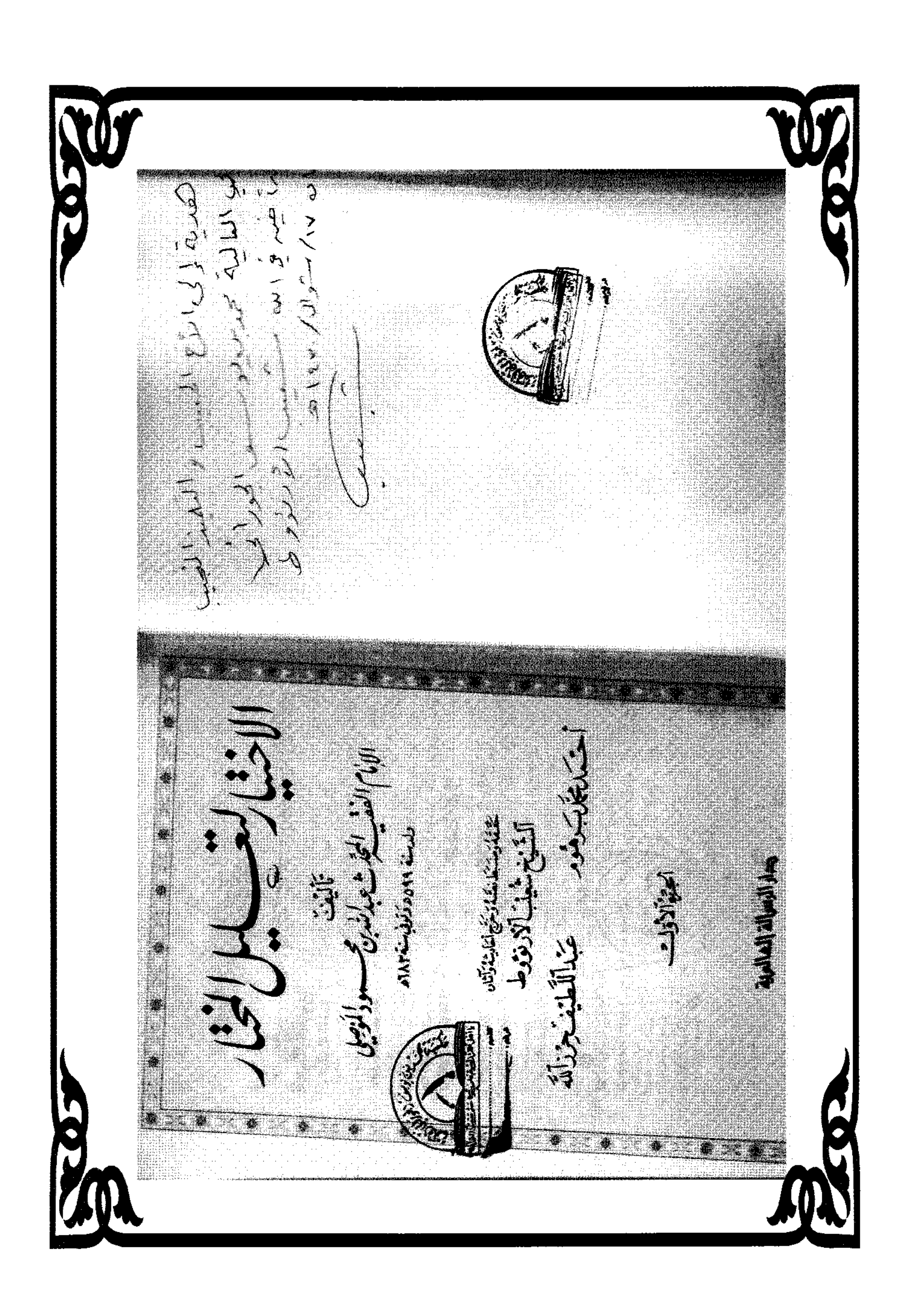
نص الإهداء

تقدمةٌ إلى الأخ المفضال الأستاذ محمد بن يوسف الجوراني العسقلاني، سدَّد الله على الحقِّ خُطاه، وأنجح مَسْعاه، وجعله من خُدَّام السُّنَّة النَّبويَّة، ورزقه الاستقامة في القول والعمل.

شعيب الأرنؤوط

١٣/ ١١/ ١٤٣٠هـ

❑ ❑ ❑



«الاختيار لتعليل المختار» للموصلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتحقيق شيخنا أسعده الله

نص الإهداء

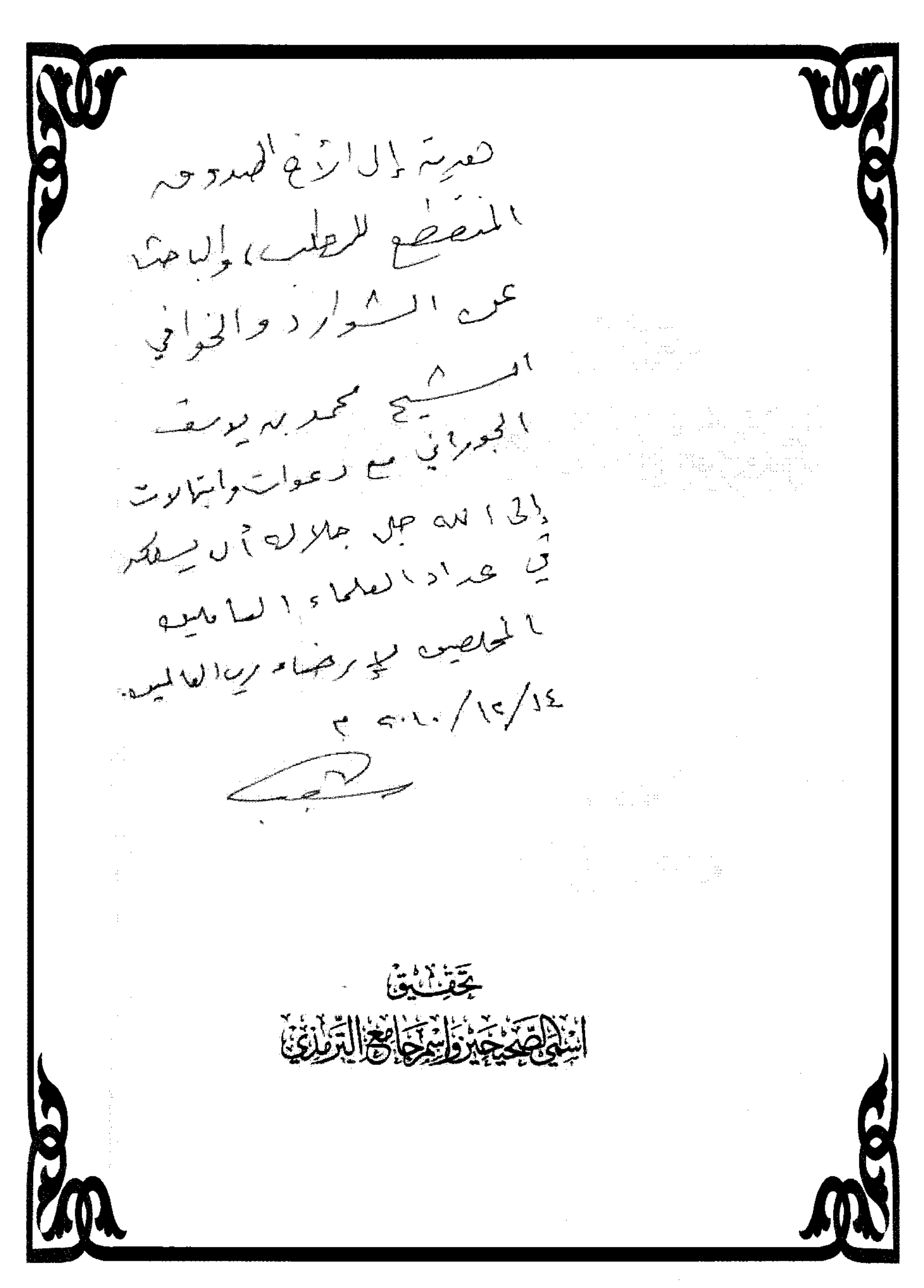
هدية إلى الأخ الحبيب، والتلميذ النَّجيب أبي العالية محمد بن يوسف الجوراني.

من أخيه في الله

شعيب الأرنؤوط

عمان ١٧/ شوال/ ١٤٣٠هـ

❑ ❑ ❑



هدية إلى الأخ الصديق
المنقطع للطلب، والباحث
عن الشوارد والخوافي
الشيخ محمد بن يوسف
الجوراني مع دعوات وابتهالات
إلى الله جل جلاله أن يسلكه
في عداد العلماء العاملين
المخلصين لإرضاء رب العالمين.
١٤/١٢/٢٠١٠م

تحقيق
اسمي الصحيحين واسم جامع الترمذي

«تحقيق اسمي الصحيحين واسم جامع الترمذي» للعلامة عبد الفتاح أبو غدَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ

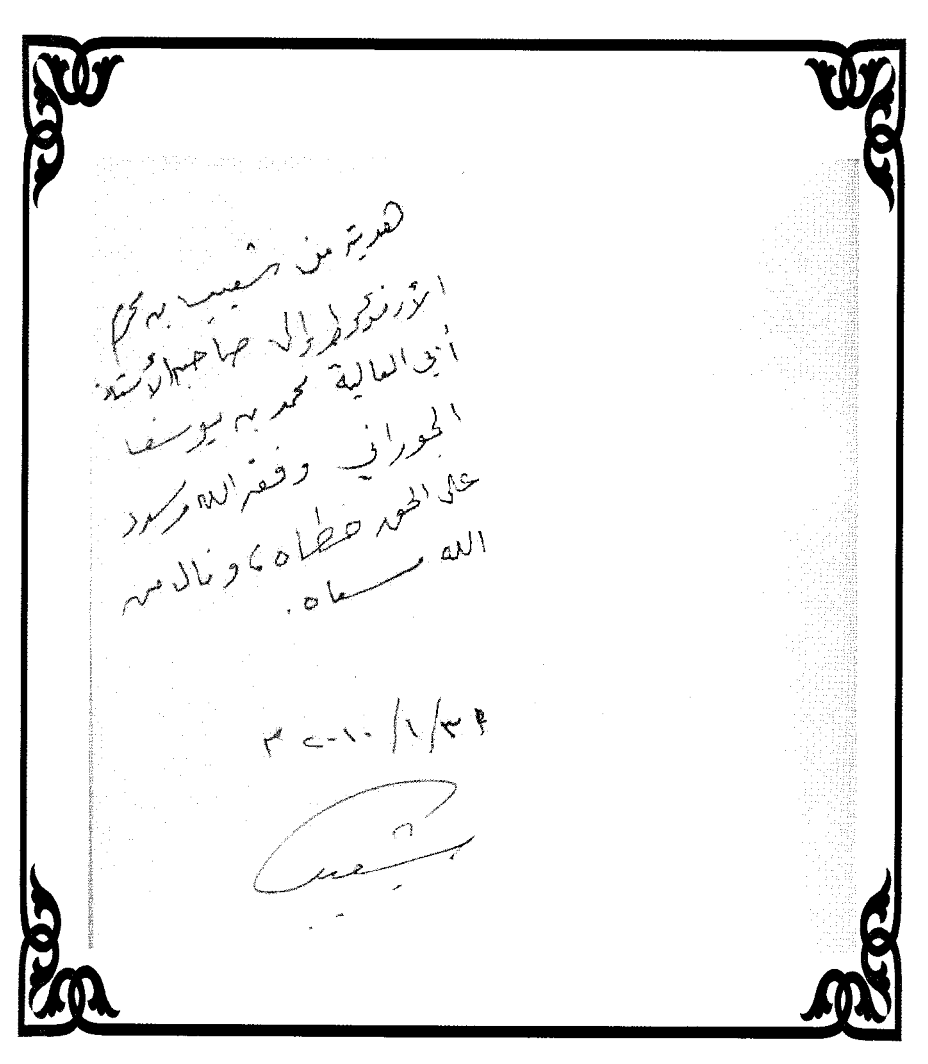
نص الإهداء

هدية إلى الأخ الصدوق، المنقطع للطلب، والباحث عن الشَّوارد والخوافي، الشيخ محمد بن يوسف الجوراني، مع دعوات وابتهالات إلى الله جلَّ جلاله أن يسلكه في عداد العلماء العاملين المخلصين لإرضاء رب العالمين .

شعيب

١٤/ ١٢/ ٢٠١٠

❑ ❑ ❑



هدية من شعيب بن محرم
الأرنؤوط إلى صاحبه الأستاذ
أبي العالية محمد بن يوسف
الجوراني وفقه الله وسدد
على الحق خطاه، ونال من
الله رضاه.

٢٤/١/٢٠١٠م

شعيب

«شعب الإيمان» للبيهقي رحمه الله

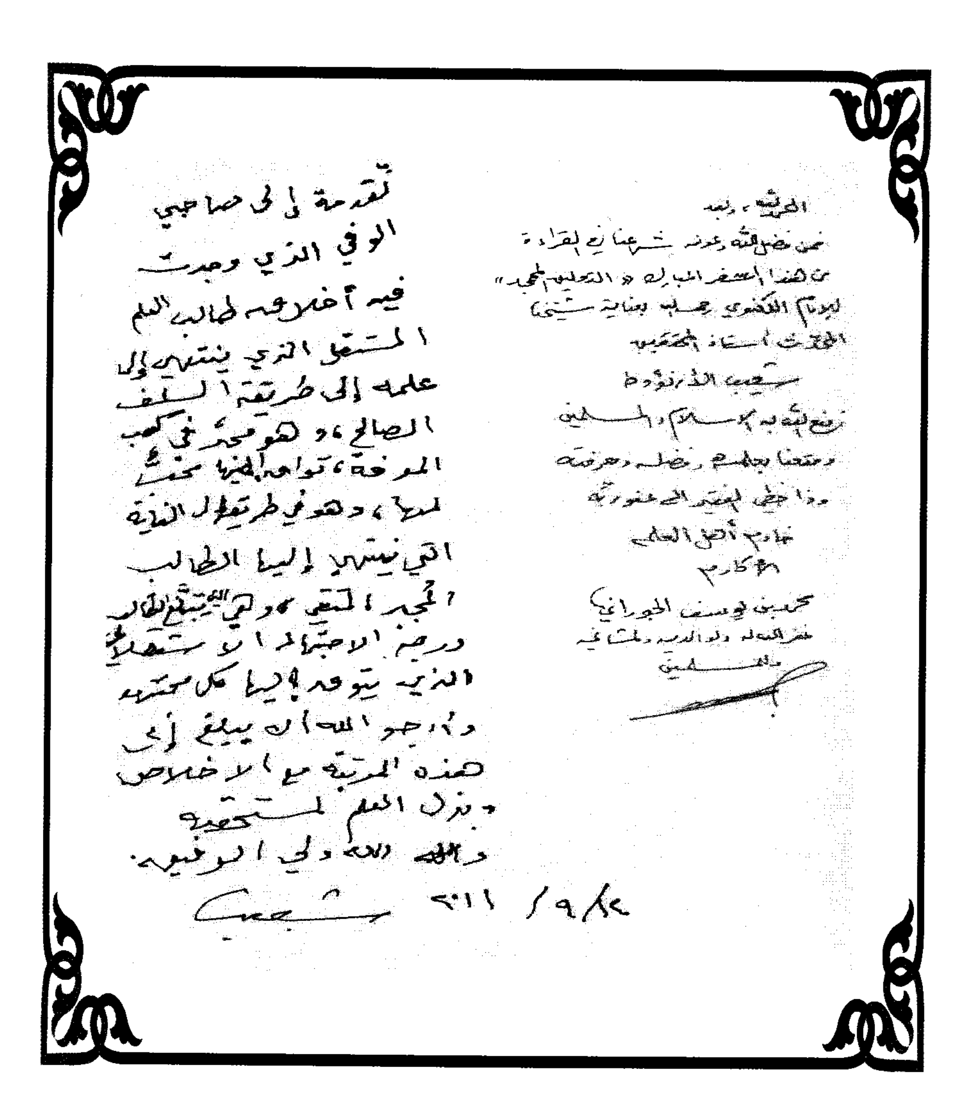
نص الإهداء

هديةٌ من شعيب بن محرم الأرنؤوط، إلى صاحبه الأستاذ أبي العالية محمد ابن يوسف الجوراني، وفَّقه الله، وسدَّد على الحق خُطاه، ونال من الله مسعاه .

شعيب

٣١/ ١/ ٢٠١٠

❑ ❑ ❑



الحمد لله، وبعد
فمن فضل الله وعونه شرعنا في القراءة
في هذا السفر المبارك «التعليق الممجد»
للإمام اللكنوي رحمه الله بعناية شيخنا
المحدث أستاذ المحققين
شعيب الأرناؤوط
نفع الله به الإسلام والمسلمين
ومتعنا بعلمه وفضله ومعرفته
وذا خط الفقير إلى عفو ربه
خادم أهل العلم
الأكارم
محمد بن يوسف الجوراني
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه
والمسلمين

تقدمة إلى صاحبي
الوفي الذي وجدت
فيه أنموذجًا لطالب العلم
المستقل الذي ينتهي إلى
علمه إلى طريقة السلف
الصالح، وهو مجتهد في كتب
المرحلة، [illegible]
[illegible]، وهو في طريقه إلى الغاية
التي ينتهي إليها الطالب
المجد المتقي، والتي يستطيع الطالب
ورجل الاجتهاد أو استقلال
الذي يتوق إليها كل مجتهد
وأرجو الله أن يبلغ إلى
هذه المرتبة مع الإخلاص
وبذل العلم لمستحقيه
والله ولي التوفيق.
شعيب ١٢/ ٩/ ٢٠١١

«التعليق الممجد على مؤطأ الإمام محمد» للكنوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

نص الإهداء

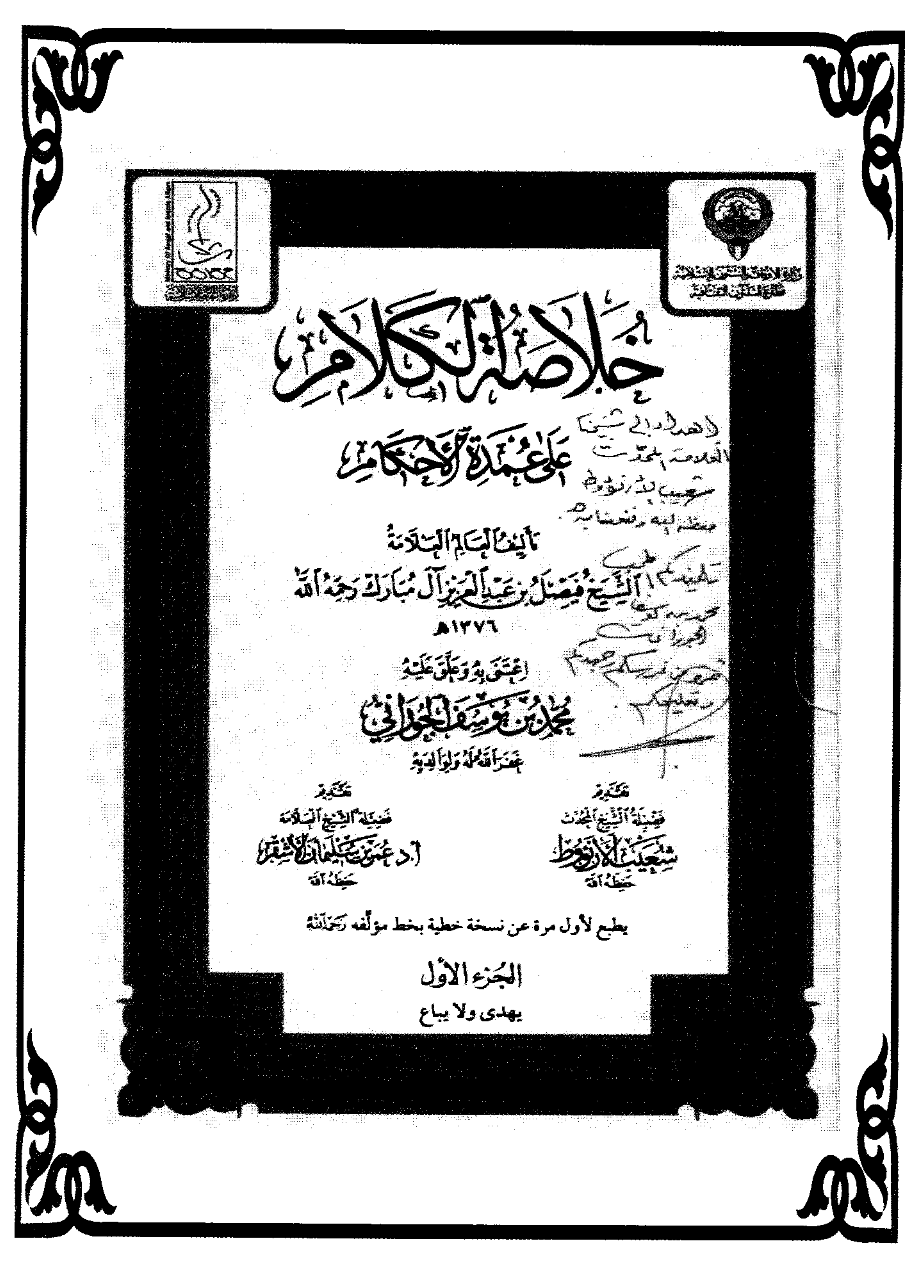
تقدمةٌ إلى صاحبي الوفيِّ الذي وجدتُ فيه أخلاق طالب العلم المستقل الذي ينتهي إلى علمه إلى طريقة السلف الصالح، وهو مجدٌّ في كسب المعرفة، تواقٌ إليها، محبٌّ لها، وهو في طريقه إلى الغاية التي ينتهي إليها الطالب المُجد المتقي، وهي التي تُبلِّغ الطالب درجة الاجتهاد الاستقلالي الذي يتوق إليها كل مجتهد، وأرجو الله أن يبلغ هذه المرتبة مع الإخلاص، وبذل العلم لمستحقِّيه، والله وليُّ التوفيق.

شعيب

١٤/٩/٢٠١١

❑ ❑ ❑

ب. إهداءاتُ التِّلميذِ لشيخِهِ :



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية

خُلاصَةُ الكَلامِ
عَلى عُمْدَةِ الأَحْكامِ

تأليف العالم العلامة
الشيخ فيصل بن عبد العزيز آل مبارك رحمه الله
١٣٧٦هـ

اعتنى به وعلق عليه
محمد بن يوسف الجوراني
غفر الله له ولوالديه

تقديم
فضيلة الشيخ المحدث
شعيب الأرنؤوط
حفظه الله

تقديم
فضيلة الشيخ العلامة
أ. د عمر بن سليمان الأشقر
حفظه الله

يطبع لأول مرة عن نسخة خطية بخط مؤلفه رَحِمَهُ اللَّهُ

الجزء الأول

يهدى ولا يباع

إهداء إلى شيخنا
العلامة المحدث
شعيب الأرنؤوط

«خلاصة الكلام على عمدة الأحكام» للعلامة فيصل آل مبارك رَحِمَهُ اللَّهُ

نص الإهداء

إهداءٌ إلى شيخنا العلَّامة المُحدِّث

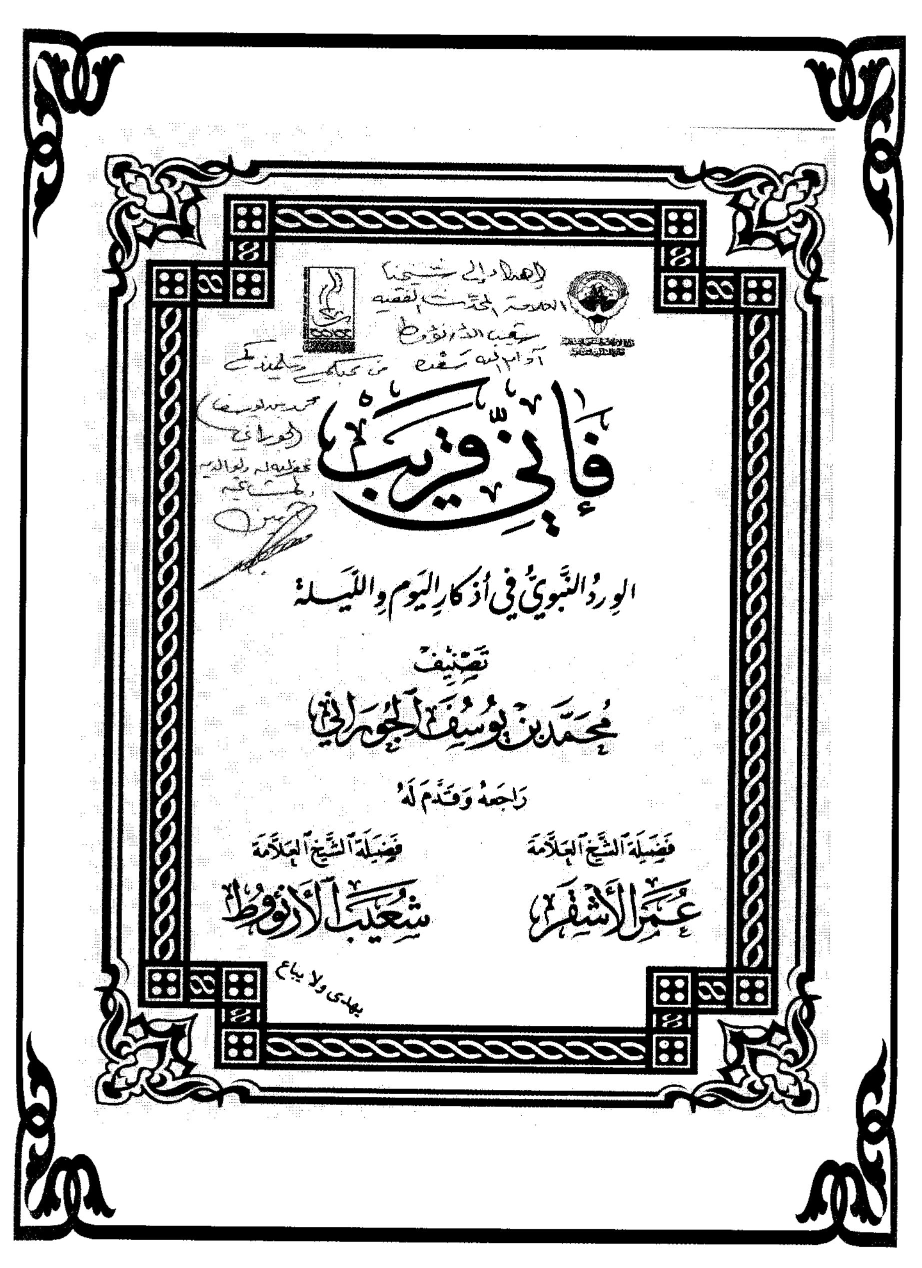


حفظه الله ونفعنا به، ثمرة من غرسكم وجهدكم وتعليمكم .

تلميذكم المحب



❑ ❑ ❑



فإني قريب

الورد النبوي في أذكار اليوم والليلة

تصنيف

محمد بن يوسف الجوراني

راجعه وقدم له

فضيلة الشيخ العلامة
عمر الأشقر

فضيلة الشيخ العلامة
شعيب الأرنؤوط

يهدى ولا يباع

«فإني قريب، الوِرْدُ النَّبويُّ في أذكار اليوم والليلة» للمؤلِّف

نص الإهداء

إهداءٌ إلى شيخنا العلَّامة المُحدِّث الفقيه

شُعَيب الأرنؤوط

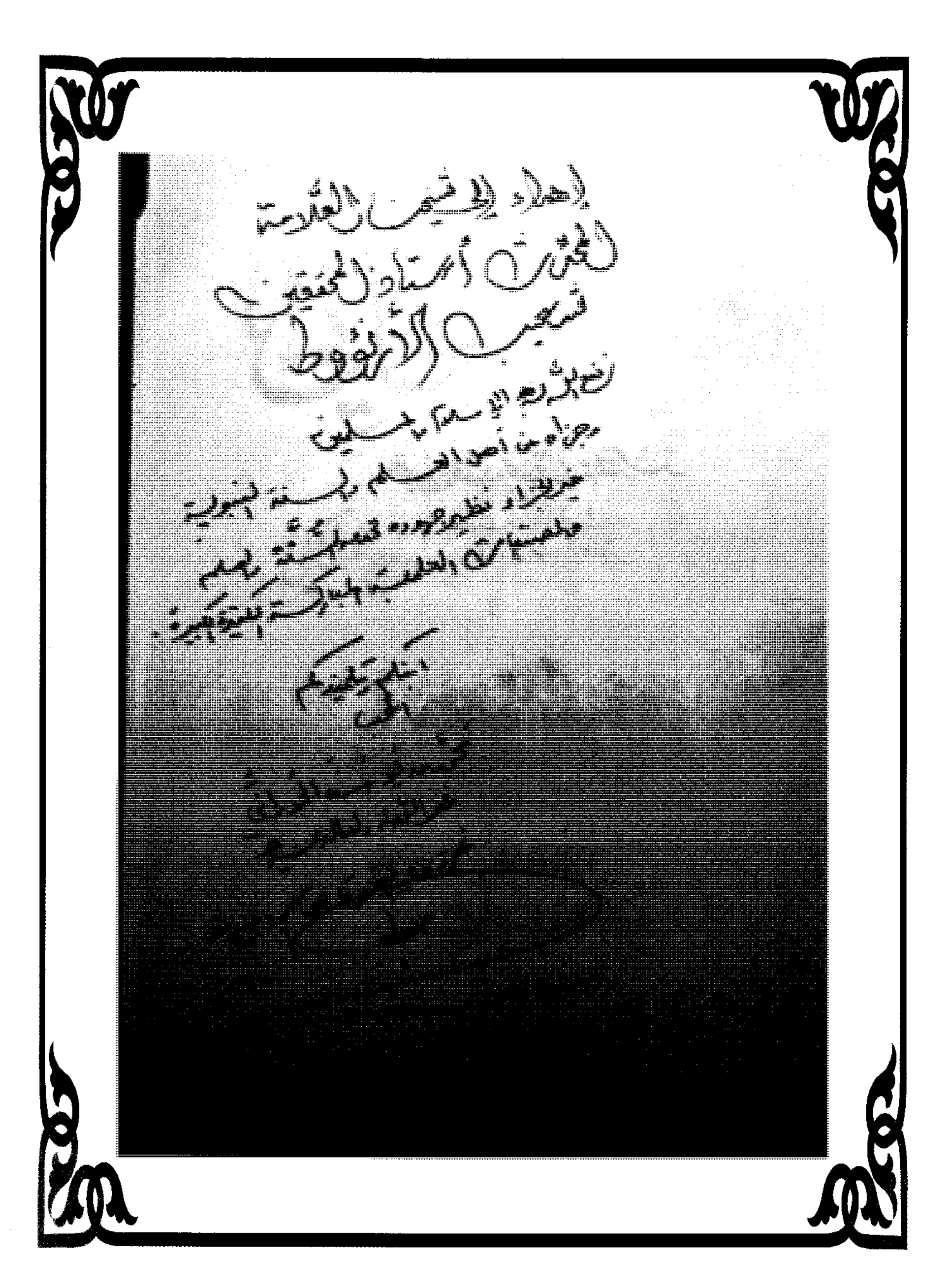
آدام الله سَعْده .

من محبكم وتلميذكم

محمد بن يوسف الجوراني

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه آمين.





إهداء إلى شيخ العلامة
المحدث أستاذ المحققين
شعيب الأرنؤوط

«روح المعاني» للألوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ط: الرسالة

نص الإهداء

إهداءٌ إلى شيخنا العلَّامة المُحدِّث، أستاذ المُحقِّقين

شعيب الأرنؤوط

نفع الله به الإسلام والمسلمين، وجزاه عن أهل العلم والسُّنَّة النبوية خير الجزاء، نظير جهوده لخدمة السُّنة والعلم، والمصنَّفات العلمية المباركة الكثيرة والكبيرة.

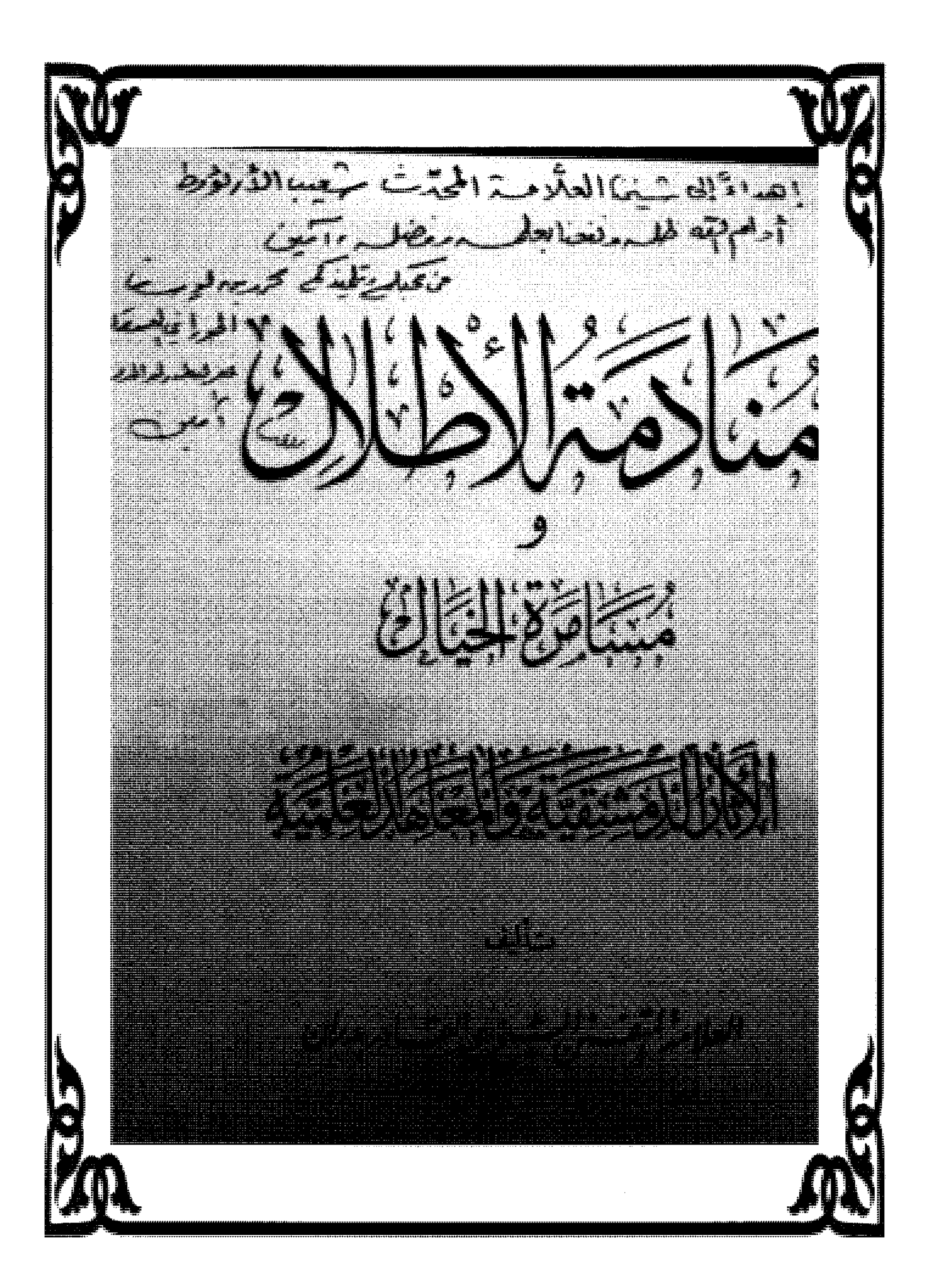
ابنكم وتلميذكم المحب

محمد بن يوسف الجوراني

غفر الله له ولوالديه

غرَّة ذي القعدة لعام ١٤٣١هـ





«منادمة الأطلال» للعلامة عبد القادر بن بدران رَحِمَهُ اللَّهُ

نص الإهداء

إهداءٌ إلى شيخنا العلَّامة المُحدِّث



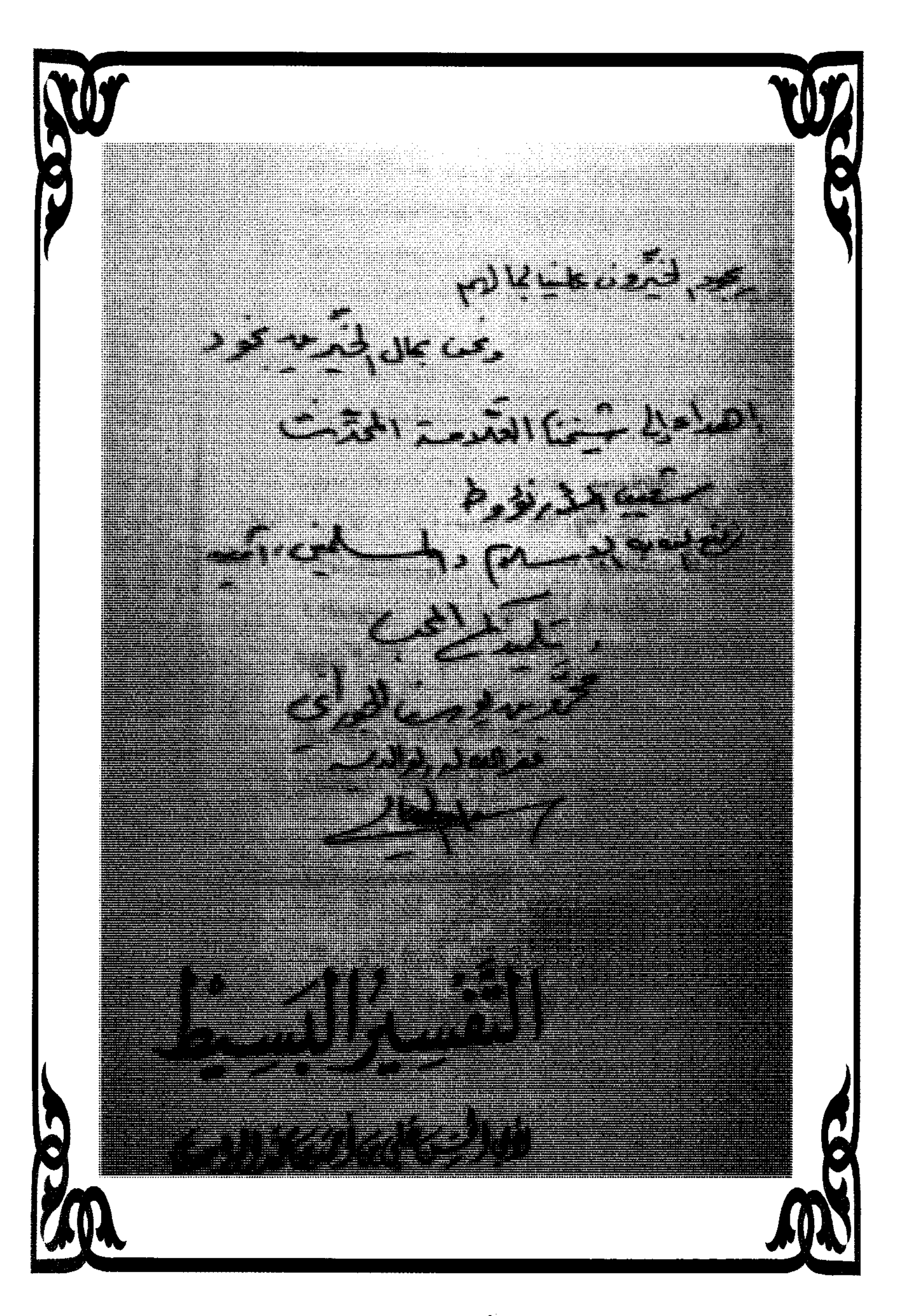
أدام الله ظِلَّه، ونفعنا بعلمه وفضله، آمين.

من محبكم وتلميذكم



غفر الله له ولوالديه

❑ ❑ ❑



«التفسير البسيط» للواحدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ط: جامعة الإمام محمد بن سعود

نص الإهداء

يجود الخيِّرون علينا بمالهم ونحنُ بمال الخيِّرين نجودُ

إهداءٌ إلى شيخنا العلَّامة المُحدِّث

شعيب الأرنؤوط

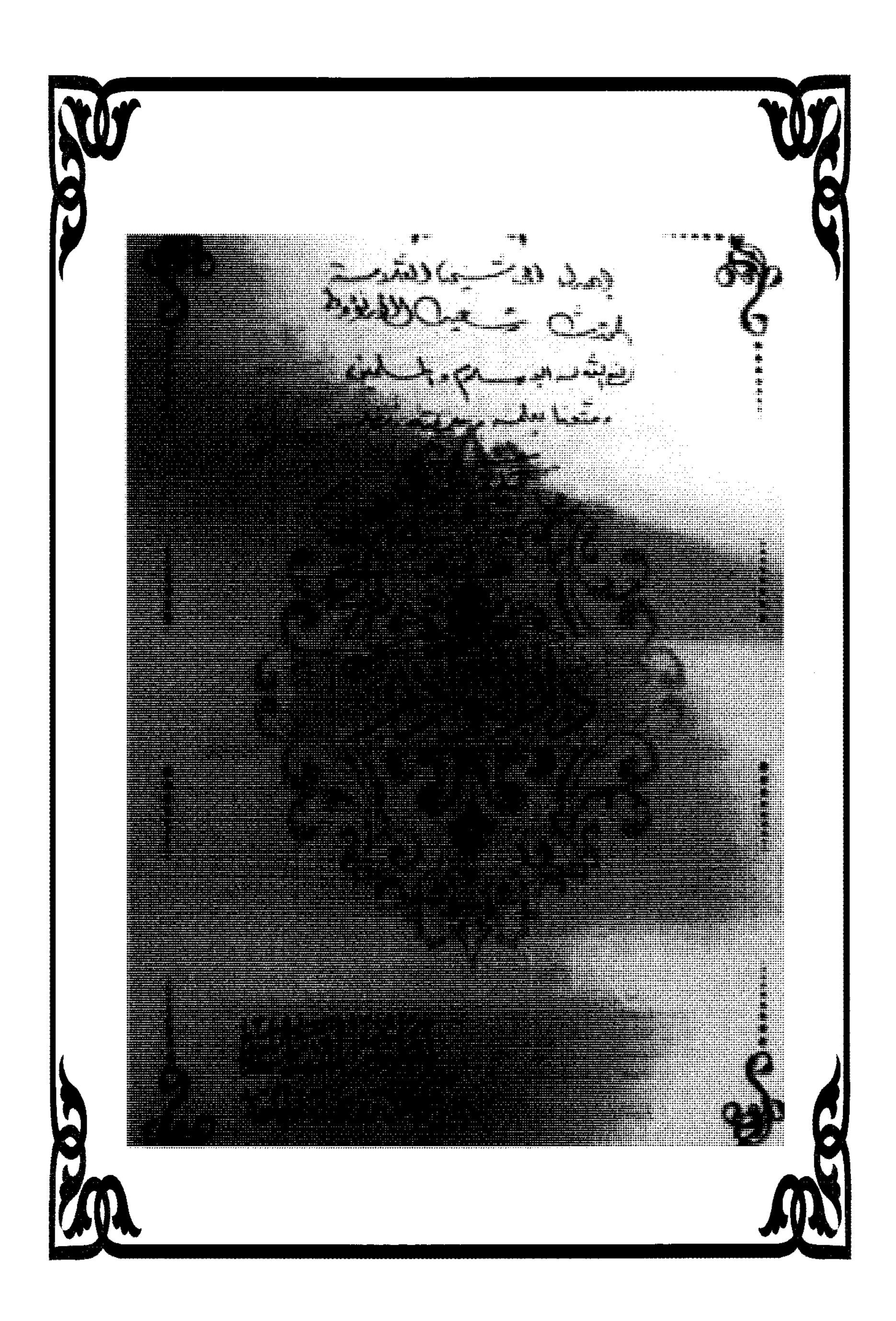
نفع الله به الإسلام والمسلمين، آمين .

تلميذكم المحب

محمد بن يوسف الجوراني

غفر الله له ولوالديه

❑ ❑ ❑



«نظم القناعة فيمن روى له الجماعة» لابن بَرْدِس البَعلبَكي رَحِمَهُ اللَّهُ

نص الإهداء

إهداءٌ إلى شيخنا العلَّامة المُحدِّث



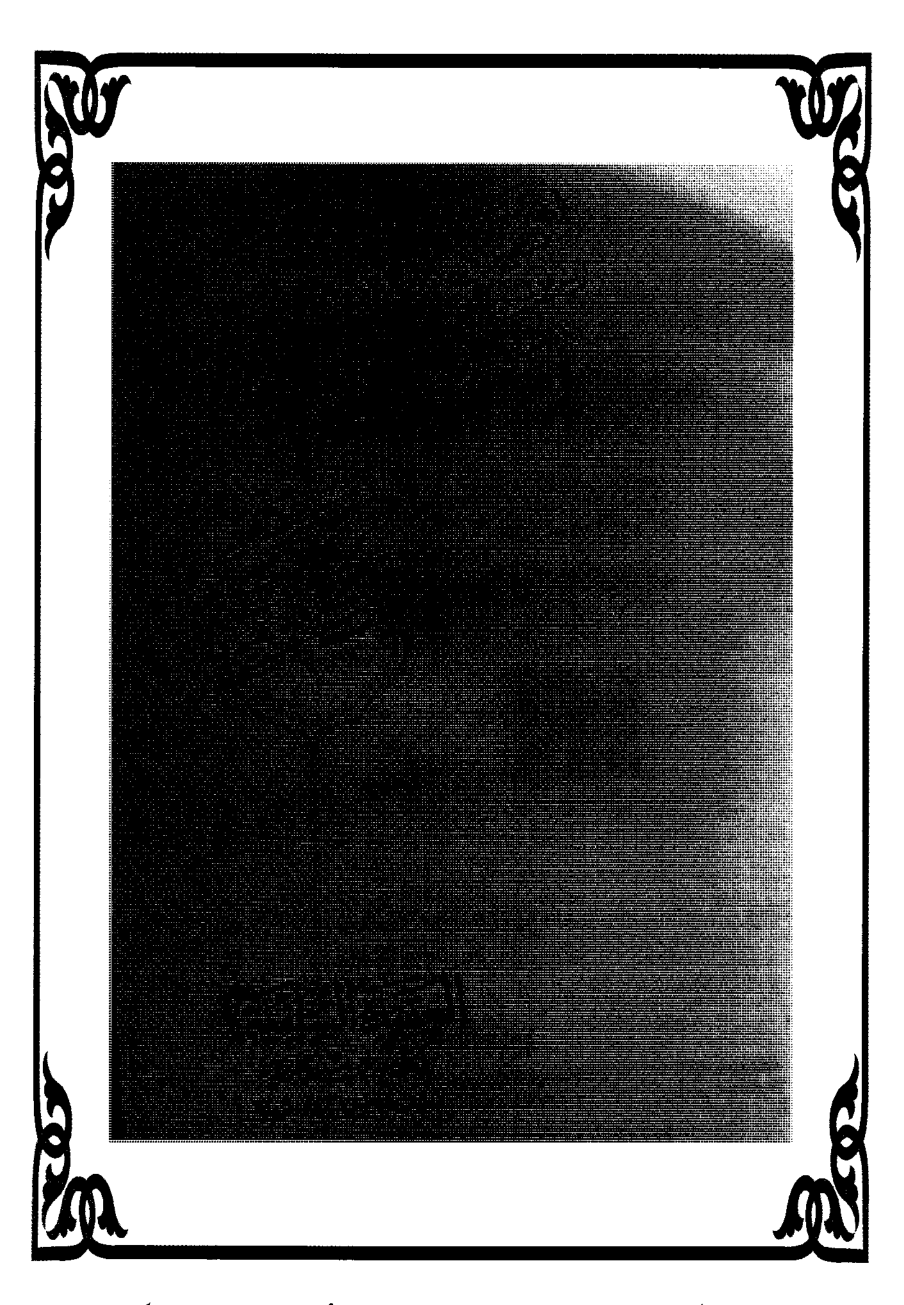
نفع الله به الإسلام والمسلمين، ومتَّعنا بعلمه ومعرفته وفضله.

تلميذكم المحب

محمد بن يوسف الجوراني

رجاء دعوة صالحة في ظهر الغيب

❑ ❑ ❑



«العقيدة السَّلفية في كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الرَّدية» للجديع

نص الإهداء

إهداءٌ إلى شيخنا العلَّامة



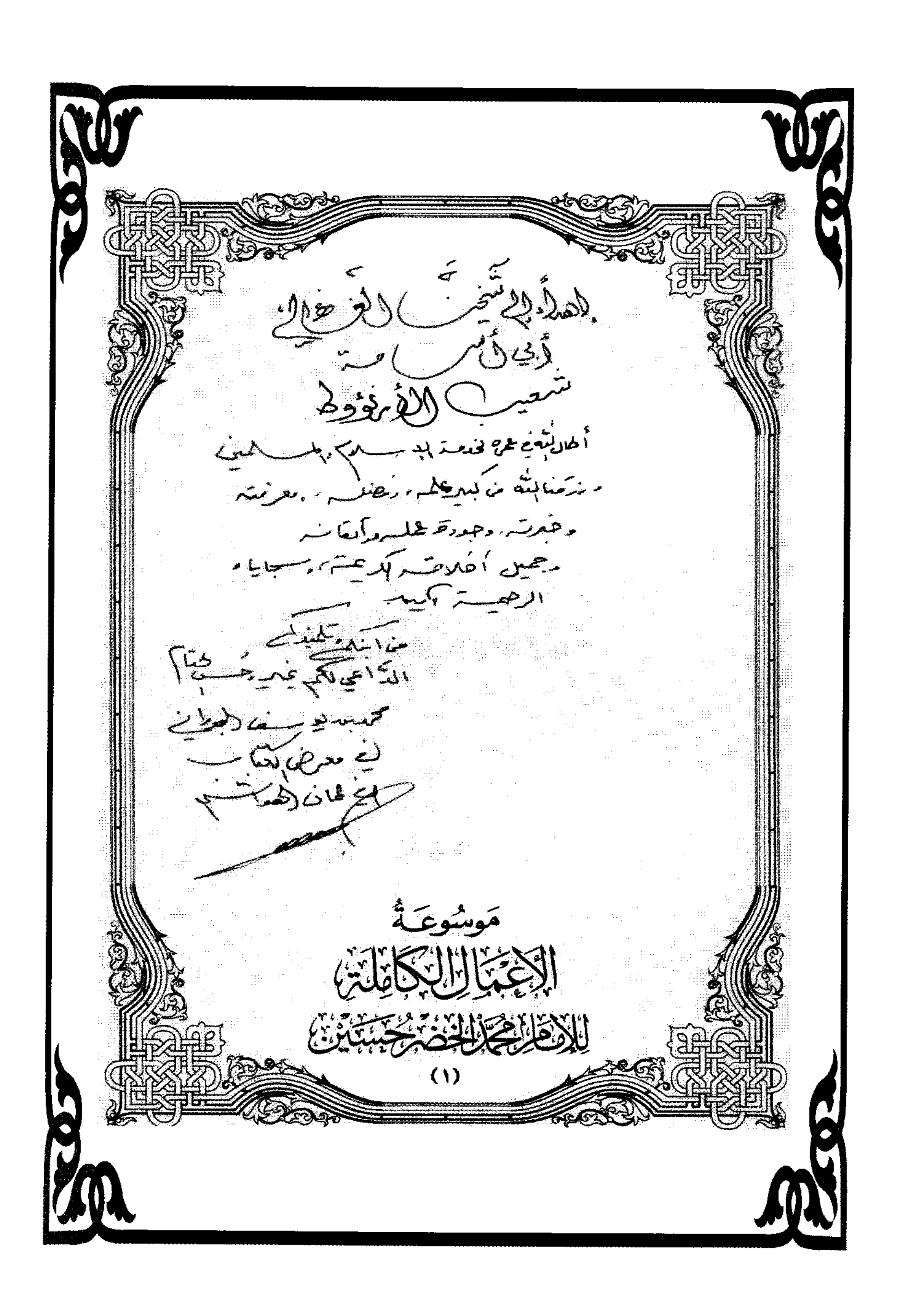
نفع الله به الإسلام والمسلمين، وأمدَّ في عمره على أحسن الطاعات.

محبكم وتلميذكم



غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

❑ ❑ ❑



«موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين»

نص الإهداء

إهداءٌ إلى شيخنا الغالي أبي أسامة



أطال الله في عمره لخدمة الإسلام والمسلمين، ورزقنا الله من كبير عِلْمه، وفضله، ومعرفته، وخِبْرته، وجَودة عمله وإتقانه، وجميل أخلاقه الكريمة، وسجاياه الرَّحيمة، آمين .

من ابنكم وتلميذكم

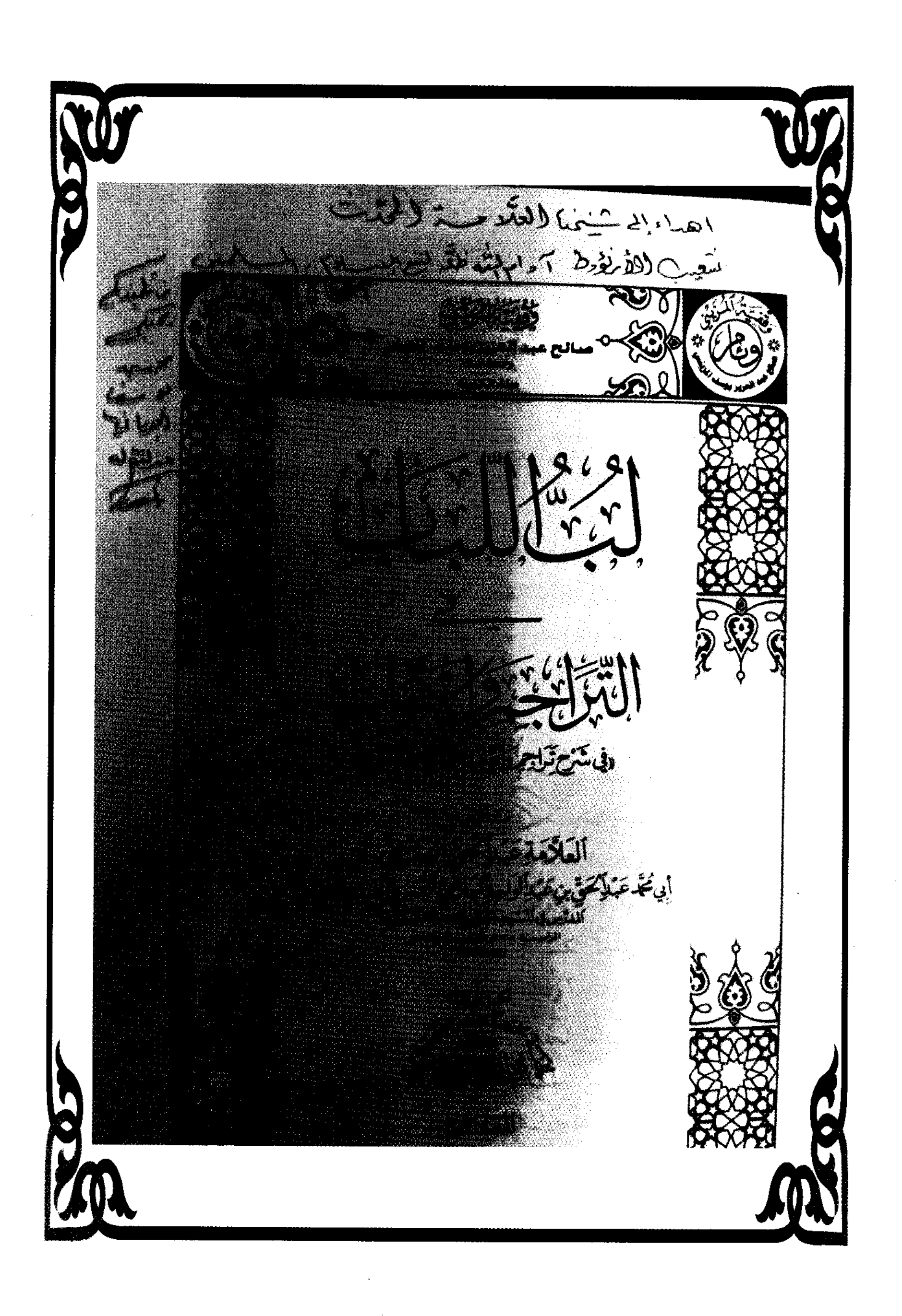
الداعي لكم بخير وحسن الختام



في معرض الكتاب

في عمان الهواشم

❑ ❑ ❑



«لُبُّ اللباب في التراجم والأبواب» للعلامة عبد الحق الهاشمي رَحِمَهُ اللَّهُ

نص الإهداء

إهداءٌ إلى شيخنا العلَّامة المُحدِّث



أدام الله ظلَّه لنفع الإسلام والمسلمين .

من تلميذكم ومحبكم



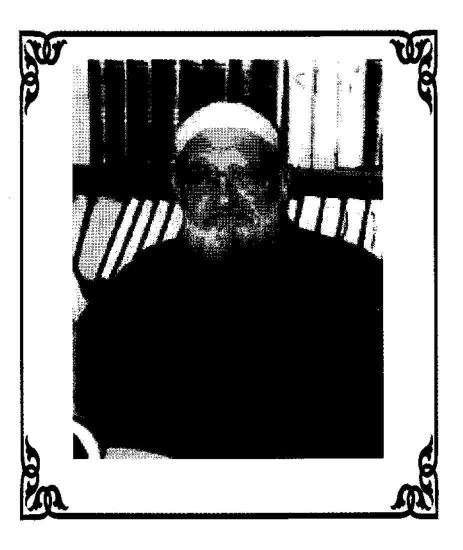
غفر الله له

❑ ❑ ❑



❑ مَواقفُ لَطِيفةٍ مع أهل العِلْم :

١. مع الشَّيخ عبد القَادِر الأَرنؤُوط رَحِمَهُ ٱللَّهُ :



توطَّدت العلاقة الحميمة بين شيخنا شعيب والشيخ العلَّامة عبد القادر الأرنؤوط رَحِمَهُ ٱللَّهُ حينما كانا في مُقتبل عمرهما، يَطلبُون العِلْم، ويتواصون به، فقد كانا منذ زمن الطَّلب، وأعمارهما خمس عشرة عاماً أخوين مُتحابَّين في الله، تشاركا في الأخذ عن كثير من الشُّيوخ آنذاك، والذي كان على رأسهم شيخهم العلَّامة محمَّد صالح الفرفور رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، وامتدَّت هذه العلاقة الطيِّبة المباركة إلى العمل سَويَّاً في تحقيق تراث أهل العلم، فعَمِلا معاً في المكتب الإسلامي، وتوجَّها بداية إلى تحقيق كتب الفقه، وذلك بعد أن ألمَّا بفقه الأحناف، فكان أولَ كتاب اشتركا في تحقيقه «منار السَّبيل» لابن ضويَّان الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، ثم تبعه «مطالب أولي النُّهى» للرُّحيباني، ثم توالت الكتب من «الكافي» ، و«زاد المسير» و «المبدع» و غيرها مما سبق ذكره في ثبت التحقيقات.

وقد انفرد الشَّيخ عبد القادر رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأعمال خاصة مثل، «شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد» للسفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ طبع المكتب الإسلامي، وبعد تَرْكِه العمل فيه، أخرج جملة من الكتب، مثل: «التَّوابين» لابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، و «جامع الأصول» لابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد شاركه شيخنا العلامة شعيب في المجلد الأول والثاني، وهذا يظهر من التعليقات السَّديدة القوية التي علَّقها شيخنا في ذينك المجلدين[1]، ثم انصرف شيخنا لأعمال أخرى، وأكمل «الجامع» الشيخ عبد القادر رَحِمَهُ ٱللَّهُ وبمشاركة من الأستاذ إبراهيم الأرنؤوط رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو شقيق شيخنا شعيب، أخبرني بذلك شيخنا شعيب حفظه الله، وقد نصَّ على هذه الاستفادة الشيخ عبد القادر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في خاتمة تحقيقه.

وقد أُعطي الشَّيخ عبد القادر رَحِمَهُ ٱللَّهُ بلاغة في الحديث، وقوَّة في الخطابة والوعظ، وكان يُكثر من الشَّواهد القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة، وهذه ميزة قلَّ أنْ تجدها في خطباء ذلك الزمان.

موقفٌ لطيف: وحين حجَّ في إحدى السنوات وصل خبره إلى سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فسُرَّ لذلك وأعجبه، وأرسله إلى بلده للدعوة إلى الله تعالى، وكان يدفع له راتباً شهرياً مقابل هذه الدَّعوة والتفرُّغ لها، وبعد مضي ثلاث سنوات تقريباً، مُنع الشيخ عبد القادر رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الدُّخول إلى موطنه للدعوة إلى الله، فما كان منه لإخلاصه وصدقه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن عاد إلى سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأخبره الخبر، وقال له: الآن لا أقدر على الاستمرار في الدعوة، فأَوْقِف ما كنت تمنحني به من

---

(١) وقد جُرِّدت مقدمة ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأهميَّتها، مع العناية الضافية، والتَّعليقات الشافية، بعناية شيخنا ومقيِّده، وهي قيد التَّنضيد الآن، وسترى النور قريباً إن شاء الله.

الراتب، ولكن الشيخ العلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، قال له : وهل تُحسن أنْ تَستمرَّ على هذا في بلاد الشام في مسجد الحي الذي أنت فيه؟

فقال الشيخ عبد القادر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : نعم .

فقال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ : إذن استمر على ذلك، ونحن مستمرون بإذن الله، وتمَّ هذا الأمر إلى وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أخبرني بهذا شيخنا العلامة شعيب الأرنؤوط حفظه الله .

ومن لطائف ما كان مع الشَّيخين : ما حدَّثني به شيخُنا شعيب قال: كنَّا ذات يوم في مناسبة زواج عند صديقنا الأستاذ عبد العزيز رباح رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، وكان في نشيد بعض المُنشدِين كلمات استغاثة بالنبي ﷺ ، وبعض الأمور التي لا تجوز في الشرع، فقام الشيخ عبد القادر وأنكر عليه ذلك باختصار، ثم قام شيخنا شعيب ببيان أنَّ هذا لا يجوز ، وبيَّن الصواب في مسألة التَّوسُّل والاستغاثة، وأنها لا تنصرف إلَّا لله تعالى، وأطال الكلام، إلى أنْ حان أذان العشاء، فقام بعض الحاضرين وهو يقول: في هذا العرس «وهَّابية» ! فكان من المُوافقات اللطيفة: حين صلَّى الناس صلاة العشاء، أنْ قرأ الإمام في صلاته ـ ولم يكن على عِلْم بما جرى في ذلك العُرس ـ قولَه تعالى : ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟

شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٨ – ٩٢]

فخرج الناس من الصَّلاة وهم يقولون بسبب هذا التَّوافق والتطابق والربط بين الأمرين: حتَّى الإمام مع الوهابية !!

ومن المواقف أيضاً : ما حدَّثني به شيخُنا حين كنتُ أقرأ عليه «الجامع الكبير» للإمام الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، في باب ما جاء في الجماعة في مَسجد قد صُلِّي فيه مرَّة (١/ ٢٧٤)، قال الترمذيُّ : حديثُ أبي سعيد حديثٌ حَسنٌ. وهو قول غير واحدٍ من أهل العلم من أصحاب النبيِّ ﷺ وغيرهم من التَّابعين، قالوا: لا بأسَ أن يُصلِّي القوم جماعةً في مسجد قد صُلِّي فيه جماعة، وبه يقول أحمد، وإسحق.

وقال آخرون من أهل العلم: يُصلُّون فُرادَى، وبه يقول سفيان، و ابن المبارك، و مالك، و الشَّافعي: يَختارُون الصلاة فُرادى .

فقال شيخنا : فكان الشيخ عبد القادر رَحِمَهُ ٱللَّهُ يذهب إلى القول بالصلاة فرادى، وكنتُ أميل إلى الجماعة، فكنت أرقب الشيخ حتى إذا كبَّر منفرداً في صلاته، التحقت به فصليتُ جماعةً، فيحصل لكل واحدٍ مذهبه .

ومن مواقف الشَّيخ عبد القادر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إنكار المنكر :

وفيها طرافة : ما حدَّثنيه شيخي شعيب، قال : كُنَّا ذات يوم في الجامع الأموي، وإذا برجل يدَّعي أنَّه المَهدِي، وكثر اللَّغط فيه، فقال الشيخ عبد القادر: سأذهب للتَّفاهم معه، فلما جاء للرجل، قال له : من أنت ؟

قال الرجل : المهدي .

فقال له الشيخ عبد القادر : اخرج وارحل، فأنا عيسى !

يريد أنَّ المهديَّ ينتهي أمره بنزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

هذه بعض الجوانب والمواقف المُشرقة في حياة هذا الشَّيخ النَّبيل، ولكم سمعتُ شيخنا شعيب حفظه الله يُثني كثيراً على رفيق دربه، وأنيس مجلسه، فقد قالحفظه الله :لقد كان الشَّيخ عبد القادر رَحِمَهُ اللَّهُ ليِّن العريكة، واسع الصدر، وقد كان التَّفاهم بيننا في تناول المسائل العِلْمية قريباً جداً، مع المحبَّة والوفاء، وإن اختلفنا في بعض المسائل العلمية، فلا يُنكِر أحدُنا على الآخر، وكنَّا في بعض المسائل نُؤثِر بعضنا على بعض في التَّعليق عليها، وقد نُخصِّص شيئاً منها لبعض الحروف التي ترمز لأحدنا: (ع) عبد القادر، و(ش) شعيب، إن كان أحدنا يذهب لذلك القول والتعليق عليه دون الآخر.

ولا غَرْو في هذا، فهو من باب احترام الرَّأي الآخر إذا ما كان في الأمر سعة، وفي المسألة أكثر من رأي وجيهٍ، وهذه الأخلاق لاتكون إلَّا من سجايا العلماء الفقهاء العاملين بما علموا، وانتفعوا به، ولهذا فلطالما سمعت شيخنا متَّعنا الله به يقول : «**مهما اختلفنا في المسائل العلمية، فإنَّنا نبقى أحبَّة متآلفين في ذات الله تعالى**».

وهذا دَرْسٌ عمليٌّ في هذا العصر المُتأخر عن تِلْكم القرون الفاضلة، والتي كان من أخلاق ذاك الزَّمان الفاضل، ما حدَّثنا به الإمام الذَّهبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «السِّير»[1] عن الإمام الأُعجوبة الشَّافعي رَحِمَهُ اللَّهُ، حين اختلف مع يُونس الصدفي رَحِمَهُ اللَّهُ قال:

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ١٦)

قال يُونس الصَّدفي: ما رأيتُ أعقلَ من الشَّافعيِّ، ناظرتُه يوماً في مسألة، ثم افترقنا، ولَقِيني، فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى، ألا يَستقيمُ أن نكون إخواناً وإنْ لم نتَّفق في مسألة.

ثمَّ يقول الإمام الذهبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ مُعلِّقاً: هذا يدلُّ على كمالِ عقل هذا الإمام، وفِقْه نَفسِه، فما زال النُّظراءُ يختلفون.اهـ

فليتَ طلبة العِلْم اليوم يَعُون هذه الأخلاق في مَيادين البحث والعلم، عِوضاً عن تلكم الأخلاق المُتدنِّية في التَّقريع، وإساءة الظنِّ، وما لا تُحمد عقباه، وإذا عرفتَ فالْزَم .



٢. مع الشَّيخ أبي الحسن النَّدوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ [١]:





لقد زار الشَّيخ العلامة أبو الحسن النَّدوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأردن في عام **١٩٨٤م**، وذلك بدعوة من مؤسسة آل البيت لعقد مؤتمر عن الحضارة المدنية والإسلامية والأدوار التاريخية التي مرَّت بها في مختلف بلدان العالم الإسلامي، فعقد الشَّيخ أبو الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ العزم على المشاركة في المؤتمر، وأعدَّ ورقة تتعلَّق **بالثقافة الإسلامية والمدنية الإسلامية في الهند، وخدمات المسلمين ومآثرهم الجليلة في ذلك.**

وخلال فترة المؤتمر كان الشيخ أبو الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتردَّدُ كثيراً على شيخنا شعيب الأرنؤوط للتباحث العلمي والمعرفي حول المسائل العلمية، ولهذا مكث في منزل شيخنا وأقام عنده سبعة أيام.

وحدَّثني شيخنا أنَّ مما استفادَه من الشَّيخ أبي الحسن النَّدوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

(١) انظر شيئاً من هذه الرحلة في «رحلات العلامة أبي الحسن الندوي» التي جمعها الشيخ سيد الغوري (٤٧٩)

قال: كنتُ أستفيدُ منه من خبراته في الحياة العلميَّة والاجتماعية، وقد كان يُعْنَى قبل المحاضرة أن يُزوِّر في نفسه ما يريد أن يتحدَّث به للنَّاس، وهذا تعلَّمْتُه منه، **فمِنَ المُهمِّ للدَّاعية أنْ يحترم من يستمع له، فلا بدَّ من الإعداد الجيِّد والانتقاء المفيد.**

وقد كان أبو الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتدفَّق كالسَّيل الأَتِيِّ في محاضراته، فقد جمع أطراف العربيَّة وفنونها، ومن عَجِيب محفُوظاتِه أنَّه يحفظ «مقامات الحريري».

ومن لطيف المواقف التي كانت بين شيخنا والشَّيخ أبي الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما حدَّثنيه شيخُنا:

أنَّ الشَّيخ أبا الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقد نام بضعة أيَّام في منزل شيخِنا، فكانا بعد قُفُولهما من صلاة الفجر، يُنشِد شيخُنا بعض قصائد إقبال رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالعربية، ثُمَّ يقوم الشَّيخ أبو الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ بِسَرْدِها باللغة الأُرْدِيَّة، حتى يَصِلا إلى البيت، ومن أكثر ما كان يُعجبُهما من تِلْكم القصائد، قصيدة فريدة عزيزة، وهي «**الشَّكوى وجواب الشَّكوى**»(١)

يقول إقبال في هذه القصيدة الفَريدة ـ متعدِّدة القوافي ـ وهي مِن أَمتع القَصائدِ الإسلامية وأشهرها:

---

(١) انظرها في ديوان إقبال: «صلصلة الجرس»، وانظرها أيضاً في ديوان إقبال (١/ ٩٣) ط: دار ابن كثير، بإعداد الشيخ سيد عبد الماجد الغوري جزاه الله خيراً.

شكْوايَ أمْ نَجْوايَ في هـذا الدُّجى ونجـومُ لـيلي حُسَّدي أو عُـوَّدي
أمسيتُ في المـاضي أعِـيْشُ كـأنما قطعَ الزمانُ طريـق أَمْسِي عـن غَـدِي
والطـيرُ صـادحةٌ عـلى أَفنَانِهَـا تُبكـي الرُّبـى بأنِيْنها المُتجـدِّدِ
قـد طـال تَسْهِيْدي وطـالَ نـشيدُها ومَـدَامِعِي كالطـلِّ في الغُـصْنِ النَّـدِي
فـإلى متـى صَـمْتِي كـأنِّي زهـرةٌ خَرْسَـاءُ لمْ تُـرْزَقْ بَراعَـةُ مُنْـشِد
قَيْثَـارتي مُلِئَـتْ بأنَّـات الجَـوى لا بُـدَّ للمَكْبُـوْتِ مِـنْ فَيَـضَانِ
صَعدَتْ إلى شَـفَتي بلابـلُ مُهْجَتِي لِيبَـيْن عنهـا مَنطقـي ولِـسَاني
أناما تَعَـدَّيْتُ القناعـةَ والرِّضـا لكـنَّما هـي قـصةُ الأَشْـجَانِ
أَشْـكُوْ وفي فَمـي الـتُّرابُ وإنَّـما أَشْـكُوْ مُـصابَ الـدِّين للـدَّيَّان
يَـشْكُو لـكَ اللهـمَّ قلـبٌ لم يَعِـشْ إلاَّ لحمـدِ عُـلاكَ في الأَكْـوَانِ
قد كانَ هـذا الكـونُ قبـل وُجودِنـا رَوْضـاً وأزهـاراً بغـير شَـمِيْم
والـوردُ في الأَكْـمَامِ مجهـولُ الـشَّذَى لا يُرْتَجـى وردٌ بغـير نَـسِيم
بَـلْ كَانَـتِ الأيَّـامُ قبـل وُجودِنـا لَـيْلاً لظالِمِهـا وللمَظْلُـوم
لـمَّا أطـلَّ (مُحَمَّـدٌ) زَكَـتِ الرُّبـى واخـضَرَّ في البُـسْتَانِ كـلُّ هَـشِيْم
وأَذَاعَـتِ الفِـرْدَوسُ مَكْنُـونَ الـشَّذا فـإذا الـورى في نُـضْرةٍ ونَعِـيم
مَنْ كـان يَهتِـفُ باسْـم ذاتِـك قَبْلَنَا مَـنْ كـان يَـدْعو الواحـدَ القهَّـارا
عَبَـدُوا تَماثِيـلَ الـصُّخورِ وقدَّسُـوا مِـنْ دُونِـكَ الأحْجـارَ والأشـجارا
عَبَـدُوا الكَوَاكِـبَ والنُّجـومَ جَهَالَـةً لَـمْ يَبْلُغُـوا مِـنْ هَـدْيِها أَنْـوَارا
هَـلْ أَعْلَـنَ التَّوْحِيْـدَ داعٍ قَبْلَنَـا وهَـدَى الـشُّعُوبَ إليـكَ والأَنظـارا
كُنَّـا نُقَـدِّم لِلـسُّيُوفِ صـدُورَنا لـمْ نَخْـشَ يَوْمـاً غَاشِـماً جبَّـارا
قَدْ كَـانَ في اليُوْنَـانِ فَلْسفَةٌ وفي الـ ـرُّومَانِ مَدْرَسَةٌ وكانَ المُلكُ في سَاسَانِ
لَـمْ تُغْـنِ عَـنْهُم قـوَّةٌ أو ثَـرْوَةٌ في المـالِ أو في العِلْـمِ والعِرْفـانِ
وبِكُـل أرضٍ (سـامِريٌّ) مَـاكِرٌ يَكْفِـي اليهـودَ مَؤُوْنَـةَ الـشَّيطانِ

والحِكْمَـــةُ الأولى جَـــرَتْ وثنيَّـــةً ... في الـــصِّين أو في الهِنْـــدِ أو طُـــوْرانِ
نَحْنُ الذين بِنْـورٍ وَحْيِـكَ أَوْضَـحُوا ... نَهْـــجَ الهُـــدى ومَعَالِـــمَ الإيـــمَانِ
مَنْ ذَا الذي رفعَ السُّيوفَ ليرفعَ اسْـ ... ـــمَكَ فَـوقَ هامـاتِ النُّجـومِ مَنـارَا
كُـــنَّا جبـــالاً في الجِبَـــالِ ورُبَّـــما ... سِرْنـــا عـــلى مَـــوْجِ البِحـــارِ بِحَـــارَا
بِمَعابِـــدِ الإفْـــرَنْجِ كـــانَ أَذَانُنَـــا ... قبـــلَ الكَتائِـــبِ يَفـــتحُ الأَمْـــصَارَا
لَـــمْ تَـنْسَ أفريْقِيـة ولا صَـحْراؤُها ... سَـــجَدَاتِنا والأرْضُ تَقْـــذِفُ نـــارَا
وكـأنَّ ظِـلَّ الـسَّيْفِ ظِـلُّ حديقـةٍ ... خَـــضْراءَ تُنْبِـــتُ حوْلنـــا الأزْهَـــارا
لَـــمْ نخـشَ طاغوتـاً يحارِبُنـا ولـو ... نَـــصَبَ المنايـــا حَوْلنـــا أسْـــوارَا
نَـدْعُو جِهـاراً لا إلـه سِـوى الَّـذي ... صـــنعَ الوجـــودَ وقـــدَّر الأقـــدارا
ورؤوسُـــنا يـــا ربِّ فـــوقَ أكُفِّنـــا ... نَرْجُـــو ثوابَـــك مَغْـــنَماً وجِـــوارَا
كُنَّـــا نـــرى الأصـــنامَ مـــنْ ذهـــب ... فَنَهْـــدِمُهَا ونَهْـــدِمُ فَوقَهـــا الكفَّـــارَا
لـــو كـــان غَـــير المُـــسلِمين لحازَهـــا ... كنْـــزاً، وصـــاغَ الحِـــلْيَ والـــدِّينَارَا
كم زُلْزِل الصَّخرُ الأشَـمُّ فـما وَهَـى ... مـــنْ بأسِـــنا عَـــزمٌ ولا إيْـــمَانُ
لـــو أنَّ آســـادَ العَـــريْنِ تفزَّعـــتْ ... لمْ يَلْـــقَ غـــير ثَباتِنـــا الميـــدانُ
وكـــأنَّ نِـــيران المَـــدافع في صُـــدُوْ ... رِ المـــؤمنينَ الـــرَّوحُ والرَّيحـــانُ
توحيـــدُك الأعـــلى جَعَلْنَـــا نَقْـــشَه ... نُـــوراً يُـــضيءُ بـــصُبْحِهِ الأزمـــانُ
فغَـدَتْ صُـدورُ المؤمنين مَـصَاحِفاً ... في الكـــونِ مـــسطوراً بِهـــا القـــرآنُ
مَـــنْ غيرُنـــا هَـــدمَ التماثيـــلَ الَّتـــي ... كانـــت تُقدِّســـها جَهَـــالات الـــوَرى؟
حتَّـى هَـوَتْ صُـوَرُ المعابـدِ سُـجَّداً ... لجـــلالِ مَـــنْ خَلـــقَ الوجـــودَ وصـــوَّرَا
ومَـــنِ الأُلى حمَلُـــوا بعـــزم أكُفِّهـــمْ ... بـــابَ المدينـــةِ يـــومَ غـــزوَةِ خَيْـــبَرَا؟
أَمَّـــنْ رمـــى نـــارَ المَجُـــوسِ فأُطفِئـــتْ ... وأبـــانَ وجْـــهَ الحـــقِّ أبْلَـــجَ نـــيِّرا؟
ومـــنِ الـــذي بـــذلَ الحيـــاةَ رَخِيـــصةً ... ورأى رِضَـــاكَ أعـــزَّ شيءٍ فاشْـــتَرَى ؟
نحـــنُ الَّـــذين اســـتيقظتْ بـــأَذانِهم ... دُنيـــا الخليقـــةِ مِـــنْ تهاويـــلِ الكَـــرى

نحــنُ الَّــذين إذا دُعُــوا لِـصَلاتهم والحـربُ تَـسقي الأرضَ جامَـاً أحْمَـراً

جعلوا الوجوهَ إلى الحجـاز وكـبَّروا في مــسمع الــرُّوح الأَمــينِ فكــبَّرا

محمــودُ مثــلُ إيَــاز قَــام كُلاهمــا لــكَ بالخُــشُوعِ مــصلِّياً مُــسْتَغْفِراً

والعبــدُ والمَــوْلى عــلى قَــدَم التُّقــى سَجَدا لوجهِكَ خاشعينَ عـلى الثَّـرى

بَلَغــتْ نهايــةَ كــلِّ أرضٍ خَيْلُنــا وكــأنَّ أبْحُرَهــا رمــالُ البَيْــدِ

في مَحفْــلِ الأكــوانِ كــان هلالُنــا بالنَّــصر أوضــحَ مــنْ هــلال العِيْــدِ

في كــلِّ موقعــةٍ رفعنــا رايــةً للمجــدِ تُعلــنُ آيــةَ التَّوحيــدِ

أُمَــمُ البَرايــا لم تكــن مــن قبلنــا إلَّا عَبيــداً في إســارِ عبيــدِ

بلغــتْ بنــا الأجيــالُ حُرِّيَّاتهــا مِــنْ بعــد أصــفادٍ وذلِّ قُيُــودِ

رُحمــاكَ ربِّ هــل بغــير جِباهِنــا عُــرِف الــسُّجودُ ببَيتِــكَ المَعْمُــورِ؟

كانت شِغافُ قُلوبِنا لـكَ مُـصْحفاً يحْــوي جــلالَ كتابِــكَ المَــسْطورِ

إنْ لَــمْ يكــنْ هــذا وفــاءً صــادقاً فــالخلقُ بالــدُّنيا بغــيرِ شُــعورِ

مــلأ الــشعوبَ جُناتُهــا وعُــصاتُها مِــنْ مُلْحِــدٍ عــاتٍ ومِــنْ مَغْــرورِ

فإذا السَّحَابُ جـرى سَـقاهُم غَيْثَـه واختــصَّنا بــصواعِقِ التَّــدْمِيْرِ

قــد هَبَّــتِ الأصــنامُ مِــنْ بعــد البِلى واســتيقظت مــن قبــل نفــخِ الــصُّورِ

والكعبــة العليــا تــوارى أهلُهــا فكــأنَّهم مَــوْتى لغيرنُــشورِ

وقوافــلُ الــصَّحراءِ ضــلَّ حُــدَاتُها وغــدتْ منازِلُهــا ظِــلالَ قُبُــورِ

أنا ما حسَدْتُ الكافِرِيْنَ وقدْ غَـدَوْا في أنعُــمٍ ومواكِــبَ وقُــصورِ

بــلْ مِحنتــي ألَّا أرى في أُمَّتــي عمــلاً تُقدِّمــه صَــداقَ الحُــورِ

لــكَ البريَّــةُ حكمــةٌ ومــشيئةٌ أعْيَــتْ مَــذَاهِبُها أُولي الألْبــابِ

إن شئْتَ أجريـتَ الـصَّحاري أنهُـراً أو شــئْتَ فالأنهــارُ مــوْجُ سرابِ

فــإذا دُهِــيَ الإســلامُ في أبنائــه حتَّــى انطــوَوْا في محنــةٍ وعــذابِ ؟

فثَــراؤُهُم فقــرٌ ودولــةُ مجْــدِهم في الأرض نَهْــبُ ثعالــبٍ وذئــابِ

عاقَبْتَنـا عـدلاً فهـبْ لعـدوِّنا   عـن ذنبـه في الـدهر يـوم عقـاب
عاشُـوا بثَروتِنـا وعـشْنا دُونَهـم   للمـوت بـين الـذُّلِّ والإمـلاقِ
الـدِّين يَحْيـا في سـعادةِ أهلـه   والكـأسُ لا تَبقـى بغـير السَّاقي
أيـن الـذين بنـار حبِّـك أرْسَـلُوا   الأنـوارَ بـين محافـل العـشَّاقِ
سـكَبُوا اللَّيـاليَ في أنـينِ دُمـوعهم   وتوضَّـؤُوا بمـدامعِ الأشـواق
والشمسُ كانت من ضياءِ وُجُوههم   تَهْـدِي الـصَّباحَ طلائـعَ الإشراقِ
كيـفَ انطـوتْ أيـامُهم وهـمُ الأُلي   نشرُوا الهُـدى وعَلَـوْا مكـانَ الفَرْقَـدِ؟
هجروا الدِّيارَ فـأين أزمـعَ ركـبُهُمْ   مـنْ يهتـدي للقـوم أو مـنْ يَقْتـدي ؟
يـا قلـبُ حـسبُك لم تُلِـمَّ بطـيفِهِمْ   إلاَّ عـلى مـصباحِ وَجْـهِ مُحَمَّـدِ
فـازُوا مـن الـدُّنيا بمجـدٍ خالـدٍ   ولهـم خلـودُ الفـوزِ يـوم الموعِـدِ
يـا ربِّ أَلْهِمْنـا الرَّشـادَ فـما لنـا   في الكَـون غـيركَ مـنْ وليٍّ مُرْشِـدِ
مـا زال قـيسٌ والغـرامُ كعَهْـدِه   وربـوعُ لـيلى في ربيـع جمالِهـا
وهِـضابُ نجـدٍ في مَراعيهـا المَهـا   وظباؤُهـا الخفـراتِ مـلءُ جبالِهـا
والعـشقُ فيَّـاضٌ وأُمَّـةُ أحمـدٍ   يتَحَفَّـزُ التـاريخُ لاسـتقبالِها
لـو حاولـتْ فـوق الـسَّماء مكانـةً   رقَّـتْ عـلى شـمسِ الـضُّحى بهلالِها
مـا بالُهـا تَلْقَـى الجـدودَ عـواثراً   وتـصُدُّها الأيَّـامُ عـن آمالِهـا
هَجْرُ الحبيبِ رمَى الأحبـةَ بـالنَّوى   وأصـابهُم بِتَـصَرُّم الآمَـالِ
لم يَبْـقَ في الأرواح غـيرُ بَقيـةٍ   رُحمـاكَ يـا مـرآة كـلِّ جمـال
لـو قـد مللنـا العِشْق كـانَ سـبيلُنا   أن نـستكين إلى هـوى وضـلال
أو نـصنعَ الأصـنام ثـمَّ نبيعهـا   حاشـا الموحِّـد أن يَـذِلَّ لمـال
أيـامُ سـلمانَ بنـا موصـولةٌ   وتُقـى أُويـس في أذانِ بـلال
يـا طِيْـبَ عَهْـدٍ كنـتَ فيـه مَنارَنـا   فبعثْـتَ نورالحـقِّ مِـنْ فـارانِ
وأسرْتَ فيـه العاشـقين بلَمْحَـةٍ   وسـقيْتَهم راحـاً بغـير دِنَـانِ

أحرقْـتَ فيـه قلـوبَهم بتوقُّـدِ الإيـمان لا بتَلَهُّـب النِّـيرانِ
لم نبـقَ نحـنُ ولا القُلُـوبُ كأنَّهـا لم تَحْـظَ مـن نـارِ الهـوى بـدُخانِ
إنْ لم يُنَـرْ وجـهُ الحبيـب بوَصْـلِهِ فمكـانُ حُـزْنِ القلـبِ كـلُّ مكـانِ
يـا فرحـة الأيـام حـين نـرى بهـا روض الـتَّجلِّي وارفَ الأغـصانِ
ويعـود محفلُنـا بحُـسنك مُـسفِراً كالـصُّبح في إشراقـه الفينـانِ
قـد هـاجَ حـزني أنْ أرى أعـداءنا بـين الطِّـلا والظِّـلِّ والألحـانِ
ونعـالجُ الأنفـاس نحـن ونـصطلي في الفقـرِ حـينَ القـومُ في بـستانِ
أشرِقْ بنـورِك وابعـثِ الـبرق القـديم بومـضةٍ لِفَرَاشـكَ الظَّمْـآنِ
أشـواقُنا نحـوَ الحجـازِ تطلَّعـت كحنـينِ مُغْـتربٍ إلى الأوطـانِ
إنَّ الطيـورَ وإنْ قَصَـصْتَ جناحـه تـسمو بفطرتهـا إلى الطَّـيران
قيثـارتي مكبوتـةٌ ونـشيدُها قـد مـلَّ مـن صـمتٍ ومـنْ كـتمانِ
واللَّحـنُ في الأوتـار يرجُـو عازفـاً ليبـوحَ مـن أسراره بمَعـانِ
والطُّـورُ يرتقـبُ الـتجلِّي صـارخاً بهـوى المَـشُوْقِ ولَهْفَـةِ الحَـيْرانِ
أكبادُنـا احترقـتْ بأنَّـات الجَـوى ودماؤُنـا نهـرُ الـدُّموع القـاني
والعطرُ فاض مـن الخمائـل والرُّبـى وكأنَّـه شـكوى بغـير لـسان
أَوليسَ من هَـوْلِ القيامـة أن يكـون الزَّهـرُ تمَامـاً عـلى البُـستانِ؟
النَّمـلُ لايخْـشى سـليماناً إذا حَرَسَـتْ قُـراه عنايـةُ الـرَّحمن
أرشِـدْ براهِمِـةَ الهُنـودِ ليرفعـوا الإسـلامَ فـوقَ هياكـلِ الأوْثـانِ
ما بـالُ أغـصان الـصُّنوبر قـد نـأت عنهـا قَمَارِيُهـا بكـلِّ مكـانِ
وتعرَّتِ الأشجارُ مـن حُلـل الرُّبـى وطيورهـا فـرَّت إلى الوديـانِ
يـا ربِّ إلا بُلْـبُلاً لمْ ينتظـرْ وحـيَ الرَّبيـع ولا صَـبَا نَيْـسانِ
ألحانُـهُ بحـرٌ جـرى مُـتلاطِماً فكأنَّـه الحـاكي عـن الطُّوفـانِ
يـا ليـتَ قـومي يـسمعونَ شِـكايةً هـي في ضَـميري صرخـةُ الوِجْـدانِ

إنَّ الجــواهر حــيَّرت مــرآةَ هــذا ... القلــبِ فهــو عــلى شــفا البُركــانِ
أسْــمِعْهُمُو يــا ربِّ مــا أَلهَمْتَنــي ... وأعِــدْ إلــيهمْ يقظــةَ الإيـــمانِ
وأذقهــم الخمــرَ القديمــةَ إنَّهـــا ... عــينُ اليقــينِ وكــوثرُ الرِّضــوانِ
أنــا أعجمــيُّ الــدَّنِّ لَكِــنْ خَمْــرَتي ... صُــنْعُ الحِجَــازِ وكرْمِهــا الفَيْنَــانِ
إنْ كــان لي نغــمُ الهنــود ولحــنُهم ... لكــنَّ هــذا الــصوتَ مِــن عــدنانِ

رحم الله الشَّيخ أبا الحسن رحمة واسعة، فما أَرْهف حسَّه! وما أصدقَ مَشاعِره، وما أكبر هُمومه لأمَّتِه!

❑ ❑ ❑

٣.مع شَيخِنا العلَّامة عُمر بن سُليمانَ الأشقَر حفظه اللهُ وأدَام عافيته



تعودُ صِلةُ شيخنا شعيب حفظه الله بشيخنا الدكتور عمر الأشقر متَّعه الله بالعافية ، من خلال كتبه التي كان شيخنا يحرص على قراءتها، وينتفع بها، حتى غدَا الأمر بشيخنا شعيب إلى أنْ يُوصِي لمن أراد أنْ يَفهم العقيدة الصَّحيحة بمطالعة مُؤلَّفات شيخنا عمر الأشقر متَّعه الله بالعافية في هذا الباب.

وقد بلغ هذا الأمر بشيخنا إلى أنْ يُرسل مؤلفات شيخنا عمر متَّعه الله بالعافية لا سيما «**سلسلة العقيدة في الله**» كاملة إلى الآفاق، كوسوفا، وتركيا، والسويد، والنِّمسا ، وبُلغاريا، وإفريقيا، وحيث ما كان له طُلَّاب من أهل العلم .

وهذا أمر قليل الوجود، أن يعتمد عالِمٌ كُتبَ عالِمٍ مثلِه لتوزيعها ونشرها.

ومن **لطيف ذلك** : أن شيخنا عمر الأشقر متَّعه الله بالعافية ، كان يقول لشيخنا شعيب : لا حاجة لأن تشتري كتب العقيدة، نحن نوفِّرها لك هدية سخية، ولكن شيخنا شعيب يرفض ذلك، ويصرُّ على الشراء وإرسالها في أرجاء المعمورة، فأيُّ حبٍّ للخير وللعلم وللنفع يُوازي هذا الحب، لاسِيَّما في مثل هذه الأيام ؟

إنه والله التَّوفيق والمحبَّة بين العالِمين، وقبل هذا كلِّه الإخلاص لله تعالى والصدق مع سبحانه، والمُوفَّق من وفَّقه ربُّه وفتح له من أبواب الخير ، فنسأل الله تعالى الكريم من فضله .

هكذا كانت البدايات، بالذِّكْر الحسَن، والثناء الجميل، ولم يَسبق أن رأى أحدُهما الآخر .

ثمَّ وفَّق الله اللقاء بين هذين العالِمين الكبيرين، وكان التَّزاور فيما بينهما، وقد جمعهما الحب في الله، والتواصي على الخير و الحق والصبر .

ولقد كان كلٌّ من الشَّيخين يحرص غاية الحرص على الاجتماع بالآخر، وما تكاد تمرُّ مناسبة إلَّا ويسارعا إلى الزيارة، بل إنِّي حينما كنتُ أخبر شيخنا عمر متَّعه الله بالعافية برغبة الزِّيارة من شيخنا شعيب، يقول لي ما معناه: زيارة الشَّيخ شرفٌ لي، ولكن لا أودُّ أن أُثقِل عليه، وإنَّ الذَّهاب إليه بالنسبة لي أَيسر واهون من أن نكلِّف الشيخ عناء المجيء إلينا، ومع هذا يَتزاوران ويجتمعانناهيك عن كيف كان كلٌّ منهما يتأدَّب مع صاحبه، وينتقي أطايب الكلمات، وشريف المسائل العِلْميَّات؛ لتبحث وتناقش، وتقتنص الفائدة، مع ما يُعطِّر هذا اللقاء بين العالِمين من مزاح وأُنس ومحبَّة ووُدٍّ وَوِئام .

هذا ومن أعظم ما ينتفع به طلاب العلم أمثالنا، وذلك حين يرون كيف أنَّ أهل العلم يُعظِّم بعضُهم بعضاً، ويحترم كلٌّ منهم الآخر، ولو خالفه الرأي، ووالله إنَّ في مثل هذه اللِّقاءات لدُروساً تُكتب بماء العُيون.

ولتقف أيها القارئ الكريم على صورة حيَّة من تقدير أهل العلم بعضهم لبعض، ومن إخوة ومحبة هذين الشيخين، أعرض لك موقفاً غاية في التأثير والنَّفع، وهو مَشهدٌ في أثناء عزاء شيخنا العلَّامة الدكتور محمد سليمان الأشقر رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقد كتب شيخنا العلامة عمر الأشقر متَّعه الله بالعافية كلمة مُؤثِّرة في وداع أخيه، رأيت أن أثبتها بطولها ، لتعيش أجواءها، ولعلها تكون تذكيراً لبعض فضل هذا العالِم المبارَك ووفاءً لبعض حقِّه.

«ثمانون عاماً أُسِّست على خير ونرجو الله أن تكون خُتِمت بخير وعلى كلِّ خير، نحسبه واللهُ حسيبه .

ثمانون عاماً عاشها أخي محمد، ولم يكن قبلها بشيء، ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]

واليوم أخي محمد بين يدي ربه،فالميت لا يحتاج إلى الثناء، بقدر ما يحتاج إلى الدعاء»

هذه بعض كلمات دافئة حزينة قالها شيخي العلَّامة عمر الأشقر قبل الصَّلاة على أخيه في موقف مَهيب تَعلُوه السَّكينة والوَقار .

تُوفِّي شيخنا العلاَّمة اللُّغوي الأُصولي الفقيه محمد بن سليمان بن عبدالله الأشقر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكانت جنازته حاشدة تجمَّع فيها أهل العلم من

كلِّ حدَب وصوب من الدَّاخل والخارج، بل إنها قد جَمَعت بعض من كانت بينهم مُنافراتٌ عِلْميَّة، فقد التقوا وتصافحوا في هذا الموقف .

لا أودُّ الترجمة للشَّيخ العلاَّمة، فمثلي أقلُّ من أنْ يكتب عنه، ولكني أُحِيلك أيها القارئ الكريم إلى كتابين علَّلك تَستفِدْ منهما على عَجل لتقف على بعضٍ من صور حياة الشَّيخ الرَّاحل رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومما كتبه بنفسه عن سيرته .

الأول : كتاب «**نيل المآرب بشرح دليل الطالب**» للتَّغلبي، حقَّقه الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكتب عن سيرته باختصار في مقدمته (٢٤)

والثاني : كتابه المُميز النَّافع :«**الواضح في أصول الفقه**» فقد سرَد فيه كافَّة مُؤلَّفاته في طليعته وبعض أبحاثه .

وقد كتب شيخنا العلَّامة عمر الأشقر حفظه الله تعالى، كلمات خاطفة عن الموقف قال فيها :

«الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإنَّ الموت نهاية كل حيٍّ، والأحياء جميعاً مصيرهم إلى الله تبارك وتعالى، لا يتخلَّف منهم أحد، وكنت أعلم أنني يوماً سأفارق أخي وشيخي محمد سليمان الأشقررَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولكنني لم أكن أتصوَّر أن ذلك سيكون سريعاً؛ **فقبل أن تبلغني وفاته بساعات كنت أجلس إلى جوار سريره أتحدث إليه في مشفى الجامعة الأردنية، كان حاضر العقل، واعياً لكل ما يدور حوله، وقد سألته عن بعض المسائل العلمية أستطلع فيها رأيه ، فأجاب إجابة حاضرة بيِّنة**[1]، وأخذنا الحديث بعيداً، حدثني عن رحلته من

---

(١) قَالَ ٱبْنُ يُوسُفَ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمَا : ولا عجب، فهذا شأن أهل العلم الكبار، فمدارسة العلم لا تنقطع، ولو كان على سرير المرض وقبيل الوفاة، وفقد وقع أمثال هذه القصة عشرات في تراجم كثير من أهل العلم، ورحم الله الإمام أحمد بن حنبل حين سُئل : إلى متى طلب العلم ؟ فقال : من

فلسطين إلى مكة في عام ١٩٤٩م، وحدَّثني عن حياته في المملكة العربية السعودية، فمن مكَّة إلى الرياض إلى بُريدة، ثم عمله في التجارة، ثم التحاقه بكلية الشريعة، ثم عُيِّن قبل إنهائها مُدرِّساً في معهد شَقراء، ثم رئيساً له، وبعد أن أتمَّ دراسته في كلية الشريعة في الرياض عُيِّن مدرساً في كلية الشريعة، ليكون أوَّل خريجيها عاملاً بها.

وفي كلية الشريعة درستُ على أخي الشيخ محمد رَحِمَهُ اللهُ في مادة آيات الأحكام، وحدَّثني عن العلماء الذين درَس عليهم، كالشَّيخ محمد الأمين الشنقيطي، والشَّيخ عبد الرحمن الإفريقي، والشَّيخ عبد الرزاق عفيفي - رحمهم الله تعالى -.

وحدَّثني بحرارة عن شيخه فضيلة الشَّيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ اللهُ تعالى وكيف درس عليه في كلية الشريعة الفقه، وكيف لازمه في الدراسة في المسجد بعد الفجر، يقرأ عليه كتاب «المغني» مدة سنتين، وقطع فيه معه شوطاً كبيراً، وتطرقنا إلى حجَّاته التي حجَّها وغير ذلك.

= المحبرة إلى المقبرة، وهذا مصداق ما قيل - ولايثبتُ حديثاً كما في «مجمع الزوائد» للهيثمي (١/ ١٣٥) - : مَنْهُومان لا يشبعان: طالب علم، وطالب دنيا.

وما أحلى كلمة الشيخ أبي غدَّة رَحِمَهُ اللهُ في روعة هذا الموقف وعنايتهم بالعلم إذ يقول: «هكذا كانوا! الموت جاثمٌ على رأس أحدهم بكُرَبه وغُصَصِه، والحشْرجَةُ تشتدُّ في نفَسِه وصدره، والإغماءُ والغَشيانُ مُحيطٌ به، فإذا صحَا أو أفاق من غَشيته لحظاتٍ، تسائلَ عن بعض مسائل العِلْم الفرعيَّة أو المندوبةِ؛ ليتعلَّمها أو ليُعلِّمها وهو في تلك الحال التى أخذ فيها الموتُ منه الأنفاس والتَّلابيب!

يا الله؟! ما أغلى العلم على قلوبهم! وما أشغل خَواطِرَهم وعقولهم به! حتَّى في ساعة النَّزع والموت، لم يتذكَّرُوا فيها زوجةً أو ولداً أو قريباً عزيزاً، وإنَّما تذكَّروا العلم؛ فرحمة الله تعالى عليهم، فبهذا صاروا أئمَّة في العلم والدِّين» اهـ «صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل» (١٣٣) وهو كتاب حُقَّ له أن يكون كتاب القَرْن في بابه.

وتطرَّق الحديث إلى موضوعات شتَّى، وقد توقف عن الحديث عندما جاء موظف المستشفى يقول لي بأن مكثي طال أكثر مما يُسمح به، فودَّعته وكلِّي أملٌ أن أعود إليه غداً في وقت مبكِّر، خرجت من عنده وأنا آمل أن يأمر طبيبه بإخراجه في اليوم التالي، ولكنني فوجئت في اليوم التالي بتلفون يعزيني بأخي الذي فارق الحياة منذ دقائق؛ فقد وافته المنية بعد الساعة الثانية عشرة ظهراً بقليل، وهزني النبأ؛ فلم أكن مهيّأً له، وكنت أنتظر ساعات للعودة إلى زيارته، ولم يكن يخطر ببالي أن ذلك اللقاء هو آخر لقاء يجمعني به، ولم أملك إلا أن أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، إنا لله وإنا إليه راجعون.

رحمك الله يا أبا عبد الله، مضيتَ إلى الله، ونحن إلى ما صرت إليه صائرون، لقد غادرت هذه الدَّار كما غادرها الصالحون، رحمك الله، فقد كنت ـ كما أعلم والله أعلم منِّي به ـ نهمك في العلم و التقى والصلاح، ولقد علمتُك حريصاً على تحرِّي الحقِّ، وتبيُّن الصواب، وتعليم العلم، ولم تكن تهتم بالدنيا كثيراً، وكنت راعياً لحقِّ الوالدين، وَصُولاً للأرحام، متحرّياً لنفع العباد.

لقد صحبتُ أخي كثيراً، وسكنتُ معه في دار واحدة، وصحبته لزيارة العلماء؛ فواللهِ لا أذكر أنه غضب عليَّ يوماً، ولا آذاني بكلمة، وكان يسع جهلي بعِلْمه وحِلْمه، ويَعظُني بالتي هي أحسن، وعندما أصبح لديَّ غلوٌّ في فترة الشَّباب، لم أجده يغضب، وإنما هي الكلمة الحانية المصحوبة بالدليل والبرهان.

أحببتُ الانتقال إلى مدينة شقراء عندما كان مديراً لمعهدها؛ محبَّة في صحبته، فرحَّب بي في منزله، ولكنه لم يغضب، ولم يثر عندما ضاقت بي شقراء، ولم تسع حركتي؛ فابن الرياض أنَّى له أن يستطيع العيش في قرية صغيرة كشقراء في تلك الأيام، وأرسل معي خطاباً إلى مدير المعهد في الرياض ليقبل رجوعي إلى ذلك المعهد الذي لم يطل غيابي عنه إلَّا مدة شهور.

رحمك الله يا أبا عبد الله؛ فقد كان لك فضلٌ كبيرٌ في إصلاح والديه وإخوانه وأخواته، ولا أعلم - حتى اليوم - أنه جرت له مشكلة مع والديه، ولا مع إخوته أو أخواته وأقاربه.

وعندما صار إلى السعودية، وحصَّل لنفسه بعض المال علمت - عرضاً - أنه لم يكتفِ بإمداد والديه لينفقوا على أنفسهم و على إخوانه، بل علمت من بعض الأقارب أنه وصلهم منه خير في حال حاجتهم إليه.

كنت أزوره في مرضه بين الحين والحين، ومع أن المرض أعجزه وأقعده إلاّ أنك إذا زرته لقيته يقابلك ببشاشة وجه، وابتسامة عريضة، ومع ذلك كله كلمات طيبة تفيض بالمودة والمحبة.

وخرجنا من الكويت، واستقر بنا المقام في عمان، وحاول أن يعمل في إحدى كليات الشريعة، ولكنه بعد أن أُسند إليه التدريس في بعض المواد، وجد أنه لا يستطيع أن يعطي المواد حقها بالسرعة الكافية؛ لقد أصبح التأليف والكتابة أحب إليه من التدريس الجامعي بما فيه من لقاءات واجتماعات، وتصحيح للأوراق؛ فأعرض عن العمل في هذا المجال.

واستمر يعمل في مجال التأليف، والتدريس على طريقة الشيوخ، خاصة في علم أصول الفقه، وكان كل همِّه أن يفقّه طلابه فيما يُدرِّس لهم، بعيداً عن الامتحانات المنهجية، التي تقتضي التصويب والتصحيح على المنهج الجامعي.

لقد كانت صحة أخي محمد عبر سنوات عمره طيبة جيدة، ولم يكن يعاني من أمراض مزمنة، حتى أصابه عَوار في رأسه، وقد انتهت البحوث التي أُجريت له عن وجود تَدرُّنات في دماغه، وانتهت بإجراء عملية استمرت عشر ساعات استؤُصلت من دماغه عدة تدرنات، ولم تؤثر هذه العملية على قواه العقلية، ولا على علمه، ولكنها أثرت على الجانب الأيسر من جسده، وكان يمشي بشيء من الصعوبة، ولكنه وقع أكثر من مرة، وقد أعجزه وقوعه وانكسار إحدى رجليه عن القدرة على السير، وما زال المرض يعمل عمله فيه حتى أفقده القدرة على النهوض.

فَقَد قدرته على السير، وضعف نظره في إحدى عينيه، ولكن بقي نظره صالحاً للرؤية والمطالعة والكتابة، وبقيت يده اليمنى تعمل جيداً.

لقد كان صابراً محتسباً في مرضه، وقد زرته في مرضه الأخير، فوجدته يدعو ويستغيث بالله ويناديه، ووجدته يكثر التأوّه، ووجدت حفيده الذي درس عليه في دراساته العليا يحاول أن يمنعه من التأوّه، فقال له: إن هذا التأوّه يخفف الألم الذي يشعر به، فقلت لحفيده: لقد كان خليل الرحمن نبي الله إبراهيم أوّاهاً حليماً ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥]

فلما سمعني أتلو الآية استنار وجهه، وقال لحفيده: هذا نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ كان أوّاهاً!!

أقعد المرض جسده، لكن لم يتوقف علمه ولا عطاؤه، فبقي يفتي ويجيب عن الأسئلة التي تُوجَّه إليه عبر الهاتف، وبقيت صلته بالكتاب، يقرأ ما يصل إليه من كتب، وفي زيارة قريبة له منذ شهر أو شهر ونصف رأيته فرحاً متهللاً، فقد ذهب إليه أحد أبنائي بكتاب صدر لي قريباً أوردت فيه صفحات من حياتي، فوجدته قد قرأه قراءة كاملة، وعدَّد لي بعض ما أعجبه في الكتاب، ولم يورد عليَّ في الكتاب إلاّ قضية واحدة، وعدته بالنظر فيها عندما أعيد النظر في الكتاب.

ولم يتوقف عند حدود قراءة بعض الكتب، بل جاوزه إلى التأليف في مرضه، فكتب عدة كتب، وكان أحد أحفاده من إحدى بناته يدرس في الدراسات العليا في الماجستير والدكتوراه، فكان يطيل الجلوس معه، ويشاوره فيما يكتب، وفيما يخطط له، ولم يُتوفَّ حتى أتمَّ حفيده رسالة الدكتوراه، وكانت رسالة موفقة حظيت بمناقشة علمية مسدّدة.

لقد صحبت أخي وشيخي محمداً في دراسته العلمية في الدراسات العليا، فسار فيها بسرعة فائقة، وتأخَّرت عنه سنوات؛ لقد كان جادّاً فيما يأخذ نفسه به، وقد حظيت رسالة الدكتوراه في «أفعال الرسول ﷺ» باحترام لجنة المناقشة، وأصبحت هذه الرسالة إحدى المراجع العلمية.

وعندما افتتحت «الموسوعة الفقهية الكويتية» أبوابها التحق بها، وأصبح خبيراً من خبرائها، وكانت فكرة الموسوعة واضحة في ذهنه، فقدم ثماراً طيبة من إنتاجه، وقد كان سعيداً في عمله الذي يقوم به، وكان موضع احترام وتقدير من قبل العاملين في وزارة الأوقاف جزاهم الله خيراً.

وهُدي إلى تأليف تفسير مختصر للقرآن الكريم، اختصره من كتاب «فتح القدير» للشوكاني، وعندما أوشك على الانتهاء منه، كانت وزارة الأوقاف الكويتية تبحث عن مثل هذا التفسير، فلما أعلمهم بتفسيره الذي أوشك على الاكتمال سارعوا إلى طبعه بمجرد إكماله له، وقد قُدّر لهذا التفسير القبول؛ فانتشر في بقاع الأرض، وأقبل عليه الناس إقبالاً عظيماً، وهو المسمَّى بـ«**زبدة التفسير**» .

لم يُقدّر لي أن أكون إلى جنبه وهو يغادر الحياة، ولكنني علمت ممن نقل لي كيف فارق الحياة، قال من كان إلى جانبه: لقد سمعته يقرأ الفاتحة ثلاث مرات، ورأيته يسبح ويستغفر، ثم أسلم الروح.

رحمة الله عليك يا أبا عبد الله، ولقد ـ والله ـ كتبت هذه الصفحات على عجل، بعد أن طُلب مني أن أكتب هذه الكلمة، فكتبتها على البديهة، من غير تحضير ولا تخطيط.. لقد اتصل بي كثير من العلماء والفضلاء بعد إعلان وفاته مُعزِّين ومُثنين، وهكذا العلم رَحِمٌ بين أهله.

لقد رحل قبله كثير من شيوخه وأقرانه، ذهبوا إلى الله تبارك وتعالى وها هو يلحق بهم على إثرهم، وأسأل الله له ولهم الرحمة والمغفرة، وأسأل الله أن يلحقنا بهم غير فاتنين ولا مفتونين ولا مُضيِّعين، وجزى الله كل من أحسن إلينا بالاتصال و التعزية، أو الدعاء له بالمغفرة والرحمة؛ فالذي خرج من الدنيا إنما ينفعه من إخوانه دعاؤهم واستغفارهم له وصلاتهم عليه، والله هو الذي يكافئ المحسنين، ويجزل لهم الأجر والثواب.

أسأل الله أن يرحمه رحمة واسعة، وأن يتقبله بقبول حسن، وأن يغفر له ذنبه، وأن يغسله بالماء والثلج والبرد، وأن يطهِّره من ذنوبه وخطاياه، وأن يلحقنا به غير فاتنين ولا مفتونين، ولا مُضيِّعين

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢.] انتهى .

هذه كلماتٌ حَنونةٌ حَزينةٌ عن هذا الجبل الهُمام من أخيه العلَّامة د. عمر فيها شجون كثيرة، ولكن أستحي أنْ أتقدَّم بالتعليق عليها فأُذهِب جمالها ورَوْنقها في سياقها وموضعها بسُوء قولي، بل حُسْنُ فَهمِك أيها القارئ كفيل أنْ يُوقِفك على ثمارها وفوائدها.

لقد وَصل خبر وفاة شيخنا محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى شيخنا شعيب، فذهبتُ معه إلى بيت العزاء، وكان الشَّيخ شعيب أطال الله في عمره يُثني على الشَّيخين الأخوين كثيراً ويُحبهما، فلما دخلنا وسلَّمنا على الشيخ عمر وعزَّيناه أخذ الشيخ شعيب وأنا معه زاوية خفية لانشغال الشيخ عمر بالقادمين، فلما انصرفنا وسلَّمنا على الشيخ ثانية أمسك بيدي وقال : مَن الذي معك ـ لأنَّ شيخنا شعيباً كان غطَّى غالب وجهه ـ مُتلثِّماً بشماغه ـ من البَرد ولا يحبُّ أن يُثير أمراً كبيراً عُرف أو لم يُعرف ـ وللشَّيخ مواقف عجيبة في التواضع والبعد عن الشُّهرة ـ ولم ينتبه له الشيخ عمر للسَّلام والحضور .

فقلت له : هذا الشَّيخ شعيب الأرنؤوط .

فقال الشيخ عمر : أووه!

وانطلق مُسرعاً نحو الشَّيخ ويدي بيده، ثم سلَّم على الشيخ شعيب وتعانقا، وكشف الفارس المحدِّث لثامه فتعانقا طويلاً، وجعل الشيخ عمر

يعتذر له من عدم العناية به وأنه لـم ينتبه له ويتودَّد له ويأخذ بيده بأدب والله ما رأيت مثله .

فيقول الشيخ شعيب للشيخ عمر : لا عليك يا شيخ عمر، ادخل لا يصيبك البَرْد .

والشيخ عمر يقول : لا لا ،أنتم العلماء، والمَشيُ مع العلماء مَغنمٌ، فجعلا يتجاذبان أطراف الحديث بأُنْس ومحبَّة حتى وصلنا إلى السيارة ويدعوان لبعضهما أن يُمتِّعهما الله بالصحة والعافية في السَّمع والبصر وقوة البدن، وكأنِّي بك تَنظر إلى يديهما تتحركان عُلوَّاً ونُزولاً ويَستذكران قول الشاعر :

إنَّ الثَّمـانين ـ وبُلِّغتَها ـ قد أَحْوجَت سَمعِي إلى تَرْجُمانِ

والشَّيخ شعيب يقول له : البرد البردَ يا شيخ عمر .

والشيخ عمر يجيبه : لا ، خدمة العلماء وأهل الفضل !

فقلتُ : للهِ درُّك يا شيخ عمر، فقد سطَّرت دروساً لا درساً !

ثم كانت مناصحة بالخير والبِرَّ والتقوى .

حتى إذا ما وصلنا إلى السيارة، فإذا بالشيخ عمر يتقدَّم فيفتح الباب ويمسك بيد الشيخ شعيب للرُّكوب على مَهل، ويشكره لقُدومه، ويدعو له ويلاطفه بالحديث والوداد الجميل، حتى استوى راكباً .

آه ما أروع وأغلى هذه الدَّقائق اليسيرة بين الشيخين .

ركب شيخي شعيب، ثمَّ قَفَلْتُ لأسلِّم على شيخي عمر، وأودِّعه وأنالَ بركة دعواته التي دَوماً يُسمعُني إيَّاها، رفع الله قدره .

وانطلقنا ..

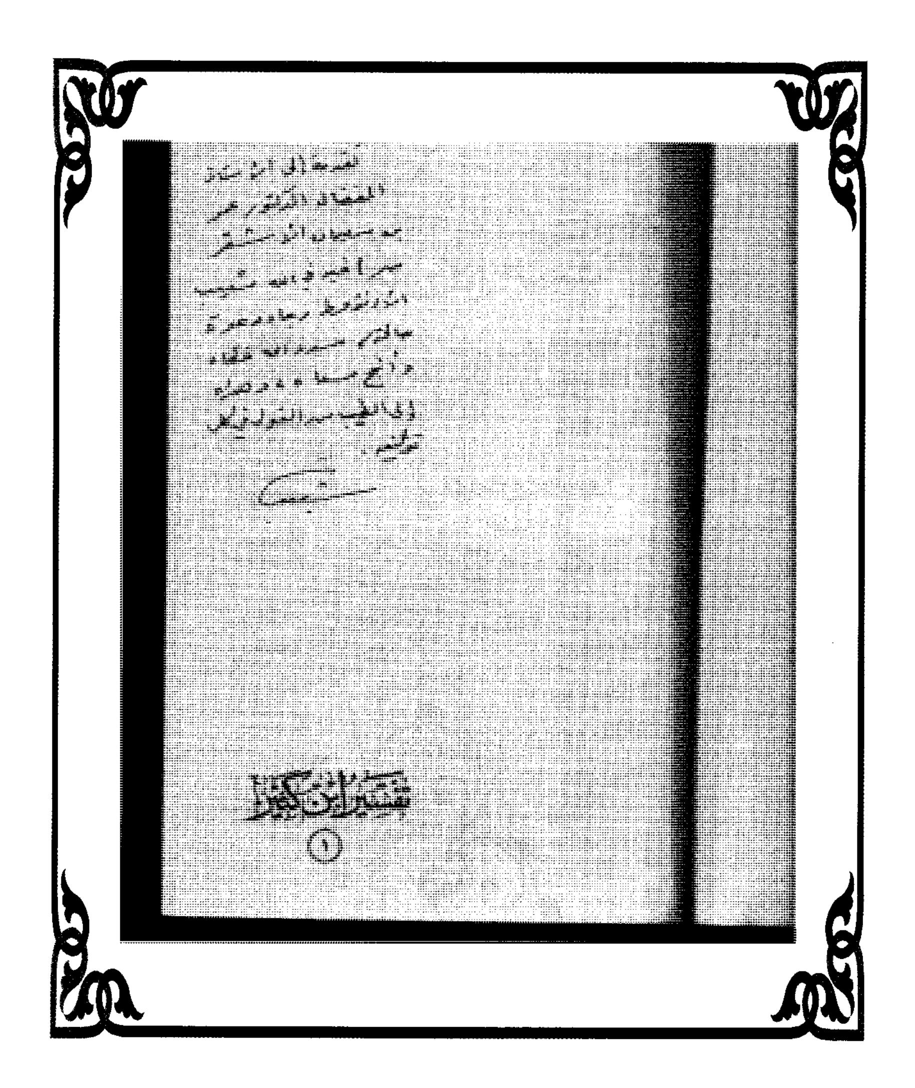
فإذا بالشَّيخ شعيب وهو يُثني على الشَّيخين الأخوين يقول : هما بَركة من بركات أهل العلم الصالحين، وهكذا فلتكن السَّلفية الصحيحة المشرقة التي تُحبِّب الناس في هذا الدِّين، ولا تنفِّر منه .

وأضاف قائلاً : «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ التي حقَّقتُها لا يفهمها المسلمون في كوسوفا، وتركيا، وأوروبا كثيراً، وإنه أحبُّ إلى قلبي كتب الشَّيخ عمر؛ لما فيها من السُّهولة واليُسر، وما كتب الله له فيها من القبول .

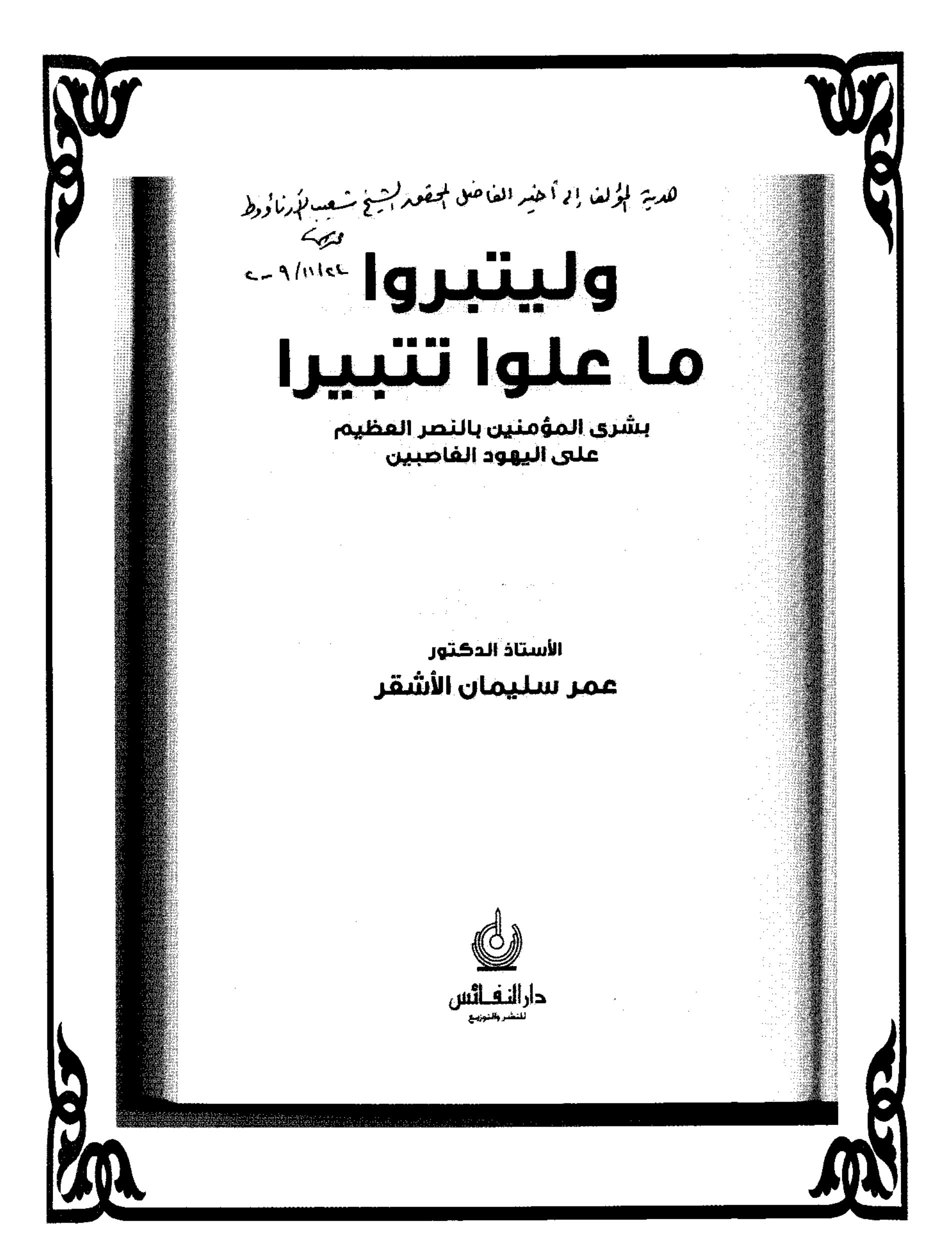
أخيراً .. رحم الله شيخنا العلامة محمد الأشقر رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته .

فهذه شُجون فيها عِبرٌ وفوائدُ أحببت تسطيرها على عجالة، ولعلَّ الله يُيسِّر لأمر أوسع من ذلك، فهو المُوفِّق لكلِّ خير .

ومن الإهداءات التي كانت بين الشَّيخين، بعضاً منها:



هدية شيخنا شعيب «تفسير ابن كثير» للشيخ عمر الأشقر بعد مراجعته تخريج أحاديثه



هدية المؤلف إلى أخيه الفاضل المحقق الشيخ شعيب الأرناؤوط
عمر
٩/١١/١٤٢٤هـ

وليتبروا
ما علوا تتبيرا

بشرى المؤمنين بالنصر العظيم
على اليهود الغاصبين

الأستاذ الدكتور
عمر سليمان الأشقر

دار النفائس
للنشر والتوزيع

هدية شيخنا عمر الأشقر أحد تآليفه للشيخ شعيب الأرنؤوط

❑ الشَّيخُ والشِّعْر ونماذج من شِعْره :

رُزِق الشَّيخ قريحة أخَّاذة في الشِّعر، وقد كان في بابه لا يُشقُّ له غُبار، وكنتُ أتعجَّب جداً من كثرة ما يحفظ من الشَّواهد الشِّعْرية، مع تخريجها كما يُخرِّج الحديث.

وقد يَمرُّ عليه بعض أهل الاختصاص باللغة العربية، وتَراهم يَلْحنُون في قراءة الشِّعر، فيُصحِّح لهم ذلك مع بيان معناه لاسِيَّما المُشكِل منها، مع تبيين مصادره، وما فيه من مناسبة لطيفة أو خَبر ظريف، ثمَّ يَسرد بعض أبياتٍ إمَّا قبل وإمَّا بعد.

وقد سألتُه ذات مرَّة حين كنت أقرأ عليه كتاب «المزهِر في علوم اللغة» للإمام السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هل أقدرُ أنْ أقول: إنَّك تحفظ نَحواً من عشرة آلافِ بيتٍ؟

فقال: يا أبا العالية، لو قلتَ أكثر لكُنتَ مُحِقَّاً.

ولا غَرْو في ذلك، فقد جمع شيخُنا ما يَقرُب من عشرة مجلَّدات كبار من رَوائعِ وجَميلِ المُختارات الشَّعرِيَّة إبَّان وجوده في المكتب الإسلامي، جرَد فيها أمَّات كتب الأدب ودواوين الشِّعر، مخطوطِها أو مَطبوعِها.

وللشيخ ديوان كتبه قديماً، وبقي في دمشق الشام عند أحد مشايخه، وقد حدَّثني شيخنا: أنَّه مِن شدَّة ما أثَّر الشِّعرُ فيه، كان قد عقد يَميناً على تركه وعدم نَظْمِه والانصراف إليه، فكان أنْ أبدله الله تعالى خيراً منه، حديث رسول الله ﷺ.

ولقد كان شيخه الشَّيخ صالح الفرفور رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَعجب منه، ويقول مخاطباً إيَّاه: مِنْ أين تأتِ بهذه المفرَدات الرَّائعة والتراكيب العَجِيبة ؟!.

ورُبَّما قال له بيتاً من الشِّعر، ثُمَّ يقول له : أَجِزْ .

ويُراد بها :أنْ تكون على نَفْس الرَّوِي، والقافية، ومُتمَّة للمعنى .

وربما قال له : اعكس المعنى، ومن ذلك قول شيخه الفرفور رَحِمَهُ اللهُ :

واحـدٌ يَمشي وفيـه ثِقـلُ   كأَنَّـهُ عـلى القُلـوبِ جبـلُ

لـو أنَّـه عـلى الفُـرات مَـرَّا   أصـبحَ مَـاؤه أُجاجـاً مُـرَّا

فأجابه شيخنا مباشرة :

وواحدٌ يمشي غَضِيضَ الطَّرْفِ   كأَنَّـهُ مِـن قَـاصِراتِ الطَّـرْفِ

أخلاقُـه تَـحكـي لنـا الـزُّلالا   قَـدْ نـال مِـنْ بـارئه الكَـمالا

لـو أَنَّـهُ عـلى أُجـاج البَـحْرِ   مَـرَّ لكـانَ الـشَّهدُ منه يَـجرِي

ويوم جاء وقت الإهلال بالحجِّ ـ وكان شيخه الفرفور رَحِمَهُ اللهُ قد أعدَّ العُدَّة للرَّحيل ـ كتب شيخنا حفظه الله كلمات غاية في الرَّوعة والأثر، فاضت منها العيون مُتأثرة بجمال إحسَاس الحبِّ بين التِّلميذِ وشيخه، قال يومها شيخُنا حفظه الله :

يـا راحلـين إلى رُبـا عرفـات   مُـستمطِرين سـحائبَ الرَّحمـاتِ

مهـلاً فجُلَّـقُ أصبحت مبهوتـةً   مـذ بِنْـتُمُ يـا خِـيرَة الـساداتِ

والمسجد المحزُونُ باتَ لِفقدِكم   قَيْـذَ الجـوانحَ واكـفَ العَـبراتِ

وأصـابَ قلبـي لوعـةٌ إذ قِيـلَ لي   أزِفَ الرحيـلُ لمـوطن الرَّحمـاتِ

مـا كنـتُ قبـل اليـوم أعلـمُ أنَّـه   شـطُّ الحبائـب أفـدحُ النكبـاتِ

مَهـلاً نُـودِّع سـيِّداً ذا منـصب   كانـت مَـحافلُنا بـه نَظِـراتِ

مودعًا للشيخ صالح الفرفور عندما ذهب إلى الحج في الخمسينات

يا راحلين إلى رُبا عرفات — مستمطرين سحائب الرحمات

مهلاً فقلبه أصبحت مبهوتة — مذ غبتم يا خيرة السادات

والمسجد المحزون بات لفقدكم — قيد الجوانح واكف العبرات

وأصاب قلبي لوعة إذ قيل لي — أزف الرحيل لموطن الرحلات

ما كنت قبل اليوم أعلم أنه — شط الحبائب أفدح النكبات

مهلاً نودع سيداً ذا منصب — كانت محافلنا به نضرات

قال الشيخ في جلسة ماتعة أجز قول الشاعر

وواحد يمشي وفيه ثِقَلُ — كأنه على القلوب جبل

لو أنه على الفرات مرّا — أصبح ماؤه أجاجاً مرّا

فقلت

وواحد يمشي غضيض الطرف — كأنه سهم قاطرت الطرف

أخلاقه تحكي لنا الزلالا — قد نال من بارئه الكمالا

لو أنه على أجاج البحر — من لطفه الشهد منه يجري

أبيات في وداع الشيخ رحمه الله عندما ذهب إلى الحج في الخمسينات
لتلميذه العلامة الشيخ شعيب الأرناؤوط، وهي بخطه

جوانبُ مُشرقةٌ في حَياةِ شيخِنا حفظه الله

١. بُعدُه عن الشُّهرة :

لقد كان الجيل القُرآني الأول من أبعد النَّاس عن الشُّهرة، ومن أشدِّهم خوفاً منها؛ لأنه لا شيء أضرُّ على العالِم أكثر منها، واسمع إلى بُريدة بن الحُصَيب ﷺ كيف يصف حاله مع هذا الدَّاء العُضال :

قال: شهدتُ خيبر، وكنتُ فيمن صَعد الثُّلْمَة، فقَاتلْتُ حتى رُئيَ مَكاني، وعليَّ ثَوبٌ أحمرُ، فما أعلمُ أني ركبتُ في الإسلام ذنباً أعظم عليَّ منه - أي: الشُّهرة - .

فقال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ مُعلِّقاً: بلى، جُهَّال زماننا يَعدُّون اليوم مثل هذا الفعل من أعظم الجهاد؛ وبكلِّ حال فالأعمال بالنِّيات، ولعلَ بُريدة ﷺ بإزْرَائه على نفسه، يصيرُ له عملُه ذلك طاعة وجهاداً! وكذلك يقع في العَمل الصالح، رُبَّما افتخر به الغِرُّ، ونوَّه به، فيَتحوَّل إلى دِيوان الرِّياء، قال الله تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣].[1]

وقال سفيان الثوريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : إيَّاك والشُّهرة، فما أتيت أحداً إلَّا وقد نَهى عن الشُّهرة.[2]

ومن روائع خُلق شيخنا أنه يَنفِر من الشُّهرة نفوراً لم أر مثله قطُّ، فلطالما كنتُ أقول له ينبغي يا شيخنا أن يكون لك كذا وكذا، مما يحبُّ التلميذ ما يكون لشيخه من التكريم والفضل والمنزلة مما هو لذلك كله أهلٌ بحقٍّ وصدق، فما يكون من الشيخ إلا أن يقول : **أعرِض عن هذا.**

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٤٧٠)

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٢٦٠)

وإذا ما علم مِنِّي إذا أردتُ التقديم له والتنويه به، أوالتعريف بجهوده ومكانته العلمية في مجلسٍ علميٍّ أو محاضرة، أو غيره من المناسبات فأودُّ أنْ أُبيِّن شيئاً مما هو فيه حَقّاً من العلم والفضل، ومما هو من واجب التلميذ إزاء شيخه فسرعان ما يبادرني القول : **اقتصر على المُهِمِّ ولا تُكثر** .

ويوم جاء البدء في المجالس العلمية المُقامة في الكويت في شرح «نخبة الفكر» قيَّدتُ إشارات برأس القلم، كي أنطلق من خلالها مُسهباً في التعريف بشيخنا وجهوده في خدمة السُّنة، ومنزلته في هذا العلم، فما كان منه ـ رفع الله قدره ـ إلَّا أن قال : **لا حاجة لهذا : فقط ادخل في الموضوع** .

وغيرها الكثير، ولو ذهبتُ أستقصي وقائع بُعده عن الشهرة، لطال بي المقام ولسردت العشرات من هذه الوقائع.

٢ . زهده بهذه الدُّنيا :

وأما عن هذا الزُّهد فحدِّث ولا حرج، والزهد الحقيقي هو ماكان عن غنىً، وأضرب لك ثلاث نماذج من واقع حياة شيخنا في هذا الجانب :

الأول : دُعيَ شيخنا حفظه الله مرَّة إلى بيروت لتدريس طلبة الماجستير في الحديث، فدَّرس فيها قرابة عشرة أيام، فلما انتهى، عرضوا عليه مكافأة مالية قيمة، فرفضها الشيخ البَتَّة، وقال : لا يحقُّ لي هذا، والعلم مبذولٌ لطلبته، ولا نبغي عليه أجراً، فلمَّا أصرُّوا عليه، قال : إذن أكتب هذه هديَّةٌ من شعيب لمكتبة الجامعة، وعاد ولـم يأخذها، وقد غَمره السُّرور.

الثاني: اتَّصل بشيخنا أحدُ القائمين على اللِّجان المُنظِّمة في خدمة السُّنة النبوية في إحدى دول الخليج؛ لمنح الشَّيخ مكافأة مالية كبيرة؛ نظير خدمته للسُّنَّة النبوية، وجهوده في تحقيقها، فما كان من الشَّيخ إلَّا أنْ شكَره ورفض

الحضور لأخذ هذه المكافأة المالية، وتكرر الأمر أكثر من مرة، وكل مرة الشيخ يرفض ذلك .

الثالث: في العمل وفي مكتب التَّحقيق، فمن دَأْب شيخنا أنَّه يحرص على تَفقُّد أحوال طلبته، وحينما كان مديراً لمكتب التحقيق في مؤسسة الرسالة، كان يتلمَّس حوائج العاملين معه، ويزيد في رواتبهم كلّ حسب جدِّه واجتهاده، وقد كان يطلب هذه الزِّيادات لطلبته ولا يطلب لنفسه فلساً واحداً، وراتبه من يوم بدأ بالعمل إلى اليوم هو هو، أمَّا لطلبته فلا يتواني في السَّعي لرفع رواتبهم، وبعد أنْ صارت الإدارة بيد من لا يُحسنها، فقَد العاملون معه ذاك الحنان الأبوي الذي كان الشُّيخ يكرمهم به ويُغدِقُه عليهم، وهُم أهلٌ لذلك، وصارت الأمور أشبه بصُبابات تُؤخذ على مَرارة، والله المستعان، حتى صار يَصدُق في حقِّهم قول القائل :

وحبُّ العيش أعبدَ كلَّ حرٍّ وعلَّم ساغباً أكل المِرَار [1]

٣. تَفقُّده لطلبته وعنايته بهم :

أمَا تَفقُّده لشؤون طلبته، فهو مَكْمَنُ الخير ومنبع الفضل من شيخنا على طلبته، وأضرب لك موقفاً يسيراً دلالة على ذلك:

سافرتُ مرَّة لأداء العمرة، وكنتُ في كلِّ مَنزلةٍ أنزل فيها أهاتفُ شيخنا، وأتلمَّس دعواته، وأسأله إنْ كان ثمَّة ما يحتاج مِن هُنا أو هناك، فما يزيد على أن يقول: لا أريد إلَّا سلامتك وعافيتك، ثم يقول : هل ينقص أهلك شيء، إذا احتاجوا شيئاً أخبرني حتى نتكفَّل بهم.

(١) السَّاغب : الجائع، والمِرار : شجر المُرِّ

ووالله إنَّ مثل هذه الأخلاق العالية، والشِّيم الكريمة، لتُؤثِّر في المرء كثيراً.

فعَالِم ضرَب صِيتُه أصقاع المعمورة، وبلغ في السِّن عِتيّاً، لا يَفتأُ أنْ يتلمَّس حوائج تلاميذه في غَيبتهم لأهلهم، ومساعدتهم بل والقيام على خدمتهم، ولكنَّها والله أخلاق الكبار وأهل الفَضْل والمَنقبة .

وهذا غيضٌ مِنْ فَيض من مكارم شيخنا، ومن عاش مع الشَّيخ عن قُرْب لا يسعه إلَّا أنْ يُحبَّه، هذا حال المُوفَّق، وأمَّا المَخذول أو المحرُوم فلا رفع الله له رأساً .

٤. حرصُه على التَّعليم والنَّفقه عليه :

فالشَّيخ منذ عرفته يقوم على التعليم والنفقة لكثير من طلاب وطالبات العلم غير العرب، وبعض العرب، ويُغدِق عليهم من ماله، ومن مال المحسنين كثيراً، ويتفقَّد حوائجهم، ويُقدِّم كثيراً من مصالحهم على مصالحه، وإنْ تعجب، فاعجب من رجل بلغ من العلم هذه المنزلة الكبيرة، وقد دخل في عُشر الثمانين، والواجب أن يُخدَم ويُكرَم، ومع هذا كلِّه تراه يَتفقَّد حوائج طلبته الذين هم في أعمار أحفاده؛ من حوائج المَلْبس، والمطعم، والدِّراسة، وغير ذلك.

أقول هذا وقد عشتُ مع شيخنا عن قرب ولازمته من خلال عملي معه في المكتب، أو زيارتي المتكررة للبيت، وقد تمتدُّ في اليوم الواحد مجالستي له السَّاعات الطوال، في القراءة والأخذ عنه، ولا يكلُّ ولا يملُّ من هذا الجود والبذل والسَّخاء العلمي، وهذه وَمضةٌ خاطفةٌ مِن جُزء يسيرٍ من حياة شيخنا أدام الله نفعه وفضله في خدمة الإسلام والمسلمين .

٥. عنايتُه بالدُّروس العلمية :

أما الدُّروس العِلْمية، فبرنامج شيخنا الأساس هو العلم ولا شيء غير العلم، في الصباح إلى الظَّهيرة يتواجد في مكتب التحقيق، وبعد الظهر تبدأ الدُّروس العلمية في منزله، على اختلاف فُنونها وعُلومِها، ويُخَصِّص يوماً للطالبات، وآخرُ للطلاب، ويوماً للعامَّة، ويوماً للتُّجَّار، وهلمَّ جراً، إنك لا تكاد تجد في أيامه يوماً دون مُدارسة وعلم، بل حتَّى في يوم الجمعة الذي يعتاد النَّاس فيه الرَّاحة، تجده بعد الفجر يبدأ دروساً في المصطلح لمن هم خارج مدينته، ويقصدونه من مسافة بعيدة، وبعد الظهر من كلِّ جمعة يقيم مأدبة غداء لطلبته الذين يقوم على تدريسهم والعناية بهم علمياً وفكرياً .

وإني أخبر عن حالي في مدارسة العلم مع شيخنا فأقول: إنَّ القراءة على العالِم رزقٌ يرزقه الله من شاء من عباده، وهذا يعود أولاً وآخراً لتوفيق الله تعالى للعبد، وإنْ كنتُ أعجب، فلا ينفكُّ عجبي من الذين صحبوا شيخنا حفظه الله لسنوات طويلة، وعملوا معه في سلك التحقيق، ثمَّ تعجب أنْ لا تجد أحداً قرأ عليه شيئاً من فنون العلم.

وقديماً قالوا : أزهد الناس بالعالم أهله !

ويدخل فيها اليوم: أزهد الناس بالعالم العاملون معه !

لا يعنيني التفصيل في هذا الموضوع ولا أظنُّه يعنيك أيها القارئ الكريم، وحسبي أنَّ الله سخَّر لي هذا العالِم ليأخذ بيدي إلى بَرِّ العِلْم والهُدى والتَّفوق فيه، والانتفاع منه، فمن رُزِق مثل هذا الرِّزق، وحرَم نفسه فهو والله المغبون، ومن أخذه بجِدٍّ وحَزْم، أخذه بحظ وافر، وإلَّا فما عليه من أسَف.

لقد منَّ الله عليَّ بأنْ قرأتُ على شيخنا أدام اللهُ سَعدَه كثيراً من أمَّات العلوم وأصولها، لا سِيَّما وشيخنا عالِمٌ مُتفننٌ في غالب العلوم الشرعية والعربية، مع ما له من اختصاص في علوم الحديث روايةً ودرايةً، وقد كان من نِعَم الله عليَّ حين قرأتُ عليه أن قيَّدت جلَّ الفوائد التي استقيتُها منه حفظه الله ونفعنا به، قيَّدتها لنفسي أولاً، ثم جاء دور نشرها، لِبَثِّ عِلْم الشيخ وفضله، وليس لي من يد في ذلك إلَّا أنني جمعتُ هذه الفوائد التي سمعتُها من شيخي، وقد صنَّفتُها حسب كلِّ كتاب قرأته علي الشِّيخ، وقد تحصَّل بحمد الله وفضله، والفضل لله وحده ثمَّ لشيخنا أنْ قرأتُ عليه ـ ولا أزال ـ المصنَّفات التالية :

أولاً : في التَّفسير وأصوله :

١. مقدمة تفسير الإمام ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ «جامع البيان» .

٢. «زاد المسير في علم لتفسير» لابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

٣. «مقدِّمة شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أصول التفسير».

٤. «القواعد الحسان في تفسير القرآن» للعلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

٥. «أصول التفسير» لشيخنا ابن عُثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ

٦. «أسانيد التفسير» للشيخ عبد العزيز الطريفي .

ثانياً : في الحديث وعلومه :

١. متن «البيقونية» للبيقوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ

٢. منظومة «غَرامي صحيح» في ألقاب الحديث

٣. «نُخبة الفِكَر» مع شروحها : «نزهة النظر» لابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، و «تحقيق الرَّغبة في توضيح النخبة» لشيخنا العلَّامة د. عبد الكريم الخضير .

٤. «المُوقِظَة» للإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

٥. «توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار» للصَّنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٦. «مقدِّمة الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ» ومقابلتها على خمس نُسخ خطية.

٧. «الإلْماع إلى معرفة أصول الرِّواية وتقييد السماع» للقاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ

٨. «تحرير علوم الحديث» للشيخ عبد الله الجديع.

٩. «مقدِّمة ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ «لجامع الأصول» مع العناية بها وتجريدها ونشرها والتعليق عليها.

١٠. «الجامع الصحيح» للإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ

١١. «المسند الصحيح» للإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ

١٢. «الجامع الكبير» للإمام الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

ثالثاً: في العقيدة:

١. «العقيدة الطحاوية» للإمام الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

٢. «العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ

٣. «حائية ابن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ في السُّنة والاتِّباع»

٤. «القصيدة اللامية» لابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ

٥. «القواعد المُثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى» لشيخنا ابن عُثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ

٦. «تقريب التَّدمرية» لشيخنا ابن عُثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ

٧. «تهذيب كتاب التوحيد» لابن خزيمة للدكتور سليمان الدبيخي.

٨. «الإبانة عن أصول الدِّيانة» لأبي الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، تحقيق العصيمي.

٩. «رسالة إلى أهل الثَّغر» لأبي الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ.

رابعاً: في الفقه وأصوله:

١. «الورقات» للإمام الجويني رَحِمَهُ اللَّهُ

٢. «القواعد الفقهية» للعلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ

٣. «مختصر القُدُورِي رَحِمَهُ اللَّهُ»

٤. «عُمدة الفقه» لابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ مع حاشية الشيخ البسام رَحِمَهُ اللَّهُ

٥. «الاختيار لتعليل المختار» للموصلي رَحِمَهُ اللَّهُ

٦. «خُلاصة الكلام على عمدة الأحكام» للعلامة فيصل آل مبارك رَحِمَهُ اللَّهُ، بعنايتي.

٧. «مقام الرَّشاد بين التقليد والاجتهاد» للعلامة فيصل آل مبارك رَحِمَهُ اللَّهُ، بعنايتي.

٨. «التعليق المُمجَّد في شرح موطأ محمد» للإمام اللكنوي رَحِمَهُ اللَّهُ.

خامساً: في اللغة وعلومها:

١. «الأجرُّوميَّة» وشرحها.

٢. «اللُّمع» لابن جني رَحِمَهُ اللَّهُ

٣. «مختصر مغني اللبيب» لشيخنا ابن عُثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ

٤. «شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك رَحِمَهُ اللَّهُ»

٥. «المُزهِر في علوم اللغة وأنواعها» للسُّيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ

سادساً: متفرقات:

١. «آداب الدَّارس والمدرِّس» لجمال الدين القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ

٢. «مقدِّمة الإمام النَّووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ «للمجموع» بتجريد العلامة جمال الدين القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بتحقيقي .

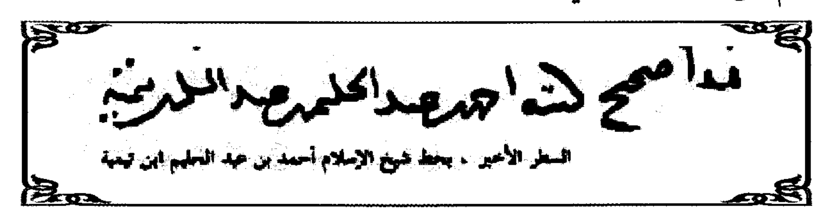
٣. «تذكرة السَّامع والمُتكلِّم في آداب العالِم والمتعلم» لابن جماعة رَحِمَهُ ٱللَّهُ

٤. «جزءٌ فيه من عوالي الشَّيخات السِّت» تخريج الحافظ البرزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، تحقيق الشيخ محمد بن ناصر العجمي حفظه الله.

وغيرها .

والله أسألُ أن يَرزُقنا المزيد من ذلك والتَّمام والإتمام والعِلْم النَّافع والعمل الصالح، وأن يفتح علينا فيها باب العَمل، وقد قال عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: هَتفَ العِلمُ بالعمل ؛ فإنْ أجابَه وإلَّا ارتحل .

وهذا وقد جمعتُ جميع هذه الفوائد العلمية التي انتفعت بها من شيخنا وعلَّقتها بين يديه من خلال ما قرأت عليه مشفوعة بصور ذلك كلِّه في تَقييدِ الفوائد والفرائد، على عادة أهل الحديث في الكتابة بخطه بعد كلِّ مجلس بقوله : «نعم، هذا صحيح» أو : «صحَّ ذلك في مجالس» وهذه صورة لخط شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك :

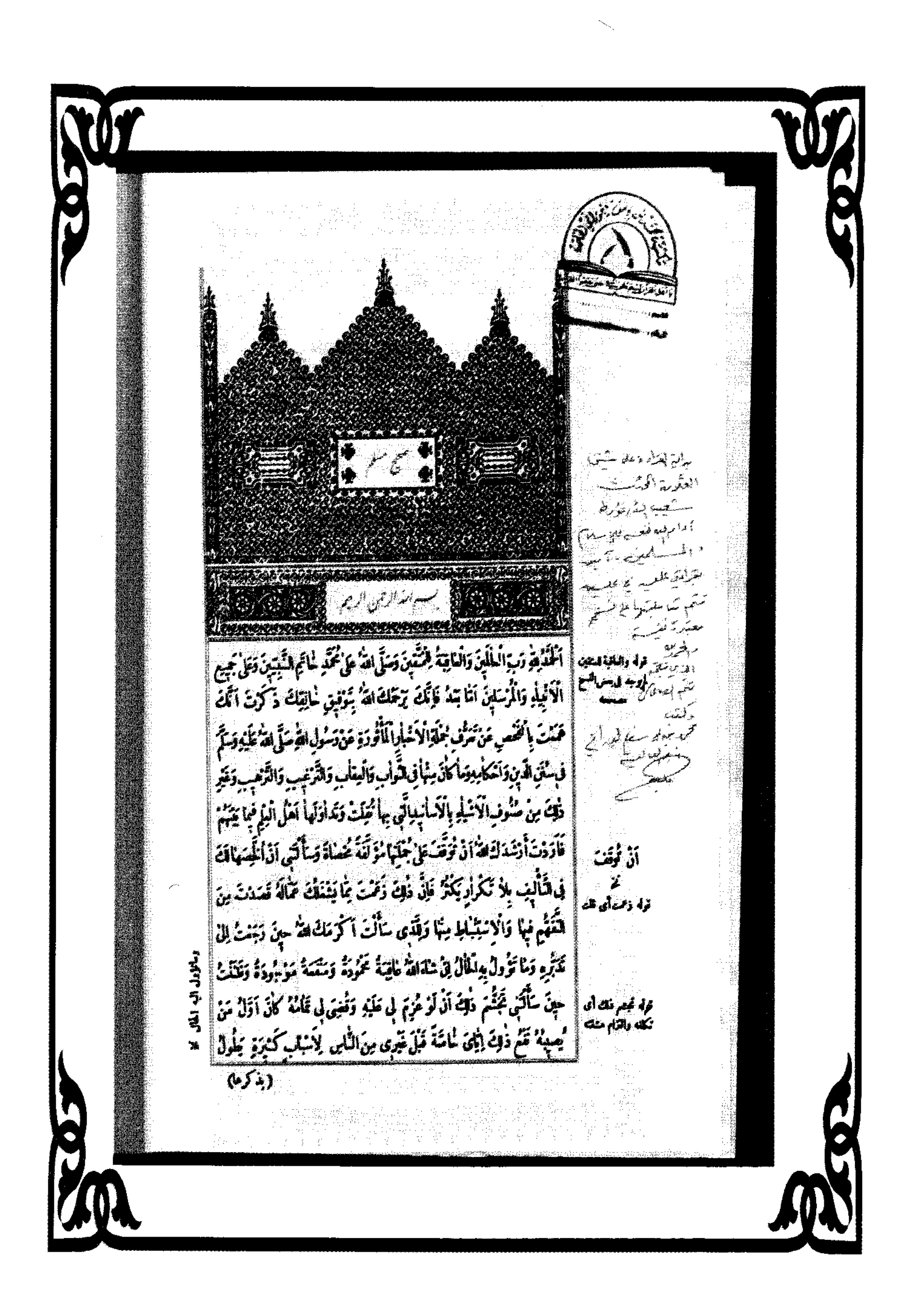


ومِن هُنا أحببتُ السَّير على منوال أهل الحديث في إثبات ذلك كلِّه، لاسيما ونحن في زمن كثُر فيه الأدعياء والتَّشبُّع، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي

العظيم، هذا وسأفرد هذه الفوائد في كتاب خاص، بعد مراجعتها من قِبَل شيخنا، فالله سبحانه المُوفِّق لكلِّ خير .

وإليك صوراً من بعض ما قرأتُ على شيخنا وعليها خطُّه :

❑ ❑ ❑



صحيح مسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين وصلى الله على محمد خاتم النبيين وعلى جميع الأنبياء والمرسلين أما بعد فإنك يرحمك الله بتوفيق خالقك ذكرت أنك هممت بالفحص عن تعرف جملة الأخبار المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنن الدين وأحكامه وما كان منها في الثواب والعقاب والترغيب والترهيب وغير ذلك من صنوف الأشياء بالأسانيد التي بها نقلت وتداولها أهل العلم فيما بينهم فأردت أرشدك الله أن توقف على جملتها مؤلفة محصاة وسألتني أن ألخصها لك في التأليف بلا تكرار يكثر فإن ذلك زعمت مما يشغلك عما له قصدت من التفهم فيها والاستنباط منها وللذي سألت أكرمك الله حين رجعت إلى تدبره وما تؤول به الحال إن شاء الله عاقبة محمودة ومنفعة موجودة وظننت حين سألتني تجشم ذلك أن لو عزم لي عليه وقضي لي تمامه كان أول من يصيبه نفع ذلك إياي خاصة قبل غيري من الناس لأسباب كثيرة يطول

(بذكرها)

قوله زعمت أي قلت

قوله تجشم ذلك أي تكلفه والتزام مشقته

صحيح الإمام مسلم رحمه الله



﴿ ٢٨ ﴾

في روايتها ولا أنهم لقوهم في نفس خبر بعينه. وهي أسانيد عند ذوي المعرفة بالأخبار والروايات من صحاح الأسانيد لا نعلمهم وهنوا منها شيئا قط ولا التمسوا فيها سماع بعضهم من بعض. إذ السماع لكل واحد منهم ممكن من صاحبه غير مستنكر لكونهم جميعا كانوا في العصر الذي اتفقوا فيه. وكان هذا القول الذي أحدثه القائل الذي حكيناه في توهين الحديث بالعلة التي وصف أقل من أن يعرج عليه ويثار ذكره. إذ كان قولا محدثا وكلاما خلفا لم يقله أحد من أهل العلم سلف ويستنكره من بعدهم خلف. فلا حاجة بنا في رده بأكثر مما شرحنا. إذ كان قدر المقالة وقائلها القدر الذي وصفناه. والله المستعان على دفع ما خالف مذهب العلماء. وعليه التكلان. ❁ قال أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري رحمه الله: بعون الله نبتدي وإياه نستكفي وما توفيقنا إلا بالله جل جلاله.

حدثني أبو خيثمة زهير بن حرب. حدثنا وكيع عن كهمس عن عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر ح وحدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري وهذا حديثه حدثنا أبي حدثنا كهمس عن ابن بريدة عن يحيى بن يعمر قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر. فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي فقلت أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف. قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر ثم قال حدثني

(اب)

قوله من أن يعرج عليه الخ تقدم معنى التعريج في هامش ص ٢٢ والإثارة كالنبث

قوله كلاما خلفا قال سكت ألفا ونطق خلفا أي ساقطا فاسدا

قوله لو لقينا كالتوافق أي ليتنا لقينا

قوله فوفق لنا عبد الله أي صادف لنا

كتاب الإيمان

وجد في بعض النسخ بعد كتاب الإيمان ❁ هذه الزيادة (باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة)

قوله فاكتنفته الخ أي صرنا في جانبيه على الوجه المفسر بما بعده

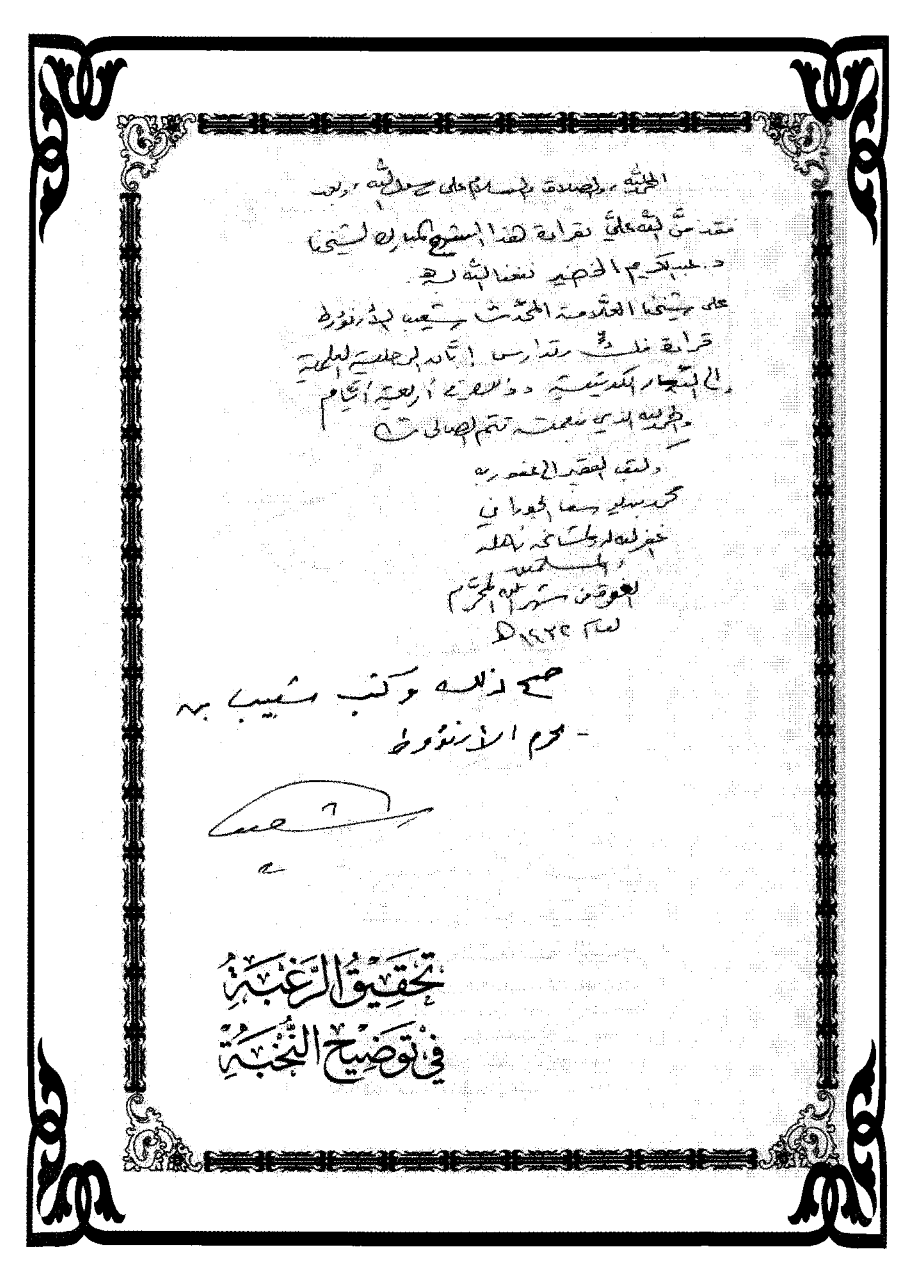
قوله سيكل الكلام إلي أي يسكت ويفوض الكلام إلي

قوله ويتقفرون العلم أي يطلبونه ويتتبعونه وفيه روايات تعلم من الشارح

قوله وذكر من شأنهم الخ [illegible] من الكلام [illegible]

قوله وأن الأمر أنف أي مستأنف لم يسبق به قدر قاله الشارح

قيد إتمام مقدمة «صحيح الإمام مسلم» رحمه الله وعليها خط شيخنا



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد

فقد من الله علي بقراءة هذا الشرح المبارك لشيخنا

د. عبد الكريم الخضير نفع الله به

على شيخنا العلامة المحدث شعيب الأرنؤوط

قراءة ضبط وتدارس أثناء الرحلة العلمية

إلى الديار الشامية [illegible] أربعة أيام

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

وكتب الفقير إلى عفو ربه

محمد [illegible]

غفر الله له ولمشايخه ولأهله

وللمسلمين

لعشرين من شهر الله المحرم

لعام ١٤٢٤هـ

صح ذلك وكتب شعيب بن

محرم الأرنؤوط

قيد قراءة كتاب «تحقيق الرغبة في توضيح النخبة» لشيخنا د. عبد الكريم الخضير حفظه الله على شيخنا العلامة شعيب الأرنؤوط وعليها خط شيخنا

ابتغاء وجه الله، باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً»[١] بعضه في «كتاب الصيام» وبعضه في «كتاب الجهاد» فأغنى ذلك عن تكراره في هذا الموضع.

٩ ـ عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى وجه ربهم في جنة عدن إلا رداء الكبرياء على وجهه**»[٢].

❁ **قال أبو بكر**: هذا باب طويل، لو استخرج في هذا الكتاب أخبار النبي ﷺ التي فيها ذكر وجه ربنا ـ جل وعلا ـ لطال الكتاب، وقد خرَّجنا كل صنف[٣] من هذه الأخبار في مواضعها في كتب مُصَنَّفة.



(٦) باب ذكر صورة ربنا جل وعلا:



وصفة سبحات وجهه ﷺ، تعالى ربنا عن[٤] **أن يكون وجه ربنا كوجه بعض خلقه، وعزَّ ألا يكون له وجه، إذ الله قد أعلمنا في محكم تنزيله أن له وجهاً، ذوّاه بالجلال والإكرام، ونفى عنه الهلاك.** [هـ١٩/ ش٤٥/ ز٥٦/ ق٥٨]

١٠ ـ عن أبي موسى، قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس

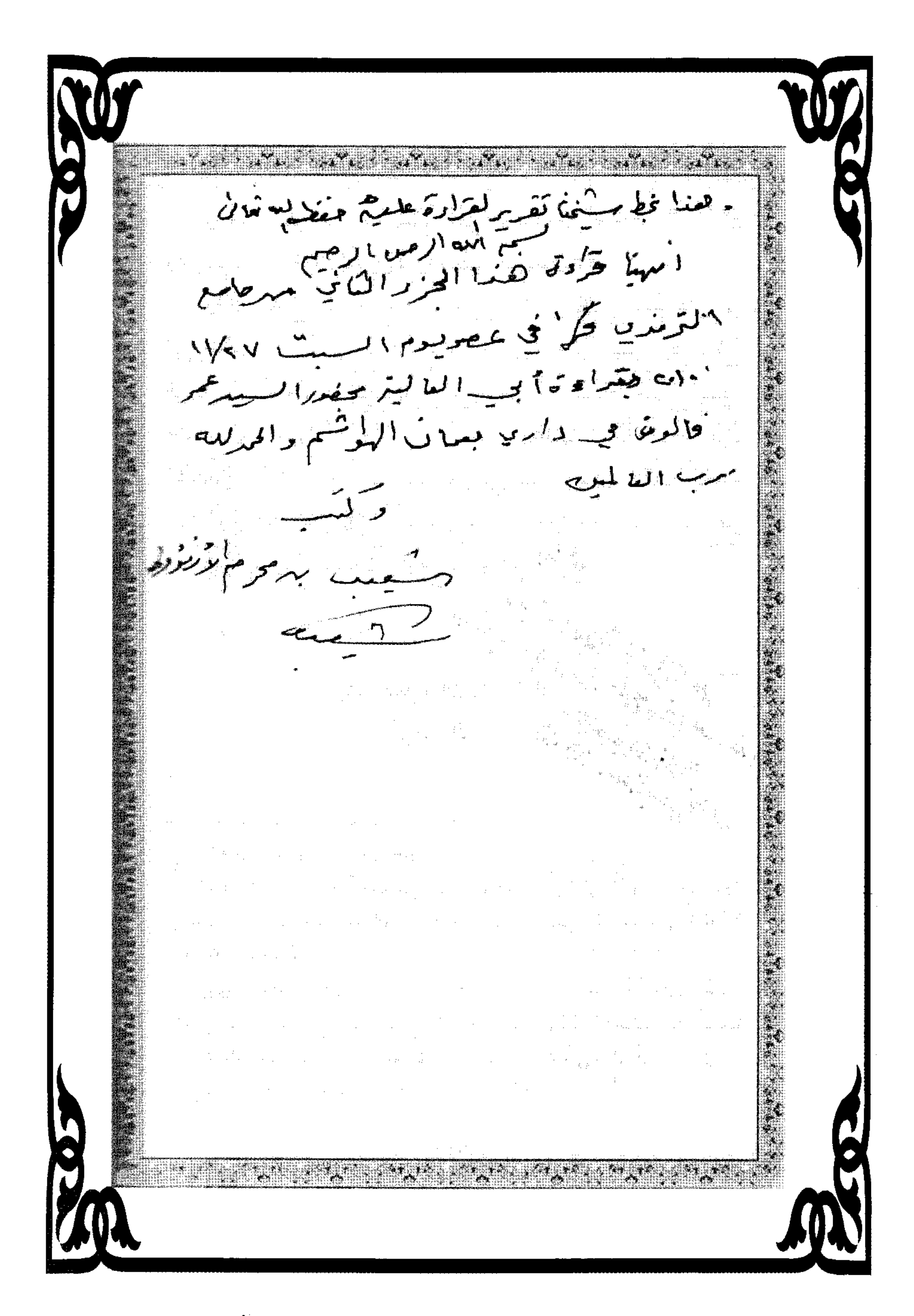
(١) متفق عليه ـ بدون موضع الشاهد (ابتغاء وجه الله) ـ: البخاري: (٣/ ١٠٤٤) ح (٢٦٨٥)؛ ومسلم: (٨/ ٢٨١) ح (١١٥٣).

(٢) متفق عليه: البخاري: (٤/ ١٨٤٨) ح (٤٥٩٧)؛ ومسلم: (٣/ ١٩) ح (١٨٠) وفيهما: «وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن».

(٣) وقع في (ش): (صفة) بدل: (صنف) وما أثبته موجود في (هـ) و(ز) وهو الذي يدل عليه المعنى والسياق.

(٤) سقطت (عن) من (ش) وأثبتها من (هـ) و(ز).

قيد قراءة كتاب «تهذيب كتاب التوحيد» وعليه خط شيخنا في تمام المجلس الأول



- هذا خط شيخنا تقرير لقراءة عليه حفظه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

أنهينا قراءة هذا الجزء الثاني من جامع

الترمذي ... في عصر يوم السبت ٢٧/١١

١٤١٠ بقراءة أبي العالية بحضور السيد عمر

فالوغ في داري بعمان الهاشمية والحمد لله

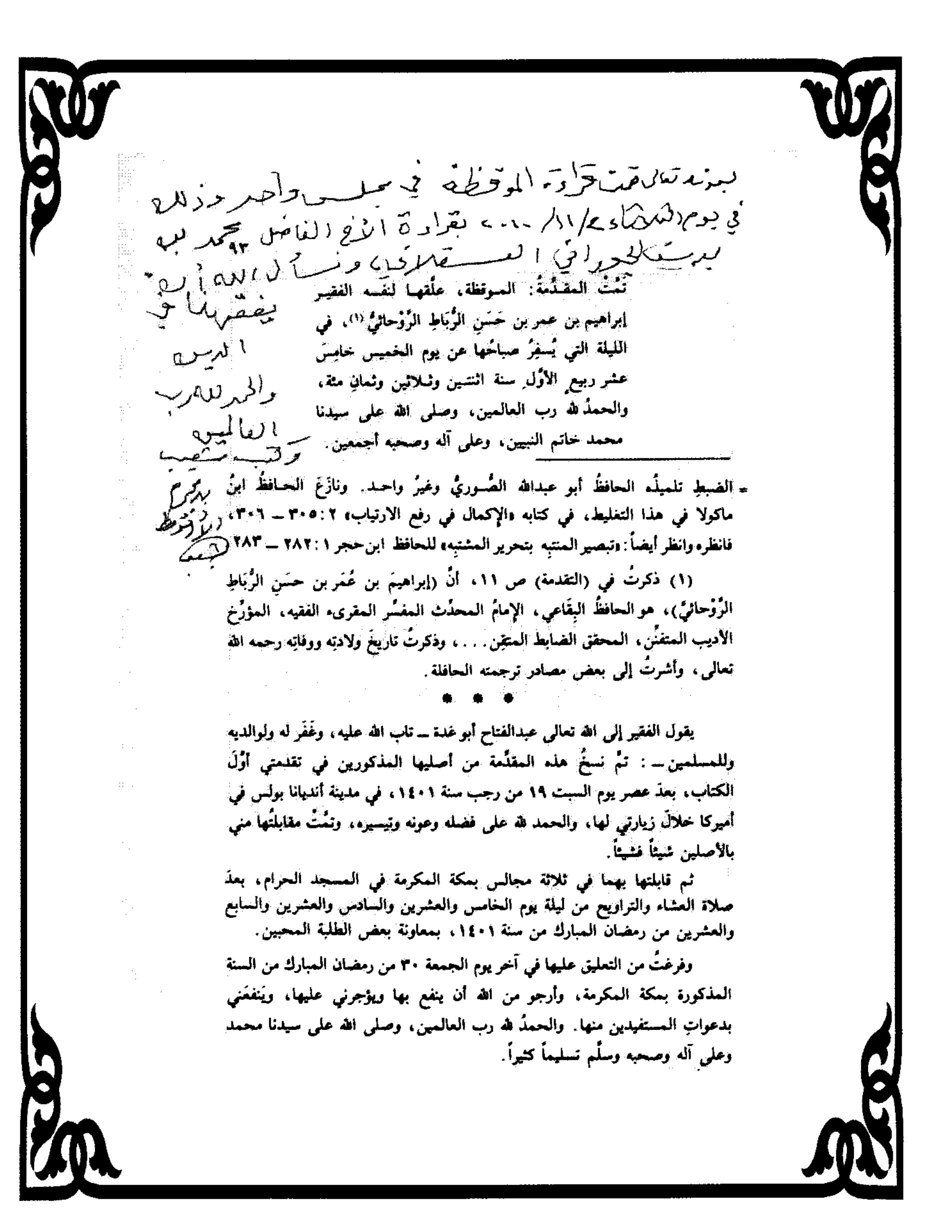
رب العالمين

وكتب

شعيب بن محرم الأرنؤوط

[illegible]

قيد إتمام قراءة المجلد الثاني «للجامع الكبير» للإمام الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهذا خط شيخنا



بعونه تعالى تمت قراءة الموقظة في مجلس واحد وذلك في يوم الثلاثاء ١١/٨/٢٠٠٠ بقراءة الأخ الفاضل محمد بن [illegible] ونسأل الله أن ينفعنا بها في الدين والحمد لله رب العالمين وكتب شعيب [illegible]

تمتْ المقدّمةُ: الموقظة، علّقها لنفسه الفقير إبراهيم بن عمر بن حَسَنِ الرُّبَاطِ الرَّوْحائيُّ(١)، في الليلة التي يُسفِرُ صباحُها عن يوم الخميس خامسَ عشر ربيعِ الأوّلِ سنة اثنتين وثلاثين وثمانِ مئة، والحمدُ لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

= الضبطِ تلميذُه الحافظُ أبو عبدالله الصُّوريُّ وغيرُ واحد. ونازَعَ الحافظُ ابنُ ماكولا في هذا التغليط، في كتابه «الإكمال في رفع الارتياب» ٢: ٣٠٥ ـ ٣٠٦، فانظره وانظر أيضاً: «تبصير المنتبه بتحرير المشتبه» للحافظ ابن حجر ١: ٢٨٢ ـ ٢٨٣.

(١) ذكرتُ في (التقدمة) ص ١١، أنَّ (إبراهيمَ بن عُمَر بن حَسَنِ الرُّبَاطِ الرَّوْحائيَّ)، هو الحافظُ البِقَاعي، الإمامُ المحدِّث المفسِّر المقرىء الفقيه، المؤرِّخ الأديب المتفنِّن، المحقق الضابط المتقِن. . .، وذكرتُ تاريخَ ولادتِه ووفاتِه رحمه الله تعالى، وأشرتُ إلى بعض مصادر ترجمته الحافلة.

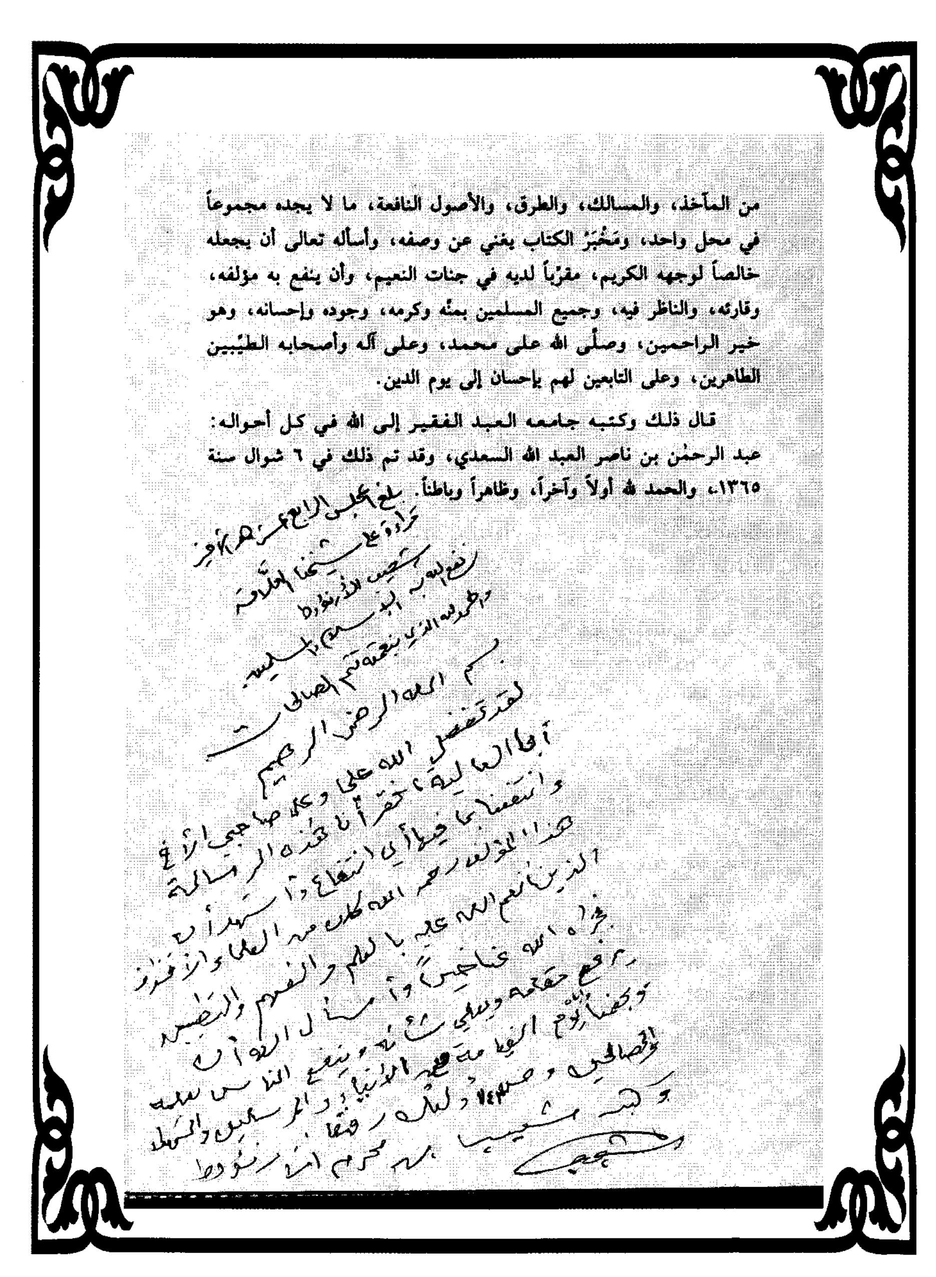
* * *

يقول الفقير إلى الله تعالى عبدالفتاح أبو غدة ـ تاب الله عليه، وغفَر له ولوالديه وللمسلمين ـ: تمّ نسخُ هذه المقدِّمة من أصليها المذكورين في تقدمتي أوّلَ الكتاب، بعدَ عصر يوم السبت ١٩ من رجب سنة ١٤٠١، في مدينة أنديانا بولس في أميركا خلالَ زيارتي لها، والحمد لله على فضله وعونه وتيسيره، وتمّتْ مقابلتُها مني بالأصلين شيئاً فشيئاً.

ثم قابلتها بهما في ثلاثة مجالس بمكة المكرمة في المسجد الحرام، بعدَ صلاة العشاء والتراويح من ليلة يوم الخامس والعشرين والسادس والعشرين والسابع والعشرين من رمضان المبارك من سنة ١٤٠١، بمعاونة بعض الطلبة المحبين.

وفرغتُ من التعليق عليها في آخر يوم الجمعة ٣٠ من رمضان المبارك من السنة المذكورة بمكة المكرمة، وأرجو من الله أن ينفع بها ويؤجرني عليها، ويَنفعَني بدعواتِ المستفيدين منها. والحمدُ لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

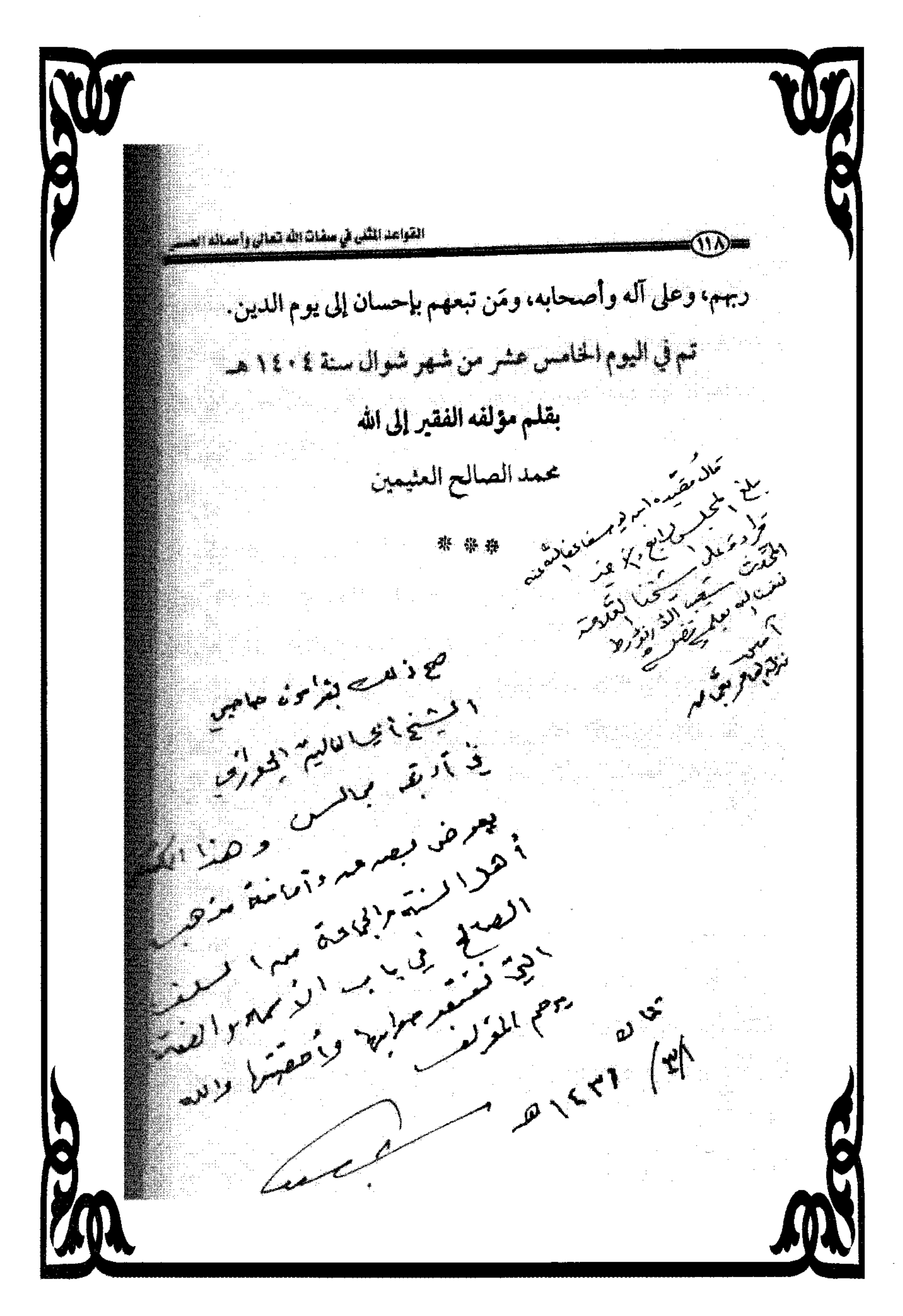
قيد إتمام قراءة «الموقظة» للإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهذا خط شيخنا



من المآخذ، والمسالك، والطرق، والأصول النافعة، ما لا يجده مجموعاً في محل واحد، ومَخْبَرُ الكتاب يغني عن وصفه، وأسأله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، مقرِّباً لديه في جنات النعيم، وأن ينفع به مؤلفه، وقارئه، والناظر فيه، وجميع المسلمين بمنّه وكرمه، وجوده وإحسانه، وهو خير الراحمين، وصلَّى الله على محمد، وعلى آله وأصحابه الطيِّبين الطاهرين، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

قال ذلك وكتبه جامعه العبد الفقير إلى الله في كل أحواله: عبد الرحمٰن بن ناصر العبد الله السعدي، وقد تم ذلك في ٦ شوال سنة ١٣٦٥، والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً.

قيد إتمام قراءة «القواعد الحسان في تفسير القرآن» للسَّعدي رَحِمَهُ اللَّهُ وهذا خط شيخنا



ربهم، وعلى آله وأصحابه، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

تم في اليوم الخامس عشر من شهر شوال سنة ١٤٠٤ هـ

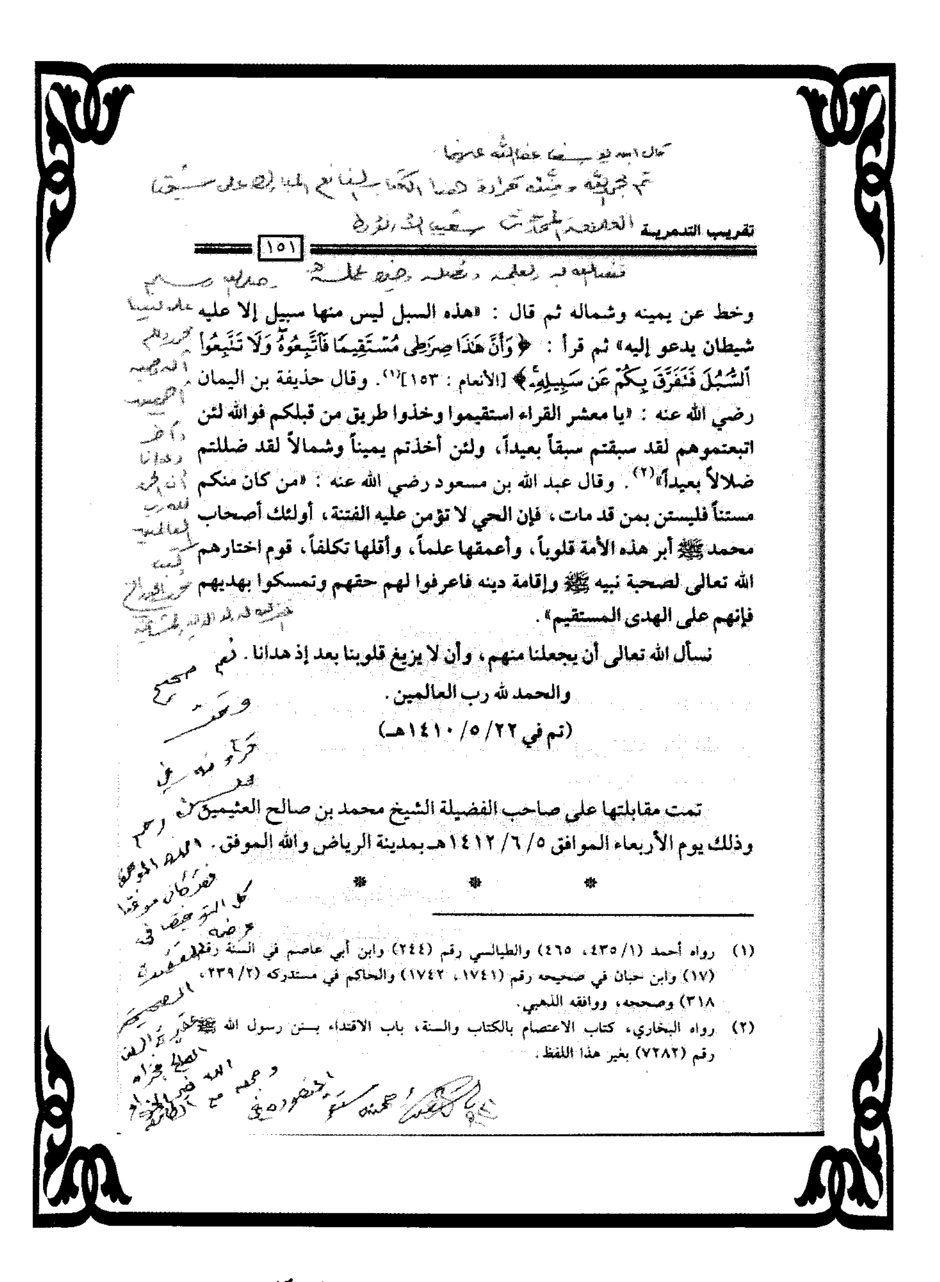
بقلم مؤلفه الفقير إلى الله

محمد الصالح العثيمين

* * *

قيد إتمام قراءة «القواعد المثلى في صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى» لشيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ

وهذا خط شيخنا



وخط عن يمينه وشماله ثم قال : «هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه» ثم قرأ : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام : ١٥٣][(١)]. وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : «يا معشر القراء استقيموا وخذوا طريق من قبلكم فوالله لئن اتبعتموهم لقد سبقتم سبقاً بعيداً، ولئن أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً»[(٢)]. وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : «من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم فإنهم على الهدى المستقيم».

نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا .

والحمد لله رب العالمين .

(تم في ٢٢/ ٥/ ١٤١٠هـ)

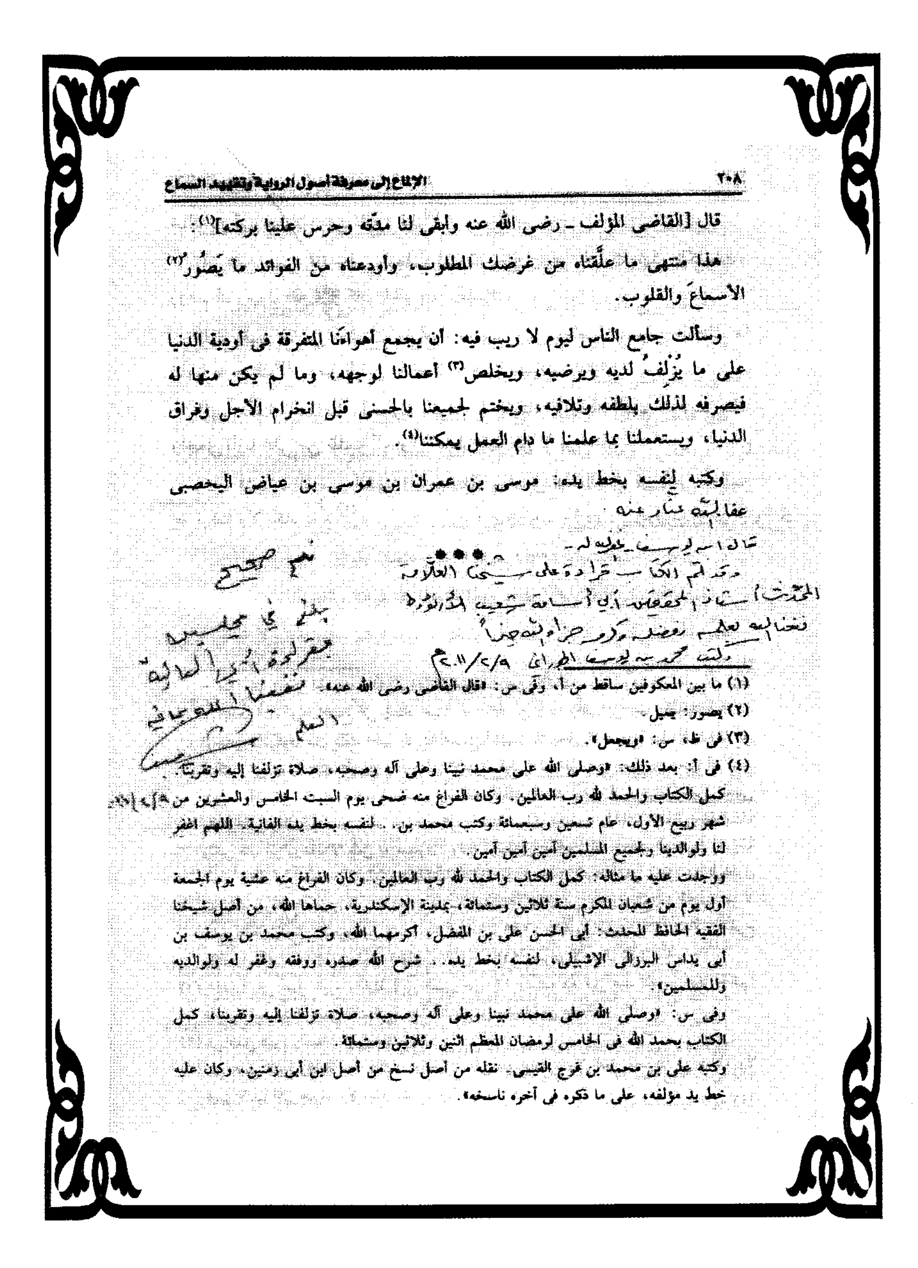
تمت مقابلتها على صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين وذلك يوم الأربعاء الموافق ٥/ ٦/ ١٤١٢هـ بمدينة الرياض والله الموفق .

* * *

(١) رواه أحمد (١/ ٤٣٥، ٤٦٥) والطيالسي رقم (٢٤٤) وابن أبي عاصم في السنة رقم (١٧) وابن حبان في صحيحه رقم (١٧٤١، ١٧٤٢) والحاكم في مستدركه (٢/ ٢٣٩، ٣١٨) وصححه، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ رقم (٧٢٨٢) بغير هذا اللفظ.

قيد إتمام قراءة «تقريب التدمرية» لشيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهذا خط شيخنا



٢٠٨ الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع

قال [القاضي المؤلف ـ رضى الله عنه وابقى لنا مدّته وحرس علينا بركته][(1)]:

هذا منتهى ما علّقناه من غرضك المطلوب، وأودعناه من الفوائد ما يَصُور[(2)] الأسماعَ والقلوب.

وسألت جامع الناس ليوم لا ريب فيه: أن يجمع أهواءنا المتفرقة فى أودية الدنيا على ما يُزْلِفُ لديه ويرضيه، ويخلص[(3)] أعمالنا لوجهه، وما لم يكن منها له فيصرفه لذلك بلطفه وتلافيه، ويختم لجميعنا بالحسنى قبل انخرام الأجل وفراق الدنيا، ويستعملنا بما علمنا ما دام العمل يمكننا[(4)].

وكتبه لِنفسه بخط يده: موسى بن عمران بن موسى بن عياض اليحصبى عفا الله عنه.

***

(١) ما بين المعكوفين ساقط من أ، وفى س: «قال القاضى رضى الله عنه».

(٢) يصور: يميل.

(٣) فى ط، س: «ويجعل».

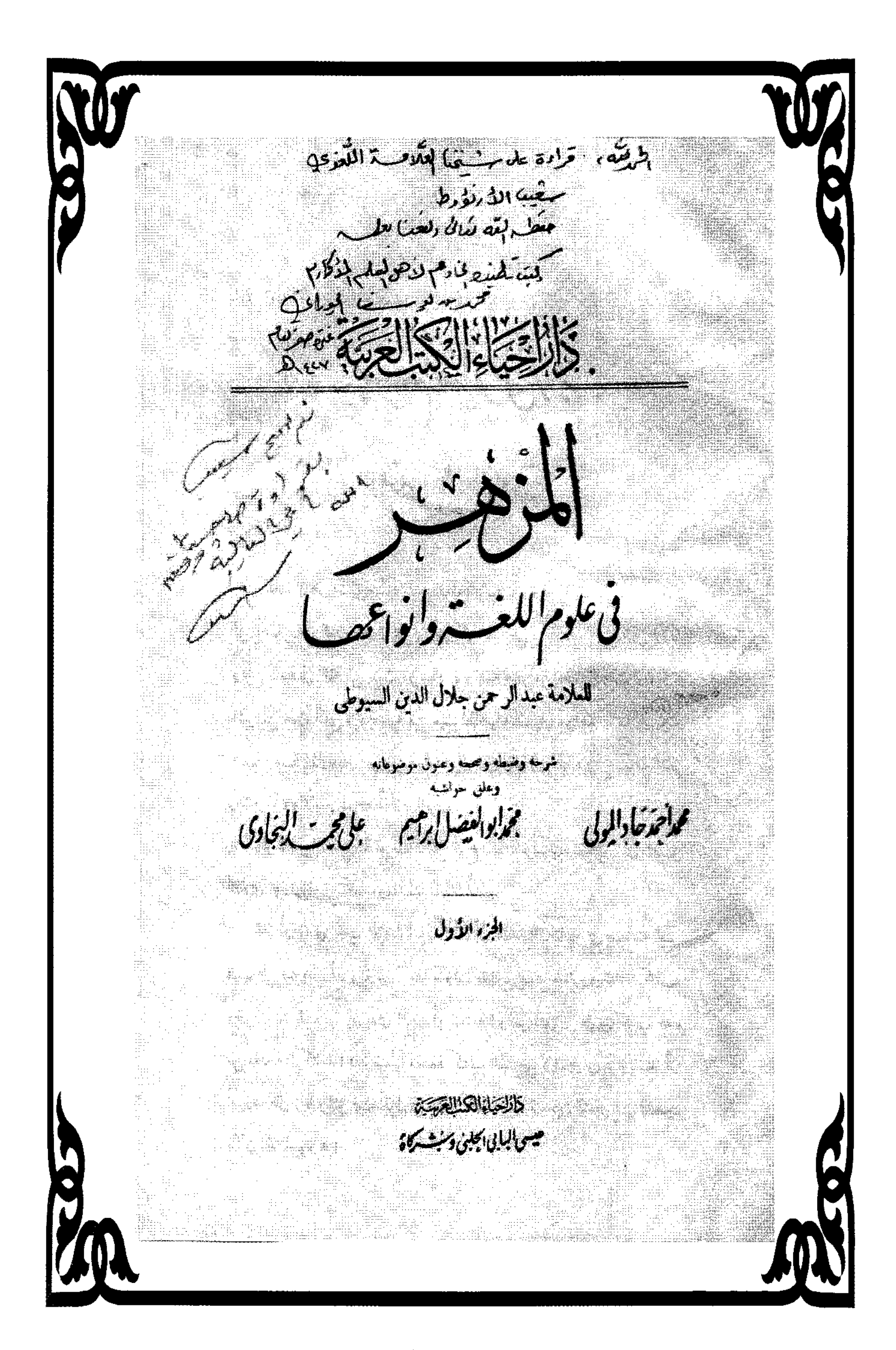
(٤) فى أ: بعد ذلك: «وصلى الله على محمد نبينا وعلى آله وصحبه، صلاة تزلفنا إليه وتقربنا. كمل الكتاب والحمد لله رب العالمين. وكان الفراغ منه ضحى يوم السبت الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول، عام تسعين وسبعمائة وكتب محمد بن .. لنفسه بخط يده الفانية. اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين آمين آمين آمين.

ووجدت عليه ما مثاله: كمل الكتاب والحمد لله رب العالمين. وكان الفراغ منه عشية يوم الجمعة أول يوم من شعبان المكرم سنة ثلاثين وستمائة، بمدينة الإسكندرية، حماها الله، من أصل شيخنا الفقيه الحافظ المحدث: أبى الحسن على بن المفضل، أكرمهما الله، وكتب محمد بن يوسف بن أبى يداس البرزالى الإشبيلى، لنفسه بخط يده. شرح الله صدره ووفقه وغفر له ولوالديه وللمسلمين».

وفى س: «وصلى الله على محمد نبينا وعلى آله وصحبه، صلاة تزلفنا إليه وتقربنا، كمل الكتاب بحمد الله فى الخامس لرمضان المعظم اثنين وثلاثين وستمائة.

وكتبه على بن محمد بن فرج القيسى. نقله من أصل نسخ من أصل ابن أبى زمنين، وكان عليه خط يد مؤلفه، على ما ذكره فى آخره ناسخه».

قيد إتمام قراءة «الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع» للقاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ وهذا خط شيخنا



الحمد لله، قراءة على شيخنا العلامة اللغوي
شعيب الأرنؤوط
حفظه الله تعالى ونفعنا بعلمه
كتبه الضعيف خادم أهل العلم الكرام
محمد بن يوسف الجوراني

دار إحياء الكتب العربية

المزهر

في علوم اللغة وأنواعها

للعلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطي

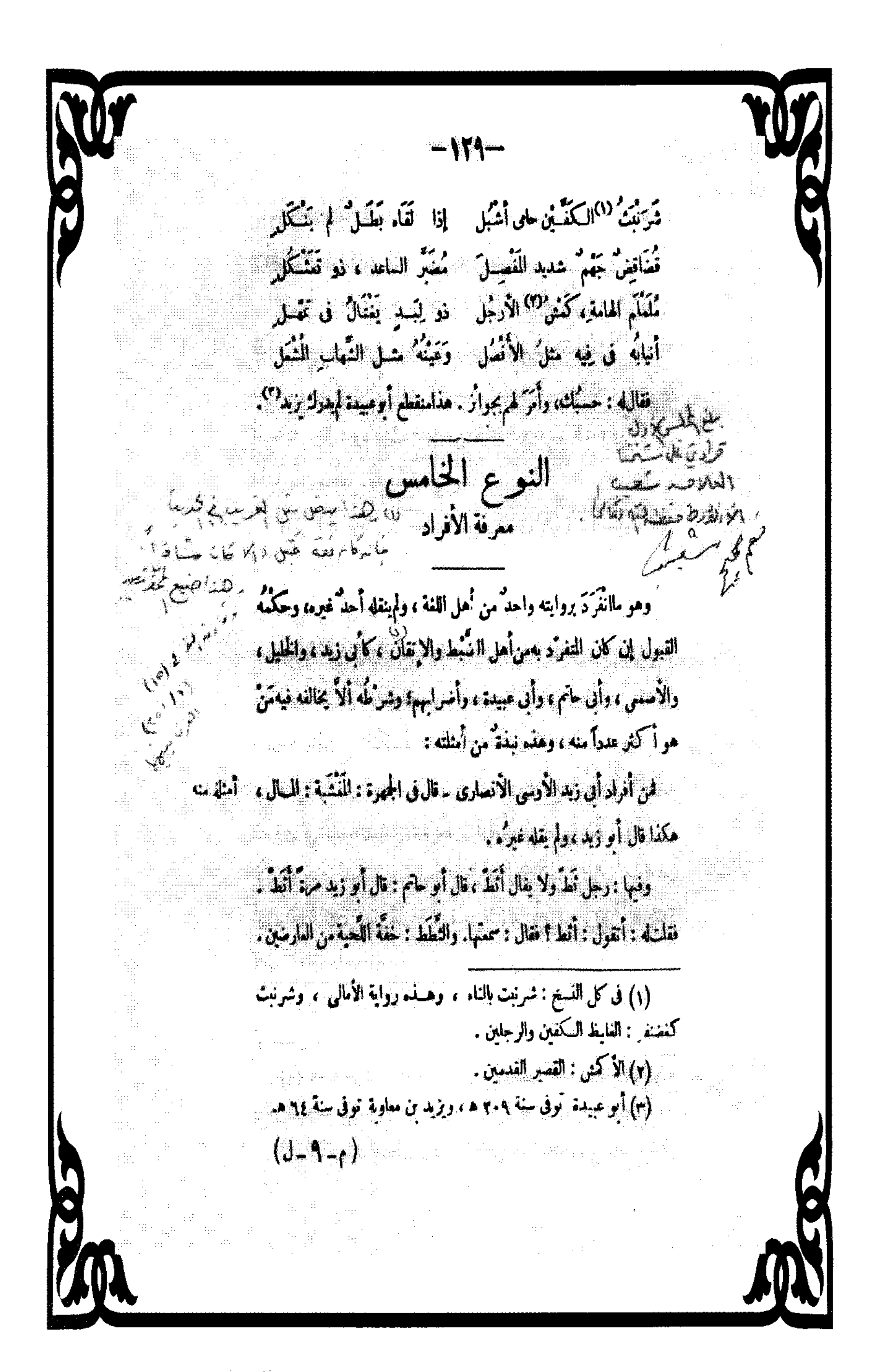
شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته
وعلق حواشيه

محمد أحمد جاد المولى — محمد أبو الفضل إبراهيم — علي محمد البجاوي

الجزء الأول

دار إحياء الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاه

قيد قراءة «المزهر» للسيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ على شيخنا وهذا خطه



-١٢٩-

شَرَنْبَثُ(١) الكفَّين حامى أَشْبُل   إذا لقاه بطَلٌ لم يَنْكَلِ
قُضاقِضٌ جَهْمٌ شديد الفَصِلِ   مُضَبَّر الساعد ، ذو تَشَكُّلِ
مُلَمْلَم الهامة ، كَنْشُ(٢) الأرجُلِ   ذو لِبَدٍ يَغْتَالُ فى تمهُّلِ
أنيابُه فى فيه مثلُ الأَنْصُلِ   وعَيْنُهُ مثل الشِّهابِ الْمُشْعَلِ

فقال له : حسبُك ، وأمر لم بجوائز . هذا منقطع أبو عبيدة لم يدرك يزيد(٣).

النوع الخامس

معرفة الأفراد

وهو ما انفرَدَ بروايته واحدٌ من أهل اللغة ، ولم ينقله أحدٌ غيره ، وحكمُه القبول إن كان المتفرِّد به من أهل الضبط والإتقان ، كأبى زيد ، والخليل ، والأصمعى ، وأبى حاتم ، وأبى عبيدة ، وأضرابهم ؛ وشرطُه ألاَّ يخالفه فيه مَنْ هو أكثر عدداً منه ، وهذه نبذةٌ من أمثلته :

فمن أفراد أبى زيد الأوسى الأنصارى - قال فى الجمهرة : المَنْشَبة : المال ، هكذا قال أبو زيد ، ولم يقله غيرُه .

وفيها : رجل نَطٌّ ولا يقال أَنَطّ ، قال أبو حاتم : قال أبو زيد مرةً أَنَطّ . فقلت له : أتقول : أنط ؟ فقال : سمعتها . والنَّطَط : خفةُ اللحية من العارضين .

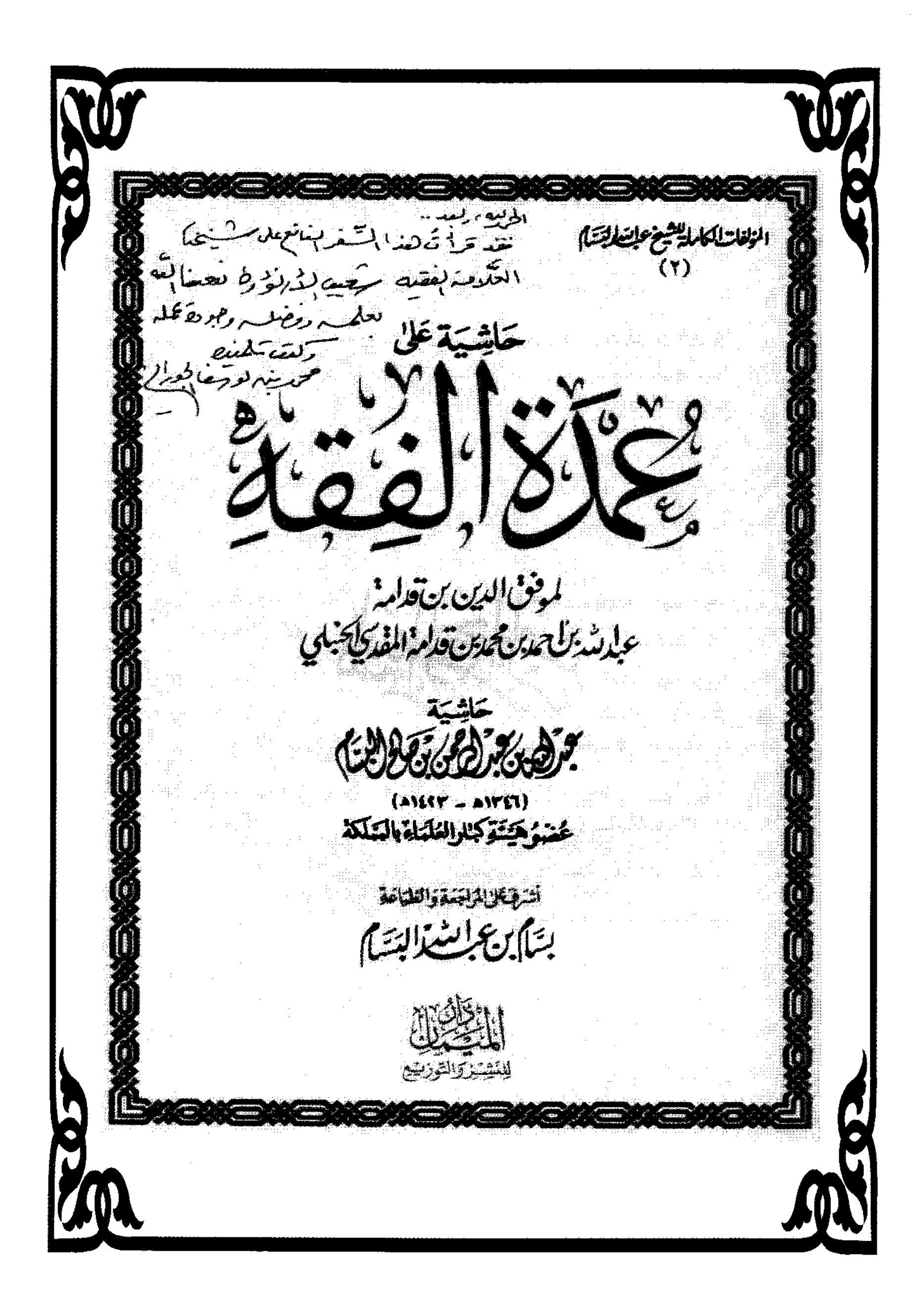
(١) فى كل النسخ : شرنبت بالتاء ، وهذه رواية الأمالى ، وشرنبث كغضنفر : الغليظ الكفين والرجلين .

(٢) الأكنش : القصير القدمين .

(٣) أبو عبيدة توفى سنة ٢٠٩ هـ ، ويزيد بن معاوية توفى سنة ٦٤ هـ .

(م-٩-ل)

قيد إتمام المجلس الأول من قراءة «المزهِر» للسيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهذا خط شيخنا


المؤلفات الكاملة للشيخ عبدالله البسام
(٢)

الحمد لله وبعد..
فقد قرأت هذا السفر النافع على شيخنا
العلامة الفقيه
بعلمه وفضله وجودة عمله
وكتبه تلميذه

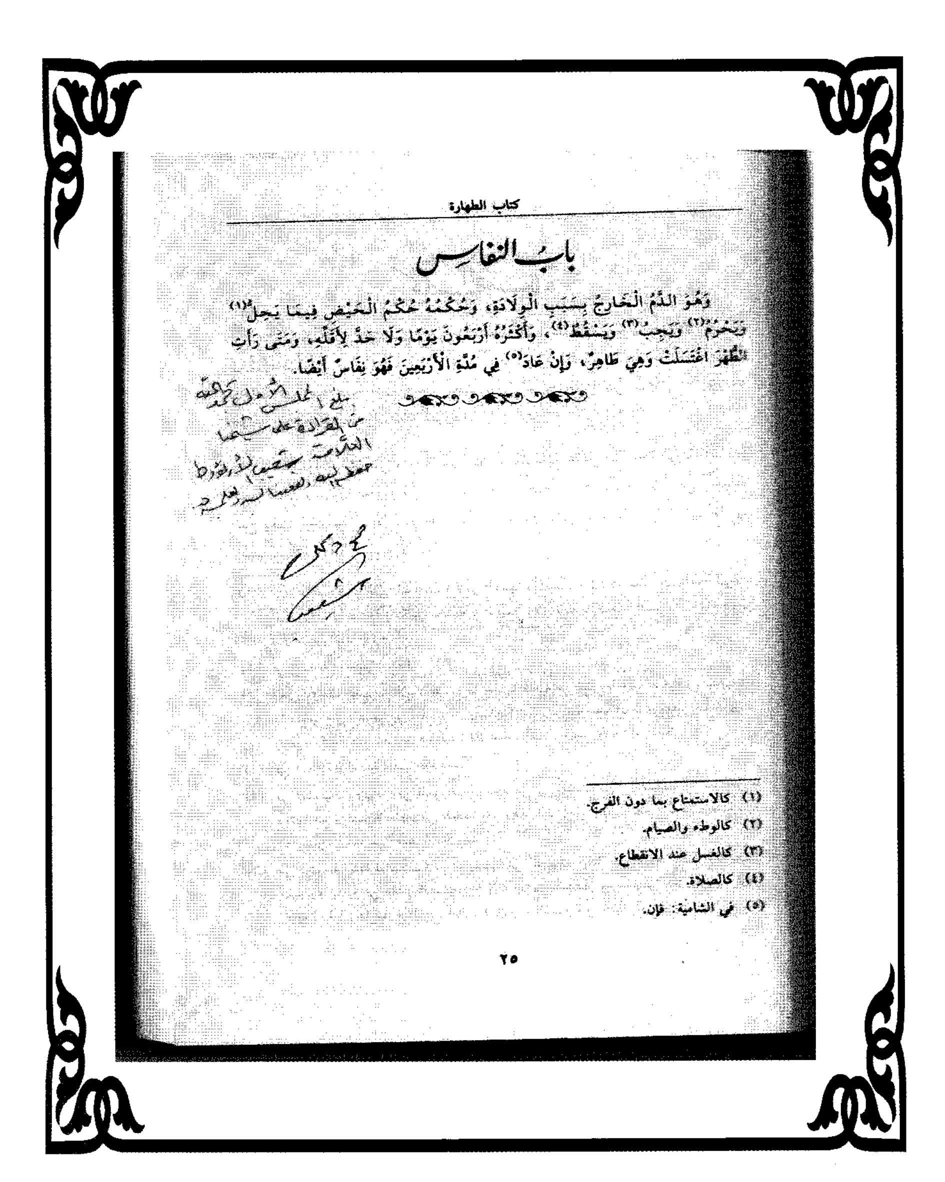
حاشية على
عمدة الفقه
لموفق الدين بن قدامة
عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي

حاشية
عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح البسام
(١٣٤٦هـ - ١٤٢٣هـ)
عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة

أشرف على المراجعة والطباعة
بسام بن عبدالله البسام

دار الميمان للنشر والتوزيع

قيد قراءة «عمدة الفقه» لابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ على شيخنا



بابُ النفاسِ

وَهُوَ الدَّمُ الْخَارِجُ بِسَبَبِ الْوِلَادَةِ، وَحُكْمُهُ حُكْمُ الْحَيْضِ فِيمَا يَحِلُّ[1] وَيَحْرُمُ[2] وَيَجِبُ[3] وَيَسْقُطُ[4]، وَأَكْثَرُهُ أَرْبَعُونَ يَوْمًا وَلَا حَدَّ لِأَقَلِّهِ، وَمَتَى رَأَتِ الطُّهْرَ اغْتَسَلَتْ وَهِيَ طَاهِرٌ، وَإِنْ عَادَ[5] فِي مُدَّةِ الْأَرْبَعِينَ فَهُوَ نِفَاسٌ أَيْضًا.

بلغ المجلس الأول [illegible] من القراءة على شيخنا العلامة شعيب الأرنؤوط حفظه الله ونفعنا [illegible]

(١) كالاستمتاع بما دون الفرج.

(٢) كالوطء والصيام.

(٣) كالغسل عند الانقطاع.

(٤) كالصلاة.

(٥) في الشامية: فإن.

قيد إتمام قراءة المجلس الأول من «عمدة الفقه» لابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ على شيخنا

هذا ولا يزال شيخنا أدام الله نفعه وفضله، مع عُلوِّ سِنِّه، على صِلَة وثيقة بالقراءة والإفادة، وتدريس العلم وتحقيقه، واللهَ أسألُ أن يفسح له في عُمره، ويبارك له في عمله، وأن يختم له ولنا بخير وعلى خير .

٦. نَشرُه للكتب العِلْميَّة النافعة:

الكتاب وسيلةٌ من أعظم وسائل الدَّعوة إلى دين الله تعالى، وهو يقوم مقام الدَّاعية وأكثر في كثير من الأوقات، ومن هنا فقد عَرف شيخُنا منذ بكور طلبه للعلم قيمة هذه الكتب، وحين كنتُ أذهب مع شيخنا لشراء جديد الكتب، أجده يبتاع جملة صالحة من الكتب النافعة، للتوزيع والنشر، وليرسلها إلى الآفاق، وقد يَمرُّ على شيخنا بعض الزُّوار من بُلدان شتَّى ولا يسعف الوقت لشراء بعض الكتب وإرسالها، فما تراه إلَّا وهو يجود بنسخته الخاصة من تحقيقاته، ويُعطيها هديَّة سخيَّة نديَّة لمن ينتفع بها، وربما كنتُ في بعض الأحيان أجد في نفسي من فَظاظة بعض السَّائلين للكتب التي من تحقيقات شيخنا مع سعة أيديهم، ومع هذا كلِّه يهديهم شيخنا بدون سؤال، ووالله إني لأعجب أشد العجب حين لا أجد نسخة من بعض تحقيقات شيخنا تُعطى له من الناشر، بل إنَّ الكثير من الكتب الي هي من تحقيقاته هو من يشتريها بنفسه!! وهذا يدل على تردِّي حال كثير من أهل هذا الزَّمان الذين لا يعرفون قيمة أهل العلم، وإنما يعرفون المال لا غير، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العلي العظيم.

ويوم جاء أحد الدُّعاة من بلاد أفريقيا، مِنْ «بِنِيْنَ» وكانوا قد أسَّسوا معهداً شرعياً للتعليم ونشر علوم الإسلام، فما كان من الشيخ إلَّا أن سارع إلى تجهيز مكتبة علمية كبيرة، وتفقَّد إخوانه المُحسِنين والمَيسُورين، فجمع

مبلغاً كبيراً جداً وابتاع مئات المجلدات في كافَّة العلوم الشرعية والعربية، منها غالب ميراث ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، وابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ، وابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ، وكافة تحقيقاته، وجميع مؤلَّفات شيخنا العلامة د. عمر الأشقر، وغيرهم، وتمَّ تجهيزها في عشرات الصَّناديق، ثمَّ نظر من يقوم بأجرة الشَّحن إلى تلك البلاد، فما فرح الدُّعاة في «بنين» بشيء كفرحهم بهذه الهدية القَيِّمة العِلميَّة.

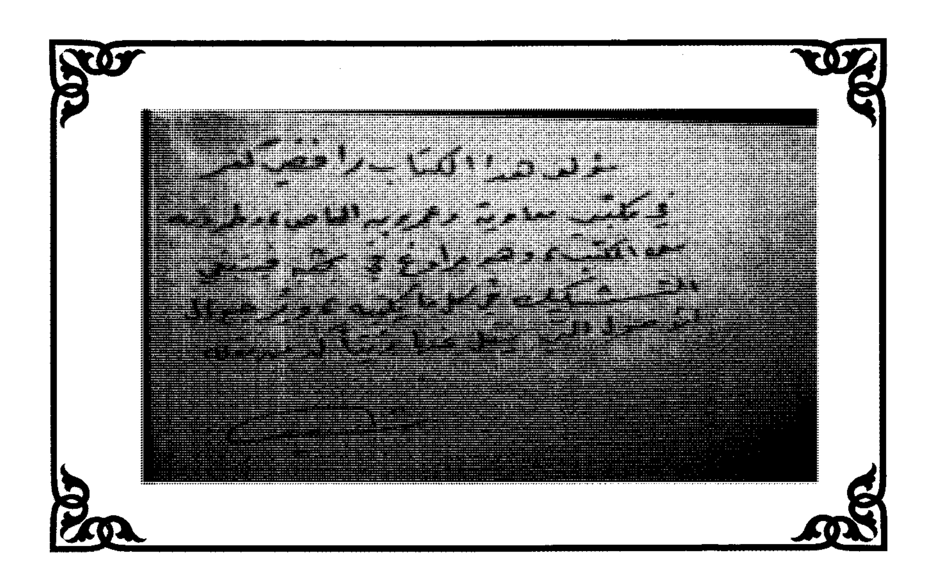
٧. الغضب لله وجرأته في قول الحق :

إنَّ مِن أهمِّ سمات العالِم الرَّباني، أنْ يكون مع رحمته بالخلق، وحُبِّه النَّفع لهم، ولين جانبه للمُخطِئ، أن يكون غضبُه إذا غضب لله لا لنفسه أو لأجل دنيا فانية، وقد كانت ثمَّة مواقف من أهل البدع والضلال مع شيخنا من باب المحاورة والمناظرة، فكان شيخنا أدام الله مجده، يسمح لذلك كله طالما الأمر في حيِّز الأدب والبحث عن العلم والحق، ورجاء الهداية والنفع، ولكن إن وجد من الخطأ ما لا يحتمل إلَّا وجهاً واحداً ، ولا يُسكت على خلافه، تراه سرعان ما يُنكر على المُخطِئ ويردُّ قوله بكلِّ قوة وجرأة، ولا تأخذه في الله لومة لائم .

وأذكر يوم زار بعضُ رؤوس أهل البِدَع والضَّلال شيخَنا، ودار الحديثُ حول بعض صحابة رسول الله ﷺ، وصرَّح أحدهم بتكفير بعض الصحابة، فما كان من شيخنا إلَّا أنْ رَدعَهُ وأنكر عليه إنكاراً شديداً، ثمَّ طرده طرداً من مجلسه، ولم يخشَ منصب هذا الضَّال.

وقد كتَب على أحد أغلفة كتب هذا الضَّال بعد أن أعطاها لشيخنا :

«مُؤلِّف هذا الكتاب رافضيٌّ كفَّر في مكتبي معاوية وعمرو بن العاص، وطردته من المكتب، وهو مراوغ في بحثه، فينبغي التشكيك في كل ما يكتبه، ويُرجع إلى الأصول التي ينقل عنها ويُتأكد من نقله. شعيب»



وتارة كتب :

«هذا الكتاب فيه حيدة عن الصواب، وقد أخطأ فيه صاحبه في كثير من المواطن فيما يتعلق بالنص القرآني، وفي توجيه فَهم المفسرين، وإسقاطه على المعنى الذي أراده هو دون فهم مرادهم ».

وخُذْ مثالاً آخر يدلُّ دلالة ظاهرة على صَدْع الشَّيخ بالحقِّ، ولا يخاف فيه لومة لائم، حين سافرنا سوياً إلى تركيا للمشاركة في مؤتمر «مدارس الحديث» في جانكرى، ذهبنا إلى سِيْواس ـ بلد العلماء، ومنهم ابن الهمام

الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ - اجتمع في إحدى كليات الإلهيات، وعقَد ندوةً، وكان من بين الحضور عُمداء الكليات، وأساتذة الشريعة وغيرهم، فختم محاضرته بتوجيه نصيحة لهم قائلاً :

هذا الأمر، إنه الصوفية، وبدأ الشيخ بالتحذير منها وما فيها من دسائس على الإسلام وما يخالف الشرع الحنيف، فضَاجت القاعة! فكرَّر لهم شيخنا أنصحكم بنصيحة هامة، **وقد تَغْضبُون مِنِّي ولا يهمني هذا ولكنَّ المهم أن أُبيِّن لكم خطر التصوف** - ومعلومٌ أنَّ هذا الأمر في تركيا قد بلغ مبلغاً كبيراً - ثمَّ قال :

سَأُبيِّن لكم هذا الخطر رضيتم أم أبيتم، فهذا دَيْنٌ في عنقي بعد أن الْتقيتُ بكم، وأنا أرحِّب بأي سؤال أو إشكال في تَبيين الأمر، والمهم أن نصل إلى الحقيقة وبما دلَّ عليه هدي نبينا محمد ﷺ .

فانظر إلى هذا الموقف الجريء، والذي لا يَقدِر عليه إلَّا من ربط الله على قلبه، وغمَر التَّوكل على الله قلبه، وجعل نَصْب عَيْنيه وظيفة العالم البيان للناس، وإنقاذهم من الخطأ والضلال، دون الخوف من الناس أو الضرر، أو الرَّفض وعدم القبول، ألَا هكذا فليكُن العلماء .

وموقف آخر لطيف: في زيارتنا لاسطنبول، الْتقينا بالعالِم الفاضل **الشَّيخ محمد أمين سراج**، ذلكم الشيخ الجليل المُدرِّس في جامع الفاتح، الشَّارح «لصحيح البخاري» مرَّات، فزرناه وأَنِسْنا بمجلسه، وعنده إجازات أسانيد عالية جداً، من أشهرها أنه تلميذ الشيخ محمد زاهد الكوثري وقدأجازه بمروياته ومصنَّفاته، فلما التقينا بالشَّيخ كان الوِدَاد والمحبَّة، والأُنس في الحديث العلمي، ثم تطرقا للشيخ زاهد الكوثري،

وتباحثا بعض المسائل، ومما أنكره شيخنا شعيب على الشيخ الكوثري بأدب جميل، ومأخذ لطيف : **مجانبته للصواب في مسألة إثبات الصفات، ومسألة الاستغاثة**، في رسالته :«محق التَّقول» وقبل الذهاب أجازنا الشيخ محمد أمين سراج أطال الله في عمره على خير، جميعاً شيخنا شعيب، ومقيِّد هذه الرحلة، والشيخ أحمد برهوم، وأكرمنا بمأدبة الغداء في مؤسسة نور الحكمة؛ فجزاه الله خيراً هو وتلامذته الفضلاء .

٨. جهوده في الدَّعوة إلى الله تعالى :

يعتادُ شيخُنا في كلِّ عام السَّفر إلى بلاده بلاد الألبان، للدَّعوة على الله تعالى، فيزُور غالب هذه المُدن والقُرى والحواضر والبَوادي، وينشطُ ـ وهو في عُشر الثمانين ـ إلى ذلك، دون كَلل أو مَلل، وإنِّي أُسطِّر هذه الكلمات، وهو الآن في تلكم البلاد داعياً ومُبلِّغاً ومُعلِّماً، كلُّ ذلك حِسْبة لله تعالى في إنفاق ما تعلَّمه ونشره بين أبناء جنسه.

هذا وجهود شيخِنا في الدَّعوة لا تقتصر على ذلك، بل تتجاوزها إلى تلبية الدَّعوات للمُؤتمرات، والمحاضرات العِلْمية واللِّقاءات المباركة التي يعقدها أهل العلم والفَهْم في شتَّى بقاع الأرض، ناهيك عن الأسئلة التي تَترى على شيخنا من مجلات علمية، ومواقع على الشبكة العنكبوتية، ومن دول مختلفة، وغير ذلك، فأسأل الله أن يحفظ لنا شيخنا ، وأن يُمتِّعنا بعلمه ومعرفته وفضله .

هذا بعض ما استطعتُ أن أنجو به بمشقَّة بعد موافقة شيخنا، وكنتُ أودُّ أن أعرِّج على أكثر من ذلك، ولكن نُزولاً عند رغبة شيخنا اكتفي بهذه

القطرة من ذلك النَّهر العَذْب الجاري، والله سبحانه يحفظ لنا شيخنا، ويُمتِّعنا والمسلمين بعِلْمه ومعرفته وفَضْله.

اللهم آمين .

❑ ❑ ❑

فوائد السَّيارة

هذا فصلٌ لَطيفٌ شَريف، يحوي مُبيَّضة لقصاصاتٍ صغيرة في سيارتي، لسَوانح العِلْم الكثيرة، وخَواطِر الفِكْر المُثيرة، التي كانت بصحبة شيخنا أدام الله سَعده في سيارتي، سواء من العمل إلى البيت، أو لزيارة عالِم، أو أحد طلبة العلم، وكنتُ أستغلُّ الفرصة لسؤال شيخنا عن بعض الأمور، أو التباحث معه في بعض المسائل، أو الانتفاع من شيخنا في بحث مسألة أو أخذ مشورة أو دلالة علمية، أو ما يتعلَّق بمَتِين العلم أو مُلَحه، وكنتُ أقيِّد هذه الفوائد بأصلها، إمَّا حال التَّوقف عند الإشارات ـ **وهو نافعٌ لمن يُحسن استغلاله** ـ وغيرها، فأُقيِّدها بحروفها، أو في عودتي لمكتبتي، فأقيِّدها بنحوها ومعناها، وقد تجمَّع عندي كثيرٌ منها، وكنتُ أراجع هذه الفوائد المنثورة، والسمعيَّات من شيخنا حفظه الله، وأبحث عنها عَلَّني أقف على مصدر لها، أو فائدة ترتبط بها، فأجمع بين النَّظائر، وفي الجمع نفعٌ كبير، ومِن هُنا رغبتُ بإثبات بعض هذه الفوائد والنَّصائح على اختلافها، بعد عرضها على بعض الأحباب من طلبة العلم، فكانت المُناشدة بإثباتها، وأُرْجِئ ما يتعلَّق بها من بحث أو تعليق إلى موطن آخر إن شاء الله تعالى، يناسب الإطالة والتعليق، فأعتذر إليك أيها القارئ الكريم، فقد سُقتُها لك دُون ترتيب ولا تصنيف، واخترتُ لك منها قَبساً عن غير قصد شريف، وقد بلغَتْ هذه الفوائد المِئات، بعضها طويل لِفَنْقلات[1] ومحاورات، وبعضها صُبابات علمية[2]، وهي على قِصَرها

(١) نحتٌ من : «فإنْ قِيلَ» كذا ، «قِيلَ» الجواب كذا .

(٢) **الصُّبابات** : قطرات الماء الباقية على جدار الكأس، وانظر مثل هذه: «الصبابات فيما وجدته على ظهور الكتب من الكتابات» لجميل مصطفى بك، وبعناية الشيخ رمزي دمشقية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

جامعة، وبعضها أبيات شعر، وحِكَم رائقة وفائقة، فخُذْها نافعة مباركة، واعذُرْ تقصيري فيها .

فمن هذه الفوائد :

١. ضبط شيخنا اسم كتاب لابن القيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال : «الطُّرُق الحِكَمِيَّة» من الحِكْمة ، ويصح :«الطرق الحُكْمِيَّة» من الحُكْم، وهو كتاب دقيق ومهم لمن يتناول القضاء والسياسة وفقهها .

٢. ضبط شيخنا «إعلام الموقعين» و «أعلام الموقعين» فالوجهان صواب : بالكسر بمعنى الإخبار، وبالفتح بمعنى منارات ومعالِم.

٣. ضبط شيخنا : «مغلطاي» = «مُغْلَطاي» انظر : «الأعلام» للزركلي .

٤. الفرق بين «الحبل» و «الحمل» : الحبل مختص بالآدميات، والحمل للآدميات وغيرهم .

٥. البدل في النَّحْو أنواع : بدل كل ، وبدل بعض ، وبدل اشتمال، وبدل خطأ أو نسيان، وكلها في القرآن إلا بدل الخطأ والنسيان؛ لأن القرآن معصوم عن هذا .[١]

٦. ضبط ما آخره هاء في الأسماء : ابن سِيْدَه، وابن مَنْدَه، وابن مَاجَه، وابن دَاسَه، وما عدا الأربع، فتاءٌ .

٧. نُقل عن الحسن، وأبي العالية رحمهما الله، جواز الاستثناء بعد سنة، وهذا غير صحيح، ولو صحَّ لما قال الله تعالى لنبيِّه أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ﴾ [ص: ٤٤]

---

(١) وبعد بحث وجدت هذه الفائدة في كتاب «اللُّمع» لابن جني (١٤٦) فانظره وقد مثَّل كل نوع من ذلك بمثال.

وهذه الفائدة كانت سبباً في قراءة «اللُّمع» على شيخنا حفظه الله .

٨. كتاب «النَّسخ في القرآن» للعالم الدكتور مصطفى زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، من أحسن الكتب في هذا الباب، ويَصدُق فيه قول النبي ﷺ: «الناس كإبلٍ مئة، لا تكاد تجد فيها راحلة» (مسلم :٢٥٤٧)

ولقد كان الدكتور مصطفى رَحِمَهُ ٱللَّهُ يطرق أبواباً في العلم لا يقدر عليها كثير من العلماء، فيُبْدِع، فما أقدره على المسائل الصعبة، وانظر كتابه القيم جداً: «المصلحة في التشريع الإسلامي» فهو قوي، وكتب لها الشيخ محمد أبو زهرة مقدِّمة حافلة، وأنصحك بالحرص عليه.

٩. كتاب «بدائع الصنائع» للكَاسَاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ - ملك العُلماء - كتابه مُنظَّم، صنَّفه في شرح «تحفة الفقهاء» للسمرقندي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فلما أبدعه وأحكمه عرضه على شيخه؛ فأعجبه، فزوَّجه ابنته فاطمة، - وكان قد رغب في نكاحها كُثُر؛ لجلالتها وعلمها إلا أنها كانت تمتنع - فلما تزوَّجها، طارت قولةٌ شهيرةٌ في حقِّه: «شرح تُحفتَه، وزوَّجَه ابنتَه»، فكانت الفتوى بعدُ تُختم بتوقيع الثلاثة: العلاء السمرقندي، والكاساني، وزوجته ابنة العلاء.

١٠. العمل الفردي أحياناً أجود من الجماعي؛ لأنه يدفع إلى الاهتمام والعناية الشديدة، بخلاف العمل الجماعي إنْ خَلا من مشرف ومراجع خبير، فقد يكون قاصراً؛ لأن كل عامل يَكِل التقصير والخطأ لغيره، فيذهب صواب العلم وإتقانه بين هؤلاء.

١١. مما يعجبني في الشيخ ناصر الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه طلب العلم لله، وكانت له همَّة عالية، و كنت أراه دائماً قنوعاً في رزقه؛ لأنه كان يُؤثر

العلم على هذا، وهذه سمة نادرة، وهي من أخلاق العلماء الكبار، ومتى ما دخل المال قلب العالِم أفسده.

١٢. يتميَّز الشيخ عبد القادر الأرنؤوط رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالوعظ المُتقَن، وعنده مَلَكَة للحفظ والاستشهاد كبيرة جداً، فتراه يستشهد بعشرات الآيات يحشدها حشداً، وأمَّا الأحاديث فمن النَّادر أنْ يَعِظ أو يخطب ولا يسوق عشرات الأحاديث الصحيحة أو الحسنة، ولا مكان للضعيف عنده، وكان مُوفَّقاً في دينه وعمله رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

١٣. لا يوجد في القرآن دليل على إثبات العين لله تعالى على الحقيقة، ولكنها أثبتت الجنس، كقوله تعالى : ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، ونظائرها، ولكن الدليل الوحيد في ذلك حديث الدَّجال، في قوله : «وأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ» (البخاري : **٣٠٥٧**)

١٤. **المنهج الصحيح في تخريج الحديث :**

أ. إن كان الكتاب كتاب حديث مسنداً؛ يُتوسَّع في بيان الطرق، والرِّواية من السابقين واللاحقين، ثم يُحكم على الحديث صحَّة أو ضعفاً، كما هو المنهج المتَّبع في كتب «السُّنن» وغيرها بتحقيقنا.

ب. إن كان الكتاب خلاف ذلك في الفقه أو شروح الحديث، أو غيرهما، فالأَوْلى ضبط النص، أمَّا تخريج الحديث فيكون مختصراً شافياً مع العناية ببيان حُكْم الحديث، فالصَّحيح يُشار لصحَّته، ويُعرف بمظانِّه كـ«الصَّحيحين» أو بنَقْل تصحيح أهل الحديث الكبار من المُحقِّقين، وإن كان فيه ضَعفٌ، تُبيِّن العِلَّة وسبب التضعيف مع توجيه ذلك، ثمَّ الإحالة إلى المُطوَّلات، وكلُّ كتاب

بحَسْبه، إنْ لـمُتخصِّص، أو لطالب علم مبتدئ، أو لعامة الناس، وهكذا، وهذا مما يُميِّز المُحقِّق المُتمكِّن من الدَّخيل في هذا الباب.

١٥. الفرق بين الجَهد والجُهد: بالفتح: المشقة، وبالضم: القدرة على العمل.

١٦. الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحديث والتاريخ أقعدُ وأمكَنُ من الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ويشهد لهذا، أنَّ الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ نفسه قد شرب ماء زمزم وطلب من الله تعالى أنْ يُرزق عِلْماً مثل علم الذَّهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وحِفْظه، هذه واحدة.

والثانية: مصنَّفات كل منهما تشهد لهما بذلك، وكلّاً رُزِقَ علماً وفهماً.

١٧. الردُّ على المخالف أو المخطئ سُنَّة معلومة في سير العلماء، ولكن تكون بأمرين: العلم بما يردُّ به وبأدب يعرف معه قَدْر العالِم، والأمر الثاني الإخلاص، ثمَّ النقد العلمي الحرُّ مفتوح على مصراعيه في كل عصر لكل قارئ، والقُرَّاء من أهل العلم هُم من يَحكُم على ما يكتب كل إنسان بصواب أو بخطأ، شريطة الإنصاف والعدل.

١٨. إطلاق لفظ: «خليفة الله» لا يجوز، ويشهد له قول ابن أبي مليكة: حين قيل لأبي بكر الصديق رضي الله عنه: يا خليفة الله، فقال: لستُ بخليفة الله، ولكني خليفة رسول الله، وأنا راض بذلك.

١٩. أربع مسائل في العقيدة فَيْصلٌ بين السُّنَّة والبدعة: الأسماء والصفات، والرُّؤية، والكلام ـ ومنه سُمِّي علم الكلام بذلك لأشهر مسائله ـ على قولٍ ـ والعلو، وإثبات هذه المسائل بالكتاب والسُّنة

الصحيحة تعصمك من البدعة، وهذا ما ندين الله به، ونعتقد صوابه وأحقِّيَّته .

٢٠. ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ صاحب منهج فريد في العلم، وقد فتح الله عليه فرزقه حسن التصنيف والترتيب، وقد نفع الله به في مذهب الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ نفعاً كبيراً، وقد ألان المذهب لدارسيه، وفتح كنوزه لطالبيه، وقد اتَّبع منهج التَّدرُّج في الأخذ والطلب والمدارسة، فبدأ بـ: «العمدة»، ثم تناول «المقنع»، وبعده «الكافي» ، ثم ختم مطافه بـ«المغني» وهذا ما لم يستطعه عالم في المذاهب الأخرى، فرحم الله علماءنا كم خدموا هذا الدين وبذلوا فيه أرواحهم ونفوسهم، والله سبحانه لن يضيع لهما أجراً.

٢١. أربع كتب في فهم المصطلح تُغنيك عن غيرها:
«**النخبة**» للحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، و«**الموقظة**» للإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، و«**المقدِّمة**» لابن الصلاح رَحِمَهُ ٱللَّهُ، و«**شرح علل الترمذي**» لابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقلَّ أن يفوت هذه المصنَّفات شيء في المصطلح، فإنْ تقعَّد بها طالب العلم وأتقن هذه الأصول الأربعة، ومارس ما تعلمه عملياً؛ فسيُرزق علماً كبيراً إن شاء الله .

٢٢. من أحسن كتب التفسير المهمة : «**جامع البيان**» للإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو مدرسة لمريد علم التفسير، فإن أعياك فيُسعِفك «**زاد المسير**» لابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثم «**تفسير القرآن العظيم**» لابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وفي البلاغة لا أحسن من «**الكشاف**» لولا اعتزالياته، و«**حاشية الطيبي**» من أنفس الحواشي عليه، وفي الأحكام حسبُك

البحر «**الجامع لأحكام القرآن**» للقرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وفي ملكة النَّقد والتمحيص «**تفسير المنار**» لرشيد رضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ، دون الموافقة لكل ما ورَد فيه، ومن خير كتب المتأخرين «**روح المعاني**» للألوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لو لا التَّصوفات الإشارية المشحونة، وفي الإيمانيات والفوائد التربوية «**تيسير الكريم الرحمن**» للشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٢٣. الفرق بين الأُمَّات والأمهات: فالأمَّات تصرف لغير العاقل، فتقول: في أمات الكتب، وهذا التعبير الأصح، والأمهات للعاقل.

٢٤. أمنيتي أن يُفسح لي لتحقيق: «المستدرك» للحاكم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حتَّى تكتمل «المعلمة الحديثية الصحيحة».

٢٥. أُحِبُّ في طالب العلم التَّخصص في فنٍّ من الفنون، ومع الإلمام بشيء لا يسعه الجهل به في بقيتها، فإن العلوم كالشجرة، كلٌّ يغذي صاحبه، وهكذا نريد من طالب العلم أن يكون مَوسُوعياً مُتقِناً.

٢٦. منح الله الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ علماً جَمَّاً، وكلُّ مصنَّفاته مباركة، ولو قدِّر لشرحه على «البخاري» أن يكمل، و«للترمذي» أن يخرج للناس؛ لكان فيهما غنىً عن كثير من الشروح لهذين الكتابين، فقد أفاء الله عليه من فيض عِلْمه، ورَزقه حُسْن الفهم، ودقَّة في الاستنباط، مع ديانة وتقوى، وهذه صفات نادرة في العالِم.

٢٧. من أحسن كتب الشِّعر والأدب، التي تُقوِّي ملكة التذوق والفصاحة والبيان: «**الأصمعيات**» و«**المفضَّليات**»، و«**الكامل**» للمبرِّد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، و«**عيون الأخبار**» لابن قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، و«**العقد الفريد**» لابن عبد ربه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لو لا محاذير في الأخير.

٢٨. علماء مُحقِّقون مُتقِنُون: الشَّاكران، وابن خالتهم عبد السلام هارون، والمُعلِّمي اليماني، والأستاذ أحمد صقر، والدكتور محمود الطناحي، والشيخ عبد الفتاح أبو غدة، رحمهم الله جميعاً، فمُجمَل تحقيقاتهم بلغت الغاية جَودة، وإتقاناً، وحُسن تعليقٍ مع خدمة علمية فائقة.

٢٩. تقرَّر في عُرف الشَّارع أن الأحكام الشرعية المذكورة بصيغة المذكر إذا أُطلقت ولم تقترن بالمؤنَّث؛ فإنها تتناول الرجل والمرأة على حدٍّ سواء.

٣٠. ابن قتيبة الدينوري: كان ينقُل عن أهل الكتاب في كتابه «مختلف الحديث» من باب الاستشهاد على المسألة، بعد أن يسوق أدلة شرعنا، ولا تثريب في هذا، وقد صنَّف البقاعي كتاباً في جواز ذلك. فليُنظر.

٣١. من أحسن الكتُب في العِناية برجال «الصَّحيحين» كتاب أبي علي الجياني الغسَّاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ «تَقييد المُهمَل وتَمييز المُشكِل» وهو كتاب نافع جداً لا يستغني عنه طالب علم في الحديث يُديم النَّظر في «الصَّحيحين»، ومؤلِّفه من (جيَّان) وقد مررتُ بها في ذيل الجبل، في رحلتي إلى أسبانيا، وهي تقع بين غرناطة ومدريد، وقد خرَّجت علماء كبار، منهم: أبو علي، وابن مالك صاحب «الألفية» ـ وأبو حيَّان الأندلسي صاحب «البحر المحيط» في التفسير، رحمهم الله جميعاً.

٣٢. عبارة: «هَمْزُ المشايخ لا يجوز» المراد منها أمران:

الأول: يريدون بالهمز الوقيعة بهم، وهذا لا يجوز؛ لأنَّ الوقيعة في أهل العلم مُحرَّمة، والعالِم له منزلة كبيرة وحُرْمة عند الله تعالى،

وهذا في حقِّ العلماء الأتقياء على الخصوص لا علماء السُّوء، وقد قالوا: **لُحوم العلماء مَسمُومة، وسُنَّة الله في مُنتقِصهم مَعلُومة.**

والثاني : فائدة في الصَّرْف: يريدون أن تقول: (مشايخ) لا (مشائخ)؛ لأنَّ القاعدة : إن كانت الياء في أصلها زائدة تُهمز، وإن كانت أصلية فلا تهمز، و (المشايخ) أصلها (شيخ) فهي أصلية فلا تُهمز، وما كان زائداً فهو يُهمز، مثل : مدائن أصلها (مَدَن)، وكذلك : (منائح) أصلها (منَح)، وعليها فَقِسْ .

٣٣. أصول اللغة والأدب :

«**الأمالي**» لأبي علي القالي رَحِمَهُ اللَّهُ، و«**الكامل**» للمبرِّد رَحِمَهُ اللَّهُ، و «**أدب الكاتب**» لابن قتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ، و«**البيان والتبيين**» للجاحظ رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد أخذتها على أشياخي وقرأتها عليهم، وأوصيك بها .

❑ ❑ ❑

أخيراً .. قد كانت هذه بعض المَحطَّات المُشرقة في حياة شيخنا أدام الله سَعْده ومجده، حاولتُ قَدْر الجهد أنْ أقيِّد منها ما فيه منفعة وفائدة، وتركت الكثير ممَّا لـم يسمح به شيخنا، **وإنْ كنتُ قد خرجتُ عن الشَّرط لغايةٍ سامية، ومقصد يُراد**، ولكن حسبي أنْ دَللتُ بالحقِّ والوفاء والإنصاف ما لهذا العالِـم من الفضل والمنزلة والمكانة؛ لأنَّ الأُمم لا تعلو ولا تُكرم إلَّا برعايتها لحُرْمة علمائها وحفظ مكانتهم، ومتى ما فرَّطت في هذه المسؤولية، كان حقاً عليها أن تسقط في دركات الهاوية، ولا عاصم إلَّا الله، والله المستعان.

والله سبحانه أرجو أن أكون قد وُفِّقت في العناية اللائقة بشيخنا، خِدْمة للعِلْم ولأهله، وأسأله سبحانه أن يدَّخر هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.

ثم لا تبخل عليَّ إنْ وجدت في ذا العمل تقصيراً، أو خطأ ، فإن أصبتُ فمن لطف الله وعَوْنه، وإن أخطأتُ فمنبت الخطأ ومعدنه، وما المرء إلَّا بإخوانه

وبعد هذه الجولة الماتعة والمُبيِّنة لكثير من معالم هذا الإمام، مما غفَل عنه كثير من الناس ، والمُصحِّحة لكثير مما أخطأ فيه كثير من طلبة العلم في حقِّ هذا العالم الهُمام ، أجد نفسي أعرض بعض المواضيع والتي أراها صالحة لطَرْقِها في أبحاث عِلْمية ورسائل جامعية تدور في فلك عِلْم شيخنا ومنهجه في العُلوم الشَّرعيَّة ، وهي:

١. جهود الشيخ في العناية بالسُّنة النبوية .
٢. منهج الشيخ في التصحيح والتحسين «دراسة استقرائية تطبيقية»
٣. تعقُّبات واستدراكات الشيخ لأهل العلم «جمع ودراسة»

٤. جهود الشيخ في ترسيخ قواعد تحقيق التراث «دراسة استقرائية تطبيقية»

٥. اختيارات الشيخ الفقهية «جمع ودراسة»

٦. منهج الشيخ في تراجم رجال الحديث وكيفية سَبْر روايات الراوي والحُكم عليه.

٧. جهود الشيخ في «مَلَكَةُ التَّعليق في التحقيق» لمقيِّده .

٨. جهود الشيخ في المقدِّمات العلمية لتحقيق كتب التراث .

٩. تَعقُّبات الشيخ للمُحدِّثين «الإمام الترمذي في «الجامع الكبير» أنموذجاً» لمقيِّده

١٠. الرُّواة الذين ترجم لهم الشَّيخ جرحاً أوتعديلاً .

١١. الرواة الذين خالف فيهم الشيخ رأي المحدِّثين جرحاً أوتعديلاً

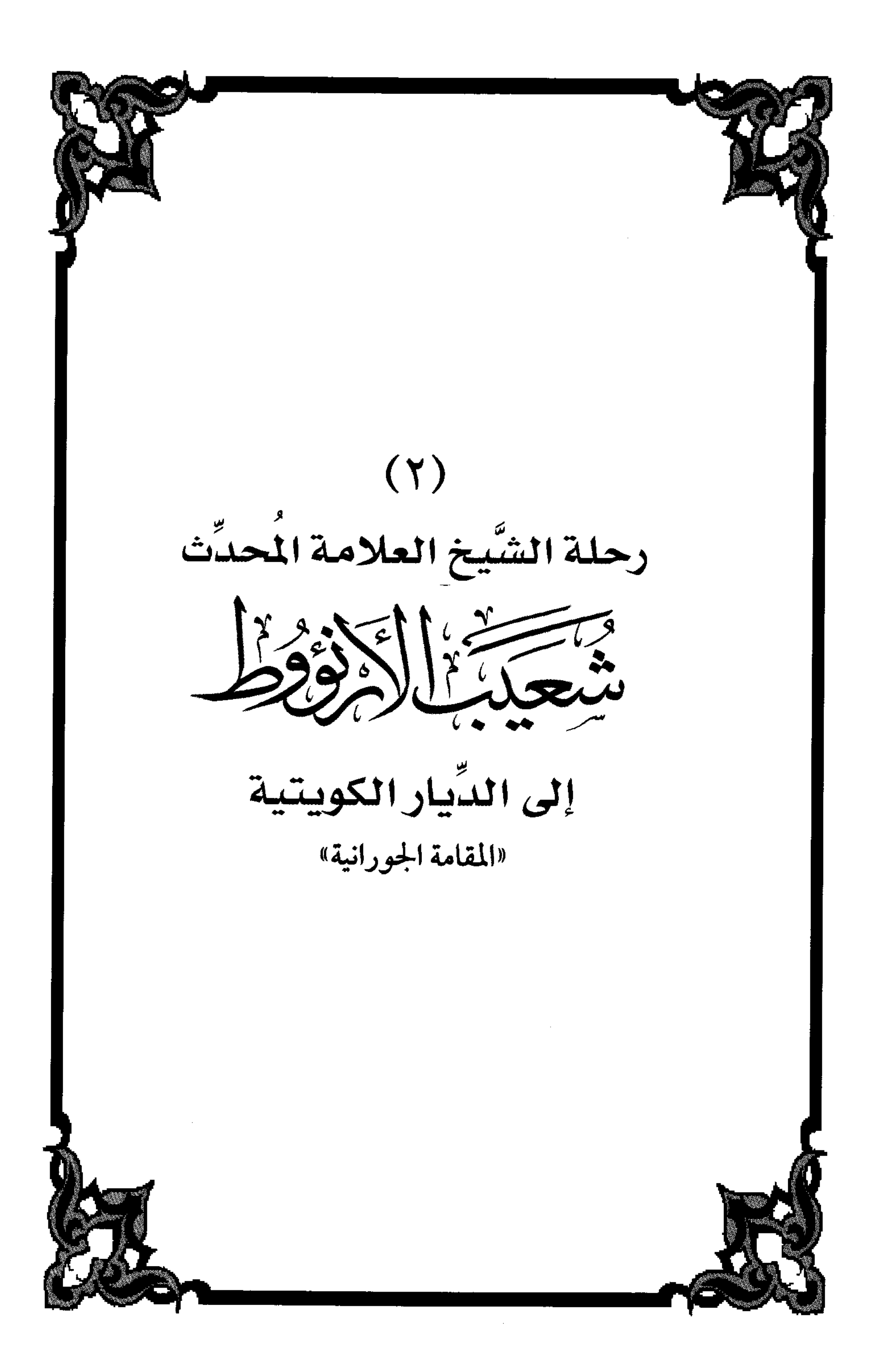
١٢. عناية الشيخ باللغة العربية تحقيقاً وشرحاً وتعليقاً وتدريساً .

١٣. العلماء الذين ترجم لهم الشيخ في مقدِّمات مؤلفاتهم .

١٤. بين أعلام الحديث في العصر الحديث «أحمد شاكر، الألباني، عبدالقادر الأرنؤوط، شعيب الأرنؤوط » لراقم هذه الأحرف .

١٥. أبحاثٌ علمية مُهداة إلى الشَّيخ العلامة المحدِّث شعيب الأرنؤوط لراقم هذه الأحرف ، وهي قيد الإعداد .

❑ ❑ ❑



(٢)

رحلة الشَّيخ العلامة المُحدِّث

شُعَيب الأرنؤوط

إلى الدِّيار الكويتية

«المقامة الجورانية»

تقريظ
شيخنا العلامة شعيب الأرنؤوط للرِّحلة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أحمدُ اللهَ سبحانه، وأُصلِّي وأُسلِّم على نبيِّه، وأترضَّى على صحابَتِه الأبرار .

وبعد، فإنَّ الرِّحلة التي قُمنا بها إلى الكويت، كانت رحلةً مباركةً مَيمُونةً، تعرَّفنا فيها على طلبة العلم هناك، وأفَدْنا منهم كما أفادوا منَّا، **وأشكر صاحبي الطيِّب أبا العالية** الذي دوَّن هذه الرِّسالة يَصِف ما جرى فيها في أيامنا السِّتة في هذا البلد الطيِّب، وما تحقَّق فيها من فوائد عِلميَّة، ومسامراتٍ أدبيَّة، وحِكَم وآداب، ومن توطُّد الصِّلاة بين طلبة العلم النُّجباء من شباب ونساء .

وأسأله تعالى أنْ يصنع منهم مُحدِّثين ومُحدِّثات، يقومون بخدمة هذا الدِّين، وإرضاء رب العالمين، وأنْ يكون فيهم من يُحيي علم الحديث النَّبوي الشريف، الذي هو الأصل الثاني بعد القرآن، وتَزْدهِر بهم علوم السُّنة النَّبويَّة المطهَّرة، فيكونوا خيرَ خلفٍ لخير سلف، إنَّه سميعٌ قريب .





أحمد الله سبحانه وأصلي على نبيه وأترضى عن صحابته الأبرار

وبعد فإن الرحلة التي قمتما بها إلى الكويت كانت رحلة مباركة

ميمونة تعرفتما فيها على طلبة العلم هناك فأفدتماهم كما أفادوكما

وأشكر صاحبي الرحلة [illegible] على هذه الرحلة التي يقف

بها من [illegible] في هذا البلد الطيب وما تضمنته من علم

غزير وفوائد ومسائل [illegible]

بين طلبة العلم النجباء من شباب وشيوخ [illegible]

[illegible]

العالمين وأن يكثر فيهم من يحمي علم الحديث النبوي الشريف

الذي يأتي في المرتبة الثانية بعد القرآن العزيز وهو من أهم علوم السنة النبوية

المطهرة [illegible] خير خلف لخير سلف إنه سميع مجيب

صورة تقريظ الشيخ للرحلة بخطِّه

تمهيد..

لله حَمْـدِي وإليـهِ أَسـتَنِدْ وَمـا ينُـوبُ فعَليْـهِ أعتَمِـدْ
ثُـمَّ علـى نَبيِّـهِ مُحمَّـدِ خـيرُ صَـلاةٍ وسَـلامٍ سَـرْمَدِ

فدُونك يا طالبَ العِلْم عِلقٌ من آثار ريحانة الشَّام ومُحدِّثها، ومَسْكَةُ عَبيرٍ من نَفحاتِ عَالِمها، ودُرَّةٌ مُتلألِئةٌ من أَنوارِ مَعرفتِها .

أضعُ بين يَديْك، والشَّوقُ يَملأُ عَيْنيك، صُباباتٍ جامعة، ولطائفَ نافعة، وفرائدَ من شَيخِنا سَامعة، في رِحْلةٍ عِلْميَّة مباركة من رَحلات شيخِنا العلَّامة المحدِّث

شُعيب الأرنؤوط

أدام اللهُ نفْعَه للإسلامِ والمسلِمينَ، قد رَحلها إلى الدِّيار الكويتيَّة، أقتطفُ لك من أزْهَارِها، وأبثُّ لك من عَبيرِها، فأنظِمُ شَذْرَها، وأشدُّ أَزْرَها، لِيَسهُل أَخْذَها .

فخُذْها يا محبُّ، في سِلْكٍ مَنظُوم، وبَوْتَقةٍ بالعِطْر مَشمُوم، ورُقيةٍ تَدفعُ عنك الهُموم وترفعُ الغُموم، فهَا هِي أمامَ نَاظِرَيْك، وفي مُتناوَل يَدَيْك .

❑ ❑ ❑

(١)
البداية

تَعلُو رَنةُ هاتفي في صباحٍ باكرٍ، فأتوجَّهُ نَحوَه للجواب، وما أنْ أذِنتُ بالاستقبال، حتَّى سمعتُ صَوتاً نديَّاً، وكلماتٍ هنيَّةً، من دِيارٍ زكيَّةٍ .

سمعتُ، ويا نِعْم ما سمعتُ، صوتَ شيخٍ كبير، وعالمٍ قدير، يحنُو عليَّ ؛ ليَهْمِس في أُذُنيَّ، برغبتِه ومحبَّتِه أنْ يُحققَ الله له مُنيةً غاليةً عالية، اشتاقَ لِقُطوفِها الدَّانية ؛ ليَجنِي من ثِمارِها الهانِية .

إنه شيخُنا ومُجيزُنا وحَبيبُنا المحقِّقُ **أبو ناصر محمد بن ناصر العَجْمي** ـ أطال الله بقاءَه وحفظ حَوْباءَه ـ يَتوقُ شَوْقاً لأمنيةٍ لا يعرف قدْرَها إلَّا من ذاق طَعْم الحبِّ فيها،أمنيةٍ لا يعرف جلالة منزلتها إلَّا من تضلَّع خيراتها وبركاتها .

أمنيةٍ تسمو الرُّوح لأجلها، لتتفيَّأ في ظلالها

يَهْمِس لي بخبر، ويا لذَّة الخبر، أنْ يَستَضِيف في دِياره الطيِّبة المباركة، عالماً من العلماء الكبار، ومحدِّثاً من أساطين المحدِّثين، وفقيهاً من فُحول الفُقهاء، ولُغوياً عارفاً باللُّغة والشِّعر والأدب لا يُشق له غبار .

يشتاق شيخُنا وحُقَّ له الشَّوق، أن يضيف شيخَنا العلَّامة المحدِّث أبا أسامة شعيب الأرنؤوط ريحانة بلاد الشام، في دياره المباركة في دورة علمية نافعة في فنِّ الحديث وعلومه[١]، ليفيد من علم الشيخ أولاً، وينتفع إخوانه طلبة وطالبات العلم في ديارهم المباركة .

❑ ❑ ❑

---

(١) وهي دعوة ميمونة من إدارة الثقافة الإسلامية بوزارة الأوقاف الإسلامية الكويتية، فجزى الله القائمين عليها خير الجزاء، لا سيما الأستاذ الفاضل **فلاح بن نهار العجمي** الذي تبنَّى هذه الفكرة، وسارع بجدٍّ واجتهاد لتيسير سبل قدوم الشيخ بحفاوة وإكرام، جزاه الله خيراً .

(٢)
استئذان الشَّيخ للسَّفر والموافقة

وانطلقتُ مع أخي الحبيب الأستاذ **أحمد بن محمد برهوم**[١]، مُتوجِّهين لبيتِ شَيخنا وأستاذِنا أبي أسامة شُعيب الأرنؤوط أدام الله نَفْعه للإسلام والمسلمين، فاستَقْبلنا شيخُنا بحفاوةٍ وإكرام ـ وذَا دَأْبُه ـ فقبَّلنا الرَّأس واليد، وجلسنا بجانب شَيخِنا في أُنْسٍ ومحبَّة ووئام، وامتلأت عُيوننا بطلَّة شيخنا البهيَّة، فشرع الشَّيخ في السؤال عن أحوالنا وتفقُّد أمورنا ـ سُنَّته ـ وما أن انتهى شيخنا من ذلك، بدأنا نُعرِّج بشيخنا حب الصُّحبة، وروعة الرِّفقة في السَّفر، وعظم الفائدة التي تُجنى من صحبة العلماء، وحب تلاميذ الشيخ أن يكون شيخهم في محلِّ مَكرمة ومنزلة عالية تبلغ منزلة العلماء العظام، وما حَاجة التِّلميذ من الاستفادة مِنْ شَيخِه في كلِّ أمور حياته، لاسِيَّما في السَّفَر، فبتُّ وصاحبي نَطرُق حروفَ كلمة السَّفر ونُكرِّرها، فيا لذَّة السفر، ويا هناء صحبة العالِم في السفر، وتلميذ يسافر مع شيخه قد حَظِي بشَرَفٍ كبير، وهَلُمَّ جرًّا من تِلْكم العبارات المُمهِّدة للدُّخول في صُلب الموضوع .

وكأنِّي بشيخنا وهُو اللَّبيب الألمعي، يَبتسِم ابتسامةَ المحبِّ، والأب الحنون، ليقُول بكلِّ هُدوء ووَقار : وأيُّ شيءٍ بعد هذا كلِّه ؟

---

(١) الأستاذ أبو محمد من تلاميذ الشيخ الأوفياء وقد عمل مع الشيخ ما يقرب من عشرين سنة، وقد شارك مع الشيخ في تحقيق كل من : «المسند» للإمام أحمد، و«الجامع الكبير» للترمذي، و«سنن ابن ماجه» و«سنن الدارقطني» و « الاختيار لتعليل المختار» للموصلي، و«الجامع الصحيح» للبخاري، وحقَّق بمفرده « الرَّوض النَّدي شرح كافي المبتدي» للبعلي، وهو يعدّ الدكتوراه في الحديث الآن، زاده الله توفيقاً .

فتراني وصاحبي نلتفتُ لبعضنا، وكأنَّ أعيننا تحكي لبعضها :

_ تَفضَّلي بالحديث .

_ لا لا، أنتم أليق وألْبق في الكلام، بل وألصق بالأستاذ الهُمام .

_ وتقول الأُخرى : لا ويمين الله، أنت أقرب مجلساً منِّي له .

وهكذا دَوالَيْك..

نتجاذبُ الحديث بالشُّجون، بَيْد أنَّه من نُطق العيون، وكلُّه في لمحات خاطفة، وثوان سريعة .

مَوقفٌ لا يُحسد عليه تِلْميذٌ بين يَدي شَيخِه .

الحمد لله.

نقلنا رغبة شيخنا أبي ناصر لشيخنا أبي أسامة، وخيَّم السُّكُوت .

ضـــحكاتٌ في إثـــرهنَّ العَطايـــا وبُـــروق الـــسَّحاب قبـــل رُعـــودِهِ

أطرقَ شيخُنا قليلاً، ثم قال :

نعم، الشَّيخ أبو ناصر العَجْمي من أهل العِلْم الفُضلاء النبلاء، وصاحب مِنَنٍ عليَّ جزيلة، يُكرمنا ويُحبُّنا ويعرف قدْرنا، و هو يَزُورنا كثيراً، وجاء الآن لنزُوره في الله، ونعيش معه أيَّاماً في طاعة الله .

أبشرا، فمثلكما لا يُرد، وأنتما يُسافر معكما، ويا نِعْم الصُّحبة .

كلمات هادئة، خرجت من فِي شيخنا أدام الله ظِلَّه، وكلها محبة ووفاء، ففرحتُ وصاحبي بذلك، وكادت الأرض لا تحمل قَدمْينا مِن فرحنا بصحبة شيخنا في حلِّه وترحاله .

خليلٌ إذا ما جئتُ أبغيه حاجةً رجعتُ بما أبغي ووجهي بمائه
بَلوتُ رجالاً بعدَه في إخائهم فما ازددتُ إلَّا رغبة في إخائه

استأذنَّا شيخنا الريحانة، وودَّعناه بسلام، وقفلنا وقد عَلتْنا الفرحة والمحبة والوئام.



(٣)

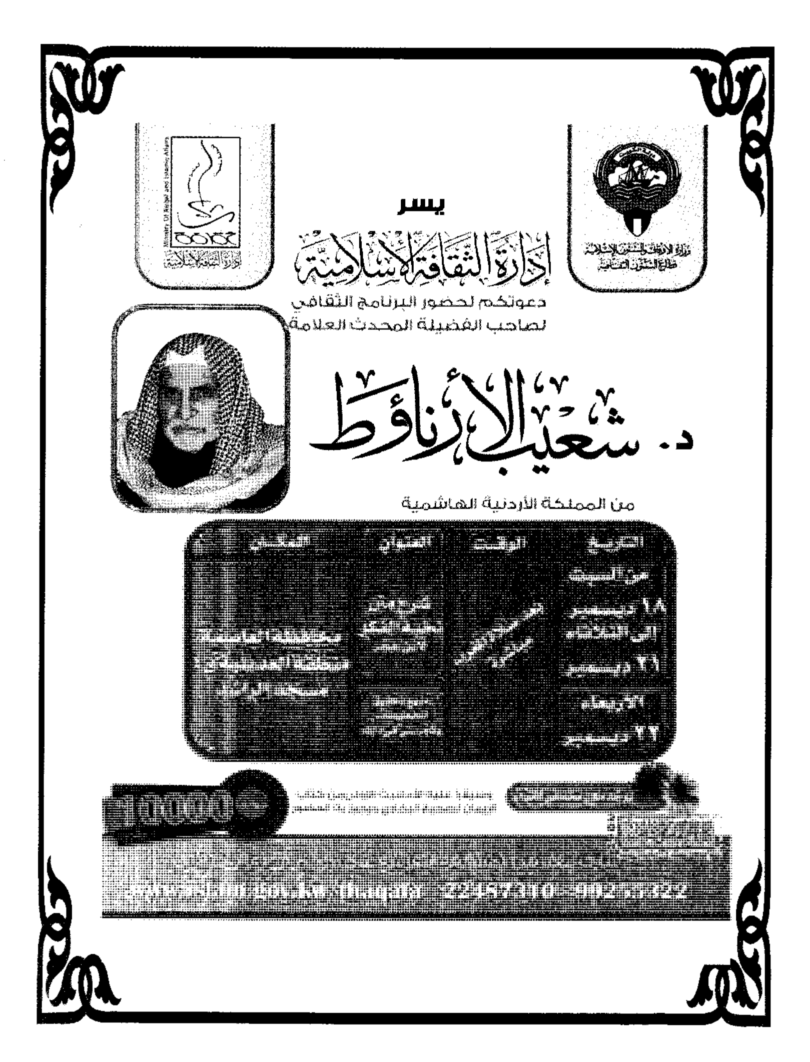
البُشرى

طار الزَّاجلُ بالخبَر، و قد أسرع في ذا السَّفر، ينقلُ عزيزَ الأمنيات، ويحملُ كبيرَ البُشريات، حتى إذا ما وصل، وارتقى جبلاً بعد جبل، وقد اتسع صدْرُه بالشهيق، ليُزجي هديل حبِّه العميق :

يا أهل الكويت، علَّامة بلاد الشام، ضيف عليكم بعد أيام.

أهــلاً وســهلاً بــك مــن رَسُــول جئــتَ بــما يَــشفي مِــن الغَليــل

بشَّرنا شيخنا أبا ناصر وإخوانه وأحبابه، بموافقة شيخنا ؛ إكراماً لكم ووفاء لحقِّكم، فانقلبت ديارهم ديار أفراح، وأدبرت عنهم الأتراح، وأشارت العين للدَّمع بالسَّماح، فرحاً واستبشاراً واشتياقاً، فيا أُنْس الاشتياق بأهل العلم الكبار، الذي تُثنى عندهم الرُّكب، ويَعكِف على بابهم ذوي الرُّتب .



صورة الإعلان للدورة العلمية المباركة

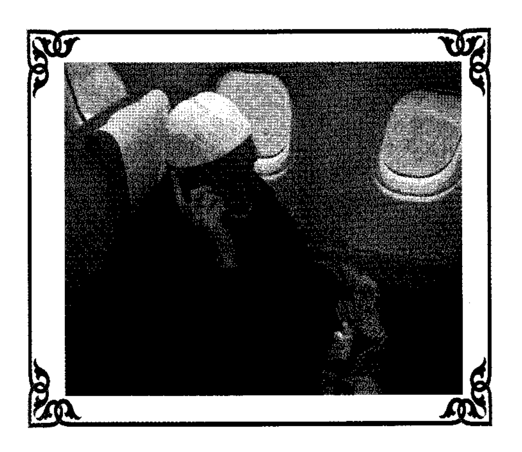
(٤)

الاستقبال الحافل

وأَزِفَ موعد السَّفر، مُيمِّمِين شَطْر أهل الأثر، فحان يوم الجمعة الموافق ١١ / محرم / ١٤٣٢هـ

فسِرْنا على بركةٍ من الله نحو المَطار، وانطلق أميرُنا وشيخُنا أبو أسامة الهُمَام، وتَبِعه صحبُه الكرام، فانتظمْنَا في سِمْط الثُّريَّا؛ الأستاذ محمد جمال عمرو[1]، والشَّيخ أحمد برهوم، وصَغيرُهم وخادِمُهم راقم هاته الأحرف، إنَّه رَكْبٌ وما أسعده من ركب .

فما أنْ صَعدنا الطائرة، وركبنا في المَركب الهَنِي، والمجلس النَّدي، وقبل لحظات الإقلاع، يَرنُّ هَاتف شَيخنا؛ ليُجيب على سُؤال سائل.



شيخنا في الطائرة يجيب سائلاً

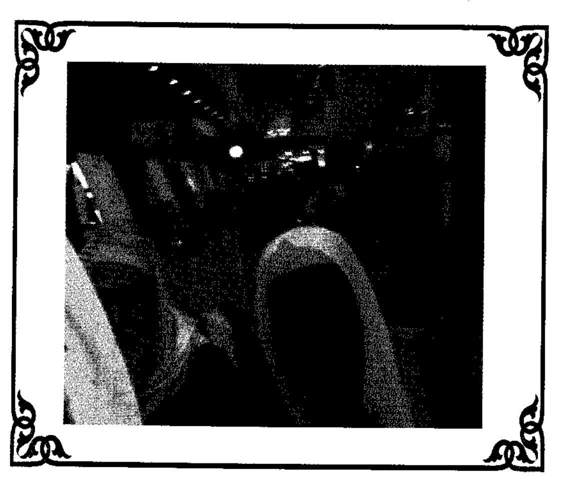
(١) الأستاذ محمد جمال أديبٌ أريب، مُتفنِّنٌ في قصص الأطفال وأشعارهم، ذو نفس سميَّة، وروح شجيَّة، وأفكار ثريَّة، حازت كتاباته جوائز كبرى دولية وعربية، وهو إداري ناجح في عمله، قد رأس إدارة مؤسسة الرسالة للنشر سنوات طويلة، كانت تُنبئ عن خبرة وحكمة وعلم أصيل في هذا الباب فجزاه الله خيراً وشكر سعيه ونفع بها يكتب الإسلام و المسلمين .

وانتهى الجواب، وهُيِّيءَ للشَّيخ الأحباب، وسافرنا على بركة الوهَّاب .

واقتربَ مَوعدُ الوُصُول، وطاقِم الطَّائرة لربط الأحزمة يَصُول، حتى إذا ما هَبطْنا بسلام، استقبلنا أهلُ المحبَّة والوئام، فاشْرَأبَّتِ الأعناق، وانْسَال الدَّمع الرَّقراق؛ فتُبصر العُيون، شيخَ الفُنون، قد انْحَنى ظهرُه من كِبَر سِنِّه، وأصبح المَشي رُويداً رُويداً لدَفْع أنِّه .

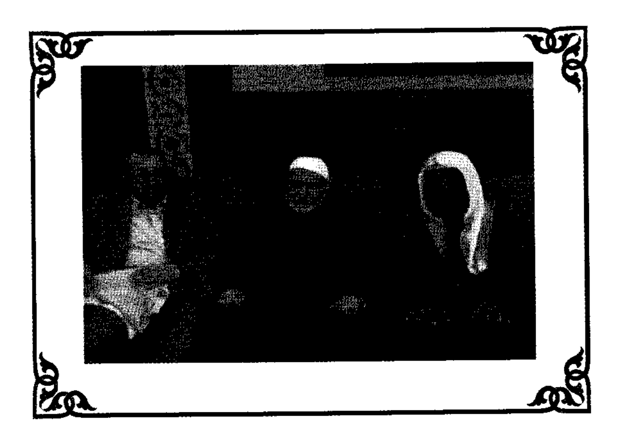
فأرى شيخَنا المفضال أبا ناصر لا يجد فَجْوة إلَّا نصَّ، شَوْقاً واشْتِياقاً، فاقتربَ واقتربنا، والشَّوقُ يَملأ عَيْنَينا، فتمتدُّ الأيادِي للاشتياق، ويَطُول العِناق بالرِّفاق، فتُقرُّ العُيون، باللِّقاء الميمون .

وسِرْنا في أزقَّةِ المطار، في مَركبة خِصِّيصة للكِبَار



مركبة المطار تقلُّنا : شيخنا شعيب والشيخ محمد العجمي والأستاذ محمد جمال

فنَزلْنا خَير مَنزِل، ورُحِّب بنا في كلِّ مَحفِل، فجزى اللهُ الشُّيوخ والإخوان، فقد أكرموا الشَّيخ وأحسَنوا، ورتَّبوا السِّياسة وأتقنوا، في مكان مَهِيب، ومنزل رَطِيب .



شيخنا شعيب والشيخ محمد العجمي والأستاذ محمد جمال

ثمَّ انتقلنا نَحْو المكان المُعدِّ للإقامة، ذَلكم المَنزل الذي حلَّ فيه اسمُ الشَّيخ قبل شَخْصه، فقد كان قبل شُهور مَضت محَلَّاً لمجالس سماع «مُسند الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ» هذا «المسند الأحمدي» الَّذِي حقَّقه شيخُنا وتلامذته في خمسين مجلداً.

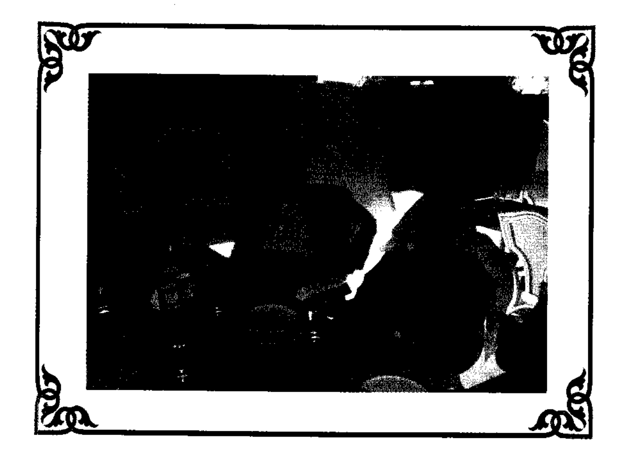


صورة من مجلس سماع «المسند الأحمدي» على شيخنا عبد الوكيل الهاشمي وبجانبه القُرَّاء

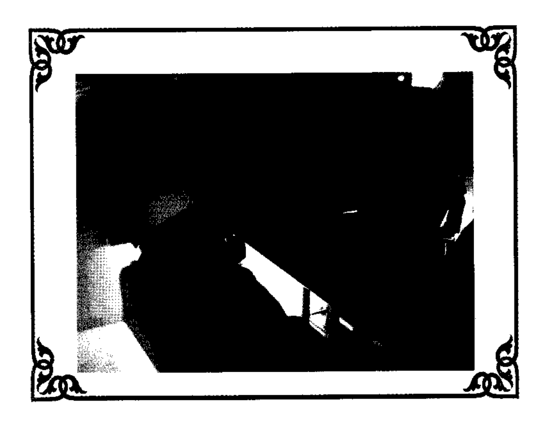


صورة من جَمْعٍ مبارك لسماع «المسند الأحمدي» وفي الصورة الشيخ محمد بن ناصر العجمي

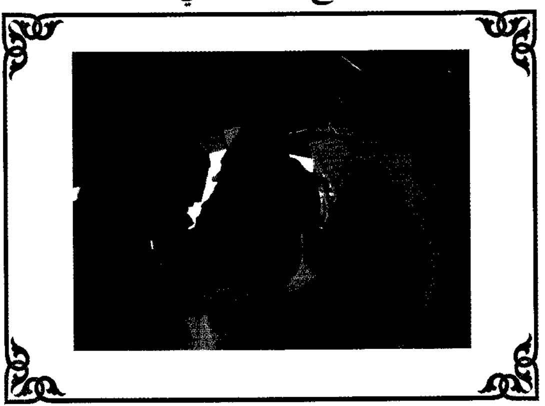
حتَّى إذا ما انصَرفْنا نَحو غُرفنا، وقد تهيَّأ الجميع بالمَنزِل، وحطُّوا رِحَالهم ومَتاعهم، نادَى مُنادٍ لمأدُبة الشَّيخ أبي ناصر وصِهْره الشَّيخ راشد الهاجري، فتجمَّعنا، وسمَرْنا، ثمَّ انطلقنا و بِتْنا .



الشيخ أحمد برهوم والأستاذ محمد جمال في مأدبة الشيخ



شيخنا شعيب والشيخ محمد العجمي والأستاذ محمد جمال



الشيخ راشد الهاجري والشيخ أحمد برهوم والأستاذ محمد جمال

فَهاهِي أيُّها المُطالِع السَّعيد، لَـمْحةٌ خَاطِفة حول برنامج شَيْخِنا العِلْمي في هذه الرِّحلة المباركة، أَسُوقها لك يَوماً بيوم؛ لِتَنْهل مِن ثَنايا عِطْرها اليَسير، وإنْ كان في الجَعبة الكثير الكثير .

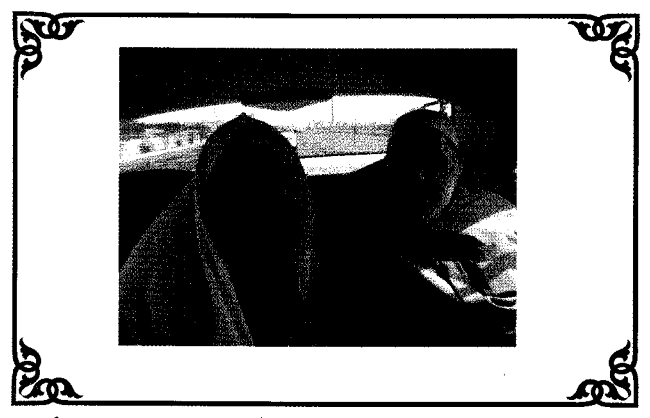
فخُذْها بينَ أَنامِلِك، واحْفَظْها بين جَوانِحِك، فَفِيها الخير المبارَك، والعِلْم المشارَك .

❑ ❑ ❑

اليوم الأول

السبت ١٢ / محرم / ١٤٣٢هـ

في الضَّحوة : بدأ شيخُنا يَومه بعدَ رَاحتِه، فتناوَلْنا الإفطار، وَاحْتَسَيْنا شاياً وقَهوة، وتَمرةً تِلْو تمرة، ثمَّ زَارنا الشَّيخ أبو ناصر العجمي، فقَلَّنا إلى مَنزِله المُبارك، ولزيارَةِ مَكتبَتِه العامِرة، ومِن ثَمَّ لقاء أهل العِلْم وطَلبتِه .



شيخنا شعيب والشيخ محمد العجمي مُتوجِّهين نحو بيت الشيخ أبي ناصر

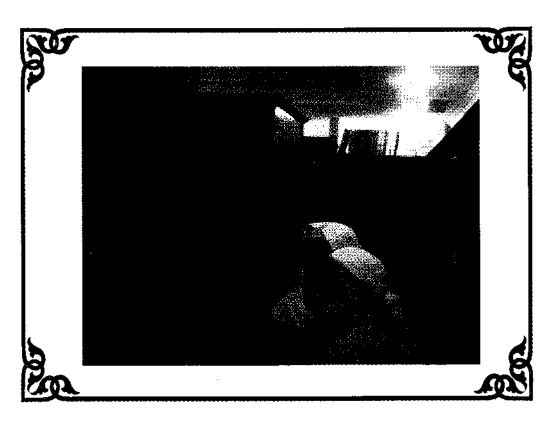
حتَّى إذا ما وَصلْنا البيتَ الشَّريف، هلَّت رَوائحُ العُود تَبخر في بَاحة الحفيف[١]، فأُكرِم الشَّيخ وتلامذته بالطِّيب، ودَخلنا المَنزل الرَّطيب، وسُرعان ما هَوْينا دَرجاتٍ نَازلة، لكنَّها واللهِ بالعِلْم والفَضْل والخير صَاعِدة .

(١) وباحة الحفيف : هي السَّاحة الجميلة أمام منزل الشيخ أبي ناصر وقد حفته بالشجر الجميل، والمرتع الظليل

فاسْتشرَفنا أول ما دَخلنا أنْ أبصرتْ مُقلُنا سِلْسلةً عِلْميةً مُباركة وُسِمت بـ : «**لقاءِ العَشْرِ الأَواخِرِ بالمسْجِدِ الحَرامِ**»[١] قد زيَّنها الشَّيخُ على أَرِيكَة جميلة، من أوَّل عَددٍ وحتى آخرها على رفٍّ سَوِيّ، في مَنظر بَهِيّ، ومكان زَهِيّ .

ثمَّ تجوَّلنا بين أَرْوِقة المكتبة العَامِرة، والشَّيخُ أبو ناصر يَدُور مع شيخنا شعيب وصحبه، فيعرِّف بأركانها، وأقسامها، وكنوزها، وكثير مخطوطاتها .

أَنِسْتُ بمكتبي ولَزِمتُ بَيْتي	فطابَ الأُنس لي ونَما السُّرورُ
وأدَّبني الزَّمان فلا أُبالي	هُجِرْتُ فلا أُزار ولا أَزُورُ

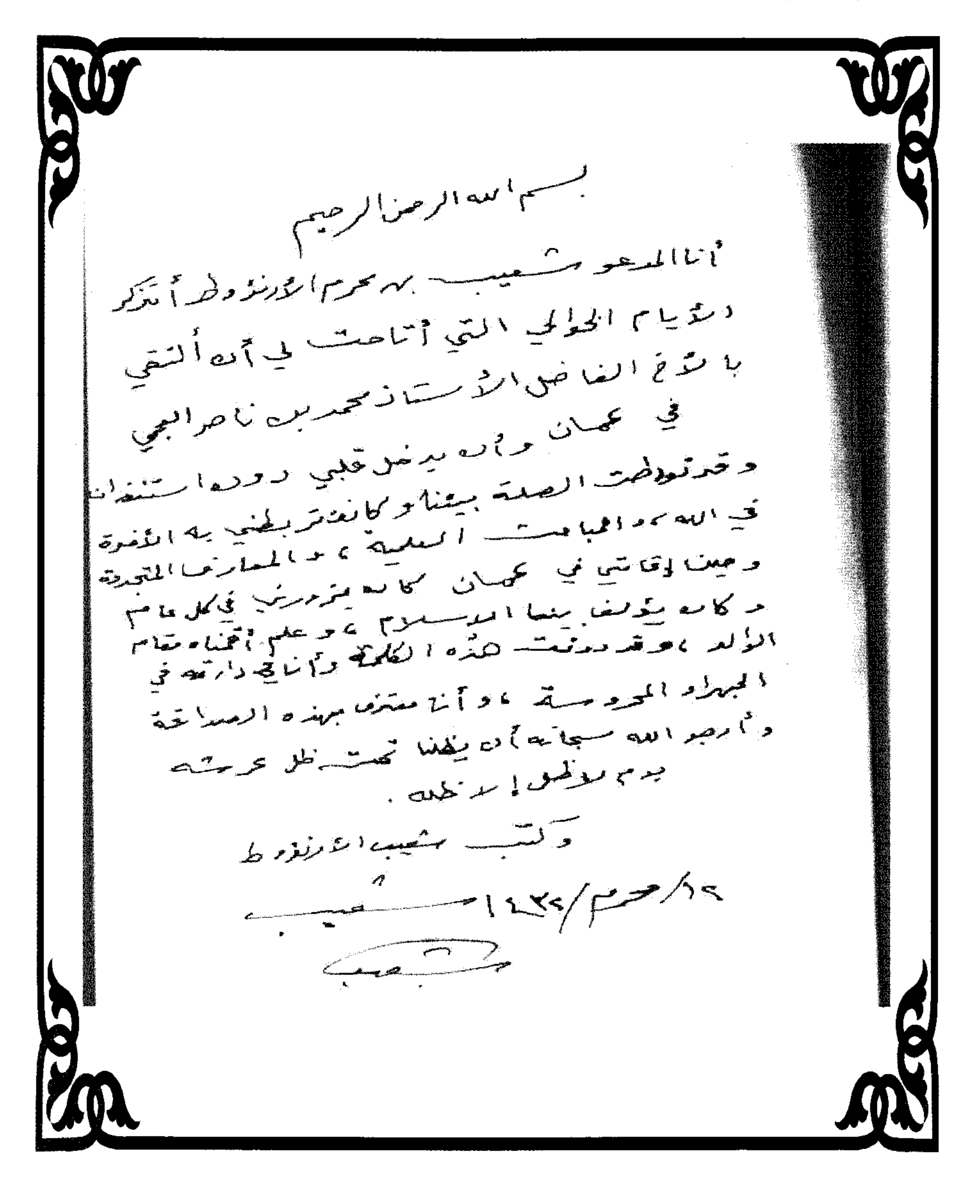


شيخنا شعيب والشيخ محمد العجمي في مكتبته يُعرِّفنا بها

وجلسَ شيخُنا أبو أسامة حفظه الله، على مكتب الشَّيخ المحقِّق، حتى يُسطِّر بخطِّه المُسطَّر، كلمات شُعَيْبيَّة، وأحرفاً أَرْنَؤُوطيَّة في سِجلٍ للزِّيارات

(١) وهي مجموعة تحقيقات لمصنَّفات ورسائل نفيسة، اعتُنِيَ بتحقيقها تحقيقاً علمياً متقناً.

العِلْمية، الذي وَسمَه الشَّيخُ أبو ناصر بـ«**زِيْنَةِ الدَّفاترِ بتَوقِيعَاتِ الأَكابِر**» قيَّد شيخُنا فيه ما نصَّه :



بسم الله الرحمن الرحيم

أنا المدعو شعيب بن محرم الأرنؤوط أتذكر
الأيام الحلوة التي أتاحت لي أن ألتقي
بالأخ الفاضل الأستاذ محمد بن ناصر العجمي
في عمان والذي يدخل قلبي دونما استئذان
وقد تواصلت الصلة بيننا وكانت تربطني به الأخوة
في الله والمباحثات العلمية، والمعارف المتجددة
وحين إقامتي في عمان كان يتردد في كل عام
وكان يؤلف بيننا الإسلام، والعلم، وأخينا مقام
الولد، وقد دونت هذه الكلمة وأنا في داره في
الجهراء المحروسة، وأنا معترف بهذه الصداقة
وأرجو الله سبحانه أن يظلنا تحت ظل عرشه
يوم لا ظل إلا ظله.

وكتب شعيب الأرنؤوط

١٢/محرم/١٤٢٩

شعيب

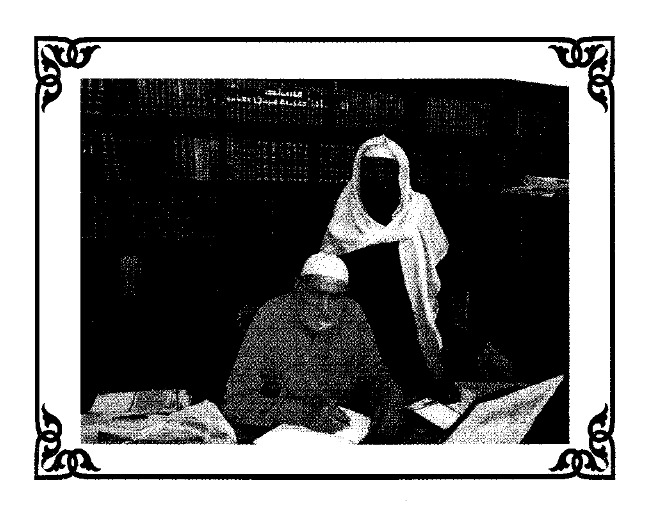
بسم الله الرحمن الرحيم

أنا شُعيب بن محرَّم الأرنؤوط، أتذكَّر الأيام الخوالي التي أتاحت لي أنْ ألتقي بالأخ الفاضل الأستاذ محمَّد بن ناصر العَجْمي في عمَّان، وأنْ يدخل قلبي دون استئذان، وقد توطَّدت الصِّلة بيننا، وكانت تربطني به الأخوة في الله، والمباحث العلمية، والمعارف المتجدِّدة، وحين إقامتي في عمَّان، كان يَزُورني في كلِّ عام، وكان يؤلِّف بيننا الإسلام، وعِلمٌ أقمناه مقام الوالد، وقد دوَّنت هذه الكلمة، وأنا في دَارته في الجهراء المحروسة، وأنا مُعترف بهذه الصداقة، وأرجو الله سبحانه أن يظلنا تحت ظلِّ عرشه، يوم لا ظلَّ إلا ظِلُّه.

وكتب

شعيب الأرنؤوط

١٢ / محرم / ١٤٣٢هـ



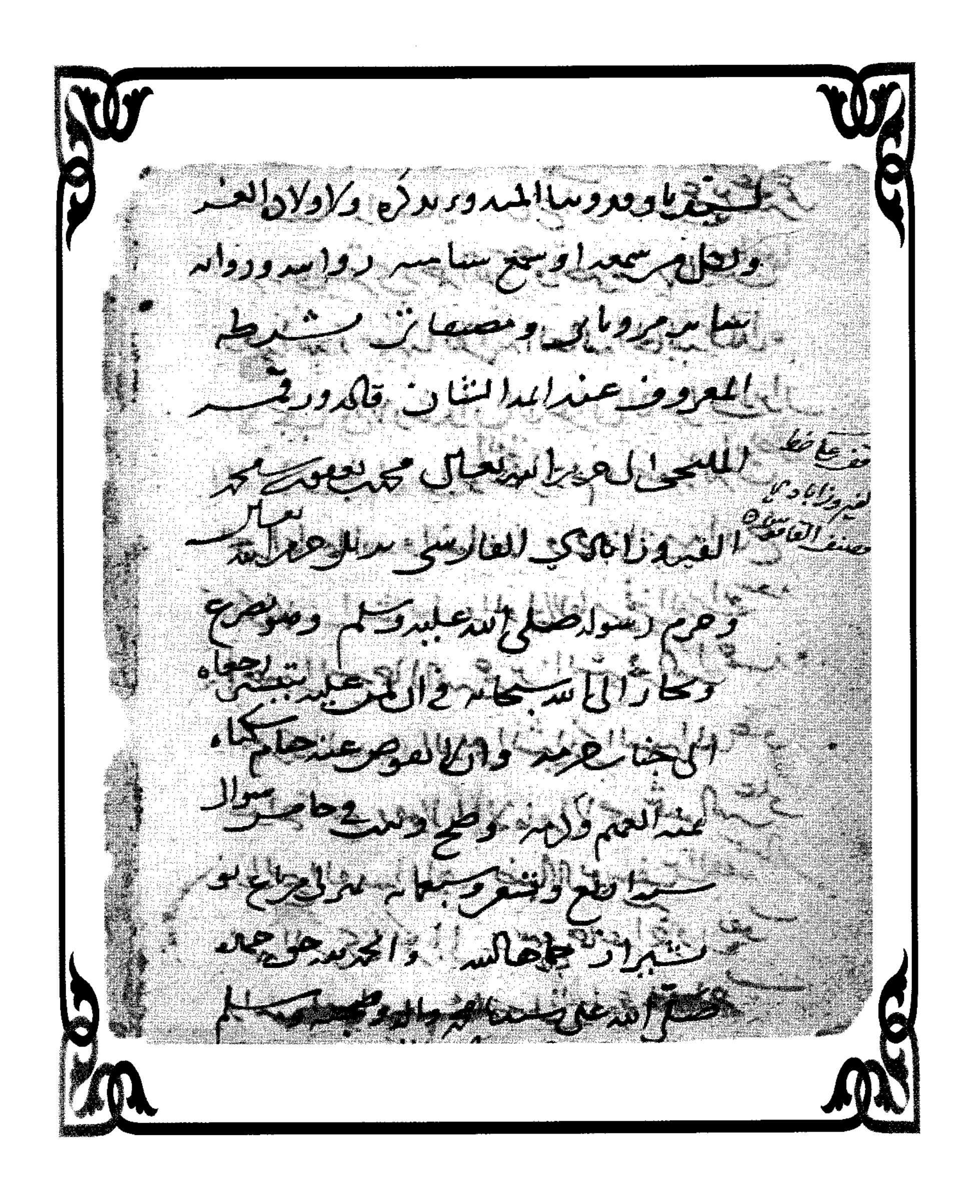
شيخنا شعيب والشيخ محمد العجمي وهو يكتب في سِجل الزيارات

وقد كانَ ممَّا رَأينا في مكتبتِه العامرة جُزءاً حَدِيثياً مخطُوطاً أصليًّاً عليه خطُّ الحافِظَين المِزِّي والذَّهبي، وهذه صورته بخطهما :



صورة خط الإمامين المزي والذهبي رحمهما الله

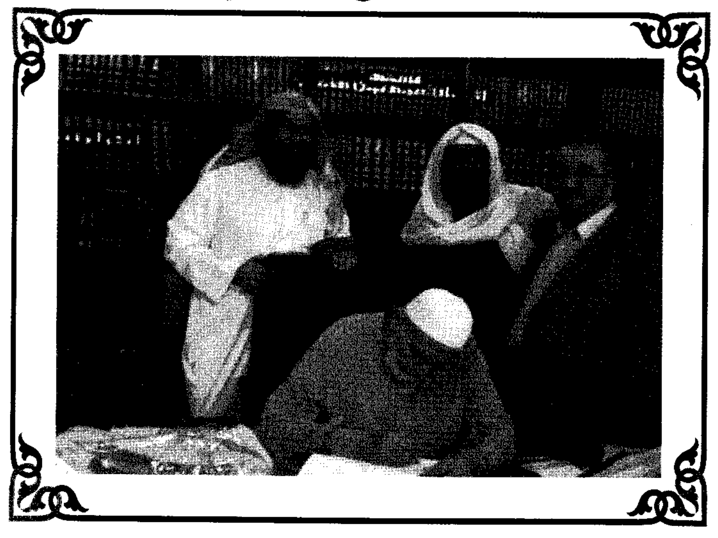
وأخرى فيها خط الحافظ اللُّغوي الفيروزآبادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ صاحب «القاموس المحيط» وهذه صورة خطِّه :



وفي أثناءِ تَسطِير الشَّيخ كَلِمته، دَخلَ علينا رَجلٌ حَبيبٌ لَبيبٌ، تَسابقُ أَقدامُه للسَّلام على الشَّيخ وصَحْبِه، فالْتقيْنا بالشَّيخ المِفْضال أبي يُوسفَ محمَّد ابن يوسف المزيني حفظه الله، وكان أَوَّل الزَّائرين السَّابقين، جعلنا الله وإيَّاه مِن السَّابقين بالخيرات .



شيخنا والأستاذ محمد جمال و الشيخ محمد العجمي والشيخ أحمد برهوم



شيخنا والأستاذ محمد جمال والشيخ محمد العجمي ومقيِّد الرحلة

ثمَّ تحوَّلنا إلى مجلس الضِّيافة، وقد رأيتُ فيه عَجباً، فمِنْ وَلَع الشَّيخ أبي ناصر بالكُتُب والعِلْم، قد صَمَّم وتفَنَّن في طَاولاتِ مَجلِسه فجَعلها على هَيئة الكُتب، فتِلْك طَاولِةٌ في وسط المجلس كَبِيرة بصُورَةِ كِتابٍ كَبير، قد وَضع فوقها مُصنَّفاتٍ للإهداء والقِرَاءة، أذكر مِنْها طبعة رائعة بهيَّة من كتاب نافع «الوسائل المفيدة للحياة السَّعيدة» للعلَّامة المفسِّر الشَّيخ عبد الرحمن السَّعدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وفي جَنبات مجلِسِه وزَواياه طاولات أُخرى مُتوسِّطة نَصَب في بعضها مُجسَّماً لكتبٍ مَرصُوصة وُقوفاً، في مَنظر بَديع، مُرصَّعة بأحسن تَرْصِيع .

وفي البعض الآخر رَأيت صورةً لمكتبةٍ وخَزانة شيخ الإسلام عارف حِكْمت رَحِمَهُ اللَّهُ[1]، ودُونكَ صُوراً نادرة لمكتبته وخطِّه .

---

(١) خزانة شيخ الإسلام عارف حكمت التركي المتوفى سنة (١٢٧٥ هـ) في المدينة المنورة جمع فيها أنفس المخطوطات وأندرها وقد تجاوز ما فيها من المخطوطات خمسة آلاف مخطوط إضافة إلى نوادر المطبوعات أوقفها ببنائها عام ١٢٧٠ هـ، وهي حالياً ضمن مجموعة مكتبات تضمها مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة ، وقد زرتها وصورت منها بعض المخطوطات التي بخطه وبغيره.

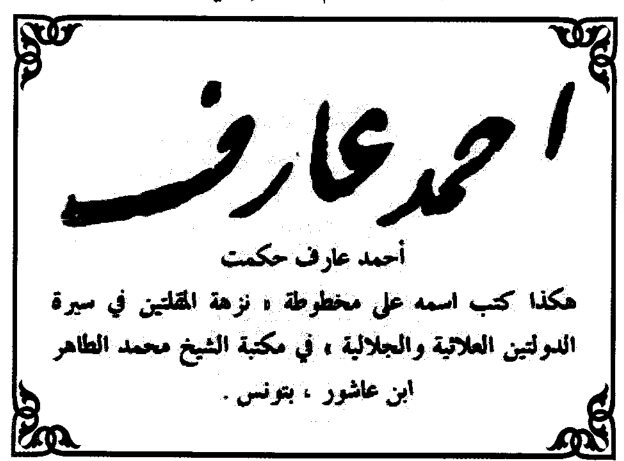
و (حكمت) : بتاء مفتوحة، قال الزركلي في «الأعلام» (١/ ١٤١) : اشتهرت كتابة اسمه (عارف حكمت) بالتاء المبسوطة، على الطريقة التركية، ثم رأيت (خاتمه) الذي كان يصدر به كتبه الموقوفة في المدينة، واسمه فيه: (أحمد عارف حكمة الله) . اهـ

قَالَ ابْنُ يُوسُفَ عفَا اللَّهُ عَنْهُمَا : وهكذا وجدتُ اسمه بخطِّه بالتاء المربوطة مع الإضافة للفظ الجلالة، فيكتب : «**أحمد عارف المتعارف بحكمة الله بن عصمة الله الحسيني**» وسترى خطَّه مع نسبه فيما صورتُ من مخطوطاته .



هذه صورة الخزانة القديمة لمكتبة عارف حكمت سابقاً

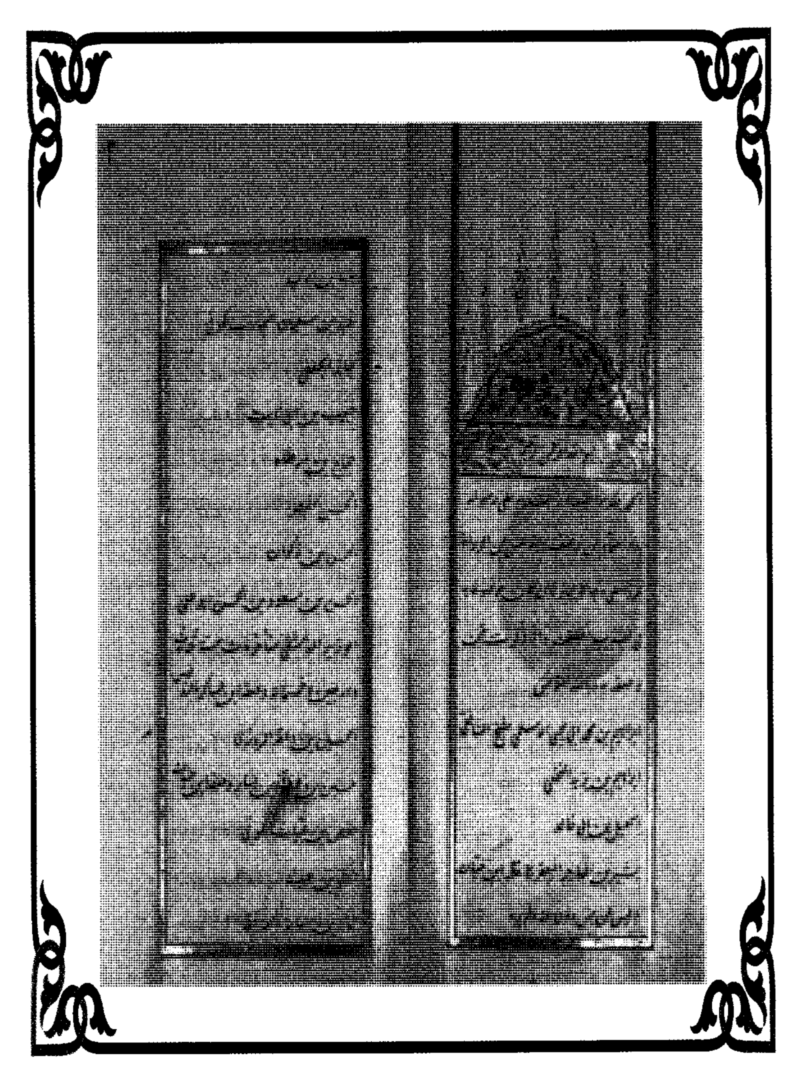
وهذا خطُّه رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «الأعلام» للزِّرِكْلي (١/ ١٤١):



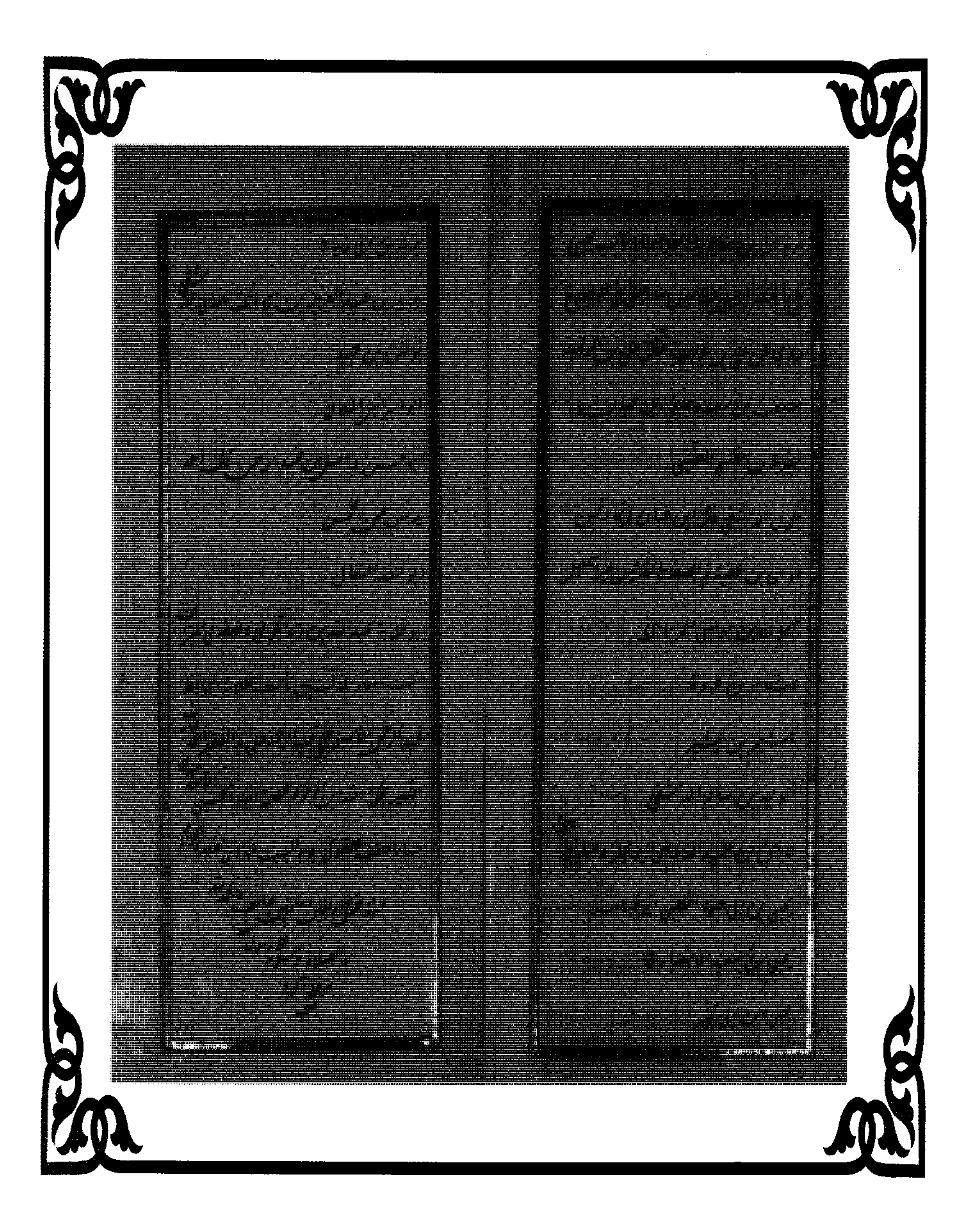
أحمد عارف حكمت

هكذا كتب اسمه على مخطوطة «نزهة المقلتين في سيرة الدولتين العلائية والجلالية»، في مكتبة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، بتونس.

وهذه بعض المخطوطات التي كتبها بقَلمِه ممَّا صورتُه من مكتبته في المدينة أثناء رحلتي إلى الحرمين:

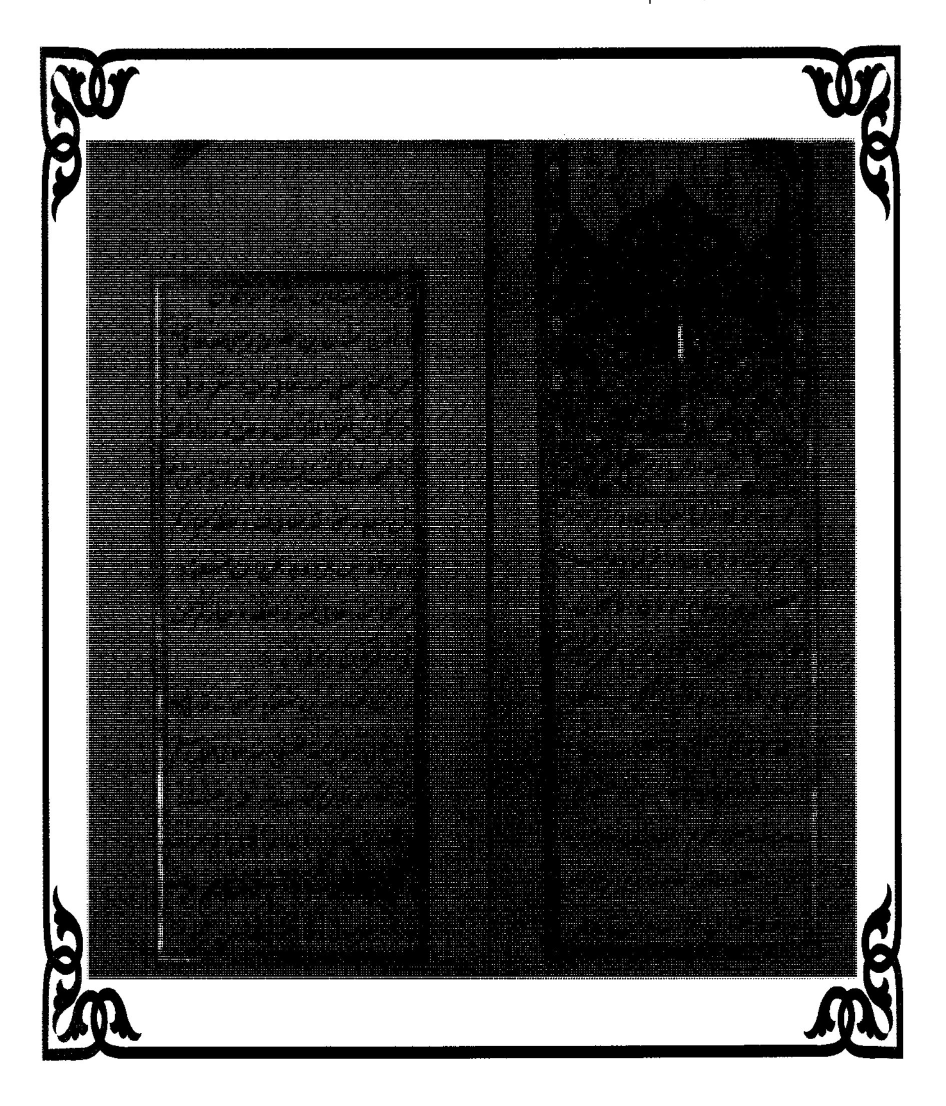


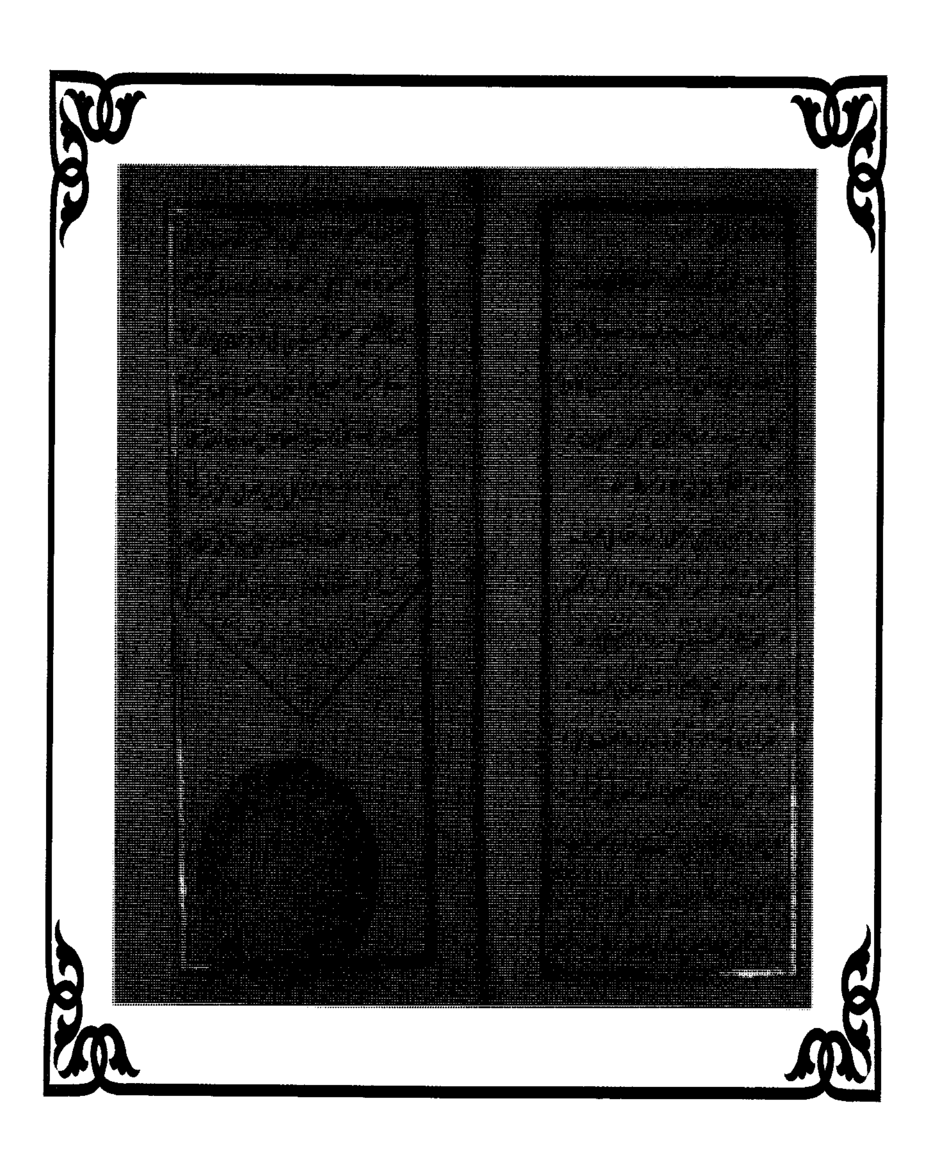
الورقة الأولى من مخطوطة «أسماء من وصف بالتدليس من الرواة» من تأليف عبد الرحمن الأسيوطي، وهي نسخة جيدة كتبها الشيخ عارف حكمت في عام (١٢٤٥هـ) ورقم تصنيفها(٤٦/ ٢٣١)



الورقة الأخيرة من مخطوطة «أسماء من وصف بالتدليس من الرواة» وفيها اسم مؤلفها واسم الناسخ، وترى بخطه كيف يكتب اسمه (حكمة الله)

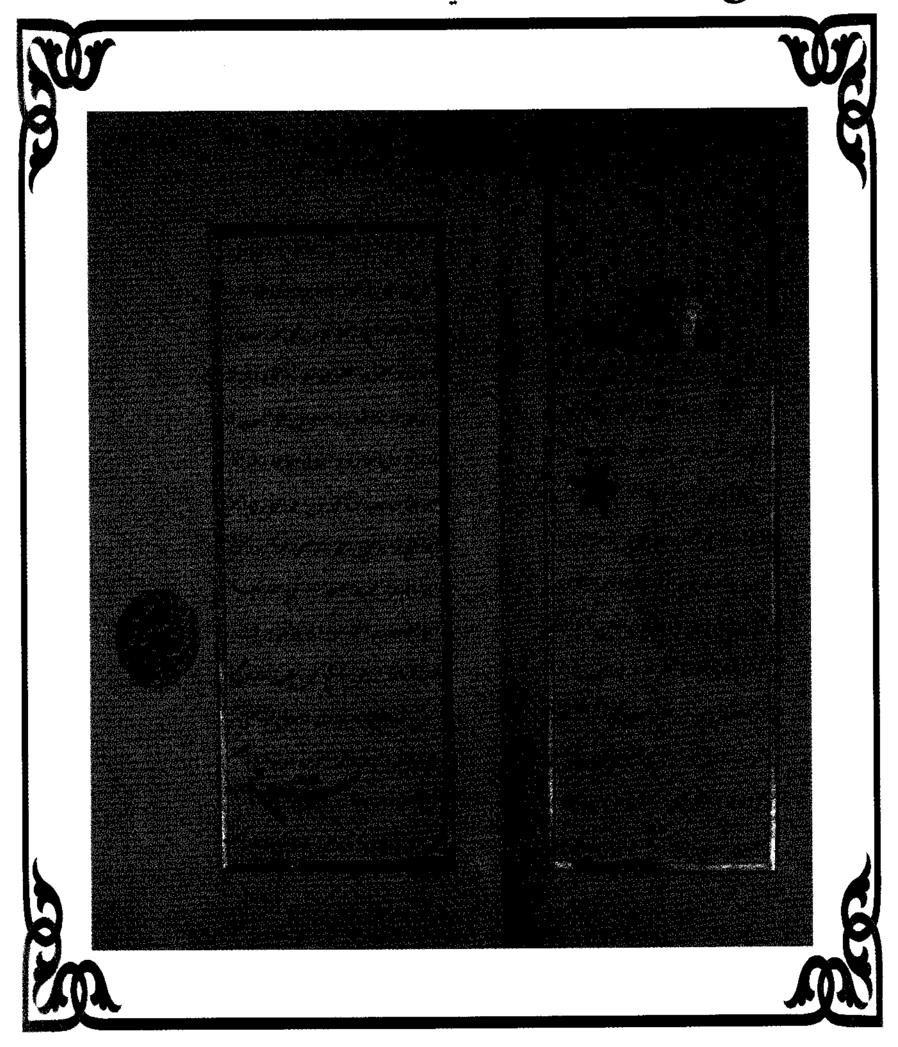
وهذه الورقة الأولى من مخطوطة ثانية للعلَّامة علي القاري (١٠١٤هـ) والموسومة : «أربعون حديثاً في فضائل القرآن» وناسخها هو الشَّيخ عارف حكمة الله، كتبها في عام ١٢٤٥هـ :

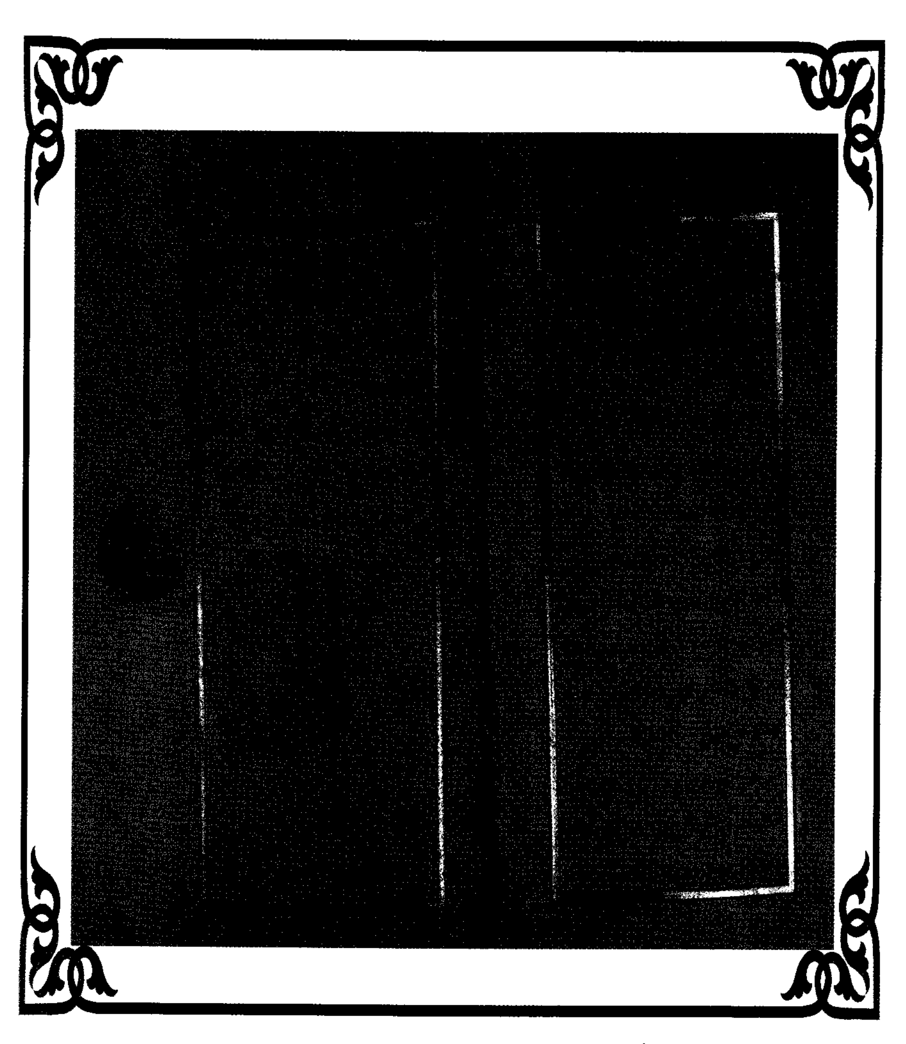




الورقة الأخيرة من مخطوطة «أربعون حديثاً في فضائل القرآن» وفيها اسم الناسخ، وترى بخطه كيف يكتب اسمه (حكمة الله)

أمَّا هذه الصورة، فهي الورقة الأولى لرسالةٍ من تأليف الشيخ عارف حكمة الله رَحِمَهُ اللَّهُ نفسه وهي : «رسالة في أربعين حديثاً بإسنادٍ واحدٍ عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبيِّ ﷺ» :

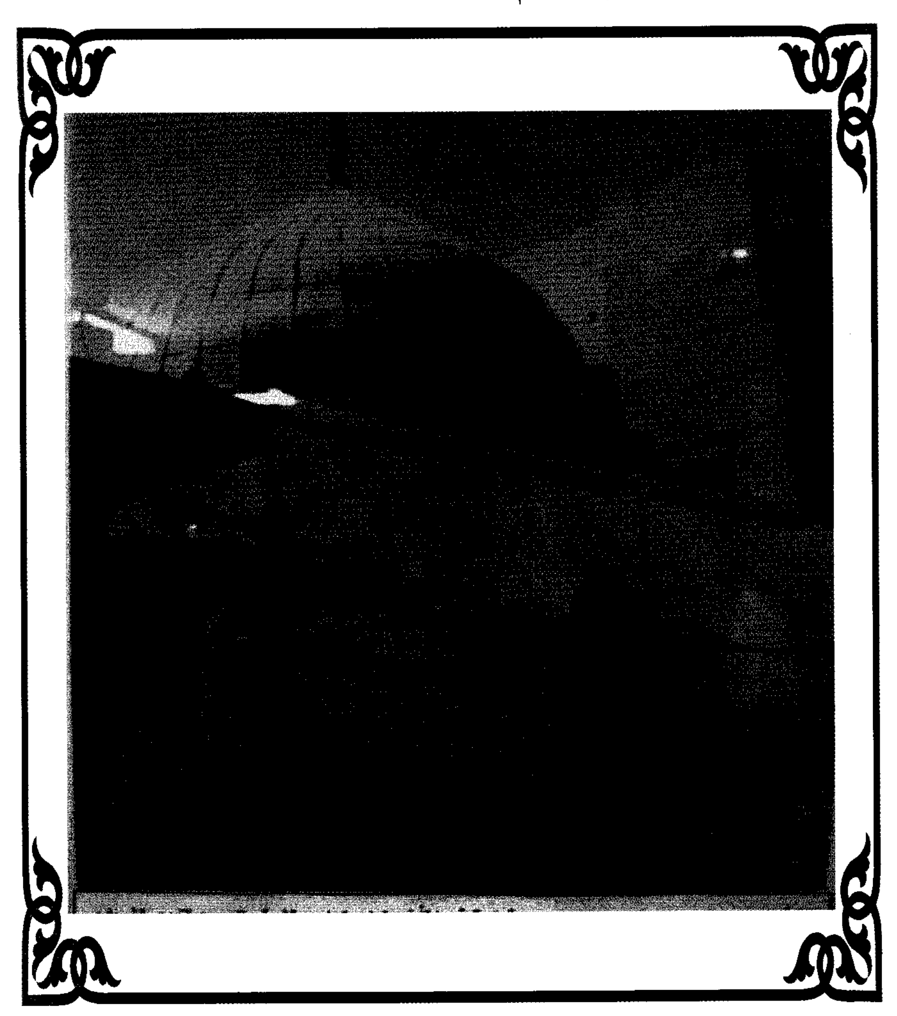




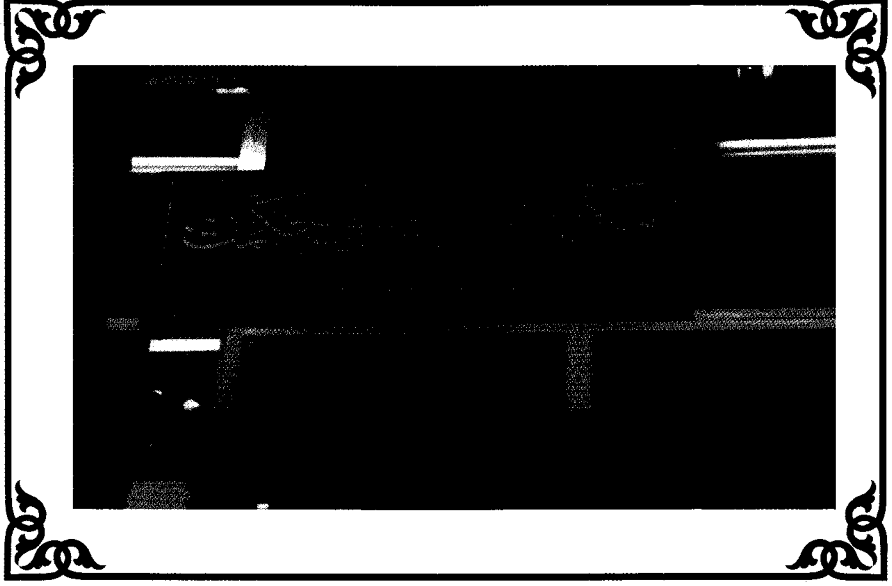
الورقة الأخيرة وفيها اسم مؤلفها، وترى بخطه كيف يكتب اسمه

(أحمد عارف المتعارف بحكمة الله ابن المرحوم عصمة الله الحُسَيني)

وهذه صورة المكتبة في القديم :

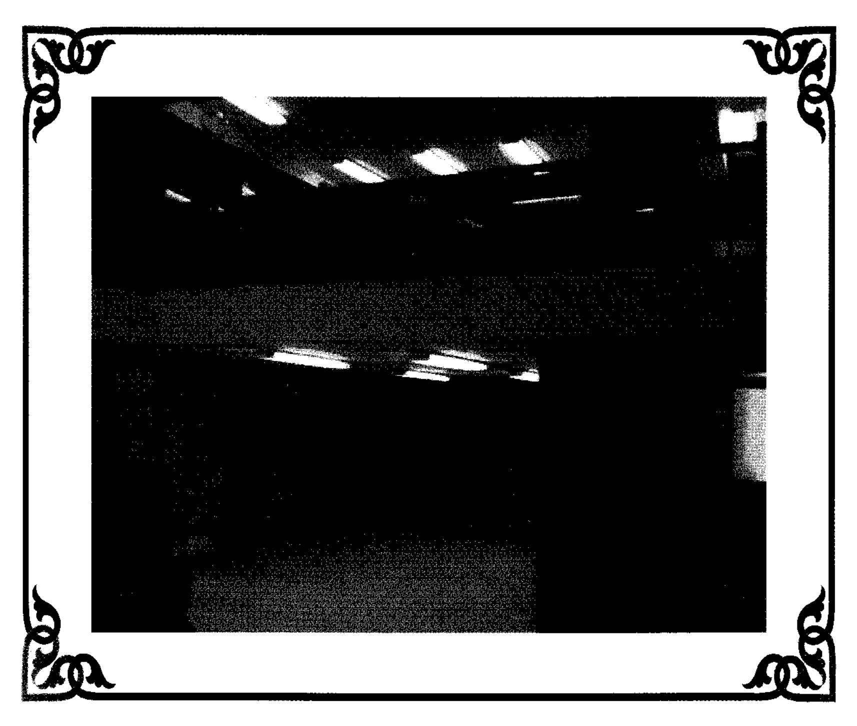


وهي اليوم تقع في الدور الثاني على اليسار في مكتبة الملك عبد العزيز، وقد صوَّرت بعض الجوانب فيها، وإليك بعضاً منها :

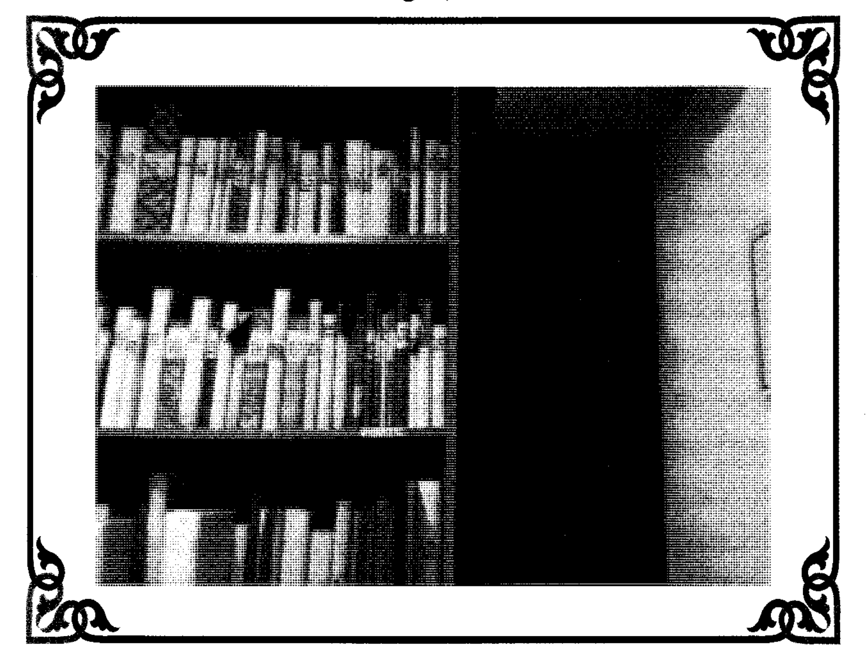


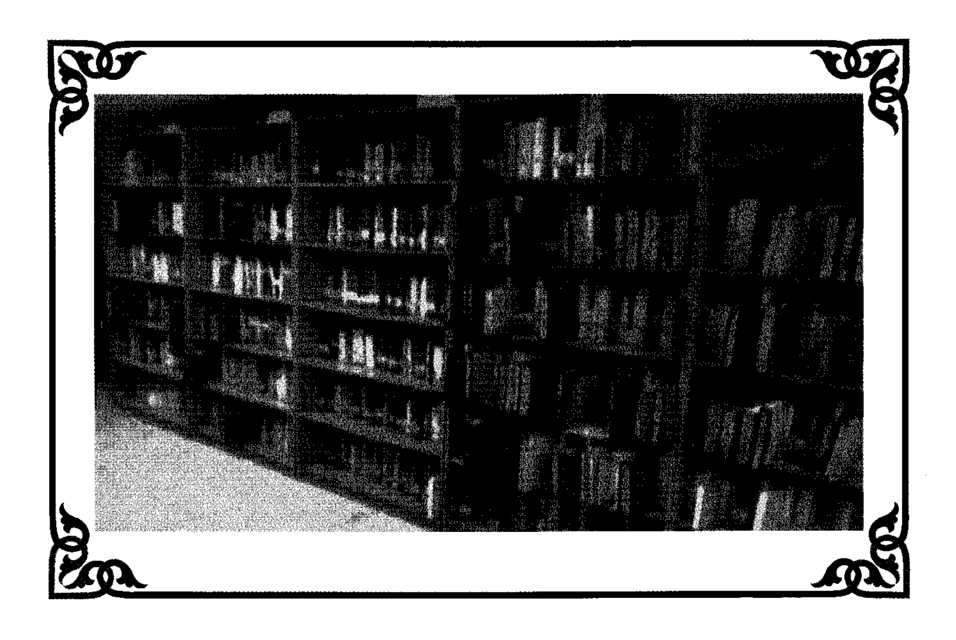
مدخل المكتبة





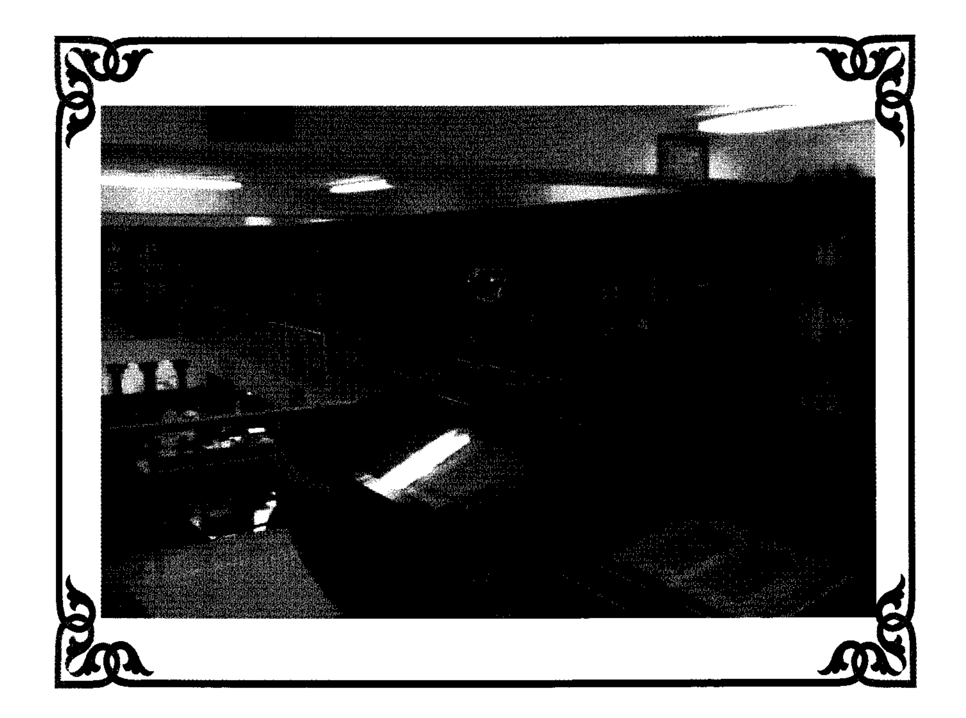
جانب من المكتبة



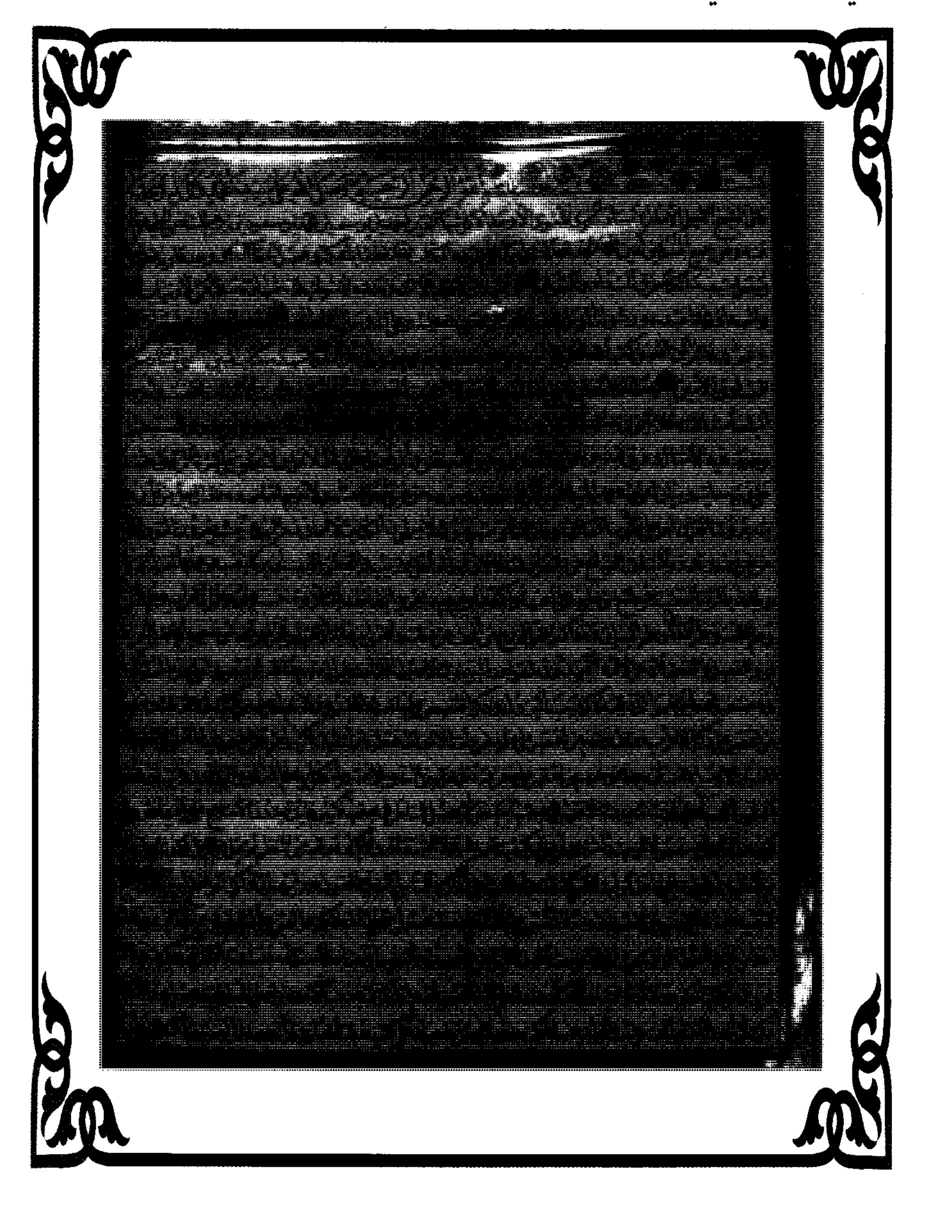


قسم المجاميع التابع لقسم المخطوطات

المكتبة من أعلى في قسم المخطوطات

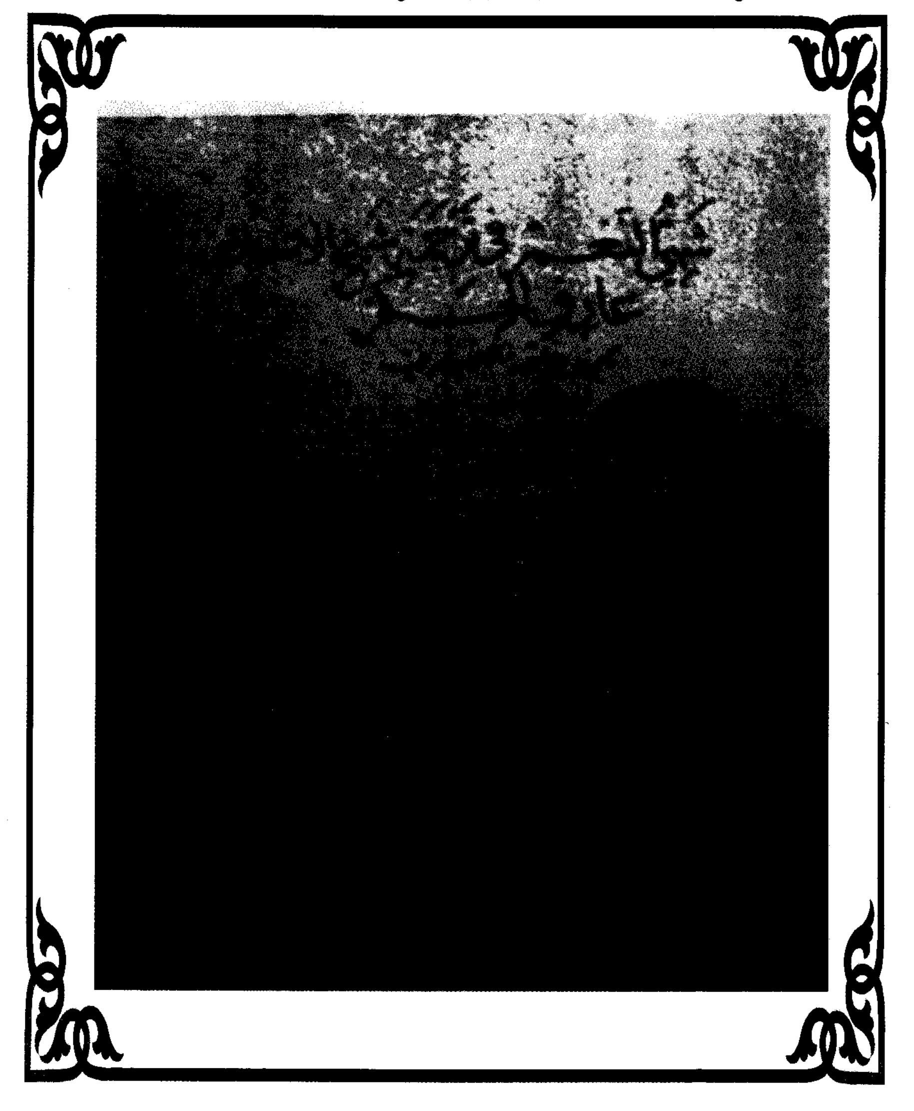


وهذه صورةٌ للورقة الأولى من مخطوطة «الدُّر المصون» للسَّمين الحلبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهي نسخة نفيسة مُذهَّبة:

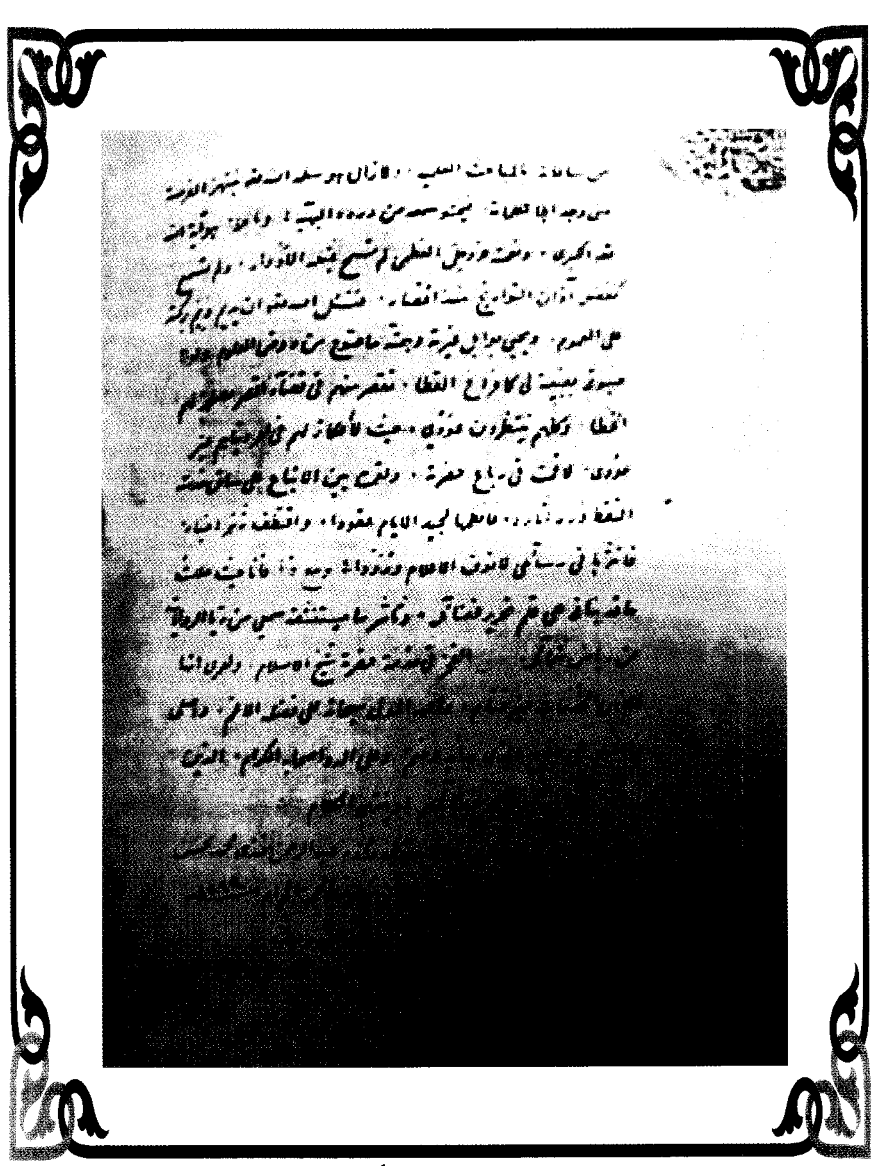


ومن نافلة القول: أنَّ الشَّهاب الألوسي رَحِمَهُ اللَّهُ صنَّف كتاباً في ترجمة عارف حكمت سمَّاه : « شَهِيُّ النَّغَم في تَرجمةِ شَيخِ الإسلامِ عَارِفِ الحِكَم » [1]

وقد صوَّرت نسخته الخطِّية، فإليك الورقة الأولى :



(١) طبع بتحقيق د. محمود العيد الخطراوي المدني، عن دار التراث بالمدينة ١٤٠٣هـ على مخطوطة واحدة، وفَاتَهُ نسخة أخرى في مكتبة الأزهر تحت مسمى : «الصَّادح بشهى النَّغم على أفنان ترجمة شيخ الاسلام وولى النعم» .



الورقة الأخيرة

ثمَّ أقبل أهلُ العلم والدُّعاة يَهلُّون مجلس الشَّيخ المُحقِّق للسَّلام على شيخِنا وصَحْبه، والأُنْسِ بمجلِسِه، وانتقاء أطايب الحديث معه، والاستفادة منه، وكان ممَّن حضَر هذا اللِّقاء الأول :

الدكتور محمد حسَّان الطيَّان أحد تلاميذ شيخنا الأوفياء، وكذا الدَّاعية الدكتور محمد العوضي، والشَّيخ محمد بن يوسف المزيني، والدكتور عبد الرؤوف الكمالي، والدكتور الطاهر الأزهر خذيري، والشَّيخ عيسى العيسى، والشَّيخ راشد بن شافي الهاجري، والأستاذ أحمد سفيان، و ناصر بن محمد بن ناصرالعجمي، وغيرهم .

وممن حضر أيضاً نفَسٌ يماني أصيل، امتلأ قلبه من قراءات التَّنزيل، إنَّه الشَّيخ محمد سليمان الجيلاني، يدخل علينا والابتسامة تَعلُو محيَّاه واقفاً بين يدي شيخنا قبل أنْ يصافح الأيدي؛ لِيُخرج ورقةً كان قد نظَم أبياتاً يزفُّها تَرْحِيباً بشيخنا، يقول فيها :

بمن تَزْهُر العلياء وتزهو المحافل ... وتبتهج العلياء وتسمُو الفضائلُ
ومن ذا الذي قد حاز في المجد غايةً ... وأحرز شَأْواً لم تَحُزْهُ الأوائلُ
ومن تَفْخَر العلياء وتزداد بَهجةً ... به وبه المجدُ المؤثَّل رَافلُ
هو شُعيب الليث نَجْل مُحرَّم ... ومَن في المعالي ما لَه من يُشاكلُ
إذا نازلَ الأقران في العلم طارت عقولهم ... وأيقنَ كُلٌّ أنه الموت نازِلُ
فقُلْ للذي لم يطلبِ العِلْم عنده ... تزوَّد من العلم فإنكَ رَاحلُ
فَدُمْ سالماً في نعمة ومسرَّة ... وهذا دعاءٌ للجماعةِ شَاملُ
ولا زِلْت تَسمُو كلَّ يوم إلى العُلا ... مَحلاً رَفيعاً دونه النَّجم نازلُ
وقابلكَ الإقبالُ والسَّعدُ في الملا ... وبلَّغك الرحمنُ ما أنتَ آملُ
وأختمها صلَّى السلام مُسلماً ... على المصطفى والآل ما الوَدْق هامِلُ
وأصحابه الأعلام ما هبَّت الصَّبا ... وغنَّت على غُصن الأراك البَلابلُ

في الظهر: خرجنا نحو بيت الله لأداء صلاة الظهر بالجامع المقابل لمنزل شيخنا المحقِّق، وبعد الصلاة اكتحلت العيون بالشَّيخ الفقيه إمام الجامع الدكتور عبد الرؤوف الكمالي .

وبعد تجاذب أطايب الحديث، والتنزُّهه في رحاب العلم والأدب، مع مُلَحِ المجالس العلمية الأدبية، أُراني أجدُ الشَّيخ المُضِيف قد هتف بالجميع يستأذن الشَّيخ بالدُّخول للغداء على شرف مَقدَمِه، فجاد جزاه الله خيراً بالخير الكثير، والطعام المبارك الأثير .

وبعد الغداء ألقى الدكتور حسان الطيَّان كلمته والتي نشرها في جريدة الرأي الكويتية يوم الأربعاء بتاريخ ١٥/ ١٢/ ٢٠١٠ وقد كتبها قبل وصول الشيخ بثلاثة أيام مُرحِّباً مُستبشِراً بمقدمه الكريم، يقول فيها :

علَّامة المُحدِّثين... في ضيافة الكويت

تستقبل الكويت بعطائها وسخائها في مستهلِّ الأسبوع المقبل عَلَماً من أعلام السُنَّة النبوية المطهَّرة، أمضى في خدمتها نحواً من ستين عاماً، باحثاً ومحقِّقاً ومُدقّقاً ومعلِّماً، ونشر من كتبها وكتب رجالها ومسانيدها مجلداتٍ تُعَدُّ بالمئات، لو نطق كلٌّ منها لشهد بعلوِّ كعبه، وغزارة علمه، ولطف مأخذه، وسعة اطلاعه، ودقَّة تحقيقه.

وقد بنى جيلاً من المحققين الباحثين، أصبحوا ملءَ السمع والبصر علماً وبحثاً وتحقيقاً إنه : شيخنا الجليل **الشَّيخ شعيب الأرنؤوط** حرس الله مُهجته وأمتع به.

وهو إلى تخصُّصه النادر في علم الحديث ورجالاته وعلم الجرح والتعديل ومساراته وعاءٌ من أوعية العلم، ومرجعٌ من أساطين المعرفة والفَهْم، وصاحب أفانينَ لم تقتصر على لونٍ مُعيَّن من ضروب العلم وفنون المعرفه، فما شئتَ من روايةٍ للشعر، ودرايةٍ بالنحو، وعنايةٍ بالأدب، وعشق للغة، وإحاطة بالفِقْه، ومعرفة بالأصول، وتتبع للأدلة، وبصرٍ بالعقيدة، وتضلُّعٍ من علوم القرآن، وفَهمٍ لتفسيره، وإدراكٍ لمراميه، وتَذوقٍ لبلاغته وبيانه وإعجازه.

ويعلمُ الله أني ما مدحتُ حتى اختبرتُ، ولا وصفتُ حتى عرفتُ، فقد سمعتُ منه من الشِّعر ما لـم أسمعه من أرباب الشِّعر، وعرفتُ منه من

الأدب والنَّحو ما لـم أعرفه في قاعات المحاضرات ومُدرَّجات الجامعات، وقرأتُ عليه من التفسير والفقه ما لـم أقرأه على كثير ممن تَلْمَذْتُ له.

مُلقَّـنٌ مُلْهَـمٌ فـيما يحاولُـهُ جـمٌّ خـواطرُهُ جَـوَّابُ آفـاقِ

وهو إلى هذا كريمُ المعشر، حلو الحديث، جواد اليد، وفيُّ الإخاء والصحبة، يعامل تلاميذه كما يعامل الأخ أخاه، والصَّديق صديقه، والصاحب صاحبه، لا تكاد تحسُّ في صحبته أنك أمام شيخ كبير، وعالِـم جليل، بل صديقٌ حَميمٌ، وأخٌ وَدودٌ.

إذا نحن أثنينا عليك بصالح فأنتَ كما نثني وفوقَ الذي نُثني

والحقُّ أنَّ كلمتي هذه بقدر ما تُثني على الشَّيخ وتُرحِّب به، تُثني على الكويت وتشكر فَضْلها وسبقها إلى سبل الخير والعطاء، ومعرفتها بأقدار العلماء والرِّجال، والمبادرة إلى دعوتهم وتكريمهم، والإفادة من علمهم وفضلهم، والتَّنَوُّق في تخيُّر النَّوادر من المتخصصين في شؤون العِلْم والمعرفة.

ولا غروَ فكم لَمعَتْ في سمائها من نجوم، وكم هَدَرَت في جامعاتها ومعاهدها ومحافلها من حناجر، وكم كُرِّم في رحابها من أفذاذ ونوابغ، وكم خَفَقَتْ في محبتها من قلوب، إنها حقّاً أرض الخير والعطاء، إنها بلد الكويت.

كـرمٌ تبـيَّن مـن جَبينِـك مـاثلاً ويبـين عِتـقُ الخيـل مـن أصـواتها

ولابدَّ أنْ أخصَّ بالشكر إدارة الثقافة الإسلامية بوزارة الأوقاف، فهي التي بادرت إلى هذه الدَّعوة الكريمة، ولها من دونها مبادرات وإسهامات فيما تقيمه من معارض، وما تنشره من كتب، وما تبثُّه من فِكْر، فجزى الله القائمين عليها خير الجزاء وأوفاه.

أمَّا أنت أيها الشيخ الجليل ففي عُنقي لك دَيْنٌ لا أنساه ما حَييت، فقد قضيتُ في كَنَفِكَ سنواتٍ كانت من أجمل سِني العُمر، نهلتُ فيها من عِلْمك، وغرفتُ فيها من مَعِين فضلك ونُبلك، وأَنِستُ فيها إلى كريم صحبتك وطيب مَعْشرك، فواهاً لها من أيام! وآها لو تستعاد.!

آهاً لأيّامِنا بالخَيف لو بَقِيَتْ عَشْراً وواهاً عليها كيف لم تَدُمِ

ولا يسعني في الختام إلَّا أن أردِّد فيك إهداءً طربتُ له، أهداه الدكتور محمد حماسة لأستاذه الدكتور محمد الربيعي، وأراه يصدق فيَّ وفيك:

أنتَ ألهمتني وأَوْرَيت زَندي أنت علَّمتني فنونَ التحدّي
أنتَ إمَّا هفَتْ إلى الودِّ روحي ورَدَتْ في حماكَ أعذبَ وِردِ
إنما تأخذ الفروعُ من الأصلِ وقد تُثمرُ الفروعُ فتُهدي
أنا أهديك بعضَ وحيك حباً ووفاءً ببعضِ دَينِكَ عندي
فتقبَّلْ تحيّةً من مُريدٍ لا يُناصيكَ غيرَ ودٍّ بودِّ

ثمَّ تناولنا في المجلس الغامر بالعِلْم والأدب فوائد علمية مباركة، ودُرراً نفيسة، كان فارسها الأول شيخنا العلامة شعيب دامت فضيلته، ومن مُلَحِ ما ذكره شيخنا جزاه الله خيراً، **حكاية تحضير الأرواح، وهاك خبرها :**

جاء رجلٌ ذات يوم لشيخنا شعيب، يُخبره أنَّ ثمَّة رجل في محلَّتهم يزعم تحضير الأرواح، وأنه قادر على جلب أي روح تريدها وأخبره أنَّه من أهل الصَّلاح !

فقال له شيخنا : هذا غير صحيح، وسأذهب معك لأُثبِت لك كذب هذا الرجل .

فلما ذهبا للرجل، وقد دخلا المكان المهيَّأ لذلك الجلب والتحضير !

فإذا هم في غرفة خافت لونها على إضاءة حمراء، والأدخنة تتصاعد من كل جانب، فأمَّا ضعيف النفس فسرعان ما يسقط في أيدي هؤلاء، وهكذا يَمكُرون.

فجاء الرجل المحضِّر وقال : ما المطلوب ؟

فقال له شيخنا : أنت تستطيع تحضير الأرواح ؟

فقال له : نعم .

فقال : ممتاز، أريد أنْ تحضر لي روح شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فعندي بعض أسئلة شائكة في كلامه استغلقت عليَّ، وأريد أن أستفسر عنها ليُفْهِمني .

فقال الرجل : على عَيْني !!.

وجعل شيخنا يقرأ آية الكرسي ويكَرِّرُها في نفسه .

وصار ذاك الرجل المحضِّر يذهب ويأتي، حتى تصبَّب منه العرق ثم أقبل على الشيخ بعد وقت طال عن العادة في التحضير، وقال : شيخ الإسلام متعب اليوم ولا يستطيع أن يحضر .

ثم قال له : الشيخ، إذا كان متعباً اليوم، فلا بأس، ولكن اسأله كيف أولاده وكم عددهم ؟

فقال الرجل : هم بخير وعدد هم كذا وكذا !!

فانقلب شيخنا على هذا الرجل الأفَّاق يُنكر عليه ويكشف كذبه ويذكِّره بالله، فلما خرجا قال صاحب شيخنا له: ماذا فعلتَ بالرجل حتى عَسُر عليه الأمر؟

فقال شيخُنا : لم أفعل شيئاً، ولكن أنتَ دخلتَ وتركت عقلك على الباب، وأنا دخلت بعقلي، فافهم .(١)

ومما سمعتُه أيضاً من شيخنا، وأتحفنا به، ونحن في مجلس شيخنا أبي ناصر أسعده الله، قال :

ذكروا أنَّ شهاب الدين الخفاجي كان يشرب الدخان ـ وهو حرام بالإتفاق ديناً وطِبّاً ـ فاعترض عليه شِيْخِي زاده، فكتب له :

إذا شُرِب الـدُّخان فـلا تَلُمْنـي   وجُـدْ بـالعفو يـا رَوْض الأمـاني

تريـد مُهـذَّباً لا عيـبَ فيـه   وهـل عُـودٌ يفُـوح بـلا دُخـانِ

---

(١) ومسألة تحضير الأرواح أكذوبة لاحقيقة لها وهي دجل وشعبذة واستعانة بالجن، وقد أبان عن حقيقتها وخدعها الدكتور محمد محمد حسين في كتابه «**الروحية الحديثة حقيقتها وأهدافها**» وقد كتبه بعد أن عاش في وهمها رَدْحاً من الزمن، فسطَّر هذا الكتاب تحذيراً وكشفاً لتلبيسها الضَّال على أبناء المسلمين . وانظر : «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» للشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ (٣/٣٠٩-٣١٦) .

فما كان من شيخي زاده إلَّا أنْ أجابه بقوله :

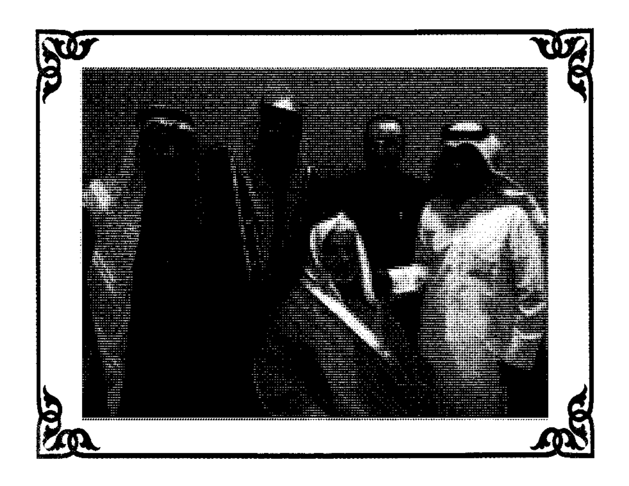
إذا شُرِب الدُّخان فلا تَلُمْني	على لومي لأبناء الزَّمانِ
أريدُ مُهذَّباً من غير ذنبٍ	كريح المسكِ فاح بلا دخانِ

في العصر : نجتمع كلَّ يوم في مقرِّ شيخنا البَهِيِّ، فنَأْنسُ بمَجلِسه النَّدِيِّ، ونَسمعُ مِن حَديثه الشَّجِيّ، بصحبة قَهوةٍ و شَاي شهيٍّ .

حتى إذا ما اقترب مَوعدُ الدَّرْس، انْتَظمْنا للخُروج دُون هَمْس، وفي الأُذُن مِن صَوت الأذان جَرْس.



شيخنا وتلميذه مُقيِّد الرحلة والشيخ راشد الهاجري والأستاذ محمد جمال



شيخنا والشيخ محمد العجمي، والشيخ أحمد برهوم، والأستاذ محمد جمال عمرو، والشيخ راشد الهاجري

في المغرب : وجاء وقت العلم، وهو شرحٌ لمتن علمي في فنِّ مصطلح الحديث، شرح الشيخ جزاه الله خيراً في هذا الوقت من كل يوم متن «**نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر**» للحافظ ابن حجرالعسقلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أربعة مجالس مباركة، كان يُقرأ المتن فيها على الشيخ من قِبَل شيخنا محمد بن ناصر العجمي، ويُكمل بقيَّة المتن تلميذه راقم هذه الأحرف .

وقد قدَّم فضيلة الشيخ محمد بن ناصر العجمي حفظه الله بين يدي المحاضرة كلمة وجيزة، قال فيها جزاه الله خيراً :

«الحمد لله رافع شأن العلماء العاملين ، وأشهد أنَّ لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له قيُّوم السموات والأَرَضين ، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله سيد ولد آدم أجمعين ، ورضي الله عن صحابته العلماء المرضِيِّين ، ورحم الله التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد : فمرحباً بكم في هذه الليلة الزَّاهرة النَّيرة من ليالي اللقاء بالسَّادة العلماء .

أيها **الحضور الكريم** : لقد عَوَّدتنا إدارة الثقافة الإسلامية بوزارة الأوقاف في دولة الكويت محطِّ رحل العلماء ، على استضافة أعيان علماء الحديث الذين شابت نواصيهم في خدمة العلم وأدائه .

إخواني وأخواتي طلبة العلم : نحن في هذه الليلة المباركة أمام محدِّث كبير، وعالم نحرير، قضى أكثر من نصف قرن في خدمة كتب الحديث وتراثه الزَّاخر ، لقد أعتكف شيخنا شمَّامة عنبر العلماء ، وزينة المحدِّثين الأجلاء الشيخ شعيب الأرنؤوط حفظه الله في محراب العلم مع دقةِ نَظَر ، ولطف مأخذ ، وغزارة علم ، فأنتج من ذلك أمرين، كلٌّ منهما له شأن عظيم :

الأول : تمثَّل في كثرة إنتاجه وغزارته مع تصدِّيه لأعمال علمية كُبرى ، مثل «سير أعلام النبلاء» ، و«مسند أحمد» و«السُّنن» أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، و«شرح مشكل الآثار»، و«الإحسان» لابن حبان ، وغيرها مما تَنوءُ بحَمْله العصبة أولو القُوَّة من أهل العلم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

و الثانى: أنه قد تخرَّج على يديه في صناعة التَّحقيق عددٌ من جِلَّة أهل التَّحقيق في خدمة التراث مثل الشيخ محمد نعيم العرقسوسي، والدكتور حسان الطيَّان، والأستاذ إبراهيم الزيبق، والأستاذ أحمد برهوم، والشَّيخ محمد الجوراني، إلى غيرهم مما يطول ذكره .

وإليكم تلك الكلمة الأنيقة التى قالها تلميذه إبراهيم الزيبق في مقدِّمة تحقيقه لكتاب «طبقات علماء الحديث» لابن عبد الهادي حيث قال شاكراً لشيخه الجليل :

«وبعد ..

هل تكفي كلمة شكرٍ أُزْجيها لأستاذي وشيخي شعيب الأرنؤوط ؟

وهل تُجزئ عنِّي كلمةُ ثناء أكتبها له بحروف المحبة والصدق ؟

إنَّ ما بعُنقي له أوسع من الشُّكر، وأجزل من الثَّناء، إنَّ ما فتح عليه عَيْني من أمور الحياة، وأنا أتلمَّس طريقي بعقلٍ غضٍّ، وقلب مُرْهف، جعل أيامي معه سنين في عمقها وغناها، ثم أخذ بيدي في عالم التَّحقيق، فمَنحَنِي ثقته وما أَغلاها، وأنار دَرْبي بعلمه وما أغلاها، وأنار دربي بعلمه وما أغزره .

فلَكَ يا أستاذي شكراً أوسعُ من الشكر، وثناء أعظم من الثناء، واللهُ يتولَّى عنِّي حسن جزائك ، وليس لي وراء الله مرمى.

كما أن تلميذه الآخر سعادة الدكتور حسَّان الطيان قد كتب عنه أكثر من مقالة، لازال شيخنا العلامة شعيب الأرنؤوط في أكمل سلامة وأشمل سعادة:

مَدحتُكَ جَهدي بالذي أنت أهلُهُ فَقَصَّرَ عمَّا ما فيك من صالح جُهدي

فـما كُل ما فيك من الخــير قُلْتُه ولا كُــل ما فيك يقول الذى بعـدي

أُكرِّر الترحيب بكم جميعاً، وأخصُّ بالتَّحية الأخوة الفُضلاء صحب الشَّيخ الذين أتوا معه الشَّيخ محمَّد الجوراني، والأستاذ محمد جمال عمرو، والأستاذ أحمد برهوم .

ثمَّ شرَعنا في قراءة متن «نخبة الفكر» على شيخنا العلامة المحدِّث حتى يبدأ بشرحه لطلبة العلم الفضلاء وطالبات العلم الفُضْليات .



شيخنا أثناء الدرس العلمي وبجواره تلميذه وبجواره الشيخ محمد العجمي



شيخنا أثناء الدرس العلمي وبجواره تلميذه وبجواره الشيخ محمد العجمي

وقد جاء شرح الشيخ حافلاً بالفوائد والفرائد مما يعزُّ نظيره، ويقلُّ تسطيره، جاءت تلكم النُّكت العلمية، لرحلة عملية عتيقة، دامت ما يزيد على نصف قرن في ميدان البحث والعلم والتحقيق، فكان هذا الشرح درَّة بين الشروح، قد أبان الشيخ عن تراكيب المتن وغوامضه، وذلَّل صعوباته، وضرب الأمثلة العملية في أنواعه، حتى غدا سهلاً يسيراً للطالبين، فجزى الله شيخنا خير الجزاء، ويَحسُن بي أن أتذكَّر في هذا المقام ما قاله ابن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التسهيل» : « **وإذا كانت العلومُ مِنحاً إلهية، ومواهبَ اختصاصية، فغيرُ مستبعَدٍ أن يُدَّخر لبعض المتأخرين ما عسُر على كثير من المتقدِّمين، نعوذ بالله من حسدٍ يسدُّ باب الإنصاف، ويصُدُّ عن جميل الأوصاف**» ومن مصداق هذه الكلمة شيخنا العلامة المحدِّث الفقيه شعيب الأرنؤوط نفعنا الله به .

والله سبحانه يُسِّر لنا تهيئة هذا الشرح وإعداده مع تحقيق متنه، ومن ثَمَّ طبعه ونشره نشرة علمية أصيلة محفوفة بفرائد الشيخ ونفائس دُرَره .

وقد كان مما حدثنا الزَّمان، أن قيَّد فتى همذان[1]، جوابَ سائلٍ يسأل : بِمَ يُدرك العِلْم الأمثل ؟

فقام يجيبه بانتظام : طلبتُه فوجدتُه بعيد المرام، لا يُصطاد بالسِّهام، ولا يُقسم بالأزلام، ولا يُرى في المنام، ولا يُضبط باللِّجام، ولا يُورث عن الأعمام، ولا يُستعار من الكِرَام، فتوسَّلتُ إليه بافتراش المدَر، واستنادِ الحجَر، وردِّ الضَّجر، وركوب الخطَر، وإدمان السَّهر، واصطحاب السَّفر، وكثرة النَّظر، وإعمال الفِكَر، فوجدتُه شيئاً لا يصلح إلَّا للغَرْس، ولا يُغرس إلَّا بالنَّفْس، وَصَيْداً لا يقع إلَّا في النَّدْر، ولا ينشب إلَّا في الصَّدْر، وطائراً لا يخدَعُه إلَّا قَنْص اللَّفظ، ولا يَعلُقُه إلَّا شَرَك الحِفْظ، فحمَلْتُه على الرُّوح، وحَبسْتُه على العين، وأنفقتُ من العيش، وخزَنْت في القلب، وحرَّرت

---

(١) وأعني به بديع الزَّمان الهمذاني، واقتبست ما سيأتي من مقامته العلمية في «مقاماته» بتصرف يسير .

بالدَّرْس، واسترحت من النَّظر إلى التَّحقيق، ومن التَّحقيق إلى التَّعليق، واستعنتُ في ذلك بالتَّوفيق .

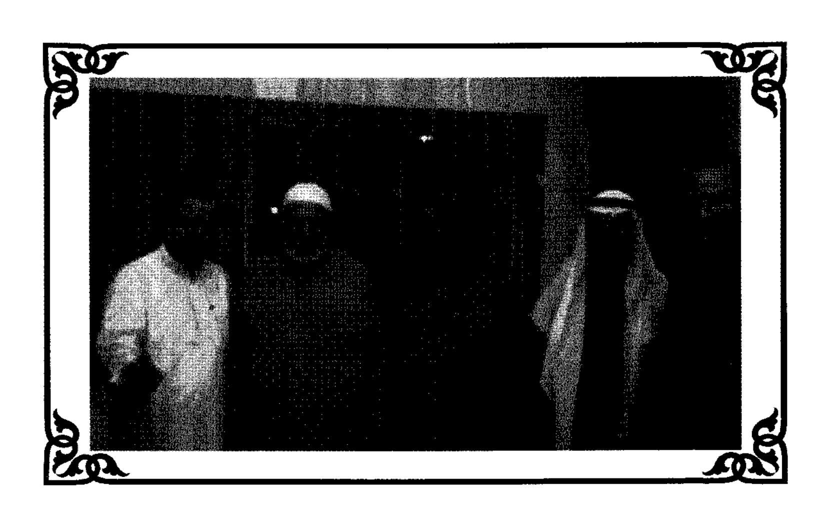
وبعد العشاء : نشوة الولهان في بيت د. الطيّان

ثم لبَّينا دعوةً كريمةً مِنْ تِلْميذٍ وفيٍّ كريم لشيخنا وصَحْبِه، دعوة الدكتور حسَّان الطيان في منزله العامر، فأكْرَمنا خيرَ إكرام، وتناوَلْنا ألذَّ طعام، وتَسامَرْنا مع الأنام، ثمَّ قَفلْنا عائدين، ولمنزِلنا نَائمِين .

❑ ❑ ❑



شيخنا والشيخ محمد العجمي والدكتور محمد العوضي في منزل الدكتور حسان الطيان



شيخنا والدكتور محمد العوضي والدكتور حسان الطيان في منزله



اليوم الثاني

الأحد ١٣ / محرم / ١٤٣٢هـ

في الضحوة : وانتقلنا مع شيخِنا يَصحبنا الشيخ راشد بن شافي الهاجري، نحو صَرْح علمي متين، عُرف بقيمته العلمية، وسُموِّ هدفه ومكانته في المجتمع، زُرْنا ونَعِمْنا بزيارة مباركة ميمونة لـ«مبرَّة الآل والأصحاب» وكان في استقبالنا رئيسها الدكتور الفاضل عبد المحسن الجار الله الخرافي وإخوانه في المبرَّة جزاهم الله خيراً .

فجلسنا في مكان مَهِيب، متوسِّطِين جَمْعاً أريب، فانطلق الرَّئيس بالتَّعريف، واحتَسَيْنا الشَّاي الخفيف، حتَّى إذا ما جاءَ البَاحثُون بالأسئلة؛ مُرسلةً مُعضَلةً مُسْتَشكَلة، انبرى البَحرُ الهُمام، يجيب على أسئلة الكرام، فغدا المُرسَل مَوصُولاً، وبات المُعضَل مَكمُولاً، وأَوْضَح المُشكِل إيضاحاً مَعقُولاً .



شيخنا في مبرّة الآل والأصحاب بين رئيسها الدكتور عبد المحسن الخرافي وباحثيها

فودَّعناهم مع ثناء عاطر، وشوَّقناهم لملأ المحابر، وأخبرناهم بكبير النَّفع، وإنَّ غداً لناظر .

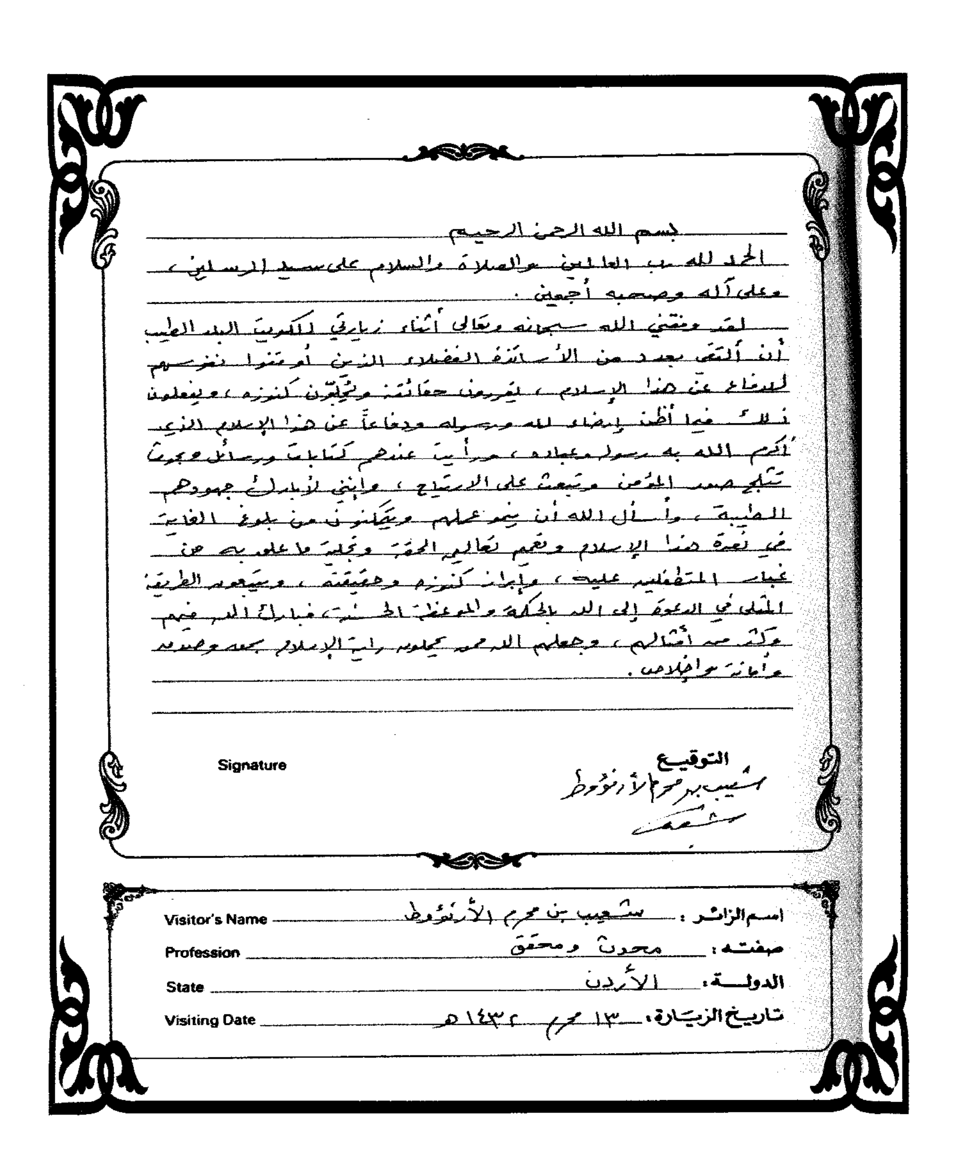
وقبل الوداع قيَّد شيخُنا كلمةً مسطورة، وجَعلها في باقة حُبٍّ مَشكُورة ، قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين ،وعلى آله وصحبه أجمعين .

لقد وفَّقني الله سبحانه وتعالى أثناء زيارتي للكويت البلد الطيِّب أنْ ألتقي بعددٍ من الأساتذة الفُضلاء، الذين أوقفوا نفوسهم للدِّفاع عن هذا الإسلام، يُقرِّرون حقائقه ويُجلُّون كنوزه، ويفعلون ذلك فيما أظنُّ إرضاء لله ورسوله ودفاعاً عن هذا الإسلام الذي أكرم الله به رسوله وعباده، ورأيتُ عندهم كتابات ورسائل وبحوث تُثلج صدر المؤمن، وتبعث على الارتياح ، وإنَّني لأبارك جهودهم الطيِّبة وأسال الله أن ينمو عملهم، ويتمكَّنون من بلوغ الغاية في نُصرة هذا الإسلام وتعميم تعاليمه الحقَّة، وتجلية ما علق به من غبار المُتطفِّلين عليه، ولإبراز كنوزه وحقيقته، ويتَّبعون الطريقة المُثلى في الدَّعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، فبارك الله فيهم ، وكثَّر من أمثالهم وجعلهم الله ممن يحملون راية الإسلام بحق وصدق وأمانة وإخلاص .





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

لقد وفقني الله سبحانه وتعالى أثناء زيارتي للكويت البلد الطيب أن ألتقي بعدد من الأساتذة الفضلاء الذين أوقفوا نفوسهم للدفاع عن هذا الإسلام، يعرضون حقائقه ويجلّون كنوزه، ويفعلون ذلك فيما أظن إرضاء لله ورسوله ودفاعاً عن هذا الإسلام الذي أكرم الله به رسوله وعباده، ورأيت عندهم كتابات ورسائل وبحوث تثلج صدر المؤمن وتبعث على الارتياح، وإني لأبارك جهودهم الطيبة، وأسأل الله أن ينفع بعلمهم ويمكنهم من بلوغ الغاية في نصرة هذا الإسلام وتعميم تعاليمه الحقة وتجلية ما علق به من غبار المتطفلين عليه، وإبراز كنوزه وحقيقته، وسلوكهم الطريقة المثلى في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فبارك الله فيهم وكثّر من أمثالهم، وجعلهم الله من حملة راية الإسلام بجد وصدق وأمانة وإخلاص.

التوقيع Signature

شعيب بن محرم الأرنؤوط

شعيب

اسم الزائر: شعيب بن محرم الأرنؤوط Visitor's Name

صفته: محدث ومحقق Profession

الدولة: الأردن State

تاريخ الزيارة: ١٣ محرم ١٤٣٢هـ Visiting Date

في الظهر: وعُدْنا بعد قائم الظهيرة، نَبْغي خُبزةً وشَطيرة، فتزودنا خير زاد، وتَفاكَهْنا مِن طَيِّب المَلاذ، وانتقلنا لمحل الإقامة، نبتغي الرَّاحة والسلامة.

في العصر : بعد ذلك ذَهبنا لمحلِّ الإقامة للراحة والاستعداد للبرنامج العلمي بعد المغرب، فتهيَّأ الجميع، وتجمَّعنا في مقرِّ شيخنا، وتناولنا بصحبته إبريقاً من الشاي المُنَعْنَع ، وتذكَّرتُ قول من قال :

نَعْنِعْ كُؤوسك إنْ أردتَ شَرابها   لا خيرَ في شَـاي بلا نَعْناع

في المغرب : يواصل شيخنا شرح متن «**نخبة الفِكَر**» في درسه الثاني، بقراءة الشيخ محمد بن ناصر العجمي، ويتلوه تلميذه راقم هذه الأحرف، ثم إجابة الأسئلة .



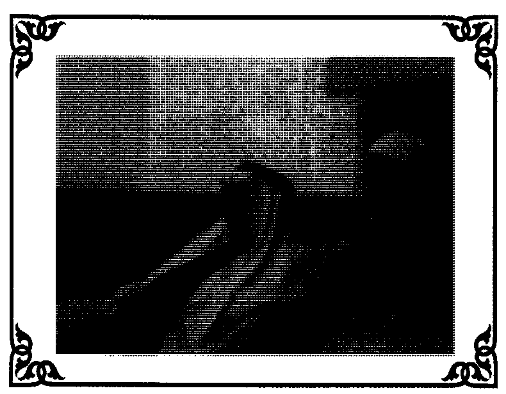
شيخنا والشيخ محمد العجمي والأستاذ محمد جمال والشيخ راشد الهاجري

ومقيد الرحلة على باب جامع الراشد بالعديلية مكان الدَّرس

وبعد العشاء : في منزل العمِّ شافي الهاجري أطال الله بقاءه على خير وطاعة

يَمَّمْنا نحو بيتٍ أهلُه فضلاء، أبناؤه بررة نُبلاء، أخيار صُلحاء، رأينا الأب الكبير والجدَّ القدير، على أبواب بيْتِه، يُهِلُّ بالشَّيخ وصحْبِه، فأَوْلَجنا

خير مَوْلِجٍ، وآنسنا بحبٍّ مُثلِج .



شيخنا في منزل العم الوالد شافي الهاجري



شيخنا يتوسط الدكتور محمد العوضي والعم شافي الهاجري



شيخنا في منزل العم وعلى يساره الدكتور العوضي والشيخ محمد العجمي



شيخنا في منزل العم الوالد شافي الهاجري وابنه الشيخ راشد



شيخنا في منزل العم وعلى يساره الدكتور العوضي والشيخ محمد العجمي والأستاذ أحمد سفيان

فعمَّ اللُّطف والفَرَح، وزالت الوَحْشة والتَّرَح، وتجاذب الكُلُّ أطراف المُلَح، ثُمَّ في خَطْفَة سريعة، ووَمْضَة رَفيعة، آذن أبو الأبناء للدخول نحو العشاء، فأكرم الشَّيخَ وأزيد، وجمع الكُلَّ فأقْعَد .



شيخنا في منزل العم شافي الهاجري على مأدبة شرف ضيافته وعلى يمينه الشيخ محمد العجمي والشيخ أحمد برهوم والدكتور محمد العوضي



شيخنا في منزل العم شافي الهاجري على مأدبة شرف ضيافته يتوسط الشيخ محمد العجمي والدكتور حسان الطيان

فغَمرتِ البهجةُ المكان، وتآلَفتِ الأرواح بين الخِلاَّن، واندفَع الكدَر والضَّجر، لكنَّه قد طال السَّهَر، فودَّعنا الجميع بالمحبَّة والوئام، وشوَّقونا للعودة كلَّ عام، فقفلنا راجعين، وفي السَّكن ضاجعين .

❑ ❑ ❑

اليوم الثالث

الاثنين ١٤ / محرم / ١٤٣٢هـ

في الضحوة : أفْطَرنا بصُحبَة شيخنا باكراً، وانْطَلق شيخُنا مع شيخِنا أبي ناصر العَجْمي نحو مَركزٍ يَعتني بالحديث وعُلومه، مَركزٌ ما إنْ سمع بمَقدَم الشَّيخ إلَّا وقد اشتاق للقاء هذا العالِم المُحدِّث؛ لِيَنهلَ مِن عِلْمه، وينتفع مِن تَجاربه، فيَنفع رُوَّاده وطلابه .



شيخنا و الشيخ محمد العجمي على باب مركز السعد للحديث قسم النساء

إنَّه **مركز السَّعد للحديث**، مركزٌ نسائيٌّ مُبارك، يقوم عليه طائفة من فُضْليات الأخوات في تلك الدِّيار، ومن طالبات العلم الجادات في خدمة السُّنة النبوية .



مركز السعد لخدمة الحديث النبوي الشريف

القسم النسائي

شعارنا

«عليكم بِسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الرَّاشدين مِن بعدي، عضّوا عليها بالنَّواجذ».

(حديث حسن صحيح)

رؤيتنا

صرح علمي متميِّز رائد في مسيرة النُّهوض بثقافة المجتمع الشرعيَّة الحديثيَّة.

رسالتنا

ترسيخ محبَّة النَّبيِّ ﷺ في نفوسنا، والحثّ على تعليم هديه الكريم، ودراسة سيرته العَطِرة لتخريج رموز نسائيَّة متخصِّصة في مجال دراسة الحديث النَّبوِيّ وعلومه.

أهدافنا

١ ــ تأسيس مركز نسائي متخصِّص لدراسة علم الحديث.

٢ ــ تعليم سُنَّته ﷺ، دراسةً وفهماً وحفظاً.

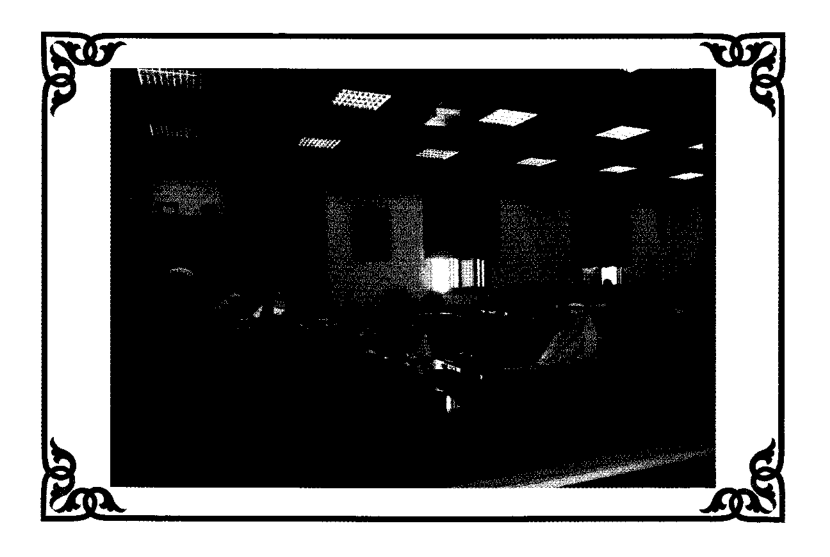
٣ ــ تدريس سيرة الرَّسول ﷺ من مصادرها الأصليَّة.

٤ ــ تكوين نواة مِن طالبات العلم الشَّرعي متخصِّصات في الحديث النَّبوِي وعلومه.

٥ ــ تخريج رموز نسائية متخصِّصة في علوم الحديث.

العنوان: دولة الكويت ــ الرميثية ــ شارع ناصر المبارك ــ ت: ٩٩٢٧٠٨١٥
البريد الإلكتروني: mrkz-elsaad@hotmail.com

الْتَقوا بالشَّيخ في مجلس علمي نافع، دام قرابة الأربع ساعات، شرح لهم الشيخ العشرة الأبواب الأولى من كتاب العلم من «الجامع الصحيح» للإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ، بقراءة شيخنا ومجيزنا أبي ناصر العجمي حفظه الله.



شيخنا و الشيخ محمد العجمي في شرح كتاب العلم من «صحيح البخاري» في مركز السعد

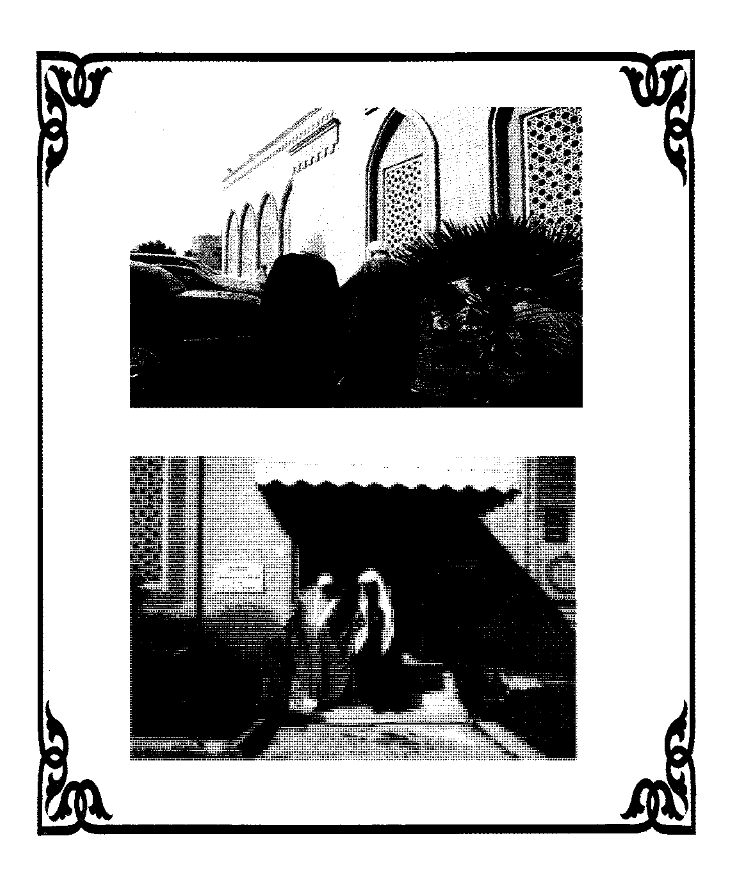
وفي خاتمة الدَّرس عَرضْنَ أسئلتهنَّ الحديثيَّة على الشَّيخ فأجابها، وعرض لبعض النَّصائح والتَّوجيهات للأخوات فجزاه الله خير الجزاء، ثم وقَّع الشيخ على شهادات الحضور وكتبَ كلمة في سِجل الزِّيارات قال فيها :

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى أصحابه ومن والاه، وبعد ..

فإنني شديد الاغتباط بالدَّعوة الكريمة التي كانت من قبل الفُضليات من خُدَّام حديث رسول الله ﷺ في الكويت الطيِّب أهله، وقد استمعنا إلى

معظم شرح كتاب العلم من «صحيح البخاري» مع بيان ما فيه من الفقه والعلم، وإنني لأتمنى على الله أن يشاركن بالاستمرار في مؤتمرات العلم، وأن يقرأن على انفراد وبالمجموع كتب الحديث، ويتفققهنَ ويصبحن إن شاء الله من العالمات اللاتي يقمن بواجبهنَّ نحو هذا الإسلام الذي أكرمهنَّ الله به، وأن يَبْقين على ذلك إلى أن يَلْقين الله وهو عنهنَّ راضٍ، والحمد لله رب العالمين .

وكتب شعيب الأرنؤوط



شيخنا و الشيخ محمد العجمي وخروجهم من مركز السعد

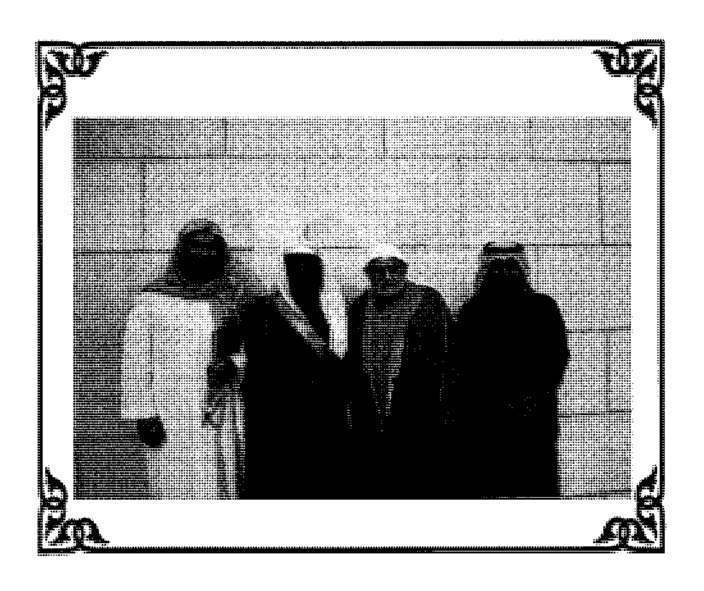
في الظهر : وبعد الظهر عاد الشَّيخان، ونادَيْنا الصَّحب والإخوان، فاجتمعنا على سُفرة شريفة، بصُفرة وخضرة مُنيفة، فعَرَجْنا من نزول إلى عُليٍّ، تسبقنا حَلْوى أمِّ عَليّ .

في العصر : تهيَّأنا وصلَّينا، والشيخ ينادي إلَيْنا إلينا، وهاتِ يا صاح الشَّاي، وقصَّ يا أبا عمرٍو الحكاي، فيطربُ الجهال للمَقال، ويَشْدُو من واسع الخَيال :

لا تعتبر صَفيره إذا صفَر — بل اعتبر دُخانه إذا ظهَر
حتى إذا سمعتَه وقد غَلى — شاهدتَ مِن دُخانه ما قد عَلى
واشرب مِن الشَّاي ثلاثاً أربعة — وإنْ تُزد فهو مضرٌّ فادْفَعه
وبعضُهم ضَاف له نعناعا — وبعضهم لَمَّنَ[1] يكن نفَّاعا

في المغرب : ويَستمِرُّ شيخُنا بالعطاء في شرح متن «**نخبة الفِكَر**» في درسه الثالث، بقراءة الشيخ محمد بن ناصر العجمي، ويتلوه تلميذه راقم هذه الأحرف، ثم إجابة الشيخ على الأسئلة .

(١) يريد : إضافة الليمون على الشاي ففيه نفع .



شيخنا والشيخ محمد العجمي والشيخ راشد الهاجري ومقيد الرحلة على باب جامع الراشد بالعديلية مكان الدرس

وبعد العشاء : قَفلنا نَحْو المَسكن عائدين، لا زَائرين ولا مَزُورين، وقُلْنا اليوم يومَ راحة، نَسْمر وشيخنا في سماحة، حتى غزانا النُّعاس، وطفِقْنا نُردِّد لا مِساس .

❏ ❏ ❏

اليوم الرابع

الثلاثاء ١٥ / محرم / ١٤٣٢هـ

في الضحوة : تناولنا طعام الإفطار بصحبة شَيْخَيْنا، ثم سار الشَّيخان نحو كليَّة الشَّريعة، ليُلْقِي شيخنا شعيب درساً عِلْمياً في أُساتذاتِ كلية الشريعة، ويسمع بعض المسائل العِلْميَّة والإشكالات الغامضة في كافَّة علوم الشَّريعة، ولا عجب فالشيخ مُفْتَنٌّ في العلوم، حاذقٌ لأصولها، مُستحضِرٌ لفُروعِها .

وقد طال اللقاء العلمي، إذ جُلُّه لقاء مُتخصِّصين عارفين، ولطبقة عالية ومُتمكِّنين، فانتفع الجميع مِن خبرة الشَّيخ وعِلْمه، فكان بحقٍّ لقاء علميَّاً مُتميِّزاً حافلاً بالخير والعلم، والحمد لله على توفيقه .

في الظهر : عاد الشَّيخان من ندوتهم المباركة، وقصدنا شيخنا للمشاركة، فجاء النِّداء، هلمُّوا للغداء، فتجمَّعنا على المائدة، وأصبحت البطون زائدة، ولم يخلُ حديثنا من فائدة .

في العصر : جلسةٌ رائقة مُريحة، ولطائفُ كَلِمٍ مَليحة، ومداعبات بين الإخوان سَمِيحة، وأبيات من شيخنا تجود بها القريحة .

في المغرب : ويختم شيخنا بمجلسه الرابع شرح متن «**نخبة الفِكَر**»، بقراءة الشيخ محمد بن ناصر العجمي، وتلميذه راقم هذه الأحرف .

وقد تناول شيخنا أدام الله ظِلَّه في شرح «**نخبة الفِكَر**» تبيان هذه المحاور بإسهاب، وهي :

- لمحة سريعة على التأليف في المصطلح.

- متن «نخبة الفكر» ومكانتها بين كتب المصطلح وعناية العلماء بها .

- مسائل المتن مع ضرب الأمثلة العملية الـمُفْهِمة :

أولاً : الحديث الصحيح، ثم الحسن والاختلاف فيه :

فائدة : بيان أن حكم المحدِّث في التصحيح والتحسين أو التضعيف قائم على الاجتهاد .[١]

ثانياً : مسألة نقد المتن، والشذوذ والعِلَل، والتطرق للدِّفاع عن أحاديث «الصحيحين»

ثالثاً : مسألة زيادة الثقة، وما فيها من تقسيم وبيان .[٢]

رابعاً : الحديث المعلَّق، وبيانه، ولفتة مهمة حول معلَّقات «الجامع الصحيح» للبخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقيمتها العلمية .

خامساً : المرسل، وأحكامه ومذاهب العلماء فيه .

سادساً : مسألة الجهالة وأقسامها .

سابعاً : مسألة رواية المبتدع بين القبول والرد مع الأمثلة .

ثامناً : بحث الأحاديث الموقوفة وبيان قيمتها العلمية وأثرها في تدعيم المرفوع من عمل الصحابة .

تاسعاً : مسألة العَنْعنة والتطرق لترجيح مذهب البخاري على مسلم مع بيان ذلك وتوضيحه .

عاشراً : الإجازات وبيان الإجازات المعتبرة عند أهل العلم والحديث .

---

(١) ينظر في هذه المسألة كتاب : «مسألة التصحيح والتحسين في الأعصار المتأخرة في علوم الحديث» دراسة نظرية تطبيقية، للدكتور عبد الرزاق الشايجي . (دار ابن حزم) .

(٢) ينظر في هذه المسألة كتاب : «زيادة الثقة في كتب مصطلح الحديث» دراسة موضوعية نقدية، للدكتور حمزة المليباري (ملتقى أهل الحديث)، وانظر ما سيأتي في شرح «النخبة»

أخيراً : مسألة طبقات الرواة والعناية به [1]

ثم يقرأ شيخنا محمد العجمي الأبواب العشرة الأولى من كتاب الإيمان من «الجامع الصحيح» للإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ويجيز الشيخ الحضور بإسناده المتصل لشرح «النخبة» و «للجامع الصحيح » والحمد لله على توفيقه .

وإليك بعض صور هذه الإجازات وأسانيد الشيخ إلى «نخبة الفكر » و«الجامع الصحيح» :

❑ ❑ ❑

(١) ينظر كتاب : « علم طبقات المحدِّثين» لأسعد تيم (مكتبة الرشد)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

وبعد، فيقول راجي عفو ربه الفقير إلى الله تعالى: لقد قرئ

علي في مجالس مباركة في جامع الراشد العديلية بالكويت

حرسها الله نخبة الفكر للحافظ ابن حجر رواية ودراية، وأول حديث

من صحيح البخاري، والأبواب العشرة الأولى من كتاب الإيمان منه

وقد حضر القراءة جمع غفير من طلبة العلم وطالباته منهم

الشيخ محمد بن ناصر العجمي والشيخ أحمد بن [illegible] والشيخ محمد

بن يوسف الجوراني، والصاحب الوفي [illegible] بن شافي الهاجري

وغيرهم من أبناء الكويت الأخيار في محرم ١٤٣٢هـ.

كما قرأ علي الشيخ الكريم الوفي النبيل محمد بن ناصر العجمي من كتاب

العلم إلى باب الاغتباط في العلم والحكمة من الجامع الصحيح

للإمام البخاري رواية ودراية في مركز [illegible] للحديث، تم

[illegible] والحضور جمع من فضليات النساء اللائي آلين على

أنفسهن أن يطلبن العلم وينهلن من المعرفة.

وأجزت الجميع بذلك بشرط [illegible] من صفات

وأسأل الله أن يتيح لهم الاستفادة من كل ذلك، وأن ينشروا العلم

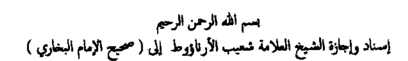
بين الناس، ويرزقهم العلم والعمل.

وكتب [illegible]

في الكويت المحروسة

١٧/محرم/١٤٣٢

[illegible]


بسم الله الرحمن الرحيم
إسناد وإجازة الشيخ العلامة شعيب الأرناؤوط إلى (صحيح الإمام البخاري)

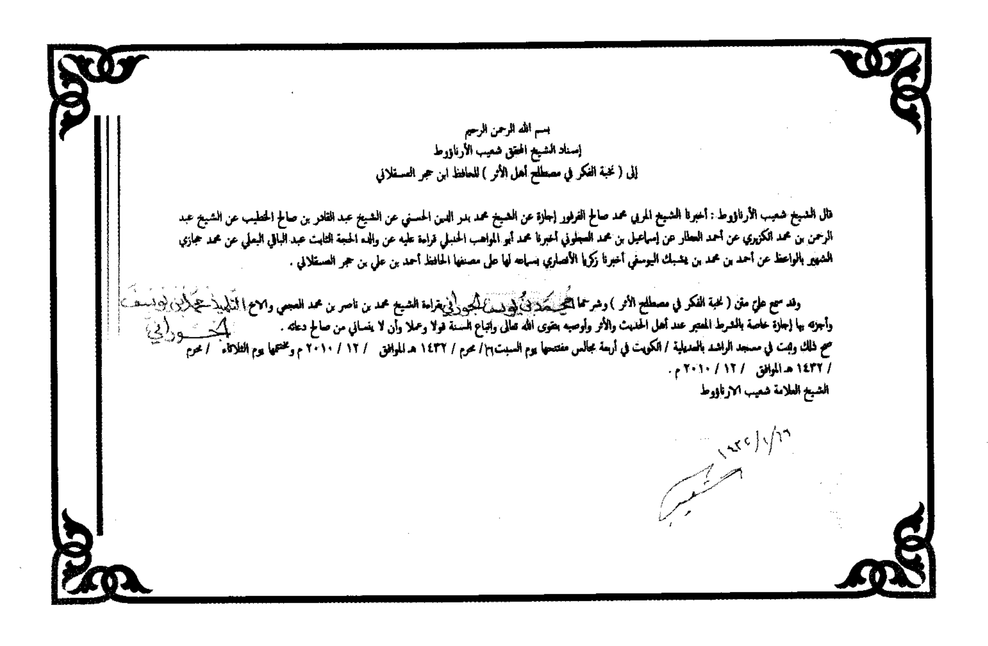
قال الشيخ شعيب الأرناؤوط : أخبرنا الشيخ المربي محمد صالح الفرفور بأكثر صحيح البخاري قال : أخبرنا المحدث الأكبر الشيخ محمد بدر الدين بن يوسف الحسني الدمشقي رحمه الله تعالى عن شيخه عبد القادر بن صالح الخطيب الدمشقي قال : أخبرنا عبد الرحمن بن محمد الكزبري الصغير الدمشقي قراءة عليه قال : أخبرنا والدي محمد بن عبد الرحمن الكزبري سماعا عليه لجميعه مرات عديدة قال : أخبرنا علي بن أحمد الكزبري الدمشقي سماعا عليه لمعظمه وإجازة لباقيه ، قال : أخبرنا محمد أبو العز بن أحمد العجمي المصري قراءة لبعضه وإجازة لباقيه ، قال : أخبرنا محمد بن علاء الدين البابلي قراءة عليه لجملة من الصحيح مع الثلاثيات قال : أخبرنا أبو النجا سالم بن محمد السنهوري سماعا لبعضه وإجازة لباقيه قال : أخبرنا محمد بن نجم الدين بن أحمد الغيطي المصري قراءة عليه لجميعه قال : أخبرنا شيخ الإسلام زكريا بن محمد الأنصاري قراءة عليه لجميعه قال : أخبرنا شيخ الإسلام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني سماعا عليه لكثير منه وإجازة لسائره قال : أخبرنا أبو إسحق إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد البعلي المعروف بالبرهان الشامي قراءة عليه وأنا أسمع قال : أخبرنا أبو العباس أحمد بن أبي طالب الحجار المعروف بابن الشحنة قراءة عليه وأنا أسمع قال : أخبرنا أبو عبد الله الحسين المبارك الزبيدي سماعا عليه قال : أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى السجزي سماعا عليه لجميعه قال : أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الداوودي قال : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي قال : أخبرنا ابو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفربري قال : أخبرنا المصنف الإمام الحافظ الحجة أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري رحمه الله تعالى ورضي عنه .

وقد سمع عليّ أوائل كتاب الإيمان من هذا الصحيح الجامع محمد بن يوسف الجوراني وأجزته بها إجازة خاصة وبسائره إجازة عامة بالشرط المعتبر عند أهل الحديث والأثر وأوصيه بتقوى الله واتباع السنة قولا وعملا وأن لا ينساني من صالح الدعاء .

الشيخ العلامة شعيب الأرناؤوط

صح ذلك وثبت بتاريخ ١٦ / محرم / ١٤٣٢هـ الموافق / ١٢/ ٢٠١٠م

إجازات وأسانيد شيخنا للحضور في الدورة العلمية المقامة في جامع الراشد بالعديلية

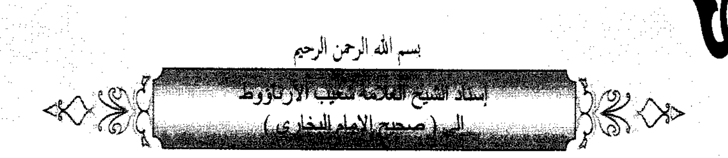

بسم الله الرحمن الرحيم
إسناد الشيخ المحقق شعيب الأرناؤوط
إلى (نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر) للحافظ ابن حجر العسقلاني

قال الشيخ شعيب الأرناؤوط : أخبرنا الشيخ المربي محمد صالح الفرفور إجازة عن الشيخ محمد بدر الدين الحسني عن الشيخ عبد القادر بن صالح الخطيب عن الشيخ عبد الرحمن بن محمد الكزبري عن أحمد العطار عن إسماعيل بن محمد العجلوني أخبرنا محمد أبو المواهب الحنبلي قراءة عليه عن والده الحجة الثابت عبد الباقي البعلي عن محمد حجازي الشهير بالواعظ عن أحمد بن محمد بن جنبلك اليوسفي أخبرنا زكريا الأنصاري بسماعه لها على مصنفها الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني .

وقد سمع عليّ متن (نخبة الفكر في مصطلح الأثر) وشرحها محمد بن يوسف الجوراني بقراءة الشيخ محمد بن ناصر بن محمد العجمي والأخ التلميذ محمد بن يوسف الجوراني وأجزته بها إجازة خاصة بالشرط المعتبر عند أهل الحديث والأثر وأوصيه بتقوى الله تعالى واتباع السنة قولا وعملا وأن لا ينساني من صالح دعائه .
صح ذلك وثبت في مسجد الراشد بالعديلية / الكويت في أربعة مجالس مفتتحها يوم السبت ٢٦/ محرم / ١٤٣٢ هـ الموافق / ١٢ / ٢٠١٠ م وختمها يوم الثلاثاء / محرم / ١٤٣٢ هـ الموافق / ١٢ / ٢٠١٠ م .
الشيخ العلامة شعيب الارناؤوط

٢٦/١/١٤٣٢

بسم الله الرحمن الرحيم



قال الشيخ شعيب الأرناؤوط : أخبرنا الشيخ المربي محمد صالح الفرفور بأكثر صحيح البخاري قال : أخبرنا المحدث الأكبر الشيخ محمد بدر الدين بن يوسف الحسني الدمشقي رحمه الله تعالى عن شيخه عبد القادر بن صالح الخطيب الدمشقي قال : أخبرنا عبد الرحمن بن محمد الكزبري الصغير الدمشقي قراءة عليه قال : أخبرنا والدي محمد بن عبد الرحمن الكزبري سماعا عليه لجميعه مرات عديدة قال : أخبرنا علي بن أحمد الكزبري الدمشقي سماعا عليه لمعظمه وإجازة لباقيه ، قال : أخبرنا محمد أبو العز بن أحمد العجمي المصري قراءة لبعضه وإجازة لباقيه ، قال : أخبرنا محمد بن علاء الدين البابلي قراءة عليه لجملة من الصحيح مع الثلاثيات قال : أخبرنا أبو النجا سالم بن محمد السنهوري سماعا لبعضه وإجازة لباقيه قال : أخبرنا محمد بن نجم الدين بن أحمد الغيطي المصري قراءة عليه لجميعه قال : أخبرنا شيخ الإسلام زكريا بن محمد الأنصاري قراءة عليه لجميعه قال : أخبرنا شيخ الإسلام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني سماعا عليه لكثير منه وإجازة لسائره قال : أخبرنا أبو اسحق إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد البعلي المعروف بالبرهان الشامي قراءة عليه وأنا أسمع قال : أخبرنا أبو العباس أحمد بن أبي طالب الحجار المعروف بابن الشحنة قراءة عليه وأنا أسمع قال : أخبرنا أبو عبد الله الحسين المبارك الزبيدي سماعا عليه قال : أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى السجزي سماعا عليه لجميعه قال : أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الداوودي قال : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي قال : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفربري قال : أخبرنا المصنف الإمام الحافظ الحجة أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري رحمه الله تعالى ورضي عنه .



قال الشيخ شعيب الأرناؤوط : أخبرنا الشيخ المربي محمد صالح الفرفور إجازة عن الشيخ محمد بدر الدين الحسني عن الشيخ عبد القادر بن صالح الخطيب عن الشيخ عبد الرحمن بن محمد الكزبري عن أحمد العطار عن إسماعيل بن محمد العجلوني أخبرنا محمد أبو المواهب الحنبلي قراءة عليه عن والده الحجة الثبت عبد الباقي البعلي عن محمد حجازي الشهير بالواعظ عن أحمد بن محمد بن يشبك اليوسفي أخبرنا زكريا الأنصاري بسماعه لها على مصنفها الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني .

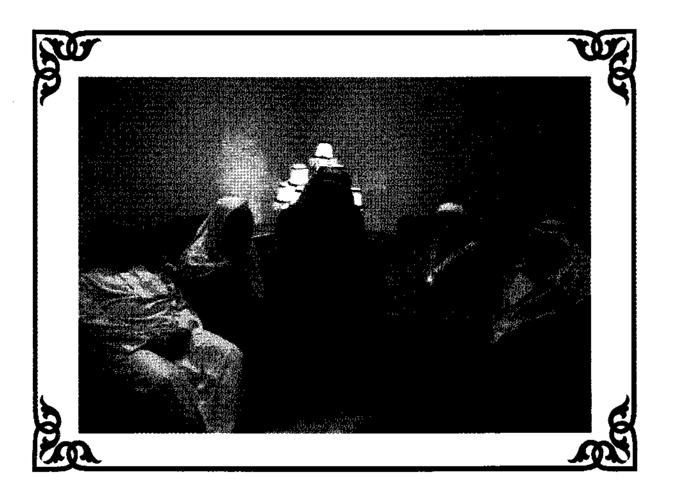
شعيب

وبعد العشاء: في بيت أهل الفضل والعلم

شَرُفت العُيون، بزيارة البَيت المَيمُون، فزُرْنا الشَّيخ أبا يوسفَ في داره العامر بالعِلْم والتقوى، وسَلَيْنا بقُرْبه كلَّ سَلْوى، وصار المجلِس مُفْعمٌ بالخير والحلوى.



شيخنا والشيخ محمد العجمي ومقيد الرحلة والشيخ محمد بن يوسف المزيني في منزله



شيخنا والشيخ محمد العجمي والشيخ أحمد برهوم والشيخ محمد المزيني والشيخ راشد الهاجري

فسكَتْنا دقيقة، ودخلَ ذُو الأبياتِ العَتيقة، فاسْتَبشَرَ الشَّيخُ بِمَأنسِه، وقرَّبه مِن مجلسِه، فافتتحَ الأُدباء، وتَبعهم الشُّعراء، فكانوا دَوحة غنَّاء، حتى أُذِنَ بالعَشاء .



الأستاذ محمد جمال يُغرِّد بقصة من روائع قصصه وبجانبه الشيخ محمد سليمان الجيلاني

فخَتمْنا المجلسَ بدَعواتٍ طيِّبات، وتحايا عَاطِرات، فغَدوْنا ذَاهِبين، ولربِّنا حَامِدين، وبِمَسْكنِنا آمنين .



صورة للفيف يجمعنا بشيخنا شعيب الأرنؤوط



شيخنا والشيخ محمد العجمي والدكتور حسان الطيان والدكتور محسن الخرافي والأستاذ محمد جمال عمرو والشيخ محمد المزيني وعمُّه والشيخ محمد الجيلاني ومقيِّد الرحلة

ثم سجَّل شيخُنا في دفتر زيارة العائلة كلمة طيِّبةً قال فيها :

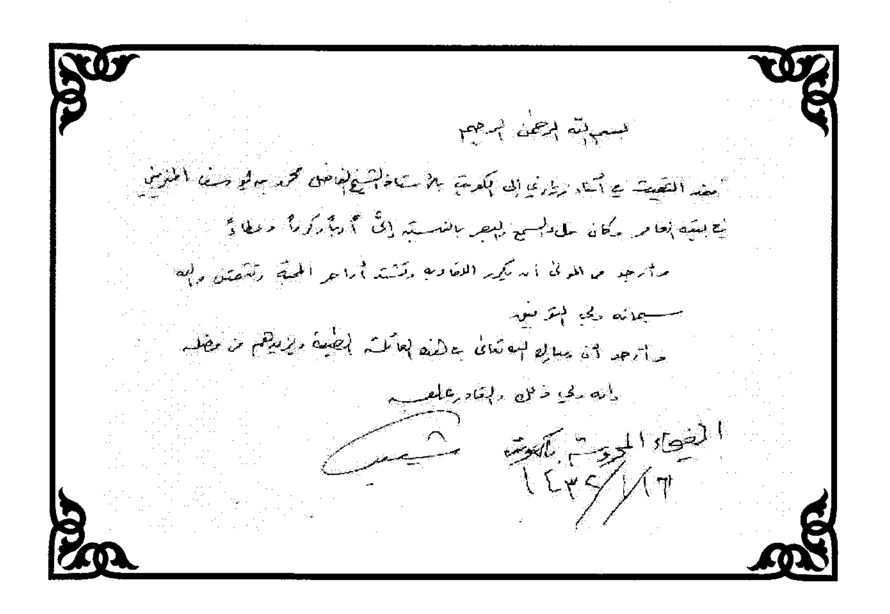
بسم الله الرحمن الرحيم

فقد التقيتُ في أثناء زيارتي إلى الكويت بالأستاذ الشيخ الفاضل محمد ابن يوسف المزيني في بيته العامر، وكان ملء السمع والبصر إليَّ أدباً وكرماً وعطاءاً، وأرجو من المولى أن يكرِّر اللقاء به، وتشتدَّ أواصر المحبَّة وتتمتَّن، والله سبحانه وليُّ التوفيق.

وأرجو أن يبارك الله تعالى في هذه العائلة الطيبة، ويزيدهم من فضله، إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه.

الفيحاء المحروسة بالكويت ١٦/ ١/ ١٤٣٢هـ

شعيب الأرنؤوط



بسم الله الرحمن الرحيم

هذه التعقيبات في أثناء زيارتي إلى الكويت بالأستاذ الشيخ الفاضل محمد [illegible]

في بيته العامر وكان [illegible] بالنسبة إلى [illegible] ذكراً وعطاءً

وأرجو من المولى أن يكرر اللقاءات وتشتد أواصر المحبة وتتعمق والله

سبحانه ولي التوفيق

وأرجو أن يبارك الله تعالى في هذه العائلة الطيبة ويزيدهم من فضله

إنه ولي ذلك والقادر عليه

[illegible] بالكويت

١٤٣٢/١/١٦



اليوم الخامس

الأربعاء ١٦ / محرم / ١٤٣٢هـ

في الضحوة : تهيَّأنا بعد الإفطار بوقت لزيارة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، للقاء وكيل الوزارة في مكتبه، سعادة الدكتور عادل الفلاح، نحسبه والله حسيبه من أهل الدَّعوة والصَّلاح، فسعدنا بزيارته، وأَنِسْنا بمجالسته، وكان بحضور الأستاذ الفاضل فلاح العجمي المراقب الثقافي لإدارة الثقافة الإسلامية بوزارة الأوقاف فشكَره شيخنا لهذه الدعوة الطيبة المباركة، وحِرْصِه على استقطاب العُلماء والدُّعاة لنفع أهل بلده، ومن ثَمَّ شكر الوكيلُ للشَّيخ مَقدَمه، وتجشُّمه عناء السَّفر، وقد كانت جلسة طيِّبة لطيفة .

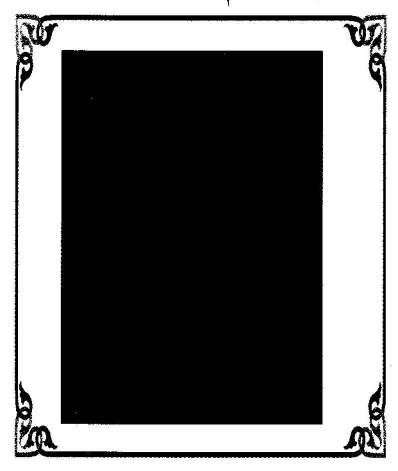


سعادة الوكيل وشيخنا وأحد الباحثين في الوزراة ومقيِّد الرحلة



سعادة الوكيل وشيخنا والشيخ محمد العجمي وجمع من الوزراة ومقيِّد الرحلة

ثم أهدى لنا جزاه الله خيراً تلكم «الموسوعة الفِقهيَّة الكويتيَّة»



والتي تعدُّ بحقٍّ مَفخرةً للكويت وأهله، مع بعض مَطبُوعات الوزارة القيِّمة، فجزاهم الله خيراً، وبارك في جهودهم، وشكَر سَعيهم، ورَزقنا وإيَّاهم الإخلاص في القول والعمل .

في الظهر : توجَّهنا نحو نُزُلِنا حتى نَقِيل، ويأتي الغداء الجميل، ثُم نُعدُّ الأمتعة للرَّحيل .

في العصر : جلسنا جلستنا المعتادة، بغمرة الممالحة مع الإفادة، فذاك يأتِ بِقصَّه، وآخرُ يُعرِض قُرصَه، فتَعْلُو البسمات، وتُقيَّد الخطرات على بياض الورقات .

وفي طريق الخروج من مسكننا مُتَّجِهين إلى بابه لقيَنا هاشَّاً باشَّاً فرحاً بالشَّيخ الدكتور قيس آل مبارك عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة السعودية . فعانق شيخنا وفرح بطلَّته ورحبَّ بالشيخ كثيراً، ثم انطلقنا نحو درسنا .

في المغرب : كان الحديث من لون آخر، فلم يكن شرحاً علمياً، وإنما كان عن رحلة في تجربة علمية ممتعة، نهل من مدرسة شيخنا العلامة، الكبير والصغير، العالم والمحقَّق وطالب العلم، كلُّهم يعرف للشيخ فضله ومكانته في هذا الباب، حتى غدت تحقيقات شيخنا من أنفس التحقيقات وأجودها، يعرف هذا كبار أهل العلم في عصرنا، بل صار مكتب الشيخ مفزعٌ لمن أظلمت أمامه دروب العلم في التحقيق، فما أن يجلس مع الشيخ، إلَّا وتنجلي له الأمور، فيُوقِفُه الشيخ على جادة الطريق الصحيح، ويسدُّده بالنُّصح الرَّجيح، فترى العقلاء تشكر جهد الشيخ وصنيعه معهم، وتنسب الفضل لأهله، وأما المتشبعون بما ليس عندهم ـ لا كثَّرهم الله ـ فصيتهم الفاني يسبقهم بالعار والشنار، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

فجزى الله شيخنا خير الجزاء، وجعل أعماله في ميزان حسناته، والله أسألُ أن يجعل له بها لسان صِدْق في الآخرين، اللهم آمين .

بدأت المحاضرة بتقديم فضيلة شيخنا محمد العجمي، وتبعه راقم هذه الأحرف بالتوطئة في الحديث عن صفحات مشرقة من حياة شيخنا العلمية ومدى حرصه على العلم وطلبته، وبذله لمن يستحقّه مع بعض الفوائد التربوية المؤثرة في ميدان العلم والتحقيق .

وليس يزيدُ الشمسَ نوراً وبَهجةً إطالةُ ذي وصفٍ وإكبارُ مادحٍ

وبعد ذلك : ألقى شيخنا العلّامة محاضرة عن تجربته في ميدان التحقيق، كان تلميذه راقم هذه الأحرف يتنقل مع شيخه في تتبع التجربة العلمية والعملية من خلال الفنون، وقد تناول شيخنا العلّامة في هذه المحاضرة القيمة المحاور التالية :

١. لماذا المخطوطات والبحث عنها ؟

٢. التعامل مع المخطوط وفنُّ تحقيقه ولوازمه «قبل الرُّماة تُملئ الكنانة»

٣. البداية بالعناية والتوجُّه لعالم المخطوطات وتحقيقها، وبيان الدافع لذلك : «الأحاديث الودعانية الموضوعة» للودعاني .

٤. الغاية من التحقيق : **إخراج النصوص والتراث العربي في مختلف الفنون إخراجاً علمياً متقناً ليكون في متناول مختلف طبقات الأمة .**

٥. تجارب التحقيق في كل فنٍّ :

أولاً : **التفسير** : «زاد المسير» لابن الجوزي ـ وفيه قصة ـ وحقّقه شيخنا العلّامة مع الشيخ عبد القادر الأرنؤوط رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا غير .

ثانياً : الحديث : وأول تحقيق لشيخنا العلَّامة كان «مسند أبي بكر» للمروزي رَحِمَهُ اللَّهُ في المكتب الإسلامي وله قصة : وهي امتحانٌ لمقدرة الشيخ العلمية، حيث كان المخطوط غُفْلاً من النقط أو الشكل .

ثم الحديث عن «شرح السنة» للبغوي رَحِمَهُ اللَّهُ، وأهميته .

ثالثاً : عِلْم الرِّجال : عمل شيخنا العلَّامة في «تحرير تقريب التهذيب»، ثم مراجعته وإشرافه على تحقيق وطبع «تهذيب الكمال» للحافظ المِزِّي رَحِمَهُ اللَّهُ

رابعاً : الفقه : فقد تناول الشيخ فيه الحديث عن :«روضة الطالبين» للنووي رَحِمَهُ اللَّهُ، و «منار السبيل» لابن ضويَّان رَحِمَهُ اللَّهُ، و«الكافي» لابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ، و«المبدع شرح المقنع» لابن مفلح رَحِمَهُ اللَّهُ، ثم عرَّج على ما طبع مؤخراً «الاختيار لتعليل المختار» للموصلي رَحِمَهُ اللَّهُ.

خامساً : التَّوحيد والعقيدة : تناول فيه الحديث عن «تيسير العزيز الحميد » للعلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ،وطبعه المكتب الإسلامي وقد كان ناقصاً فأكمله الشيخ من «فتح المجيد» للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

ثم تطرَّق لـلكتاب الفذِّ : «العواصم والقواسم في الذب عن سنة أبي القاسم» لابن الوزير رَحِمَهُ اللَّهُ .

وعرَّج أخيراً على العمل النَّفيس الذي قام به في «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللَّهُ، الذي يعدُّ اليوم تحقيقه من أجود وأضبط النُّسخ وأحسنها .

سادساً : اللغة والأدب : ولشيخنا العلَّامة باع طويل في اللغة والأدب والشعر، فقد حقَّق في فنِّها «المنازل والديار» لأسامة بن منقذ، وهذَّب «الأغاني»، وعمل «مختارات شعرية» كبيرة في عشرة مجلدات .

سابعاً : مكتبة ابن قيِّم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ومن أشهر تحقيقات شيخنا العلَّامة حفظه الله «زاد المعاد» الذي فاقت طبعاته عن مئة طبعة، فهو كتاب مُبارَك من مؤلِّف مبارَك، ومن مُحقِقَيْن مباركين، شارك شيخنا العلَّامة في التحقيق الشيخ العلامة عبد القادر الأرنؤوط رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثم «جلاء الأفهام » و«الداء والدواء » من مكتبة ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضاً .

وآخر الأعمال : العمل في تحقيق **«فتح الباري شرح صحيح البخاري»** للحافظ ابن حجر وتحقيقه تحقيقاً متقناً إن شاء الله .

وأشرف على التحقيق الأول **«للجامع الصحيح»** للإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث قوبل على مخطوطة نفيسة وتمت مراجعته على الطبعة السُّلطانية، وصدر في خمسة مجلدات، تمَّ فيها تخريج أحاديثه من «مسند الإمام أحمد» و«صحيح مسلم» مع التَّطريق، وشرح الغريب وبعض الفوائد والنكت العلمية .

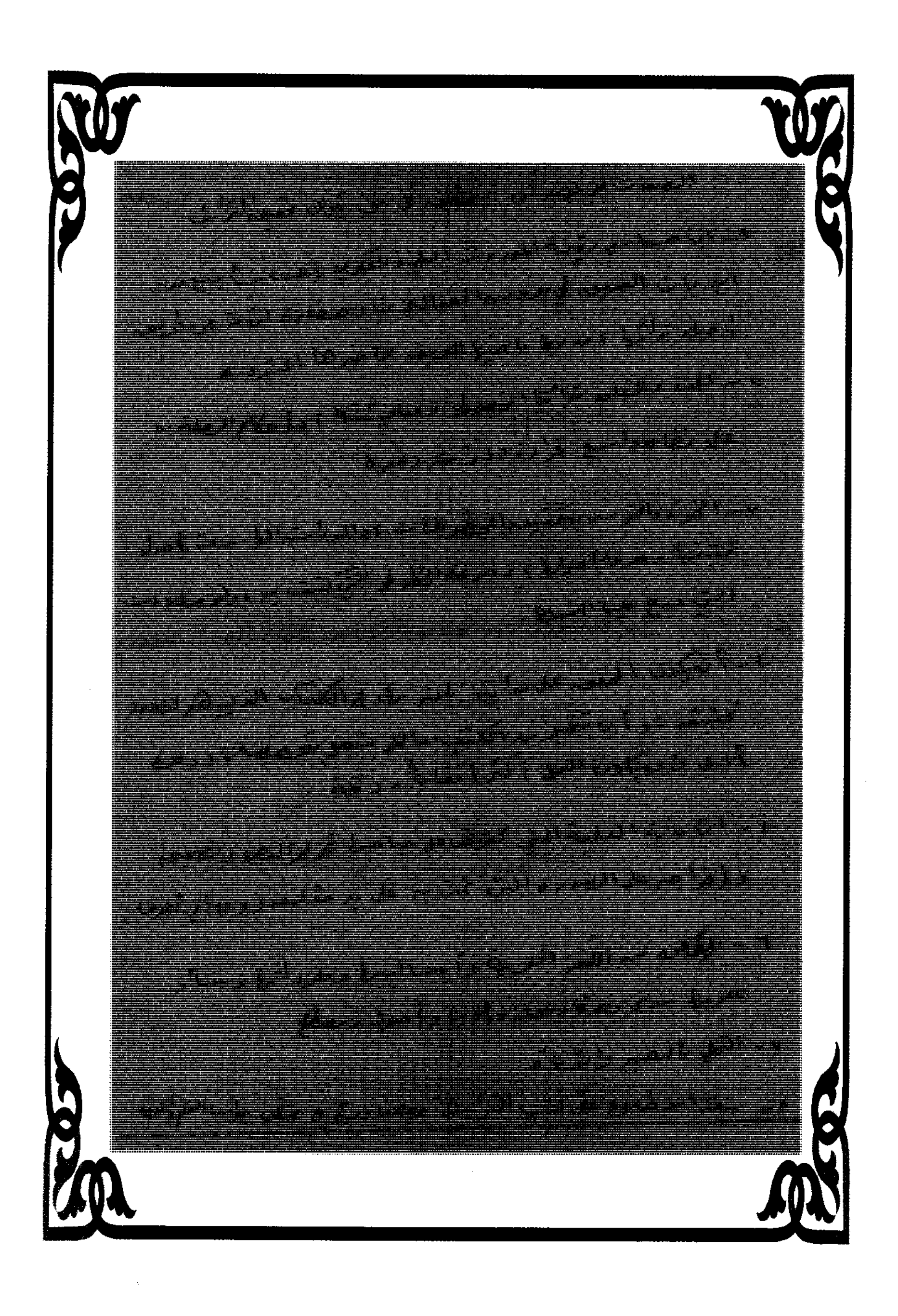
وهذا هو التحقيق الأول الذي قام به تلاميذ الشيخ في مؤسسة الرسالة العالمية .

وأما التحقيق الثاني : فهو تحقيقٌ خاصٌّ بمقيِّد هاته الرِّحلة الفقير إلى ربِّه، **والعمل فيه لضبط روايات «الجامع الصحيح» من خلال عشر نسخ خطية تامة نفيسة جداً مشرقية ومغربية، مع المقابلة على ثلاث طبعات عتيقة**

قيِّمة، بإشراف كلٍّ من شيخنا العلَّامة شعيب الأرنؤوط وشيخنا ومجيزنا المحقِّق محمد بن ناصر العجمي جزاهما الله كل خير .

ثم تلقَّى الشيخ الأسئلة ليجيب عنها، وقد نصح الحاضرين نصائح في ميدان التحقيق وطلب العلم نافعة ماتعة، جزاه الله خيراً .

وأمام ناظريك، بعض هاته النَّصائح بخطِّ شيخنا أدام الله ظِلَّه لنفع الإسلام والمسلمين :



وبعد العشاء : عشاءٌ على ساحل الخليج، أجبنا دعوة فاضلة من أخ فاضل، فجزاه الله خيراً وبارك له في ماله وأهله وعمله .



شيخنا والشيخ محمد العجمي والأستاذ أحمد سفيان والشيخ راشد الهاجري

❑ ❑ ❑

أخيراً .. لحظات الوداع ويوم الرحيل

قَالَ ابْنُ يُوسُفَ عَفَا اللهُ عَنْهُمَا :

وها قد أَذِنتْ نهاية الرِّحلة، وحانَتْ لحظةُ الوداع، و كادتِ العُيون أن تَنْهمِر، كيف لا، وقد عاشت أياماً جميلة، وأصيلة وسَليلة .

رحلةٌ وصحبةٌ كان الإخاء الإيماني، والشعور الوجداني قد تجلَّى فيها إلى أسمى معانيه، وارتقى إلى عالِ مَبانيه، وكأنِّي بالجميع على مختلفِ أَلْوانِهم وأجناسِهم، وقد غَمرهم طعم الحبِّ في الله، وذاقوا رَوعة الأُنس في جنب الله، حالهم كحال من فضَّل الخِلَّ الوفيَّ، على القريب العَتِيِّ :

رأيتُ بالودِّ عن القربى غِنىً	وليس بالقربى عن الودِّ غنى
وصاحب الودِّ حسامٌ منتضى	يزينُ في السِّلم ويكفي في الوغى

تلكم الرحلة الشُّعبية إلى الدِّيار الكويتية، قد كان فيها من عِبَر هذه الرحلة وفوائدها ما يطرب له الفؤاد، وينعم بذكره العُوَّاد، ولكن أُرْجِئُ تسطيرها لمناسبة قادمة، تحلِّق حول محطات مُضيئة، وجوانب مشرقة في حياة شيخنا العلَّامة العلمية المباركة، فنسأل الله أن يعيننا على ذلك، إنه سبحانه خير مسؤول.

وفي ختام مطافي أُكرِّر الشُّكر لإدارة الثقافة الإسلامية بوزارة الأوقاف الكويتية وعلى رأسهم سعادة وكيل الوزارة الدكتور عادل الفلاح، والأستاذ الفاضل فلاح بن نهار العجمي جزاهما الله خيراً .

والشُّكر موصولٌ لكلِّ من ساهم في إنجاح هذه الدَّورة العلمية المباركة إنه سبحانه خير مسؤول، وأرجى مَأمول.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

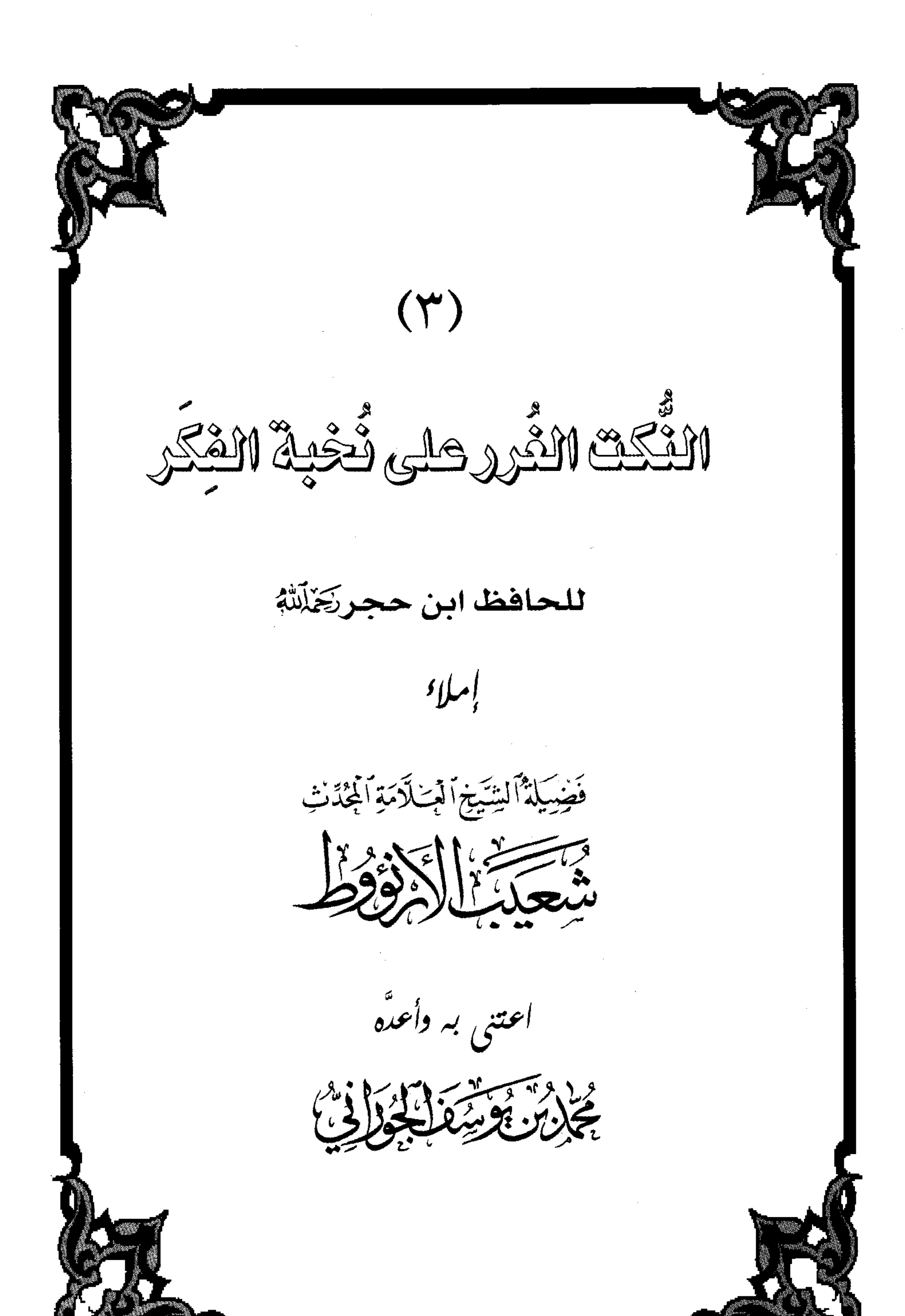
وكتب

الفقير إلى عفو ربه القدير

محمد بن يوسف الجوراني

❑ ❑ ❑





(٣)

النُّكت الغُرر على نُخبة الفِكَر

للحافظ ابن حجر رحمه الله

إملاء

فضيلة الشيخ العلامة المحدث

شعيب الأرنؤوط

اعتنى به وأعدَّه

محمد بن يوسف الجوراني



تمهيد..

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد ..

فهذه نكتٌ غُرَر على «نُخبة الفِكَر» لشيخنا العلَّامة المُحدِّث شعيب الأرنؤوط حفظه الله ونفع بعلمه الإسلام والمسلمين، أقدِّمها لك أخي القارئ الكريم، راجياً المولى أنْ ينفعك بها، وأن يفتح لك ما أُغلِق عليك فيها.

وهذه النُّكت قُطوف مختارة، وفوائد سيَّارة، من شرح شيخِنا المطوَّل على «نخبة الفكر» والموسوم بـ : «**نفائس الدُّرَر على نُخبةِ الفِكَر**»[1] وقد كانت النِّية عازمة على إدخال هذا الشرح المطوَّل ضمن هذه الرِّحلة العِلْميَّة المباركة، ولكن نُزولاً عند رغبة كثير من المُحبِّين والنَّاصِحين، رأينا أن نقتصر على الشرح المختصر الذي يناسب الرِّحلة، ويفسح للمطوَّل مكاناً غيره .

وقد كان من منهج شيخنا حفظه الله تعالى ونفعنا بعلمه، أن يتناول في هذا المتن ما هو بحاجة لتحرير ومزيد عناية لا سيما في النواحي العملية، وتبقى بعض المسائل النظرية المعرفية التي من السهولة بمكان الوقوف عليها ومعرفتها، وليس ثمة ما يضر الجهل بها في قضية الحكم على الحديث، وهذا موافق لمنهج الدورة العلمية المنعقدة في أربعة مجالس .

---

(١) شَرْح شيخنا الموسَّع قيد الإعداد والعناية به وخدمته التي تليق به مع التعليق والتنكيت بعزيز الفوائد والفرائد، ولذا اقتصرت على عدم الإكثار من التعليق في هذا الشرح الوجيز ، وأرجئ هذه لتلك .

وهو ذاته من باب قول من قال : «**من الأبواب ما لو شئنا أن نشرحه حتى يستويَ فيه القوي والضَّعيف لفعلنا، ولكن يجب أن يكون للعالِم مزيَّة بعدنا**»[(١)]

وفيما يلي أسوق لك إسناد شيخنا «للنُّخبة» إلى مصنِّفها الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثم نشرع في المقصود :

❑ ❑ ❑

(١) هو من قول الخليل بن أحمد الفراهيدي، صاحب كتاب «العين» ، وانظر : «شرح المفصَّل» لابن يعيش (١/ ٢)

إسناد الشَّيخ العلَّامةِ
شُعيب الأرنؤوط
إلى نُخبَةِ الفِكَر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخُنا حفظه الله:

أخبرنا الشَّيخ محمد صالح الفَرفُور - إجازة عامَّة -

عن الشَّيخ بدر الدِّين الحسَني

عن الشَّيخ عبد القادر بن صالح الخطيب

عن الشَّيخ عبد الرحمن بن محمد الكُزْبَري

عن أحمد بن عبيد الله العَطَّار

عن إسماعيل بن محمد العَجْلُوني

أخبرنا أبو المواهِب الحنبَلي قراءةً عليه.

عن والده الحُجَّة الثبت عبد الباقي البعلي - **وهذا إسنادٌ مُسلسَلٌ بالدِّمشقِيِّين.**

عن محمد حِجازي الواعظ

عن أحمد بن يَشْبك اليُوسُفي، قال:

أخبرنا زكريا الأنصاريُّ بسماعه لِـ«نُخبةِ الفِكَر» من شيخه مصنِّفها الإمام الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

❑ ❑ ❑



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشيخ :

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى اللهُ على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

بداية أتقدَّم بالشُّكر وجميل العِرْفان لوزارة الأوقاف الكويتيَّة؛ لاستضافتي إلى بلدكم العزيز الطيِّب أهلُه، وأرجو من الله تعالى أنْ يُوفِّقني إلى مقالةِ خيرٍ أقدِّمها إليكم .

إخواني الأكارم :

السُّنة النبويَّة هي المصدر الثاني بعد كتاب الله تعالى، ولقد جاءت آيات كثيرة في وجوب متابعة الرسول ﷺ والأخذ بأقواله وأفعاله وتقريراته، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (الحشر:٧)

وقال أيضاً : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ (النساء: ٨٠)

وآياتٌ كثيرة تبيِّن للمسلم أنه ينبغي أن يعتني بالسنة النبوية المطهرة، ولماذا ؟

لأنَّ الله تعالى قال في كتابه الكريم : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (النحل: ٤٤)

فبيان النبيِّ ﷺ يجب اتخاذه والعمل به؛ لأنَّ الله يقول : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ فالنبيُّ ﷺ مَوكُولٌ إليه أنْ يُفصِّل المجْمَل، ويقيِّد

المطْلَق، ويَخصَّ العام، وقد أوكل الله تعالى إلى نبيِّه ذلك، وهو منه وإليه يُنسب .

مثال ذلك : قوله تعالى : ﴿أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فكيف تُؤدَّى الصلاة ؟

لاشك أنَّ بيانها مَوكلٌ بالنبيِّ ﷺ من قوله، وذلك لَمَّا رأى النبيُّ ﷺ ذلك الرَّجلَ الذي أساء صلاته علَّمه النبيُّ ﷺ بقوله .

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَدَخَلَ رَجُلٌ، فَصَلَّى، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَرَدَّ وَقَالَ: «ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»، فَرَجَعَ يُصَلِّي كَمَا صَلَّى، ثُمَّ جَاءَ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ: «ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ» ثَلاثًا، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أُحْسِنُ غَيْرَهُ، فَعَلِّمْنِي، فَقَالَ: «إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِساً، وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلاَتِكَ كُلِّهَا» (١)

فهذا تعليمٌ قولي لِـمَا أُجمِل في القرآن الكريم من الأمر بإقامَة الصَّلاة .

وأمَّا من فِعْله فحين قال ﷺ : «صَلُّوا كما رَأيتمُوني أُصلِّي» (٢) .

لذا نحن مُضطرُّون إلى السُّنة النبوية الشريفة، وطالب العلم ينبغي له أن يعتني بها عناية كبيرة، ويُميِّز بين الصَّحيح والضَّعيف، وقد أراح المحدِّثون طُلاب العِلْم اليوم فبيَّنوا لهم غالب تلك الأحكام مِن حيث الصِّحة أو الضَّعف، ومن هنا تميَّزت كُتُب الصِّحة، كـ «الصَّحيحين»،

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٧) ومسلم (٣٩٧)

(٢) أخرجه البخاري (٦١٣) من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه

وأخرى فيها الصَّحيح والحَسَن وشيئاً من الضَّعيف، كـ «السُّنن الأربعة» و«مسند الإمام أحمد» ، وهكذا .

فالمهمُّ لطالب العِلْم أنْ يَعتني بالسُّنة النبويَّة ويعرف الصَّحيح من الضعيف أو الموضوع، وهذا عِلْم يأتي بالأيام والسِّنين، لا جملةً واحدة، وقد قال السَّلفُ : من رَام العِلْم جملة، ذهبَ عنه جملة، وأحسنُ مِن هذا قول النبيِّ ﷺ «إنَّما العِلْمُ بالتَّعلُّم»[(١)]

وقال ابنُ مَسعُود رضي الله عنه: إنَّ الرَّجُلَ لاَ يُولَدُ عَالِماً، وَإِنَّما العِلْمُ بِالتَّعلُّم [(٢)]

فالمحدِّثون انْتدَبُوا أنفُسَهم للعناية بِنُصرة الحديث النبويِّ الشريف باعتباره المصدر الثاني بعد كتاب الله تعالى، وتركوا لنا كُتباً كثيرة في الحديث، وفي مُصطلَح الحديث .

فما معنى مُصطلَح الحديث ؟

أي: حين نقرأ الحديث النَّبويَّ باستخدام هذه المُصطلَحات نَستطيع أنْ نعرف من خلالها أنَّ هذا الحديث صحيحٌ أو حسنٌ أو ضَعيفٌ .

وهذه الدَّورة العِلْمية المباركة إن شاء الله مَدخلٌ نحو فَهْم مصطلح الحديث النبوي، وعلم المصطلح علمٌ نظري وعِلْمٌ تطبيقي «عملي»

فالمصطلح النَّظري بالإمكان في هذه الدَّورة أنْ تحصِّله، وتُلمَّ به من حيث العُموم ولكن لن يُؤهِّلك إلى الرُّقي فيه إلَّا بالمصطلح العملي، وممارسته وتحصيله عند الأشياخ وثَنْي الرُّكب عندهم، وهكذا كنتُ منذ خمسين عاماً، تعلَّمتُ النظري، ثُمَّ مارست التطبيق العملي بفضل الله .

---

(١) أخرجه البخاري كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنَّف» (٢٦٦٤٧)

ونصيحتي لكم أنْ لا يحتقرنَّ أحد منكم نفسه في العِلْم، بل ابدأ وستصل بإخلاصك وصدقك مع الله، والعربُ تقول : **وأول الغَيْث قَطرٌ ثم يَنْهمِر**، فالطُّموح هو الذي يدفع صاحبه أن يكون قوياً في العِلْم الذي يريده .

فنُصْحِي للحريصين من طلبة العلم أنْ يُتقِنوا عِلْم المصطلح، ويعتنُوا بالمصادر الثلاثة الهامَّة التي تعينهم في فَهْم هذا العلم في عصرنا :

كتب الشَّيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللهُ، **وكتب الشَّيخ محمَّد** ناصر **الدِّين الألباني** رَحِمَهُ اللهُ، **وكتب الشَّيخ شعيب الأرنؤوط**، ابدأ في العِلْم مُقلِّداً لهؤلاء الشُّيوخ، فهذه سُنَّة الحياة العِلْمية، حتَّى إذا اشتدَّ عُوْدك وتأهَّلْتَ حُقَّ لك الاجتهاد القائم على أُسسٍ علمية صحيحة، فالإنسان لا يحصل له أن ينشأ مجتهداً طفرة واحدة، ولكن يكون بالتَّدرُّج، والموصِلُ لذلك أنْ يطمح المرء بعقله وقلبه وجوارحه وحفظ وقته إلى أن يبلغ ما بلغه العُلماء .

وأحكي لكم حِكاية لطيفة تُثير الطُّموح عندكم :

الشيخ خالد الأزهري رَحِمَهُ اللهُ[1] قَدِم الأزهر ليدرس فيه، وفي كلِّ سنة لا يُوفَّق للنَّجاح ثلاث سنوات متواليات، فقرَّر أنْ يعُود لبلده ويعمل بالزِّراعة، وبينما هو في صحن الأزهر، لفتت نظره نملةٌ صغيرة تَجُرُّ حبَّة قمح، **والمهموم دائماً يُدقِّق في مثل هذه الدَّقائق**، قال : فرأيت هذه النَّملة صَعدت ومعها حبَّة القمح إلى عشِّها، كُلَّما صعدت سقطت، فكرَّرت هذا الصَّنيع تِسعاً وثلاثين مرَّة، وفي الأربعين بلغت مكانها ودخلت.

---

(١) انظر في ترجمته : « الضوء اللامع لأهل القرن التاسع» للسخاوي (١/ ١٧١) و «الكواكب السائرة لأعيان المئة العاشرة» للغزي (٣/ ١٩٠) .

قال : فحدَّثتني نفسي، فقالت : هذه النَّملة بعد تَعب وجَهْدٍ وصلت، وأنا لِمَ لا أرجع إلى الأزهر لعلي أحصِّل وأنجح، فرجع بطموح عالٍ وتفكير وجِدٍّ وإرادة قويَّة، فدرس وجدَّ واجتهد حتَّى صار شيخاً للأزهر، وصنَّف التَّصانيف المفيدة في النَّحو واللغة العربية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١).

فالشَّاهد من هذه الحِكاية أنَّ كلَّ إنسان بمَقدُوره أنْ يُحصِّل العلم، ولكن بطموح وحفظ للوقت، وقد أقسم الله تعالى بالوقت فقال سبحانه : ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾

فينبغي لطالب العلم أن يحرص على الوقت واستغلاله فيما يُقرِّبه مِن ربِّه ومن العلم النَّافع، ويَحذَر كلَّ الحذر من إضاعته، هذه وَصيَّتي لكم، وأسألُ الله تعالى أنْ يُوفِّقنا وإياكم لما فيه خير للإسلام والمسلمين .

❑ ❑ ❑

---

(١) وقد أسند الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ٢٦٢) (١٥٩٥) عن الجُنيد قوله : «ما طلب أحد شيئاً بجدٍّ وصدق إلَّا ناله، فإنْ لـم ينَلْهُ كلَّه نال بعضه»

ثم قال الخطيب : فينبغي للطَّالب أنْ يُخلص في الطلب نيَّته ويُجدِّد للصبر عليه عزيمته، فإذا فعل ذلك كان جديراً أنْ ينال منه بغيته . ثمَّ أسند عن الفضل بن سعيد فقال : كان رجلٌ يطلب العلم فلا يَقدِر عليه، فعزم على تَرْكه، فمرَّ بماء ينحدر من رأس جبل على صخرةٍ قد أثَّر الماءُ فيها فقال: الماءُ على لطافته قد أثَّر في صخرة على كثافتها، واللهِ لأطلبنَّ العلم، فطلب؛ فأَدْرَك .



المجلس الأول

قَالَ الشَّيخُ الإمَامُ العَالِمُ العَلاَّمةُ الرُّحْلَةُ، أبو الفَضْلِ أَحمدُ بنُ عَليٍّ بنِ مُحمَّد بنِ مُحَمَّدٍ العَسْقَلانِيُّ، الشَّهيرُ بـ ابنِ حَجَرٍ [(١)]:

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ عَالِماً قَدِيراً، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي أَرْسَلَهُ إِلَى النَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ التَّصَانِيفَ فِي اصْطِلاَحِ أَهْلِ الحَدِيثِ قَدْ كَثُرَتْ وَبُسِطَتْ وَاخْتُصِرَتْ، فَسَأَلَنِيْ بَعْضُ الإِخْوَانُ أَنْ أُلَخِّصَ لَهُم المُهِمَّ مِنْ ذَلِكَ؛ فَأَجَبْتُهُ إلى سُؤَالِهِ رَجَاءَ الانْدِرَاجِ فِي تِلْكَ المَسَالِكِ، فَأَقُولُ:

الخَبَرُ:

إِمَّا: أَنْ يَكُونَ لَهُ طُرُقٌ بِلا عَدَدٍ مُعَيَّنٍ، أَوْ مَعَ حَصْرٍ بِمَا فَوقَ الاثْنَيْنِ، أَوْ بِهِمَا، أَوْ بِوَاحِدٍ.

فالأَوَّلُ: المُتَواتِرُ المُفِيدُ لِلْعِلْمِ اليَقِينيِّ بِشُرُوطِهِ.

والثَّانِي: المَشْهُورُ، وَهُوَ المُسْتَفِيضُ عَلَى رَأْيٍ.

---

(١) ذكر شيخنا نبذة مقتطفة عن أمير المؤمنين في الحديث الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ في طليعة شرحه الموسع، ولعل الإحالة لأوسع ترجمة له حافلة هي ما كتبه تلميذه الإمام السخاوي رَحِمَهُ اللهُ في «**الجواهر والدرر**» فلتُنظَر، وانظر ما يُستفاد من حياته في شرح شيخنا الموسَّع على النخبة الموسوم: «**نفائس الدرر في شرح نخبة الفكر**».

والثَّالِثُ: العَزِيْزُ، وَلَيْسَ شَرْطاً لِلْصَّحِيحِ خِلافاً لِمَنْ زَعَمَهُ.

وَالرَّابعُ: الغَرِيبُ.

وَكُلُّهَا - سِوَى الأَوَّلِ - آحادٌ، وَفِيهَا المَقْبُولُ وَالمَرْدُودُ؛ لِتَوَقُّفِ الاسْتِدْلالِ بِهَا عَلَى البَحْثِ عَنْ أَحْوَالِ رُوَاتِهَا دُونَ الأَوَّلِ، وَقَدْ يَقَعُ فِيهَا مَا يُفِيدُ العِلْمَ النَّظَرِيَّ بِالقَرَائِنِ عَلَى المُخْتَارِ.

ثُمَّ الغَرَابَةُ إِمَّا: أَنْ تَكُونَ فِي أصلِ السَّنَدِ، أَوْ لا.

فالأَوَّلُ: الفَرْدُ المُطْلَقُ.

والثَّانِي: الفَرْدُ النِّسْبِيُّ، وَيَقِلُّ إطْلاقُ الفَرْدِيَّةِ عَلَيهِ.

وخَبَرُ الآحَادِ: بِنَقْلِ عَدْلٍ تَامِّ الضَّبْطِ، مُتَّصِلَ السَّنَدِ، غَيْرَ مُعَلَّلٍ وَلا شَاذٍّ، هُوَ الصَّحِيحُ لِذَاتِهِ.

الشَّرح:

تقسيم الخبر هذا لجأ إليه الذين يَعرفُون هذا الفنَّ، حتى يتبيَّنُوا أنَّ هذا الخبر جاء من طريق واحد، أو من طريقين، أو رواه عددٌ يستحيل تواطؤهم على الكذب، لذلك كان هذا التقسيم ضرورياً في أول مرحلة؛ لأنه إذا تواتر الخبر وبلغت القناعة عند العالِم أنَّ هؤلاء يستحيل تواطؤهم على الكذب، عند ذلك لا يُنظَر في الإسناد، ولا مانع أن يكون في رجال بعض الأسانيد مَن يُضعَّف، لأن التواتر خبر قد انتشر ويستحيل أن يكون كذباً.

وليس معنى ذلك أنه إذا روى الحديث صحابي واحد أن هذا الحديث لا يصح، فمن لطائف الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه دوَّن في كتابه أول حديث وآخر حديث، وكلاهما غريب من حيث الرواية، فحديث «إنما الأعمال

بالنيات» غريب، تفرَّد بروايته عن رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب، وبقي هكذا في ثلاث طبقات، ثم بعد ذلك انتشر هذا الخبر، لكن التواتر لا يمكن أن يكون إلا في كل الطبقات؛ الصحابة الكرام، والتابعين، ومن بعدهم، إلى آخر السند، فكل طبقة يجب أن يكون فيها العدد الذي يطمئن الباحث أنهم لا يجتمعون على الكذب.

أما إذا تفرَّد راوٍ في إحدى الطبقات فلا يسمى إلا غريباً، وإذا جاء من طريقين يكون عزيزاً، وإذا جاء من ثلاثة طرق فما فوق يكون مشهوراً.

ثم إنَّ التواتر اللفظي قليل جدًّاً، فربما ينطبق فقط على حديث: «من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»، هذا رواه خمسون صحابياً عن رسول الله ﷺ .

لكن التواتر العملي هو الذي ينبغي أنْ يُعمِل المُحدِّث فِكْره فيه، وأن يطمئن إلى النَّصِّ، ويحكم بموجبه الصحة إن شاء الله.

تعريف الحديث الصحيح: هو نقل العَدْل الضَّابط عن مثله، حتى يبلغ به المصطفى ﷺ ، وأن يكون غير شاذٍّ، ولا مُعَلٍّ.

وهو تعريف قصير لكن يدخل فيه معانٍ كثيرةٌ:

أولاً: أن يكون الرواة كلهم عدول.

ثانياً: أن يكون سمع بعضهم بعضاً.

ثالثاً: أن لا يكون فيه شذوذ، أو عِلَّة.

ومعنى الشُّذوذ: أن يخالف الثقةُ الثِّقاتِ، فقد يكون السند صحيحاً والمتن مُنكراً.

مثال ذلك : حديث وائل بن حُجر: رأيته يحرك أصبعه يدعو بها، فهذا رغم أنه قد صحَّحه غير واحد، إلَّا أنه قد تَبيَّنت لي فيه عِلَّة، وهي : أنَّ وائل

ابن حُجْر كلهم رووا عنه أنه كان يُشير بأصبعه، وهناك رواية لعبد الله بن الزبير عند أبي داود[١]: يشير بأصبعه ولا يحركها، فتبيَّن أنَّ أحد عشر راوياً من الثقات الذين اتفق على توثيقهم الحفاظ رووا : «يُشير بها ولا يحرِّكها» مما يدلُّ على أنَّ لفظة «يحركها» ضعيفة وشاذة.

والعِلَّة قد تكون خَفيَّة، ولا سيما في قضية المتن، فالعلماء قديماً وعلى رأسهم عائشة رضي الله عنها لم يكونوا ينظرون إلى السند فحسب، وإنما كانوا ينظرون إلى متن الحديث، فقد حكَمَت عائشة رضي الله عنها على أحاديث رواها الأئمة الثقات بعدم صحتها؛ لأنَّها كانت تُقابل هذا المرويَّ بمرويات أخرى، فيتبَيَّن لها أنَّ في هذا الحديث خطأً وعلةً قادحةً.

مثال ذلك: حديث: «ولد الزنى شرُّ أبويه» أو «شر الثلاثة»[٢] ، فقد قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: لو كان شرَّ أبويه ما كانت أمُّه تبقى إلى أن تلده، يعني إذا كان شر أبويه فلماذا يُستأنى به؟ وكذا قالت عائشة رضي الله عنها .

ومما يردُّ هذا أيضاً فِعلُ رسول الله ﷺ فعندما أراد أن يرجم الغامدية، كانت حُبلى، أمرها رسول الله ﷺ أن تنتظر حتى تلد، ثم حتى ترضع طفلها، إلى أن انتهى من الرضاعة، ثم أتت به وبيده كسرة خبز، بعد ذلك أقام عليها الحد، فما ذنب هذا الولد ليكون شر أبويه؟ ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨]، وحال هذا الطفل يقول :أنا غير مسؤول عن تصرفات والديَّ .

---

(١) في «السُّنن» (٩٨٩) وفيه تمام التعليق عليه هناك فانظره .

(٢) انظر في تخريجه والتعليق عليه: «مسند الإمام أحمد» (٨٠٩٨) .

مثال آخر: حديث: «الوائدة والموءودة في النار»[(١)] ، مع أن الله عَزَّوَجَلَّ يقول في القرآن: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨ – ٩]، لذلك ينبغي أن يكون المحدِّث عالِماً بالفقه وبالحديث وبالتفسير؛ لأنَّ مثل هذه المسائل يحتاج إلى دراستها ليس المحدِّث فقط، لأنَّ أكثر المحدثين رُواة، وإنما مَرْجِع هذه النَّقدات إلى الفقيه المحدِّث.

ثم إنَّ عائشة رضي الله عنها، كانت من هذا الجانب، وقد جمع لها الإمام الزركشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ المسائل والأحاديث التي نقدت فيها كبار الصحابة، وهو كتاب :«الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة »[(٢)] استدركت فيه على عمر، وابن عمر، وأبي هريرة، فالسَّند صحيح، لكن المتن كان باطلاً، وهذا الكتاب جدير بالمطالعة للمُحدِّث والفقيه، غير أنه لا يسلم لكل ما انتقدته عائشة رضي الله عنها، فثمة أحاديث كان الصواب فيها مع غيرها .

وكذلك حديث ابن عباس: أنَّ محمداً رأى ربَّه ليلة الإسراء، فقد تكلَّمت فيه عائشة كلاماً ثقيلاً، قالت: إنما رأى جبريل ولم يَرَ ربَّه، فكان كلام ابن عباس هُو المرجوح، فعائشة تقول في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾[النجم: ١٣ – ١٤] : إن الذي رآه رسول الله ﷺ إنما هو جبريل وليس رب العالمين، ويُؤيِّده حديث مسلم في «الصحيح» من حديث أبي ذر: عندما سأل رسولَ الله ﷺ : هل رأيت ربك؟ قال: «نور أنَّى أراه»[(٣)] .

---

(١) انظر في تخريجه والتعليق عليه: «مسند الإمام أحمد» (١٥٩٢٣) .

(٢) وقد حقَّقه أخونا الفاضل الدكتور محمد بنيامين أَرُولْ، من علماء تركيا، وبمراجعة وإشراف شيخنا .

(٣) في «الصحيح» (١٧٨)

فمثل هذه المسائل العلمية لا يَرْقى إلى نقدها إلَّا النَّبَهة من العلماء، وهم قلائل في كل عصر، لكن ليس بممنوع على الإنسان أن يذكر أن هذا الحديث شاذ، أو أنَّ هناك علة تمنع القول بصحته، إذا كان تأهَّل لهذه المنزلة، فالإسلام قد أعطاك نقداً داخلياً ونقداً خارجياً، وهو دراسة السند وثقة هؤلاء الرواة، ثم تنظر هذا الكلام هل ينطبق على أنه من كلام النبي ﷺ، أو أنه يستحيل؟ لذلك قال العلماء: **إذا رأيت الحديث خالف المعقول أو المنقول أو الحسَّ فهو حديث موضوع وإنْ صحَّ سنده**، صرَّح بذلك كثير من أهل الحديث، ولا يوجد حديث صحيح في ذلك، ومن هنا ألَّف شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابه الفَذّ «درء تعارض العقل والنقل»

لذلك لا ينبغي لطالب العلم أن يستهجن إذا رأى أحد العلماء الكبار يُعِلُّ حديثاً رجاله ثقات، فإنَّ هذا المحدِّث يكون قد اطَّلع على عِلَّة خفيَّة قد خفيت عليك أنت، ثم هذا الحكم قائم على الاجتهاد، ولكن ممن تأهَّل .

❑ ❑ ❑

وتَتَفاوَتُ رُتَبُه بتَفاوُتِ هذِهِ الأَوصَافِ.
ومِنْ ثَمَّ قُدِّمَ صحِيحُ البُخارِيِّ، ثُمَّ مُسلِمٍ، ثُمَّ شَرْطُهُما.

الشَّرْح :

هذا التَّفاوت بحَسْب درجات الصِّحة، فتارة يكون صحيحاً لذاته، وتارة لغيره، وهو الحسن لذاته، وهكذا ، وهذا يعود إلى الرواة وضبطهم، وتبقى المسألة في نظر المحدِّث اجتهادية ، لاسيما في سَبْر مرويات الراوي، وتتبعها .

أمَّا «صحيح البخاري» فهو أصحُّ كتب الحديث قاطبة، ولا يوجد في الدنيا كتاب يفوقه صحة ، يليه بعد ذلك الإمام مسلم في «صحيحه» .

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ مُبيِّناً منزلة أحاديث «الصحيحين»: ومن الصَّحيح ما تلقَّاه بالقَبُول والتَّصديق أهلُ العلم بالحديث كجمهور أحاديث البخاري ومسلم؛ فإنَّ جميع أهل العلم بالحديث يجزمون بصحة جمهور أحاديث الكِتَابين وسائر الناس تَبعٌ لهم في معرفة الحديث، فإجماع أهل العلم بالحديث على أنَّ هذا الخبر صِدْق، كإجماع الفُقهاء على أنَّ هذا الفعل حلالٌ أو حرامٌ أو واجبٌ، وإذا أجمع أهل العلم على شيء فسائرُ الأمة تبعٌ لهم؛ فإجماعهم معصومٌ لا يجوز أنْ يُجمِعوا على خطأ[1].

وقال أيضاً: وأمَّا ما اتَّفق العلماء على صحَّته فهو مثل ما اتَّفق عليه العلماء في الأحكام، وهذا لا يكون إلَّا صدقاً، وجمهور متون «الصَّحيح» من هذا

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٨ / ١٧)

الضَّرْب وعامة هذه المتون تكون مَرْوية عن النبيِّ ﷺ من عدَّة وجوه رواها هذا الصاحب وهذا الصاحب من غير أن يَتواطآ، ومثل هذا يُوجب العلم القطعي[١].

هذا ، وقد خرج مؤخَّراً أناسٌ يَتطفَّلون على هذا العِلْم يقولون: يوجد في «صحيح البخاري» أحاديث مُنتقدة، فهذا الكلام لا يجوز أن يقوله إنسان لا يَعرِف من علم الحديث شيئاً، وقد جاء رجل إلى عبد الغني المقدسي رَحِمَهُ اللهُ صاحب «الإكمال» من أعيان القرن السادس الهجري، فقال له: لقد حلفت بالطلاق أنه لا يوجد حديث ضعيف في «البخاري»، فقال له: ما طَلَقُت زوجتك؛ لأنَّ البخاري رَحِمَهُ اللهُ ما أودع في كتابه إلا الأحاديث التي يعتقد صحتها، ولذلك تلقَّت الأمة بالقبول «صحيحي البخاري ومسلم».

وبعض العلماء الكبار الذين بلغوا مرحلة علمية ليس وراءها مرحلة هم الذين ينتقدون، والانتقادات في الواقع أغلبها مما لا يصح، ويظلُّ الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ جبل الحفظ وإمام الدُّنيا[٢].

❑ ❑ ❑

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٨ / ٢٢)

(٢) ثمَّة جُهودٌ مباركة من أهل العلم للدِّفاع عن أحاديث «الصَّحيحين» قديماً وحديثاً، ومن خير من تناول هذه المسألة من غير شروح «الصَّحيح»: «تأويل مختلف الحديث» لابن قتيبة رَحِمَهُ اللهُ، و«الأنوار الكاشفة» للمعلِّمي اليماني رَحِمَهُ اللهُ، و «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي » للسِّباعي رَحِمَهُ اللهُ، و «مكانة الصحيحين» د. خليل إبراهيم ملا خاطر، و «أحاديث العقيدة التي يُوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين» د. سليمان الدبيخي، و «أحاديث العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين» د. سليمان الدبيخي، و« الأحاديث المنتقدَمة في الصحيحين» للشيخ مصطفى باحو.

وما أروعَ ما قاله الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ : **اتفق العلماء على أنَّ أصحَّ الكتب بعد القرآن العزيز «الصحيحان» البخاري ومسلم، وتلقَّتها الأُمة بالقَبُول، وكتاب البخاري أصحُّها وأكثرهما فوائدُ ومعارفُ، ظاهرةً وغامضة** . «شرح النووي على مسلم» (١/ ١٤)

فَإِنْ خَفَّ الضَّبْطُ فالحسَنُ لِذَاتِهِ، وبِكَثْرَةِ طُرُقِهِ يُصَحَّحُ.

الشَّـرْح :

مسألة الحديث الحسن هذه يَتبارى فيها المُحدِّثون، فالصحيح واضح، والضعيف واضح، لكنَّ الحديث الحسن وهو مرتبة بين هذا وذاك، ولذلك كثير من العلماء يتفاوتون في مسألة الحسن لذاته أو لغيره، وهذا أمر سائغ؛ لأنه يقوم على الاجتهاد، وبقَدْر عِلْم وسَعة ومَلَكَة المحدِّث يكون حكمه أقرب للصِّحة.

فالحسن هو الذي تَوافَرت فيه شروط الصّحة، ولكن دون المرتبة التي توافرت في الصَّحيح، **وخاصة في مسألة الضبط .**

وهنا لا ينبغي لطالب الحديث أن يذهب إلى كتاب الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ «تقريب التهذيب» وينظر في هذا الراوي، فيجد مثلاً أنه صدوق ونحوه، ثمَّ يعتمده كحكم قاطع عليه، بل ينبغي أن ينظر في الكتب الكبار ويُحقِّق البحث في هذا الرَّاوي، ويتوسَّع أكثر، ويقارن ويدرس أقوال النُّقاد في الراوي؛ **لأن المسألة دين وعبادة،** وليس بالتَّشهِّي، وقد صنعتُ شيئاً كثيراً في كتابنا «تحرير التقريب»، واستدركتُ فيه على الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ، وظهر لنا أن الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ ربما أخطأ في ذلك، وهذا ما أدَّاه إلينا اجتهادنا ، **وقد يأتي من هو أهلٌ لذلك ويستدرك علينا، ولا مانع من هذا؛ لأنَّ في هذا المسلك صيانة للعلم، ولكن يجب أن يكون مُؤَهَّلاً عِلْمياً حتى تكون لديه القدرة العلمية على النَّقد، وإلَّا ففاقِد الشيء لا يُعطيه .**

لذا لا بُدَّ لطالب العلم إذا رأى عالماً حسَّن حديثاً أنْ لا يعترض، ولكن يبحث وينظر إن كان أهلاً للبحث والنظر .

والطريقة المُثلى التي ينبغي أن يصنعها طالب العلم: أن هذا الراوي الذي قيل فيه «حسن» ينبغي عليه أن يَسبُر أحاديثه كلها، ثم يدرسها رواية رواية؛ ليرى هل وافقه أحد من المحدثين؟ أو خالفه، وذلك لمعرفة نسبة الأحاديث التي وافق فيها الثقات إلى ما يستنكر عليه، فهذه هي **الطريقة** العملية في ذلك.

ومن أراد أن يعرف الطريقة العَمليَّة في تصحيح الحديث وتضعيفه فليقرأ ـ وإن كان مُطوَّلاً ـ «مسند الإمام أحمد» والتحقيق الذي قام عليه، فهو مدرسة لذلك، وأرجو الله أن يكون مُفيداً، فهو يُعالج هذه القضايا معالجة جيدة، وهذا غاية جهدنا .

❑ ❑ ❑

فإنْ جُمِعا فلِلتَّرَدُّدِ في النَّاقِلِ حيثُ التَّفَرُّدُ، وإلَّا فباعتِبارِ إسنادَيْنِ.

وزِيادَةُ راوِيهِما مقْبُولَةٌ ما لَمْ تَقَعْ مُنافِيةً لِمَنْ هُوَ أَوْثَقُ.

فإنْ خُولِفَ بأَرْجَحَ فالرَّاجِحُ المحفُوظُ، ومُقَابِلُهُ الشَّاذُّ، ومَعَ الضَّعْفِ فالرَّاجِحُ المعرُوفُ، ومُقابِلُهُ المنكَرُ.

الشَّرح :

هذه مسألة هامة جداً، وهي **زيادة الثقات**، فالمُتقدِّمون لم يكونوا يقبلون كلَّ زيادة ويُضيفُونها إلى الأصل، فقد وُجِدَت زيادات اعتبرها المُحدِّثون الكبار أنها مما تُضاف إلى الحديث، ووُجدت زيادات رُفضت، وقد تكلَّم كثيرٌ من العلماء عن هذه الزيادات، وأنا أنصح طالب العلم في أول طريقه في علم الحديث أن لا يُقدِم على هذا، بأنْ يقول : هذه الزيادة مقبولة، أو غير مقبولة؛ لأنَّ هذه المسألة مَزلَّة أقدام، فأنت بمجرَّد أنْ تقرأ في المصطلح أنَّ زيادة الثقات مقبولة ـ كما جرى عليه الحاكم في «المستدرك»، وأمثاله من المتأخرين ـ لا يجوز أنْ تحكم مباشرة على الإطلاق؛ لأنَّ هذه الزيادة ربما تكون من عالِم قد أخطأ في الحديث.

وأحسنُ من يبحث في هذه الزِّيادات هم الفُقهاء؛ لأنهم يَضطرُّون إلى مثل هذه الزيادات، ولذلك يَتعمَّقون في دراستها حتى يصلوا إلى بُغيتهم، فالفقيه يكون مُحقَّاً عندما يرفض الزِّيادة.

وأضرب مثالاً على ذلك : ففي حديث عبد الله بن مسعود ﷺ في الخروج من الصلاة، فبعد أنْ ذكر التشهد قال : إذا قلتَ هذا، فقد قضيت صلاتك.[(١)]

ويُفهَم منه : أنه لا يشترط السلام في الصلاة، فبإمكانك أن تخرج من الصلاة بدونه، وفي هذا قال العلماء: إنَّ هذا من رأي ابن مسعود ﷺ وليس من كلام النبيِّ ﷺ؛[(٢)] لأنَّ النبي ﷺ يقول: «تحريمها التكبير، وتحليلها التسليم»[(٣)].

❑ ❑ ❑

(١) أخرجه أبو داود (٩٧٠)، و أحمد في «المسند» (٤٠٠٦) وهو صحيح، وانظر فيه تمام تنقيده.

(٢) قال ابن حبان في «صحيحه» (٥/ ٢٩٣) (١٩٦٢) : ذِكْرُ البيان بأن قوله : «فإذا قلت هذا فقد قضيت ما عليك» إنما هو قول ابن مسعود، ليس من كلام النبي ﷺ أدرجه زهير في الخبر.

(٣) أخرجه أبو داود (٦١) و (٦١٨) ، والترمذي (٣)، وابن ماجه (٢٧٥)، وأحمد في «المسند» (١٠٠٦) وهو صحيح لغيره .

ومن أحسن الكتب المؤلَّفة في زيادة الثقات، «زيادة الثقات وموقف المُحدِّثين والفقهاء منها دراسة نقدية موازنة» للدكتور نور الله شوكت بيكر، وهي رسالة علمية قيمة، فلتُنظر للفائدة.

والفَرْدُ النِّسْبِيُّ: إِنْ وافَقَهُ غَيرُهُ فهُوَ المتَابِعُ.
وإِنْ وُجِدَ مَتْنٌ يُشْبِهُهُ فهُو الشَّاهِدُ.
وتَتبُّعُ الطُّرُقِ لذلِكَ هُو الاعتِبارُ.

الشَّرْح :

هنا ثلاث مصطلحات: الاعتبار، الشاهد، الطريق الآخر.

فالاعتبار: هو عملية البحث، فأنا اعتبرت حديث هذا الراوي، ووجدتُ فيه طريقاً آخر، فهذا يتقوَّى بالطريق الآخر إذا كان في مَرْتبته.

وأمَّا الشَّاهد: يعني أنَّ هذا الصحابي روى هذا الحديث، وفي سنده ضعفٌ، لكن جاء من طريق صحابي آخر ما يَشهد له، ولا يشترط أن يكون بلفظه، وإنَّما بمعناه، فعند ذلك يَصير حسناً لغيره.

والإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ يستخدم هذا كثيراً، وقد نصَّ في كتابه «العِلَل» على هذا، فإذا كانت رواية ضعيفة في السند، ولكن بحث هذا العالِم فوجد طريقاً أخرى في مرتبتها أو أعلى، فإنه يجمع بين الرِّوايتين، فيتقوَّى بعضهما بالآخر، ومن هنا كان الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ يُكثر في خاتمة كل باب بقوله : وفي الباب : عن فلان، وفلان ، وفلان .

وهذه شواهد للحديث، تشهد له ولكنها من طريق صحابي آخر، وعادة الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ أن يسوق هذه الشواهد من باب التقوية، وكما يقال: ضعيفان يغلبان قوياً، وهذا أسلوب لا يحسنه إلا المُتمرِّس في هذا الفن.

❑ ❑ ❑



المجلس الثاني

قالَ الشَّيخُ الإمامُ الحافِظُ ابن حَجَرٍ العَسْقَلانِيُّ::

ثُمَّ المقبُولُ: إنْ سَلِمَ مِنَ المُعارَضَةِ فَهُوَ المُحْكَمُ ، وإِنْ عُورِضَ بمِثْلِه، فإِنْ أمكَنَ الجَمْعُ فَهو مُختَلِفُ الحدِيثِ، أَوْ ثبَتَ المُتأخِّرُ فَهُوَ النَّاسِخُ، وَالآخِرُ المَنْسُوخُ، وإلَّا فالتَّرْجِيحُ، ثُمَّ التَّوَقُّفُ.

ثُمَّ المَرْدُودُ: إمَّا أنْ يَكُونَ: لِسَقطٍ، أوْ طَعْنٍ.

فالسَّقطُ إمَّا أَنْ يَكُونَ: مِنْ مَبَادِئِ السَّنَدِ مِنْ مُصَنِّفٍ، أو مِنْ آخِرِه بَعْدَ التَّابِعِيِّ، أوْ غيْرِ ذَلِكَ.

فالأَوَّلُ: المُعَلَّقُ.

والثَّانِي: المُرْسَلُ.

والثَّالِثُ: إنْ كانَ باثْنَينِ فصَاعِداً مَعَ التَّوالِي فَهُوَ المُعْضَلُ، وإلَّا فالمُنْقَطِعُ.

ثُمَّ قَدْ يكُونُ واضِحاً، أَوْ خَفِياً.

فالأَوَّل: يُدْرَكُ بِعَدَمِ التَّلاقِي، ومِنْ ثَمَّ احْتِيجَ إلى التَّأرِيخِ.

والثَّانِي: المُدَلَّسُ، ويَرِدُ بِصِيغَةٍ تَحْتمِلُ اللُّقِيَّ؛ كـ(عَنْ، وقال)، وكَذَا المُرْسِلُ الخَفِيُّ مِنْ مُعاصِرٍ لَمْ يَلْقَه.

ثم الطَّعْنُ إمَّا أنْ يَكُونَ: لِكَذِبِ الرَّاوِيْ، أَوْ تُهمَتِهِ بِذَلِكَ، أَوْ فُحْشِ غَلَطِهِ، أَوْ غَفْلَتِهِ، أَوْ فِسْقِهِ، أَوْ وَهَمِهِ ، أَوْ مُخالَفَتِهِ، أَوْ جَهَالَتِهِ، أَوْ بِدْعَتِهِ، أَوْ سُوءِ حِفْظِهِ.

فالأَوَّلُ: الموْضُوعُ.

وَالثَّانِي: المتْرُوكُ.

والثَّالِثُ: المُنْكَرُ - عَلَى رَأْيٍ -.

وكَذَا الرَّابِعُ، وَالخَامِسُ.

ثُمَّ الوَهَمُ إِنْ اطُّلِعَ عَلَيْهِ بِالقَرَائِنِ وَجَمْعِ الطُّرُقِ: فَالْمُعَلَّلُ.

ثُمَّ المُخَالَفَةُ إنْ كَانَتْ بِتَغْيِيرِ السِّيَاقِ: فَمُدْرَجُ الإسْنَادِ.

أوْ بِدَمْجِ مَوقُوفٍ بِمَرْفُوعٍ: فَمُدْرَجُ المَتْنِ.

أَوْ بتَقْدِيْمٍ أَوْ تَأْخِيرٍ: فَالمقْلُوبُ.

أَوْ بِزِيَادَةِ رَاوٍ: فَالْمَزِيدُ في مُتَّصِلِ الأَسَانِيدِ.

أَوْ بِإِبْدَالِه وَلا مُرَجِّحَ: فَالْمُضْطَرِبُ، وَقَدْ يَقَعُ الإِبْدَالُ عَمْداً امْتِحَاناً.

أوْ بِتَغْيِيرِ حُرُوفٍ مَعَ بَقَاءِ السِّيَاقِ: فَالمُصَحَّفُ والمُحَرَّفُ.

ولا يَجُوزُ تَعَمُّدُ تَغْيِيرِ المتْنِ بِالنَّقصِ والمُرَادِفِ إلا لِعَالِمٍ بِمَا يُحِيلُ المعَانى، فَإِنْ خَفِيَ المعْنَى احْتِيْجَ إِلَى شَرْحِ «الغَرِيبِ»، وبَيَانِ «المُشْكِلِ».

ثُمَّ الجهَالَةُ، وسَبَبُهَا: أَنَّ الرَّاوِيَ قَدْ تَكْثُرُ نُعُوتُهُ فَيُذْكَرُ بِغَيْرِ مَا اشْتَهَرَ بِهِ لِغَرَضٍ، وَصَنَّفُوا فِيهِ «المُوْضِحَ».

وَقَدْ يَكُونُ مُقِلاًّ فَلا يَكْثُرُ الأَخْذُ عَنْهُ وَفِيهِ «الوُحْدَانَ»، أَوْ لا يُسَمَّى اخْتِصَاراً وَفِيهِ «المُبْهَمَاتُ».

وَلَا يُقْبَلُ المُبْهَمُ وَلَو أُبْهِمَ بِلَفْظِ التَّعْدِيلِ عَلَى الأَصَحِّ، فَإِنْ سُمِّيَ وَانْفَرَدَ وَاحِدٌ عَنْهُ: فَمَجْهُولُ العَيْنِ. أَوْ اثْنَانِ فَصَاعِداً وَلَمْ يُوَثَّقْ: فَمَجْهُولُ الحالِ، وَهُوَ المسْتُورُ».

❑ ❑ ❑

ثُمَّ المقبُولُ: إنْ سَلِمَ مِنَ المُعَارَضَةِ فَهُوَ المُحْكَمُ ، وإِنْ عُورِضَ بمِثْلِه، فإِنْ أمكَنَ الجَمْعُ فَهو مُختَلِفُ الحدِيثِ، أَوْ ثَبَتَ المُتَأَخِّرُ فَهُوَ النَّاسِخُ، وَالآخِرُ المَنْسُوخُ، وإِلَّا فالتَّرْجِيحُ، ثُمَّ التَّوَقُّفُ.

الشَّرْح :

الحديث المقبول : هنا في هذا الاصطلاح: هو الحديث الثابت بإسناد صحيح عن رسول الله ﷺ، وليس المقبول في مصطلح الحديث عند أهل الجرح التعديل.

فإذا ثَبَت إسناد الحديث، وسَلِم من المُعارضة، عند ذلك يجب أن نُسمِّيَ هذا من المُحْكَمات، ونأخذ به، ونعمل بمضمُونه، ونتفَقَّه به، ونَستنبطَ منه الأحكام، إذا كانت عندنا القُدْرة التي تُتِيح لنا ذلك.

أمَّا المردود: فهو الذي لم يصح سنده بسبب ضَعْفٍ، وهذا الضعف ليس يُجبَر بطُرق أخرى، أو يشهد له حديث آخر، فهو ضعيف، ونحن لا نأخذ بالحديث الضعيف في الأحكام الشرعية، وهذا مُتَّفق عليه بين العلماء، أما فكرة الأخذ بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال، فقد نشأت في زمن الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأمثاله، وهذا الفِكْرة لم تكُن عند المُتقدِّمين، فقد كان عندهم إمَّا صَحيحٌ أو ضَعيفٌ، وقد كانوا يَترخَّصُون في الأحاديث التي لا يَنْبَني عليها حُكْمٌ شرعي، أمَّا إذا ترتَّب على الحديث حُكْم شرعي فما كانوا يأخذون به إذا كان ضعيفاً.

أمَّا الذين قالوا بالأخذ بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال، فاشترطوا لذلك شُروطاً:

أولاً: أن لا يكون موضوعاً أو شديد الضَّعف أو شديد النَّكارة.

ثانياً: أن لا يعتقد عند العمل به ثُبوتَه.

ثالثاً: أن يدخل تحت أصل عام من أصول الشريعة الإسلامية.

رابعاً: أن لا يُخالف حديثاً صحيحاً.

أما نحن فيكفينا من حديث رسول الله ﷺ ما صحَّ، ونحن في غِنًى عن الضعيف.

ومعنى قوله: «مُحْكَم»: أي أنه يجب العَمل به.(١)

أما الأحاديث المتعارضة فأول من ألَّف فيها هو الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «مختلف الحديث»، وقد تكلَّم كثيرٌ من الفقهاء في أثناء بحوثهم الفقهية، وممن أفرد هذا النَّوع من التصنيف عالمٌ كبير وهو الإمام الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو مِن الأئمة الذين امتثلوا رأي الإمام أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ،

---

(١) قال شيخنا هنا مُعلِّقاً على هذه النقطة مستطرداً: لكن طالب العلم يجب عليه أن يبحث عن هذا الحديث الصحيح هل له معارض أو نحو ذلك، وذلك بالاعتماد على جهود العلماء الذين سبقوه، فطالب العلم الذي ما زال في طور التقليد لا ينبغي لنفسه أن يقحمها في مثل هذه المضائق، وعليه أن ينقل أقوال العلماء حتى تصير عنده الأهلية التي تتيح له أن يجزم هو بصحة الحديث أو ضعفه.

وكذلك في الفقه الإسلامي لا ينبغي للإنسان أن يُنصِّب نفسه مُفتياً، ولم يستوف الشروط التي لا بُدَّ له أنْ يتمثَّلها حتى يتمكَّن من الفُتيا، وصارت عنده مَلَكة علميَّة في الباب الذي يسير فيه، فالنبي ﷺ علمنا أن نقول ما نعلم، ولذلك كان التقليد مرحلة لا بد أن يجتازها الإنسان.

وابنُ اللَّبونِ إذا ما لُزَّ في قَرَنٍ لم يَستطع صَولةَ الغُزْل القَنَاعِيصِ

ففي باب التدرج يبدأ الإنسان مقلداً في مذهب من المذاهب، ثم بعد ذلك يقرأ الأمور الخلافية التي جاءت بين أهل المذاهب الأربعة، فإذا صار عنده أهلية رجَّح عن علم وبيِّنة.

وقد صنع الإمام ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتباً تعين على هذا التدرج في الفقه، فألَّف «العمدة» وذكر فيها الراجح من مذهب أحمد، ثم ألَّف كتاب «المقنع» وذكر فيها الروايات في مذهب أحمد، وهي مجردة عن الدليل، ثم لما ألَّف كتاب «الكافي» ذكر هذه الروايات وذكر دليل كل رواية، ثم ألَّف كتاب «المغني» وجعله للمجتهدين، ولذلك قال العز بن عبد السلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما ارتاحت نفسي إلى الفُتيا حتى اقتنيت كتاب «المغني» لابن قدامة.

فألَّف كتابه «شرح مشكل الآثار»[1]، وهذه الآثار يبدو لك لأول وَهْلة أنها متعارضة، ولكن العالِم يستطيع أن يجمع بين هذين الحديثين بوجه من وجوه التَّرجيح، فيُرجِّح هذا، أو يعطي معنى لهذا الحديث ومعنًى ثانٍ للحديث الآخر بحيث لا يَتضادَّان، مثل حديث «لا يُورِدَنَّ مُمرِضٌ على مُصِحٍّ» فهذا يرويه البخاري في «الصحيح»[2]، والحديث الثاني يرويه البخاري أيضاً وهو: «لا عَدْوى ولا طِيَرة ولا هَامَة، وفِرَّ مِن المَجذُوم فِرَارك من الأسد»[3] فهما حديثان صحيحان.

والجمع بينهما: أنَّ حديث «لا عَدْوى» أنَّ العَدْوى نفاها رسول الله ﷺ هنا، وأثبتها في مكان آخر، فهناك عدوى تنتقل من إنسان إلى آخر، وهناك أمراض لا تنتقل، فالنبيُّ ﷺ عندما نفى: «لا عدوى» يعني أنَّ الأمراض لا تُعدِي إلَّا القليل النادر، والقليل النادر عبَّر عنه النبي ﷺ بقوله: «فِرَّ من المجذوم فرارك من الأسد»، لذلك قال الإمام الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ : هذه العدوى التي قال فيها النبي ﷺ : «لا عدوى»، إنَّما تكون في الأمراض غير المُعدِية.

فالتَّعارض ربما يكون في ذِهْنك، ولكن في الحقيقة عندما تأتي تجمع بين الحديثين ، ولديك أَهلِيَّة، فالله سبحانه وتعالى يُوفقك لذلك، ويفتح عليه من علمه.

وقد يَرِدُ مثل هذا في القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾ [الشورى: ٥٢]، وقال أيضاً: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، فجمع العلماء بأنَّ الهداية الحقيقية هي لله

---

(١) وقد طبع بتحقيق شيخنا في ستة عشر مجلداً.

(٢) في «الصحيح» (٥٧٧٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) في «الصحيح» (٥٧٠٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

سبحانه، أمَّا النبي ﷺ فإنه يدلُّها الناس، ولا يوصلها إلى قلوبهم؛ لأنَّ إيصالها هو لله وحده، وهذا معروف في التفريق بين دلالة الإرشاد، ودلالة التوفيق.

والتَّعارضُ لا يمكن أن يكُونَ بين حَدِيثٍ صحيح، وبين حديث صحيح آخر، ولكن ربَّما يكون أحدهما صحيحاً والآخر ضعيفاً، ونحو ذلك، وكما قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : النَّقل الصَّحِيح لا يمكن أن يأتي بمخالفة للعَقْل.

فلا يمكن للنبيِّ ﷺ أن يُحدِّث الناس بأشياء مُشكِلة، وإنَّما الإشكال يأتي منَّا، فنحن الذين نقع في سُوءِ فَهْمِنا، أو عدم وصولنا إلى المنزلة التي تُخوِّلنا أن نقوم بمثل هذا.

لذلك كان مثل هذا البحث العلمي يَتطلَّب من الإنسان أن يكون عَارِفاً باللغة العربية، والقرآن والسُّنة، والحديث صحيحه وضعيفه، فلا يجوز للإنسان أن يُقدِم على مثل هذا إلَّا بعد أن يُتقِن هذه الأمور.

وكذلك بَحثَ العلماءُ في النَّاسخ والمنسوخ من الآثار، فالنبي ﷺ في أول الأمر كان يأمر بالوُضُوء مما مَسَّت النار، ثُمَّ في آخر أمره كان لا يتوضَّأ من ذلك[1]، فنَسَخَ هذا الأمر بالوضوء مما مَسَّت النار، ولم يبق من هذا

---

(١) فيه حديث جابر رضي الله عنه : فعن سعيد بن الحارث، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سأله عن الوضوء مما مسَّت النار ، فقال: لا، قد كُنَّا زمان النبي ﷺ لا نجد مثل ذلك من الطعام إلا قليلاً فإذا نحن وجدناه لم يكن لنا مناديل إلَّا أكفنا وسواعدنا وأقدامنا ثم نُصلِّي ولا نتوضأ . أخرجه البخاري (٥٤٥٧)

وعند أبي داود (١٩٢) بلفظ : كان آخر الأمرين من رسول الله ﷺ ترك الوضوء مما مسَّت النار.

وفيه أيضاً حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ أكل كتف شاة ثم صلى ولم يتوضأ. أخرجه مسلم(٣٥٤) .

الحكم إلَّا حكمٌ واحدٌ، وهو أنَّه إذا أكل الإنسان لحم جَزُور فليتوضَّأ، وهذا أخذ به الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ على سبيل الوُجُوب، وأما بَقيَّة الأئمة الثلاثة فقالوا: إنَّ ذلك على سبيل النَّدْب؛ لأنَّ لحم الجمل فيه دُسُومة وشيء من الرَّائحة، والله أعلم[(١)].

وقد ألَّف الإمام الحازمي رَحِمَهُ اللَّهُ ـ وهو من رجالات القرن السادس ـ كتاباً سماه «الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار» وهو كتاب جيِّد في بابه يدلُّ على اطلاع واسع وعلم نافع.

ثم إنَّ العالِم لا يصير إلى النَّسخ إلَّا إذا تعذَّر التوفيق أو الترجيح، والنسخ قليل في القرآن، وأظن أنه لم يَسْلَم للذين يقولون: إنَّ ثلاثة أرباع القرآن مَنسوخٌ إلَّا مواضع يسيرة جداً؛ لأن النبي ﷺكان يُخصِّص ما جاء في القرآن الكريم، ويُفصِّل، ويقيِّد، فيظنُّه البعض نسخاً وهو ليس بذاك.

وأضرب مثالاً : فعندما قال الله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠]، فالنبي ﷺ بيَّن أن ما تيسَّر منه هو الفاتحة، ولذلك قال: «لا صلاةَ لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»[(٢)].

أما الترجيح، فإنه يكون حينما يَرِدُ في بعض الأحيان نصٌّ عامٌّ، مع ثبوت نصٍّ آخر عن النبيِّ ﷺ يخصُّ به هذا العامَّ، وحينها فإنه يُصار إلى الترجيح، فنُرجِّح الخاص على العامِّ، وهذه مسائل منثورة في كتب التفسير والأصول، فتُطلب في مظانِّها.

❑ ❑ ❑

---

(١) انظر : «بداية المجتهد» لابن رشد رَحِمَهُ اللَّهُ (١/ ٤٦) ، و«الشرح الممتع» لشيخنا الفقيه ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ (١/ ٢٩٨) .

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٦)، ومسلم (٣٩٤) من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثُمَّ المَرْدُودُ: إمَّا أنْ يَكُونَ: لِسَقطٍ، أوْ طَعْنٍ.

فالسَّقطُ إمَّا أَنْ يَكُونَ: مِنْ مَبَادِئِ السَّنَدِ مِنْ مُصَنِّفٍ، أو مِنْ آخِرِه بَعْدَ التَّابِعِيِّ، أوْ غَيْرِ ذَلِكَ.

فالأَوَّلُ: المُعَلَّقُ.

والثَّانِي: المُرْسَلُ.

والثَّالِثُ: إنْ كانَ باثْنَيْنِ فصَاعِداً مَعَ التَّوَالِي فَهُوَ المُعْضَلُ، وإلَّا فالمُنْقَطِعُ.

الشَّرح :

نَصَّ الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أنَّ المردود إمَّا أن يكون لسقط في السَّنَد، فإذا أردتُ أنْ أدرس الحديث وأعلم أنَّه صحيح أو ضعيف، فيجب عليَّ أولاً أنَّ أدرس كلَّ راوٍ لهذا الحديث، وأعلم مَرْتبته من التوثيق أو التضعيف، فإذا كان أحد من هؤلاء الرواة ضعيفاً فعند ذلك يسقط الاحتجاج بهذا الحديث، إلَّا أنْ يكون له شاهِدٌ أو مُتابع، وإذا كانوا كلُّهم ثقات، ولكن كان بين راوٍ وراوٍ مفاوز بحيث لا يَصحُّ أن يروي هذا عن ذاك، كأنْ يكون ما أدركه، فهذا نسميه **مُنقطِعاً**.

وهذا المنقطع إذا كان قد سقط من إسناده راوٍ واحد فيُسمَّى مُنقطِعاً، وإذا سقط منه اثنان على التَّوالي يسمى مُعْضَلاً، وإذا سقط أكثر من ذلك يسمى مُعلَّقاً .

والمراد بالتَّعليق: ما حُذف من مُبتدأ إسناده واحد فأكثر ولو إلى آخر الإسناد.

والتَّعليق في «صحيح البخاري»: أن يَحذف من أول الإسناد رجلاً فصاعداً، مُعبِّراً بصيغة لا تقتضي التَّصريح بالسَّماع، مثل: قال، ورَوَى، وزاد، وذَكَر، أو يُروى، ويُذكر، ويقال، وما أشبه ذلك من صيغ الجزم والتَّمريض[1].

وقد أكثر الإمام البُخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من إيراد التَّعليقات في تراجم الكتاب، فقد أحصاها الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ فبلغت ألفاً وثلاث مئة وواحداً وأربعين، وأكثرُها مُخرَّج في أصول مُتونه، والتي لم يُخرِّجها مئة وستون حديثاً، وَصَلَها الحافظ ابنُ حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تأليف مستقلٍّ سمَّاه «التَّوفيق في وصل التعليق»، وفيه من المتابعات والتَّنبيه على اختلاف الرِّوايات ثلاث مئة وواحد وأربعون حديثاً[2].

ولقد تنوَّعت أغراضُ الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من إيراد التَّعليقات، فتارةً يُورِدُ المُعلَّق لبيان معنًى في ترجمة الباب، وتارةً لبيان سماعٍ لراوٍ تُكلِّم في سماعه من شيخه، وغير ذلك من الفوائد الإسنادية، وتارةً لاستحسانه سياقَ المتن من جهة الطريق الذي يعلِّقه، وتارةً أخرى لبيان الخلاف في الحكم الشرعي المذكور في الترجمة، وتارةً يورد الحديث مُعلَّقاً تجنُّباً للتكرار، إذ من قاعدته أنه لا يُكرِّر إلَّا لفائدة، فإذا اشتمل المتن على أحكام واحتاج البُخاريُّ إلى تكراره، فإنه يتصرَّف بالإسناد بالاختصار خشية التطويل.

وتنقسم المُعلَّقات إلى قسمين:

أحدهما: ما وصله البخاريُّ نفسه في موضع آخر من «الصحيح» بالسَّند

---

(١) انظر: «تغليق التعليق» لابن حجر (٢/ ٧-٨).

(٢) «هدي الساري» (٤٦٩)

نفسه أو من طريقٍ آخر بمعنى المتن المعلَّق، وهذا هو الأكثر الغالب من هذه المُعلَّقات، وإنَّما علَّقها البخاريُّ للأسباب التي ذكرناها آنفاً.

والقسم الآخر: ما لم يصله البخاري في «الصحيح» ولم يُوجَد في الكتاب إلَّا مُعلَّقاً، وهذا القسم ربما ذكره البخاري بصيغة الجزم، وربما ذكره بصيغة التَّمريض.

ولا يخلو هذا القسم أن يقع فيه ما هو صحيح وما هو دونه على تفصيلٍ في ذلك ليس هذا مكانه [1].

وقد ألَّف الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ كتاباً سمَّاه «تغليق التعليق» وهو من أحسن الكتُب في بيان الأحاديث المُعلَّقة، فقد وصَلَ فيه كلَّ الأحاديث المُعلَّقة في «صحيح البخاري»، ولم تكن سِنُّه رَحِمَهُ اللَّهُ عندما خرَّج هذه المُعلَّقات لا تزيد على ثمانية عشر أو عشرين عاماً.

ومن أنواع الحديث الضعيف: المُرْسَل، ومعناه: أنْ يقول التَّابعي: قال رسول الله ﷺ، والسَّاقط من السند ربما يكون أكثر من راوٍ، ربما يكون صحابياً، وربما يكون صحابياً وتابعياً أو أكثر.

وهنا لا بُدَّ أنْ نقف وقفة؛ فالإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ لا يقبل الحديث المرسَل عن التابعيِّ، ويقول عنه: ضعيف؛ لجهالة الواسطة بينه وبين الرسول ﷺ.

---

(١) **ومن عادات الإمام البخاري** رَحِمَهُ اللَّهُ: إيراد المُعلَّقات، وله في إيرادها أغراضٌ ومقاصدُ، كالاستشهاد والتَّقوية، أو بيان اختلاف وغير ذلك، وقد يُخلِي كثيراً من الأبواب عن الحديث المُسنَد، ويكتفي بالمعلَّق لنُكتة يراها، وفائدة بديعة استنبطها بفهمه الثاقب.

وانظر في عادات الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ ما دوَّنه وجمعه والد شيخنا المحدِّث عبد الحق الهاشمي المكيّ في رسالته: «عادات الإمام البخاري في صحيحه» تحقيق الشيخ المفضال محمد بن ناصر العجمي، وهو فصلٌ نفيس من كتاب الشيخ الهاشمي «قمر الأقمار الطَّالع من مشارق الأنوار».

وأمَّا الأئمة مالك، وأبو حنيفة، وأحمد، فيحتجُّون بالمرسل، ولكن بشروط:

أولاً: أن يكون المرسِل ثقة، وكذا المرسَل عنه.

ثانياً: أن لايوجد لهذا الحديث المرسَل حديث مسنَد يضادُّه، لذلك كان من أصول الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ - وكذلك مالك وأبي حنيفة رحمهما الله - أنه إذا كان لا يوجد في المسألة حديث مسنَد، وَوُجِد حديث مرسَل رجاله كلُّهم ثقات، فإنهم يأخذون به ويعتبرونه حُجَّة في هذا الباب.

وقد أَلَّف أبو داود صاحب «السُّنن» كتاباً اسمه: «المراسيل»[١]، ذكر فيه ما يزيد على خمس مئة حديث مرسَل عن النبي ﷺ منها ما وُجد له سند متصل، ومنها ما لم يوجد.

ورواية المرسَل كرواية المجهول، لكن يبدو أنَّ المُحدِّثين القدامى اعتنوا بالحديث المرسل عندما لا يكون في الباب مثله؛ لأنهم كانوا يقتنعون بأنَّ التابعين الكبار لا يُرسلون الحديث إلَّا وهم مُطمئنُّون إلى صحته.

أمَّا الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ فلم يقتنع بهذه الفكرة، ولم يقبل المرسل، لكن قال: إذا اعتضد بمرسَل مثله، أو بفتوى أهل العلم، أو باتفاق الأئمة المجتهدين ونحو ذلك[٢].

أما المُعْضَل: فهو ما سقط من سنده اثنان على التوالي، فإنَّهم يُسمُّونه حديثاً مُعْضَلاً.

---

(١) طبع بتحقيق شيخنا حفظه الله، وطالع في الحديث عنه في ثبت تحقيقاته.

(٢) وطالع المقدمة العلمية النفيسة حول المرسل والاحتجاج به فيما كتبه شيخنا حفظه الله في طليعة تحقيقه «للمراسيل»

وحُكْمه : أنه ضعيف ولا نَأخذ به؛ لأَنَّنا دائماً نحكم على الحديث الذي فيه انقطاع بالضَّعف، سواء كان الانقطاع بسبب سقوط رجلٍ واحد من الإسناد، أو رَجُلين وهو الإعْضَال، وهو من أقسام الحديث الضعيف .

❑ ❑ ❑

ثُمَّ قَدْ يكُونُ واضِحاً، أَوْ خَفِياً.

فالأَوَّل: يُدْرَكُ بِعَدَمِ التَّلاَقِي، ومِنْ ثَمَّ احْتِيجَ إلى التَّأرِيخ.

والثَّانِي: المُدَلَّسُ، ويَرِدُ بِصِيغَةٍ تَحْتمِلُ اللُّقِيِّ؛ كـ(عَنْ، وقال)، وكَذَا المُرْسِلُ الخَفِيُّ مِنْ مُعَاصِرٍ لَمْ يَلْقَه.

الشَّرْح :

على من يريد أن يبلغ مرتبة التصحيح والتضعيف، أنْ يَعرف أنَّ هؤلاء الرُّواة الذين يَسوقُون هذا الحديث، قدصحَّ عنده أنَّ كل واحدٍ منهم قد سمعه.

وصِيَغ السَّماع: حدَّثنا، وأخبرنا، وسمعتُ، فإذا ارتابَ فإنَّه يرجع إلى التاريخ وكتب الجرح والتعديل وكتب التراجم، فينظر تاريخ ولادته وتاريخ وفاته، وتاريخ ولادة الرَّواي عنه، فإذا كانت وفاة الراوي سنة خمسين ومئة مثلاً، والرَّواي عنه وُلد سنة ستين ومئة، فهذا ما أدركه قطعاً، لذلك نقول: فيه انقطاع، فنضعِّف الحديث بسببه.

أما المُدلِّسون في علم الحديث فهم قلائل، وقد جمعهم الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ في كتاب وجعلهم في طبقات، اسماه «طبقات المُدلِّسين».

ولا شك أنَّ المُدلِّس يرتكب خطأً؛ لأنَّه يَرْوِي عن شيخه حديثاً لم يسمعه منه، ولكن يستعمل صيغةً مُوهِمة بأنَّه سمعه منه، ولكن لا يقول: حدَّثني؛ لأنه إذا قال هذه الكلمة فهو كاذبٌ؛ يُرفَض حديثه للضعف وليس للتدليس، أمَّا إذا قال: عن فلان، فهو تَدْليس.

مثاله : الإمام الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يُدْرِك الصحابة، فإذا روى الرِّواية من طريق تابعي عن صحابي، فَبِها ونعمت؛ لأنه يُحمل على أنه مُتصلٌّ، لكن إذا روى الحديث عن صحابي، فيكون الحسن قد دلَّسه، أي : لم يَذكر الواسطة بين الصَّحابي وبينه.

وحكم حديث المدلِّس : أنَّه إذا صرَّح بالتحديث فإننا نقبل حديثه، أمَّا إذا جاء بصيغة (عن) فلا نقبل حديثه.

فمثلاً : محمد بن إسحاق صاحب «السِّيرة» ثقة، لكنه كان يُدلِّس، فإذا لم يُصرَّح بالتحديث فلا نقبل حديثه، وأمَّا إذا صرَّح بالتحديث ـ ولو في مصدر آخر ـ بأيِّ صيغة من صِيَغ السَّماع أو التَّحديث فإننا نقبل حديثه؛ لأنه ثقة ولا يكذب، وبيَّن لك أنَّ هذا الحديث مما سمعه.

ومن أساليب التَّدليس : أنْ يَذكر الرَّاوي المروي عنه، ولكنَّه لا يذكره باسمه الذي يُعرف به، وإنما يذكره بأوصاف تَلْتَبِس على السَّامع، فلا يظنه ذاك الضَّعيف الذي يقصده، ومن كان يفعل ذلك فإنَّ روايته تسقط ولا تُقبل.

أمَّا الإرسال الخفي: فصورته أنْ يَرْوي رجلٌ حديثاً عن رجل مُعاصر له، لكن لم يثبت اللقاء بينهما، كأنْ يكون أحدهما في بغداد، والآخر في الشام، ولم يثبت أن الاثنين التقيا في مكان، فهذا يُسمى إرسالاً خَفياً[1].

ويذهب الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أنه إذا كان الاثنان ثقتين، فإنه تكفي عنده المُعاصرة، أمَّا الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ فلا يكتفي بالمعاصرة، وإنما

(١) ومن أحسن من بحث باب (المرسل الخفي) ما كتبه الدكتور حاتم العوني في كتاب الفريد : «المرسل الخفي وعلاقته بالتدليس، دراسة نظرية تطبيقية على مرويات الحسن البصري » في أربع مجلدات . فليُنظر .

يشترط في الثقتين المُتعاصِرين أنْ يأتيَ ولو نصٌّ واحد يفيد بأنَّه قد صرَّح فيه بالسَّماع، وقد رجَّح كثيرٌ من العلماء رأي الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ.

وهذا كلُّه في الحديث المُعَنْعَن، أمَّا إذا كان بصيغة حدَّثنا أو أخبرنا أو سمعتُ، فلا يُبحث في المعاصرة حينئذٍ؛ لأنَّ الراوي ثقة لا يكذب.

❑ ❑ ❑

ثم الطَّعْنُ إمَّا أنْ يَكُونَ: لِكَذِبِ الرَّاوِيْ، أَوْ تُهمَتِهِ بِذَلِكَ، أَوْ فُحْشِ غَلَطِهِ، أَوْ غَفْلَتِهِ، أَوْ فِسْقِهِ، أَوْ وَهَمِهِ ، أَوْ مُخالَفَتِهِ، أَوْ جَهَالَتِهِ، أَوْ بِدْعَتِهِ، أَوْ سُوءِ حِفْظِهِ.

فالأَوَّلُ: الموْضُوعُ.

وَالثَّانِي: المتْرُوكُ.

والثَّالِثُ: المُنْكَرُ-عَلَى رَأْيٍ..

الشَّرح :

الآن بدأنا في المسائل العملية التي ينبغي لطالب العلم أنْ يَقرأ تراجم هؤلاء الرُّواة، وكثيرٌ من أهل العلم أَلَّفوا في ذلك، منهم الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ، أَلَّف كتابه «تقريب التهذيب» الذي ذكر فيه درجات الرُّواة، وكذلك الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ أَلَّف كتاباً اسمه: «الكاشف»، وآخر سمَّاه: «ميزان الاعتدال» وغيرها، فلا بدَّ لك أن تعرف حال هذا الرَّاوي، من حيث كونه ثقة، أو مقبولاً، أو مجهولاً، كذاباً، منكر الحديث .. إلخ

وألفاظ التَّعديل والتجريح هذه ثَابتةٌ بصِحَّة النقل عن الأئمة الكبار الذين مارسوا هذا الفَنَّ وعالجوه.

ثم بعد الاطلاع على كتب الجرح والتعديل وأقوال أهل هذا الفن في راوٍ معيَّن، عند ذلك تُرجِّح الشيء الذي يطمئن إليه عقلك وترتاح له مدعِّماً ذلك بالبراهين الصحيحة، لا لمجرد المذهب والهوى، فإنَّ المسألة دين، وسوف تُسأل عن ذلك يوم القيامة، وفي هذه العملية لا بُدَّ من تقليد الكتب المختصة في ذلك بداية، مثل: «تقريب التهذيب» للحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ،

و«خلاصة الكمال» للخزرجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، و«تهذيب الكمال» للمِزِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، و«تهذيب التهذيب» لابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، و«تذهيب التهذيب» للذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

لكن بعد أن يمارس طالب العلم دوره فترة طويلة فيعلم المصطلح، ويصير هذا العلم بالنسبة له مَلَكَة، عند ذلك سوف يُقارِن بين هذه الرِّوايات، ويختار ما هو الصواب.

فإذا وجدتَ حديثاً في سنده من اتُّهِم بالكذب، أو بفُحْش الغَلط، أو مُتَّهم في دينه، فهذا لا ينفع فيه أن تبحث له على شواهد أو متابعات؛ لأنَّ أغلب من ثبت كذبه نقول عن حديثه إنه حديثٌ موضوعٌ، مكذُوبٌ.

أمَّا **المتروك** فهو الذي أطبق العلماء على أنه غير ثقة، فهذا لا يُقبَل في الشواهد ولا في المتابعات، فالكذَّاب لو جاء من طريقه مئة رواية، فإنها لا ترفع من قَدْره، ويبقى حديثه كَذِباً، وروايته ساقطة .

وكذلك فاحش الغلط الذي يغلب خَطؤُه على صوابه، كما يقول الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فهذا غير ثقة، لا نأخذ به ولا نقبله، يقول الإمام الشافعي: من كثر صوابه وقلَّ خطؤة فهو ثقة، ومن كثر خطؤه وقلَّ صوابه فهو ضعيف لا نقبل به.

❑ ❑ ❑

ثُمَّ الوَهَمُ إِنْ اطُّلِعَ عَلَيْهِ بِالقَرَائِنِ وَجَمْعِ الطُّرُقِ: فَالْمُعَلَّلُ.
ثُمَّ المُخَالَفَةُ إِنْ كَانَتْ بِتَغْيِيرِ السِّيَاقِ: فَمُدْرَجُ الإِسْنَادِ.
أو بِدَمْجِ مَوقُوفٍ بِمَرْفُوعٍ: فَمُدْرَجُ المَتْنِ.
أَو بتَقْدِيمٍ أَوْ تَأْخِيرٍ: فَالمقْلُوبُ.

الشَّرْح :

هناك أحاديث اشتهرت بين الناس وليس لها أصل، مثل: «اتَّق شرَّ من أحسنت إليه» فهذا جاء من المجتمعات السَّاقطة التي أصبحت تتلوَّث بأخلاقها غير المتزنة، فأنت المسلم لا تنتظر من الناس أن يقدِّموا لك المكافأة على عمل تقوم به.

وكذلك حديث: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها» فهو من الأحاديث الموضوعة؛ والتي اختلقتها الرافضة؛ لأن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم كلهم أبواب لرسول الله ﷺ، وهناك من هو أعلم من علي رضي الله عنه كالشَّيخين أبي بكر وعُمر، ومعاذ بن جبل، وعبد الله بن مسعود وغيرهم، فهذا الحديث مكذوب وضعته الرافضة، فلا يلتفت إليه البتة.

وكذلك حديث: «ولد الزنى شرُّ الثلاثة» فما ذنبه حتى يكون شرَّ الثلاثة؟! وقد سبق بيانه.

وهناك أحاديث موضوعة كثيرة، من أراد أن يطلع عليها فليرجع إلى كتاب «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للعلامة الشوكاني رحمه الله، وأجود منه كتاب العلَّامة ابن القيِّم رحمه الله «المنار المنيف في الصحيح والضعيف» ففيه تحريرات جيدة .

❑ ❑ ❑

أَوْ بِزِيَادَةِ رَاوٍ: فَالْمَزِيدُ فِي مُتَّصِلِ الأَسَانِيدِ.

الشَّرح :

المزيد في متصل الأسانيد: هو أنْ يَأتي راوٍ بين رَاويين، سَمِع الأولُ من الثاني، فهذا الرَّاوي الذي أتى بينهما هو زيادة في متصل الأسانيد.

ويُعرف ذلك بالتاريخ، وهو قليل الوُرود غير مستفيض.

والذي يُبيِّن ذلك أنَّ الرَّاوي يَرْوي الحديث مرَّةً عن راوٍ ، عن شيخه، ومرَّة يرويه عن شيخه مباشرة بإسقاط الواسطة بينهما.

مثاله : أخرج الإمامُ البُخاريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديثاً فقال : حدَّثنا قيسُ بنُ حَفْصٍ، حدَّثنا عبدُ الواحِدِ، حدَّثنا الحسنُ بنُ عَمرٍو، حدَّثنا مجاهدٌ، عن عبدِ الله بنِ عَمرٍو رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ قال: «مَن قتلَ مُعاهَداً لم يَرَحْ رائحةَ الجنَّةِ، وإنَّ رِيحَها تُوجَدُ من مَسِيرةِ أربعينَ عاماً»[١].

وذات الحديث أخرجه الإمام أحمد[٢] فقال : حدَّثنا إسماعيلُ بن محمَّد ـ يعني أبا إبراهيم المُعقِّب ـ حدَّثنا مروان، حدثنا الحسَن بن عمرو الفُقَيْمِي، عن مجاهد، **عن جنادة بن أبي أمية**، عن عبد الله بن عمرو ، به .

ففي سند الإمام البخاريِّ رأيتَ أنَّ مجاهداً روى الحديث عن عبد الله ابن عمرو مباشرة، في حين جاء في سند الإمام أحمد أنَّ مجاهداً روى عن شيخه، وهو جنادة بن أمية، عن ابن عمرو .

❑ ❑ ❑

(١) في «الصحيح» (٣١٦٦)

(٢) في «المسند» (٦٧٤٥)

أَوْ بِإِبْدَالِهِ وَلا مُرَجِّحَ: فَالْمُضْطَرِبُ، وَقَدْ يَقَعُ الإِبْدَالُ عَمْداً امْتِحَاناً.
أَوْ بِتَغْيِيرِ حُرُوفٍ مَعَ بَقَاءِ السِّيَاقِ: فَالمُصَحَّفُ والمُحَرَّفُ.

الشَّرْح :

هنا عندنا قضيتان :

المُضطَرب، والتَّصحِيف والتَّحرِيف.

أمَّا المضطرب: فهو ذاك الحديث الذي يُرْوى على أوجه مختلفة، يُتعذَّر الجمع بينها ، وهذا قَيدٌ مهم، فليس كلُّ حديث رُوِي على أوجه مختلفة يُعدُّ مُضطرِباً .

ولهذا قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ : «**ولا مُرجِّح**»، فيُفهم من هذا أنَّ المضطرب هو ما تساوى فيه حديثان باختلاف رواته، فيرويه الأول على وجه، ويرويه الثاني على وجه مغاير، ولا يمكن الجمع بينهما ، فهذا المضطرب، وهو من أقسام الضعيف، وسبب ضعفه أنَّه فيه إشارة لضعف رَاوِيْهِ، فلم يضبط الرِّواية، ومن هنا حَكم عليه المُحدِّثون بالضَّعْف .

ومعرفة الاضطراب مهمَّة جداً للمُحدِّث، وليس يقدر عليه إلَّا المُتضلِّع في الحديث وفنونه ممن طالت ممارسته لعلم الحديث وتتبُّع طرقه.

وهو على أنواع: فقد يأتي الاضطراب في السند، وتارة يأتي في المتن، أو بهما معاً .[1]

---

(١) ينظر للتَّوسع في باب المضطرب : «المقترب في بيان المضطرب : تعريفه ، قواعده، أمثلته، والرجال الموصوفون بالاضطراب» لأحمد بازمول .

أما التَّصحيف والتَّحريف :

فالتصحيف : أن يخالف الرَّاوي الرُّواة في النطق بتغيير في النقط، فيكون قد صحَّف، فتكون صورة الكلمة واحدة، ولكنه خالف في النقط، مثل : جميل، أو حميل . وهكذا .

والتحريف : أن يخالف الرَّاوي الرواة في النطق بتغيير في الشكل، فيكون قد حرَّف، فتبقى الكلمة واحدة، ولكن المخالفة وقعت في التشكيل أو في الضبط، مثل : سَليم ، أو سُليم وهكذا .

وهما يقعان في الإسناد، وفي المتن ، وهو مشهور معروف لمن يُمارس صنعة التحقيق .

ويقع هذا من المُحدِّث إذا كان لا يُتقِن اللغة العَربية، وقد ذكر الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ في ذلك قصة طريفة، ذكر فيها حديث النبي ﷺ : «نهى عن الحِلَق يوم الجمعة»، فردَّ عليه رجل فقال: الحديث «نهى عن الحَلْق يوم الجمعة» يعني حَلْقَ الرأس، فبيَّن له الخطابي أن هذا تحريف، وصوابه «الحِلَق» ومعناه: نهى عن التحلُّق يوم الجمعة، أي أن يجلسوا حلقات حلقات، فقال له الرجل: منذ أربعين سنة وأنا لا أحلق شعري يوم الجمعة، فارتكب هذا الخطأ بسبب هذا التحريف، لذلك ينبغي لمن يتعاطى علم الحديث أن يتعلم العربية ويتقنها، لغةً وإعراباً.

وبعض أهل الحديث يجعل التصحيف والتحريف من بابة واحدة.

وينظر في ذلك : «تصحيفات المحدِّثين» للعسكري، وغيره.

❑ ❑ ❑

ولا يَجُوزُ تَعَمُّدُ تَغْيِيرِ المتْنِ بِالنَّقصِ والمُرَادِفِ إلا لِعَالِمٍ بِمَا يُحِيلُ المعَانَى، فَإِنْ خَفِيَ المعْنَى احْتِيْجَ إِلَى شَرْحِ «الغَرِيبِ»، وبَيَانِ «الـمُشْكِلِ».

ثُمَّ الجهَالَةُ، وسَببُهَا: أَنَّ الرَّاوِيَ قَدْ تَكْثُرُ نُعُوتُهُ فَيُذْكَرُ بِغَيْرِ مَا اشْتَهَرَ بِهِ لِغَرَضٍ، وَصَنَّفُوا فِيهِ «المُوْضِحَ».

وَقَدْ يَكُونُ مُقِلاًّ فَلا يَكْثُرُ الأَخْذُ عَنْهُ وَفِيهِ «الوُحْدَانَ»، أَوْ لا يُسَمَّى اخْتِصَاراً وَفِيهِ «المُبْهَماتُ».

وَلَا يُقْبَلُ المُبْهَمُ وَلَو أُبْهِمَ بِلَفْظِ التَّعْدِيلِ عَلَى الأَصَحِّ، فَإِنْ سُمِّيَ وَانْفَرَدَ وَاحِدٌ عَنْهُ: فَمَجْهُولُ العَيْنِ. أَوْ اثْنَانِ فَصَاعِداً وَلَمْ يُوَثَّقْ: فَمَجْهُولُ الحالِ، وَهُوَ المسْتُورُ».

الشَـرح :

هنا تأتي مسألة مهمة وهي الجهالة، والمراد جهالة الراوي، وهي على قسمين:

الأول : مجهول العين، يعني لا يعرفه إلَّا واحدٌ .

والثاني : مجهول الحال، وهو من روى عنه اثنان، ولكن لم يُذكَر بجرح ولا تعديل.

فإذا كان في السند رجلٌ مجهول العين، فقد أجمع العلماء على أن الحديث ضعيف.

وأما إذا كان مجهول الحال، فإنَّ العلماء قديماً كانوا إذا روى عنه اثنان ولم يأت بما يُنكَر، فإنهم يُحسِّنون حديثه، وقد وُجِد في «صحيح البخاري» رجالٌ احتُجَّ بهم، ولم يَرِدْ فيهم تَوثيقٌ.

فالإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ يقول في غير موضع : إذا رَوى عن الراوي أكثر من ثلاثة أو أربعة، وكان معروف بالرِّواية ولم يأت بما يُستنكَر عليه، فحديثه صحيح.

أمَّا إذا كان لم يَرْوِ عنه إلَّا راوٍ واحدٌ، فهو مجهول، نردُّ حديثه ولا نقبله. وهذا البحث يطول، فمن أراد التَّوسع في هذا الباب فليراجع «ميزان الاعتدال» للإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد نصَّ على ذلك في ترجمة مالك بن الخير الزيادي[1].

---

(١) قال الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في «الميزان» (٤/ ٧ ط: الرسالة العالمية) تعليقاً على قول ابن القَطَّان في مالك : هو ممن لم تَثبُتْ عدالتُه .

قال ـ الذهبي ـ: يريد أنه ما نَصَّ أحدٌ على أنه ثقة ، وفي رواة « الصحيحين» عددٌ كثير ما عَلِمْنا أن أحداً نصَّ على توثيقهم ، والجمهورُ على أنَّ مَن كان من المشايخ قد روى عنه جماعة ، ولم يأتِ بما يُنكر عليه أن حديثَه صحيحٌ .اهـ

وقد أوضح هذا الأمر أكثر شيخنا في تعليقه على مقدمة تحقيقه «للمسند» (١/ ١٤٠) فقال : وقد تعقبه الحافظ ابن حجر فيما نقله عنه السخاوي في « فتح المغيث » (١ / ٢٩٦) بقوله : ما نسبه للجمهور لم يصرِّح به أحد من أئمة النقد إلا ابن حبان ، نعم هو حق فيمن كان مشهوراً بطلب الحديث والانتساب إليه .

قلنا : وفي تعقُّبه هذا نظر ، فإنه ليس في كلام الإمام الذهبي ما يشير إلى تنصيص الجمهور على هذه القاعدة ، وإنما يُفهم منه أنه رَحِمَهُ اللَّهُ قد استنبط هذه القاعدة من جملة أحاديث صححها الجمهور ، وفي أسانيدها رواة لم يُؤثر توثيقهم عن أحد ، والحافظ نفسه رَحِمَهُ اللَّهُ مع تعقُّبه للذهبي يَتَّبع هذه القاعدة ، ويحكم بمقتضاها على أحاديث غير قليلة بالصحة أو الحسن كما هو معلوم لكل من ينظر في تخريجاته .

والإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ رجل عظيم في باب الجرح والتعديل، حتى إن الحافظ ابن حجر عندما ذهب إلى مكة وشرب من ماء زمزم وسأل الله أن يجعله في حفظ الرجال ومعرفتهم وتعديلهم مثل حفظ الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

إذ له نَقَدات وتعقُّبات غاية في النَّفاسة والجودة، جاءت بعد طول نظر وخبرة وسعة علم وتفكير، وإنِّي أنصح طلبة الحديث بالعناية بكتب هذا الإمام في علوم الحديث والسِّير وغيرها .

❑ ❑ ❑

المجلس الثالث

قالَ الشَّيخُ الإمَامُ الحَافِظُ ابنِ حَجَرِ العَسْقَلانِيُّ :

ثُمَّ البِدْعَةُ إمَّا: بِمُكَفِّرٍ، أَوْ بِمُفَسِّق.

فالأَوَّلُ: لا يَقْبَلُ صَاحِبَهَا الجُمْهُور.

والثَّانِي: يُقْبَلُ مَنْ لَمْ يَكُنْ دَاعِيةً في الأَصَحِّ، إلَّا إنْ رَوَى ما يُقَوِّي بِدْعَتَهُ فَيُردُّ على المختَار، وبِهِ صَرَّحَ الجُوْزَجَانِيُّ شَيْخُ النَّسَائِيّ.

ثُمَّ سُوءُ الحِفْظِ إنْ كانَ لازِماً: فالشَّاذُّ ـ على رَأْيٍ ـ، أَوْ طَارِئاً: فالمُخْتَلِط.

ومَتَى تُوبِعَ سَيِّئُ الحِفْظِ بِمُعْتَبَر، وكَذَا المسْتُورُ، والمُرْسَلُ والمُدَلَّسُ صَارَ حَدِيثُهُم حَسَناً لا لِذَاتِه؛ بَلْ بِالمجْمُوع.

ثُمَّ الإِسْنَادُ إمَّا أَنْ يَنتَهِيَ إلى النَّبِيِّ ﷺ تَصْرِيحاً أَو حُكْماً؛ مِنْ قَوْلِهِ، أَوْ فِعْلِهِ، أَوْ تَقْرِيرِه.

أَو إلى الصَّحَابِيِّ كذَلِكَ: وَهُوَ مَنْ لَقيَ النَّبِيَّ ﷺ مُؤْمِناً بِهِ وَمَاتَ على الإِسْلام، وَلَوْ تَخَلَّلَتْ رِدَّةٌ في الأَصَحّ.

أَو إلى التَّابِعِيِّ: وَهُوَ مَنْ لَقِيَ الصَّحَابِيَّ كذَلِك.

فالأَوَّلُ: المرفُوعُ.

والثَّانِي: الموقُوفُ.

والثَّالِثُ: المقطُوعُ، وَمَنْ دُونَ التَّابِعِيِّ فِيهِ مِثْلُه.

ويُقَالُ لِلأَخِيرَيْن: الأَثَرُ.

والمُسْنَدُ: مَرْفُوعُ صَحَابِيٍّ بِسَنَدٍ ظَاهِرُهُ الاتِّصَال.

فَإِنْ قَلَّ عَدَدُهُ فَإِمَّا أَنْ يَنتَهِيَ إلى النَّبِيِّ ﷺ

أَوْ إلى إِمَامٍ ذِيْ صِفَةٍ عَلِيَّةٍ كَـ: شُعْبَةَ.

فالأَوَّلُ: العُلُوُّ المُطْلَق.

والثَّانِي: العُلُوُّ النِّسْبِيّ، وفِيهِ المُوَافَقَةُ: وَهِيَ الوُصُولُ إلى شَيْخِ أَحَدِ المُصَنِّفِينَ مِنْ غَيْرِ طَرِيقِه.

والبَدَلُ: وهو الوُصُولُ إلى شَيخِ شَيْخِهِ كذَلِك.

والمُسَاوَاةُ: وَهِيَ اسْتِوَاءُ عَدَدِ الإِسْنَادِ مِنَ الرَّاوِي إلى آخِرِهِ مَعَ إِسْنَادِ أَحَدِ المصَنِّفِين.

والمُصَافَحَةُ: وهِيَ الاسْتِوَاءُ مَعَ تِلْمِيذِ ذلِكَ المُصَنِّف.

ويُقَابِلُ العُلُوَّ بِأَقْسَامِه: النُّزُول.

فَإِنْ تَشَارَكَ الرَّاوِي وَمَنْ رَوَى عَنْهُ في السِّنِّ أو في اللُّقِيِّ فَهُوَ: الأَقْرَان.

وإِنْ رَوَى كُلٌّ مِنْهُما عَنِ الآخَر: فالمُدَبَّج.

وإِنْ رَوَى عَمَّنْ دُونَه: فالأَكَابِرُ عَنِ الأَصَاغِر، وَمِنْهُ الآبَاءُ عَنِ الأَبْنَاءِ، وَفي عَكْسِهِ كَثْرَة، ومِنْهُ مَنْ رَوَى عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ.

وإِنِ اشْتَرَكَ اثْنَانِ عَنْ شَيْخٍ وتَقَدَّمَ مَوْتُ أَحَدِهِمَا فَهُوَ: السَّابِقُ وَاللاحِق.

وإِنْ رَوَى عَنِ اثْنَيْنِ مُتَّفِقَي الاسْمِ وَلَمْ يَتَمَيَّزَا، فَباخْتِصَاصِهِ بِأَحَدِهِمَا يَتبيَّنُ المُهْمَل.

وإِنْ جَحَدَ الشيخُ مَرْوِيَّهُ جَزْماً رُدَّ، أو احْتِمالاً قُبِلَ في الأَصَحِّ، وفيهِ: مَنْ حَدَّثَ ونَسِي.

وإِنِ اتَّفَقَ الرُّوَاةُ في صِيَغِ الأَدَاءِ أَو غَيْرِهَا مِنَ الحَالاتِ، فَهُوَ: المُسَلْسَل.

وصِيَغُ الأَدَاء: سَمِعْتُ وحَدَّثني، ثُمَّ أَخْبَرنِي، وقَرأْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قُرِئَ عَلَيْهِ وأَنا أَسْمَع، ثُمَّ أَنبأَنِي، ثَمَّ نَاوَلَنِي، ثَمَّ شَافَهَنِي، ثُمَّ كَتَبَ إليَّ، ثُمَّ «عَنْ» ونَحْوها.

فالأَوَّلانِ لِمَنْ سَمِعَ وَحْدَهُ مِنْ لَفْظِ الشَّيْخ، فَإِنْ جَمَعَ فَمَعَ غَيْرِه، وأَوَّلُها أَصْرَحُها وأَرْفعُها في الإِمْلاء.

والثَّالِثُ والرَّابعُ: لِمَنْ قَرأَ بِنَفْسِه. فإِنْ جَمَعَ: فَهُوَ كالخامِسِ.

والإِنْبَاءُ بِمَعْنَى الإِخْبَار، إِلَّا فِي عُرْفِ المُتَأَخِّرِينَ فَهُوَ لِلإِجَازَةِ كَ «عَنْ».

وعَنْعَنَةُ المُعَاصِرِ مَحْمُولَةٌ عَلَى السَّمَاعِ إِلَّا مِنَ المُدَلِّسِ، وَقِيلَ: يُشْتَرَطُ ثُبُوتُ لِقَائِهِما ولَو مَرَّةً، وهُوَ المُخْتَار.

وأَطْلَقُوا المُشَافَهَةَ في الإِجَازَةِ المُتَلَفَّظِ بِها، والمُكَاتَبَةَ في الإِجَازَةِ المكْتُوبِ بِها.

واشْتَرَطُوا في صِحَّةِ المُنَاوَلَةِ اقترانَها بِالإِذْنِ بِالرِّوايَةِ، وهِيَ أَرْفَعُ أَنوَاعُ الإِجَازَة.

وكَذَا اشْتَرَطُوا الإِذْنَ في الوِجَادَة، والوَصِيَّةِ بِالكِتَاب، وَالإِعْلام، وإِلَّا فَلا عِبْرَةَ بِذَلِك، كَالإِجَازَةِ العَامَّةِ، وَلِلْمَجْهُولِ وَالمَعْدُومِ عَلَى الأَصَحِّ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ.

ثُمَّ الرُّوَاةُ: إِنِ اتَّفَقَتْ أَسْماؤُهُم وأَسْماءُ آبائِهِم فَصَاعِداً، واخْتَلَفَتْ أَشْخَاصُهُم، فَهُوَ المُتَّفِقُ والمُفْتَرِق.

وإِنِ اتَّفَقَتِ الأَسْماءُ خَطّاً واختَلَفَتْ نُطْقاً فهُوَ المُؤْتَلِفُ والمُخْتَلِف.

وإنِ اتَّفَقَتِ الأَسْماءُ وَاخْتَلَفَتِ الآباءُ، أَو بِالعَكْسِ فهُوَ المُتشابِهُ، وكَذَا إنْ وَقَعَ ذَلِكَ الاتِّفَاقُ في اسم واسمِ أبٍ والاخْتِلافُ في النِّسْبةِ، ويُرَكَّبُ مِنْهُ ومِمَّا قَبْلهُ أَنوَاع؛ مِنْهَا: أَنْ يَحْصُلَ الاتِّفَاقُ أَو الاشْتِبَاهُ إِلَّا في حَرْفٍ أَو حَرْفَينِ، أَو بِالتَّقْدِيمِ والتَّأْخِيرِ، وَنَحْو ذَلِك ».

❑ ❑ ❑

ثُمَّ البِدْعَةُ إمَّا: بِمُكَفِّرٍ، أَوْ بِمُفَسِّق.

فالأَوَّلُ: لا يَقْبَلُ صَاحِبَهَا الجُمْهُور.

والثَّانِي: يُقْبَلُ مَنْ لَمْ يَكُنْ دَاعِيَةً في الأَصَحِّ، إلَّا إنْ رَوَى ما يُقَوِّي بِدْعَتَهُ فَيُرَدُّ على المختَار، وبِهِ صَرَّحَ الجُوْزَجَانِيُّ شَيْخُ النَّسَائِيّ.

الشَّرْح :

هذه مسألة شائكة، فمفهوم البدعة المُكفِّرة يختلف فيها بين عالم وآخر، فقضية التكفير لا بُدَّ للإنسان أن ينظر فيها نظرة صحيحة أو عميقة، حتى لا يُخرج إنساناً عن الإيمان وينقله عن المِلَّة، ويُبطل كل أعماله، لذلك قال الحُذَّاق من المُحدِّثين في البدعة التي تكفِّر الإنسان: ينبغي أن يكون هذا التكفير مستنداً إلى إنكار ما هو مَعلومٌ من الدِّين بالضرورة.

لكن لو قال أشياء لا تكفِّر ولا تُخرج من الإسلام ـ لكن بعض الناس يعتبر هذا القول كفراً ـ فهذا لا يُردُّ حديثه عند الحُذَّاق، لأن أهل الحديث يقولون ـ على مذهب السلف الصحيح ـ : الله في السماء، وهي مسألة العلو، وكثير من المتأخرين ينكرون هذا ويقولون: هذا حَدَّ اللهَ سبحانه وتعالى، والتحديد كُفْر، فهذا التكفير ليس بلازم، فالتكفير باللازم ليس بلازم؛ لأن الذي يقول: الله في السماء، يقول: ولكنه مستغنٍ عن السماء، فهو في العلوِّ المطلق، وله سبحانه كل أنواع العلو، فلا يجوز لك أن تكفِّره أو أن تلغي كل العلوم التي تأخذها عنه، أو الأحاديث التي يرويها لك، لأجل هذه القولة التي تخالفه أنت فيها، هذه نصيحتي لمن يسلك طريقاً على غير منهج السَّلف .

لذلك فإنَّ قضية التكفير يجب أن يُفكِّر فيها الإنسان كثيراً ويَتمهَّل، فإذا كان هو لا يَعلم ما يكون فيه التكفير وما لا يكون، فينبغي له أن يسأل حتى لا يقع في هذه الكبيرة الخطيرة.

وفي هذا الزمان كثرت الطوائف التي تكفِّر بمجرد ترك الإنسان عملاً من الأعمال أو نحو ذلك، وهذا تهوُّر بالغ، والمحدِّثون كانوا بمنأى عنه، فالذي يأخذ بمذهب السلف ولا يؤوِّل لا يجوز أن يقال عنه: إنَّه مُجسِّم.

وعندما يقول السلف: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، فهذا معناه: أنَّه سبحانه استوى استواءً يليق بجلاله، فهل نقول هنا: لا بدَّ من التأويل؟ لا بل على العكس، فالمُؤوِّل هو المخطئ، وشواهد الأدلة مُستفيضةٌ من الكتاب والسُّنة على رجحان وسلامة مذهب السَّلف الصالح الذي نعتقده.

ولذلك لا يجوز لمسلم أنْ يُقدِم على تكفير أحد من المسلمين إلا إذا كان عنده من الله فيه برهان يعلمه العلماء.

وقد بحث الشَّيخ محمد بخيت المطيعي رَحِمَهُ اللَّهُ هذه المسألة بحثاً مطولاً في «حاشيته على الإسنوي» وانتهى - كما انتهى غيره - إلى أن الكافر هو الذي يُعلَم كفرُه من الدين بالضرورة، ويستوي في معرفته الصغير والكبير.

فهذا الذي لا نأخذ الحديث منه ونعتبره خرج من المِلَّة، أما الفاسق أو الذي يرتكب خطيئة كبيرة ونحوها، فإذا كان يُعرَف بالضبط والصدق فنحن نقبل حديثه ونرد عليه بدعته، ولذلك تجد في «صحيح البخاري» من الرواة من هو متهم إمَّا بالاعتزال، أو بالتَّشيع، ومنهم من هو متهم

بالجبرية، وهم الذين يقولون: العبد مجبور على أفعاله، فهؤلاء ـ على بدعتهم ـ نقبل حديثهم إذا كان يتوافر فيهم الصِّدق والعدالة.

وقد كان يقول الإمام ابن خزيمة رَحِمَهُ اللهُ: حدَّثني الصَّدوق في روايته، المُتَّهم في دينه عبَّاد الرَّواجني، وهذا منتهى العدل من المُحدِّثين في الحكم على الرجال؛ لأنَّ المسألة كما قلنا ديانة لا تشهياً، أوهوىً لمذهب أو نِحْلة .

وأصحاب البدعة منهم من هم دُعاة، ومنهم من ليهم ليسوا بدُعاةٍ، فالزَّمخشري رَحِمَهُ اللهُ صاحب «التفسير» معتزلي، ولكنه يدعو إلى بدعته، ولذلك تجد في «تفسيره» أشياء كثيرة يُفصح فيها ببدعته، فمثل هذا قال كثير من العلماء: نردُّ حديثه ولا نقبله؛ لأنه ربما لَوى النص الذي يستشهد به إلى جانب بدعته، وهذا يَمنَع أن يُقبَل حديثه. ولكن مذهب المحققين أنه حتى لو كان داعياً إلى بدعته، وإنَّ الحديث الذي يرويه إذا كان لا صلة له ببدعته التي هو فيها، فعند ذلك نقبل حديثه ما دام قد توفَّرت فيه الضبط والعدالة، بغض النظر عن بدعته .

وفي المسألة أبحاث مُطوَّلة، ليس هذا مجال بسطها، وإنما تُبحث في المصنَّفات التي اعتنت بالإطالة في ذلك [١].

❑ ❑ ❑

---

(١) ومن أحسن من ضبط هذه المسألة وأصَّلها، شيخنا العلامة الدكتور عبد الكريم الخضير أطال الله نفعه للإسلام والمسلمين في شرحه الماتع «تحقيق الرغبة في توضيح النخبة»، وقد قرأته على شيخنا المحدِّث شعيب في أربعة مجالس، وقد قال عن تحرير شيخنا لرواية المبتدع : **هذا المبحث نفيس من الشيخ جزاه الله خيراً، ويفيد أن الشارح قد تضلَّع من علم الحديث ومصطلحه، وهو اختيارنا . (شعيب)**

ثُمَّ سُوءُ الحِفْظِ إنْ كانَ لازِماً: فالشَّاذُّ ـ على رَأْيٍ ـ، أَوْ طَارِئاً: فالمُخْتَلِط.

ومَتَى تُوبِعَ سَيِّئُ الحِفْظِ بِمُعْتَبَر، وكَذَا المسْتُورُ، والمُرْسَلُ والمُدَلَّسُ صَارَ حَدِيثُهُم حَسَناً لا لِذَاتِه؛ بَلْ بِالمجْمُوع.

الشَّـرْح :

من ضَعْف الراوي أن يَسُوء حِفْظه، والإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ وضع ضابطاً لهذا فقال: من كثر صوابه وقلَّ خطؤه فهو عندنا ثقة.

يعني : إذا كان قليل الخطأ فإننا لا نبحث عنه، أما إذا رأيناه يُخالف في هذا الحديث حديثَ الثِّقات، نقول: هذا حديثه مُنكر، ونردُّه.

أما قضية الشَّاذ فتحتاج إلى كثير إمعان، فالشُّذوذ يكون في مخالفة الثقة للثقات، فالحديث الذي رواه الثقات بلفظ ، وهو وإن كان ثقة رواه بلفظ مغاير، فإنه يُرَدُّ حديثه.

فالوصف بالشذوذ لا يعني أنَّ الرَّاوي ضَعيف، ولكنه أخطأ في هذه الرواية، فزاد، فهذه الزيادة لا تُقبَل منه؛ لأنَّ الثقات الذين هم في مرتبته قد رووه بدون هذه الزيادة، أمَّا إذا روى الضعيف روايةً خالف فيها الثقات فروايته منكرة، وهي مردودة.

والعلماء كبقية البشر، إذا طال عمرهم ساء حفظهم واختلطت عليهم الأمور، فإذا وصل الراوي إلى هذه المرحلة، وصار لا يُميِّز بين الصواب والخطأ في روايته، فهذا يُسمونه مُختلِطاً، وهذا المختلط لا يُقبَل حديثه حال اختلاطه، أمَّا ما رواه قبل الاختلاط فمقبول.

والغالب على هؤلاء أنهم إذا رأوا أنفسهم أنهم قد أصبحوا يخلِّطون، فإنهم يمتنعون من الرواية، ولا يحدِّثون حال الاختلاط، والقليل منهم من يروي بعد الاختلاط، وهذا لا بدَّ من تمييز حديثه، ولذلك وُضعَت كتب في مثل هذه الأشياء، ككتاب «الكواكب النَّيِّرات في معرفة من اختلط من الرواة الثقات» لابن الكيَّال، فهو يذكر المختلطين، ويبيِّن منزلتهم، ثم بعد ذلك يُورِد من رَوى عنه قبل الاختلاط ومن روى عنه بعد الاختلاط، فالذي روى عنه بعد الاختلاط حديثه ضعيف لا يُقبَل، والذي روى عنه قبل الاختلاط يُقبَل حديثه.

أما الرجل الذي يغلُب خطؤه على صوابه فهو ضَعيف لسوء حفظه، فإذا تُوبِع على روايته من قِبَل واحد مثله أو أرفع منه درجة فعند ذلك يَقْوَى ويصير حديثه حسناً لغيره، لا لنفسه؛ لأنَّه إذا كان غلب الخطأ على الصواب فهذا أصبح لا يميِّز، فرُبَّما يروي ويكون الغلط قد سرى على تسعين بالمئة من حديثه، فلا يُؤخذ به إلَّا إذا تُوبع.

فالمُتابعات والشَّواهد مهمة، فالأحاديث الضعيفة لا نُهمِلها، ولذلك دونها العلماء في كتبهم، فـ«مسند أحمد» فيه أحاديث ضعيفة، ولكنه دوَّنها لمظنَّة أن يجد مُتابعاً لها من طريق آخر، أو شاهداً، والشاهد لا بد أن يكون من طريق صحابي آخر، فإذا كان جاء ما يدعمه، فضعيفان يغلبان قوياً.

مثاله : حديث: «لا وُضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه» فهذا حديث رواه أحمد[1]، وله طرقٌ كثيرة، ويستأنس الباحث والمحدِّث بأن هذه الطرق تجعل لهذا الحديث أصلاً، لذلك فالإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ يذهب إلى أن

(١) في «المسند» (٩٤١٨)

التسمية واجبة عند الوضوء، وبقية العلماء لمَّا لم يجدوا أنَّ هذه الطرق كافية لتحسين الحديث، قالوا: يُسنُّ للإنسان أن يُبَسمِل عند الوضوء.

أما **المستور** فيعني المجهول، ولكن له أكثر من رواية، ولا يعرفون منزلته في الجرح والتعديل هل هو ثقة أو ضعيف.

فمثل هذا المستور، فإنَّ بعض أهل الحديث يقول فيه: إذا كان من التابعين الكبار فإنه يقبل حديثه؛ لأنَّهم قد استقرؤوا مروياتهم فوُجدوا أنهم كانوا على الوثاقة فيها، ولم تكن ظاهرةُ بدعة التخليط في الحديث قد وُجِدت بعدُ، لكن المُحدِّثين المُتقِنين لا يقبلون رواية المستور، إلَّا إذا جاء من طريق آخر مثله أو شاهد له، فإنهم يقبلونه.

وكلُّ هذه المسائل العلمية في علم المصطلح التي تناولناها الآن لا تظهر إلَّا عند التطبيق العملي، وحسبنا في هذه المرحلة بالفَهْم النظري.



ثُمَّ الإِسْنَادُ إِمَّا أَنْ يَنتَهِيَ إلى النَّبِيِّ ﷺ تَصْرِيحاً أو حُكْماً؛ مِنْ قَوْلِهِ، أَوْ فِعْلِهِ، أَوْ تَقْرِيرِه.

أَو إلى الصَّحَابِيِّ كذَلِكَ: وَهُوَ مَنْ لَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ مُؤْمِناً بِهِ وَمَاتَ على الإِسْلام، وَلَوْ تَخَلَّلَتْ رِدَّةٌ في الأَصَحّ.

أَو إلى التَّابِعِيِّ: وَهُوَ مَنْ لَقِيَ الصَّحَابِيَّ كذَلِك.

فالأَوَّلُ: المرفُوعُ.

والثَّانِي: الموقُوفُ.

والثَّالِثُ: المقطُوعُ، وَمَنْ دُونَ التَّابِعِيِّ فِيهِ مِثْلُه.

ويُقَالُ لِلأَخِيرَيْن: الأَثَرُ.

الشَـرح :

إذا كان الحديث يُرفَع إلى النبيِّ ﷺ، فهذا يُسمى مَرفُوعاً.

وإذا كان الصحابي قاله هو من نفسه، وما أسنده إلى النبي ﷺ فإنَّه يُسمَّى مَوقُوفاً.

وإذا قاله التابعي من نفسه، يُسمَّى مَقطُوعاً.

ولا يخفى أنَّ الحديث المرفوع إذا كان إسناده متصلاً ورواته عدولاً، فإننا نقول عنه: حديث صحيح.

ولكن إذا كان من قول الصحابي، فهو حديثٌ موقوفٌ، وهو ينقسم إلى قسمين:

الأول : إذا كان للرأي فيه مجالٌ فإنَّا نَعدُّه اجتهاد صحابي، ولنا أنْ نأخُذ بقوله، أو لا نأخذ به.

والثاني : إذا كان ليس للرأي فيه مجالٌ؛ كأنْ يُعبِّر عن قضية تتعلَّق بالآخرة، وهي من مسائل الغيب، فهو في حُكم المرفوع؛ لأنه لا يمكن للصحابة ـ وهم أبعد النَّاس عن الكذب ـ أن يقولوا مثل هذه الأشياء الغيبيَّة إلَّا أن يكونوا قد سمعوها من الرسول ﷺ .

وحدُّ حديث الرسول ﷺ : هو قوله وفعله وتقريره، وبعضهم زاد: وصفته.

أما الأحاديث القولية فكثيرة.

وأما **فِعْله**: فأفعاله ﷺ، كما قال في الحج: «لتأخذوا عني مناسككم»[١]، فكلُّ أعمال الحج التي وردت عنه ﷺ أنه فعلها فهي من قبيل المرفوع .

وتقريره: فمثاله أن خالد بن الوليد رضي الله عنه أكل الضبَّ على مائدته ﷺ، فأقرَّه[٢]، ولـم يُنكِر عليه .

فإذا أقرَّ النبي ﷺ صحابياً على شيء فيكون حكمه هذا تشريعاً يجب على المسلمين أنْ يأخذوا به؛ لأنَّ النبي ﷺ لا يُقرُّ أحداً على الخطأ.

وصفته: كأنْ يقول الصحابي: كان النبيُّ ﷺ أَدْعج العَيْنين، أزجَّ الحاجبين، وهي الشمائل، وللإمام الترمذي رحمه الله في هذا الباب كتابه العظيم :«الشَّمائل المحمدية»، فشمائل النبي ﷺ الخَلْقية والخُلُقية تلحق أيضاً بالحديث المرفوع.

---

(١) أخرجه مسلم (١٢٩٧) عن جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٣٠٦٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وإسناده صحيح.

وقد جاء مرفوعاً ، وأخرجه مسلم في «الصحيح» (١٩٤٣) من حديث ابن عمر قال : سأل رجل رسول الله ﷺ عن أكل الضب ؟ فقال : «لا آكله ولا أحرمه» .

وحدُّ الصحابي: وهو من أدرك النبيَّ ﷺ ، واشترط بعضهم أن يكون قد عاشره ﷺ فترة من الزمن، أو كان في زمنه وكان يتردد عليه بين الآونة والأخرى، **وتعريف الحافظ أصح التعريفات في حدِّه** .

والصحابةُ كلُّهم عُدولٌ، وهذا ما نُؤمن به وندين الله تعالى عليه، فمتى ثبت أنه صحابي فلا بُدَّ لنا أن نقبل حديثه ولا نسأل عنه من حيث الصحة أو الضعف، لكن في بعض الأحيان قد يكون الصحابي قد اختلط عليه الحديث، **وهنا ليس الطعن في شخصه وإنما الطعن في تخليطه وحفظه**، ومن أراد أن يعرف عدالة الصحابي وتاريخ حياته فلينظر كتاب «أُسْد الغابة» لابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، و«الاستيعاب» لابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، و«الإصابة» لابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فهي من أحسن الكتب المصنَّفة في مناقبهم وفضائلهم رضوان الله عليهم.

❑ ❑ ❑

والمُسْنَدُ: مَرْفُوعُ صَحَابِيٍّ بِسَنَدٍ ظَاهِرُهُ الاتِّصَال.

فَإِنْ قَلَّ عَدَدُهُ فَإِمَّا أَنْ يَنتَهِيَ إلى النَّبِيِّ ﷺ، أَوْ إلى إِمَامٍ ذِيْ صِفَةٍ عَلِيَّةٍ كَ: شُعْبَةَ.

الشَّرح :

الحديث المُتَّصل الإسناد إلى النبيِّ ﷺ وليس فيه انقطاعٌ يُسمَّى حديثاً مُسنداً، ولذلك سمَّى الإمام أحمد كتابه: «المسند»؛ لأنه لم يذكر فيه موقوفات، وإنما ذكر فيه المرفوعات المسندة المُتصلة، وكذلك «مسند الشافعي» و«مسند الطيالسي»وغيرهم.

ولكن ليس من شرط الحديث المسند أن يكون صحيحاً، فلا يخلو أن يكون هذا الحديث المسند فيه انقطاع في بعض طبقاته، أي سقط منها بعض رواة السند، فهذا يُسمَّى مُسنداً، ولكنَّه حديث ضعيف ؛ لانقطاعه، وهكذا يخضع الحديث المسند للنَّقد الحديثي في رواته ومتنه، حتى يَسلَم من النَّقد أو الردِّ ؛ فيُقبل حينئذٍ .

❑ ❑ ❑

فالأَوَّلُ: العُلُوُّ المُطْلَق.

والثَّانِي: العُلُوُّ النِّسْبِيّ، وفِيهِ المُوَافَقَةُ: وَهِيَ الوُصُولُ إلى شَيْخِ أحَدِ المُصَنِّفِينَ مِنْ غَيْرِ طَرِيقِه.

والبَدَلُ: وهو الوُصُولُ إلى شَيْخِ شَيْخِهِ كذَلِك.

والمُسَاوَاةُ: وَهِيَ اسْتِوَاءُ عَدَدِ الإِسْنَادِ مِنَ الرَّاوِي إلى آخِرِهِ مَعَ إسْنَادِ أَحَدِ المصَنِّفِين.

والمُصَافَحَةُ: وهِيَ الاسْتِوَاءُ مَعَ تِلْمِيذِ ذلِكَ المُصَنِّف.

الشَّرح :

هذه الاصطلاحات لا علاقة لها بالتَّصحيح ولا بالتضعيف، فهي أمور خارجة عن لُبِّ المُصطلح.

فالموافقة: عرَّفها ابن الصلاح بقوله: هي أن يقع لك الحديث عن شيخِ مسلمٍ ـ مثلاً ـ عالياً بعدد أقل من العدد الذي يقع به نقل ذلك الحديث عن ذلك الشيخ إذا رويته عن مسلم عنه.

والبدل: وهو كما قال ابن الصلاح: أن يقع لك هذا العلو عن شيخ غير شيخ مسلم هو مثل شيخ مسلم في ذلك الحديث.

وهذا كلُّه مبني على قضية ما إذا كانت أعمار الرواة في الإسناد كبيرة، وقد تصير مثل هذه الأشياء، أي: قد يَرْوِي الحديث راوٍ عمره تسعون سنَة، فيستطيع المُتأخِّر أن يلحق ذلك ويُصافحه ويُبادِله، ونحو ذلك، فهي مسألةٌ نظريَّة.

والمساواة: هي أن يقع بين الرَّاوي من المتأخرين وبين رسول الله ﷺ مثل ما وقع من العدد بين مسلم أو البخاري فيه إلى النبي ﷺ.

وهذا ـ كما قلت ـ عمل فنيٌّ، ولكن الجوهر الذي ينبغي أنْ نُشغِل عقولنا وأذهاننا فيه، هو دراسة الرُّواة ومعرفة الاتصال ومعرفة المُرْسَل والمنقطع، وما شابهها.

والمصافحة: وهي أن تضع تلك المساواة مع تلميذ المصنِّف، كأنك لقيت البخاري أو مسلماً في ذلك الحديث وصافحته به لكونك قد لقيت شيخك المساوي للبخاري أو مسلم.

وقد قال ابنُ الصلاح: إنْ كانت المساواة لشيخ شيخك كانت المصافحة لشيخك.

❑ ❑ ❑

ويُقَابِلُ العُلُوَّ بِأَقْسَامِه: النُّزُول.
فَإِنْ تَشَارَكَ الرَّاوِي وَمَنْ رَوَى عَنْهُ فِي السِّنِّ أو في اللُّقِيِّ فَهُوَ: الأقْرَان.
وإنْ رَوَى كُلٌّ مِنْهُما عَنِ الآخَر: فالمُدَبَّج.
وإنْ رَوَى عَمَّنْ دُونَه: فالأَكَابِرُ عَنِ الأَصَاغِر، وَمِنْهُ الآبَاءُ عَنِ الأَبْنَاءِ، وَفِي عَكْسِهِ كَثْرَة، ومِنْهُ مَنْ رَوَى عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ. وَمِنْهُ الآبَاءُ عَنِ الأَبْنَاءِ، وَفِي عَكْسِهِ كَثْرَة، ومِنْهُ مَنْ رَوَى عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ.
وإنِ اشْتَرَكَ اثْنَانِ عَنْ شَيْخٍ وتَقَدَّمَ مَوْتُ أَحَدِهِمَا فَهُوَ: السَّابِقُ وَاللاحِق.

الشَّرح :

هذه المسائل التي طرقها الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ هي من العلوم النظرية الفنية، وهي مفيدة لطالب الحديث، وهي من مُلَح هذا العلم لا من أصيله، وقد أَتبع كلَّ عِلْم منها بتعريفٍ مُختصر لها بدُون غموض فيه .

ونأخذ منها مثالاً : فإذا كان عندنا راوٍ بلغ في السن عمراً كبيراً، ويروي عن شاب صغير تسنَّى له أن يروي عن إنسان لم يستطع كبير السن أن يلتقي به، فيأخذ هذا الشيخ الكبير ذلك الحديث عن هذا الصغير، وهو ما يعرف في كتب هذا الفن برواية الأكابر عن الأصاغر .

وهناك كتب مُؤلَّفة في هذه العلوم، في رواية الأكابر عن الأصاغر، ورواية من روى عن أبيه وجدِّه، والآباء عن الأبناء وهلمَّ جرا.

وقد روى النبيُّ ﷺ حديث تميم الدَّاري، فقد كان تميم نصرانياً، وكان يعرف خبر الجساسة، فتميم الداري أصغر، والنبي ﷺ أكبر، والنبي ﷺ روى عن تميم، فهذا مثالٌ لرواية الأكابر عن الأصاغر.

أما موضوع السَّابق واللاحق فَلِلخَطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتاب «السَّابق واللَّاحق» تناول فيه هذه المسألة والرواة الذين رَوَى بعضهم عن بعض، فليُنظر .

وهذه كلُّها زخرفات ومحسِّنات في علم المُصطلَح مثل عِلْم البديع في علوم البلاغة.

❑ ❑ ❑

وإنْ رَوَى عَنِ اثْنَيِن مُتَّفِقَي الاسْمِ وَلَمْ يَتَمَيَّزا، فَباخْتِصَاصِهِ بأَحَدِهِمَا يَتبيَّنُ المُهْمَل.

الشَّرْح :

هذه مسألة مهمة، فالمُهْمَلات: تعني أن يأتي اسم راوٍ غير منقوط، فينبهم على الإنسان، فهذه المهملات والمبهمات تتبعها الحُفَّاظ من قديم وألَّفوا فيها كتباً منها «كتاب المبهمات» للخطيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، و«كتاب المبهمات» للحافظ العراقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقد اعتنى الحافظ الجيَّاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ برجال «الصحيحين» فألَّف كتابه الفَذِّ: «**تَقييدُ المُهْمَل وتَمييز المُشكِل**»[١] وهو مهمٌّ جداً لدارس علم الحديث.

وفائدة هذا العلم : أن تُوقِف الباحث على الراوي المراد دون غيره، حتى لا يلتبس عليه أمره، فيقع في الخطأ لعدم تعيينه الراوي المراد .

❑ ❑ ❑

(١) وقد طبع في ثلاث مجلدات في دار عالم الفوائد طبعة متقنة، حقَّقها الشيخان علي العمران ومحمد عزيز شمس جزاهما الله خيراً .

وإِنْ جَحَدَ الشيخُ مَرْوِيَّهُ جَزْماً رُدَّ، أو احْتِمالاً قُبِلَ في الأَصَحِّ، وفيهِ: مَنْ حَدَّثَ ونَسِي.
وإِنِ اتَّفَقَ الرُّوَاةُ في صِيَغِ الأَدَاءِ أَو غَيْرِهَا مِنَ الحَالاتِ، فَهُوَ: المُسَلْسَل.

الشَّرْح :

إذا حدَّث شخصٌ عن شيخ، ثم قال الشيخ: أنا ما حدَّثتك بهذا، ونسي، فهل هذا النسيان يُلغي الحديث؟

فإذا كان الاثنان ثقتين فالحديث يبقى مُتصلاً يُؤخَذ به ويُعمَل بمضمونه، ولكن إذا كان ضعيفاً فنسي حديثه، عند ذلك لا يُقبَل الحديث منه.

وقد صنَّف الإمام السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالة وجيزة في ذلك، وهي: «تَذكِرة المُؤتَسي فيمن حدَّثَ ونَسي» وهي لطيفة فلتُنظر .

والمُسَلْسل: هو أن يأتي على وصف، مثل: حدَّثني وهو قائم، أو حدَّثني وهو يشرب، أو غيره من الأوصاف، ثم يتكرَّر هذا الوصف في جميع طبقات السَّند.

وغالب أحاديث المسلسلات ضِعاف؛ لأنَّه لا يتأتَّى لأنْ يأتي كل السند بهذا الوصف، والمسلسلات بشكل عام قليلة، وفيها كتب مؤلَّفة، وهذا لا يتعلق أبداً بصحة الحدِيث أو ضعفه.

وفي المُسلسلات أحاديث خاصة : مثل المُسلسل بالأَوَّلية، أو المسلسل بالدِّمشقيين، أو بالمحمَّدين ، وغيرها [1].

❏ ❏ ❏

---

(١) وفي الأحاديث المسلسلة طبع مؤخراً كتاب «**الجواهر المُكلَّلة في الأخبار المسلسلة**» للسَّخاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتحقيق محمد إبراهيم الحسين، عن دار الحديث الكتَّانية، وهي أجود بمفاوز عن طبعة دار الفتح وفيه مقدمة جيدة عن التعريف به والمؤلَّفات المصنَّفة في ذات الباب .

وصِيغُ الأَدَاء: سَمِعْتُ وحَدَّثَنِي، ثُمَّ أَخْبَرَنِي، وقَرَأْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قُرِئَ عَلَيْهِ وأَنا أَسْمَع، ثُمَّ أَنبَأَنِي، ثَمَّ نَاوَلَنِي، ثَمَّ شَافَهَنِي، ثُمَّ كَتَبَ إِلَيَّ، ثُمَّ «عَنْ» ونَحْوها.

فالأَوَّلانِ لِمَنْ سَمِعَ وَحْدَهُ مِنْ لَفْظِ الشَّيْخ، فَإِنْ جَمَعَ فَمَعَ غَيْرِه، وأَوَّلُها أَصْرَحُها وأَرْفعُها في الإِمْلاء.

والثَّالِثُ والرَّابعُ: لِمَنْ قَرَأَ بِنَفْسِه. فإِنْ جَمَعَ: فَهُوَ كالخامِسِ.

والإِنْبَاءُ بِمَعْنَى الإِخْبَار، إِلَّا فِي عُرْفِ المُتَأَخِّرِينَ فَهُوَ لِلإِجَازَةِ كَ «عَنْ».

وعَنْعَنَةُ المُعَاصِرِ مَحْمُولَةٌ عَلَى السَّمَاعِ إِلَّا مِنَ المُدَلِّسِ، وَقِيلَ: يُشْتَرَطُ ثُبُوتُ لِقَائِهِما ولَو مَرَّةً، وهُوَ المُخْتَار.

الشَّرح :

صِيَغُ الأداء : (حدَّثنا، أخبرنا، أنبأنا) كثيرٌ من العلماء وعلى رأسهم البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ يعدُّ هذا من المترادفات، لا فرق بين هذه وتلك، والإمام الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ له رسالة في ترادف حدثنا وأخبرنا وأنبأنا، ضمَّنها ابن عبد البر في كتابه «جامع بيان العلم وفضله»[1]

ولكن المهم أنَّ هذه الصيغ الثلاثة التي ذكرناها لا تحتمل إلا السَّماع، فإذا قال الراوي: حدثنا، أو: أخبرنا، أو: أنبأنا، ولم يسمع ذلك من شيخه فيكون عندئذٍ كذاباً، ويسقط الاحتجاج به.

(١) وقد حقَّقها الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رَحِمَهُ ٱللَّهُ ونشرها ضمن «خمس رسائل في علوم الحديث» الرسالة الرابعة. وهي بعنوان : «التسوية بين حدثنا وأخبرنا»

أمَّا إذا روى بصيغة (عن) فهذا يحتمل السماع ويحتمل الانقطاع، فهنا إذا كان الرجل ليس معروفاً بالتدليس فيُحمَل حديثه على الاتصال، وأمَّا إذا كان معروفاً بالتدليس، فإنَّا لا نقبل حديثه إذا لم يُصرِّح بالتحديث، مثل ابن إسحاق معروفٌ بالتدليس، وكان يُدلِّس عن الضعفاء، فإذا قال: (عن) فحديثه لا يساوي فِلْساً واحداً، وإذا قال: حدَّثني، فحديثه صحيح؛ لأنه لا يكذب.

وإذا ثبت أنَّ المدلِّس إذا كان ثقة ولقي المدلَّس عنه ولو مرة واحد، فتحمل عَنْعنَته على الاتصال، وفي المسألة بحث ونظر، ليس هذا محلّه .

❑ ❑ ❑

وأَطْلَقُوا المُشَافَهَةَ في الإِجَازَةِ المُتَلَفَّظِ بِها، والمُكَاتَبَةَ في الإِجَازَةِ المكْتُوبِ بِها.

واشْتَرَطُوا في صِحَّةِ المُنَاوَلَةِ اقترانَها بِالإِذْنِ بِالرِّوايَةِ، وهِيَ أَرْفَعُ أَنوَاعُ الإِجَازَة.

وكَذَا اشْتَرَطُوا الإِذْنَ في الوِجَادَة، والوَصِيَّةِ بِالكِتَاب، وَالإِعْلام، وإِلَّا فَلا عِبْرَةَ بِذَلِك، كَالإِجَازَةِ العَامَّةِ، وَلِلْمَجْهُولِ وَالمَعْدُومِ عَلَى الأَصَحِّ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ.

الشَّرح :

الإجازة موضوعٌ خطيرٌ جداً، ففي بعض الأحيان أهل الحديث يُجيزون رُواةً لا يعرفونهم، ولا يعرفون الفترة الزمنية التي قضاها في دراسة الحديث، فهذه إجازات لا تَثبت حقيقتها أبداً، **فالإجازة الصحيحة هي التي يجلس فيها الطالب بين يدي أستاذه فترة طويلة من الزمن ربما تُقدَّر بعشر سنوات، عند ذلك يَطمئن للإجازة، ويبين له أنه صار عنده أهلية للبحث، فلا بد للمجيز أن يكون قد خبر المجاز وعرف أمره وبَلاَه، هل يصلح لأن يكون طالب علم أم لا.**

ومن هنا فالإجازات التي عند المُتأخِّرين لا قيمة لها في الاعتماد عليها، ولكنها من باب الالتحاق بركب السَّابقين من أهل الإسناد إلى النبي ﷺ، وأسوء من هذا من يُركِّب إجازات مختلِقةً مصنوعة.

وأمَّا اليوم فأقوى الإجازات التي تنفع طالب العلم في هذا العصر هي الكتب المطبوعة المُحقَّقة؛ التي يأخذها من المحقق بعد قراءتها عليه؛ لأنَّ

المحقِّق يجيز لكل الناس عامة أن يقرؤوا هذه الكتب التي حقَّقها، وخاصة لمن يقرؤها عليه قراءة درس وبحث وفكٍّ ، هنا يكون الانتفاع، لا لمجرد قراءة أول حديث وآخره، ومن ثَمَّ يُجاز بالكتاب كلِّه، فهذا أراه من العبث بهذا العلم الشريف، وينبغي على أهل العلم أن يصونوا حديث رسول الله ﷺ من هذا العبث .

❑ ❑ ❑

ثُمَّ الرُّوَاةُ: إِنِ اتَّفَقَتْ أَسْمَاؤُهُم وأَسْمَاءُ آبائِهِم فَصَاعِداً، واخْتَلَفَتْ أَشْخَاصُهُم، فَهُوَ المُتَّفِقُ والمُفْتَرِق.

وإِنِ اتَّفَقَتِ الأَسْمَاءُ خَطّاً واختَلَفَتْ نُطْقاً فهُوَ المُؤْتَلِفُ والمُخْتَلِف.

وإِنِ اتَّفَقَتِ الأَسْمَاءُ وَاخْتَلَفَتِ الآباءُ، أَو بِالعَكْسِ فهُوَ المُتشابِهُ، وكَذَا إِنْ وَقَعَ ذَلِكَ الاتِّفَاقُ في اسمٍ واسمِ أَبٍ والاخْتِلافُ في النِّسْبةِ، ويُرَكَّبُ مِنْهُ ومِمَّا قَبْلَهُ أَنوَاع؛ مِنْهَا: أَنْ يَحْصُلَ الاتِّفَاقُ أَو الاشْتِبَاهُ إِلَّا في حَرْفٍ أَو حَرْفَينِ، أَو بِالتَّقْدِيمِ والتَّأْخِيرِ، وَنَحْو ذَلِك.

الشَّرح :

كلُّ هذه الأنواع أُلِّفت كُتُب من أجلها، وهي من كماليات هذا الفن وجمالياته العلمية.

وهناك مُسلسلات في أسانيد الحديث، مثل: بَهْز بن حكيم، عن أبيه، عن جَدِّه، وكذا عَمْرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّه، فإذا ثبت اتصالها فالحديث صحيح، وإذا لم يثبت اتصالها فالحديث ضعيف.

أما التصحيف فهو بَلْوى، فإذا لم يكن المحدِّث مُتمكِّناً من اللغة العربية فإنه يكثر فيه مثل ذلك، إلَّا الكتاب المُحقَّق عند أهل التحقيق المُتقَن، فالكتاب المُحقَّق يبحث عن هذه الأشياء ويُقدِّم الكتاب سائغاً عريّاً عن الخطأ، أمَّا الكتب غير المُحقَّقة فيكثر فيها التَّحريف والتصحيف.

❑ ❑ ❑



المجلس الأخير

قالَ الشَّيخُ الإمامُ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ العَسْقَلانِيّ:

خَاتِمَةٌ:

ومِنَ المُهِمِّ: مَعْرِفَةُ طَبقَاتِ الرُّواةِ، ومَوَالِيدِهِم، ووَفياتِهِم، وبُلْدَانِهِم، وأَحْوَالِهِم؛ تَعْدِيلاً وتَجرِيحاً وجَهَالَةً.

ومَرَاتِبِ الجَرْحِ:

وأَسْوَأُها: الوَصْفُ بِأَفْعَلَ كـ: أَكْذَبِ النَّاسِ، ثُمَّ دَجَّالٌ، أَو وَضَّاعٌ، أَو كَذَّابٌ.

وأَسْهَلُها: لَيِّنٌ، أَو سَيِّئُ الحِفْظِ، أَو فِيهِ أَدْنَى مَقَالٍ.

ومَرَاتِبِ التَّعْدِيلِ:

وأَرْفَعُها: الوَصْفُ بأَفْعَلَ كـ: أَوْثَقِ النَّاسِ، ثُمَّ ما تَأَكَّدَ بِصَفَةٍ أَو صِفَتَينِ كـ: ثِقَةٍ ثِقَةٍ، أَوْ ثِقَةٍ حَافِظٍ.

وأَدْنَاها: ما أَشْعَرَ بِالقُرْبِ مِنْ أَسْهَلِ التَّجْرِيحِ كشَيْخٍ.

وتُقْبَلُ التَّزكِيةُ مِنْ عارِفٍ بِأَسْبَابِها، وَلَو مِنْ واحِدٍ على الأَصَحِّ.

والجَرْحُ مُقَدَّمٌ عَلَى التَّعْدِيلِ إنْ صَدَرَ مُبَيَّناً مِنْ عَارِفٍ بِأَسْبابِهِ.

فَإِنْ خَلا عَنْ تَعْدِيلٍ قُبِلَ مُجمَلاً على المُخْتَارِ.

ومَعْرِفَةُ كُنَى المُسَمَّيْن، وَأَسْمَاءِ المُكَنَّيْن، ومَنِ اسْمُهُ كُنيَتُهُ، ومَنِ اخْتُلِفَ في كُنيَتِهِ، ومَنْ كَثُرَتْ كُنَاهُ أَو نُعُوتُهُ، ومَنْ وافَقَتْ كُنيَتُهُ اسْمَ أَبِيْهِ أَو العَكْس،

أَو كُنيَتُهُ كُنيَةَ زَوجَتِهِ، ومَنْ نُسِبَ إلى غَيرِ أبيهِ، أو غَيرِ ما يَسْبِقُ للفَهْمِ، ومَنِ اتَّفَقَ اسْمُهُ واسْمُ أَبِيهِ وجَدِّهِ، أَو اسْمُ شَيْخِهِ وشَيْخِ شَيخِهِ فصَاعِداً، ومَنِ اتَّفَقَ اسْمُ شَيْخِهِ والرَّاوِي عَنْهُ.

ومَعْرِفَةُ الأَسماءِ المُجَرَّدَةِ وَالمُفْرَدَةِ، وكَذَا الكُنَى، والأَلقابِ، والأَنسَابِ، وتَقَعُ إلى القَبَائِلِ والأَوطَانِ، بِلاداً، وضِيَاعاً، وسِكَكاً، ومُجاوَرَةً، وإلى الصَّنَائِعِ والحِرَفِ، ويَقَعُ فيها الاشتِبَاهُ والاتِّفَاقُ كالأَسماءِ، وقَدْ تَقَعُ أَلقاباً، ومَعرِفَةُ أَسبابِ ذلِكَ.

ومَعْرِفَةُ المَوَالِي مِنْ أَعلَى ومِنْ أَسفَلَ بِالرِّقِّ، أَو بِالحِلْفِ.

ومَعْرِفَةُ الإخوَةِ والأخَوَاتِ.

وَمَعْرَفَةُ آداب الشَّيخِ والطَّالِبِ، ووَقتِ سِنِّ التَّحَمُّلِ والأَدَاءِ، وصِفَةِ الضَّبْط بِالحِفْظِ والكِتابِ، وصِفَةِ كِتابةِ الحدِيثِ، وعَرْضِهِ، وسَماعِهِ، وإسْماعِهِ، والرِّحْلَةِ فِيهِ، وتَصْنِيفِهِ: على المَسَانِيدِ، أَو الأَبوَاب، أَو الشُّيُوخِ، أَو العِلَلِ، أَو الأَطْرَافِ.

ومَعْرِفَةُ سَبَبِ الحدِيثِ وقَدْ صَنَّفَ فِيهِ بَعْضُ شُيُوخِ القَاضِي أَبِي يَعْلَى ابن الفَرَّاء، وصَنَّفُوا في غالِبِ هذِهِ الأَنواعِ، وهِيَ نَقْلٌ مَحْضٌ ظَاهِرَةٌ مُستَغْنِيةٌ عنِ التَّمْثِيلِ، وحَصْرُها مُتَعَسِّرٌ، فلْيُراجَعْ لها مَبْسُوطاتُها، واللهُ المُوَفِّقُ والهادِي، لا إلهَ إلا هُو».

❑ ❑ ❑

وَمِنَ المُهِمِّ: مَعْرِفَةُ طَبقَاتِ الرُّواةِ، ومَوَالِيدِهِم، ووَفياتِهِم، وبُلْدَانِهِم، وأَحْوَالِهِم؛ تَعْدِيلاً وتَجْرِيحاً وجَهَالَةً.

الشَّرْح :

هذه المعرفة تَجِدُونها مَسطورةً في كتب الجرح والتعديل وفي كتب التراجم، لذلك لا نُعلِّق عليها كثيراً؛ لأنَّ طالب العلم عندما يخوض في هذا العلم ويَطَّلع على هذه التراجم، سيتعرَّف على هذه القضايا؛ البلدان، الأنساب، المواليد، الوفيات، التي تُخرج هذا الراوي من حَيِّز الجهالة إلى حيز المعرفة، وبالدُّرْبة والصبر والاجتهاد يُحصِّل طالب العلم الكثير .

❑ ❑ ❑

ومَرَاتِبِ الجَرْحِ:

وأَسْوَأُها: الوَصْفُ بِأَفْعَلَ ك: أَكْذَبِ النَّاسِ، ثُمَّ دَجَّالٌ، أَو وَضَّاعٌ، أَو كَذَّابٌ.

وأَسْهَلُها: لَيِّنٌ، أَو سَيِّئُ الحِفْظِ، أَو فِيهِ أَدْنَى مَقَالٍ.

ومَرَاتِبِ التَّعْدِيلِ:

وأَرْفَعُها: الوَصْفُ بأَفْعَلَ ك: أَوْثَقِ النَّاسِ، ثُمَّ ما تَأَكَّدَ بِصَفَةٍ أَو صِفَتَينِ كَ: ثِقَةٍ ثِقَةٍ، أَوْ ثِقَةٍ حَافِظٍ.

وأَدْنَاها: ما أَشْعَرَ بِالقُرْبِ مِنْ أَسْهَلِ التَّجْرِيحِ كشَيْخٍ.

الشَّرْح :

هذه مراتب الجَرْح، والذي يريد أنْ يتخصَّص في هذا العلم هو الذي ينبغي له أنْ يقف على هذه المراتب، وأنْ يعلم ما فيها؛ لأنه سيتصدَّى لتصحيح الحديث أو تضعيفه، فلا بُدَّ أن يعرف مراتب الجرح، كما يعرف أيضاً مراتب التوثيق.

وأسوأ جرح الذي يُقال باسم التفضيل، كأكذب الناس، أو كذَّاب، أو فاحش الغلط، وغيرها من الألفاظ التي ذكرها المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، وهذا يوجد في كتب التراجم، كـ«تهذيب الكمال»، و«تهذيب التهذيب»، و«تذهيب التهذيب»، و«تقريب التهذيب»، وغيرها من الكتب الكثيرة التي تُساعد على معرفة الرَّاوي والتَّوثق منه، ومعرفة مرتبته التي تليق به.

وقد ذكر الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكذلك الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه المراتب، وعندما تقرأ في كتب التراجم المُطوَّلة، فستجد الألفاظ، مستخدمة عندهم؛

فيقولون: صدوق، ليِّن، ثقة، ثقة ثقة، من أوثق الناس، وعلى ضوء هذه الألفاظ يستطيع المحدِّث أنْ يُحسِّن الحديث أو يضعفه.

أما أدنى مراتب التعديل، وهو أن يُقال عنه: شيخ، فإذا تفرَّد الراوي ووُصف بهذا الوصف، فحديثه لا يكون صحيحاً، لكنه يُقبل في المتابعات، أي إذا جاء من طريق آخر عن شيخ مثله، عند ذلك يرتفع ويصير صحيحاً ويحتجُّ به.

وهذه أضعف مراتب التوثيق، يعني بينها وبين التضعيف همزة وصل.



وتُقْبَلُ التَّزكِيةُ مِنْ عارِفٍ بِأَسْبَابِها، وَلَو مِنْ واحِدٍ على الأَصَحِّ.
والجَرْحُ مُقَدَّمٌ عَلَى التَّعْدِيلِ إنْ صَدَرَ مُبَيَّناً مِنْ عَارِفٍ بِأَسْبابِهِ.
فَإِنْ خَلا عَنْ تَعْدِيلٍ قُبِلَ مُجمَلاً على المُخْتَارِ.

الشَّرح :

هنا مشكلة شائكة تعترضنا، فعندما نقرأ ترجمة أحد الرواة في كتب الجرح والتعديل، فإنا نجد من أهل الحديث مَن وثَّقه، ونجد مَن ضعَّفه، وهذا ليس كثيراً ولكنَّه موجودٌ، فما هو موقف طالب العلم في هذا الفنِّ؟

قال العلماء: الجرحُ لا بُدَّ أن تُذكر أسبابه، فإذا ذكر واحدٌ آخرَ أنه يُخطئ، فعلى من يسمعه أن يسأله: فِيمَ أخطأ؟ فعليه أن يَتثبَّت؛ لأنَّ الإنسان قد يفعل فِعْلاً هو من المُباحات، فيظنُّ الآخر أن هذا الفعل لا يليق به، فيَجرحه، لذلك يجب أولاً أن تعرف الجرح المُؤثِّر، ثم تعرف أسبابه ثانياً.

والجرح المطلق العام لا يُقبل عند المُحدِّثين، إلَّا إذا بُيِّن سببه، وللأسف قد فعل بعض من ينتمي إلى العلم وأطلق في حق بعض من اجتازوا القنطرة طَعْناً وهم ثِقَات، ولم يكن الباعث لهذا العلم، وإنَّما الحسد وحب الظهور والتقليد الأعمى.

ومن ذلك طعن بعضهم في أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وإليك هذه المقالات الذي ذُكرت في حقِّه وهو منها بَراء، يقولون :

كان ينقض الإسلام عُروةً عروة!

لم يَولد في الإسلام أشأم منه!

استُتيب من الكفر مرتين!

سبحان الله! عالِمٌ ملأ الدنيا عِلماً وفضلاً، فعندما تُسمَع في حقِّه مثل هذه الكلمات القاسية، فإنك لا بُدَّ أن تدرك أنها صادرة من حاقد أو فاسد أو جاهل، أو مُخطئ.

ولذلك قال الإمام السبكي رَحِمَهُ اللَّهُ : من اجتاز القَنطرة، وعُرِفت إمامته، وثبتت عدالته، لا يُسمَع قولُ قائل فيه أبداً.

أقول: يا أحبتي، احذروا العصبيَّة، فإنها تُخرِج الإنسان عن طوره، وتدفعه لأن يقول لا يجوز قوله!

واحذروا التَّقليد، فإنه يُسيء إلى الإنسان ويُوصله في بعض الأحيان إلى الكفر، وهذا افتراءٌ لا يغفره الله سبحانه وتعالى؛ لأنَّ العباد إذا أذنبوا مع الله، فالله سبحانه وتعالى يقبل التوبة عن عباده، ولكنَّك إذا أسأتَ إلى أحد من عباد الله؛ في عِرْضه، أو في ماله، فهذا لا يُغفَر إلَّا أنْ تتحلَّل منه.

وإذا جُرح الراوي ولم يعدِّله أحد، فإذا كان هذا الحكم قد صدر من أهله، أي : من العلماء الكبار الثِّقات العُدول، فيُقبَل هذا الجرح ولو لم تُفسَّر أسبابه، لخلوِّ المعارض الذي يَدفع هذا الجرح.

❑ ❑ ❑

ومَعْرِفَةُ كُنَى المُسَمَّيْن، وَأَسْمَاءِ المُكَنَّيْن، ومَنِ اسْمُهُ كُنيَتُهُ، ومَنِ اخْتُلِفَ في كُنيَتِهِ، ومَنْ كَثُرَتْ كُنَاهُ أَو نُعُوتُهُ، ومَنْ وافَقَتْ كُنيَتُهُ اسْمَ أَبِيْهِ أَو العَكْس، أَو كُنيَتُهُ كُنيَةَ زَوجَتِهِ، ومَنْ نُسِبَ إِلى غَيرِ أَبِيهِ، أَو غَيرِ ما يَسْبِقُ للفَهْمِ، ومَنِ اتَّفَقَ اسْمُهُ واسْمُ أَبِيهِ وجَدِّهِ، أَو اسْمُ شَيْخِهِ وشَيْخِ شَيخِهِ فصَاعِداً، ومَنِ اتَّفَقَ اسْمُ شَيْخِهِ والرَّاوِي عَنْهُ.

الشَّرح :

هذه مسائل نظريةٌ مهمَّة تُساعد الباحث في الوُصول إلى الرَّاوي المطلوب، فالمهمُّ أن نَصل إلى الراوي، فقد يكون بالاسم، وقد يكون بالكُنية، وقد يكون بالاسم والكنية، وقد يكون باللقب، ولذلك أُلِّفت كتب في هذه الأبواب، مثل: «نُزهة الألباب في الألقاب» للحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وغيرها، أو«من روى عن أبيه عن جدِّه» ولكلِّ واحد من هذه الأنواع أمثلة، تُنظر في مظانِّها .

❑ ❑ ❑

ومَعْرِفَةُ الأَسماءِ المُجَرَّدَةِ وَالمُفْرَدَةِ، وكَذَا الكُنَى، والأَلقابِ، والأَنسَابِ، وتَقَعُ إلى القَبَائِلِ والأَوطَانِ، بِلاداً، وضِيَاعاً، وسِكَكاً، ومُجَاوَرَةً، وإلى الصَّنَائِعِ والحِرَفِ، ويَقَعُ فيها الاشتِبَاهُ والاتِّفَاقُ كالأَسماءِ، وقَدْ تَقَعُ أَلقاباً، ومَعرِفَةُ أَسبابِ ذلِكَ.

ومَعْرِفَةُ المَوَالِي مِنْ أَعلَى ومِنْ أَسفَلَ بِالرِّقِّ، أَو بِالحِلْفِ.

ومَعْرِفَةُ الإخوَةِ والأَخَوَاتِ.

الشَّرح :

الأسماء في هذا الباب تنقسمُ إلى ثلاثة أقسام: الاسم، والكنية، واللقب:

الاسم : زيد، خالد، عمرو.

واللقب: ما أشعر برِفْعةٍ أو ضَعَة، مثل: اللحام، الجصاص، الجاحظ.

والكنية: ما صُدِّرت بـ«أب» أو «أم»، مثل: أبو عمر، أبو خالد، أم حكيم، فبالرجوع إلى كتب الجرح والتعديل يستطيع الباحث أن يُعيِّن الراوي ويعرفه عن طريق الكنية، وكذا القبائل والأوطان إلى آخره.

فينبغي العناية بهذه المسائل في تبيين الرواة حتى نستطيع تعيينهم وتمييزهم، فمثلاً إذا كان راوٍ موجوداً في بغداد، فهذا يساعدنا على معرفة الجو المحيط به، ومعرفة أساتذته، وإذا روى بغداديٌّ عن شيخ من بُخارى، فهنا يجب أن نعرف هل هو خرج من بغداد أو لا؟ وإذا خرج يتوجَّب علينا معرفة زمن خروجه، وهكذا.

فالحسن البصري مثلاً، ذُكِر أنه روى عنه كثيرٌ ولم يسمعوا منه، فمعرفة هذه الأمور تكشف لنا الحقيقة بجلاء، وتُعرِّفنا بصلة هؤلاء الرُّواة بعضهم ببعض.

وقد ألَّف الدُّولابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتاباً في الكُنى والألقاب، وقد ألَّف أيضاً أبو أحمد الحاكم رَحِمَهُ ٱللَّهُ شيخ صاحب «المستدرك» كتاباً في «الكنى»، وألَّف بعضهم «بالمشتَبه»، وبعضهم «بالمتَّفق والمفترق»، وغير ذلك، وهي مَشهورة منثورة، ويجب على طالب الحديث أنْ يُحيط بها، ويَقتني غالب هذا المصنَّفات التي تُعينه في بحثه وعِلْمه .

❑ ❑ ❑

وَمَعْرَفَةُ آداب الشَّيخِ والطَّالِبِ، ووَقتِ سِنِّ التَّحَمُّلِ والأَدَاءِ، وصِفَةِ الضَّبْط بِالحِفْظِ والكِتابِ، وصِفَةِ كِتابِةِ الحدِيثِ، وعَرْضِهِ، وسَماعِهِ، وإِسْماعِهِ، والرِّحْلَةِ فِيهِ، وتَصْنِيفِهِ: على المسَانِيدِ، أَو الأَبوَاب، أَو الشُّيُوخِ، أَو العِلَلِ، أَو الأَطْرَافِ.

ومَعْرِفَةُ سَبَبِ الحدِيثِ وقَدْ صَنَّفَ فِيهِ بَعْضُ شُيُوخِ القَاضِي أَبِي يَعْلَى ابن الفَرَّاء، وصَنَّفُوا في غالِبِ هذِهِ الأَنواعِ، وهِي نَقْلٌ مَحْضٌ ظَاهِرَةٌ مُستَغْنِيةٌ عنِ التَّمْثِيلِ، وحَصْرُها مُتَعَسِّرٌ، فلْيُراجَعْ لها مَبْسُوطاتُها، واللهُ الموَفِّقُ والهادِي، لا إلهَ إلا هُو.

الشَّرح :

هذه نُبذٌ من آداب طالب الحديث، تَعرَّض لها الحافظ لأهميَّتها، وعِظَم مكانتها .

ومن أحسن مَن يطرق هذه المواضيع الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللهُ فله عِدَّة كتب في هذا، فطالب العلم يجب أن يتحلَّى بالآداب والأخلاق التي تليق بطالب العلم، وأهمها: **الإخلاص**، فلا ينبغي أن تتعلَّم العلم لتماري به السُّفهاء، أو لتأخذ عليه مالاً وأجراً، فلا بُدَّ من تصحيح النية، فأنا أتعلَّم لأُرضي رب العالمين سبحانه وتعالى، ولأنشر هذا العلم الذي أكرمني الله سبحانه وتعالى به بين الناس، وحتى يعود أجر هذا العلم النافع إليَّ بعد موتي .

فالله الله أيها الفضلاء والفاضلات بآداب العلم وبكيفيَّة التعامل مع أهل العلم الكبار، فإنَّ لهم عند الله منزلة كبيرة[١].

وبهذا نكون قد أنهينا هذا التَّعليق المختصر على متن «نخبة الفكر» للحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، فالحمد لله الذي وَفَّقني وَوفقكم إلى قراءته، الذي هو قليل، ولكن سيكثر وينمو، وأول الغيث قطرٌ ثم ينسكبُ.

أسأل الله أن يُولِّد هذا في قلوبكم محبة حديث الرسول ﷺ ، والسعي إلى تحصيله.

وأسأل سبحانه أن يجعل عملنا هذا مما نبتغي به وجه الله، ونسأله سبحانه وتعالى أن يُعلِّمنا ما ينفعنا في دنيانا وآخرتنا، ونسأله سبحانه القبول، والحمد لله رب العالمين.

❑ ❑ ❑

---

(١) وحريٌّ بطالب العلم أيقرأ كتاباً نفيساً في بابه، وهو «قواعد التعامل مع العلماء» للشيخ عبدالرحمن اللويحق جزاه الله خيراً .

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة فضيلة الشَّيخ محمَّد بن ناصر العَجْمي في ختام الدَّورة العِلميَّة

الحمد لله فاتحة كل خير، وتمام كل نعمة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فقد قُرئ على العلامة الجليل الشيخ المحقق شعيب الأرنؤوط: «نخبة الفكر» للحافظ ابن حجر روايةً ودراية، في أربعة مجالس، آخرها في يوم ١٦/ محرم/ ١٤٣٢هـ في مسجد الراشد في العديلية في دولة الكويت المحروسة، وقُرئ عليه أيضاً أول حديث من «صحيح البخاري»، والأبواب العشرة من كتاب الإيمان، وكان ذلك بحضور وسماع جمع من طلبة العلم وطالبات العلم كذلك.

❑ ❑ ❑

قال شيخنا الشيخ شعيب الأرنؤوط حفظه الله مُعلِّقاً ومجيزاً:

الحمد لله، كل ما ذكره الشيخ صحيح، وقد أجزتكم بما ذُكِر، وأوصيكم أن تستقيموا، «قل: آمنت بالله، ثم استقم»، واستمروا على طلب العلم، فإن الله سبحانه وتعالى سيعلي شأنكم، في الدنيا وفي الآخرة، والحمد لله رب العالمين.

❑ ❑ ❑





التَّعليقاتُ العِلْمِيَّةُ

على أبوابٍ من كتاب العلم

من «الجامع الصحيح» للإمام البخاري رحمه الله

إملاء

فضيلة الشيخ العلامة المحدث

شعيب الأرنؤوط

اعتنى به وأعدّه

محمد بن يوسف الجوراني





إسناد الشَّيخ العلَّامةِ
شُعَيْب الأرنؤوط
إلى «الجامع الصحيح»

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخُنا حفظه الله :

أخبرنا شيخنا محمد صالح الفَرفُور بأكثر «صحيح البخاري»
عن الشَّيخ بدر الدِّين الحسَني
عن الشَّيخ عبد القادر بن صالح الخطيب
عن الشَّيخ عبد الرحمن بن محمد الكُزْبَري
عن أحمد بن عبيد الله العَطَّار
عن إسماعيل بن محمد العَجْلُوني
أخبرنا أبو المواهِب الحنبَلي قراءةً عليه.
عن والده الحُجَّة الثبت عبد الباقي البعلي - **وهذا إسنادٌ مُسلسَلٌ بالدِّمشقِيِّين.**
عن محمد حِجازي الواعظ
عن أحمد بن يَشْبك اليُوسُفي، قال:
أخبرنا زكريا الأنصاريُّ بسماعه لِـ«نُخبةِ الفِكَر» من شيخه مصنِّفها الإمام الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

❑ ❑ ❑

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

٣- كِتابُ العِلْمِ[١]

١- باب فضلِ العلم

وقولِ اللهِ تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة:١١].

وقَولِه عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه:١١٤].

قال شيخُنا العلَّامة أحسن الله إليه :

قولُه : ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا**﴾[٢] : فإنَّ المرء مهما بلغ في العلم منزلةً عظيمة ينبغي عليه أن يسأل الله تعالى المزيد من العلم، حيث مهما بلغ علمُنا فحاله كما قال ربنا سبحانه : ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]

وقد كان هذا لسان حال النبيِّ ﷺ السُّؤال بالمزيد من العلم، وعليه فلا يجوز للمسلم أن يقول : اكتفيتُ من العلم، فالمرء مِنَّا ما دام على قيد الحياة فإنه لا بدَّ له من طلب العلم والاستزادة فيه، وينقطع هذا بموتنا، ولذلك قال العلماء من قبل : من المحبرة إلى المقبرة، وهكذا فليكن، فالعلم لا يُنال

---

(١) بقراءة فضيلة الشيخ محمد بن ناصر العجمي جزاه الله خيراً، في مركز السَّعد النسائي للحديث.

(٢) قال ابنُ قيِّم الجوزيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وكفَى بهذا شَرَفاً للعِلْم أنْ أمرَ نبيَّه أنْ يسألهُ المزيدَ منه». «مفتاح دار السعادة» (١/ ٢٢٣) .

وقال الحافظُ ابنُ حجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «واضح الدَّلالة في فضل العِلْم؛ لأنَّ اللهَ تعالىٰ لم يأمر نبيَّه ﷺ بطلب الازْدِياد مِن شيء إلَّا من العِلْم، والمراد بالعِلْم؛ العِلْمُ الشَّرعي الَّذِي يُفيد معرفة ما يجبُ على المكلَّف مِن أمر عباداته ومُعاملاته، والعِلْم باللهِ وصفاته، وما يجبُ له من القيام بأمْرِه، وتَنْزيهه عن النَّقائص، ومَدارُ ذلك على التَّفسير، والحديث، والفِقْه » «فتح الباري» (١/ ١٨٧) .

براحة الأبدان، نعم [١].

٢- باب مَن سُئِلَ عِلْماً وهُو مُشتغِلٌ في حديثه فأتمَّ الحديثَ ثمَّ أجابَ السّائلَ

٥٩- حدَّثنا مُحمَّدُ بنُ سِنانٍ، قال: حدَّثنا فُلَيحٌ (ح) وحدَّثني إبراهيمُ بنُ المُنذِرِ، قال: حدَّثنا مُحمَّدُ بنُ فُلَيحٍ، قال: حدَّثني أَبي، قال: حدَّثني هِلالُ بنُ عليٍّ، عن عطاءِ بنِ يَسارٍ، عن أبي هُرَيرةَ قال: بينما النبيُّ ﷺ في مَجلِسٍ يُحدِّثُ القومَ، جاءَه أعرابيٌّ فقال: متى السّاعةُ؟ فمَضَى رسولُ الله ﷺ يُحدِّثُ، فقال بعضُ القومِ: سَمِعَ ما قال فكَرِهَ ما قال، وقال بعضُهم: بل لم يَسمَعْ، حتَّى إذا قَضَى حديثَه قال: «أينَ - أُراه - السّائلُ عن السّاعةِ؟» قال: ها أنا يا رسولَ الله، قال: «فإذا ضُيِّعَتِ الأمانةُ، فانتَظِرِ السّاعةَ» قال: كيفَ إضاعَتُها؟ قال: «إذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غيرِ أهلِه، فانتَظِرِ السّاعةَ».

قال شيخُنا العلَّامة أحسن الله إليه :

في إسناد الحديث : محمد بن فُليح، كما ترون هو من رجال البخاري، ولكنَّ البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُترخَّص في الرِّواية عنه فيما لا يَتعلَّق بالحلال والحرام، وما كان في الفَضائل والرَّقائق، وهنا تَنبيهٌ مهم، وإن كُنَّا نترخص في الرَّقائق والفضائل فإنه ينبغي أن يكون هذا من باب خفيف الضبط لا شديده، وإلَّا فلا يقبل البتة، ولابدَّ أن يكون لهذه المرْويَّات أصل، وبعض أهل الحديث لا

---

(١) يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «أفضل الأشياء التَّزيُّد من العلم، فإنَّه مَن اقتصر على ما يَعلمُه، فظنَّه كافياً؛ استبدَّ برأيه، وصار تعظيمُه لنفسه مانعاً له من الاستفادة، والمُذاكرة تُبيِّن له خطأه، وربَّما كان مُعظَّماً في النُّفوس، فلم يتجاسر على الردِّ عليه، ولو أنَّه أظهر الاستفادة، لأُهدِيت إليه مَساويه، فعاد عنها» «صيد الخاطر» (١٢٧)

يقبلون الأخذ بالحديث الضعيف لا في الفضائل ولا في غيره، ويذهبون إلى أن الفضائل هي جزء من التكاليف الشرعية، فلا يقبلون بها .

ومحمد بن فُليح هنا حَسَنُ الحديث، ولـم يُدوِّن له الإمام البخاري رحمه الله إلَّا في الفضائل، وما كان في غيرها فإنه يُخرج له مُتابعة لأحد الثقات.

قولُه : «جاءَه أعرابيٌّ» : هذا وصفٌ من الرَّاوي يدلُّ على أن هذا الرجل السائل من الأعراب، ومعلوم أنَّ الأعراب فيهم فَظاظَةٌ وجفاء، فهنا النبي ﷺ يُحدِّث وهو يتكلَّم، ولكن من حرص النبي ﷺ على الإجابة والبيان عاد في خاتمة حديثه وقال أين السائل؟ وفيه لَفْتٌ إلى الآداب التي يَنبغي أن تُراعى في الحديث، وهذا من جميل خُلق النبي ﷺ، و فيه بيان كم صَبَر النبيُّ ﷺ على كثير من جفاء الأعراب وفظاظتهم، والسِّيرة المُحمَّدية شاهدةٌ على كثير من هذه القِصص، ولا يَصبر على بَداوتهم إلَّا نبيٌّ رحيم، فصبر على جفائهم وهذَّبهم وجعل منهم سادةً للدُّنيا، وهذا مِصداق قول ربِّنا في نبيِّه ﷺ : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]

قولُه : «قال: ها أنا يا رسولَ الله، قال: «فإذا ضُيِّعَتِ الأمانةُ، فانتَظِرِ السّاعةَ»» : هذا الحديث أخذ منه الفُقهاء حُكْماً وهو : **أنَّ المرء لا يطلب الولاية لنفسه، وإنما ينظر أهل الحلِّ والعَقْد فيمن يرونه أهلاً للولاية**، ويشهد له حديثُ أبي موسى رضي الله عنه قال : دَخلتُ على النبيِّ ﷺ أنا ورُجلان مِن قَومي، فقال أحدُ الرَّجُلين : أَمِّرْنا يا رسول الله، وقال الآخر مثله، فقال: «إِنَّا لَا نُوَلِّي

هَذَا مَنْ سَأَلَهُ وَلَا مَنْ حَرَصَ عَلَيْهِ»[1]

وأمَّا اليوم فانقلب الحال، وتغيرت الحقائق، فصار من لا يُحسن الأمانة يتطلَّبها، فإنْ صارت إليه؛ لتغيُّر الموازين، وبُعْد النَّاس عن الدِّين، رأيتَ عجباً من تضييع الحقوق، وأكل أموال الناس بالباطل، ولذلك سأل هذا الرجل عن كيفيَّة إضاعتها، فقال له النبي ﷺ :«**إذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غيرِ أهلِه، فانتَظِرِ السّاعةَ**».

قولُه : «**وسِّد**» : يعني أُسْنِد إليه وهو ليس له بأَهْلٍ، فحينها ترقَّب قيام السَّاعة، وهذا الأمر من علامات الساعة الصغرى .

وهذا فيه عنايةُ الإسلام بأنْ تُسند الأمور إلى أَكْفـاءِ أصحابها، وخَير من يقُوم بها على الوجه الحقِّ؛ حتَّى لا تضيع حقُوق الله وحقوق العباد.

٣- باب مَن رَفَعَ صوتَه بالعلم

٦٠- **حدَّثنا** أبو النُّعْمانِ عَارمُ بنُ الفَضْل، قال: حدَّثنا أبو عَوَانةَ، عن أبي بِشْر، عن يوسُفَ بنِ ماهَكَ، عن عبدِ الله بنِ عَمرٍو قال: تَخلَّفَ عنَّا النبيُّ ﷺ في سَفْرةٍ سافَرْناها، فأدرَكَنا وقد أرهَقَتْنا الصلاةُ ونحنُ نَتَوضَّأُ، فجَعَلْنا نَمسَحُ على أرجُلِنا، فنادَى بأعلَى صوتِه: «ويلٌ لِلأعقابِ منَ النّار» مرَّتينِ أو ثلاثاً.

قال شيخُنا العلَّامة أحسن الله إليه :

قولُه: «**أرهَقَتْنا الصلاةُ**» أي: أدركتنا وضاقت علينا، وكأنهم أَخَّروها عن أول وقتها، فلذلك استعجلوا في الوُضوء.

قولُه: « **لِلأعقابِ**»: الأعقاب: جمع عَقِب، وهو مُؤَخَّر القَدم.

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٤٩)

قولُه : «**نَمسَحُ على أرجُلِنا**» : في اللُّغة : يُستعمل الغَسل الخفيف بمعنى المسح، ولذا لـمَّا رأى النبيُّ ﷺ حال هذا الرَّجل في الوُضوء، ولم يغسل كعبيه قال : «ويلٌ لِلأعقَابِ مِنَ النَّارِ» والأئمَّة الأربعة قد اشترطوا أن يبلغ الماء إلى الكعبين.

وقراءة النَّصب: ﴿ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾ [المائدة:٦]، **عَطْفٌ على غَسل** الوَجه، أي : اغسلوا وجهوكم وأرجلكم(١) .

وقول النبيِّ ﷺ في حديث الباب بيانٌ على أنَّ الفَرْض في حقِّ الرِّجل الغَسل، ولذا رفع صوته بالنَّكِير وقال ما قال مُتوعِّداً .

وأمَّا من فِعْله ﷺ، فأحاديث كثيرة تُبيِّن أنَّ المراد بالمسح هنا الغَسل، **فمنها** : حديث جابر ﷺ وهو نصٌّ في المسألة، قال جابر ﷺ : أَمَرَنا رسول الله ﷺ إذا تَوضَّأنا للصَّلاة أنْ نَغسِل أَرجُلَنا. وهو حديث صحيح(٢).

ومنها : حديث عثمان بن عفَّان ﷺ في صفة الوُضوء، فقد جاء فيه : ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ، **ثُمَّ غَسَلَ كُلَّ رِجْلٍ ثَلَاثاً**، ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَتَوَضَّأُ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا(٣).

ومن هنا كان من لَطائف هذا العَطْف أنْ تُراعي حقَّ هذا الماء فلا تُسرف فيه، بل تقتصد، فإنَّ الماء من أعظم النِّعم، والنِّعمُ تُصان بالحفظ مع الشُّكر، وهذا من اللطائف، والله أعلم(٤).

---

(١) قرأ بنصب اللام : « وأَرجُلَكم» : نافع، وابن عامر، والكسائي، وحفص عن عاصم، ويعقوب، وقرأ بالخفض ـ كسر اللام ـ «وأَرجُلِكم» : ابن كثير، وحمزة، وأبو عمرو، وعاصم في رواية أبي بكر عنه، وأبو جعفر، وخلف، انظر : «السبعة» ٢٤٢، و«النشر» (٢/ ٢٥٤)

(٢) أخرجه الدار قطني في «السنن» (٣٧٧)

(٣) أخرجه البخاري (١٦٤) .

(٤) يقول الزمخشريُّ في «الكشاف» (١/ ٦٤٥): =

قولُه: «فنادَى بأعلَى صوتِه»: هذه مناسبةُ التَّبويب، والإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ يَتفنَّن في التَّبويب، وهو جبل التَّبويب الفِقْهي[1]، ومرادُه في هذا التَّبويب: **أنَّ رفع الصوت غيرُ مرغوب فيه، ويُذمُّ صاحبه، ولكن إنْ كان لفائدةٍ ليُسمِع، أو إنكار مُنكرٍ فهذا يَدلُّ على الجواز، ومن هنا جاء الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ بهذا الباب**، فانْظُرنَ إلى هذا الفِقْه الجميل كيف بَوَّب هذا الباب على هذه الجملة التي رُبَّما لا يتنبَّه له كثيرٌ من أهل العلم، وهذا يَدلُّ على فِقْهٍ كبير لهذا الإمام الجليل، ومن هنا كان كتاب البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ تظهر فيه الصِّناعة الفقهية لا الحديثية، بخلاف الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ فكتابه العناية الحديثية ظاهرة جليَّة فيه.

= أ جماعةٌ «وأَرْجلَكم» بالنصب، فدلَّ على أنَّ الأرجل مَغسولةٌ. فإنْ قلتَ: فما تصنعُ بقراءة الجرِّ ودُخولها في حكم المسح؟ قلتُ: الأَرْجُل مِن بين الأعضاء الثلاثة المغسولة، تُغسل بصبِّ الماء عليها، فكانت مظنَّة للإسراف المذموم المَنْهِيِّ عنه، فعُطِفت على الثالث الممسوح، لا لِتُمسَح، ولكن لِيُنبَّه على وجوب الاقتصاد في صبِّ الماء عليها.

وقيل: «إلى الكعبين»: فَجِيء بالغاية؛ إماطةً لظنِّ ظانٍّ يحسبها ممسوحة؛ لأنَّ المسح لم تُضرب له غايةٌ في الشريعة» اهـ

(١) الإمام البُخاري رَحِمَهُ اللَّهُ من مُجتهدي أئمَّة الحديث وأعلامه، وقد بثَّ فِقْهه وأراءه في تراجم أبوابه، حتى تَميَّز بذلك، وعُرِف صنيعُه بين العلماء الحُذَّاق، ولم يَقْدِروا على ركوب الصَّعب الذي ركبه، فدلَّت تِيْكَ التراجمُ على سَعَة أُفقِه، وعميق فِقْهه، حتى قال غيرُ واحدٍ من العلماء الكِبَار: **فِقهُ الإمام البخاري في تراجمه**.

وقال ابن المنيِّر رَحِمَهُ اللَّهُ يَصِف صنيع الإمام البُخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في أبوابه: كان البخاريُّ لطيف الأخذ بفوائد الحديث، دقيق الفِكْرة فيها، وكان ربَّما عَرَض له الاستدلالُ على الترجمة بالحديث الواضح المطابِق، فعَدَل إلى الأخذ من الإشارة والرَّمز به، وكان على الصَّواب في ذلك، لأنَّ الحديث البَيِّن يستوي الناسُ في الأخذ منه، وإنَّما يتفاوتون في الاستنباط من الإشارات الخفيَّة، ولم يكن مقصود البخاريِّ كغيره، يملأ الصُّحف بما سُبِق إليه، وبما يُعتمَد في مثله على الأفهام العامة، وإنما كان مقصدُه فائدة زائدة. انظر: «المتواري على أبواب البخاري» (٨٧).

٤- باب قول المُحدِّث: حدَّثنا أو أخبرنا وأنبَأنا

وقال لنا الحُمَيديُّ: كان عندَ ابنِ عُيَينةَ «حدَّثنا» و«أخبرنا» و«أنبَأنا» و«سمعتُ» واحداً.

وقال ابنُ مسعودٍ: حدَّثنا رسولُ الله ﷺ وهو الصّادِقُ المصدوقُ.

وقال شَقِيقٌ: عن عبدِ الله: سمعتُ النبيَّ ﷺ كَلِمةً.

وقال حُذَيفةُ: حدَّثنا رسولُ الله ﷺ حديثَينِ.

وقال أبو العاليَةِ: عن ابنِ عبَّاسٍ، عن النبيِّ ﷺ فيما يَرْوي عن رَبِّه.

وقال أنسٌ: عن النبيِّ ﷺ يَرْوِيه عن رَبِّه عَزَّوَجَلَّ .

وقال أبو هُرَيرةَ: عن النبيِّ ﷺ يَرْوِيه عن رَبِّكم عَزَّوَجَلَّ .

٦١- حدَّثنا قُتَيبةُ، حدَّثنا إسماعيلُ بنُ جعفرٍ، عن عبدِ الله بنِ دِينارٍ، عن ابنِ عمرَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ منَ الشَّجَرِ شَجرةً لا يَسقُطُ وَرَقُها، وإنَّها مَثَلُ المُسلِمِ، فحَدِّثوني ما هِيَ؟» فوَقَعَ النَّاسُ في شَجَرِ البَوادي، قال عبدُ الله: ووَقَعَ في نَفْسي أنَّها النَّخْلةُ فاستَحيَيتُ، ثمَّ قالوا: حَدِّثنا ما هي يا رسولَ الله؟ قال: «هيَ النَّخْلةُ».

قال شيخُنا العلَّامة أحسن الله إليه :

هذه مسألة علميَّة في علم المصطلح، فالإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ يرى أنَّ قول الرَّاوي: «حدَّثنا» و«أخبرنا» و«أنبَأنا» و«سمعتُ» واحداً، فهي مِن باب التَّرادف وتدلُّ كلُّها على السَّماع، بخلاف غيره من أهل الحديث، وقد صنَّف الإمام الطَّحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالة في ذلك لطيفة، أَوْدعها الحافظُ ابن عبد البر

رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «جامع بيان العلم وفضله»[1]

ولكن بعضُ المُتأخِّرين من أهل الحديث صنَعوا بعضَ القُيود فيما يتعلَّق بكلِّ لفظة منها، والصَّواب عندي هو ما ذهب إليه الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أمَّا ما يجب فيه التَّفريق ؛ فهو بين هذه الصِّيغ وبين لفظة «عن أو أنْ» فهنا من الدقَّة أنْ لا يُعدَّ هذا من السَّماع لا سِيَّما من المُدِّلس حتَّى يصرِّح بالسَّماع، فالتدليسُ عَيبٌ في الراوي، ويقْدَح في روايته، وما لـم يُصرِّح فيه الرَّاوي فلا يُقبل حديثه، وهنا نُفرِّق بين هذه الصِّيغ في الأداء وبين العَنْعنة. نعم .

٥- باب طَرْحِ الإمامِ المسألةَ على أصحابه ليختبِرَ ما عندَهم من العلم

٦٢- حدَّثنا خالدُ بنُ مَخلَدٍ، حدَّثنا سليمانُ، حدَّثنا عبدُ الله بنُ دِينارٍ، عن ابنِ عمرَ، عن النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ منَ الشَّجَرِ شجرةً لا يَسقُطُ وَرَقُها، وإنَّها مَثَلُ المسلمِ، حَدِّثوني ما هِيَ؟» قال: فوَقَعَ النّاسُ في شَجَرِ البَوادي، قال عبدُ الله: فوَقَعَ في نَفْسي أنَّها النَّخْلةُ، ثمَّ قالوا: حَدِّثنا ما هي يا رسولَ الله؟ قال: «هي النَّخْلةُ».

قال شيخُنا العلَّامة أحسن الله إليه :

هذه حديثٌ لطيفٌ شريف، وفيه أنَّ النبيَّ ﷺ كان يَتعاهد صحابتَه بين الفترة والأُخرى فيَطرح عليهم بعضَ الأسئلة التي فيها إغماضٌ، وتارة يقول من رأى منكم رُؤيا، وهذا فيه الحضُّ ـ بأسلوب غير مباشرـ على إعمال العَقل والفِكْر، فلم يكن ﷺ يريد أمَّة مُقلِّدة، أو أُمَّة لا تُكِدُّ عقلَها.

---

(١) وقد حقَّقها الشَّيخ عبد الفتاح أبو غدة رَحِمَهُ ٱللَّهُ ونشرها ضمن «خمس رسائل في علوم الحديث» وهي الرسالة الرابعة بعنوان : «التَّسوية بين حدثنا وأخبرنا» فلتُنظر .

وفيه شرَفُ هذه الشجرة النَّخلة، وتشبيهُ المُؤمن بها فيه فوائد، منها : أن هذه الشَّجرة تَمنح الثَّمر، وهكذا فليكُن المؤمن، وهي عَاليةٌ، وهكذا همَّة المؤمن، وثباتها مُستمرٌّ، وهكذا فليكن المؤمن .

٥م- باب ما جاءَ في العِلْم

وقولِه تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤].

٦- باب القراءة والعَرْض على المُحدِّث

ورأى الحسنُ، والثَّوْريُّ، ومالكٌ: القراءةَ جائزةً.

واحتَجَّ بعضُهم في القراءةِ على العالِم بحديثِ ضِمامِ بنِ ثَعْلبةَ، قال للنبيِّ ﷺ: اللهُ أمَرَكَ أنْ نُصلِّيَ الصلَواتِ؟ قال: «نَعَم»؛ قال: فهذه قراءةٌ على النبيِّ ﷺ، أخبَرَ ضِمامٌ قومَه بذلكَ فأجازُوه.

قال شيخُنا العلَّامة أحسن الله إليه :

طالبُ العلم إمَّا أنْ يقرأ على أستاذه وشيخه الكتاب، وإمَّا أنْ يسمع من شيخه، وكلاهما شيء واحدٌ في العلم، وقد كان الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُملي «الموطأ» وهم ينظرون فيما كتبوا، فالقراءة والعرض شيء واحد في باب العلم، ولكن من باب الضَّبط أرى أنَّ القراءةَ على الشَّيخ أجودُ وأضبطُ لاسِيَّما من العالِم المُتمكِّن باللغة العربية؛ لأنَّه يُصحِّح للقارئ ما يُجانب الصواب فيها.

واحتَجَّ مالكٌ بالصَّكِّ يُقرَأُ على القومِ فيقولونَ: أَشْهَدَنا فلانٌ، ويُقرَأُ ذلكَ قراءةً عليهم، ويُقرَأُ على المُقرِئِ، فيقولُ القارئُ: أقرَأَني فلانٌ.

قال شيخُنا العلَّامة أحسن الله إليه :

قولُه :«بالصَّكِّ» : يعني الكتاب، أو الصحيفة، أو الوَثيقة .

حدَّثنا محمَّدُ بنُ سَلَامٍ، حدَّثنا محمَّدُ بنُ الحسنِ الواسطيُّ، عن عَوْفٍ، عن الحسنِ قال: لا بأْسَ بالقراءةِ على العالِمِ.

قال شيخُنا العلَّامة أحسن الله إليه :

قولُه : «**محمد بن سلَام**» : هو البِيْكَنْدِي الكبير، شَيخ البخاري : يقال بالتخفيف، وما عداه يُقال بالتَّشديد، وقد غلط في ضبطه غير واحد من أهل الحديث، وأحسن من بيَّنه وضبطه ابن ناصر الدين الدمشقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه العظيم : «توضيح المشتَبِه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم»[1] وهو كتابٌ مُهمٌّ جداً للمُشتغِلين في الحديث؛ لمعرفة كيفيَّة ضَبط أسماء الرُّواة، ومعلومٌ أنَّ الأسماء لا تَدخلها القياس .

وكذا كتاب الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «تَبصير المُنتَبِه» فإنه جيِّدٌ في بابه، ولا يستغني عنه طالب حديث، والأولُ أجودُّ في الضبط والتَّحقيق من الثاني، ومن أدلة ذلك، أنه ألَّف رسالة في ضبط محمد بن سلام شيخ

---

(١) قال ابن ناصر الدِّين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التوضح» (٢/ ١٠٥ط: الرسالة العالمية) (سلام) : ومحمد بن سلَام البيكندي الحافظ شيخ البخاري، ما ذكر فيه الخطيبُ ولا ابن ماكولا سوى التَّخفيف، وقال صاحب «المطالع» ثقَّله الأكثر كذا قال، ولـم يُتابَع، وقد ذكره غُنجار في «تاريخ بُخارى» - وإليه المفزع والمرجع - بالتَّخفيف.

قلت : وقال أبو نصر السَّجْزي : حكَى لنا أبو سعد الماليني بإسنادٍ له، عن بعض علماء ما وراء النهر أنَّه ابنُ سلَام بالتخفيف انتهى، ومن شدَّده كابن أبي حاتم، وأبي علي الجيَّاني وما ذكره القاضي عياض في «المشارق» وتَبعه ابن قُرقول في «المطالع» أنَّ التَّثقيل أكثر كأنَّه اشتبه عليهم - والله اعلم - بالبيكندي الصَّغير محمد بن سلَّام بن السكن فإنه بالتشديد ، وأما شيخ البخاري فاسم أبيه بالتَّخفيف ومن قاله مشدِّداً فقد وَهِم.

وقال أبو بكر الخطيب في كتابه «تلخيص المتشابه» بإسناده إلى سهل بن المتوكل قال: سمعتُ محمد بن سلَام يقول : أنا محمد بن سلَام بالتخفيف، وليس محمد بن سلَّام.

وقال الخطيب أيضاً : قال أبو الوليد وكذلك ذكر لي بعضُ وَلدِ محمد بن سلَام. انتهى مختصراً .

البخاري، وهي «رَفع المَلام عمن خفَّف والد شيخ البخاري محمد بن سلام» فهو صاحب تحقيق وتدقيق، وفي كلٍّ خير . والله أعلم .

وحدَّثنا عُبَيد الله بنُ موسى، عن سفيانَ قال: إذا قُرِئَ على المحدِّثِ فلا بأْسَ أنْ يقولَ: حدَّثني.

قال: وسمعتُ أبا عاصمٍ يقولُ عن مالكٍ وسفيانَ: القراءةُ على العالمِ وقراءَتُه سَواءٌ.

قال شيخُنا العلَّامة أحسن الله إليه :

لكلٍّ حَسنات، فقراءة العالِـم يُستفاد منها: صحَّة القراءة، وفصاحتها، وكيفيَّة القراءة والوقوف الصَّحيح في المواطن التي يُفهم منها الكلام، فيتعلَّم منها طالب العلم كيفيَّة القراءة المضبوطة، ويحاول أنْ يحمل نفسَه على ذلك بالدُّرْبة لـما يَسمع، والعرب كان حديثهم عند النُّحاة حُجَّة؛ لأنهم لم يختلطوا بالأعاجم فكان كلامُهم الذي لم تَختلِط به العُجْمة حُجَّة وهذا إلى عام ١٣٢هـ، وأمَّا بعدها فلا؛ لدخول العُجمة في كلامهم من خلال الغُرباء الذين خالطوا العرب.

٦٣- حدَّثنا عبدُ الله بنُ يوسُفَ، قال: حدَّثنا اللَّيثُ، عن سعيدٍ ـ هو المَقبُريُّ ـ عن شَرِيكِ بنِ عبدِ الله بنِ أبي نَمِرٍ: أنَّه سَمِعَ أنَسَ بنَ مالكٍ يقولُ: بينَما نحنُ جلوسٌ مع النبيِّ ﷺ في المسجدِ دَخَلَ رجلٌ على جَمَلٍ، فأناخَه في المسجدِ ثمَّ عَقَلَه، ثمَّ قال لهم: أيُّكم محمَّدٌ؟ والنبيُّ ﷺ مُتَّكِئٌ بينَ ظَهْرانَيْهم، فقلنا: هذا الرَّجلُ الأبيضُ المتَّكِئ.

فقال له الرَّجلُ: ابنَ عبدِ المطَّلِبِ.

قال شيخُنا العلَّامة أحسن الله إليه :

قولُه : «فقال له الرَّجلُ: ابنَ عبدِ المطَّلِب» : هذا منادى، محذوف حرف النِّداء على تَقدير : يا ابن عبد المطلب، وليس باستفهام، وتَلْحظ فيه الجفاء والغِلْظة، وسيقول له بعدُ: «ومُشدِّد عليك»! أمَّا القرآن الكريم فكان يُنادِي النبي ﷺ بتَعْظيم وتَشريف في المُخاطبات والتَّكلِيفات، وهذا من تأديب القرآن للمسلمين .

فقال له النبيُّ ﷺ: «قد أجَبْتُـكَ»، فقال الرَّجلُ للنبيِّ ﷺ: إنِّي سائلُكَ فمُشدِّدٌ عليكَ في المَسْألةِ، فلا تَجِدْ عليَّ في نَفْسِكَ، فقال: «سَلْ عمَّا بَدَا لكَ»

قال شيخُنا العلَّامة أحسن الله إليه :

قولُه: «سَلْ عمَّا بَدَا لكَ» : دَلالةٌ عظيمة على سَعَة حِلْم النبي ﷺ فلم يَكْتَرِث أو يَغضب، بل وَسِعَه بخُلقه الحسَن، وهكذا ينبغي للعالِم والمفتي أن لا يضجر من أسئلة الناس لاسِيَّما العَوام، وأهل البداوة والجفاء، وما يدريك فقد يكون جوابُك شفاءً لِمُعضلات حياتهم، فينفع الله بجوابك .

فقال: أسألُكَ بربِّكَ وربِّ مَن قَبلَكَ، اللهُ أرسَلَكَ إلى النّاس كلِّهم؟ فقال: «اللهمَّ نعم» قال: أنشُدُكَ بالله، اللهُ أمَرَكَ أنْ نُصلِّيَ الصلَواتِ الخمسَ في اليوم واللَّيلةِ؟ قال: «اللهمَّ نعم» قال: أنشُدُكَ بالله، اللهُ أمَرَكَ أنْ نصومَ هذا الشَّهرَ منَ السَّنةِ؟ قال: «اللهمَّ نعم» قال: أنشُدُكَ بالله، اللهُ أمَرَكَ أنْ تَأْخُذَ هذه الصَّدَقةَ مِن أغنيائِنا فتَقْسِمَها على فُقَرائِنا؟ فقال النبيُّ ﷺ: «اللهمَّ نعم»، فقال الرَّجلُ: آمَنتُ بما جئتَ به، وأنا رَسُولُ مَن وَرَائي مِن قَوْمي، وأنا ضِمامُ بنُ ثَعْلبةَ أخو بَني سَعدِ بنِ بكرٍ.

رَواهُ مُوسى، وعليُّ بنُ عبدِ الحميدِ، عن سُليمانَ، عن ثابتٍ، عن أنسٍ،

عن النبيِّ ﷺ، بهذا.

قال شيخُنا العلَّامة أحسن الله إليه :

في هذا الحديث : يُؤخذ من فعل هذا الرجل أنَّه كان يَستَوثِق من النبيِّ ﷺ ويقول له : «أنشدك الله، اللهُ أمرك ..» فلمَّا تبيَّن له الحق، وأن النبيَّ ﷺ صادقٌ فيما جاء به، صدَّق فعله قوله، فآمن ودخل في الإسلام، بل ورَجَع رسُولاً مُبلِّغاً لهذا الدِّين.

فالتثبت منهج قرآني، وقد أرشد الله تعالى في كتابه لذلك فقال : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]

وهنا فائدةٌ لأهل الحديث : مفادها أنه ينبغي للباحث أنْ يَتثبَّت من حال الرُّواة، ومن الأخبار قبل نقلها، وأن يُمعِن النَّظر المُتجرِّد فيها، ويسأل الله التَّوفيق والسَّداد، فإن هذا مِن مَزلَّة الأقدام إنْ لم يكُن بعِلْم وتقوى .

وفي الحديث : أنَّ الصِّدق مِن شِيَم أهل المَكارِم والمُرُوءات، ولا مجال لوقوع الكذب من قِبَل هذه الطبقة من الناس، فهذا الرجل بعد أنْ بَيَّن له النبيُّ ﷺ أنه مُرسلٌ من عند الله، وأنَّ الله أمرَه بذلك كلِّه، صدَّقه، وآمن به، وقد كان قبل ذلك عدوٌّ له، ومع ذلك صدَّقه وسرعان ما دخل في الإسلام، فالصِّدق كان عند العرب من الأخلاق الفاضلة والصِّفات النَّبيلة، وقد كان الأعرابي يَصدُق في مواطن يَودُّ لو أنه ظفر بعدوِّه بكذبة، ومع ذلك لا يجعل ذلك مَدخلاً للانتصار على عدوِّه من باب الكذب، وخير ما يشهد لذلك، خبر هرقل مع أبي سفيان، حين سأله عن النبيِّ ﷺ ماذا قال أبو

سفيان؟ قال : فوالله لولا الحياءُ مِن أنْ يأْثُرُوا عليَّ كَذِباً لَكَذَبتُ عليه [1].

٧- باب ما يُذكَر في المُناوَلة وكتابِ أهلِ العِلْمِ بالعِلْمِ إلى البُلدان

وقال أنسٌ: نَسَخَ عُثمانُ المصاحفَ، فبَعَثَ بها إلى الآفاقِ.

ورأى عبدُ الله بنُ عمرَ ويحيى بنُ سعيدٍ ومالكٌ ذلكَ جائزاً.

واحتَجَّ بعضُ أهلِ الحِجازِ في المُناوَلةِ بحديثِ النبيِّ ﷺ حيثُ كَتَبَ لأميرِ السَّرِيَّةِ كتاباً، وقال: «لا تَقْرأه حتَّى تَبلُغَ مكانَ كذا وكذا» فلمَّا بَلَغَ ذلكَ المكانَ قرأَه على النّاسِ وأخبَرَهُم بأمرِ النبيِّ ﷺ.

قال شيخُنا العلَّامة أحسن الله إليه :

قولُه: «المُناوَلة» : وهي أنْ يَعطي الشَّيخُ الكتابَ لتلميذه، ويناوله إيَّاه فيقول له: هذا سَماعي مِن فلانٍ، أو هذا تَصنيفي، أو تحقيقي فارْوِه عنِّي.

وقولُه: «نَسَخَ عُثمانُ المصاحفَ» : المصاحف كُتبت في عهد النبيِّ ﷺ ولكن كانت مُفرَّقة على العُسُب؛ وهو جريد النَّخل كانوا يكتُبون على الجزء العريض منه بعد كَشْطه، وكذا الأكتاف التي للبعير، كانوا يكتبون عليها بعد أن تجفَّ، وهكذا الجلود وغيرها، وهذه أداوت الكتابة في ذلك العهد، فكُتب عليها غالب القرآن، وهذا الحفظ الأول، وأما الحفظ الثاني فقد كان محفوظاً في صدور الصحابة، وقد حفظ القرآن جمعٌ كثير منهم .

وفي عهد الصِّدِّيق رضي الله عنه خَشِي عمرُ رضي الله عنه بعد وقعة اليمامة التي كانت مع مسيلمة الكذَّاب بعد أن استحرَّ القتل في كثير من القُرَّاء، فأشار عمر على

(١) أخرجه البخاري (٧).

أبي بكر ﷺ بأنْ يَجمع القرآن، ثُمَّ اختيار زيد بن ثابت ﷺ لهذا الجمع، فكان زيدٌ يجمعه ويَتتبَّعه من صدور الرِّجال وما كُتب في العُسُب والأكتاف والرِّقاع، ولا يقبل ذلك إلَّا بشاهدين، وهذا كله ليجمع القرآن كاملاً بشكل دقيق ، وهذا معروف مشهور في كتب علوم القرآن.

ثمَّ لما جاء عهد عثمان بن عفان ﷺ كان بعض الصحابة يكتب في مصحفه الخاص بعض التفسيرات فوق الآيات، مثل : «فصيام ثلاثة أيام متتابعات» فالنَّصُّ القُرآني : ﴿ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡ ﴾[المائدة: ٨٩]، وهم ما كتبوا ذلك إلَّا بعد أن تحققوا القرآن من التفسير، وبسبب ذلك كثر التَّماري والجدال في القرآن، وفي هذه التَّفسِيرات، فعثمان ﷺ أراد أنْ يَدْرأ هذه الفتنة، وخشي اختلاف الأمة في كتاب ربِّها، فعَمدَ إلى نَسخ القرآن بما يضمن الوحدة لا الفُرقة؛ لأنَّه قد جُمع من قبل في عهد النبيِّ ﷺ، وفي عهد أبي بكر ﷺ ، فاتخذ مَنهجاً فريداً في ذلك، فنسخه بلسان قريش؛ لأنه نزَل بلسانهم، وجرِّدت المصاحف من تفاسير الصَّحابة التي كتبوها لأنفسهم، ثم أمر أن تكرَّر النُّسخة الإمام لتُرسل هذه النُّسخ في الآفاق، وكان يرسل مع كل نسخة قارئاً يقرأ القرآن؛ لأنَّ الأصل التلقين، وقد كان المصحف غُفْلاً من النقط والشكل .

فالحاصل أنَّ مناسبة نَسْخ عثمان المصحف وإرساله، استشهد به الإمام البخاري ﷺ على مسألة المُناولة، وهي تقوم مقام الرِّواية، وقد ألحقها بالبابين السابقين، ومن هُنا بوَّب عليها بذلك . والله أعلم .

٦٤- حدَّثنا إسماعيلُ بنُ عبدِ الله، قال: حدَّثني إبراهيمُ بنُ سعدٍ، عن صالحٍ، عن ابنِ شِهَاب، عن عُبَيد الله بنِ عبدِ الله بنِ عُتْبَةَ بنِ مسعودٍ، أنَّ

عبدَ الله بنَ عبَّاسٍ أخبَرَه: أنَّ رسولَ الله ﷺ بَعَثَ بكتابه رَجُلاً وأمَرَه أنْ يَدْفَعَه إلى عظيمِ البحرَينِ، فدَفَعَه عظيمُ البحرَينِ إلى كِسْرى، فلمَّا قرأَه مَزَّقَه، فحَسِبْتُ أنَّ ابنَ المسيَّبِ قال: فدَعَا عليهم رسولُ الله ﷺ أنْ يُمزَّقُوا كلَّ مُمزَّقٍ.

قال شيخُنا العلَّامة أحسن الله إليه :

سبحان الله! ظهَرتْ دَعوتُ النبيِّ ﷺ في عهد عُمر رضي الله عنه، فمزَّق الله ملكهم ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك.

٦٥- حدَّثنا محمَّدُ بنُ مُقاتِلٍ أبو الحسنِ، أخبرنا عبدُ الله، قال: أخبرنا شُعْبَةُ، عن قَتَادةَ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: كَتَبَ النبيُّ ﷺ كتاباً ـ أو أرادَ أنْ يَكتُبَ ـ فقيلَ له: إنَّهم لا يَقرَؤون كتاباً إلّا مَختُوماً، فاتَّخَذَ خاتَماً مِن فِضَّةٍ نَقْشُه: محمَّدٌ رسولُ الله، كأنّي أنظُرُ إلى بَياضِه في يدِه. فقلتُ لقَتَادةَ: مَن قال: نَقْشُه محمَّدٌ رسولُ الله؟ قال: أنسٌ.

قال شيخُنا العلَّامة أحسن الله إليه :

هنا مسألة: لُبْس الخاتم كان من النبيِّ ﷺ لا للتَّجمُّل، وإنما كان للختم في كُتُبِه، وكان هذا منه ﷺ ليُبرهِن للبعيد القاصي أنَّ ما في هذه الكُتُب والرَّسائل التي يُرسِل بها مع أصحابه وسُفرائه إنَّما هي من عند رسول الله ﷺ حقًّا، وخَتْمُها يشهد بصِدْقها .

والخاتم مباحٌ للرِّجال إنْ كان من فضَّة، أمَّا الذَّهب فهو مما تَختصُّ به النِّساء، وقد كان قبل عشرات السِّنين لا يعرف النَّاسُ إلَّا هذا، ومن ثَمَّ استُحدِثت مسألة التَّوقيع باليد، عوضاً عن الختم، وهي وسيلة من وسائل التوثيق .

٨- باب مَن قَعَدَ حيث ينتهي به المجلسُ، ومَن رأى فُرْجةً في الحَلْقة فجلس فيها

٦٦- حدَّثنا إسماعيلُ، قال: حدَّثني مالكٌ، عن إسحاقَ بنِ عبدِ الله بنِ أبي طَلْحةَ: أنَّ أبا مُرّةَ مولى عَقِيلِ بنِ أبي طالبٍ أخبَره، عن أبي واقدٍ اللَّيثيِّ: أنَّ رسولَ الله ﷺ بينَما هو جالسٌ في المسجدِ والنّاسُ معه إذْ أقبَلَ ثلاثةُ نَفَرٍ، فأقبَلَ اثنانِ إلى رسولِ الله ﷺ، وذهبَ واحدٌ. قال: فوَقَفا على رسولِ الله ﷺ، فأمَّا أحدُهما فرأى فُرْجةً في الحَلْقةِ فجَلَسَ فيها، وأمَّا الآخرُ فجَلَسَ خَلْفَهُم، وأمَّا الثّالثُ فأدبَرَ ذاهباً، فلمَّا فَرَغَ رسولُ الله ﷺ قال: «ألَا أُخبِرُكم عن النَّفَرِ الثَّلاثةِ، أمَّا أحدُهم فأَوَى إلى الله فآواه اللهُ، وأمَّا الآخَرُ فاستَحْيا فاستَحْيا الله منه، وأمَّا الآخَرُ فأعرَضَ فأعرَضَ اللهُ عنه».

قال شيخُنا العلَّامة أحسن الله إليه :

هذه جملةُ آدابٍ للمسلم، ولطالب العِلْم يُفترض فيه أن يتعلَّمها ويحرص على الالتزام بها، منها أنْ يقعد حيث ينتهي به المجلس، ولا يجوز له أن يُؤذي أحداً من المسلمين، فيُقيم أحداً ويقعد مكانه؛ لِـمَا أخرج البخاري في «الصَّحيح» من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : نَهَى أَنْ يُقامَ الرَّجُلُ مِنْ مَجْلِسِهِ ويَجلِسَ فيهِ آخَرُ، ولَكِنْ تَفَسَّحُوا وتَوَسَّعُوا. وكَانَ ابنُ عُمرَ يَكْرهُ أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجلِسَ مَكانَهُ[1].

وأيضاً :لا يجوز أن يُضايق النَّاس في المجلس؛ فتَضِيق صُدرُوهم، وكما يقول الفُقهاء : **من سَبق إلى مُباحٍ فهُو له**، ومن جلس في مجلس في المسجد أو

(١) أخرجه البخاري (٦٢٧٠) .

غيره فلا يحقُّ لأحدٍ أنْ يُقِيمه ليجلس مكانه، ولا يدلُّ هذا على الحرص، بل الحرصُ في عكسه، ولو كان حريصاً لبكَّر إلى المجلس وقعد قرب العالِم أو صاحب المجلس، ومِن جَميل المناسبة والإشارة هنا حديث عَمْرِو ابْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «أَلَا أُخْبِرُكُم بِأَحَبِّكُم إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُم مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ القِيَامَةِ ؟» فَسَكَتَ القَوْمُ، فَأَعَادَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثاً، قَالَ القَوْمُ: نَعَم يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «أَحْسَنُكُمْ خُلُقاً»[1].

ففيه إشارة إلى أنَّه ينبغي للمسلم أن يتأدَّب بأدب الإسلام، لأنه متى ما تحلَّى بهذه الفَضائل والأخلاق والآداب كان أقرب مَجلِساً من النبيِّ ﷺ يوم القيامة.

واليوم بحمد الله، فإنَّ مكبِّرات الصوت تُسمِع القريب والبعيد، فلا حاجة إذن إلى المضايقة والتَّشغِيب والعَنَت .

قولُه : «أَلَا أُخبِرُكم عن النَّفَرِ الثَّلاثةِ، أمَّا أحدُهم فأَوَى إلى الله فآواه اللهُ، وأمَّا الآخَرُ فاستَحْيا فاستَحْيا اللهُ منه، وأمَّا الآخَرُ فأعرَضَ فأعرَضَ الله عنه».

فيه أهمية العِنَاية بتلمُّس مجالس العِلْم والذِّكْر والفَضْل، وليس هذا خاصٌّ بالمساجد بل يدخل في ذلك أيضاً، ما يُنقل عبر شاشة القنوات الفضائية الإسلامية، من نقلها للمحاضرات ودروس العلم، فإنَّ كلَّ من يُعرض عن هذا النُّصح والتَّذكير يكون مُعرَّضاً لإعراض الله عنه أيضاً، فإيَّاك أن تَعرض فيُعرض الله عنك، ومجالس العلم تحفُّها الملائكة، وفيها فضائل، أعظمها أنْ يُغفر لكلِّ من هو في المجلس.

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٦٧٣٥) وإسناده حسن.

فقد أخرج الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ للهِ ملائكةً يَطُوفونَ في الطُّرُقِ يَلتَمِسونَ أهلَ الذِّكْرِ، فإذا وجَدُوا قوماً يَذكُرونَ اللهَ تَنادَوْا: هَلُمُّوا إلى حاجَتِكُم، قال: فيَحُفُّونَهم بأجنِحَتِهم إلى السَّماءِ الدُّنْيا، قال: فيَسْألُهم رَبُّهم، وهو أعلَمُ منهم: ما يقولُ عِبادي؟

قالوا: يقولونَ: يُسَبِّحونَكَ، ويُكَبِّرونَكَ، ويَحمَدونَكَ، ويُمَجِّدونَكَ، قال: فيقولُ: هل رَأَوني؟

قال: فيقولونَ: لا واللهِ ما رَأوكَ، قال: فيقولُ: وكيفَ لو رَأَوني؟

قال: يقولونَ: لو رَأَوكَ كانوا أشدَّ لكَ عِبادةً، وأشدَّ لكَ تَمجِيداً، وأكثَرَ لكَ تَسْبِيحاً، قال: يقولُ: فما يَسْألوني؟

قال: يَسْألونَكَ الجنَّةَ، قال: يقولُ: وهَلْ رَأَوها؟

قال: يقولونَ: لا والله يا رَبِّ ما رَأَوها، قال: يقولُ: فكيفَ لو أنَّهم رَأَوها؟

قال: يقولونَ: لو أنَّهم رَأَوها كانوا أشدَّ عليها حِرْصاً، وأشدَّ لها طَلَباً، وأعظَمَ فيها رَغْبةً، قال: فمِمَّ يَتَعَوَّذونَ؟

قال: يقولونَ: منَ النّار، قال: يقولُ: وهَلْ رَأَوها؟ قال: يقولونَ: لا والله ما رَأَوها، قال: يقولُ: فكيفَ لو رَأَوها؟

قال: يقولونَ: لو رَأَوها كانوا أشدَّ منها فِراراً، وأشدَّ لها مَخافةً، قال: فيقولُ: **فأُشْهِدُكم أنّي قد غَفَرْتُ لهم**.

قال: يقولُ مَلَكٌ منَ الملائكةِ: فيهم فلانٌ ليس منهم، إنَّما جاءَ لحاجةٍ، قال: **هم الجُلَساءُ لا يَشْقَى بهم جَلِيسُهُم**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٨).

وهذا فيه فضلُ طلب العِلْم، وأنَّ الله تعالى يَأْوِيه إليه ويرعاه، ولهذا فإنَّ طلب العِلْم مِنْ أعظم ما عُبد الله به، فعليكنَّ بالعلم[1].

٩- باب قولِ النبيِّ ﷺ: «رُبَّ مُبلَّغ أوعَى من سامع»

قال شيخُنا العلَّامة أحسن الله إليه :

هذه وظيفة المرء الذي يَتعلَّم فيجب أن يُبلِّغ الناس أمور دينهم، فوظيفتنا كن عالِماً أو مُتعلِّماً ولا تكن الثَّالثة ، يعني الجاهل والمُبتدع فتَهلِك؛ لأنَّه لم يَنل العلم فضلَّ وأضلَّ ؛ فوقع في الهلاك[2].

٦٧- حدَّثنا مُسدَّدٌ، قال: حدَّثنا بِشْرٌ، قال: حدَّثنا ابنُ عَوْنٍ، عن ابنِ سِيرِينَ، عن عبدِ الرَّحمن بنِ أبي بَكْرةَ، عن أبيه ذَكَر أنَّ النبيَّ ﷺ قَعَدَ على بَعِيرِه، وأمسَكَ إنسانٌ بخِطامِه أو بزِمَامِه، قال: «أيُّ يومٍ هذا؟» فسَكَتْنا حتَّى ظننَّا أنَّه سيُسمِّيه سِوَى اسمِه، قال: «أليس يومَ النَّحْرِ؟» قلنا: بَلَى، قال: «فأيُّ شَهْرٍ هذا؟» فسَكَتْنا حتَّى ظَنَنَّا أنَّه سيُسمِّيه بغيرِ اسمِه، فقال: «أليس بذي الحِجَّةِ؟» قلنا: بَلَى، قال: «فإنَّ دِماءَكم وأموالَكم وأعراضَكم بينَكم حَرَامٌ كحُرْمةِ يومِكم هذا، في شَهرِكم هذا، في بَلَدِكم هذا، ليُبلِّغِ الشَّاهدُ الغائبَ، فإنَّ الشَّاهدَ عسى أنْ يُبلِّغَ مَن هو أَوعَى له مِنْه».

---

(١) يقول ابنُ قيِّم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ مُعلِّقاً على قوله ﷺ : **«أمَّا أحدُهم فأَوَى إلى الله فآواه اللهُ، وأمَّا الآخَرُ فاستَحْيا فاستَحْيا اللهُ منه، وأمَّا الآخَرُ فأعرَضَ فأعرَضَ الله عنه»**.فلو لم يكن لطالب العِلْم إلَّا أنَّ الله يُؤْوِيه إليه ولا يُعرض عنه لكفى به فَضْلاً» . «مفتاح دارالسعادة» (١/ ٤٠٣)

(٢) يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه في وصيته لكُميل بن زياد : القلوب أوعية فخيرها أوعاها للخير، احفظ عني ما أقول لك: النَّاس ثلاثة: فعالـمٌ ربانيٌّ، ومُتعلِّمٌ على سَبِيل نجاة، وهمجٌ رَعاعٌ اتباعُ كلِّ ناعق، يَميلون مع كلِّ ريح لم يَستَضِيئوا بنور العلم، ولم يَلجأوا إلى ركنٍ وثيق . «مفتاح دار السعادة» (١/ ٤٠٣)

قال شيخُنا العلَّامة أحسن الله إليه :

قولُه : «مُسدَّدٌ» : هو الحافظ مُسَدَّد بن مُسرْهَد بن مُسرْبَل بن مُغرْبَل، أبو الحسن الأَزْدِيُّ البَصْرِيُّ ، واسمه لطيف غريب، وقد جاء على صيغة اسم المفعول، وهو ثِقة حُجَّة، من شيوخ الشَّيخين.

قولُه: «فإنَّ دِماءَكم وأموالَكم وأعراضَكم بينَكم حَرَامٌ» : هذا الحديث عظيمٌ جداً، وهو دُستورٌ للإسلام في الحرُمات، فحرَّم علينا دماء الناس، وأعراضهم وأموالهم، وهذه صورةٌ مُشرقةٌ لتعاليم الإسلام وآدابه، فيجب على المسلم أنْ يَلْتزِم هذه التعاليم في حياته وسلوكه، وأنَّ من افترى على العباد وظلمهم فقد استوجب إقامة الحدود عليه، وهذا الحديث أصلٌ في باب الحقوق وبيانها .

وقولُه: «ليُبلِّغِ الشَّاهدُ الغائبَ، فإنَّ الشَّاهدَ عسى أنْ يُبلِّغَ مَن هو أَوعَى له مِنْه» : فيه أهمية تَبليغ العلم، فقد يَفهمُ منه غيرُك ما لم تَفْهمه أنتَ، فَيتفَقَّه بما سمع فينتفعَ وينفع غيره، والأحسنُ من هذا أن يكون الشاهد فقيهاً فَيَعِي الخطاب، وفي كلٍّ خير، ولكنَّ الثَّاني أحسنُ وأفضل، وهنا تكمُن فضيلة العِلْم.

ومن ذلك قول الشاعر :

ومِنَ العَجَائبِ والعَجَائبُ جَمَّةٌ ... قُرْبُ الشِّفَاءِ وَمَا إِلَيْهِ وُصُولُ

كَالْعِيسِ فِي البَيْدَاءِ يَقْتُلُهَا الظَّمَا ... وَالْماءُ فَوْقَ ظُهُورِهَا مَحْمُولُ

والعِيْس : الإبل، **والبَيداء** : الصحراء .

وفيه الدَّلالة على الخير والعلم، ولكلٍّ أجر، وهذا يُصدِّقه حديث رسول الله

ﷺ : «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»[1] فله أجر الدَّلالة.

١٠- باب العِلْم قبلَ القولِ والعملِ

لقولِ الله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد:١٩]، فبَدَأ بالعِلْمِ

وأنَّ العلماءَ هم وَرَثةُ الأنبياءِ وَرَّثُوا العِلْمَ، مَن أخَذَه أخَذَ بحَظٍّ وافرٍ، ومَن سَلَكَ طريقاً يَطلُبُ به عِلْماً سَهَّلَ الله له طريقاً إلى الجنَّةِ، وقال جَلَّ ذِكرُه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨]، وقال: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٣]، ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك:١٠]، وقال: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩].

وقال النبيُّ ﷺ: «مَن يُرِدِ اللهُ به خَيراً يُفهِّمْه في الدِّينِ»، و«إنَّما العِلمُ بالتَّعَلُّمِ».

وقال أبو ذَرٍّ: لو وَضَعتُمُ الصَّمْصَامةَ على هذه - وأشارَ إلى قَفَاه - ثمَّ ظَنَنتُ أنِّي أُنفِذُ كَلِمةً سَمِعْتُها مِنَ النبيِّ ﷺ قبلَ أنْ تُجِيزُوا عليَّ لأنفَذْتُها.

وقال ابنُ عبَّاسٍ: ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾[آل عمران:٧٩]: حُلَماءَ فُقَهاءَ.

ويُقالُ: الرَّبَّانيُّ الَّذي يُرَبِّي النّاسَ بصِغَار العِلْمِ قبلَ كِبَاره.

قال شيخُنا العلَّامة أحسن الله إليه :

هذا الباب بابٌ عظيم جداً، وقد استدلَّ فيه الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالآيات البيِّنات ، ثم ذكر فيه أحاديث مُعلَّقات .

فقولُه: «باب العِلْم قبلَ القولِ والعملِ ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾» : ما أذكى الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في استنباطه بهذه الترجمة، فبدأ بقوله تعالى:

---

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح» (١٨٩٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

﴿ فَٱعْلَمْ ﴾ لِعِظَم مكانةِ العِلْم أمرك بالعلم، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ أي: ادْرُسها وتبيَّنها، ثم اعمل بها، ولذلك لابُدَّ للمرء إنْ أراد أن يتعبَّد الله في عبادته أن يتعرَّف على أحكام هذه العبادة ومسائلها؛ حتى يعبد الله على بصيرة، وإلَّا تعبَّده بالجهل، وهذا من عظيم فِقْه الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ في بيان مكانة العلم وفَضْله.

وقولُه :« **وأنَّ العلماءَ هم وَرَثةُ الأنبياءِ وَرَّثُوا العِلْمَ** » هذا إرْثُ العالِـم، لأنَّ العِلْم منزلتُه ومنفعتُه أكبر وأكثر من المال، ويَدلُّك عليه قول النبي ﷺ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَطْلُبُ فِيهِ عِلْماً سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضاً لِطَالِبِ العِلْمِ، وَإِنَّهُ لَيَسْتَغْفِرُ لِلْعَالِـمِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، حَتَّى الحِيتَانُ فِي المَاءِ، وَفَضْلُ العَالِـمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ، إِنَّ العُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، **لَمْ يُوَرِّثُوا دِيناراً وَلَا دِرْهَماً، وَإِنَّمَا وَرِثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ، أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»[١]

إذن مِيراثُ الأنبياء هو العِلْم، وهو خيرٌ مما يجمعون، ومن هُنا كانت حاجة النَّاس إلى العلم أكثر من حَاجتهم إلى المتاع من الميراث[٢].

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٢١٧١٥) من حديث أبي الدَّرداء رضي الله عنه، وإسناده حسن لغيره وطالع «المسند» في تمام تخريجه.

(٢) يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه في وصيته لكُميل بن زياد : «العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنتَ تحرس المال، العلم يزكو على الإنفاق، والمال تنقصه النفقة، العلم حاكم والمال محكوم عليه، وصنيعة المال تزول بزواله، مات خُزَّان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة». انظرها وشرحها في «مفتاح دار السعادة» (١/ ٤٠٣) بتصرف.

وقولُه: « ﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ ﴾ ويُقالُ: الرَّبَّانيُّ الَّذي يُـرَبِّي النّاسَ بصِغَار العِلْم قبلَ كِبَاره » : هذه مسألةٌ شريفةٌ، وتفيدنا نحن المُعلِّمين، فالذي يتصدَّى لتربية وتعليم الناس لابدَّ أنْ يسلُك أَمثلَ الطُّرق، وأصحَّ المناهج في التعليم، ومن هذه المناهِج والمسالك القويمة التَّعليم بالأَوَّليات ومسائل العلم البسيطة ثُمَّ الدُّخول في المسائل الكِبَار والعميقة، فإنَّك إنْ فعلتَ عكس ذلك، فشرعتَ في المسائل الكبيرة، لم تفلح في تربيتك وتعليمك، وهذه مسألة مهمة جداً للمُعلِّمين والمُربِّين، ويظهر لي في البيان لهذه المفردة أنَّ تفسير ابن عباس رضي الله عنهما أعمقُ وأَفقَهُ وأصحُّ، ويَصدُق هذا في الواقع، وهو ما يعرف اليوم بالتدرُّج في التعليم.

١١- باب ما كان النبيُّ ﷺ يتخوَّلهم بالموعظة والعِلْم كي لا يَنفِرُوا

٦٨- حدَّثنا محمَّدُ بنُ يوسُفَ، قال: أخبرنا سفيانُ، عن الأعمَشِ، عن أبي وائلٍ، عن ابنِ مسعودٍ قال: كان النبيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنا بالموعِظَةِ في الأيّامِ كَراهةَ السَّآمةِ علينا.

قال شيخُنا العلَّامة أحسن الله إليه :

قولُه :« يَتَخَوَّلُنا بالموعِظَةِ في الأيّامِ كَراهةَ السَّآمةِ علينا» : هذا فيه درسٌ للوعَّاظ والدُّعاة والخُطباء، أنْ يُراعُوا نشاط النَّاس وحالهم، ولو كانت في أمر الوعظ، وهذا أدعى للقَبول وعدم السآمة، ولذلك فقد كان النبيُّ ﷺ يحرص على أن يُدخِل في حديثه بعض المُلَح والمُزَاح ـ وهو حقٌّ ـ مِن باب إذهاب المَلل والتَّرويح عن النَّفْس، ومَن جرَّب عَرف كبير مَنفعة ذلك.

٦٩- حدَّثنا محمَّدُ بنُ بشَّارٍ، قال: حدَّثنا يحيى بنُ سعيدٍ، قال: حدَّثنا شُعْبةُ، قال: حدَّثني أبو التَّيّاح، عن أنسٍ، عن النبيِّ ﷺ قال: «يَسِّرُوا ولا تُعسِّرُوا، وبَشِّرُوا ولا تُنفِّرُوا».

قال شيخُنا العلَّامة أحسن الله إليه :

قولُه :«يَسِّرُوا ولا تُعسِّرُوا، وبَشِّرُوا ولا تُنفِّرُوا» : هذا الحديث شريف المعنى، وينبغي لكلِّ مُسلم أنْ يَتحلَّى بآدابه، وأن يحرص المُعلِّم والمُعلِّمة على اكتشاف قدرات الطالب ومحاولة تنميتها، وإبراز هذه المواهب التي سَتنفع المسلمين في المستقبل، فهذا هو التَّرغيب بالبُشرى والإبداع، دُون التَّرهيب والكَبْت وقتل هذا الطُّموح والعَبْقرية عند أبناء المسلمين، وهم أمانةٌ في أعناق المُربِّين، فلْيُحسِنوا تعليم وتربية أبناء المسلمين.

وهي وصيةُ رسولِ الله ﷺ أيضاً، فحين بعثَ مُعاذاً وأبا مُوسى الأشعري رضي الله عنهما إلى اليمن قال لهما : «يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلاَ تَخْتَلِفَا»(١) فلنحرص على ذلك .

١٢ - باب مَن جَعَلَ لأهلِ العلم أيّاماً مَعلُومةً

٧٠- حدَّثنا عُثمانُ بنُ أبي شَيْبَةَ، قال: حدَّثنا جَرِيرٌ، عن منصورٍ، عن أبي وائلٍ، قال: كان عبدُ الله يُذكِّرُ النّاسَ في كلِّ خميسٍ، فقال له رجلٌ: يا أبا عبدِ الرَّحمن، لَوَدِدْتُ أنَّكَ ذَكَّرْتَنا كلَّ يومٍ، قال: أمَا إنَّه يَمْنَعُني مِن ذلكَ أنّي أكرَهُ أنْ أُمِلَّكُم، وإنّي أتَخوَّلُكم بالموعِظَةِ كما كان النبيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنا بها مَخافةَ السَّآمةِ علينا.

قال شيخُنا العلَّامة أحسن الله إليه :

تهيئة الدَّرْس العام لنفع الناس أمرٌ مُهمٌّ بين الحين والحين؛ لأنَّ الناس ينشغلون في هذه الدُّنيا، والمغريات كثيرة، فكان لابُدَّ من التَّذكير والموعظة،

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٣٠٣٨)

ولكن كما كان يفعل النبيُّ ﷺ، حيث كان يَتخوَّل الصَّحابة بين الفترة والأُخرى، فيقبلون، ولكن هذا لا يَمنع العالِـم من تَنْبيه النَّاس أثناء مَقامه بينهم، لاسِيَّما إن استدعى ذلك، مثل : أن يرى أمراً لا يَسعُه السكوت عليه، مِن أمرٍ بالمعرُوف أو نَهيٍ عن المُنكر، أو إجابة سائل، فهذا يكون في كلِّ وقتٍ وحين متى ما دعت إليه الحاجة، ولا يجوز للعالِـم أنْ يُقصِّر في البيان والتبليغ، بل يَهْتَبِل هذه الفُرص ويُرشِد النَّاس إلى ما فيه صَلاح دِيْنهم ودُنياهم، فهذا التعليم تعليم جزئيٌّ أمَّا تهيئةُ الدَّرس أو المحاضرة، وهو التعليم العام، فليكن بين الحين والحين .

١٣- بابٌ مَن يُرِدِ اللهُ به خيراً يُفقِّهه في الدِّين

٧١- حدَّثنا سعيدُ بنُ عُفَيرٍ، قال: حدَّثنا ابنُ وَهْبٍ، عن يونُسَ، عن ابنِ شِهَاب، قال: قال حُمَيدُ بنُ عبدِ الرَّحمن: سمعتُ معاويةَ خَطِيباً يقولُ: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ: «مَن يُرِدِ اللهُ به خيراً يُفقِّهْه في الدِّينِ، وإنَّما أنا قاسمٌ واللهُ يُعْطي، ولن تَزالَ هذه الأمّةُ قائمةً على أمرِ الله لا يَضُرُّهم مَن خالَفَهُم حتَّى يأْتِيَ أمرُ الله».

قال شيخُنا العلَّامة أحسن الله إليه :

راوي هذا الحديث هو الصَّحابي الجليل مُعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، أمير المؤمنين ومَلِكُ الإسلام كما وصفه الإمام الذَّهبي رحمه الله في «سير أعلام النبلاء» في ترجمته، وقد ولَّاه أبو بكر الصِّديق على الشَّام، وأقرَّه عمر، وعثمان، وعلي، وكان كاتب رسول الله ﷺ بالاتفاق، وقد فتح الله على يديه الآفاق، فكيف يجرؤ أحدهم على الطعن فيه، نعم ثمَّة خلافات نشبت، ولكن ينبغي على المسلمين أن يُمسِكوا ألْسِنتهم عنهم صحابة رسول الله ﷺ، فلا نذكرُهم إلَّا بالجميل، لِـمَا لهم مِنْ قَدَمِ صِدْق وسَبق مع رسول الله

ﷺ، فرضي الله عن صحابة رسول الله ﷺ جميعاً .

وقولُه : «**مَن يُرِدِ اللهُ به خيراً يُفقِّهْه في الدِّينِ**» : هذا الحديث حديث جميل وماتع، والفِقْهُ ليس هو المحصور في الفقه الإسلامي المُدوَّن في المصنَّفات الفِقهيَّة، بل يَشمل أيضاً معاني آيات القرآن، فيتفقَّه ويتبصَّر في آيات الله ويتدبَّرها، وكذا يُنعِم النَّظر في الآيات الكونية، فربُّنا سبحانه يقول: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠ - ١٩١] ، فالفِقْه والتَّفكُّر في هذه المخلوقات عبادة، فمن يُرِد اللهُ به خيراً يُفقِّهه في الدَّين: يدخل فيه أيضاً أنْ يُبصِّره بمواضع الرُّشد في هذه الأمور من خلال هذه المخلوقات الكونية التي خلَقها الله تعالى.

وقولُه : «**يُفقِّهْه**» : التَّفقُّه لا بُدَّ له من التَّعلُّم، ولا يأتي هذا بداهة، وإنَّما لا بدَّ من الدِّراسة والتحصيل والتعلُّم، ولذلك قال النبيُّ ﷺ : «إنما العلمُ بالتَّعلُّم»[(١)]

و«**التعلُّم**» : يعني تَكلُّف التَّعليم، وهي صِيغةٌ تُفيد التَدرُّب والتكلُّف؛ لتحصيل هذا العلم الذي تَفقَهُ به جميع شُؤون دِيْنك وحياتك .

١٤- باب الفَهْم في العِلْم

٧٢- حدَّثنا عليٌّ، حدَّثنا سفيانُ قال: قال لي ابنُ أبي نَجِيحٍ، عن مجاهدٍ قال: صَحِبْتُ ابنَ عمرَ إلى المدينةِ فلم أسمَعْه يُحدِّثُ عن رسولِ الله إلَّا

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» مُعلَّقاً في باب العلم قبل القول والعمل، وانظر «تغليق التعليق» لابن حجر (٢/ ٧٨)، وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٩٢٩) وإسناده حسن موقوفاً.

حديثاً واحداً، قال: كنَّا عندَ النبيِّ ﷺ فأُتيَ بجُمَّارٍ، فقال: «إنَّ منَ الشَّجَرِ شجرةً مَثَلُها كمَثَلِ المسلمِ» فأَرَدْتُ أنْ أقولَ: هي النَّخْلةُ، فإذا أنا أصغَرُ القومِ فسَكَتُّ، قال النبيُّ ﷺ: «هي النَّخْلةُ».

قال شيخُنا العلَّامة أحسن الله إليه :

قولُه: «حدَّثنا عليٌّ» : هو ابن المديني رَحِمَهُ اللَّهُ الإمام الحافظ، وهو مِن أجلِّ شيوخ البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ .

وقولُه: «بجُمَّار» : جمع جُمَّارة، وهي قَلبُ النَّخلة وشحمها، ومتى ما قُطع هذا الجمار منها، فإنَّها تموت.

وفي هذا الحديث: فائدةٌ كبيرةٌ، وهي مَعرفة مَراتب الفَهْم في العلم بين العباد، وهي ثلاثة مراتب، عُلْيا، وَوُسْطَى، ودُنْيا، ولذلك كان النبيُّ ﷺ إذا تكلَّم بالكلمة أعادها ثلاثاً؛ لِتُعقَل عنه[1].

ولكلِّ مَرتبة أهلُها، ومن هُنا جاء فِقْه الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ، فبوَّب هذا التَّبويب الجميل؛ لِيُبَرْهِن على أنَّ الفَهْم في العِلْم مُتفاوتٌ بين النَّاس وفق هذه المراتب، **ولذا كان اختلاف الفُقهاء في فَهْم النُّصوص مُتباينٌ مع أنَّ النَّص واحدٌ، وهذا مِن رحمة الله بعباده .**

والفهم يزيد بالدُّرْبة والأخذ بمسالك طُرق الفَهم الصَّحيح، وأفضل من ذلك كلِّه تقوى الله، فهي خَير ما يُرزق بها الفَهم الصَّحيح.

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٩٥) من حديث أنس قال : كان النبي ﷺ إذا تكلَّم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه.
وأخرجه الترمذي في «الجامع الكبير» (٣٦٤٠) بنحو هذا اللفظ . وانظر : «الشمائل المحمَّدية» في باب كيف كان كلام النبي ﷺ .

١٥- باب الاغتِباط في العلم والحِكْمة

وقال عمرُ: تَفَقَّهُوا قبلَ أنْ تُسَوَّدُوا.

٧٣- حدَّثنا الحُمَيديُّ، قال: حدَّثنا سفيانُ، قال: حدَّثني إسماعيلُ بنُ أبي خالدٍ على غيرِ ما حدَّثَناه الزُّهْريُّ، قال: سمعتُ قيسَ بنَ أبي حازمٍ، قال: سمعتُ عبد الله بنَ مسعودٍ، قال: قال النبيُّ ﷺ: «لا حَسَدَ إلا في اثنتَينِ: رجلٌ آتاه الله مالاً فسُلِّطَ على هَلَكَتِه في الحقِّ، ورجلٌ آتاه الله الحِكْمةَ فهو يَقْضي بها ويُعلِّمُها».

قال شيخُنا العلَّامة أحسن الله إليه :

قولُه : «لا حَسَدَ» : أي لا اغتباطَ، والمراد **بالغِبْطة**، أنْ تسأل الله أن يَرزقك مثل ما رزق الله أخاك دُون أنْ تتمنى زوال النعمة عنه.

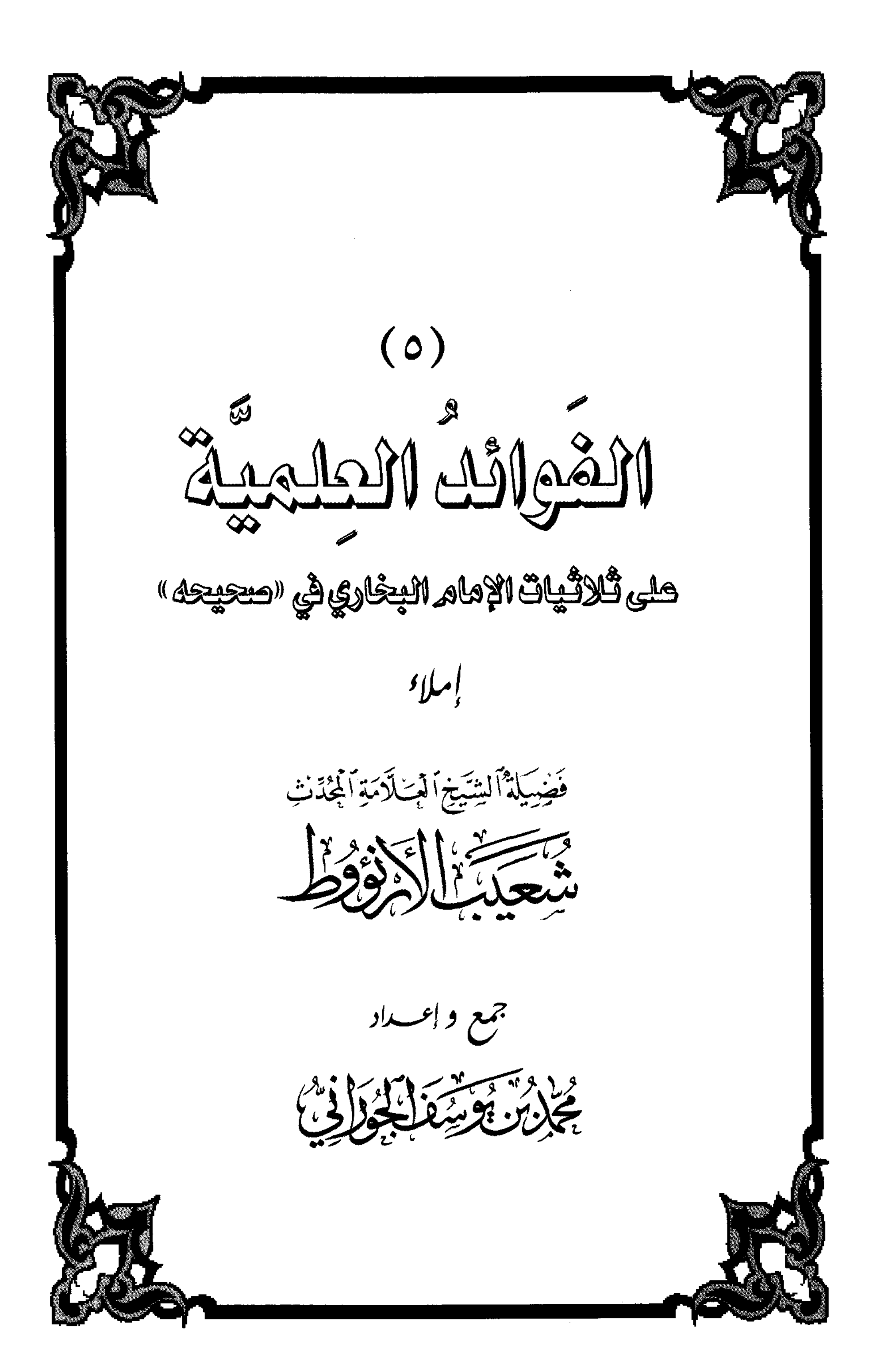
أمَّا الحسد : فهو تَمَنِّي أنْ تَنتقِل هذه النعمة منه وتصير إليك، أوتزول عنه، فهذا هو المحرَّم، ولا يُولِّد إلَّا غيظ القُلوب، والحِقْد، والإساءة إلى الناس، ولذا حرَّمه الإسلام؛ لأنَّ الإسلام يأمر بمعالي الأمور وشريف الأخلاق.

فاللَّهُمَّ اهْدِنا لأحسن الأخلاق والأعمال والأقوال، لا يَهدِي لأحسنها إلَّا أنت، واصْرِف عنَّا سيِّئاها لا يصرف عنَّا سيِّئاها إلَّا أنت .

وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين .

❑ ❑ ❑





(٥)

الفَوائِدُ العِلميَّة

على ثلاثيات الإمام البخاري في «صحيحه»

إملاء

فضيلة الشيخ العلامة المحدث

شعيب الأرنؤوط

جمع وإعداد

محمد بن يوسف الجوراني



المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد ..

فهذه تعليقاتٌ عِلْميَّة منيفَة، على الأحاديث الثُّلاثِيَّة الشَّريفة، وهي عوالي الأحاديث في «الجامع الصحيح» للإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد اعتنى بها كثيرٌ من أهل العلم بالشَّرح والتَّوضِيح والتعليق والاستنباط، سواء كان ذلك في أصل شرحهم «للصحيح»، أو بالإفراد والتصنيف[1].

ثمَّ ألحق بها بعض أهل العلم من الرُّباعي مما له حُكْم الثلاثي، وقد أشار لذلك شُرَّاح «الصحيح» وبيَّنوه[2].

ولجلالة هذه الأحاديث الثلاثية، دَأَب أهل العلم عليها، قراءة وسماعاً لعلوِّ إسنادها، وقد أخرج الخطيب في «جامعه» عن محمد بن أسلم الطوسي قال: «قرب الإسناد قربةٌ إلى الله عَزَّوَجَلَّ »[3]

وممن كانت له عناية بهذه «الثلاثيات» شيخنا العلامة المحدِّث شعيب الأرنؤوط حفظه الله، فقد قرأتها عليه، إبَّان قراءتي عليه من «الجامع الصحيح» للإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ ، وكان يُملي عليَّ هذه التَّعليقات الحِسَان، فرأيتُ تقييداً للعلم، وحفظاً لفوائده، ودخولاً في سِلْك أولئك الأعلام أن

---

(١) انظر ممن اعتنى بهذه الثلاثيات: مقدمة «تعليقات القاري على ثلاثيات البخاري» لملا علي قاري، من تحقيق الشيخ المفضال المتفنن محمد بن ناصر العجمي نفع الله به الإسلام والمسلمين (١٣)

(٢) وليس من شرط الملحق بالثلاثي أن يكون رُباعياً، وقد جمع الأحاديث الملحقة بالثلاثي في «صحيح البخاري» أخونا الفاضل الدكتور أحمد بن فارس السَّلُّوم جزاه الله خيراً، في رسالة لطيفة فلتُنظر بعنوان: «الأحاديث الملحقة بالثلاثي في صحيح البخاري» نشر مكتبة المعارف.

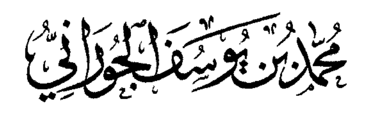
(٣) «الجامع لأخلاق الراوي والسامع» (١/ ١٢٣)

أجمع هذه التعليقات، مع العناية بها، وبثِّها بين أهل العلم، رجاء النفع والمثوبة، وقد رأيتُ أن أضمَّ إليها أول وآخر حديث من «الجامع الصحيح» لعِظَم فوائدهما وجليل مقاصدهما، ومن باب حُسْن الاستهلال، ومسك الختام، وقد وضعت أرقام الأحاديث كما وردت في «الجامع الصحيح» لسهولة الوصول إليها .

والله سبحانه يُكلِّل هذه العمل برضاه ويكتب لشيخنا ولتلميذه المُقصِّر في حقِّه خير مسعاه.

و الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

قاله مقيِّده



❑ ❑ ❑

❑ تعريف الثُّلاثيات :

وهي ما كان في إسنادها من الرُّواة بين المُصنِّف والنبيِّ ﷺ ثلاثة.

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وهي الأحاديث التي بينه وبين النبيِّ ﷺ فيها ثلاثة رجال [١].

فيكون في الثلاثيات :

النبيُّ ﷺ، ثُمَّ طبقة الصَّحابة، ثُمَّ طبقة التَّابعين، ثُمَّ طبقة أتباع التَّابعين.

وهذه هي طبقات القرون المُفضَّلة، وحَسبُك بها جلالة وشرفاً .

❑ ثلاثيات الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الحافظ العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ثلاثيات البخاري : «وليس فيه أعلى من الثلاثيات، ويبلغ جميعها أكثر من عشرين حديثاً، وبه فُضِّل البخاري على غيره» [٢]

ويقول الإمام السَّخاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وأمَّا الثُّلاثيات ففي «مسند إمامنا الشافعي»، وغيره من حديثه منها جملة، وكذا الكثير في «مسند الإمام أحمد»، وما يَنيف على عشرين حديثاً في «صحيح البخاري» [٣].

وقد أخرج الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الثلاثيات في «الجامع الصَّحيح» وعددها (٢٢) حديثاً، وقد شرَحها كثيرٌ من أهل العلم، ومدارها على خمسة أسانيد :

---

(١) «فتح الباري» لابن رجب (٤ / ٢٥)

(٢) «عمدة القاري» (٢/ ١٥٣)

(٣) «فتح المغيث بشرح ألفية الحديث» (٣/ ٣٥٧)

١- المكِّي بن إبراهيم، عن يزيد بن أبي عُبيد، عن سلمة بن الأكوع ﵁.
وهو أكثرها.
وأحاديثه: (١٠٩، ٤٩٧، ٥٠٢، ٥٦١، ٢٠٠٧، ٢٢٨٩، ٢٩٦٠، ٣٠٤١، ٤٢٠٦، ٥٤٩٧، ٦٨٩١).

٢- أبو عاصم الضَّحاك بن مخلد، عن يزيد بن أبي عبيد، عن سلمة بن الأكوع ﵁.
وأحاديثه: (١٩٢٤، ٢٢٩٥، ٢٤٧٧، ٤٢٧٢، ٥٥٦٩، ٧٢٠٨).

٣- محمد بن عبد الله الأنصاري، عن حُميد الطويل، عن أنس ﵁.
وأحاديثه: (٢٧٠٣، ٤٤٩٩، ٦٨٩٤).

٤- خلَّاد بن يحيى، عن عيسى بن طَهْمان، عن أنس ﵁.
وله حديث واحد في (٧٤٢١).

٥- عصام بن خالد، عن حَرِيز بن عثمان، عن عبد الله بن بُسر ﵁.
وله حديث واحد في (٣٥٤٦).

فها هي أمام عَيْنيك وفي مُتناول يديك، مع تَعليقات زكيَّة من شيخنا، ثم بعد إعدادها والعناية بها، عرضتُها على شيخنا أدام الله سَعْده، فراجعها وأذن بطباعتها، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وهذا خطُّه وتوقيعه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حُسْنُ الاستِهلالِ

١ - حدَّثنا الحُمَيديُّ عبدُ الله بنُ الزُّبيرِ، قال: حدَّثنا سُفيانُ، قال: حدَّثنا يحيى بنُ سَعيدٍ الأنصاريُّ، قال: أخبرَني محمَّدُ بنُ إبراهيمَ التَّيْميُّ: أنَّه سَمِعَ عَلْقمةَ بنَ وَقَّاصٍ اللَّيْثيَّ يقولُ: سَمِعتُ عُمرَ بنَ الخطَّاب ﷺ على المِنْبر، قال: سَمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ يقُولُ: «إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّاتِ، وإنَّما لكلِّ امرِئٍ ما نَوَى، فمَنْ كانَتْ هِجْرتُه إلى دُنيا يُصِيبُها، أو إلى امرأةٍ يَنكِحُها، فهِجْرتُه إلى ما هاجَرَ إليهِ».

التعليق :

هذا الحديث ليس من الثُّلاثيات، وإنَّما حَسُن ذكره بين يدي الثُّلاثيات اقتداء بأهل الحديث ـ جعلنا الله منهم ـ حيث كانوا لا يُصنِّفون التَّصانيف إلَّا ويجعلون هذا الحديث في طَلِيعة كتبهم، وعلى رأس هؤلاء الإمام محمَّد بن إسماعيل البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال عبد الرحمنِ بن مَهْديٍّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يَنْبغي أنْ يُجعلَ هذا الحديثُ رأس كُلِّ بابٍ»[1].

وقال أيضاً: «يَنْبغي لِمَن صَنَّف كتاباً أنْ يَبتَدِئ فيه بهذا الحديث؛ تَنْبيهاً للطَّالب على تَصحِيحِ النِّيَّة»[2].

---

(١) «الفتح» (١/ ١١).

(٢) انظر: «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٣/ ٥٣).

قال مهنَّا: سألتُ أحمد بن حنبل، ما أفضل الأعمال؟ قال: طلب العلم لمن صحَّت نيته؟ قلتُ: وأَيْش تصحيح النية؟ قال: يَنْوِي يتواضع فيه، وينفي عنه الجهل. «المقصد الأرشد في ذكر أصحاب أحمد» (٣/ ٤٤)

وقال الشَّافعيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يَدخلُ في سبعينَ باباً من العِلْم»(١) .

قال ابن العطَّار رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وليس معنى كلام الشَّافعي انحصاره في السبعين، وإنما مراده المبالغة في الكثرة.(٢)

ومن لطائف هذا الحديث أنَّه غَريبٌ في أوَّله، مَشهورٌ في آخره .

وقد حدَّث به عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في مسجد النَّبيِّ ﷺ على المنبر في جمعٍ من صحابة رسول الله ﷺ .

ويُستفاد من الحديث: عند الأئمة الثلاثة مالك، و الشَّافعي، وأحمد: أنَّهم اشترطوا النِّية في كلِّ عمل، سواء كان عبادةً مقصودة، أو وسيلة لعبادة .

وانفرد أبو حنيفة بأنَّ النِّية ليست فَرْضاً في الوُضوء ولا في الغسل؛ لأنَّ الطهارة وسيلة لعبادة مقصودة .

ومن هنا اختلفوا في تقدير المحذوف في قوله :« إنما الأعمال بالنيات» .

فالأئمة الثلاثة قدَّروا : إنما صِحَّة الأعمال بالنِّيات .

وأبو حنيفة يقول : إنَّما ثواب الأعمال بالنيات .

ولابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ رأيٌ في الحديث : وهو أنَّ الحديث يُفيد أن الأعمال مقبولة إنْ كانت مقرونةً بالإخلاص، فيَقبل اللهُ ما كان من الأعمال ما كان خالصاً لوجهه، وهو عنده يدل على الإخلاص في كل عبادة . والله أعلم .

ويُستفاد أيضاً : أنَّ النِّيَّةَ محلُّها القلب، ولا يشرع التَّلفظ بها في العبادات، كمن يقول : نويتُ أن أصلي كذا، أو نويت بعملي إن شاء الله كذا، فهذا لم يرد عن النبيِّ ﷺ وكلُّ خير في اتِّباع من سلف(٣) .

---

(١) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٣/ ٥٣).

(٢) «العدة في شرح العمدة» (١/ ٤٢)

(٣) قال ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بدائع الفوائد» (٣/ ١١٣٧) : « لا مَدخل لها في الألفاظ البتَّة ».

ومن **فوائده أيضاً** : ما قاله السِّنْدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حاشيته على «الجامع الصحيح» ـ والإمام السِّندي له حواشٍ نفيسة على كتب الحديث ـ، قال :

والوَجْه عندي في بيان معناه أن يُقال : المراد بالأعمال مُطلق الأفعال الاختيارية الصَّادرة عن المُكلَّفين، وهذا إمَّا لأنَّ الكلام في تلك الأفعال إذ لا عبرة بغيرها ولا يُبحث عنها في الشرع ولا يُلْتفت إليها، ولأنَّ العمل لا يقال إلَّا للفعل الاختياري الصادر عن أهل العقل كما نصَّ عليه البعض، فلذلك لا يُقال عمل البهائم كما يقال فعل البهائم.

وقد تقرَّر أن الفعل الاختياري يكون مسبوقاً بقصد الفاعل الداعي له إليه وهو المراد بالنية.

فالمعنى: أنَّ الأفعال الاختيارية لا توجد ولا تتحقَّق إلا بالنِّية.اهـ

فائدة: تتعلَّق باختصار الحديث :

هذا الحديث ورد في سبعة مواضع في «الجامع الصحيح» [(١)]، وكلُّها تامَّة، غير هذا الموضع الأول، فقد اختصر البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ قطعة منه وهي : «فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَإِلَى رَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَإِلَى رَسُولِهِ» ويظهر لي أن سبب اختصارها لاسيما في هذا الموضع، يشير إلى أنَّ الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ كأنه يقصد بهذا الإخلاص في تأليف كتابه «الجامع الصحيح» ومن هنا حذف هذه الجملة؛ لأنَّها تُشْعِر بالتَّزكية .

❑ ❑ ❑

= وقال الشيخ السَّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن النِّيَّة : « **محلُّها القلب، ولا يجب التَّلفظ بها لأيِّ عمل كان بإجماع أئمة المسلمين**، لكن استحبَّ بعض المتأخرين من أئمة الشافعية التلفظ بها، والصَّحيح أنَّ التلفظ بها بدعة» اهـ . «التَّعليقات على عمدة الأحكام» للعلامة السَّعدي (٢٣) .

(١) وانظر أطرافه في (٥٤، ٢٥٢٩، ٣٨٩٨، ٥٠٧٠، ٦٦٨٩، ٦٩٥٣).

الحَدِيثُ الأوَّلُ

١٠٩- حدَّثنا مَكِّيُّ بنُ إبراهيمَ، قال: حدَّثنا يزيدُ بنُ أبي عُبَيدٍ، عن سَلَمَةَ، قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ: «مَن يَقُلْ عليَّ ما لم أَقُلْ، فلْيَتَبوَّأْ مَقْعَدَه مِنَ النَّارِ».

التعليق :

هذا أول حديث في الثلاثيات[١].

وهو حديثٌ متواترٌ[٢]، ويدلُّ على أنَّ الكذب على رسول الله ﷺ من الكبائر[٣]، ولا يجوز لأحد أنْ يُقدِم عليه، وهو مسؤول أمام الله تعالى على ذلك .

وقوله: «فليتبوأ» أي: لينزل مَنْزله من النَّار، ومنه قوله سبحانه: ﴿ وَقَالُواْ

---

(١) قال الكرماني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الكواكب الدراري» (١/ ١١٥) : **هذا أول ثلاثيات البخاري .**

(٢) قال ابن حجر الهيتمي رَحِمَهُ اللَّهُ في «الزواجر عن اقتراف الكبائر» (١/ ١٦١) : لهذا الحديث طرق كثيرة صحيحة بلغت التواتر .

فائدة : قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ : «شرح مسلم» (١ / ٦٨) :

وأما متن الحديث فهو حديث عظيم فى نهاية من الصحة وقيل إنه متواتر، ذكر أبو بكر البزَّار فى «مسنده» أنه رواه عن النبى عَلَيْهِ السَّلَامُ نحو من أربعين نفساً من الصحابة رضي الله عنهم وحكى الإمام أبو بكر الصيرفي في شرحه لرسالة الشافعي رحمهما الله أنه روى عن أكثر من ستين صحابياً مرفوعاً، وذكر أبو القاسم عبد الرحمن بن مَنْده عدد من رواه فبلغ بهم سبعة وثمانين، ثم قال: وغيرهم. وذكر بعض الحفَّاظ أنه رُوِي عن اثنين وستين صحابياً ، وفيهم العشرة المشهود لهم بالجنة، قال: ولا يُعرف حديث اجتمع على روايته العشرة إلَّا هذا ، ولا حديث يروى عن أكثر من ستين صحابياً إلَّا هذا.

وقال بعضهم : رواه مئتان من الصحابة ثم لم يزل فى ازدياد، وقد اتَّفق البخاريُّ ومسلم على إخراجه فى «صحيحيهما» .اهـ

(٣) انظر : «تذكرة أولي البصائر في معرفة الكبائر» لابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ (١١٤).

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤]، أي: نتخذه منزلاً .

والمَبْوأ: المنزل الملزوم[(١)].

قال الشَّيخ محيي السُّنَّة البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: اعلم أنَّ الكذب على النبي ﷺ أعظم أنواع الكَذِب بعد كذب الكافر على الله، وقد قال النبيُّ ﷺ: «إنَّ كذباً علي ليس ككَذِبٍ على أحدٍ، مَنْ كذب عليَّ مُتعمِّداً، فليتبوَّأ مَقعده من النار» [(٢)].

ولذلك كَرِه قومٌ من الصَّحابة والتابعين إكثار الحديث عن النبيِّ ﷺ خوفاً من الزيادة والنقصان، والغلط فيه، حتى إنَّ من التابعين من كان يهاب رفع المرفوع، فيوقِفُه على الصَّحابي، ويقول: الكذب عليه أهون من الكذب على رسول الله ﷺ.

ومنهم : من يسند الحديث حتى إذا بلغ به النبيَّ ﷺ، قال: قال، ولم يقل: رسول الله ﷺ!

ومنهم من يقول: رفعه، ومنهم من يقول: رواية.

ومنهم من يقول: يبلغ به النبي ﷺ، وكلُّ ذلك هَيْبةً للحديث عن رسول الله ﷺ، وخوفاً من الوعيد.اهـ[(٣)]

وقد أرشد الله تعالى إلى وجوب التَّثبت من الأقوال التي تُنقل إليهم، في قوله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (١/ ٥٩) (بوأ).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٩١)، ومسلم (٤) من حديث المغيرة رضي الله عنه

(٣) «شرح السنة» (١ / ٢٥٥).

مَا فَعَلْتُمْ نَدِمِينَ ﴾ [الحجرات: ٦]، فهذا في حديث الناس، فكيف بحديث رسول الله ﷺ فهو من باب أولى .

ومن هنا ينبغي على كل مسلم أن يَتثبَّت من حديث رسول الله ﷺ، فلا يعمل إلَّا بما صحَّ عن النبي ﷺ.

وقد قال أئمة الحديث : لا يحلُّ رواية الحديث المكذوب إلَّا لبيان حاله، حتى يحذر الناس من العمل به .

وتَوجِيهُ ذلك : لأنَّ كلام رسول الله ﷺ تشريعٌ، فيُوهِم النَّاس أنَّ هذا تشريع، وهو كذبٌ على رسول الله ﷺ، أو لـم يثبت سنده إليه، والتَّشريع لا يَثبُت بحديث ضعيف أو موضوع .

وهذا يدلُّ على مبلغ تَهوُّر كثير من الخُطباء والُمتحدِّثين والكُتَّاب الذين يَرْوُون أحاديث ضعيفة أو مكذوبة، تُعجِبُهم ألفاظُها، وكلماتها ولو كانت معانيها صحيحة .

وإني أحثُّ المسلمين، لاسيَّما أهل العلم والفقه والدَّعوة والوعظ إلى دراسة حديث رسول الله ﷺ رواية ودراية حتى يتثبَّتوا في ذلك؛ وكيلا يقعوا في الوعيد الشديد، وحتى تكون سُنَّة رسول الله ﷺ صافية نقيَّة .

وقد تكفَّل أهل العلم الرَّاسخون في الحديث ببيان كل الأحاديث الضعيفة والمكذوبة، فلا عذر لأحد أنْ يعتذر بجهله في ذلك، وإنَّما يقال له قبل أن تتحدَّث : تعلَّم وتفقَّه ثم بلِّغ، وقد أرشدك ربُّك فقال : ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣]

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وقد ذهب طائفةٌ من العلماء إلى أنَّ الكذب على الله وعلى رسوله كُفْرٌ ينقل عن المِلَّة، ولا ريب أنَّ الكذب على الله، وعلى رسولِه في تحليل حَرامٍ، وتحريم حَلالٍ كُفْرٌ محضٌ، وإنَّما الشَّأن في الكذب

عليه فيما سوى ذلك[١].

و قال القاري رَحِمَهُ اللهُ في «شرح الثلاثيات»[٢]: إنَّ الكذب على رسول الله ﷺ فاحشة عظيمة، وكبيرة جسيمة، لكن لا يَكفُر بها إلَّا مستحلُّها .

وانفرد والد إمام الحرمين الجويني أنه يَكفُر ويُستحَلُّ دمه [٣].

قال الشيخ القاري رَحِمَهُ اللهُ مُعلِّلاً ذلك : لعلَّ وَجْهه أنْ يلزم من كذبه على رسول الله ﷺ كذبه على الله ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٣٢] .اهـ

ومن كذب على رسول الله ﷺ وقع في الإثم سواء تعمده أو لم يتعمده، إذ المسلم مطالب بالتحري في حديث رسول الله، لاسيما مَن كان مَعْنياً بالحديث وأمر الدعوة، فلا يحدِّث إلا بما عرف حكمه يقيناً او ترجَّح .

وهذا التحديث يدخل فيه يقظة أو نوماً[٤]، وفي النوم يدخل في الكذب مرتين؛ لأن فيه وعيد من تحلَّم وهنا زيادة كذب على رسول الله .

وكلامهم هذا يُفهَم منه أنَّ النبي ﷺ قد قصَّر في التبليغ وجاؤوا هم لِيُتَـمِّموا أحكام الله، وهذا خطير والعياذ بالله.

❑ ❑ ❑

---

(١) «تذكرة أولي البصائر في معرفة الكبائر» لابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ (١١٤).

(٢) «تعليقات القاري على ثلاثيات البخاري» (١٨٠) بنحوه

(٣) ضعَّفه ولده إمام الحرمين، وجعله من هفوات أبيه ! كما حكاه العيني في «عمدة القاري» (٢/ ١٤٩)

(٤) انظر : «فتح الباري» لابن حجر (١/ ٢٠٢) .

الحَدِيثُ الثَّانِي

٤٩٧- حدَّثنا المكِّيُّ، قال: حدَّثنا يزيدُ بنُ أبي عُبَيدٍ، عن سَلَمةَ، قال: كان جِدارُ المسجدِ عندَ المِنْبرِ ما كادَتِ الشَّاةُ تَجُوزُها.

التعليق :

هذا ثاني حديث في الثلاثيات(١).

ومراده بقوله : «**جِدارُ المسجدِ عندَ المِنْبرِ**»، جاء بيانه في الرواية الأخرى الصريحة، من حديث سهل رضي الله عنه قال: كان بين جدار المسجد مما يلي القبلة وبين المنبر ممر الشَّاة(٢) .

يعني : كان يقوم بجنب المنبر، لأنه لم يكن للمسجد محراب، فتكون مسافة ما بينه وبين الجدار، نظير ما بين المنبر والجدار، فكأنه قال: الذي ينبغي أن يكون بين المُصلِّي وسترته قدْرَ ما كان بين مِنْبره والجدار القِبْلي(٣) .

وفيه من الفوائد :

أن هذا الحديث ظاهرُه الوَقْف.

والحديث الموقوف: ما أُثِر عن الصَّحابة رضي الله عنهم من قولهم أو فعلهم.

ومظانُّ الحديث الموقوف : «المُصنَّف» لعبد الرزاق، و«المُصنَّف» لابن أبي شيبة، وكذا «موطأ» الإمام مالك، وفي كتب التفسير بالمأثور خاصة «جامع البيان» للطبري، وغيره .

---

(١) قال الحافظ ابن رجب رحمه الله في «فتح الباري» (٤/ ٢٥) : **هذا الحديث الثاني أحد ثلاثيات البخاري** . وانظر:«فتح الباري» لابن حجر (١/ ٥٧٤).

(٢) أخرجها البخاري (٧٣٣٤)

(٣) «عمدة القاري» للعيني(٤/ ٢٨٠)

ومن القواعد المقرَّرة في علم المصطلح أنَّ ما يحكيه الصَّحابي من قول أو فعل في زمن النبي ﷺ فهو في حُكْم المرفوع، وهذا الحديث منه.

ومثاله أيضاً : حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في «الصَّحيح»[١] : كُنَّا نعزل على عَهْد النبيِّ ﷺ .

وأمثلته كثيرة، تُنظر في باب « الموقوف في حُكْم المرفوع» .

ومن فوائده : حِرْص النبيِّ ﷺ على السُّترة في الصلاة؛ لتمنع المارَّة بين يديه، ومن فِعْله أنَّه ﷺ كان يُضيِّق على الشَّاة إذا مرَّت وربما الْتصق جسمه بالحائط، كما ثبت في الحديث الصَّحيح[٢] .

وقد بوَّب الإمام البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرح السُّنة» باباً قال فيه : باب الدُّنوِّ من السترة، ثُمَّ قال : والعمل على هذا عند أهل العلم، استحبُّوا الدُّنوَّ من السُّترة، بحيث يكون بينه وبينها قَدْر إمكان السُّجود، وكذلك بين الصَّفين.[٣]

يعني: من مقامه، لا من موضع سجوده .

ثمَّ بوَّب رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال : باب قَدْر السُّترة، وساق حديث طلحة: «إِذَا وَضَعَ أَحَدُكُم بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلَ مُؤَخِّرَةِ الرَّحْلِ، فَلْيُصَلِّ، وَلا يُبَالِ مَنْ مَرَّ وَرَاءَ ذَلِكَ» . وقال : المُستحبُّ من السُّترة هذا القَدْر[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٠٧)

(٢) انظر «صفة صلاة النبي ﷺ» للشيخ العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبحث الصلاة إلى السترة .

(٣) «شرح السنة» (٢ / ٤٤٧)

(٤) «شرح السنة» (٢ / ٤٤٩)

❑ مَسألةٌ :

سألتُ شيخنا حفظه الله عن القطع في الحرمين لاسِيَّما مع شِدَّة الزِّحام ؟

فقال : اغتَفَر بعض أهل العلم المرور بين يدي المُصلِّي للطَّائفين دون غيرهم، للحرَج القائم، واختار البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ عدم التَّفريق بين مكَّة وغيرها، وهذا ظاهر في ترجمته في «الصحيح» فقال : باب السُّترةِ بمكَّةَ وغيرِها[1].

وعلى المُصلِّي أن يتعاهد نفسه بالصلاة في مكان لا يقطع عليه أحد من صلاته، فإن لم يحرص غيرُه على عدم القطع للحاجة، فليحرص هو على صلاته.

وفيه : أهمية العناية بالخشوع في الصَّلاة، والعناية بتهيئة المكان الجالِب للخُشوع .

❑ ❑ ❑

---

(١) للحديث (٥٠١)

الحَدِيثُ الثَّالثُ

٥٠٢- حدَّثنا المكِّيُّ بنُ إبراهيمَ، قال: حدَّثنا يزيدُ بنُ أبي عُبَيدٍ، قال: كنتُ آتي مع سَلَمةَ بنِ الأكوَعِ، فيُصلِّي عندَ الأُسطُوانةِ الَّتي عندَ المُصْحَفِ، فقلتُ: يا أبا مُسلِمٍ، أراكَ تَتَحَرَّى الصَّلاةَ عِندَ هَذهِ الأُسطُوانةِ؟

قال: فإنِّي رَأيتُ النبيَّ ﷺ يَتَحَرَّى الصَّلاةَ عندَها.

التعليق :

هذا ثالث حديث في الثلاثيات[1].

وقوله : «**الأسطوانة**» : هي السارية أو العمود، التي كانت في الروضة الشريفة، ونقل الحافظ ابن حجر عن بعض مشايخه أنها أسطوانة المهاجرين، حيث كان المهاجرون يجتمعون عندها[2].

وقوله : «**عند المصحف**» : يعني مكان يجعل للمصحف، كما هو في أيامنا هذه.

وقوله : «**تتحرَّى**» يعني : تحرص وتجتهد لذلك .

وفيه من الفوائد : أن أصحاب النبي ﷺ كانوا يحرصون على الاقتداء به في جميع شُؤونه، وفِعْل ما يفعله، عَملاً بقوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ﴾ [الأحزاب: ٢١]

فالأُسْوةُ هي الاقتداء به في العِبَادات والمُعاملات وفي الأخلاق وفي

---

(١) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «فتح الباري» (١/ ٥٧٧) : **هذا ثالث ثلاثيات البخاري وقد ساوى فيه البخاري شيخه أحمد بن حنبل فإنه أخرجه في** «مسنده»(١٦٥١٦) **عن مكي بن إبراهيم**. وانظر:«عمدة القاري» للعيني (٤/ ٢٨٣).

(٢) «فتح الباري» (١/ ٥٧٧) .

السَّمْت والـهَدْي وفي كافَّة شؤون الحياة، لا ينفكُّ شيءٌ منها البتَّة عن الآخر .

وهذا من كمال الحبِّ، وهُو الامتثال، لا الحب الزَّائف الذي يَدَّعيه البعض قولاً، ثُمَّ هم من أبعدِ ما يكونون عن امتثاله في حياتهم.

وكان من أشدِّ صحابة رسول الله ﷺ امتثالاً وتَتبُّعاً لسـنته عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وهذه منقبة عظيمة أنْ تَشبَّه بسيِّد الخلق، في جميع شؤونه .

ومن فوائد الحديث : جواز أن يلزم المصلي مكاناً معيناً في المسجد يُصلِّي فيه، وهذا خاصٌّ بالتَّطوُّع.(١)

وقال الإمام النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وفي هذا أنه لا بأس بإدامة الصلاة في موضع واحد إذا كان فيه فضل، وأما النَّهي عن إيطان الرجل موضعاً من المسجد يُلازمه فهو فيما لا فضل فيه ولا حاجة إليه، وأمَّا من يحتاج إليه لتدريس علم، أو للإفتاء، أو سماع الحديث ونحو ذلك فلا كراهة فيه، بل هو مُستحبٌّ؛ لأنَّهُ من تسهيل طرق الخير .

وقد نقل القاضي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ خلاف السلف في كراهة الإيطان لغير حاجة، والاتِّفاق عليه لحاجةٍ نحو ما ذكرناه.(٢)

❑ ❑ ❑

---

(١) «فتح الباري» لابن رجب (٤ / ٥٠)

(٢) «شرح مسلم» (٤ / ٢٢٦)

الحَدِيثُ الرَّابعُ

٥٦١- حدَّثنا المكِّيُّ بنُ إبراهيمَ، قال: حدَّثنا يَزيدُ بنُ أبي عُبَيدٍ، عن سَلَمةَ قال: كنَّا نُصلِّي مع النبيِّ ﷺ المغربَ إذا تَوارَتْ بالحِجَاب.

التعليق :

وهذا رابع الثلاثيات [(١)].

وقوله : «توارت بالحجاب» أي : تُوارِي ـ أي : الشمس ـ قُرصها عن أعين النَّاظرين، بما حجبها عنها من الأرض .

ومن فوائد الحديث : بيان أول وقت المغرب؛ وهو أن تغيب الشمس، كما جاء في الحديث : « إذا أقبل الليل من هاهنا، وأدبر النهار من هاهنا، وغربت الشمس؛ فقد أفطر الصائم»[(٢)]

ومن فوائده : الحرص على صلاة الجماعة والعناية بها، وهي واجبة على كل قادر عليها [(٣)].

وفيه : حرص الصَّحابة ﭫ على شهود مجالس النبيِّ ﷺ إما بالحضور كما في هذا الحديث للاستزادة من علم رسول الله ﷺ، أو بالتناوب كما في قصة عمر .

❑ ❑ ❑

---

(١) قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «فتح الباري» (٤/ ٣٥١) : **هذا أحد ثلاثيات البخاري** .
وانظر:«فتح الباري» لابن حجر (٢/ ٤٣)/ و«عمدة القاري» للعيني (٥/ ٥٨)

(٢) أخرجه البخاري (١٩٥٤)، ومسلم (١١٠٠) من حديث عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) ومن أحسن من تناول هذه المسألة، شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مجموع الفتاوى» (٢٣/ ٢٢٢-٢٣٨، ٢٣٩-٢٥٠)

الحَدِيثُ الخَامِسُ

١٩٢٤ - حدَّثنا أبو عاصم، عن يزيدَ بنِ أبي عُبَيدٍ، عن سَلَمةَ بنِ الأكوَعِ ﷺ: أنَّ النبيَّ ﷺ بَعَثَ رجلاً يُنادِي في النَّاسِ يومَ عاشُوراءَ أنَّ: «مَنْ أكَلَ فلْيُتِمَّ - أو فلْيَصُمْ - ومَنْ لـم يَأْكُلْ فلا يَأْكُلْ».

التعليق :

هذا الحديث خامس الثلاثيات[1].

وعاشوراء : فيه خلاف هل هو اليوم التَّاسع أو العاشِر.

فابن عباس رضي الله عنهما كان يذهب إلى أنه التَّاسع، و قد أخرج الإمام أحمد عنه بإسناد صحيح: عن الحكم بن الأعرج، قال: انتهيتُ إلى ابن عباس، وهو مُتوسِّد رداءه في زمزم، فقلتُ: أخبرني عن عاشوراء، أي يوم أصومه ؟ فقال: إذا رأيت هلال المُحرَّم، فاعدد، فأصبح من التَّاسعة صائماً .

قال: قلت: أكذاك كان يصومه محمَّد عليه الصلاة والسلام ؟

قال: نعم[2].

والجمهور أنه العاشر ، وهو الصَّحيح.

ومذاهب العلماء في صومه على مراتب:

أحسنها أن يصوم التاسع، والعاشر، والحادي عشر، فيتحقَّق إصابة اليوم .

---

(١) قال الكرماني رَحِمَهُ اللهُ في «الكواكب الدراري» (٩/ ١٠٠) : **هذا الحديث خامس الثلاثيات.**

وقال العيني رَحِمَهُ اللهُ في «عمدة القاري» (١٠/ ٣٠٣) : **وهذا الحديث من ثلاثيات البخاري وهو خامس الثلاثيات له .**

(٢) في «المسند» (٣٢١٢)

وأدنى منه : صوم التاسع، والعاشر.

وأدنى منه : العاشر، والحادي عشر.

والأخير : صوم العاشر.

ومن فوائد الحديث : أنه يدلُّ على أنَّ صوم عاشوراء كان فَرْضاً قبل أن يفرض رمضان، ثُمَّ لـمَّا فُرض رمضان، تحوَّل إلى السُّنَّة المُؤكَّدة .

وقد روى مسلم[1]، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : إنَّ أهل الجاهلية كانوا يصومون يوم عاشوراء وأنَّ رسول الله ﷺ صامه والمسلمون قبل أن يفترض رمضان، فلما افترض رمضان، قال رسول الله ﷺ :«إنَّ عاشوراء يوم من أيام اللهِ، فمن شاء صامه، ومن شاء تركه»

ومن حديث جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : كان رسول الله ﷺ يأمرنا بصيام يوم عاشوراء ويحثُّنا عليه ويَتعاهدُنا عنده، فلمَّا فُرِض رمضان، لـم يأمرنا ولـم ينهنا ولـم يتعاهدنا عنده[2].

وإنما أمر النبيُّ ﷺ بصوم عاشوراء؛ لأنَّهُ لـمَّا قَدِم المدينة وجدَ اليهود يصومونه، فسألهم عن ذلك، فقالوا: هذا يوم عظيم نَجَّى اللهُ فيه موسى وقومه، وغرَّق فرعون، فصامه موسى شُكْراً، ونحن نصومه .

فقال النبيُّ ﷺ: «فَنحنُ أَحَقُّ وَأَوْلَى بمُوسَى مِنْكُم» فصامه، وأمر بصيامه[3] .

وفيه أيضاً : دليل على أنه إذا ثبت رمضان في الضَّحوة الكبرى، فإنه

---

(١) في «الصحيح» (١١٢٦)

(٢) في «الصحيح» (١١٢٨)

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٠٤)

يجب على المسلمين أن يُمسِكوا عن الطعام على الصَّحيح، ومن قال بنسخ الحكم واشتراط النية من الليل، فلا دليل عليه . والله أعلم

❑ **مسألة :** هذا الإمساك : هل يلزمهم القضاء أو لا؟

عندي أنه لا يلزمهم القضاء، فقط عليهم الإمساك، من حيث ورود الخبر.(١)

ومن فضائل يوم عاشوراء : أنه يُكَفِّر سنة ماضية، لحديث أبي قتادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ: «وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ »(٢)

تنبيه : لا يصحُّ في يوم عاشوراء ما ذهب إليه كثيرٌ من النَّاس من التَّوسِعة على الأولاد، والتَّزين، والفرح، والاكتحال، والمناسبات، وهذا كلُّه لم يَرِد بإسناد صحيح، وبيَّن ذلك ابن القيِّم رَحِمَهُ اللهُ في «المنار المنيف» فليُنظر (٣).

❑ ❑ ❑

---

(١) طالع : «الشرح الممتع» لشيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ (٦/ ٣٣٢) وقال فيه : ووجوب القضاء في هذه المسألة ـ أي: ما إذا قامت البينة أثناء النهار ـ هو قول عامة العلماء، ثم نقل خلاف العلماء في ذلك، وحكى مذهب شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ في المسألة بالإمساك مع عدم القضاء، وهو اختياره.

(٢) في «الصحيح» (١١٦٢) .

(٣) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ : أحاديث الاكتحال يوم عاشوراء، والتزين، والتَّوسعة والصَّلاة فيه وغير ذلك من فضائل لا يصحُّ منها شيءٌ، ولا حديث واحد، ولا يثبت عن النبي ﷺ فيه شيء غير أحاديث صيامه وما عداها فباطل.

وأمثل ما فيها : من وسع على عياله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته. قال الإمام أحمد: لا يصح هذا الحديث.

وأهل السُّنة يفعلون فيه ما أمر به النبي ﷺ من الصوم ويجتنبون ما أمر به الشيطان من البدع.اهـ «المنار المنيف» (١١١) .

الحَدِيثُ السَّادِسُ

٢٠٠٧- حدَّثنا المكِّيُّ بنُ إبراهيمَ، حدَّثنا يزيدُ، عن سَلَمةَ بنِ الأكوَعِ ﷺ قال: أمَرَ النبيُّ ﷺ رجلاً من أسلَمَ أنْ «أذِّنْ في النَّاس أنَّ مَن كان أكَلَ فلْيَصُمْ بَقِيَّةَ يومِه، ومَن لم يَكُنْ أكَلَ فلْيَصُمْ، فإنَّ اليومَ يومُ عاشُوراءَ».

التعليق :

وهذا سادس الثلاثيات [(١)].

ويُنظر ما قبله في ذِكْر فوائده .

ويُستفاد من الحديث غير ما ذكر : أنَّ من أكل وأصبح مُفطراً، فإنَّ عليه الإمساك وإتمام صيام بقية يومه، كما أمر النبيُّ ﷺ بعض أصحابه، لكنه لم يأمرهم بالقضاء، وهذا ظاهر .

❑ ❑ ❑

---

(١) قال العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «عمدة القاري» (١١ / ١٢٤) : **وهو السادس من ثلاثيات البخاري.**

الحَدِيثُ السَّابِعُ

٢٢٨٩- حدَّثنا المكِّيُّ بنُ إبراهيمَ، حدَّثنا يزيدُ بنُ أبي عُبَيدٍ، عن سَلَمَةَ بنِ الأكوَعِ ﷺ قال: كنَّا جُلوساً عندَ النبيِّ ﷺ إذْ أُتيَ بجِنازَة، فقالوا: صَلِّ عليها، فقال: «هل عليه دَينٌ؟» قالوا: لا، قال: «فهل تَرَكَ شيئاً؟» قالوا: لا، فصَلَّى عليه.

ثمَّ أُتيَ بجِنازَة أُخرَى، فقالوا: يا رَسُولَ الله، صَلِّ عليها، قال: «هل عليه دَينٌ؟» قيلَ: نعم، قال: «فهل تَرَكَ شيئاً؟» قالوا: ثلاثةَ دَنانيرَ، فصَلَّى عليها.

ثمَّ أُتيَ بالثَّالثةِ فقالوا: صَلِّ عليها، قال: «هل تَرَكَ شيئاً؟» قالوا: لا، قال: «فهل عليه دَينٌ؟» قالوا: ثلاثةُ دَنانيرَ، قال: «صَلُّوا على صاحبِكُم».

قال أبو قَتَادةَ: صَلِّ عليه يا رَسُولَ الله وعليَّ دَينُه، فصَلَّى عليه.

التعليق :

هذا الحديث سابع الثلاثيات[1].

وفي الحديث فوائد :

منها : أنَّ الواجب على المسلم ردُّ الحقوق إلى أهلها، فقد كان دَأبُ النبيِّ ﷺ أن يسأل عن الميِّت : هل عليه دَينٌ؟، فإنْ كان عليه دين امتنع عن الصلاة عليه، وإلَّا صلى.

ويُؤخذ من هذا عِظَم حُقوق الناس ومنزلتها عند الله، وفي عدم

---

(١) قال العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «عمدة القاري» (١٢ / ١١٢) : وهذا سابع ثلاثيات البخاري.
و قال القِسْطلَّاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «إرشاد الساري» (٤ / ١٤٦) : وهو سابع ثلاثياته .

التهاون في شيء منها .

وهذا السُّؤال كان في بداية صدر الإسلام، فلمَّا فتح الله عليه الفُتوح، ترك السؤال وكان يَسدُّ دين الميِّت مِن بيتِ مَال المسلمين .

ومنها: جواز ضمان الدَّين، وأنَّ للضامنِ أجرٌ؛ لأنَّ هذا يدخل في باب تفريج الكُرُبات، كما صحَّ ذلك في عدَّة أحاديث .

ومنها : بيانُ مَعيشة أصحاب النبيِّ ﷺ وما كانوا عليه من التَّقلُّل من متاع الدنيا، وحرصهم على إعمار الآخرة الباقية بدلاً من الدنيا الفانية .



الحَدِيثُ الثَّامِنُ

٢٢٩٥- حدَّثنا أبو عَاصِمٍ، عن يزيدَ بنِ أبي عُبَيدٍ، عن سَلَمةَ بنِ الأكوَعِ ﷺ: أنَّ النبيَّ ﷺ أُتـيَ بجِنازَة لِيُصلِّيَ عليها فقال: «هل عليه من دَينٍ؟» قالوا: لا، فصَلَّى عليه، ثمَّ أُتـيَ بجِنازَة أُخرَى فقال: «هل عليه من دَينٍ» قالوا: نعم، قال: «صَلُّوا على صاحبِكُم» قال أبو قَتَادةَ: عليَّ دَينُه يا رَسُولَ الله، فصَلَّى عليه.

التَعليق :

وهذا ثامن الثلاثيات [1].

ويُؤخذُ من هذا الحديث إضافةً: أنَّه ينبغي على أهل الميِّت أن يقصدوا من يكون من أهل الصَّلاح والوَرَع والتَّقوى للصلاة على ميِّتهم؛ رجاء قَبول دعوته، وإنْ كان الأَوْلى أن يكون من أهل الميِّت وأقربائه .

❑ ❑ ❑

---

(١) قال الكرماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الكواكب الدراري» (١٠/ ١٢٣) : **وهذا الحديث ثامن ثلاثيات البخاري.**
وتعقَّبه العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «عمدة القاري» (١٢ / ١٢٠) فقال: **هذا الحديث قد مرَّ مرَّة كما ذكرناه الآن، فلا يكون هذا ثامناً، بل سابعاً.**

الحَدِيثُ التَّاسعُ

٢٤٧٧- حدَّثنا أبو عاصمِ الضَّحّاكُ بنُ مَخلَدٍ، عن يزيدَ بنِ أبي عُبيدٍ، عن سَلَمةَ بنِ الأكوَعِ ﷺ: أنَّ النبيَّ ﷺ رأى نِيراناً تُوقَدُ يومَ خَيْبرَ، قال: «على ما تُوقَدُ هذه النِّيرانُ؟»

قالوا: على الحُمُرِ الإنسيَّةِ.

قال: «اكسِرُوها وأَهرِقُوها».

قالوا: ألا نُـهَرِيقُها ونَغْسِلُها؟

قال: «اغسِلُوا».

التعليق :

وهذا تاسع الثلاثيات[(١)]

وفي الحديث: ما يدل تحريم لحوم الحمر الأهلية، نسبة إلى أهلها، أو الإِنسية بكسر الهمز؛ نسبة إلى الإنس والإيناس بهم.

وقيل: بالفتح ـ الأَنسيَّة ـ والأول أقوى[(٢)].

---

(١) قال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ في «عمدة القاري» (١٣ / ١٣٠) : **وهو من تاسع ثلاثيات البخاري** .
وقال القِسْطلَّاني رَحِمَهُ اللَّهُ في «إرشاد الساري» (٤ / ٢٧٨) : **هذا الحديث تاسع ثلاثيات البخاري** .

(٢) قال ابن الأثير : في «النهاية » (١/ ٧٤) مادة (أنس) : والمشهور فيها كسر الهمزة منسوبة إلى الإنس وهم بنو آدم، الواحد إنسيٌّ. وفي كتاب أبي موسى ما يدل على أنَّ الهمزة مضمومة، فإنَّه قال: هي التي تَألف البيوت، والأُنس، وهو ضد الوحشة، والمشهور في ضد الوحشة الأُنس بالضم، وقد جاء فيه الكسر قليلاً. قال : ورواه بعضهم بفتح الهمزة والنون، وليس بشيء.
قلت: إنْ أراد أنَّ الفتح غير معروف في الرِّواية فيجوز، وإنْ أراد أنه ليس بمعروف في اللُّغة فلا، فإنه مصدر أَنِستُ به، آنسُ أَنساً وأَنَسةً.
وبالفتح أيضاً هي بعض روايات للصحيح، وكذا ضبطه القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ في مسلم، وانظر : «مشارق الأنوار» (١/ ٤٥) وهي رواية شيخ البخاري إسماعيل بن أبي أويس خلافاً لغيره.

وأما حمار الوحش فجائزٌ بالاتِّفاق .

وفيه أنَّ النبي ﷺ أخذ بقول أصحابه ونزل لرأيهم، فلم يكسرها ، وهي إشارة إلى أن الإمام أو من في حكمه ينبغي عليه ـ أُسوة بنبيِّه ﷺ ـ أن يَلتَمِس الصواب حيث كان، وممن قاله .

❑ ❑ ❑

الحَديثُ العَاشِرُ

٢٧٠٣- حدَّثنا محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ الأنصاريُّ، قال: حدَّثني حُمَيدٌ، أنَّ أنساً حَدَّثَهُم: أنَّ الرُّبَيِّعَ - وهي ابنةُ النَّضْرِ - كَسَرَتْ ثَنِيَّةَ جاريةٍ، فطَلَبُوا الأَرْشَ، وطَلَبُوا العَفْوَ، فأَبَوْا، فأَتَوُا النبيَّ ﷺ، فأمَرَهُم بالقِصاصِ.

فقال أنسُ بنُ النَّضْرِ: أتُكْسَرُ ثَنِيَّةُ الرُّبَيِّعِ يا رسولَ اللهِ ؟ لا والَّذي بَعَثَكَ بالحقِّ لا تُكْسَرُ ثَنِيَّتُها.

فقال: «يا أنسُ، كتابُ اللهِ القِصاصُ»، فرَضِيَ القومُ وعَفَوْا.

فقال النبيُّ ﷺ: «إنَّ مِن عِبادِ اللهِ مَن لو أقسَمَ على اللهِ لأَبَرَّه».

زادَ الفَزَاريُّ، عن حُمَيدٍ، عن أنسٍ: فرَضِيَ القومُ، وقَبِلُوا الأَرْشَ.

التعليق :

وهذا عاشر الثلاثيات[1].

وهو حديث عظيم، جليل القدر، كبير الأثر .

من فوائده : جواز الحلف فيما يُظنُّ وقوعه .

وفيه : استحباب العفو والشفاعة

وفيه : بيان فضيلة أنس بن النَّضْر رضي الله عنه وكرامته، وله مناقب شهيرة، من أجلِّها ما شَهِد له أنس بن مالك رضي الله عنه في غزوة أحد.

فقد أخرج البخاري في «الصحيح» من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدرٍ فقال: يا رسول الله، غبتُ عن أول

---

(١) قال الكرماني رحمه الله في «الكواكب الدراري » (١٢/ ١٥) : **وهذا عاشر ثلاثيات البخاري .**

وقال العيني رحمه الله في «عمدة القاري»(١٣/ ٢٨١) : **والحديث من ثلاثيات البخاري، وهي العاشرة منها.**

قتالٍ قاتلتَ المشركين، لئن اللهُ أشهدني قتال المشركين، لَيَرَينَّ اللهُ ما أصنع، فلمَّا كان يوم أُحدٍ وانكشفَ المسلمون قال: اللَّهُمَّ إني أعتذرُ إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني أصحابه ـ وأبرأُ إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني المشركين ـ ثمَّ تقدَّم فاستقبله سَعد بن معاذ، فقال :يا سعد بن معاذ، الجنةَ وربِّ النَّضْر إني أجد ريحها مِن دُون أُحدٍ، قال سعد: فما استطعتُ يا رسول الله ما صَنع، قال أنس : فوجَدْنا به بِضْعاً وثمانين ضربة بالسَّيفِ، أو طعنة برُمح، أو رَمية بسهم، ووجدناه قد قُتل وقد مَثَّل به المشركون، فما عرفه أحدٌ إلَّا أخته ببَنانه.

قال أنس: كُنَّا نرى أو نَظنُّ أنَّ هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه : ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] [١]

وفي قوله : «لأبرَّه» : يعني أبرَّ قسمه، فلو سأل الله، وأقسم عليه أن يفعله، لفعله ولم يخيِّب دعوته .

قال الشُّمُنِّي في «شرح النقاية»: لا قَوَد في عَظْم؛ لأنَّ المماثلة فيه مُتعذِّرة؛ لأنَّه إذا كُسر موضع، يكسر موضعاً آخر، إلَّا في موضع آخر، إلَّا في السِّن، لإمكان المماثلة، فإنه يُؤخذ من موضع آخر، [٢] وفيه بحث .

❑ ❑ ❑

---

(١) «صحيح البخاري» (٢٨٠٥)

(٢) انظر : «تعليقات القاري على ثلاثيات البخاري» للقاري (٢٥٧)

الحَديثُ الحَادِي عَشر

٢٩٦٠- حدَّثنا المكِّيُّ بنُ إبراهيمَ، حدَّثنا يزيدُ بنُ أبي عُبَيدٍ، عن سَلَمةَ ﷺ قال: بايَعْتُ النبيَّ ﷺ ثمَّ عَدَلْتُ إلى ظِلِّ الشَّجَرةِ، فلمَّا خَفَّ النّاسُ قال: «يا ابنَ الأكوَعِ، ألَا تُبايِعُ؟» قال: قلتُ: قد بايَعْتُ يا رسولَ الله، قال: «وأيضاً» فبايَعْتُه الثّانيةَ، فقلتُ له: يا أبا مُسلِمٍ، على أيِّ شيءٍ كنتُم تُبايِعونَ يومَئذٍ؟ قال: على الموتِ.

التعليق :

وهذا الحادي عشر من الثلاثيات[١].

قيل في تكرار البيعة لسلمة؛ لأنه كان مِقْداماً في الحرب، فأكَّد عليه احتياطاً.

وهذا فيه نظر؛ لأن من كان مقداماً في الحرب لايحتاج إلى تكرار المبايعة، فحسبه بيعة واحدة.

وقيل: لتعدد الصِّفة فيه فكأنه يقوم مقام الراكب والراجل.

والذي يظهر لي: أنَّ النبيَّ ﷺ كرَّر بيعته للتوثق من صدق بيعته، ولأنَّه توسَّم فيه حسن بلائه، فأراد أن يُكرِمه ببَيْعتَين؛ لتكونا دافعةً له إلى المزيد من الإقدام والبَسالة، والله أعلم.[٢]

❑ ❑ ❑

(١) قال الكرماني رحمه الله في «الكواكب الدراري» (١٢/ ١٩٩): **هذا هو الحادي عشر من الثلاثيات التي في «الصحيح»**.

(٢) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٣/ ١٩٩)

الحَدِيثُ الثَّاني عَشَر

٣٠٤١- حدَّثنا المكِّيُّ بنُ إبراهيمَ، أخبرنا يزيدُ بنُ أبي عُبَيدٍ، عن سَلَمةَ، أ نَّه أخبَره قال: خَرَجْتُ منَ المدينةِ ذاهباً نحوَ الغابةِ، حتَّى إذا كنتُ بثَنِيَّةِ الغابةِ لَقِيَني غلامٌ لعبدِ الرَّحمنِ بنِ عَوْفٍ، قلتُ: وَيحَكَ ما بكَ؟

قال: أُخِذَتْ لِقاحُ النبيِّ ﷺ.

قلتُ: مَن أخَذَها؟

قال: غَطَفانُ وفَزَارةُ، فصَرَخْتُ ثلاثَ صَرخاتٍ أسمَعْتُ ما بينَ لابَتَيها: يا صَبَاحاهْ، يا صَبَاحاهْ.

ثمَّ اندَفَعتُ حتَّى أَلْقاهم وقد أخَذُوها، فجَعَلْتُ أَرمِيهم وأقولُ:

أنــــا ابــــنُ الأكــــوَعِ   واليــــومُ يــــومُ الرُّضَّــــعِ

فاستَنقَذْتُها منهم قبلَ أنْ يَشرَبُوا، فأقبَلْتُ بها أسُوقُها، فلَقِيَني النبيُّ ﷺ فقلتُ: يا رسولَ الله، إنَّ القومَ عِطاشٌ، وإنِّي أعجَلْتُهم أنْ يَشرَبُوا سِقْيَهُم، فابعَثْ في إثْرِهم، فقال: «يا ابنَ الأكوَعِ، مَلَكْتَ فأَسجِحْ، إنَّ القومَ يُقرَوْنَ في قومِهم».

التعليق :

وهذا الثاني عشر من الثلاثيات(١).

وفيه مَنقبةٌ كبيرة لسَلَمة، و في قصص هذا الصَّحابي رضي الله عنه أخبارٌ عجيبةٌ

(١) قال الكرماني رحمه الله في «الكواكب الدراري» (١٣/ ٤١) : هذا هو الحديث الثاني عشر من الثلاثيات .

وقال العيني رحمه الله في «عمدة القاري» (١٤/ ٢٨٥) : وهذا الحديث من ثلاثيات البخاري الثاني عشر .

صحيحة ، وأَعظمُها شأناً ما كان منه في غَزوة ذي قَرَد.

ومن عَجيب خَبرِه : أنه ما كَذَب أبداً، وهذه من أعظم المناقب [١].

وقوله : «ملكتَ فأسجح» : أي ملكتهم وهم أحرارٌ، ولكن ارْفِق بهم .

وفي هذا بيان مدى رحمة النبيِّ ﷺ بالنَّاس، ولتوقُّع إيمانهم، وقد دعا ﷺ إلى الرِّفق بهم.

وفي قوله : « اليوم يوم الرضَّع» : جمعُ رَاضِع، وهو اللَّئيم .

ويُريد برَجْزِه : خُذوا الرَّمية من الكِرَام، واليوم يوم هَلاك اللِّئام .

❑ ❑ ❑

---

(١) قاله ابنه إياس، كما في «أسد الغابة» لابن الأثير (٢/ ٥١٧) .

الحَديثُ الثَّالثُ عَشَر

٣٥٤٦- حدَّثنا عِصامُ بنُ خالدٍ، حدَّثنا حَرِيزُ بنُ عُثمانَ، أنَّه سألَ عبدَ الله بنَ بُسْرٍ صاحبَ النبيِّ ﷺ قال: أرأيتَ النبيَّ ﷺ أكانَ شيخاً؟

قال: كانَ في عَنفَقَتِه شَعَراتٌ بِيضٌ.

التعليق :

وهذا الثالث عشر من الثلاثيات[1].

وحَريز بن عثمان: ثقةٌ من أهل الضَّبط، لكن كان فيه انحرافٌ عن عليٍّ رضي الله عنه، وقد احتجَّ به البخاري رحمه الله.

وهذا لا يُعدُّ جرحاً في حقِّه تُردُّ به الرِّواية، فإنَّه مما اتَّفق أهل العلم في رواية المُبتدع ممن كان من أهل الضَّبط والدِّيانة يُحتج به في دينه.

وقد كان ابن خزيمة رحمه الله يقول عن عبَّاد بن يعقوب الرَّواجني: حدَّثني المتهم في دينه، الصدوق في روايته، وهذا من ذلك، وحرَّرناه في «شرح النخبة».

والعَنْفقة: هي الشَّعَرات التي تكون في أسفل الشفة، ولا تأخذ حكم اللحية، وهذا البياض نور في الوجه كما جاءت به الأحاديث الصحيحة، ومنها:

---

(١) قال الكرماني رحمه الله في «الكواكب الدراري» (١٤/ ١٣٨): **هذا الحديث هو الثالث عشر من ثلاثياته.**

وقال العيني رحمه الله في «عمدة القاري» (١٦/ ١٠٤): **والحديث من ثلاثيات البخاري، الثالث عشر منها، ومن أفراده أيضاً.**

عن عَمْرو بن شُعيب، عن أبيه، عن جَدِّه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَنْتِفُوا الشَّيبَ، ما مِن مُسلم يَشِيب شيبةً في الإسلام».

قال عن سفيان: «إلَّا كانت له نُوراً يوم القيامة».

وقال في حَديث يحيى: «إلَّا كَتبَ اللهُ له بها حسنةً، وحطَّ عنه بها خَطِيئةً»[1].

❑ ❑ ❑

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٠٤)، والنسائي في «الكبرى» (٩٢٨٥)، والترمذي (٢٨٢١)، وابن ماجه (٣٧٢١)، وأحمد في «المسند» (٦٦٧٢) وهو صحيح لغيره.

الحَدِيثُ الرَّابع عشَر

٤٢٠٦- حدَّثنا المَكِّيُّ بنُ إبراهيمَ، حدَّثنا يزيدُ بنُ أبي عُبَيدٍ قال: رأيتُ أثرَ ضَرْبةٍ في ساقِ سَلَمةَ، فقلتُ: يا أبا مُسلِمٍ ما هذه الضَّرْبةُ؟ فقال: هذه ضَرْبةٌ أصابَتْني يومَ خَيْبَرَ، فقال النّاسُ: أُصِيبَ سَلَمةُ، فأتيتُ النبيَّ ﷺ، فنَفَثَ فيه ثلاثَ نَفَثاتٍ، فما اشتَكَيتُها حتَّى السّاعةِ.

التعليق :

وهذا الرابع عشر من الثلاثيات[1].

وفي هذا الحديث بيانُ أنَّ النبي ﷺ كان يُعالج بالدُّعاء والرُّقية، ولها شواهد، وهو لم يكن يقتصر في ذلك على المريض، وإنَّما كان يحثُّ على التَّداوي، ويقول: «مَا أَنزَلَ اللهُ دَاءً إِلَّا أَنزَلَ لَهُ شِفَاءً»[2]

وقال: «إنَّ اللهَ أنزَلَ الدَّاءَ والدَّوَاءَ، وجَعَلَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً؛ فَتَدَاوَوا وَلا تتَدَاوَوا بِحَرَامٍ»[3].

فيجمع بين الرُّقية والدَّواء، وقد رَقَى نفسَه، ورَقى الصَّحابة، وقد رقاه جبريل[4].

ويَضُمُّ لهما ممَّا له أثرٌ كبيرٌ في الشِّفاء؛ الصدقة.

---

(١) قال الكرماني رَحِمَهُ اللهُ في «الكواكب الدراري» (١٦/ ٩٦): **وهذا هو الرابع عشر من الثلاثيات.**

وقال العيني رَحِمَهُ اللهُ في «عمدة القاري» (١٧/ ٢٤١): **وهذا الحديث من ثلاثيات البخاري وهو الرابع عشر منها.**

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٧٨) وابن ماجه (٣٤٣٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أبو داود (٣٨٧٤) عن أبي الدَّرداء رضي الله عنه، وإسناده صحيح.

(٤) انظر فيه تفصيل ذلك: «الرقية الشرعية من الكتاب والسنة النبوية» لراقم هذه الأحرف، في الطبعة الرابعة، عن دار النفائس، الأردن.

فقد أخرج أبو داود : مُرسلاً عن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ، قال : « دَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ»[١] .

وفي الحديث: عنايةُ النبيِّ ﷺ بصحابته، ولها نظائر كثيرة في تَفقُّده ﷺ صحابته، ومنها قصة عبد الله بن عَتِيك، حين قتل أبا رافع اليهودي، وقد أخرج البخاري قصته :

فعَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَبِي رَافِعٍ اليَهُودِيِّ رِجَالاً مِنْ الأَنْصَارِ فَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَتِيكٍ، وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَيُعِينُ عَلَيْهِ، وَكَانَ فِي حِصْنٍ لَهُ بِأَرْضِ الحِجَازِ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُ وَقَدْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ وَرَاحَ النَّاسُ بِسَرْحِهِمْ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ لِأَصْحَابِهِ: اجْلِسُوا مَكَانَكُمْ، فَإِنِّي مُنْطَلِقٌ وَمُتَلَطِّفٌ لِلْبَوَّابِ لَعَلِّي أَنْ أَدْخُلَ، فَأَقْبَلَ حَتَّى دَنَا مِنْ البَابِ، ثُمَّ تَقَنَّعَ بِثَوْبِهِ كَأَنَّهُ يَقْضِي حَاجَةً، وَقَدْ دَخَلَ النَّاسُ فَهَتَفَ بِهِ البَوَّابُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَدْخُلَ فَادْخُلْ فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُغْلِقَ البَابَ، فَدَخَلْتُ فَكَمَنْتُ، فَلَمَّا دَخَلَ النَّاسُ أَغْلَقَ البَابَ، ثُمَّ عَلَّقَ الأَغَالِيقَ عَلَى وَتَدٍ، قَالَ : فَقُمْتُ إِلَى الأَقَالِيدِ فَأَخَذْتُهَا فَفَتَحْتُ البَابَ.

وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُسْمَرُ عِنْدَهُ وَكَانَ فِي عَلَالِيَّ لَهُ، فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْهُ أَهْلُ سَمَرِهِ صَعِدْتُ إِلَيْهِ فَجَعَلْتُ كُلَّمَا فَتَحْتُ بَاباً أَغْلَقْتُ عَلَيَّ مِنْ دَاخِلٍ، قُلْتُ إِنِ القَوْمُ نَذِرُوا بِي لَمْ يَخْلُصُوا إِلَيَّ حَتَّى أَقْتُلَهُ، فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ وَسْطَ عِيَالِهِ لَا أَدْرِي أَيْنَ هُوَ مِنْ البَيْتِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا رَافِعٍ، قَالَ : مَنْ هَذَا؟ فَأَهْوَيْتُ نَحْوَ الصَّوْتِ فَأَضْرِبُهُ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ، وَأَنَا دَهِشٌ فَمَا أَغْنَيْتُ شَيْئاً، وَصَاحَ، فَخَرَجْتُ مِنْ البَيْتِ فَأَمْكُثُ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ دَخَلْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ

(١) «المراسيل» (١٠٥) ورجاله ثقات .

مَا هَذَا الصَّوْتُ يَا أَبَا رَافِعٍ؟ فَقَالَ: لِأُمِّكَ الوَيْلُ، إِنَّ رَجُلاً فِي البَيْتِ ضَرَبَنِي قَبْلُ بِالسَّيْفِ.

قَالَ: فَأَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أَثْخَنَتْهُ وَلَمْ أَقْتُلْهُ، ثُمَّ وَضَعْتُ ظِبَةَ السَّيْفِ فِي بَطْنِهِ حَتَّى أَخَذَ فِي ظَهْرِهِ فَعَرَفْتُ أَنِّي قَتَلْتُهُ، فَجَعَلْتُ أَفْتَحُ الأَبْوَابَ بَاباً بَاباً حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى دَرَجَةٍ لَهُ فَوَضَعْتُ رِجْلِي وَأَنَا أُرَى أَنِّي قَدْ انْتَهَيْتُ إِلَى الأَرْضِ فَوَقَعْتُ فِي لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ فَانْكَسَرَتْ سَاقِي، فَعَصَبْتُهَا بِعِمَامَةٍ ثُمَّ انْطَلَقْتُ حَتَّى جَلَسْتُ عَلَى البَابِ، فَقُلْتُ لَا أَخْرُجُ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَعْلَمَ أَقَتَلْتُهُ. فَلَمَّا صَاحَ الدِّيكُ قَامَ النَّاعِي عَلَى السُّورِ، فَقَالَ: أَنْعَى أَبَا رَافِعٍ تَاجِرَ أَهْلِ الحِجَازِ.

فَانْطَلَقْتُ إِلَى أَصْحَابِي فَقُلْتُ : النَّجَاءَ، فَقَدْ قَتَلَ اللَّهُ أَبَا رَافِعٍ، فَانْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَحَدَّثْتُهُ، فَقَالَ : «ابْسُطْ رِجْلَكَ»، فَبَسَطْتُ رِجْلِي، فَمَسَحَهَا فَكَأَنَّهَا لَمْ أَشْتَكِهَا قَطُّ .(١)

❑ ❑ ❑

---

(١) في «الصحيح» (٤٠٣٩).

الحَدِيثُ الخَامسُ عَشَر

٤٢٧٢- حدَّثنا أبو عاصمٍ الضَّحّاكُ بنُ مَخلَدٍ، حدَّثنا يزيدُ، عن سَلَمةَ بنِ الأكْوَعِ ﷺ قال: غَزَوْتُ مع النبيِّ ﷺ سَبْعَ غَزَواتٍ، وغَزَوْتُ مع ابنِ حارثةَ، استَعْمَلَه علينا.

التعليق :

وهذا الخامس عشر من الثلاثيات[1].

قوله : «سبع غزوات» : هي الحديبية، و خيبر، و ذي قَرَد، و فتح مكة، وحُنين، وتبوك .

وقوله : «استعمله علينا» : الاستعمال هنا، يعني أمَّره عليهم، وفيه منقبةٌ له .

وهذا فيه ردٌّ على من طَعَن في إمارته حين قال النبيﷺ : «إنْ تَطْعُنُوا في إمَارَتِهِ، فَقَدْ كُنْتُم تَطْعُنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، وَايْمُ اللَّهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقاً لِلْإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ»[2]

فأراد سلَمة أنْ يذكر أنَّ أمارة أسامة بن زيد رضي الله عنهما مما رَضِيَها النبيُّ ﷺ .

❑ ❑ ❑

(١) قال الكرماني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الكواكب الدراري» (١٦/ ١٢٦) : وهذا هو خامس عشر الثلاثيات .
وقال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ في «عمدة القاري» (١٧/ ٢٧٣) : وهذا هو الخامس عشر من ثلاثيات البخاري.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٣٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما .

الحَدِيثُ السَّادِسُ عَشَر

٤٤٩٩- حدَّثنا محمَّدُ بنُ عبدِ الله الأنصاريُّ، حدَّثنا حُمَيدٌ، أنَّ أنساً حَدَّثَهُم، عن النبيِّ ﷺ قال: «كِتابُ اللهِ القِصاصُ».

التعليق :

وهذا السادس عشر من الثلاثيات[1] .

وفيه تحقيق المساواة والعدل، وأنَّ دين الإسلام قائمٌ على هذا، وهذا النِّظام يقوم على الحاكم والمحكوم، ولـمَّا كلَّم اليهودُ أسامة بن زيد في الشَّفاعة في حدٍّ من حُدود الله قال : «وايْمُ اللهِ، لو أنَّ فاطمة بنت محمَّدٍ سرقت؛ لَقطعتُ يدها» [2].

ومتى ما أقمنا شرع الله تعالى في حياتنا، استقامت لنا الدُّنيا وصِرْنا في أعلى الأمم، ولكن حينما رَكنَّا إلى الدُّنيا، ضيَّعنا الحدود، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فَقدْنا ذلك كلِّه .

فنسألك يا رب أنْ تُهيِّيءَ لهذه الأُمَّة أمر رُشدٍ تُعزُّ فيه أهل الطاعة، وتُذلُّ فيه أهل المعصية، وأن تُصلح ولاة أمور المسلمين، وأن تُوفِّق لهم بطانة صالحة تُعينهم على الخير والصلاح والتَّقوى، وهكذا كان يفعل الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والفُضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ في دعوتهم لولاة أمور المسلمين.

❑ ❑ ❑

---

(١) قال الكرماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الكواكب الدراري»(١٧/ ٢١) : هذا الحديث هو الحديث السادس عشر من الثلاثيات.

وقال العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «عمدة القاري» (١٨/ ١٠٢) وهذا من ثلاثيات البخاري، وهو: السادس عشر.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٧٥) عن عائشة رضي الله عنها .

الحَدِيثُ السَّابعُ عَشَر

٥٤٩٧- حدَّثنا المكِّيُّ بنُ إبراهيمَ، قال: حدَّثني يزيدُ بنُ أبي عُبَيدٍ، عن سَلَمةَ بنِ الأكوَعِ قال: لمَّا أمسَوْا يومَ فتَحُوا خَيْبرَ أوقَدُوا النِّيرانَ، قال النبيُّ ﷺ: «عَلامَ أوقَدْتُم هذه النِّيرانَ؟» قالوا: لحومِ الحُمُرِ الإنسيَّةِ.

قال: «أَهرِيقُوا ما فيها، واكسِرُوا قُدُورَها» فقامَ رجلٌ من القومِ فقال: نُهَرِيقُ ما فيها ونَغْسِلُها؟ فقال النبيُّ ﷺ: «أو ذاكَ».

التعليق:

وهذا السابع عشر من الثلاثيات[1]

وسبق ذِكْر فَوائده، فلتُنظر.

❑ ❑ ❑

(١) قال الكرماني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الكواكب الدراري»(٢٠/ ٩٣): هذا هو سابع عشر الثلاثيات.

وقال العيني في عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢١/ ١١١): وهذا الحديث هو السابع عشر من ثلاثيات البخاري.

الحَدِيثُ الثَّامنُ عَشَر

٥٥٦٩- حدَّثنا أبو عاصمٍ، عن يزيدَ بنِ أبي عُبَيدٍ، عن سَلَمةَ بنِ الأكوَعِ قال: قال النبيُّ ﷺ: «مَن ضَحَّى منكم فلا يُصْبِحَنَّ بعدَ ثالثةٍ وفي بيتِه منه شيءٌ».

فلمَّا كان العامُ المُقْبِلُ قالوا: يا رسولَ الله، نَفْعَلُ كما فعَلْنا عامَ الماضي؟ قال: «كُلُوا وأطْعِمُوا وادَّخِرُوا، فإنَّ ذلكَ العامَ كان بالنّاس جَهْدٌ، فأرَدْتُ أنْ تُعِينُوا فيها».

التعليق :

وهذا الرابع عشر من الثلاثيات[1].

وفي هذا الحديث : دليلٌ على أنَّ التشريع الاستثنائي إنَّما يكون بسبب عِلَّة، وأنه يزول بزوالها، ومنه القاعدة الفقهية: الحُكْم يَدُور مع عِلَّته وُجُوداً وعَدماً[2].

وهذه فائدة للفقيه مهمة : وهي أنَّه يحقُّ للإمام أو الفَقيه : أنْ يُفتي بفَتْوى يُراعى فيها أحوال النَّاس وزمانهم، كأنْ يضع قيوداً على المُباح تَرفعُه إلى رُتبة الحُرْمة، ومتى ما زالت عاد الحكم إلى البراءة الأصلية .

وهذا مشهورٌ في كتب الفقهاء، وهو ما يُشاع اليوم ويعرف بـ : «فقه

---

(١) قال الكرماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الكواكب الدراري»(٢٠/ ١٣٥) : **هذا هو الثامن عشر من ثلاثيات البخاري .**

وقال العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «عمدة القاري»(٢١/ ١٥٩) **وهذا هو الثامن عشر من ثلاثيات البخاري.**

(٢) هذه القاعدة أصولية، تُعرف في باب مسالك العِلَّة وهي كثيرة، كالإجماع والمناسبة، وغيرها، ومنها هذه، ويطلقون عليها «الدَّوران» = الطرد والعكس .فلتُنظر في كتب الأصول في مبحث (مسالك العلة) فهي مهمة جداً للفقيه .

النَّوازل» أو «المُستجدَّات» إلَّا أنَّ هذه الفتوى لا تُحلُّ حراماً، ولا تُحرِّم حلالاً، ولها أصولها وقواعدها، وليست هي مِن قَبِيل التَّشهِّي وتَتبُّع الرُّخص.

ومن أمثلة ذلك مما ينبغي للفَقِيه أنْ يراعيه: ما كان من عمر بن الخطاب ﷺ في عام المجاعة، فلم يقم الحدَّ في قطع اليد، لأجل ما حلَّ بالناس من الضيق والعَوَز، وبمثل هذه الأحوال استنبط الفقهاء أحكامهم، وقعَّد الأصوليون قواعدهم، ومن تأمَّل أدرك.

❑ ❑ ❑

الحَدِيثُ التَّاسِعُ عَشَرَ

٦٨٩١- حدَّثنا المكِّيُّ بنُ إبراهيمَ، حدَّثنا يزيدُ بنُ أبي عُبَيدٍ، عن سَلَمةَ، قال: خَرَجْنا مع النبيِّ ﷺ إلى خَيْبَرَ، فقال رجلٌ منهم: أسمِعْنا يا عامرُ من هُنَيهاتِكَ، فحَدَا بهم، فقال النبيُّ ﷺ: «مَنِ السّائقُ؟» قالوا: عامرٌ، فقال: «رَحِمَه اللهُ» فقالوا: يا رسولَ الله، هَلَّا أمتَعْتَنا به؟ فأُصِيبَ صَبِيحةَ ليلتِه، فقال القومُ: حَبِطَ عَمَلُه! قَتَلَ نَفْسَه، فلمَّا رَجَعْتُ وهم يَتَحدَّثونَ أنَّ عامراً حَبِطَ عَمَلُه، فجئتُ إلى النبيِّ ﷺ، فقلتُ: يا نبيَّ الله، فداكَ أبي وأُمِّي، زَعَمُوا أنَّ عامراً حَبِطَ عَمَلُه؟ فقال: «كَذَبَ مَن قالها، إنَّ له لأجرَينِ اثنَينِ، إنَّه لَجَاهِدٌ مُجاهِدٌ، وأيُّ قَتْلٍ يزيدُه عليه».

التعليق :

وهذا التاسع عشر من الثلاثيات[1].

وكان مِمَّا أَنشَد فيها أخرجه مسلم[2] :

اللهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

فَاغْفِرْ فِدَاءً لَكَ مَا اقْتَفَيْنَا ... وَثَبِّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا

وَأَلْقِيَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا ... إِنَّا إِذَا صِيحَ بِنَا أَتَيْنَا

وَبِالصِّيَاحِ عَوَّلُوا عَلَيْنَا

---

(١) قال الكرماني رَحِمَهُ اللهُ في «الكواكب الدراري» (٢٤/ ٢٠) : هذا هو التاسع عشر من الثلاثيات.
وقال العيني رَحِمَهُ اللهُ في «عمدة القاري» (٢٤/ ٥١) : وهذا الحديث هو التاسع عشر من ثلاثيات البخاري.
وقال القسطلاني رَحِمَهُ اللهُ في «إرشاد الساري» (١٠/ ٥٨) : وهذا الحديث هو التاسع عشر من ثلاثيات الإمام البخاري.

(٢) في «الصحيح» (١٨٠٢)

قوله : «رحمه الله » وفي الرواية الأخرى : قَالَ رَجُلٌ مِنَ القومِ وَجَبَتْ يا نَبِيَّ اللَّهِ لَوْلا أَمْتَعْتَنَا بِه .[١] يعني : وجبتْ له الشهادة .

والقائل هو عمرﷺ، وأخرج هذا ابن سعد فقال :

فقال عمر بن الخطاب: وجبت والله يا رسول الله، فقال رجلٌ من القوم: لو لا مَتَّعتنا به يا رسول الله.

فاستُشهد عامرٌ يومَ خيبر، ذهب يضرب رجلاً من المشركين فرجع السيف فجرح نفسه فمات، فحُمِل إلى الرَّجيع فقُبِر مع محمود بن سلمة في قبر في غار.

فقال محمد بن سلمة: يا رسول الله، أَقْطِعْ لي عند قبر أخي، فقال رسول الله ﷺ : «لك حضر الفرس، فإن عملت فلك حضر فرسين»

فقال أسيد بن حضير: حبط عمل عامر، قتل نفسه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقد قال : فعلمت أنه سيُقتل.[٢]

وهذا فيه فائدة معرفة أنَّ ذلك كان من عادات النبي ﷺ .

وقد وقع ما أخبر به النبي ﷺ به ، ففي رواية أنه : أُصِيبَ صَبِيحَةَ لَيْلَتِهِ[٣] .

وقد قالها النبي ﷺ لبعض صحابته ، وقد وقع ذلك فيما أخرجه البخاري، من حديث أبي هريرة ﷺ في حديث ضيف رسول الله ﷺ وفيه قوله ﷺ : «أَلَا رَجُلٌ يُضَيِّفُهُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ يَرْحَمُهُ اللَّهُ »[٤]

---

(١) أخرجها البخاري (٤١٩٦)

(٢) انظر : «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٤ / ٣٠٣)

(٣) أخرجها البخاري (٦٨٩١)

(٤) أخرجها البخاري (٤٨٨٩)

ولو جُمِعت وتُتبِّعت هذه العادات؛ لكانت مسألة حسنة لطيفة، وهي من مُلَحِ العِلْم لا من أصيلِ أو مَتِينه، ومثل ذلك الأحاديث التي حَلَف فيها النبي ﷺ، أو ما بدأها بقوله: «ثلاثة» أو «سبع». والله أعلم

وقوله: «إنه لجاهِدٌ»: بكسر هاء، فتنوينُ رَفعٍ على الأقوى والأصح[١]، وقوله: «لجاهِدٌ»: هو من باب التوكيد، وتكرير اللفظ مشهورٌ عند العرب.

قال ابن الأنباري: العرب إذا بالغت في تعظيم شيء اشتقَّت له من لفظه لفظاً آخر على غير بنائه زيادة في التوكيد، وأعربوه بإعرابه، فيقولون: جادٌّ مُجِدٌّ، وليلٌ لائلٌ، وشِعْر شاعر، ونحو ذلك[٢].

❑ ❑ ❑

---

(١) انظر: «مشارق الأنوار» للقاضي عياض (١/ ١٦٣)

(٢) انظر: «المُفْهِم لما أشكل من تلخيص مسلم» للقرطبي (٣/ ٦٦٧).

الحَدِيثُ العِشْرُونَ

٦٨٩٤- حدَّثنا الأنصاريُّ، حدَّثنا حُمَيدٌ، عن أنسٍ ﷺ: أنَّ ابنةَ النَّضْرِ لَطَمَتْ جاريةً فكَسَرَتْ ثَنِيَّتَها، فأتَوُا النبيَّ ﷺ فأمَرَ بالقِصَاصِ.

التعليق :

وهذا العشرون من الثلاثيات[1].

وسبق بيان فوائده .

❑ ❑ ❑

---

(١) قال الكرماني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الكواكب الدراري» (٢٤/ ٢١) :وهذا هو الحديث الموفي للعشرين من الثلاثيات .

وقال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ في «عمدة القاري» (٢٤/ ٥٣) : وهذا الحديث هو الموفي للعشرين من ثلاثيات البخاري .

الحَدِيثُ الحَادِي والعِشْرُونَ

٧٢٠٨- حدَّثنا أبو عاصمٍ، عن يزيدَ بنِ أبي عُبَيدٍ، عن سَلَمةَ، قال: بايَعْنا النبيَّ ﷺ تحتَ الشَّجَرةِ، فقال لي: «يا سَلَمةُ، ألا تُبايِعُ» قلتُ: يا رسولَ الله، قد بايَعْتُ في الأوَّلِ، قال: «وفي الثّاني».

التعليق :

وهذا الحادي والعشرون من الثلاثيات[1]

وسبق ذِكْر فوائده .

ويُضاف : عِناية النبيِّ ﷺ بخواصِّ أصحابه، ممن عَلِم فيهم كبيرُ نَفعٍ وأثر؛ ليكُون لهم حافزاً على الخير والعمل الصَّالح.

❑ ❑ ❑

(١) قال الكرماني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الكواكب الدراري» (٢٤/ ٢٤٢) :**وهذا هو الحادي والعشرون من ثلاثيات البخاري** .

وقال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ في «عمدة القاري» (٢٤/ ٧٣) : **وهذا هو الحادي والعشرون من ثلاثيات البخاري**.

الحَدِيثُ الثَّاني والعِشْرُون

٧٤٢١- حدَّثنا خَلَّادُ بنُ يحيى، حدَّثنا عيسى بنُ طَهْمانَ، قال: سمعتُ أنسَ بنَ مالكٍ ﷺ يقولُ: نَزَلَتْ آيةُ الحِجاب في زَينَبَ بنتِ جَحْشٍ، وأَطْعَمَ عليها يومَئذٍ خُبْزاً ولحماً، وكانت تَفْخَرُ على نِساءِ النبيِّ ﷺ، وكانت تقولُ: إنَّ الله أنكحَني في السَّماءِ.

التعليق :

وهذا الثاني والعشرون من الثلاثيات[1]

وآية الحجاب يريد بها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٣]

وفي الحديث: بيان فضل أم المؤمنين زينب رضي الله عنها، وكان سبب المفخرة أنَّ الله تعالى زوَّجها لنبيِّه ﷺ بقوله تعالى: ﴿ زَوَّجۡنَٰكَهَا ﴾[الأحزاب:٣٧]

وهذا من باب التحدُّث بنعمة الله، ولا تدخل في المفاخرة المنهي عنها كِبْراً واستعلاءً، وإنَّما المَنهيُّ عنها المفاخرة بالباطل، وعلى سبيل التَّكبُّر وازدراء الآخرين.

وفي الحديث: إثبات العُلوِّ للهِ تعالى بنصِّ قولها: « **في السماء**» وهذا دليلٌ على مسألةٍ شريفة من مسائل الاعتقاد، وهي «مسألة العُلوِّ»، وقد صنَّف الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان وإثبات هذه المسألة العقديَّة، كتابه العظيم

---

(١) قال العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «عمدة القاري» (٢٥/ ١١٤): **وهذا هو الحديث الثاني والعشرون من ثلاثيات البخاري وهو آخر الثلاثيات.**

«العلو للعلي الغفار» ، وهو كتابٌ نفيسٌ في بابه، فليُرجع إليه .

❑ ❑ ❑

حُسْنُ الخِتَام

٧٥٦٣- حدَّثني أحمدُ بنُ إشْكابٍ، حدَّثنا محمَّدُ بنُ فُضَيلٍ، عن عُمارةَ بنِ القَعْقاعِ، عن أبي زُرْعةَ عن أبي هُرَيرةَ ﷺ، قال: قال النبيُّ ﷺ: «كَلِمَتانِ حَبِيبَتانِ إلى الرَّحمنِ، خَفِيفَتانِ على اللِّسانِ، ثَقِيلَتانِ في المِيزانِ: سُبْحانَ الله وبِحَمْدِه، سُبْحانَ الله العظيمِ».

التعليق :

من لطيف الفوائد : أنَّ الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ بدأ «صحيحه» بحديث غريب صحيح، وختمه بحديث غريب صحيح، وهذا يُشعر بفِقْه البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ وكأنَّه يعني عنده : **أنَّ الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، فطوبى للغرباء** [١].

وفي الحديث : إثبات صفة المحبَّة لله تعالى بما يليق بجلاله تعالى من قوله : «حبيبتان إلى الرحمن» .

وهذه المحبَّة، حاصلة للذِّكْر، وبأنه مما يُحبُّه الله، ويشهد لذلك الحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم : من حديث سَمُرة بن جندب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : « أَحَبُّ الكَلَامِ إِلَى اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ. لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ »[٢]

---

(١) وهكذا حدَّثني به شيخنا عبد الوكيل الهاشمي حفظه الله في قراءتي عليه وإجازتي «للصحيح» منه، في بيته العامر في مكة،حي الرُّصيفة ، باب الاجتهاد .

وانظر للفائدة : «عمدة القاري والسامع في ختم الصحيح الجامع» للسخاوي (٩٢)

و«تحفة السامع والقاري بختم صحيح البخاري» (و ٤/أ) للقسطلاني (مخطوط) وهو قيد التحقيق لراقمه .

(٢) في «الصحيح» (٢١٣٧) .

ومن ثمرة هذا الذِّكر أنه محبوبٌ قائله، وهذا فيه تَشويقٌ وإثارةٌ لأَنْ تُحبَّ هذا الذِّكْر الذي يحبُّه الله، فإنْ فعلتَ ذلك أحبَّك الله .

ومن أحبَّه الله فقد سَعِد في الدنيا والآخرة . فاللهُمَّ اجعلنا منهم .

وفي الحديث أيضاً: إثبات الميزان الذي تُوزن به الأعمال، فتتجسَّد يوم القيامة وتُوزن.

والذي يُوزن يوم القيامة كما دلَّت عليه الأخبار الصحيحة ثلاثة:

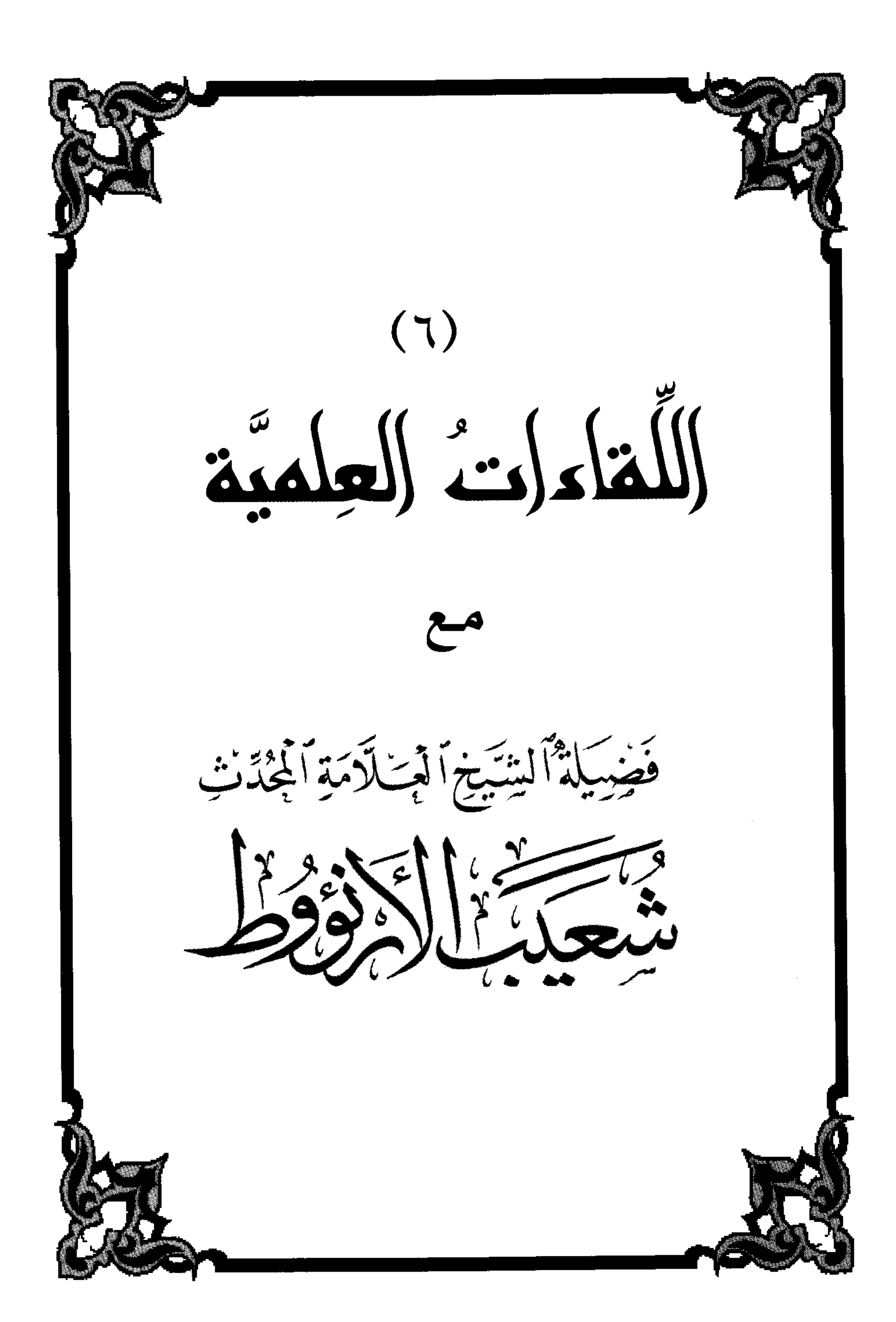
الأول: الأعمال، ويشهد له حديث الباب.

والثاني : الإنسان العامل.

والثالث : صحيفة الأعمال.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

❑ ❑ ❑


(٦)
اللِّقاءاتُ العِلميَّة
مع
فضيلة الشيخ العلامة المحدث
شعيب الأرنؤوط



اللِّقاء الأول[١]

«شبكة السُّنة النبوية»

صاحب الفضيلة من خلال موقعنا شبكة السُّنة النبوية نودُّ أن نلتقي معكم بطرح بعض الأسئلة.

❑ كثيراً ما نسمع بين الحين والآخر أنَّ الاهتمام بالسَّند انتهى، ولا ينبغي الالتفات إليه، وهناك من يُوغل في الاهتمام بالسند حتى أسانيد البخاري و مسلم في دراستها والحكم عليها، ما تعليقكم على ذلك؟

بالنسبة إليَّ أقول : إنَّ دارسة الإسناد هو قائم على الاجتهاد، وليست الأحكام بالنسبة إلى العالِـم قطعية؛ لأنَّ كل إنسان عندما يدرس السند يرجع إلى قناعته في هذا الحديث الذي هو بصدد البحث فيه، فإذا انتهى إلى رأي فقد يكون هو مخطئاً في نظر غيره، وقد يكون هو المصيب في نظر الآخرين؛ وقد ألَّف الحافظ المنذري رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتاباً في هذا؛ بيَّن فيه أن الحكم على الأحاديث حكم اجتهادي يعود إلى قناعة الباحث وقدرته وملكته التي يستطيع أن يحصل عليها بعد فترة طويلة من الزمن، وممارسته للدِّراسات الإسنادية، أمَّا القول بأنَّ الدِّراسات الإسنادية قد انتهينا منها، فنستطيع أن نقول: بأنَّ الدراسات الإسنادية في هذا العصر عني بها تماماً، وأنا واحد ممن عملوا في هذا الميدان، وهنالك أساتذة آخرون أسهموا في دراسة الأسانيد

---

(١) ارتأيت حذف الترجمة الشخصية للشيخ في كل لقاء؛ اكتفاء بما دونته في «المحطات المضيئة من حياة شيخنا» في أول هذا الكتاب، وكذا بعض الأسئلة المتعلقة بمنهج تحقيق كتاب ما، فذا سبق بيانه في «ثبت التحقيقات» أو يرجع إلى مقدمة الكتاب المشار إليه، ولذا جرى التنويه .
وهذا اللقاء الأول نشر في موقع شبكة السنة النبوية تحت عنوان : **حوار مع فضيلة الشيخ شعيب الأرناؤوط** ، وعلى هذار الرابط : **http://www.alssunnah.com**

وأعطوها حقَّها ومن مجموع أعمالهم وأعمالنا أستطيع أنْ أقول: إنَّ ما نسبته تسعون بالمئة من السُّنة النبوية قدحُقِّق من جهة الإسناد وحُكِم عليه.

أمَّا بالنسبة إلى نقد المتن: فإنه مما لاريب فيه حينما يدرس المرء الإسناد لا بُدَّ له أن يدرس المتن أيضاً؛ لأنهم حين عرَّفوا الحديث الصحيح قالوا : أن يكون رواته عُدولاً ضابطين ، وألا يكون شاذاً ولا مُعلَّاً، فالشُّذوذ والعِلَّة من قسم نقد المتن والإسناد، ودراسة هذا الجانب المهم والحكم عليه لا يتأتَّى إلا بعد جهد طويل، وممارسة كبيرة، وتحصيل زائد، وتقوى من الله سبحانه وتعالى تحمله على ألَّا يحيد عن سواء السبيل

لذلك فإني أقترح فيما يتعلق بنقد المتن أن يجتمع له أهل العلم، يعني: أن تكون هنالك لجنة علمية تبحث نقد المتون وتَبُتُّ فيها، سيكون هذا الرأي هو الصواب إن شاء الله ؛ لأن الجماعة أكثر صواباً من رأي الفرد في مثل هذه الأشياء.

❑ ❑ ❑

❑ كتابان في علم الجرح والتعديل: «تهذيب الكمال» للإمام المزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، و «تهذيب التهذيب» لابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ما أهميَّة هذين الكتابين للمشتغل بالتحقيق ؟ وهل يُغني أحدهما عن الآخر؟

من الضروري جداً للذي يشتغل في التخريج أن يكون عنده «تهذيب الكمال»؛ لأنَّ تراجم الرواة في بعض الأحيان تأتي هكذا: مجاهد، دون ذكر تفاصيل نسبه وكنيته، فمن هو مجاهد؟ فإذا رجع إلى كتاب الحافظ المزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فإنه سيجد ذكر الشيوخ والتلاميذ الذين رووا عن هذا الذي اسمه

مجاهد؛ عند ذلك يستطيع أن يُعيِّنه وهذا ضروري جداً، و«تهذيب الكمال» قد تكفَّل في ذلك بالنسبة إلى الكتب الستة، يعني: ذِكْر كل شيوخ الراوي الذين رووا عنه وحديثهم في الكتب الستة، وكذلك فإن تلامذتهم مذكورون في ترجمة كل واحد منهم، ثم إنَّ الشيخ المزي رحمه الله ينقل عن أهل الجرح والتعديل مقالاتهم، وأحياناً يُرجِّح رأياً على رأي، فلا بد للباحث أن يجمع هذه المقولات التي قِيْلت في الراوي، ثم بعد ذلك يدرسها ويُوازن بينها ويصل إلى النتيجة المطلوبة منها.

وقد تَتبَّعنا الحافظ ابن حجر رحمه الله في أحكامه على الرُّواة، وأخرجنا كتابنا «تحرير التقريب»، **وهو عملٌ اجتهاديٌّ قد يُوافقنا عليه العالِم وقد يخالفنا، وهذا غاية جهدنا .**

وكتاب الحافظ ابن حجر رحمه الله هو تلخيصٌ لكتاب «تهذيب الكمال» كما قال ذلك الحافظ في المقدِّمة، وكذا يقال فيما كتبه مُغْلَطَاي على «تهذيب الكمال» للمزي رحمه الله فهو يقول: إن أكثر شيء نقلته من هذين الكتابين، فليس له في هذا الكتاب إلا اجتهادات قليلة جداً.

❑ ❑ ❑

❑ اشتهر عند بعض طلاب العلم الحرص على الحكم على الحديث صحة أو ضعفاً، والمشتغلون في التحقيق نراهم قد حرصوا على أن يأتوا على ذكر درجة الحديث هل هو صحيح أو ضعيف، ما رأيكم في ذلك؟

وهل هناك منهجٌ ينبغي أن يسير عليه طالب العلم في الحكم على الحديث؟

إنَّ طالب العِلْم الذي يصلُح لأَنْ يُصحِّح ويضعِّف ويكون رأيه مقبولاً عند الجمهور، لابدَّ أن يُمارس هذا العلم فترة طويلة من الزمن، وأن ينظر في أقاويل من تقدَّمه من أهل العلم الكبار؛ حتى يتسنَّى له أن يدخل في عِداد المحدِّثين الرَّاسخين، ويكون لرأيه قيمة علمية يُوثق بها، ويُطمئن إليها، وهذه المنزلة ينتهي إليها طالب العلم بعد مدارسة الحديث سنداً ومتناً، وتطول مدَّته في ذلك، بتجارب يقوم بها هو بنفسه حتى يصبح هذا العلم عنده مَلَكة، وحينها يكون مؤهَّلاً للحكم على الأحاديث، ويحق له نشر أعماله.

❑ ❑ ❑

❑ **يجري على ألسنة بعض المُتعالِمين القدح في «صحيحي البخاري و مسلم» مُحتجِّين: بأن فيهما بعض الأحاديث المعلَّقة أو الشاذة، ما تعليقكم على ذلك؟**

هذا كلام ليس عليه أثارة من علم، وإنما يردِّده بعض من تأثَّر بمنهج المستشرقين؛ لأنَّ«صحيح البخاري» رحمة الله عليه، أقول فيه ما قاله عبدالغني المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ: لو حلف إنسان بالطلاق على أن أحاديث البخاري كلها صحيحة، يعني: المسندة فهو لا يقع عليه الطلاق؛ لأن الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ بدون شك ولا ريب أن كل حديث في هذا الكتاب إنما دونه وهو يجزم بأنه صحيح، وهذا حسب قناعته، فكل الأحاديث التي أدرجها في «صحيحه» من المسندة فهي صحيحة عنده، لكن إذا جاء عالمٌ متمكِّنٌ وقد بلغ الغاية في علم الحديث، وسَلِمَ من التعصب والهوى والتَّشهي، وانتقد بضعة أحاديث في «الصحيح» من بعده، فهذا إنما يكون اختلاف مجتهدين بالنسبة إلى بعض

الأحاديث التي انتقدت على البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، **ومن هنا اتفق علماء السنَّة أن كل ما أدرجه البخاري في «صحيحه» فهو صحيح.**

وأنا أرى أن طالب العلم ينبغي له دائماً وأبداً عندما يرى الحديث في البخاري أن يكتفي بالعزو إليه؛ لأنَّ العزو إليه مُعلِمٌ بالصحة، وأنَّ النقد الذي نُقد لم ينشأ عن علم، وإذا قرأتَ مقدمة «فتح الباري» في الأحاديث التي ادُّعِي على البخاري أنها ضعيفة السند، أو تُكلِّم في رجالها رأيت الرجل كيف يدافع عن الإمام البخاري دفاعاً صحيحاً.

نعم إن الإمام البخاري نفسه في بعض الأحيان قد يأتي بحديث مرفوع، ثم يرويه موقوفاً؛ ليدل على أنَّ الموقوف هو الصواب في نظره، فله في هذا الكتاب اجتهادات لا بدَّ أن يعلمها الإنسان **وأقول كما قال العلماء: ليس بعد كتاب الله كتاب أصح من «صحيح البخاري»** رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أمَّا الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فـ«صحيحه» أقلُّ درجة منه، ولكن مسلماً يروي في الأصول الأحاديث الصحيحة، وأما المتابعات فيتخَفَّف فيها.

فإذا كان الحديث مَرْوياً بسند صحيح ثم يُتبعه بطريق آخر، وثالث، ورابع، لهذا المتن الواحد، إلا أن هذه الطرق قد لا تسلم من بعض الضعف الخفيف من جهة إسنادها، إلا أنه يأتي بها؛ لأنها تدخل في المتابعات والشواهد كما هو معروف من منهج الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.



❑ **نودُّ من فضيلتكم أن تبينوا لنا المنهج الأسلم في التعامل مع الرجال الذين لم يتعرض لهم علماء الجرح والتعديل جرحاً أو تعديلاً، أي: الذين سكتوا عنهم؟**

هؤلاء الذين لم يتكلموا فيهم لا بد من سبر أحاديثهم ومروياتهم لا سيما في «مسند الإمام أحمد»، فإذا وجدنا الراوي لم يتكلَّم فيه أحد ولكن قد روى عنه أكثر من ثلاثة، أو أربعة، ولم يأت بما ينكر عليه، فنعدُّ حديثه حسناً يصلح للاستشهاد للأخذ به، إلا إذا كان هنالك ما يعارضه من الحديث الصحيح المسند.

❑ ❑ ❑

❑ **ما هو منهجكم في الحكم على الرواة المُختلف فيهم جرحاً وتعديلاً؟**

لقد تعلَّمنا من كتب الجرح والتعديل أنَّ بعضهم يتشدَّد، وبعضهم يتخفَّف، فنحن نجد بأنَّ الراوي مهما كان ثقة إلا أنه في بعض الأحيان قد يأتي بحديث يُنكر عليه، يعني: حتَّى الثِّقات الذي خرَّج لهم البخاري ومسلم، وهذا لا يسلم منه إنسان مهما كانت درجته في الضبط والإتقان؛ ولذلك يقول الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **الثقة عندنا من كثر صوابه وقل خطؤه، والضعيف عندنا من كثر خطؤه وقل صوابه، وهو أساس عملنا في التحقيق**، وتجد ذلك مفصَّلاً في كتاب «تحرير التقريب»، بشكل بيِّن وواضح، فحينما نأتي وَنَرُدُّ على الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندما يقول عن راوٍ: صدوق، فنقول : بل ثقة وثَّقه فلان وفلان وفلان، لأنه حينما نرى جهابذة

كبار متقنين يوثقون هذا الرجل فلا نلتفت إلى كلمة ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه، لأننا نعدُّه قد جانب الصواب فيها، وهذا في نظرنا.

❑ ❑ ❑

❑ في نهاية هذا اللقاء المبارك نود أن تتحفوا قراء الموقع بما ترونه من نصائح مفيدة، أثابكم الله وسدد خطاكم وجعل ما تقدمونه من علم وعمل في ميزان حسناتكم، ونفع بكم الإسلام والمسلمين؟

أنصح إخوتنا الذين يشرفون على هذا الموقع بألَّا يكتبوا إلا ما يحبون أن يروه يوم القيامة يسرهم، فحبَّذا أن لا تحمل العصبية الإنسان على رفع إنسان وخفض آخر، وأن يكون الإخلاص دائماً وأبداً رائدهم للوصول إلى الحق والتزام المنهج الصحيح الذي سار عليه الأئمة رضوان الله عليهم، هذا الذي أحبه منهم، وأن تكون تقوى الله هي التي تدفعهم إلى ذلك.

❑ نصيحتكم لطلاب العلم؟

يجب أن يعلموا جميعهم بدون استثناء أن الحديث واحد من المصادر التي ينبغي أن يعتمد عليها المجتهد: القرآن أولاً ثم السُّنة ثم الإجماع ثم القياس، هذا ما درج عليه الأئمة جميعاً دون استثناء، فالفقيه لا بدَّ له أن يكون محدِّثاً، ولا بد له أن يكون مُفسِّراً، ولا بد له أن يكون أصولياً وفقيهاً؛ حتى يستخدم هذه المصادر الأربعة وغيرها من المصادر: كالمصلحة المرسلة، والاستحسان، وشرع من قبلنا إلى غير ذلك، فلا يجوز للإنسان أن يقتصر فقط على الحديث دون الرجوع إلى ما في القرآن الكريم، ودون

الرجوع إلى ما قاله الصحابة الكرام رضوان الله عليهم في هذا الحديث، وكيف عملوا به، وأحسن مصدر في هذا هو: «مصنَّف ابن أبي شيبة»، و«مصنف عبد الرزاق»، و«سنن سعيد بن منصور»، فإنهم في هذه الكتب الثلاثة يذكرون آراء الصحابة والتابعين في الحديث الذي يوردونه في الباب.

❑ ❑ ❑

اللِّقاء الثاني[1]
«مجلة البيان»

فضيلة الشَّيخ العلاَّمة شعيب الأرنؤوط واحدٌ من نُبلاء المسلمين وعلمائهم في هذا العصر، وله باع طويلة في خدمة السَّنة النبوية المطهَّرة على مدى خمسين عاماً؛ حيث قام بتحقيق عدد كبير من مُدوَّناتها، وعلى رأسها «مسند الإمام أحمد»، و«السُّنن» الأربعة، و«سير أعلام النبلاء» وغيرها. وأسَّس مدرسة راسخة في تحقيق التراث والعناية به وإخراجه بالصورة التي تليق به.

وحرصاً منَّا على نشر الفائدة، ولتسليط الضوء على هذا العالِم الجليل كان لنا مع فضيلته هذا الحوار

❑ البيان : إنَّ ما يميز تجربة فضيلتكم، هو أنكم تقومون بالإشراف على فريق علميٍّ يضم مجموعة من المتخصِّصين؛ وربما كان هذا أحد الأسباب التي ساعدَتكم في إنجاز عدد كبير من هذه المشاريع الموسوعية الكبيرة؛ فما تقويم فضيلتكم لهذا العمل المؤسسي الجماعي الذي تشرفون عليه؟

أما بالنسبة إليَّ؛ فقد بدأت بشكل فردي، لكن لَـمَّا تمثَّلتُ هذا المشروع وتصوَّرته، وجدت أنه من الواجب أن أُعلِّم غيري، وهولاء الذين يعملون معي غير متخصصين؛ إلا أنهم من أصحاب الدراسة الجامعية؛ فقمت، ولله الحمد، بتدريبهم وتعليمهم، ومن هؤلاء مَنْ عمل معي فترة طويلة من الزمن اكتسب خلالها خبرة جيدة، ولولا أنني أنشأت هذا الفريق

(١) وهذا اللقاء الثاني نشر في «مجلة البيان» : عدد (٢٧٠) صفر من عام (١٤٣١هـ/ ٢٠١٠)

الذي يعمل معي، ما كنت أستطيع أن أُنجز مثل هذه الكتب التي ذكرتُها لكم، لكن الله يَسَّر لي أناساً طيبين، عندهم دين وعلم أوَّلي، ولكن علم الحديث (دراسته، وتنخيل الرواة، ووَضْع الخطة لكل كتاب) كل ذلك كانت بدايته مني ولا يزال إلى الآن، وهم - بتوفيق الله - يقومون بالأشياء التي أطلبها منهم، وربما أصبح بإمكان بعضهم أن يتفرد بنفسه؛ ففي هذه المدرسة قمت بتدريبهم مدة خمسين عاماً؛ فمنهم من يعمل عندي منذ ثلاثين سنة، ومنهم من يعمل منذ خمس وثلاثين سنة، وبعضهم أصبحوا في عِداد من يستطيع أن ينفرد بخدمة السُّنة النبوية الشريفة.

❑ ❑ ❑

❑ البيان: ما أبرز العقبات التي واجهتكم في هذه الأعمال والبرامج خلال خمسين عاماً في خدمة السُّنة النبوية؟

بالنسبة إليَّ لم يكن هناك عقبات تُذكر، إنما كان الطريق معبَّداً. وإذا أراد الله شيئاً هيَّأ أسبابه؛ فقد هُيئت لي جميع الوسائل؛ فالدار التي أعمل فيها كانت تُطلِق يدي؛ فأتخيَّر الكتب والأشخاص الذين يعملون معي من هؤلاء الأبناء والأساتذة، لكن واجهتنا بعض الصعوبات في جَلْب المخطوطات ودراستها ومعرفة ترتيبها وتاريخها والقدرة على قراءة الخطوط المتنوعة التي كتبها المتقدمون، مثل: خط النسخ، والخط الفارسي، وهذه عقبات بسيطة تُذلَّل ولله الحمد، **وما أذكر أنني طلبت شيئاً إلا وفقني الله إليه**، وأذكر أنني لَـمَّا حققت كتاب «مُشِكل الآثار» بقي جزء واحد لم يتيسر لي، فقلت: لا بد أن يكون هناك جزء ثامن، وفي المتحف البريطاني في لندن كان يوجد جزء من هذا الكتاب، قيل: إنه من اختصار ابن رشد الفقيه

المشهور، فطلبته بواسطة أخ فاضل، فأهداني الكتاب، وإذا به هو الجزء الثامن المتمم للكتاب. وكم كانت فرحتي غامرة عندما رأيت هذه النسخة الأصل؛ لقد هيّأ لي رب العالمين أناساً طيبين من كل بلد يمدونني بالأصـول الخطية إذا احتجت إليها. أما بالنسبة إلى العلم، فهذا علم أتقناه، إن شاء الله؛ فقد شَكَرَنا كثير من الناس على حُسْن إخراجنا وعلى المعلومات التي ذكرناها في هذه الكتب. وإن شاء الله نكون من المقبولين عند الله ثم عند الناس.

❑ ❑ ❑

❑ البيان: شهدت الساحة العلمية في العقود الثلاثة الأخيرة - بفضل الله - نهضة محمودة في تحقيق التراث الإسلامي؛ حيث نُشر عدد كبير من كتب التراث الإسلامي؛ إلا أن هذه النهضة شابتها بعض الشوائب وتصدَّرَ لها بعض من لم يُحسِن هذه الصناعة؛ فما تقويمكم لهذه النهضة؟

أنا أرى أنه لا ينبغي أن يُقدِم على تحقيق الكتب إلا من استكمل أدوات البحث والتحقيق، وليتق الله قبل كل شيء، ثم بعد ذلك يمارس الدور الذي يعلمه، وكما يقال: رحم الله امرأً عرف قَدْر نفسه فوقف عنده، أما أن يُقدِم على هذا العمل إنسان ليس عنده تصوُّر عن هذا العمل ولا عنده أهليه لذلك، فليتق الله ربه؛ لأن هذا تراث تجب المحافظة عليه.

كثير من الناس المبتدئين يظنون بأنفسهم أنهم يَصلُحون لهذا العمل، لكنهم ما يلبثون أن ينقطعوا، ويكون نِتاجُهم العلمي غير موفَّق. وهذا يستدعي أن يبدأ طالب العلم مع أستاذ مارس هذا العلم حتى يعطيه

خصائصه وما يحتاج إليه من علم وخبرة؛ لأن المرء يحتاج إلى فترة طويلة من الزمن حتى يستطيع أن يخوض غمار هذا العلم؛ فأنا - مثلاً - بقيت عشر سنوات أمارس هذا العمل ولم أُظْهِر للناس خلالها ما صنعت. وعندما آنست من نفسي أنني أستطيع أن أقف على قدميَّ وأن أرفرف بجناحيَّ، أقدمت على هذا العمل. وكما قالت العرب: **قبل الرماء تُملأ الكنائن.**

❑ ❑ ❑

❑ **البيان: إنَّ المُتابع يلاحظ أن بعض صغار طلبة العلم ممن لم يتمرَّسوا في هَذا الفن، يتجرَّؤون في التصحيح والتضعيف وقد لا يتورَّع بعضهم عن تخطئة أئمة العلم المتقدِّمين: كابن معين وأحمد بن حنبل، فضلاً عن المتأخِّرين كابن حجر؛ فما رأي فضيلتكم في هذه الظاهرة؟**

هؤلاء مسؤولون عند الله عن هذا التصرف. وأنا لا أتحمَّل تبعتهم؛ ذلك أنني لا يمكن أن أضع اسم أستاذ من الأساتذة الذين يعملون عندي إلا بعد أن أستوثق من عِلْمه وبعد أن يمضي عندي فترة طويلة من الزمن، وكما قال الشاعر:

وابنُ اللَّبونِ إذا ما لُزَّ في قَرَنٍ ... لم يستطع صولةَ البُزْل القناعيسِ

إنَّ هذا عمل التحقيق يحتاج إلى علم بالعربية والحديث والتفسير والفقه والتاريخ؛ لأن المحقق يقف من الكتاب بعد أن يُظهرَه كما أراده مؤلِّفه؛ يقف منه موقف الناقد، ومن كان كذلك لا بد أن تكون رُتبته في العلم فوق هذا الذي ألَّف الكتاب حتى يستطيع أن ينقده في المواطن التي أخطأ فيها؛

لذلك أنا لا أجيز أبداً لطالب علم مبتدئ أن يتصدى لمثل هذا العمل، بل لا بد أن يتريث حتى يشعر بقرارة نفسه أنه يستطيع أن يخوض غمار هذا البحث.

❑ ❑ ❑

❑ البيان: بتنا نلحظ في الآونة الأخيرة تطاوُل بعض المعاصرين على سُنة النبي ﷺ من الذين يردِّدون أباطيل المستشرقين بأن السُّنة النبوية لم تُحفظ كما ينبغي عبر الأجيال، ونحو ذلك من الآراء المنحرفة؛ يثيرون هذه الشبهات بقصد الطعن بالسُّنة النبوية؛ فما قول فضيلتكم بأمثال هؤلاء؟

هؤلاء أصحاب نِحلَة فاسدة، ولا ينظرون إلى الحديث بعين الإنصاف والعقل، ولا يسيرون السيرة التي انتهجها العلماء المتقدمون؛ لذلك ليس عندهم منهج في البحث، ونحن نقول: كما حفظ الله القرآن فقد حفظ السُّنة النبوية. وهذا الطعن في السُّنة النبوية وفي طرائق المحدثين، لم يأتِ من عند المسلمين وإنما جاء من قِبَل المستشرقين الذين يريدون أن يسيئوا إلى الإسلام، وقد رد عليهم غير واحد من أهل العلم.

إنَّ كل من قرأ كُتب السُّنة يستيقن بصحة ما فيها؛ لأن البرهنة على ذلك تقوم على دراسة الإسناد والمتن معاً، وهذا ما فعلناه - بفضل الله - في كل الكتب التي خرَّجناها؛ فلذلك لم يستطيعوا أن يردُّوا علينا؛ ونحن في أعمالنا وإنجازاتنا التي كادت أن تستوعب السنة النبوية لا ندَّعي أن كل ما أثبتناه صواب غير قابل للنقد، بل إنا نقول معظم ما قمنا به من أعمال في

اجتهادنا انه صواب وليس مبرَّأً من الخطأ ولكن هذا حيب ما أدَّاه اجتهادنا، وصدورنا مفتوحة لكل نقد علمي من متأهِّل لهذا العلم الشريف .

وحتى هذه اللحظة ما أعرف أن أحداً رد علينا: لا من المستشرقين ولا من المسلمين الطيبين المخلصين؛ لأننا - إن شاء الله - وفَّينا البحث حقه وأتينا بالحُجج التي تُقنع كل باحث مُنصف.

إن هؤلاء الذين يطعنون في السُّنة إنما يطعنون ببعض هذه الأحاديث ولا يطعنون بالسُّنة كلياً، وأما من يطعن بالسُّنة كلياً، فهذا لا يعرف ميزة الرسول ﷺ الذي يقول الله الحق تبارك وتعالى فيه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]

فبيان الرسول ﷺ هو: تقييد المطلَق، وتخصيص العام، وتفصيل المجمل، وثمة أحاديث تُؤكِّد المعنى الموجود في القرآن الكريم أو تُشرِّع أشياء لم تأتِ في القرآن الكريم بصورة مفصَّلة وإنما وردت بصورة عامة. وهذا شيء يعرفه الصغير والكبير ممن يدخل في غمار هذا البحث ويتصدَّى له.

❑ ❑ ❑

❑ البيان: ماذا تقول لبعض المشتغلين بالفقه الإسلامي: من الدُّعاة وغيرهم ممن ليس له عناية بتصحيح الحديث وتضعيفه؛ حيث يُفتون ويَبْنُون أحكاماً دون أن يراجعوا درجة الحديث من حيث الصِّحة والضعف؟

هذا الأمر لا يجوز أن يُقدِم عليه من قلَّ زاده العلمي. وإذا كان الشخص يصل مرتبة المتخصص في الفقه، فيجب أن يكون معلوماً عنده أن

الحديث الضعيف لا يُبنى عليه حُكْم؛ فالعلماء كلهم قالوا: لا يجوز أن يعتمد الإنسان في الحلال والحرام على الحديث الضعيف أو الموضوع؛ ولذلك فإن من فعل ذلك يكون مقصِّراً في بحثه وآثماً وسيجد كثيراً من العلماء يردُّون عليه ويبيِّنون خطأه في هذا الذي انتهى إليه.

لذلك نحن نقول: لا يجوز للمسلم أن يخوض غمار بحث ما من البحوث إلا بعد أن يتأكد من صحة النصوص التي يستشهد بها ويكتبها؛ ذلك أن هذه فريضة ربانية ليست مني أو من فلان وفلان؛ فالنبي ﷺ يقول: «إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث»، ويقول ﷺ: «اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم». وهذا الحديث وإن كان ضعيفاً إلا أن ثمة أحاديث أخرى تعضده. ومن يريد أن يُقْدِم على هذا الأمر ينبغي أن يكون مخلصاً متجرداً طالباً الحقيقة، ثم عليه أن يُقدِّم على هذا البحث تخصصات في علم العربية والحديث والمصطلح والأصول وكل الأشياء التي لا بد أن يستكملها الباحث حتى يكون مؤهَّلاً للنقد.

❑ ❑ ❑

❑ البيان: ما هو المشروع الذي تقومون به الآن حتى نُبشِّر به القراء؟

منذ فترة ليست بعيدة خرج كتاب «سنن أبي داوود»، وكتاب «سنن الترمذي»، و كتاب «سنن ابن ماجه»، وأيضاً كتاب «الاختيار لتعليل المختار» للموصلي في الفقه الحنفي وقد قمنا بتخريج أحاديثه والرجوع إلى أصل خطي للكتاب، **والآن نعمل في كتاب «فتح الباري» لابن حجر؛**

ويتضمن عملنا فيه: أننا جلبنا نسختين خطيتين منها نسخة «السِّندي» عالم المدينة المشهور، ونسخة جلال الدين المحلِّي.

وكان عملُنا فيه: أن نُخرِّج الأحاديث التي استشهد بها الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه؛ فإذا كانت صِحاحاً تركناها كما هي دون أن نبيِّنها وكأننا وافقناه على ذلك، وإذا كان فيها ضعف نعلِّق عليها. ونرجو الله أن يكون عملنا صواباً إن شاء الله.

❑ ❑ ❑

❑ **البيان : متى ينتهي هذا المشروع بإذن الله؟**

الآن وبعد أن اقتربنا من الثلثين؛ فسيكون في الأسواق خلال سنة ونصف إذا وفَّقنا الله، سبحانه وتعالى. وأرجو الله أن تكون هذه الطبعة المعتمدة إن شاء الله.

❑ ❑ ❑

❑ **البيان : لعلنا نختم هذا الحوار الماتع مع فضيلتكم بسؤال يسير؛ وهو: بعد هذا العمر المديد في خدمة السُّنة الشريفة، ما هي وصيتكم لطلبة العلم؟**

وصيتي لطلبة العلم أن يبدؤوا مقلِّدين ثم يستمروا كذلك حتى يصيروا متَّبِعين، **والتقليد**: هو أَخْذ قول الآخر بدون دليل، وهذه فترة لا بد منها، ثم يمر بعد ذلك في فترة **الاتِّباع**: الذي هو أَخْذ قول الآخر بدليله؛ أي: لا بد للمتخصص أن يمارس العلم دائماً حتى آخر لحظة من حياته؛ فالعلم لا ينتهي، والإنسان كلَّ يوم يزداد علماً، ويجب عليه أن يصل إلى

الحقيقة وأن يفتتها ويعلنها للناس حتى يعملوا بها. وطَلَبُ العلم - كما يقولون - مستمر من المهد إلى اللحد، هذا بالنسبة لمن يريد أن يتخصص. والذي لا يريد أن يتخصص يكفيه أن يسأل أهل الذكر. أما أن نسمح لطالب العلم بأن يقلِّد بصورة مستمرة كما نرى ذلك في كثير من الطلبة، فهذا لا يجوز.

إن طالب العلم الذي سيتخصص في الإسلام لا بد له أن يتَّبع، ولا بد له أن يجتهد، ولا بد له أن يصل إلى الصواب من هذه الأقوال التي تكون موضع خلاف، ولا يجوز لطالب علم أن يقلد بعد أن درس الفقه الإسلامي فترة من الزمن تؤهله لمعرفة الصواب من الخطأ.

❑ ❑ ❑

❑ البيان : لكن المشكلة الآن أن كثيراً من طلبة العلم لا يوجد عندهم الجَلَد ولا طول النَّفَس؛ ولهذا تجده يضعف كثيراً.

إن هذا العلم فحل لا يناله إلا الفحول من الرجال؛ فلا تظن أن طالب العلم يعيش لنفسه، بل ربما ينسى أَكْله وشرابه؛ ذلك أنه إنما يعيش لغيره من الناس؛ ليعلِّم الناس ويفقههم، وهذا دربه طويل ولا بد له من الصبر. ولكن ماذا أصنع إذا كان الطلبة يكسلون وهم يقفون في نصف العلم أو في ربع العلم؟

لا يجوز لطالب العلم أن يقول: أنا انتهيت من العلم، ولكنه ينقل نفسه من مرحلة إلى مرحلة إذا كان يأنس بذلك. وهو يعرف ذلك إذا كان جلس مع أهل العلم وتحدَّث بالآراء التي انتهى إليها؛ عند ذلك فقط يشهد له

الناس بالمعرفة وبهذا العلم، والله عَزَّوَجَلَّ يوفقه لمتابعة السير في هذا المضمار حتى يصل إن شاء الله إلى غايته؛ لأن العلم ليس له نهاية؛ إذ لا يستطيع الإنسان مهما أوتي من العلم أن يقول: أصبحت أعلم كل شيء؛ فهذا سيدنا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما قال: أنا أعلم كل شيء، بعث الله له سيدنا الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ وعلَّمه أشياء ما كان يعرفها، كما جاء في سورة الكهف.

❑ ❑ ❑

❑ **البيان : شكراً لكم فضيلة الشيخ، ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعلكم مباركين أينما كنتم وأن يجعلكم مفاتيح للخير مغاليق للشر.**

أسأل الله أن يجزيكم الخير أنتم أيضاً، ونأمل ممن انتفعوا بهذه الكتب أن يتحفونا بدعوات صالحة في ظهر الغيب؛ تلك التي لا تُرد.

❑ ❑ ❑

اللِّقاء الثالث[1]

«موقع الإسلام في سوريا»

❏ **فضيلة الشَّيخ شعيب ما رأيكم بالشيخ: محمد زاهد الكوثري؟**

هو من العلماء المحقِّقين في السنة النبوية والفقه الإسلامي والتاريخ، وله في ذلك أبحاث تدل على علوِّ كعبه في هذه العلوم، وله قلم سيَّال في العربية يُسامي فيها علماء العرب الذين يجيدون الكلام.

وله أبحاث دقيقة تتَّبع فيها الذين ضلَّ رأيهم، وكشف عن أخطائهم، وأبان عن انحرافاتهم في ظلم الإمام أبي حنيفة رَحِمَهُ اللهُ بلغة علمية، مقرونة بالحجة والبرهان، وأكاد أجزم بأنه لم يكن أحد من أهل العلم يبلغ مبلغه في عصره، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يتغمده برحمته وفضله، ويحشره يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحَسُن أولئك رفيقا.

لكني أخالفه في بعض الأمور التي انتهى إليها وقال بها ودافع عنها:

أولاً: تعصُّبه لمذهب أبي حنيفة رَحِمَهُ اللهُ، وقد يكون هذا ردُّ فعل للذين يتفلَّتون من مذاهب الأئمة الأربعة المتبوعة، ويتظاهرون بأنهم أقدر على فهم النصوص منهم، ويتكلمون في حقهم كلاماً غير لائق أن يصدر عن أهل العلم.

---

(١) أجرى هذا الحوار الأستاذ محمد فاتح قايا من اسطنبول، في زيارته للأردن في مكتب الشيخ في عمان في ٢٩ رمضان ١٤٢٧ الموافق ٢٢/ ١٠/ ٢٠٠٦، ونشر على موقع « الإسلام اليوم في سوريا = رابطة العلماء السوريين» في يوم الخميس ١٣ شوال ١٤٣٠هـ - ٠١ أكتوبر ٢٠٠٩ وهو على هذا الرابط: http://www.islamsyria.com

ثانياً: أنه لا يأخذ بمذهب السلف الصالح أهل القرون الثلاثة الأولى الذين يقولون بإثبات الصفات التي جاءت في كتاب الله وفي الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ، ومذهبهم فيها إثبات الصفة ونفي الكيفية، والشيخ يجنح في كثير منها إلى التأويل.

ثالثاً: ممَّا أخالفه فيه ما ذهب إليه في رسالته: «محق التقوُّل» من جواز الاستغاثة بالنبي ﷺ، والسلف الصالح لم يكونوا يُسوِّغون ذلك.

ومما يُحمد له دفاعه السديد عن الأئمة الأربعة المجتهدين المتبوعين أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد رحمهم الله .

وأظن أنه كان يقول بما يقول به ابن قدامة المقدسي رحمه الله صاحب «المغني» ونحن نقول به أيضاً: «**إن اتفاق الأئمة الأربعة المتبوعين حُجَّة قاطعة، واختلافهم رحمة واسعة**».

❑ ❑ ❑

❑ وهل هناك أمور أخرى تعترض فيها على الشيخ؟

لا يعجبني فيه أيضاً رحمه الله ردوده على شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله متابعاً فيها بعض من سبقه من العلماء الذين امتلأت قلوبهم حسداً وبغضاً لابن تيمية، وكان ينبغي عليه أن ينظر في كلامه نظرة إنصاف، ويتحقق من المقولات التي تنسب إليه، ويحكم عليه بالخطأ والصواب فيما انتهى إليه رحمه الله، لا أن يبدِّعه ويشتد في الأذية عليه.

وربما كان مرد ذلك الآراء التي كانت تصدر في حق أبي حنيفة من قبل أنصار السنة المحمدية في مصر، وهذا لا يعفيه من المسؤولية، فإنهم لا يمثلون ابن تيمية ولا آراءه، والله يغفر لنا وله.

❑ ❑ ❑

❑ ما هي أمثل المناهج المتبعة في فهم الإسلام؟

إن مذهب الفقهاء في فهم الإسلام الذين يتحرَّوْن الصواب في المسائل التي يبحثونها أمثل المناهج المُتَّبعة التي أرتضيها لنفسي ولغيري من المسلمين، لأنها تقوم على دقَّة علمية قوامها الكتاب الكريم والسنة النبوية والإجماع والقياس، وما إلى ذلك من المصادر التي يعتمدون عليها مثل المصالح المرسلة والاستحسان والاستصحاب.

وهؤلاء الفقهاء رحمهم الله تعالى لم يفرضوا على الناس أن يتَّبعوهم، بل قالوا: هذا ما انتهينا إليه، فمن جاء بأحسن منها قبلناه، وأخذنا به. ولم يكونوا يسوغون لمن عنده أهلية البحث ومَلَكَة الفقه أن يقلدوهم.

ومما يدلُّ على إخلاصهم في هذا أنهم لم يكونوا يتقاضون على علمهم الذي يبثُّونه بين الناس مالاً ولا نوالاً، بل كانوا يلتمسون الأجر من الله وليس من أحد سواه.



اللِّقاء الرابع[١]

رغم أنه تلقى العلوم الشرعية جميعها منذ صغره، إلا أن علم الحديث الشريف هو الذي وقع عليه اختيار الشيخ شعيب الأرناؤوط ليكون متخصصاً فيه، ولعل الله تعالى هو الذي ألهمه هذا الاصطفاء، ووفّقه لقناعة ثابتة عنده، وهي أنه لا يصلح للمحدّث إلا أن يكون محدثاً وحسب، فإنه لو فعل غير ذلك واشتغل بغير الحديث؛ تشرذم وتشتت وضاع وقته وفكره، والوقت وإعمال العقل هما الأداتان الرئيستان للمتخصص في هذا العلم الشريف.

الحوار مع الشيخ الأرناؤوط حوار شيّق، حيث تعيش معه رحلة طويلة خاض فيها شيخنا بحر هذا العلم المتلاطم الأمواج، وخاضه معه آخرون ممن ظفروا بالتلمذة على يديه حتى وصل بهم شيخهم الكبير إلى بر الأمان، حيث شيّد مدرسة حديثية كبيرة الإنجازات، يعتز بها الشيخ كثيراً، وحُقَّ له ذلك، كيف لا وهو يعيش فيها مع أنفاس النبي ﷺ كل لحظة، ويقتبس شيئاً من بركات حديثه الشريف.

❑ ❑ ❑

---

(١) أجرى هذا الحوار الأول الأستاذ **وائل البتيري** ونشر في جريدة السبيل الأردنية (عدد ٩١٤) بتاريخ (٢٢ /٦/ ٢٠٠٩)

❑ **بداية تحقيقكم لكتب التراث، متى كانت؟**

-بداية التحقيق ربما كانت في سنة ١٩٦٣.

❑ **هل كان توجهكم إلى علم الحديث والتحقيق بإرادة ذاتية، أم أن هناك من وجهكم إلى ذلك؟**

كان بإرادة ذاتية، كنت دائماً وأبداً أشكو قلة العاملين في هذا الحقل، ومرة وجَّه لي أحد الأصدقاء سؤالاً عن حديث، فبقيت ثلاثة أيام وأنا أبحث من غير أن أتبين المصدر الموجود فيه، وبعد فترة وقعت على المصدر، وهو حديث موضوع من الأربعين الودعانية تأليف القاضي محمد بن علي ابن ودعان، وكان من مخطوطات الظاهرية ولم يكن قد طبع، فقلت: إذا كنت أنا طالب علم وصار لي في باب العلم عشر سنوات، وأنا لا أستطيع أن أتبين هذا إلا بعد لأي وجهد وتنقيب، فكيف يكون أمر الناس؟ وأنا أعلم أن الحديث يأتي بعد القرآن الكريم في وجوب الرجوع إليه والأخذ منه والتعويل عليه، فكان يحزّ في نفسي أن لا أرى في هذا الميدان إلا الأقل من القليل.

❑ ❑ ❑

❑ **من كان في هذا الميدان في ذاك الوقت؟**

كان الشيخ ناصر الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ، وكان من قبله الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ، وبعض دراسات كان يقوم بها الشيخ رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقاته على «تفسير المنار»، وفيما كان يكتبه في مجلة «المنار»

❑ **صدر لكم حتى الآن ما يزيد على ٢٤٠ مجلداً، لماذا تُكثرون من النتاج العلمي؟**

الحمد لله أنا سواء كنت في الشام أو هنا، الأشخاص الذين اشتغلوا معي لم أبخل عليهم، وهم كان عندهم تقوى ورغبة في التعلم، ولذلك بهذه المعاونة حصلت الجهود الطيبة، فأنا لا أستطيع أن أقول أنني كل شيء في هذا العمل، لكن كل شيء في البداية مهَّدته لهم وعملته ؛ لأنني علَّمت هؤلاء وكونت مدرسة في التحقيق، هذه المدرسة هي التي استطاعت أن تعطي هذه الثمرات التي نراها، ففي الشام مثلاً هناك أساتذة معروفون يزاولون أعمال التحقيق، وهنا أيضاً كثير منهم من أصبح يتمكن أن يرفرف بجناحيه دون الاستعانة بالآخرين، والحمد لله أولاً وآخراً.

لقد كنت أشتغل وأخرّج بيدي، لكن منذ ربما عشر سنوات ضعفت همتي عن القيام بهذا العمل، وبهذه المناسبة كل أعمالنا التي قدمناها بدون استثناء كانت عن طريق جهدنا الشخصي ولم تكن عن طريق الكمبيوتر.

❑ ❑ ❑

❑ **يعني هل تُوافقون الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ الذي كان يقول: (الكمبيوتر يعلّم طالب العلم البلادة)؟**

لا، لا يعلّم طالب العلم البلادة، بل هم يستفيدون منه كثيراً، والإنسان عندما يجهل شيئاً يحاول أن يعطيه صورة غير وضيئة، بالعكس الكمبيوتر الآن أمدّنا بدراسات عظيمة جداً نستطيع بها أن نستدرك على الأوائل، فقد يقول الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ بأن الشخص الفلاني ليس له في «صحيح البخاري» إلا أربعة أحاديث، ونحن عن طريق الكمبيوتر ربما نستدرك عليه عشرة أحاديث مثلاً.

لذلك الكمبيوتر يفيد في استيفاء العمل واستقصائه، لكنه يجمع لك المعلومات، أما إصدار الحكم النهائي وبيان منزلة هذا الحديث، وصحة هذا الحديث أو ضعفه، أو ضبط النص، هذا كله من المجهود العلمي للإنسان المختص.

❑ ❑ ❑

❑ هناك من يَتَّهمكم بأنه ليس لديكم منهج واضح في الحكم على الأحاديث، وإن كان لكم منهج واضح فأين هو؟ لماذا لا تخرجونه في مصنف مستقلّ؟

البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ ألف كتابه «الصحيح» ولم يفرد مصنفاً مستقلاً يتحدث فيه عن المنهج الذي اتبعه فيه.

يا أخي نحن منهجنا أوضح من فلق الصبح، نحن جماعة نتتبع الحديث في كل المصادر الموجودة، ونجمع الطرق، ثم نحكم على الحديث بالصحة أو بالضعف، فإن وجدنا أناساً سبقونا إلى التضعيف أو التصحيح؛ ننقله بأمانة، وإن كانوا ضعفوا؛ نبيّن وجه تضعيفهم.

خذ الكتاب الذي تريده من الكتب التي حققتها وأنا أريك هذا المنهج.

نحن لدينا منهج واضح، والدليل على ذلك أن الطلبة الذين عملوا معي سلكوا هذا المنهج نفسه، وكل كتاب كتبنا له مقدمة بيّنا فيه الطريقة التي اتبعناها في التحقيق.

❑ ❑ ❑

❑ البعض الآخر يتهمكم بأن طريقتكم في التصحيح والتضعيف طريقة ظاهرية على منهج المتأخرين الذين يحكمون على ظاهر الإسناد ولا يغوصون لاكتشاف العلل؟.

رمتني بدائها وانسلّت، نحن في تحقيقاتنا كشفٌ للعلل، ونقدٌ لمتن الحديث وبيانُ بطلانه لا من جهة السند بل من جهة المتن، على عكس طريقة الشيخ الألباني الذي لا يوجد عنده حديث واحد فيه نقد من جهة المتن، وأنا سألته: لماذا لا تنقد المتن وهنالك أحاديث متونها ظاهرة البطلان؟ قال: أنا لا يوجد عندي قواعد لنقد المتن. فقلت له: عائشة هي التي بدأت هذا النقد.

أنا لا أستطيع أن أقول إن كل عمل عملته صواب، لا بد أن يقع الإنسان في الخطأ مهما بلغ من العلم، لكن الخطأ قليل لأن هناك منهجاً متبعاً عندي.

أريد أن أقول لهؤلاء الذين يقولون مثل هذه المقالات: لماذا يقول الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ عندما كان على فراش الموت، وقد سألته ابنته: من نسأل عن الحديث بعدك؟ فرغم كل الخلافات التي بيني وبينه؛ قال: الشيخ شعيب. وابنته تشهد على ذلك، والشيخ محمد شقرة يشهد أيضاً.

أنا لا أقول بأن كل ما قلته صواب، عندي خطأ، والخطأ دائماً وأبداً يُعالج بالتصويب وبيان وجهة النظر الصحيحة، والشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ عنده أخطاء، وابن حجر رَحِمَهُ اللهُ عنده أخطاء، لكن بلا شك قليلة أمام النَّتاج العلمي الكبير.

❑ ❑ ❑

❑ **تُتهمون أيضاً بالتَّساهل في تصحيح الأحاديث وتحسينها؟**

هذه الغَمْغمات لا أحبها، نحن لا نتساهل ولا نتشدد، وإنما نحن نتبع المنهج الصحيح الذي نراه صحيحاً بعدما اقتنعنا به، فإذا كان هناك تساهل في التصحيح فلماذا لا يبرزون هذا التساهل؟

أيضاً العلماء المتقدِّمون كانوا يتساهلون في بعض الأبواب، فربما يقصدون ذلك؟

أنا كتبت هذا، وبيّنت أن الإمام البخاري عندما يروي في المناقب والرقائق وفضائل الأعمال يترخّص، ومع هذا أنا لا أترخّص كما يترخص الإمام البخاري وغيره.

❑ ❑ ❑

❑ **هل ما زلنا بحاجة إلى علم التحقيق؟**

علم التحقيق ضروري جداً، وينبغي أن يتطور إلى أبعد مما هو عليه.

أنا أرى في أي علم من العلوم أنه ينبغي أن نبدأ بالكتب التي ألفت في أول نشأة هذا العلم ونعتبرها الأصل، ثم نأتي إلى كل قرن لننظر في كتبه لنرى ما هي المعلومات التي أضيفت إلى هذا العلم، عند ذلك يستطيع الإنسان أن يدرك معرفة تطور هذا العلم وكيف انتهى إلينا بهذا الشكل.

❑ ❑ ❑

❑ **هل صنعتم هذا؟**

لا، هذا يحتاج إلى جهد فائق وعملية كبيرة، وأموال طائلة.

أنا أقول: نستطيع بلا شك أن نبدأ مثلاً بـ«مصنف عبدالرزاق» وابن أبي شيبة وسعيد بن منصور، ثم تأتي طبقة الإمام أحمد والبخاري وغيرهما، فربما استطعنا أن ندرك مثلاً أصل زيادات الإمام ابن ماجه على الكتب الستة وهكذا.

❑ ❑ ❑

❑ **معرفة هذه الإضافات، ماذا تفيد؟**

هذه الإضافات تجعلنا نعرف واقع هذه المجتمعات، ونتبين العقلية السائدة آنذاك.

❑ **يعني هل ترون أن هذه العلوم تحتاج إلى غربلة؟**

نعم لا بد من ذلك، ونحن وطّأنا بتخريجاتنا لهذه الغربلة، يمكن جداً لأي إنسان أن يصنف كيف جاءت الأحاديث الضعيفة واختلطت بغيرها من الأحاديث.

❑ **ما رأيكم في الخلاف الواقع بين العلماء في تصحيح الحديث أو تضعيفه؟**

هذا الخلاف اجتهادي، لكن هناك قاسم مشترك كبير بينهم.

❑ **وهل يمكن إنهاء الخلاف؟**

لا يمكن، هو مثل اختلاف المذاهب الفقهية.

❑ **يكثر اليوم المحققون لكتب التراث، ما هي أهم جوانب الخلل في أكثر التحقيقات المعاصرة؟**

أهمُّ جوانب الخلل أن هؤلاء المحققين يحتاجون إلى خلفيات علمية تؤهلهم لتسنم هذا المنصب، فلا يجوز مثلاً للمحقق أن لا يعرف العربية على وجهها الأكمل والصحيح؛ لأنه سيعود إلى الكتب الخطية المكتوبة بالعربية، وقد تكون تحتمل وجهاً من الصواب عربيةً، فيقع في الخطأ بتخطئة الأصل، ولذا يجب على الممارس للتحقيق من إتقان اللغة العربية.

❑ **وهل ترون أن أكثرهم لا يملكون هذه الخلفيات؟**

النادر منهم هو الذي يملكها.

يوجد مجامع فقهية كثيرة، لماذا لا يكون هناك مجمعاً حديثياً واحداً على الأقل؟

❑ **إذا وُجد مثل هذا المجمع، فما هي الخطة التي ينبغي أن يسير عليها؟**

أول عملية أن نجمع الأحاديث التي اتفقت على قبولها جهود المتقدمين والمتأخرين ونجعلها في كتاب واحد، وتبقى الأحاديث المختلف فيها، وهذه تحتاج إلى هيئة علمية مؤهلة للحكم عليها، وأناس عندهم خبرة بالعلوم الشرعية جميعها، لأننا بحاجة لجميع التخصصات لدراسة المتون بعد الفراغ من دراسة الأسانيد.

❑ ❑ ❑

❑ مَن من المحدّثين المعاصرين المؤهّلين للتصدي لهذا العمل؟

الحقيقة أنني لا أعرف، ولكن نحن بحاجة إلى أن يكونوا مؤمنين بفكرة النقد المتني، وأن تكون عندهم خلفية علمية صحيحة يستطيعون أن يعتمدوا عليها في مثل هذا البحث.

❑ لا نرى لكم كتباً في مباحث أخرى غير الحديث، لماذا؟

-لو لم أتخصص في علم الحديث لكنت تشرذمت وضعف عملي.

❑ ❑ ❑

❑ هل انتميتم إلى جماعة من الجماعات الإسلامية؟ (١)

لا لا، لكنني كنت أقرأ لكل أصحاب الأفكار الإسلامية.

❑ عدم انتمائكم ما سببه؟

سببه واضح، لأنني كنت أرى أن من ينتمي إلى فئة من هذه الفئات سيكون عقله مربوطاً بهذه الفئة، وهذا معناه إضعاف للعقلية المتميزة الموجودة وخاصة بالنسبة لي بعد هذه الدراسات الطويلة.

وأنا أقول: إنَّ العمل الإسلامي جيد، وأولادي قلت لهم أنا أوصيكم بأن لا تدخلوا في أي حزب إسلامي، لكن إذا فعلوا خيراً شاركوهم كما قال النبي ﷺ عن حلف الفضول: «ولو دعيت إليه في الإسلام لأجبت».

---

(١) من هنا إلى نهاية هذا اللقاء نشره الأستاذ وائل البتيري في «مجلة الشريعة» عدد (٥٣٠) لعام ١٤٣١هـ ربيع الأول/ ٢٠١٠. بتصرف.

❑ لكن لا تحرِّمون هذا الانتماء؟

لا، لا أحرم، لكني لا أرضى لنفسي هذا، كل من يجتمع على طاعة الله وعلى العمل لإنهاض الأمة من جهة الإسلام والحياة الطيبة، فلماذا لا نشارك به، هذا عمل خير، لكن أن أكون منتمياً إليه، لا أقبل، لأن القاعدة أن الإنسان الذي يبلغ درجة الاتباع فلا يحق له أن يقلد الآخرين.

❑ يقال بأن الشيخ شعيباً صوفيٌّ أشعريٌّ؟

أنا الذي كتبتُ مقدِّمة «شرح العقيدة الطحاوية» وأنا الذي حقَّقته بمفردي[1]، وكذا مقدمة «أقاويل الثقات»، هل يُقال عنِّي هذا الكلام؟ لذلك أنا أسأل الله سبحانه وتعالى أن يُصلح أمر هؤلاء، ومن كان يتعمَّد ذلك وهو يعلم أنني بريء فلا أسامحه.[2]

❑ إذن هذا الكلام غير صحيح؟

لا والله.

❑ كتابكم «تحرير تقريب التهذيب» الذي ألّفتموه بالاشتراك مع الدكتور بشار عواد، كتاب مهم لطلبة علوم الحديث، هل أنتم راضون عنه، أم أنه بحاجة إلى تحرير؟ خصوصاً مع صدور رد عليه.

الذي ردَّ على كتاب «التحرير» ردّ عليه الدكتور بشار معروف في كتاب سيطبع قريباً، وكذا رد عليه الدكتور بسام الغانم من السعودية جزاه الله خيراً.

---

(١) قارن ما كتب في تثبت التحقيقات عن تحقيق «شرح الطحاوية»

(٢) انظر ما سبق بيانه في «مذهبه العقدي» في محطات مضيئة من حياة شيخنا .

والحقيقة أنني أتمنى أن يكون هنالك أناس يبحثون لذات الحق، وينتهون إلى التخطئة أو التصويب، هذا لا يهمني، أنا الذي ينتقدني والذي يشد من أزري عندي واحد، لكن يزعجني أن تحمِّلني خطأً لم أقع فيه أصلاً.

ونحن راضون عن الكتاب كل الرضا، وعندي استدراكات جديدة وتصحيحات كثيرة، وسترى النور قريباً من إعداد تلميذنا الشيخ محمد الجوراني.

❑ هناك من يقول أنكم تتعمدون مخالفة ابن حجر، ويقال: إنكم لم تتبعوا روايات الراوي نفسه، فهل هذا صحيح؟

يا سيدي هذه نسختي الآن بين يديك، ومنذ حوالي ربع قرن وأنا أكتب هذه الاستدراكات على كتاب «تقريب التهذيب»، وكذلك فعل الدكتور بشار عواد في نسخته، وجمعنا هذه الاستدراكات، ووصلت حوالي ألفي استدراك، والآن ربما عندنا حوالي مئتا استدراك جديد سنضيفها إن شاء الله على طبعة قادمة.

وأنت تعلم منزلة ابن حجر ومنزلة كتاب «التقريب» عند الدارسين، فنحن نتمنى على الجميع إذا رأوا خطأً أن ينبهونا عليه لنستدركه في طبعات قادمة.

❑ لننتقل إلى موضوع «القرصنة العلمية»، سمعنا أن بعض كتبكم تعرضت للسرقة، فهل هذا صحيح؟

طبعاً.

❑ **مثل ماذا؟**

كتابا «مشكل الآثار» و«صحيح ابن حبان»، وللأسف الشديد إن الذين سرقوا هذين العملين ونسبوه إلى أنفسهم؛ أدرجوا معهم اسم الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ بريء من هذا الأمر.

والكتاب بمادته سحبوه على جهاز «السكنر» والدليل على ذلك أن الذي اقترف هذا الإثم يتردد علينا ونعرفه جيداً، وقبض على ذلك نقوداً، وهو حي يرزق، وهم لم يفعلوا شيئاً في التحقيق، والفضيحة الكبرى أن الخطأ الموجود في نسختي موجود في نسختهم.

❑ **ما الداعي إلى تحقيق كتب مُحقَّقة؟**

إذا كانت محققة بشكل جيد فلا داعي لتحقيق جديد، لكن يجب على من يعرف العلم ويدرك مسائله أن يتتبع العثرات الموجودة في أي كتاب محقق ويفردها في كتاب. فلا مانع عندي أن يأتي محدث ويتتبع عملي في كتب السنة ويبين الأخطاء التي وقعت بحسب اجتهاده، وهذا مفيد جداً.

❑ **ما تقييمكم لمنهجية تدريس الحديث في الجامعات؟**

هو تدريس نظري، والتطبيق العملي لم يعطوه إلا جزءا يسيراً، ربما عشرة أحاديث في السنة كلها.

❑ **وهل هذا في نظركم يعدّ خللا؟**

طبعاً.

❑ لماذا لم يكن لكم تجربة في التدريس بالجامعات؟

أنا بالنسبة لي كثير من الدكاترة يتعلمون مني، لكن ليس لي نصيب بأن أدرس في الجامعات.

فضلاً عن أن التدريس الجامعي يحد من نشاطك في هذا العلم، فأنت تحتك بالطلاب، وينبغي أن تنزل إلى مستواهم، وأنا لا أستطيع أن أدرس بهذه الطريقة التي يتبعها الأكاديميون.

❑ جهود المحدثين في الرد على المستشرقين والمستغربين، هل هي كافية؟

هذه مسألة تحتاج إلى بحث، وأن يستقرئ الإنسان هذه الجهود، لأنها جهود مبعثرة، فحبذا لو يستقرئ شخص ما في الكتب التي صنعها المسلمون في الرد على المستشرقين والمستغربين.

❑ ما هي الطريقة العلمية الصحيحة في الرد على منكري السنة؟

الرد عليهم مثل الرد على منكري صعود الناس إلى القمر، أنا لا أجد أبداً أي مسوغ لإنكار السنة، وهذا لا يقوله عاقل، ولا يقوله من يؤمن بالله واليوم الآخر، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، ما هو هذا البيان؟ هو السنة، فلا يمكن فصل السنة عن القرآن البتة.

❑ ❑ ❑

اللقاء الخامس (١)
«مجلة الرباط»

ضيفنا اليوم عَلَم من أعلام السُّنة النبوية، حباه الله عزيمة وجلداً وحُبّاً للعلم، واستعمله في إحياء السُّنة، تحقيقاً وتعليماً وإشرافاً ونصحاً، حقّق وعلّق على العشرات من أمّات الكتب في المكتب الإسلامي بدمشق، ومن ثَمَّ في مؤسسة الرسالة بعمان، وله عناية فائقة ومعرفة كبيرة بالمخطوطات، ويُعدُّ مرجعاً رئيساً فيها، فأهلاً به ضيفاً كريماً على صفحات الرباط.

❑ رغم وَلَعِكُم المبكِّر باللغة العربية، والتفسير وعلومه، ومن ثم الفقه وأصوله، إلا أنكم اخترتم التخصص في الحديث فما سر ذلك؟

قبل أن أختص في علم الحديث كنت أتساءل دوماً: لماذا اختصاص الحديث منحصر في أناس قلائل؟ لماذا لا أدخل في هذا الميدان العظيم؟ وفي يوم من الأيام وبعد أن استكملت العلوم الشرعية والعربية، أتاني صديق يطلب العلم في الجامعة، وقد كلفهم الأستاذ بتخريج حديث، ولا يعرف كيف يخرجه، فقال: أريد منك أن تخرج لي هذا الحديث، فانطلقت أبحث في كتب الحديث ثلاثة أيام متواليات ولم أعثر عليه، فأصابتني صدمة، لماذا لم يخدم حديث رسول الله ﷺ وهو الحجة الثانية بعد القرآن الكريم؟ بعدها ذهبت إلى درب الطلاب الأتراك فوجدت مع أحدهم كتاباً، فسألته عنه،

(١) أجرى الحوار د. محمد إسماعيل المشهداني و الشيخ محمد شريف محمود الفيضي ونشر في مجلة الرباط العراقية، في السنة التاسعة العدد (٤٨) جمادى الأخرة لعام ١٤٣٢هـ

قال: كتاب فيه أحاديث أربعينية، أخذته منه وفتحته، إذا بالحديث أمامي، وتبين لي أنه حديث موضوع قد ذكره القاضي محمد بن علي بن ودعان.

هذا الحديث بعث فيَّ تساؤلات عديدة: لماذا طالب جامعي وأستاذ لا يعرفان تخريج هذا الحديث؟ ولماذا أبقى مُتعثِّراً في تخريجه ثلاثة أيام متتاليات؟ وأنا قد أمضيتُ في طلب العلم أعواماً كثيرة؟

في تلك اللحظة عزمت على الولوج في بحر الحديث، أعرف صحيحه من حسنه من ضعيفه، ومنذ ذلك الوقت دخلتُ المكتب الإسلامي وبعدها انتقلت إلى مؤسسة الرسالة وقد أمضيت خمسين عاماً أشبعت فيها نَهمي من كتب الحديث، حقَّقت الكتب الأصول ولم يبق لي إلا «المستدرك» للحاكم، وإذا أمدنا الله تعالى بالعمر سنخرج إن شاء الله المعلمة الحديثية الصحيحة والحسنة عن رسول الله ﷺ.

❑ ❑ ❑

❑ ماذا عن بداية اهتمامكم بالمخطوطات؟ هل كان في وقت مبكر أو أنه اقترن بالتوجه نحو الحديث النبوي الشريف؟

عندما كنت في الشام كان مدير المكتبة الظاهرية التي فيها المخطوطات صديقاً لي، فيسمح لي أن أدخل المكتبة ويغلق علي الباب، فأبحث بحريتي في هذه المخطوطات، وتولدت لدي رغبة في تعلم قراءة المخطوطات وتمييز خطوطها من نسخي ورقعي وثلثي وفارسي .. إلخ، فأصبحت عندي دربة في قراءة المخطوطات، هذا الكتاب الذي بين يديك ـ «مسند أبي بكر

الصديق» للمروزي ـ عندما أُعطي للشيخ ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عجز عن تحقيقه، وقال: يصعب علي أن أُضيِّع وقتي فيه، فقمتُ أنا بتحقيقه.

الفضول العلمي يدفعك إلى أنْ تحقِّق ما لا يستطيع غيرك أن يفعله، وهذا من فضل الله أن يكون بين العلماء تنافس، أما الحسد فحرامٌ لكن التنافس أن تأتي بما لم يستطع غيرك أن يأتي به، وهذا من فضل الله، الشيخ ناصر رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان وحده في هذا الميدان بعد الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فنشأ شعيب ونشأ عبد القادر، أنا تَتلمذت على كتب أحمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ خاصة «المسند» وقد صرحتُ في أحد كتبي أني قد تخرَّجت في هذه الصنعة على الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

❑ ❑ ❑

❑ الآن بوصفك أستاذاً متمرساً في تحقيق المخطوطات فما هي أهم المخطوطات التي حققتها أو أشرفت على تحقيقها في أثناء رحلتك العلمية المباركة؟

كل كتبي أحبها وهي في المنزلة عندي سواء، لأنني عندما أقوم بعمل أي كتاب أضع له البرنامج الذي ينبغي أن أسير عليه، وأحدد ما يحتاج إليه هذا الكتاب من تحقيق نص، أو تعليق عليه، أو مناقشة المؤلف في بعض ما ذهب إليه، فعملي في الكتب الكبيرة بمنزلة الأستاذ الذي يقرأ عليه من هو في رتبته ويحس بمواطن الخطأ، مثلاً قد يفهم البغوي من حديث ما استدلالاً، لا أُوافقه عليه، أثبتُ ذلك في الهامش وهكذا.

لكن الجهد الكبير الذي بُذل كان في «مسند الإمام أحمد»، اثنان وخمسون مجلداً عبَّأت لها إمكانيات كبيرة جداً، فلم يجرؤ أحدٌ أن يُحقِّقه منذ أن صنعه الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ وإلى عصرنا هذا، نعم كانت هناك محاولة لأحمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ لكنه لم يحقق منه إلا ربع الكتاب، وقد خالفنا الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ والشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نقد الرواة كثيراً، وذلك نتيجة لمراجعة كتب الجرح والتعديل المعتمدة التي تضمَّنت أقوال الثقاة في هؤلاء الرواة والموازنة الدقيقة بينها، واستخلاص ما هو أقرب إلى الصواب منها، فقد وقع للإمام ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أخطاء ، وهذا ولا بأس به ، وما من أحد معصوم، ومن أمثلة ذلك، أذكرها لك تذكرة لمن يرى أن أحكامه غير قابلة للنقد، على سبيل المثال قال في ترجمة عبد العزيز بن سليمان الهذلي: مقبول. وقد صرَّح في «مقدمته» أنه يطلق هذه اللفظة على من يقبل حديثه عند المتابعة، وأنه عند عدمها يكون لين للحديث، وعبد العزيز هذا روى عنه جمع ووثقه علي بن المديني وأحمد ويحيى بن معين وأبو داود وابن نظير وابن حبان، فهل يقال في مثل هذا إنه مقبول؟ !

أما الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ فلابد من التنويه بالجهود المباركة التي أنفقها في خدمة هذا «المسند» الجليل لتقريب الإفادة منه للناس عامة وأهل الحديث خاصة، حتى يصلوا إلى ما في السنة النبوية من كنوز قد يعسر الوصول إليها، فـ«المسند» كالأصل لجميع كتب السنة أو أكثرها، وقد بين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمته أنه لم يلتزم في الكلام على الأحاديث أن يخرجها كلها، وعلل ذلك بأنه أمر يطول جداً، وصب همته في بيان درجة الحديث، فإن كان صحيحاً ذكر ذلك، وإن كان ضعيفاً بين سبب ضعفه، وبشهادة غير

واحد من أهل العلم أنه بلغ في معرفة حديث رسول الله ﷺ رواية ودراية مبلغاً لم يجاره به أحد من معاصريه، إلا أنه رَحِمَهُ اللَّهُ قد تساهل في الحكم على بعض أحاديث «المسند»، فعلى سبيل المثال : قوَّى حال ابن لَهِيْعة مُطلقاً، والقول الفصل في ابن لهيعة أنه رجل احترقت كتبه فصار يخلط، فمن روى عنه قبل التخليط صحيح حديثه، ومن روى عنه بعد التخليط نُضعِّفه، وكذلك قوَّى حال علي بن زيد بن جدعان مطلقاً، في حين أنه مُتفقٌ على ضعفه، ومثله شَريك بن عبد الله النَّخعي، ومن هو في مكانتهم، وفي بعض الأحاديث التي جاءت في «المسند» يقول في كل واحد منها: إسناده صحيح، رجاله ثقات، مع أن في سندها من رمي بالاختلاط، وراويه عنه ممن روى عنه بعد الاختلاط، أو ممن هو موصوف بسوء الحفظ، أو ممن كان يُعرف بالتدليس، وقد صحَّح بعضاً من الأسانيد التي فيها رواة مجهولون لم يُؤثَر توثيقهم عن أحد من الأئمة المعتمد عليهم الموثوق بهم في هذا الفن، وقد يُصحِّح سنداً يكون في أحد رواته ضعفٌ خفيف، ويأتي بمتن فيه مخالفة لمن هو أوثق منه.

أما عملنا فقد أنفقنا فيه عشر سنوات، توزع العمل فيها على فريقين، فريق في الشام يتكون من سبعة أشخاص، وآخر في عمان يتكون مثلهم، هم يُهيِّئون العمل لي، وأنا أراجع كل يوم وأحكم على الحديث صحة أو ضعفاً حتى صار مرجعاً لكل الأساتذة، فالفرق كبير بين العملين، لكنني لا أدعي أنني لا أخطئ، وإذا قلت لك إنني على صواب دائماً أكون قد جانبت الحقيقة، **فعلم الحديث تصحيحه وتضعيفه اجتهاد، قد أخالف من ينقدني، لكن هنالك لابد من أخطاء أوافق من ينقدني عليها، أما ما يظهر من شغب**

في التصحيح أو التضعيف بدون حجة وبرهان فجدل غير صحيح، وأنا أتمنى أن أجد من يوقفني على الخطأ، لأن هذا حديث النبي ﷺ، وأن يبصرني بأسلوب علمي متزن حتى نتمم العمل على أكمل وجه، وتكون المعلومة لدى الناس جميعاً سليمة من الأخطاء.

❑ ❑ ❑

❑ هل للشيخ شعيب الأرنؤوط منهج خاص في تحقيق النصوص يسير عليه هو وتلامذته الذين يعملون معه؟

قبل أن أبدأ بالمخطوطات أوجدتُ مدرسة سواء في الشام أم في عمان، فأنا أؤمن بالعمل الجماعي؛ لأن العمل الفردي لا يمكن أن يطور الإنتاج إلى هذا الشكل، فلابد أن يكون عندك فريق يساعدونك على إنجاز عملك، وببركة العمل الجماعي لا يوجد حديث من أحاديث رسول الله ﷺ إلا حققناه، فهؤلاء الطلبة ولله الحمد بلغوا منزلة تؤهلهم للانفراد بالأعمال والقيام بالتصحيح والتضعيف والدراسة الموفقة التي تقودهم إلى الصواب، فعملنا يتميز عن غيرنا من أهل العلم بأنهم لا يَقْدِمون على مثل هذا، إما لأنهم لا يمتلكون الأهلية، أو لعدم وجود من يعينهم ويطير بهم، قد تملك الأهلية ولكن كما يقول الإمام الشافعي: ليث بن سعد أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به.

❑ ❑ ❑

❑ **من خلال تحقيقكم وإشرافكم على تحقيق ما يربو على مئتين وأربعين مجلداً في علوم الشريعة عموماً والحديث وعلومه خصوصاً، بماذا توجهون الباحثين في مجال البحث العلمي عموماً ومجال السنة والاعتناء بها على وجه الخصوص؟**

ينبغي لطالب العلم أن يدرس دراسة عامة من تفسير وفقه وحديث وعربية وإلى آخره من العلوم الإسلامية المتنوعة، ثم بعد ذلك يختار لنفسه تخصصاً من هذه التخصصات يراه قريباً من ميوله وله إبداع فيه، فينصرف إليه بالكلية ويعتبر بقية العلوم مساعدة له في هذا الباب، وينبغي على المتخصص أن لا يعيد ما سبقه به غيره من الباحثين، فإذا تخصص أحدهم على سبيل المثال بالحديث وأعاد ما قدمناه لم يقدِّم شيئاً وكان عمله تحصيل حاصل، أنا حققت كتاب «شرح السنة»، فتأتي أنت وتحققه بما لا جديد فيه غلط لكن أن تستدرك وتصوب عليَّ في هذا الكتاب، فأنت تسير في الطريق الصحيح، والعلم يتقدم بمثل هذا، نحن نريد من المتخصصين أن يضيفوا لا أن يكرِّروا الاسطوانة.

والأمر الثاني الذي أقوله للمتخصصين: أن تصحيح الحديث وتضعيفه ليس المراد منه قضية تاريخية، بل لأجل ضم هذا الحديث إلى القرآن واستخراج الفقه الإسلامي المدعم بالقرآن والسنة الصحيحة، إن المجتهدين لم ينقطعوا من عهد أبي حنيفة وإلى اليوم، ولا ينبغي أن ينقطع المجتهدون في حديث رسول الله ﷺ وفهمه وتطبيقه، وفي الاستنباط منه إلى أن تقوم الساعة، ما دمنا نعتقد أن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان

ومكان، فجيب أن نستنبط من هذه النصوص الصحيحة ونهيئ للناس الحلول الناجعة المبنية على القرآن والسنة.

❑ ❑ ❑

❑ في إطار التكامل المعرفي بين العلوم الشرعية، كيف توظفون علوم الحديث في خدمة العلوم الأخرى، وهل هناك نوع من التنسيق والتوافق أو التزاوج والتلاحق بين مختلف العلوم؟

حديث رسول الله ﷺ يُعدُّ المصدر الثاني بعد القرآن الكريم، وقد ذكر العلماء أن أحاديث الرسول ﷺ مُبيِّنة لما في القرآن الكريم، فهي تُفصِّل المجمَل، وتخصِّص العام، وتُقيِّد المطلق، وتأتي أحكام كثيرة في الأحاديث النبوية مُؤكِّدة لما في القرآن الكريم، أي من باب إقرار الرسول ﷺ لما جاء في القرآن، وهذه الخصوصية قد أوكلها الله تعالى إلى نبيه ﷺ فقال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]

فوظيفة النبي ﷺ بيان الذِّكْر، لذلك يتوجَّب على الباحث المسلم أن يأخذ ببيان النبي ﷺ فهو بيان مُلزم وليس بياناً اجتهادياً، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

لذلك فالقرآن والسُّنة صِنْوان لا يختلفان ولا يفترقان.

❑ ❑ ❑

❑ شهد نصف القرن الأخير تقريباً نهضة واسعة في علوم الحديث وازدهارها، فما رأيكم في هذه النهضة؟

أعتقد أن من مئة سنة أو يزيد بدأت بوادر النهضة في مجال علم الحديث ودراسته وإحيائه، ذلك أن البلاد الإسلامية في السابق حكمتها الدولة العثمانية، والعثمانيون متدينون ومحبون للإسلام لكنهم لم يثقفوا الناس ثقافة إسلامية صحيحة، ولم يحفزوا فيهم الرغبة نحو علوم السنة، بل كانت المذهبية هي السائدة والاهتمام بالحديث النبوي ضعيف جداً سوى بعض التحقيقات البديعة لـ«صحيحي البخاري ومسلم» هذه الثقافة شاعت في البلاد الإسلامية وأصبحنا نسمع أساتذتنا يقولون: إنهم ليسوا أهلاً للاستنباط من الحديث الشريف، ويرون أن قراءة الحديث للبركة فحسب، وأقنعوا أنفسهم والناس من حولهم أن علم الحديث قد نضج واحترق ولم نعد في حاجة إليه، لأن كتب الفقه هي التي تتكفل بذلك، ولكن شاء الله سبحانه وتعالى أن تعود العقول المتفتحة إلى السنة وتأخذ منها في معالجة كثير من المشاكل التي تحدث في المجتمع الإسلامي، وعرف الناس قيمة السنة النبوية، وبدأت النهضة بالكتابة والطبع، ويبدو أن مسلمي الهند سبقوا البلاد العربية في ذلك، ولكن الله تعالى وفقنا بعد ذلك لخدمة السنة النبوية، نجلي كنوزها ونحقق نصوصها ونعرضها للناس كي ينتفعوا بها، وصارت السنة النبوية تدرس في الجوامع والجامعات، فالسنة النبوية نهضت بعد أربع مئة أو خمس مئة سنة من الركود، وطبعت كل المخطوطات الحديثية، وكان لنا نصيب وافر فيها قد يبلغ إلى نسبة الثمانين بالمئة منها أو يزيد، فما تركنا كتاباً من الأصول إلا وحققناه وخرجنا أحاديثه

وحكمنا عليها وعرضناها للناس، والآن المكتبة الحديثية عامرة بكل الكتب التي تعد أصولاً كـ «مسند أحمد» والكتب الستة و«صحيح ابن حبان» و«مشكل الآثار» للطحاوي وغيرها، وأصبح طالب العلم بكل يسر وسهولة يقرأ حيثيات الحديث ويتبين له صحته من ضعفه.

❑ ❑ ❑

❑ **لكن مما عثَّر هذه النهضة وعكَّرها تصدُّر من لم يتأهَّل بعد لهذا العلم العظيم، فما هي في نظركم مواصفات وشروط محدث العصر، وكيف تعالج قضية التصدر هذه؟**

دراسة الحديث تتطلب من الإنسان أن يختص به، وأن يستغرق وقته كاملاً فيه، لذلك قلَّ من تجد من المحققين والأساتذة من يصبر على هذا فيرضون من الغنيمة بالإياب فحسب، والذين أصبحوا أهلاً لأن يأخذ عنهم هذا العلم لا يتجاوزون أصابع اليد في العالم الإسلامي كله، هناك كثير من طلبة العلم تخصصوا بالحديث وأصبحوا أساتذة يدرسونه، لكن لا يملكون الأهلية التي تمكنهم من الاجتهاد في الحكم على الحديث، ولذلك يقلدون غيرهم ممن تقدمهم

أمَّا **محدث العصر** فينبغي أن تكون له إبداعات وإضاءات في هذا العلم، مشكلتنا أن هذه النصوص الواردة في كتب الحديث عدا البخاري ومسلم كلها قابلة لأن تكون صحيحة أو ضعيفة أو موضوعة، فمن الذي سيقوم بهذه المهمة، أنا لا أريد أن أسمي فلاناً محدث العصر أو الدهر، بل أقول: العالم الذي يأخذ هذا العلم من وقته خمسين سنة تعلماً وتعليماً مع ذكاء

وتقوى قد يصل إلى هذه المرتبة، فليس بالضروري أن كل الذين يدرسون علم الحديث في الجامعة يصبحون محدثين، منهم من يصبر على هذا العلم ويقطف ثمرته، ومنهم من لا يصبر فيكون كبقية الناس.

وآية هؤلاء المحدثين المعاصرين الذين يملكون قدماً راسخة في هذا الفن أنك إذا أخذت حكمهم على الأحاديث تجدهم متفقين في الحكم، والاختلاف بينهم قد لا يصل إلى ٢٪، فالحكم على الحديث اجتهاد خاضع للخطأ والصواب، لكن يبقى التفاوت ملحوظاً بين هؤلاء المختصين بالحديث بحسب نتاجهم، منهم من اقتصر على نفسه فكان نتاجه قليلاً، ومنهم من أسس مدرسة قدمت عطاءات تزيد على مئتي مجلد، إذا قلت لك إن جميع أحاديث الرسول ﷺ نكاد نستوعبها في ما ألفناه في التخريج والحكم قد لا أكون مبالغاً، فعطاؤنا أكثر من كل المعاصرين، وما أظن أنه يفوتني الآني حديث صحيح لم أبينه في أعمالي، ربما يبقى عليَّ «المستدرك» للحاكم، وأنا في صدد إخراجه إذا شاء الله أن يمد في عمري ويعطيني الصحة والعافية.

وقد يكون الاختلاف في المنهج، فالشيخ ناصر الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ نختلف معه في المنهج، منهج الشيخ ناصر رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقوم على السؤال والجواب، فبعد أن عرف الناس أنه على علم بالحديث الصحيح من الضعيف كانوا يسألونه، ومن هذه الأسئلة ألف كتابه «سلسلة الأحاديث الصحيحة» و«سلسلة الأحاديث الضعيفة»، ولذلك لا تجد لهذه الأحاديث ترتيباً، حديث من باب وحديث من باب آخر لا يلتقيان، بحسب ما يعرض له من أسئلة من دون منهجية تجمعها.

أما الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ فعلى خلاف ذلك، إذ يسير وفق منهجية في العمل، جاء إلى «مسند الإمام أحمد» فقام بشرحه وتحقيقه، وهو يمتلك عصامية كبيرة، حتى وصل إلى ربع «المسند» بعد أن قضى ثلاثين سنة من عمره، لكن عمله الفردي والظروف التي أحادت به أعاقته على إتمامه.

إن جميع الذين اشتغلوا بالحديث الشريف لم يعنوا بالكتب الأصول كما اعتنينا بها، قد سبقنا إلى ذلك الهنود والشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولكننا في المدة الأخيرة أتينا على الكتب الأصول فلا تكاد تجد كتاب حديث من صنع الأولين إلا وقمنا بتحقيقه وتخريج أحاديثه، وكل ذلك بفضل المدرسة التي أوجدناها ولله الحمد، فـ«مسند الإمام أحمد» الذي قضى أحمد شاكر ثلاثين سنة في تحقيق ربعه أتممناه بعشر سنوات، إن إنشاء المدرسة هي الأصل في وفرة الإنتاج وجودة العمل، فضلاً عن أن المدرسة يتخرج فيها رجال يستطيعون أن يقوموا بنفس الدور الذي نقوم به في وقت يفتقر فيه العالم الإسلامي إلى أمثالهم، الآخرون لم يسمحوا لتلامذتهم إلا النظر في كتبهم لمعرفة الصحيح من الضعيف.

وقد كانوا يقولون لي: لماذا تعطي هذه المعلومات القيمة للشباب الذين يعملون معك؟

فأجيبهم بأن ما تفعلونه هو لأنفسكم، ولدرِّ الأرباح عليكم، وأنا لا أكترث بها، ما يهمني هو تخريج الحديث الشريف جميعه، وأن أملأ العالم الإسلامي بالرجال القادرين على معرفة الحديث الصحيح من الضعيف ونشر الحديث النبوي بصورة دقيقة.

وبفضل الله امتازت أعمالنا بالخصوبة والقوة والمنَعة، والناس حكم في هذا الأمر، إذا قرأت في كتبنا ستفهم النص مهما كانت ثقافتك، وفي أحيان تقرأ كتب غيرنا فيستعصي عليك النص وإن كنت مثقفاً، وهذا من نعمة الله، كنا نزاحم في أي كتاب يعرض علينا، وكنت أتهم من بعضهم : الشيخ شعيب غير سلفي وليس منَّا فلماذا يكون مديراً وفلان يعمل عنده؟ ذلك ينبغي أن يكون مديراً وشعيب يعمل عنده. ومثل هذا كثير، نوزعت في كتاب «شرح السنة»، وفي «صحيح ابن حبان»، وفي «مسند أحمد»، وبفضل الله أولاً وآخراً كان العمل يعطى لي، ولو كان عندهم من يملك القدر كما نملك لأعطوه، وكان الشيخ ناصر رَحِمَهُ اللَّهُ حتى الأوليات في العربية تستعصي عليه؛ لأنه ما قرأ العربية، ومعلوماته كانت من قراءة الكتب، وحين كُنَّا في الظاهرية معاً وعلى ملأ من الأساتذة في قاعة المؤلفين، كان يسألني: يا شعيب كيف تقرأ هذه؟ أو ما إعراب هذه؟ وكذا، فأعطيه الجواب.

التهيئة للاختصاص مهمة جداً، فدراسة علوم الآلة كلها وبجميع فروعها دراسة إتقان لابد منها قبل التخصص في العلوم الشرعية، وبفضل الله قد أتممناها قبل التخصص في علم الحديث، ولابد أن يصحب ذلك تصحيح النية، لماذا أريد أن أدرس هذا العلم؟ ينبغي لي أن أدرس هذا العلم لأقدم للناس ما يفيدهم وأطلب الأجر من الله تعالى.

❑ ❑ ❑

❑ **الأوائل من علماء الحديث يتصفون بتقوى الله وتزكية النفس وإخلاص العمل، لكننا نرى اليوم كثيراً ممن تصدروا هذا العلم يجرحون ويشهرون بما تأمرهم أهواؤهم، ويشككون الناس بعلمائهم الأوائل، تاركين الإحسان والتقوى وراء ظهورهم، فهل يؤخذ من أمثالهم؟ وما السبيل إلى اتقاء شرهم؟**

إن الذين يطعنون ويلتمسون للبراء العيب ما أستطيع أن أجعلهم في مصاف العلماء، وليس لهم فائدة من علمهم؛ لأن التشهير بأهل العلم والطعن فيهم في أمور اجتهادية من أكبر الغلط، فالطريق الذي سلكه بالمخالف ويذكرون خلافه مع الدليل، ثم يبينون أن هذا الدليل يدفع بدليل آخر أقوى منه وهكذا.

لا ينبغي للعالم أن يتعرض للعلماء إذا أراد وجه الله، بل يتعرَّض ويناقش الفِكْر الذي يحمله، ويُبيِّن الصواب من الخطأ بأسلوب لطيف مقرون بالاحترام للمقابل.

إن الذين يسعون في إثارة القلاقل والاتهامات لو كانوا علماء ما لجُّوا إلى مثل ذلك، ولكن هذا يدل على جهلهم، **لأن العالم إذا وهبه الله تعالى علماً خالصاً مكيناً يرحم الناس ولا يتكلم عليهم أو ينال منهم،** فوظيفة العالم أن يظهر ما عندهم من العلم في حدود وتواضع، ويتبرأ من الحسد والشتم ووصف المخالف بأوصاف نابية، ينبغي أن نكون على ما كان عليه السلف من علماء الأمة في خلافاتهم، كان خلافهم مقبولاً لأنه لا يمس شخص العالم بقدر ما يرد عليه في المسألة التي خالف فيها، وكانوا ينظرون إلى المخالف نظرة احترام، يقول الشافعي: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة.

هذا قمة الإخلاص والتواضع؛ لأنَّ الشافعي كان عالماً عرف الحق وتعامل بصدق واحترام من المخالف، لذا كانت ألفاظهم بعيدة عن التعصب والإثارة وغير نابية.

ونحن طريقتنا في العلم على الشكل الآتي: الإنسان الذي يطلب العلم يبدأ مقلداً، يقرأ كتاباً لأحد الأئمة، شافعياً كان أو حنفياً أو مالكياً أو حنبلياً، وبعد أن يتقن هذا الكتاب ويعرف الإطار العام للمذهب يقرأ كتاباً مدعوماً بالأدلة لينتقل فيه من التقليد إلى الاتباع، فإذا أتقن ذلك انتقل إلى المسائل الخلافية يبحث فيها ويوازن بينها إن امتلك الأهلية، المجتهد يكون له مذهب من أوله إلى آخره فهذا تحصيل حاصل، لكن اجتهاده يكون في جزئيات يخالف فيها من قبله، أو مسائل حدثت وهي بحاجة إلى حل.

فأنا أنهي طالب العلم عن التقليد، لكنني أقول له: لابد لك من التدرج، تقليد ثم اتباع ثم اجتهاد، وهناك من يقف عند الاتباع إذا لم يمتلك أهلية الاجتهاد، فإذا نظر طالب العلم إلى العلماء بهذه النظرة عذر الكل، يقول الشيخ رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ: نتعاون فيما نتفق عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما نختلف فيه، لأن هذا الاختلاف ناشئ عن اجتهاد لا عن لعب، وهذا في الفروع أما الأصول فلا .

❑ ❑ ❑

❑ ما أهم كتب السُّنة المخطوطة التي لم تر النور بعد، وتنصحون بتحقيقها ونشرها؟

بعد ما قمت به من أعمال لا أجد كتاباً يستحق النشر محققاً على المنهج الذي أتبعه، وبعده «مسند الطيالسي»، لأني قد استوعبت في أعمالي التي نشرت كل كتب الحديث، لم يبق في أعمالي التي نشرت كل كتب الحديث، لم يبق في جعبتي من الأصول إلا «مستدرك» الحاكم و«مسند الطيالسي»، ولو أتيح لي أن أحقق «معجم الطبراني الكبير» سأحققه وإن كان قد حقق من قبل، لأني أرى أنه بحاجة إلى تحقيق على الأسلوب الذي أتبعه ليفيد الناس منه في علم الحديث.

وتحقيق هذه الكتب لا يحتاج مني إلى جهد كبير، لأن ٨٠٪ من أحاديثها محققة عندي، فأكثرها موجود عند البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبي داود وابن ماجه وأحمد وابن حبان، فقد أصبحت لدينا ملكة في هذا العلم، ومحصلة ذلك أن الأحاديث الصحيحة والحسنة عن النبي ﷺ لا تتجاوز ثلاثة عشر ألف حديث، وإذا أضفنا إليها الضعيف والموضوع فلا تتجاوز عشرين ألف حديث، وإذا سمعت أن فلاناً يحفظ ثلاث مئة ألف حديث، فاعلم أنه كان يحفظ الطريق، ففي بعض الأحيان للحديث عشرة طرق أو أكثر فيعدونها أحاديثاً.

❑ ما مجالات علوم الحديث التي ترون أنها لم تستوف بعد حقها من البحث وترغبون في زيارة جهود البحث باستفراغ الوسع في خدمتها؟

أهم كتب الأصول حقق وطبع، وإذا كان هناك من الأصول ما لم يحقق ويطبع فواجب على الأمة أن تقوم بذلك، أما المرحلة الثانية التي ينبغي

الالتفات إليها وتكريس الجهود فيها في مجال الحديث النبوي فشروح الحديث النبوي الشريف، هناك عدد كبير من الشروح التي تحتاج إلى محققين متقنين ليخرجوها إلى النور كما أرادها أصحابها خالية من الأخطاء والتحريف والسقط.

❑ ❑ ❑

❑ في الختام نتطلَّع إلى بعض الدُّرر ترصعون بها هذا الحديث الشيق وتوجهون بها أبناءكم المشتغلين بعلوم السنة؟

صاحب العلم يشرف بالعلم الذي ينتسب إليه، ومن دون شك الذي يتخصص في دراسة القرآن أو يتخصص في دراسة الحديث فله ميزة كبيرة على بقية الطلاب الذين يتخصصون في اختصاصات أخرى، وأقول بصراحة باعتبار أن الحديث يتعلق بجوانب الحياة كافة: ينبغي على طلاب العلم الآن بعد أن توثقوا من صحة النصوص أن يبدؤوا بفهم هذه النصوص وشرحها واستنباط أحكام جديدة لمجتمع إسلامي تتكامل فيه كل الأوصاف الإسلامية، فكلام النبي ﷺ يأتي بعد القرآن، وإذا أردنا أن نفهم الإسلام فهما حقيقياً فعلينا أن نعنى بالسنة النبوية من ناحية صحتها والتوثق منها، ومن ناحية شرحها وفهمها وتطبيقها على مجالات الحياة كافة. والفائدة الكبيرة في السنة أنها تحول بيننا وبين المنازعات الخلافية، لأن الأحاديث النبوية تستطيع أن تحسم الخلاف، وعلى طالب العلم إن تخصص في الفقه أن يعنى بالحديث النبوي لأنه من الأشياء الأساسية التي يتوجب عليه تعلمها.

وما بقي عندي أن أقول إلا أن هذا العلم فحل ولا يناله إلا الفحول من الرجال، فمن أراد أن يكون في مرتبة أهل العلم الذين يفقهون الإسلام على الوجه الصحيح ينبغي أن يخصص نفسه لهذه الدراسة وأن يعطيها كل وقته حتى يعطيه هذا العلم ثمرة ناضجة وجيدة وغير مؤذية، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، وعلى طالب العلم أن يُقرِن علمه بالعمل، ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً، فالعلم إذا وجد العمل استمر وإلا ابتعد، الذي لا يدخل إلى القلوب ولا يفيد منه الناس عالم لا يعمل بعلمه، وعلى طلبة العلم والعلماء أن يقصدوا بأعمالهم وجه الله تعالى، وأسأل الله القبول منا في الدنيا والآخرة.

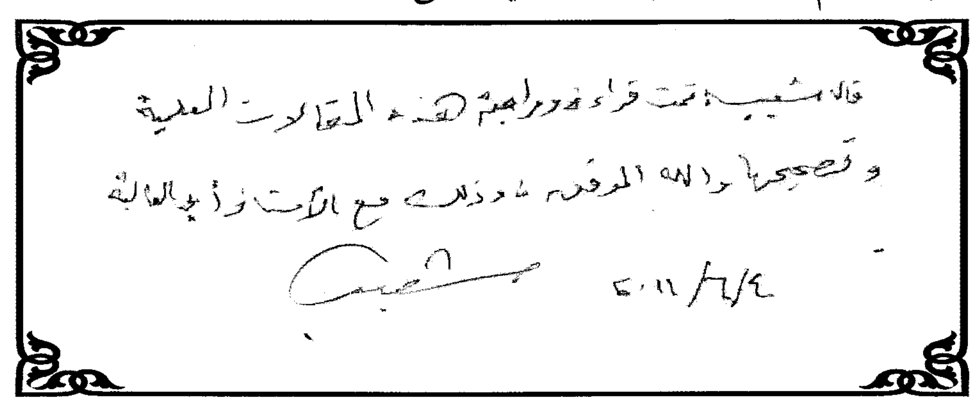
❑ ❑ ❑

شكراً لفضيلة الشَّيخ المُحدِّث على رحابة صدركم، ونسأل الله الكريم أن يَمُدَّ في عمركم ويُديم عليكم الصِّحة والعافية والعطاء المستمر في خدمة كلام سيد البشر محمد ﷺ.

❑ ❑ ❑

قَالَ ابْنُ يُوسُفَ عَفَا اللهُ عَنْهُمَا :

وهذا تمام هذه اللقاءات العلمية التي كانت مع شيخنا، عرضتها على سماحته، فراجعها وصوَّب ما ندَّ فيها عن الصواب، والحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات، وهذا خط شيخنا على ذلك :



قال شعيب: تمت قراءة ومراجعة هذه المقالات العلمية وتصحيحها والله الموفق، وذلك مع الأستاذ أبي العالية

شعيب ٤/٦/٢٠١١

❑ ❑ ❑



(٧)

كُنوز الرِّحلة العِلْمِيَّة

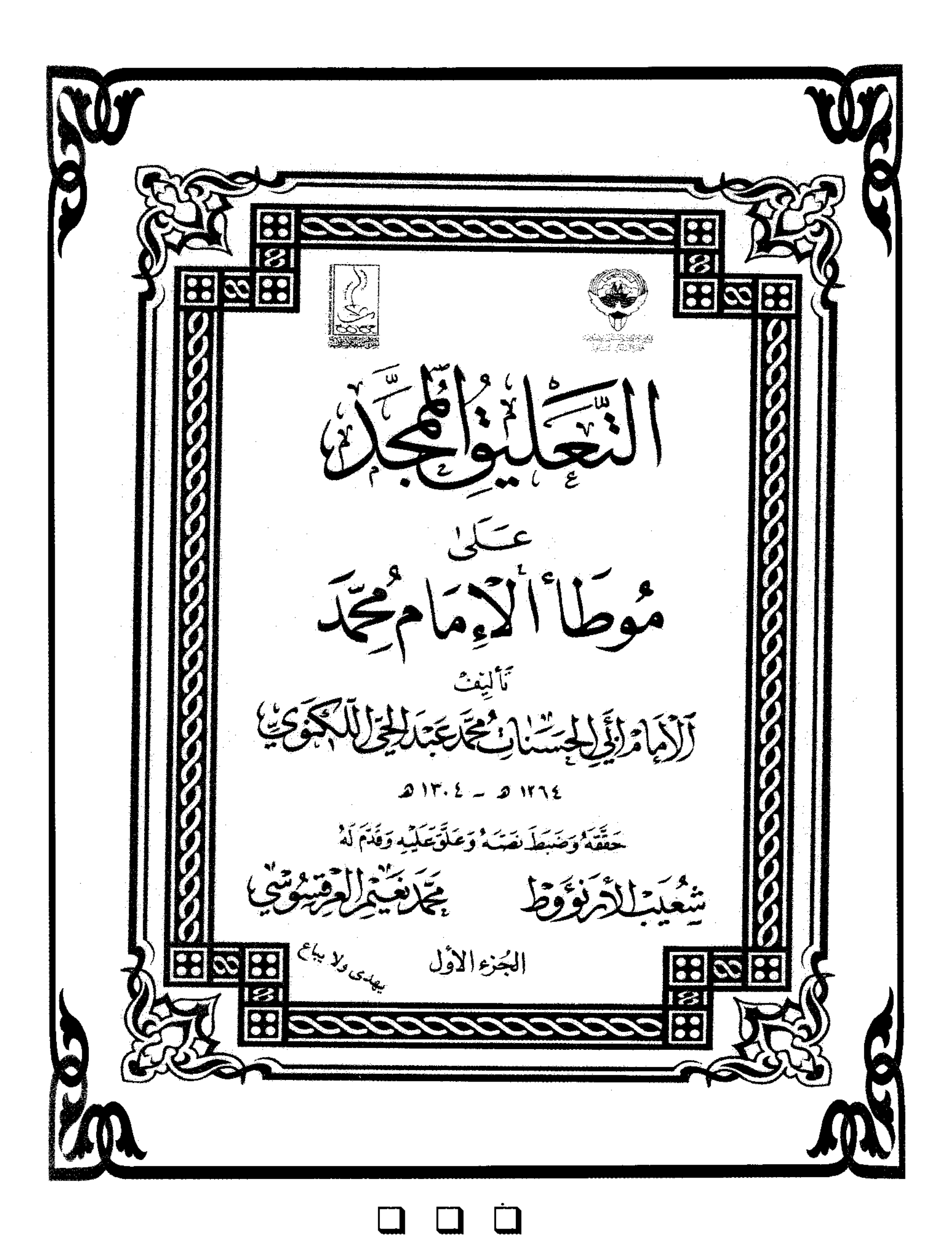
إلى الدِّيار الكويتيَّة

كُنوزُ الرِّحلة العِلْميَّة
إلى الدِّيار الكويتيَّة

فمن نِعَم الله تعالى علينا في هذه الرِّحلة العلمية المُوفَّقة إلى الدِّيار الكويتية، أنْ حظيت بكنوز كثيرة؛ من لقاء أهل العلم والفضل، وصحبة الإخوان، والاستفادات العلمية النافعة التي انتفعنا بها ومنها في المجالس العلمية، والوقوف على بعض المخطوطات العِلْمية النَّادرة.

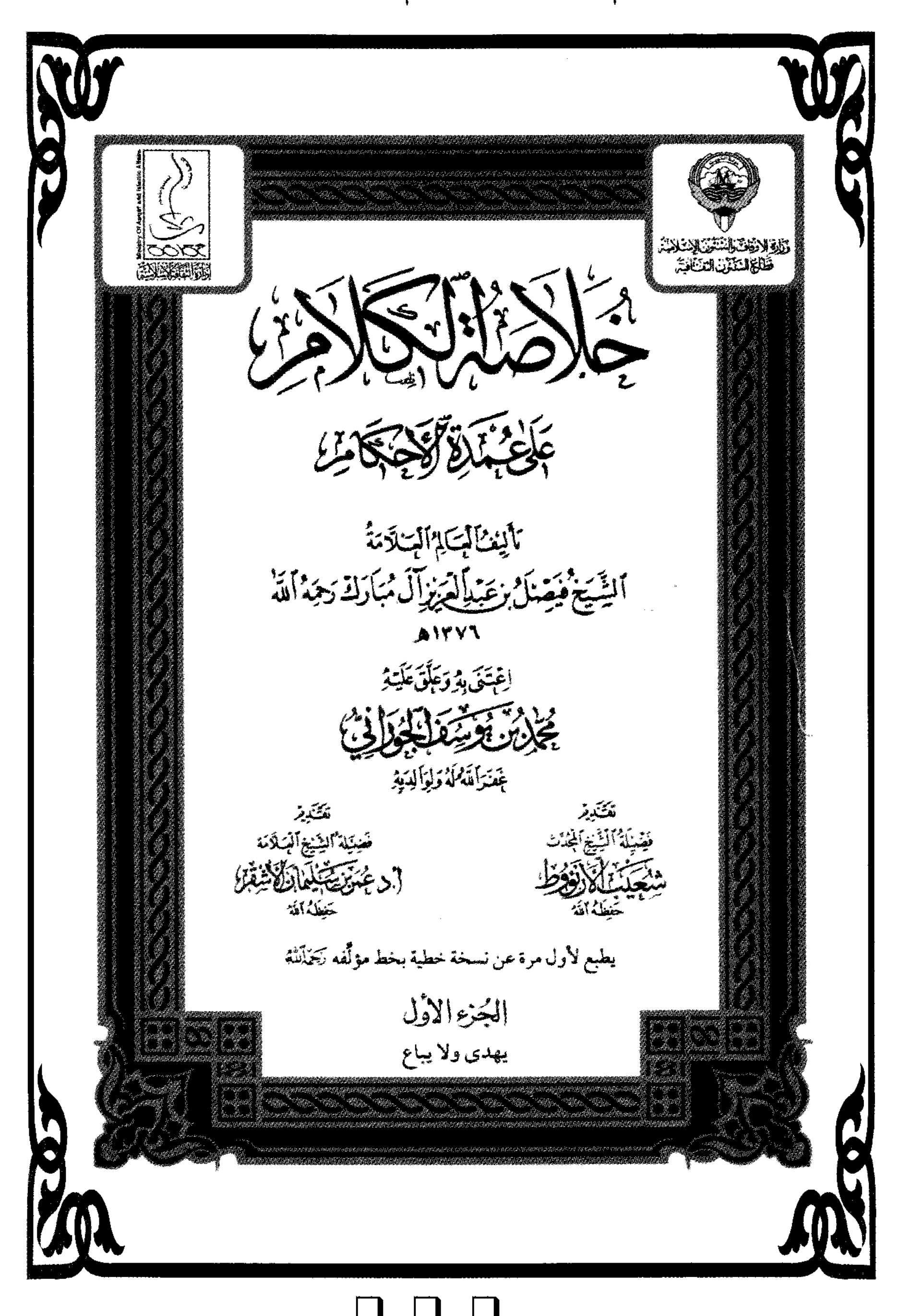
ثمَّ كان من توفيق الله تعالى، أن هيَّأ لنا أخوة فضلاء لهم شَغَف بالعلم كبير، أصحاب رسالة وأيِّ رسالة، رسالة لا تعرف في نشر العلم إلا الفائدة والنَّفع وإيصال الخير للناس، ومن هنا حين عَلِم القائمون على إدارة الثقافة الإسلامية بعض الكتب المعدَّة للطباعة ولم تطبع بعد، سارعوا جزاهم الله خيراً لتبنِّي طباعة بعض هذه الكتب رغبة في نشر الخير للغير، وحرصاً منهم على نفع أهل العلم، فكان من توفيق الله تعالى أنْ يَسَّر لنا أنْ دُفِع للطباعة جملة من الكتب كانت حبيسة الرُّفوف، لسنين عديدة؛ فنهضت هِمَّتُهم، وقامت عَزيمتُهم على نشرها، فأخرجوها في حُلَّة قشيبة، وطباعة أنيقة مميزة، فجزاهم الله كل خير، ومما نُشِر من هذه الكنوز العِلْميَّة الرَّائدة :

١. «التَّعليقُ المُمجَّد شرح موطأ محمَّد» للإمام أبي الحسنات اللَّكنوي رَحِمَهُ اللَّهُ



❑ ❑ ❑

٢. «خُلاصةُ الكلام على عُمدةِ الأحكام» للعلَّامة فيصل آل مُبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ.


وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
قطاع الشئون الثقافية

خلاصة الكلام
على عمدة الأحكام

تأليف العالم العلامة
الشيخ فيصل بن عبد العزيز آل مبارك رحمه الله
١٣٧٦هـ

اعتنى به وعلق عليه
محمد بن يوسف الجوراني
غفر الله له ولوالديه

تقديم
فضيلة الشيخ المحدث
شعيب الأرنؤوط
حفظه الله

تقديم
فضيلة الشيخ العلامة
أ.د عمر بن سليمان الأشقر
حفظه الله

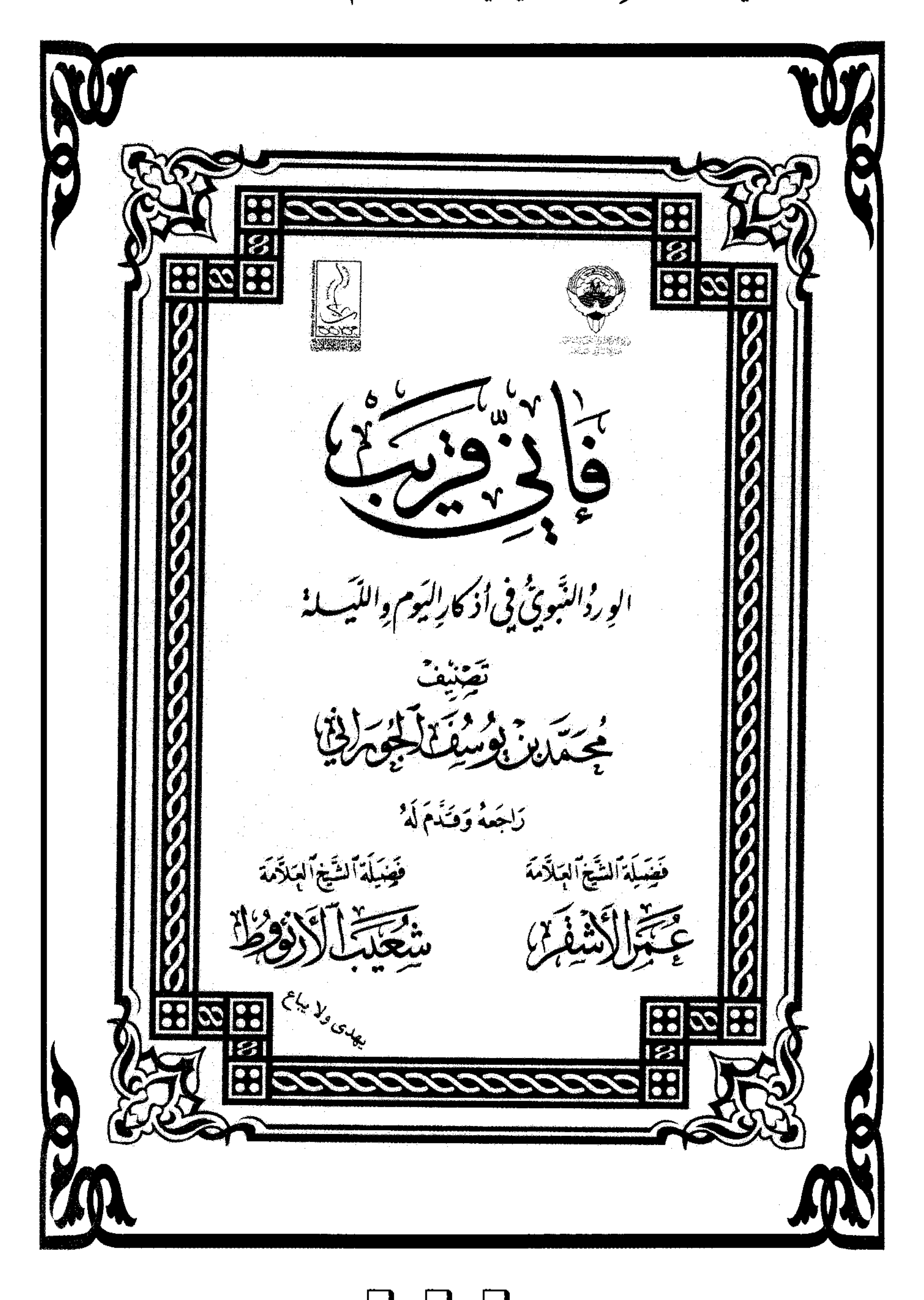
يطبع لأول مرة عن نسخة خطية بخط مؤلفه رحمه الله

الجزء الأول

يهدى ولا يباع

❑ ❑ ❑

٣. «فإني قريبٌ، الوِرْدُ النَّبوي في أذكار اليوم واللَّيلة» للمؤلِّف.



❑ ❑ ❑

هذا جانبٌ من كنوز الرِّحلة العلمية.

وثمَّة جانبٌ آخر من هذه الكنوز القيِّمة، فقد أَوْقَفْنا بحمد الله تعالى وفضله، صاحب الفضيلة المُحقِّق الشيخ محمد بن ناصر العجمي جزاه الله كل خير ونفع بجهوده الإسلام والمسلمين على جملة من المخطوطات النَّفيسة القَيِّمة النَّادرة، فاقتَنَيْنا جملة منها للعمل على تحقيقها ونشرها، وما كان هذا الأمر ليتم لولا أنْ هيَّأ الله له هذا الشَّيخ الجليل، وصَنَعه لهذا الفنِّ الأصيل، وقد كان من كنوز هذه الرحلة تحقيق رسالتين نفيستين :

الأولى : «آداب العالم والمتعلم والمفتي والمستفتي» للشيخ العلامة جمال الدين القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ، وهي نسخة خطية بخطة، وهي قيد التَّنضيد بعناية مقيِّد هاته الرحلة محمد بن يوسف الجوراني عفى الله عنه .

وقد شَرُفت بتعليقات ومراجعة ومقابلة مع شيخنا العلامة المحدِّث شعيب الأرنؤوط متَّعنا الله بعلمه ومعرفته .

❑ ❑ ❑



جمع وتجريد

العلامة محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي رحمه الله

(١٢٨٣ - ١٣٣٢هـ)

اعتنى به وعلق عليه

محمد بن يوسف الجوراني

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

راجعه وقدم له

فضيلة الشيخ العلامة

شعيب الأرنؤوط

حفظه الله

والثانية : «تُحفةُ السَّامع والقَاري بخَتْم صَحيح البُخاري» للعلَّامة القسطلَّاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، صاحب «إرشاد الساري» .

وستطبع لأوَّل مرَّة، ويقوم على تحقيقها مقيِّد هاته الرحلة محمد بن يوسف الجوراني عفى الله عنه.

وقد حظيت بتعليقات ومراجعة شيخنا العلامة المحدِّث شعيب الأرنؤوط متَّعنا الله بعلمه ومعرفته .

❑ ❑ ❑



تصنيف العلامة الحافظ

أبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني رحمه الله

(٨١٥ - ٩٢٣هـ)

اعتنى به وعلق عليه

محمد بن يوسف الجوراني

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

تقريظ وتعليق

فضيلة الشيخ العلامة

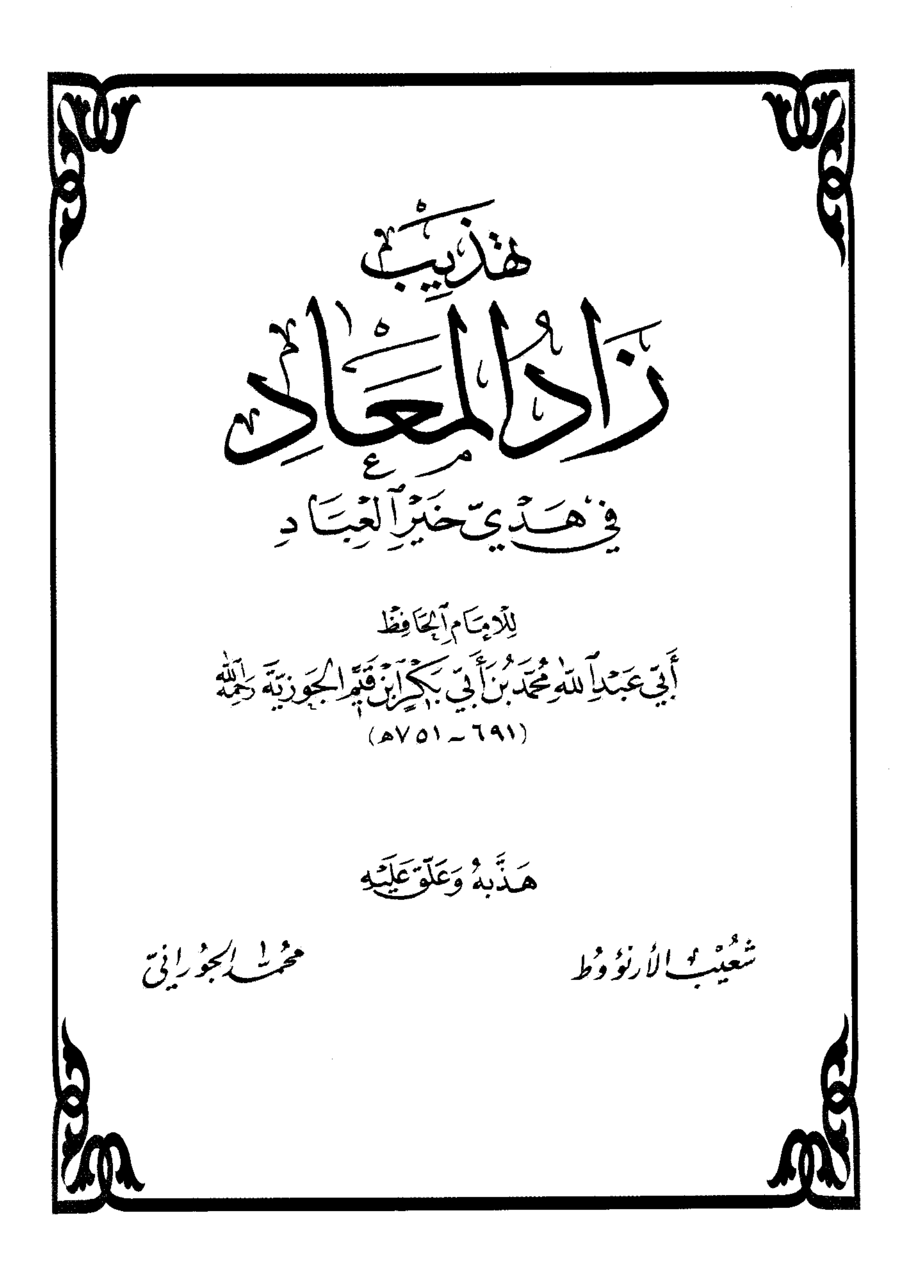
شعيب الأرنؤوط

حفظه الله

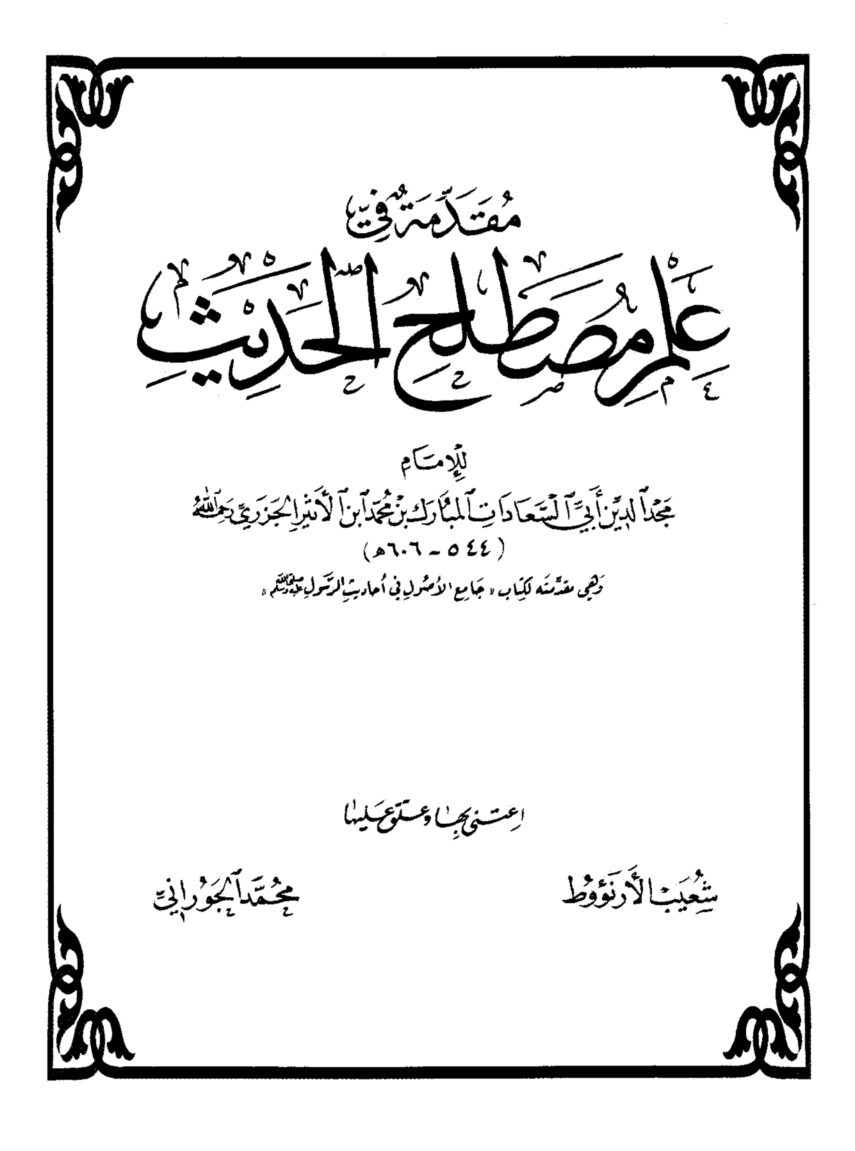
❑ الأعمال المرتقبة :

هذا ومن الأعمال المُرتقبة التي ستخرج لشيخنا في طبعات خاصَّة إن شاء الله تعالى ما يلي :

١. «تهذيب زاد المعاد» مع مقيِّد الرحلة.



٢. «مُقدِّمة في علم مصطلح الحديث» وهي مقدِّمة ابن الأثير لكتابه «جامع الأصول» بعناية وتعليق شيخنا وراقم هذه الأسطر.


مقدمة في
علم مصطلح الحديث
للإمام
مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري رحمه الله
(٥٤٤ - ٦٠٦هـ)
وهي مقدمته لكتاب «جامع الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم»
اعتنى بها وعلق عليها
شعيب الأرنؤوط
محمد الجوراني

□ □ □

الخَاتِمَة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد ..

فإليكَ أيُّها القارئ الكريم في نهاية مطاف هذه الرِّحلة العِلْميَّة المباركة إلى الدِّيار الكويتية، وقد وقفتَ في هذا الجهد المتواضع على بعض شُجون مُحبٍّ، مِنْ تِلْميذٍ نحو شَيْخه، بَثَثْتُها لك، وأردَفْتُها ألواناً مِن فَوائد وإملاءات وعلوم شيخنا متَّعنا الله به، في سِفْرها الأوَّل، وها أنا ذا أكتبُ خاتمتي وأنا في ضيافة ربِّ العالمين، وفي باحة بيته الأمين، رَاجياً من العليِّ القدير ـ وبشَرْبةِ زَمزم ـ أنْ ينفع بها ويبارك فيها وأنْ يَتلقَّاها أهل العلم بالرِّضى والقَبول؛ فيعرفوا ما لهذا العالِم الذي يعمل بصمتٍ وخَفاءٍ، مِن فَضلٍ وعِلْم وجُهدٍ كبيرٍ، هو به والله حَرِيٌّ أن يُكرم و يُجَلَّ، وتُعرف منزلته العالية بين القاصي والدَّاني.

أُسطِّر هذه الأحرف بمِدَاد القلم، وكلِّي أملٌ أنْ يُطيل الله عُمرَ شيخنا وينفع به الإسلام والمسلمين، وأنْ يُمتِّعنا بعلمه ومعرفته وفضله وخبرته.

وأسأله سبحانه أن يُتِمَّ له مُنْيَته في إتمام «المعلمة الحديثية الصحيحة»، فو اللهِ ما أقمتُ ولا سافرتُ ولا رحلتُ، إلَّا والشَّيخ يُجدِّد العهد والدَّعوات إلى رب الأرض والسَّموات أنْ يُطيل عمرَه ويُحقِّق له مُنْيَته.

وكم كنتُ أتَّصل به في حِلِّي وتِرْحالي، أتلمَّس شيخنا رجاء أنْ يسألني بعض شيءٍ من واجبه الكبير والكثير عليَّ وفاءً لبعَض بعض حقِّه، فما يزيد أسعَده الله وأدام ظِلَّه إلَّا بطلب الدَّعوات لتحقيق الأمنيات.

فاللَّهُمَّ ربي هذه أسطرٌ قيَّدتُها بِرَّاً ووفاءً لحقِّ هذا العالم عليَّ، وأنا في ضيافةِ بَيتك، وفي باحة كَعْبتِك، ورَوْنَقتُها على عَيْنِك، فتقبَّلها عِنْدك، واكتب لها النَّفع والبركة؛ لينشطَ العبادُ نحو السَّعي والحركة، إنَّك يا ربَّنا خير مَسؤول، وبكلِّ جميلٍ كَفيل، وأنتَ حَسبُنا ونِعمَ الوكيل .

فإليك شيخي الغالي، هذا الجهد المُقلّ، عِرفاناً ووفاءً وبِرَّاً، فأنتَ الذي «خرَّجَنا في هذه الصِّناعة، وأَدْخلَنا في عِداد الجماعة، فجزاك الله تعالى عنَّا خير الجزاء، وجعل حظَّك في غُرفاتِ الجنان مُوفَّر الأجزاء»[1]

قيَّدها الفقير إلى عفو ربه القدير

محبكم وتلميذكم المقصِّر في حقكم

مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الجُورَانِيُّ

في باحة المسجد الحرام من عام ١٤٣٢هـ

❑ ❑ ❑

---

(١) من كلمة نفيسة قالها السُّبكي في شيخه الإمام الذهبي في «طبقاته» (٩/ ١٠١) مع تصرف يسير .

قَالَ ابْنُ يُوسُفَ عَفَا اللهُ عَنْهُمَا : بحَمْد اللهِ وفضله نجز الكتاب عن رحلة شيخنا الغالي، قدر الوسع والطاقة، والله سبحانه أرجو أن أكون قد وُفِّقت في حسن عرض ذلك مع العناية اللائقة به، خِدْمة لشيخنا أولاً وللعِلْم ولأهله، وأسأله سبحانه أن يدَّخر هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله في ميزاني ووالِدَيَّ وأهلي ومشايخي الكرام والمسلمين، وفضل والله واسع.

وأنت أيها القارئ الكريم : لا تبخل عليَّ إنْ وجدت في ذا العمل تقصيراً، أو خطأً، فإن أصبتُ فمن لطف الله وعَوْنه، وإن أخطأتُ فمنبت الخطأ ومعدنه، وما المرء إلَّا بإخوانه.

وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات .

وللتواصل : m_aljorany@hotmal.com

المحتويات

❑ ❑ ❑